



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه  
صباح  
الرمضان

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

مكتبة جامعة القاهرة  
القاهرة - مصر

# مُعِينُ الْخَطِيَاءِ

مُحَاضِرَاتُكَ فِي التَّوْبَةِ وَالْجَنَّةِ

تأليف

أ.م.ع. د. كَامِلُ الزَّيْتُونِي

الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ

مكتبة جامعة القاهرة  
القاهرة - مصر

الإصدار ٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# معين الخطباء (محاضرات فى العقيدة والأخلاق)

كاتب:

كاظم البهادلى

نشرت فى الطباعة:

العتبه الحسينيه المقدسه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريريات الكمبيوترية



# الفهرس

٥	الفهرس
١٥	معين الخطباء(محاضرات في العقيدة والأخلاق)
١٥	اشاره
١٥	المجلد ١
١٥	اشاره
٢١	الإهداء
٢٣	مقدمه المركز
٢٥	المقدمه
٢٩	المحاضره الأولى: تعظيم الشعائر
٤٣	المحاضره الثانيه: البكاء على الحسين عليه السلام
٥٥	المحاضره الثالثه: نكت العهد
٦٧	المحاضره الرابعه: مكارم الأخلاق
٨٠	المحاضره الخامسه: علم الإمام عليه السلام
٩٢	المحاضره السادسه: بين كربلاء والكعبه
١٠٤	المحاضره السابعه: من مواعظ سيد الشهداء عليه السلام
١١٦	المحاضره الثامنه: فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
١٢٨	المحاضره التاسعه: أقسام العباده
١٤٠	المحاضره العاشره: السفير مسلم بن عقيل عليه السلام
١٥٦	المحاضره الحاديه عشره: معطيات آيه المودّه
١٦٨	المحاضره الثانيه عشره: كيفيه اختيار الصديق
١٧٩	المحاضره الثالثه عشره: حدود الصداقه
١٩٣	المحاضره الرابعه عشره: الصديقون والشهداء
٢٠٧	المحاضره الخامسه عشره: الشفاعه
٢١٩	المحاضره السادسه عشره: تأديب الأولاد

٢٣٣	المحاضره السابعه عشره: التفقه في الدين
٢٤٥	المحاضره الثامنه عشره: حق الأب
٢٥٩	المحاضره التاسعه عشره: حق الولد
٢٧٢	المحاضره العشرون: إقامه الصلاه
٢٨٢	المحاضره الحاديه والعشرون: علاج ترك الذنوب والمعاصي
٢٩٤	المحاضره الثانيه والعشرون: معطيات آيه المباهله
٣٠٧	المحاضره الثالثه والعشرون: العفو
٣١٧	المحاضره الرابعه والعشرون: من هم أولوا الأمر
٣٣٢	المحاضره الخامسه والعشرون: الحق والباطل
٣٤٤	المحاضره السادسه والعشرون: التوكّل
٣٥٤	المحاضره السابعه والعشرون: الرجاء والخوف
٣٦٤	المحاضره الثامنه والعشرون: كبائر الذنوب وصغائرها
٣٧٤	المحاضره التاسعه والعشرون: الرساله السماويه
٣٨٩	المحاضره الثلاثون: علامات المؤمن
٤٠٣	المحاضره الحاديه والثلاثون: المصائب من آثار الأعمال
٤٣٠	المحاضره الثالثه والثلاثون: آيه الولايه
٤٤١	المحاضره الرابعه والثلاثون: آيه التطهير
٤٥١	المحاضره الخامسه والثلاثون: فضائل أهل البيت عليهم السلام
٤٦٤	المحاضره السادسه والثلاثون: الاصطفاء
٤٧٧	المحاضره السابعه والثلاثون: الشُّكر
٤٩١	المحاضره الثامنه والثلاثون: معطيات آيه القُربى
٥٠٤	المحاضره التاسعه والثلاثون: شذرات من حياه العقيله زينب عليها السلام
٥١٦	المحاضره الأربعون: شذرات من حياه السيده فاطمه المعصومه عليها السلام
٥٢٧	فهرست اهم المصادر
٥٦٨	المحتويات
٥٧٣	المجلد ٢

- ٥٧٣ ..... اشارة
- ٥٧٣ ..... اشارة
- ٥٨١ ..... المحاضره الأولى: التوبه
- ٥٩٣ ..... المحاضره الثانيه: التقوى
- ٦٠٦ ..... المحاضره الثالثه: الاستغفار وآثاره
- ٦٠٦ ..... اشارة
- ٦١٢ ..... حقيقه الاستغفار
- ٦١٣ ..... آثار الاستغفار
- ٦١٣ ..... اشارة
- ٦١٤ ..... الأثر الأول: غفران الذنوب
- ٦١٥ ..... الأثر الثاني: كثرة الأمطار
- ٦١٦ ..... الأثر الثالث: المدد المالي
- ٦١٧ ..... الأثر الرابع: المدد بالبنين
- ٦١٨ ..... الأثر الخامس والسادس: جعل الجنات والأنهار
- ٦٢١ ..... المحاضره الرابعه: عداوه الشيطان لبنى آدم
- ٦٢١ ..... اشارة
- ٦٢٦ ..... إبليس عدو لا كالأعداء
- ٦٢٧ ..... طرُق الشيطان وخطواته
- ٦٣٥ ..... المحاضره الخامسه: هَجْرُ القرآن
- ٦٣٥ ..... اشارة
- ٦٤١ ..... الهَجْر لغه:
- ٦٤١ ..... الهَجْر اصطلاحاً
- ٦٤١ ..... اشارة
- ٦٤١ ..... النحو الأول: عدم قراءته
- ٦٤٣ ..... النحو الثاني: عدم التدبّر فيه
- ٦٤٥ ..... النحو الثالث: عدم التطبيق وترك العمل بالمضمون

- ٦٥٢ ..... المحاضره السادسه: التوسل حقيقه قرآنيه
- ٦٥٢ ..... اشاره
- ٦٥٦ ..... الوسيله لُغَةً
- ٦٥٧ ..... الوسيله اصطلاحاً
- ٦٦٥ ..... المحاضره السابعه: الصبر
- ٦٦٥ ..... اشاره
- ٦٦٩ ..... الصبر
- ٦٦٩ ..... اشاره
- ٦٦٩ ..... ١ - الصبر على الطاعه
- ٦٧٠ ..... ٢ - الصبر على عدم معصيه الله
- ٦٧٠ ..... ٣ - الصبر على البلاء والمصائب
- ٦٧٧ ..... المحاضره الثامنه: العباده
- ٦٧٧ ..... اشاره
- ٦٨١ ..... فما هو الهدف إذن؟
- ٦٨٩ ..... المحاضره التاسعه: عباده الخرف
- ٦٨٩ ..... اشاره
- ٦٩٣ ..... المجموعه الأولى: المتقون
- ٦٩٣ ..... المجموعه الثانيه: الكافرون
- ٦٩٣ ..... المجموعه الثالثه: المنافقون
- ٦٩٣ ..... اشاره
- ٦٩٤ ..... ما هو الحرف؟
- ٦٩٦ ..... ما هو السبب في عباده الحرف؟
- ٦٩٨ ..... ما المقصود من الخير والفتنه في الآية الشريفه؟
- ٦٩٩ ..... الخُسران المبين
- ٧٠٣ ..... المحاضره العاشره: عباد الرحمن
- ٧٠٣ ..... اشاره

- ٧٠٨ ..... وصف الله تبارك وتعالى:
- ٧٠٨ ..... اشاره
- ٧١٠ ..... الصفه الأولى: عباد الرحمن
- ٧١٢ ..... الصفه الثانيه: التواضع
- ٧١٦ ..... علامات المتواضعين:
- ٧٢٢ ..... المحاضره الحاديه عشره: الإيثار
- ٧٢٢ ..... اشاره
- ٧٢٨ ..... الإيثار:
- ٧٢٨ ..... ولهذا سُميت هذه الليله التاريخيه بليله المبيت.
- ٧٣٥ ..... المحاضره الثانيه عشره: الرحمه
- ٧٣٥ ..... اشاره
- ٧٣٨ ..... الرّحمه:
- ٧٣٨ ..... رحمه الله عزّ وجلّ لمخلوقاته:
- ٧٣٩ ..... موجبات الرّحمه ؟
- ٧٤٠ ..... موانع الرّحمه ؟
- ٧٤٠ ..... اشاره
- ٧٤٠ ..... الأمر الأول: رحمه الأيتام
- ٧٤٣ ..... الأمر الثاني: رحمه الضعيف
- ٧٤٤ ..... الأمر الثالث: الشفقه على الوالدين
- ٧٤٦ ..... المحاضره الثالثه عشره: القناعه
- ٧٤٦ ..... اشاره
- ٧٤٩ ..... القناعه:
- ٧٤٩ ..... فضل القناعه:
- ٧٥١ ..... نتائج القناعه:
- ٧٥١ ..... من قصص القناعه:
- ٧٥٧ ..... المحاضره الرابعه عشره: الرضا بقضاء الله

- ٧٦٧ ..... المحاضرة الخامسة عشره: بز الوالدين وعقوقهما
- ٧٨١ ..... المحاضرة السادسة عشره: صلّه الرّجيم
- ٧٨١ ..... اشاره
- ٧٨٥ ..... مَن هم الأرحام ؟
- ٧٨٦ ..... آثار قطيعه الرحم:
- ٧٨٨ ..... آثار صله الرحم
- ٧٨٩ ..... أقل ما يتحقق به صله الرحم
- ٧٨٩ ..... أفضل صور صله الرحم
- ٧٩٣ ..... المحاضرة السابعه عشره: وجوب تنصيب الإمام
- ٧٩٣ ..... اشاره
- ٧٩٨ ..... الإمامه عند الشيعة:
- ٧٩٩ ..... الأدلّه على هذا الأصل
- ٨٠٧ ..... المحاضرة الثامنه عشره: سوره العصر
- ٨٠٧ ..... اشاره
- ٨١٠ ..... التّسم ومعناه:
- ٨١١ ..... أركان القسم:
- ٨١٢ ..... القسم في سوره العصر:
- ٨١٢ ..... ما هو العصر:
- ٨١٥ ..... جواب القسم في السوره المباركه:
- ٨١٧ ..... الإستثناء في السوره المباركه:
- ٨٢٣ ..... المحاضرة التاسعه عشره: قسوه القلوب
- ٨٢٣ ..... اشاره
- ٨٢٧ ..... قسوه القلوب وأسبابها:
- ٨٣١ ..... قلوب تشبه الحجاره:
- ٨٣٢ ..... الحجاره ألين من قلوب بني إسرائيل:
- ٨٣٨ ..... المحاضرة العشرون: الدعاء سلاح المؤمن

- ٨٣٨ ..... اشاره
- ٨٤٣ ..... سبب نزول الآيه المباركه
- ٨٤٣ ..... أسلوب الآيه وبيانها
- ٨٤٤ ..... الخلاصه:
- ٨٤٥ ..... التَّربُّبُ الإلهي
- ٨٤٦ ..... شروط استجابته الدعاء
- ٨٥٢ ..... الاستجابته لله والإيمان به عزَّ وجلَّ
- ٨٥٦ ..... المحاضره الحاديه والعشرون: أنصار الله عزَّ وجلَّ
- ٨٥٦ ..... اشاره
- ٨٦١ ..... كيف نكون أنصاراً لله عزَّ وجلَّ
- ٨٦٣ ..... من هم الحواريون؟
- ٨٦٤ ..... حواريو الإسلام وأنصاره
- ٨٧٠ ..... المحاضره الثانيه والعشرون: إحياء الموتى
- ٨٧٠ ..... اشاره
- ٨٧٤ ..... السؤال طلباً لليقين
- ٨٧٦ ..... هل الواقعه على نحو الحقيقه أو المثال؟
- ٨٧٨ ..... الطيور الأربعة
- ٨٨٠ ..... ظهور الإعجاز وتجليته لإبراهيم عليه السلام
- ٨٨١ ..... استفادته فقهيه
- ٨٨٢ ..... الولايه التكوينيّه عند أهل البيت عليهم السلام
- ٨٨٢ ..... ختام الآيه
- ٨٨٤ ..... المحاضره الثالثه والعشرون: مقومات الزعامه الإلهيه
- ٨٨٤ ..... اشاره
- ٨٨٩ ..... نهضه الأمم بامتثال أوامر أنبيائها عليهم السلام
- ٨٩٠ ..... الاعتراض على الاختيار الإلهي
- ٨٩١ ..... طالوت وكيفيته اختياره

- الإصطفاء الإلهي لطالوت ..... ٨٩٢
- علامه ملك طالوت ..... ٨٩٤
- المحاضره الرابعه والعشرون: ناقه الله ..... ٨٩٧
- اشاره ..... ٨٩٧
- الأمر الأول: مَنْ هو ثمود؟ ..... ٩٠١
- الأمر الثاني: ما هو سز التعبير ب - (أخاهم صالحاً)؟ ..... ٩٠٢
- الأمر الثالث: الدعوه إلى التوحيد ..... ٩٠٤
- المحاضره الخامسه والعشرون: أوهن البيوت ..... ٩١١
- اشاره ..... ٩١١
- أولياء من دون الله ..... ٩١٥
- الإعجاز في هذا التشبيه ..... ٩١٦
- مواصفات هذا البيت ..... ٩١٩
- الله يعلم بمن يتولى غيره عز وجل ..... ٩٢٠
- إشكال البعض على التشبيهات القرآنيه ..... ٩٢١
- المحاضره السادسه والعشرون: استدراج العصاه ..... ٩٢٣
- اشاره ..... ٩٢٣
- أسباب الغفله والنسيان ..... ٩٢٧
- جزاء الغفله والنسيان ..... ٩٢٨
- الاستدراج عقوبه أم تنبيه ؟ ..... ٩٢٩
- حقيقه الإستدراج ..... ٩٣٠
- الأخذ بغتة ونتيجته ..... ٩٣١
- المحاضره السابعه والعشرون: الحياه الدنيا متاع الغرور ..... ٩٣٧
- المحاضره الثامنه والعشرون: حسن الظن وسوء الظن ..... ٩٤٩
- المحاضره التاسعه والعشرون: الحسد ..... ٩٤٠
- المحاضره الثلاثون: معجزات الإمام الحسين عليه السلام ..... ٩٧٢
- فهرست أهم المصادر ..... ٩٨٤



المجلد ٣	١٠١٠
إشاره	١٠١٠
إشاره	١٠١٠
هويه الكتاب	١٠١٥
المحاضره الأولى: حكمه الخلق	١٠١٨
المحاضره الثانيه: الدنيا سجن المؤمن و جنه الكافر	١٠٣٠
المحاضره الثالثه: زاد السفر إلى الله تعالى	١٠٣٨
المحاضره الرابعه: الصلاه حصن المؤمن	١٠٤٦
المحاضره الخامسه: ذكر الله	١٠٥٥
المحاضره السادسه: حُسن الخلق	١٠٦٩
المحاضره السابعه: الظلم	١٠٧٩
المحاضره الثامنه: الخوف من الله تعالى	١٠٨٩
المحاضره التاسعه: الفحش والسب والقذف	١٠٩٩
المحاضره العاشره: الكلم الطيب	١١٠٧
المحاضره الحاديه عشره: حقوق الوالدين والأرحام	١١١٧
المحاضره الثانيه عشره: الصداقه والأصدقاء	١١٣١
المحاضره الثالثه عشره: الجار والجوار	١١٤٣
المحاضره الرابعه عشره: تزكيه النفس ومحاسبتها	١١٥٣
المحاضره الخامسه عشره: حقوق الأئمه عليهم السلام	١١٦٣
المحاضره السادسه عشره: حبّ النبي وأهل بيته عليهم السلام	١١٧٩
المحاضره السابعه عشره: الفوز في الدارين	١١٩١
المحاضره الثامنه عشره: الغيبه وآثارها	١٢٠٥
المحاضره التاسعه عشره: صنوف المواعظ	١٢١٧
المحاضره العشرون: الحجاب وآثاره	١٢٢٧
المحاضره الحاديه والعشرون: ليله القدر	١٢٣٧
المحاضره الثانيه والعشرون: فضل القرآن	١٢٤٥

١٢٥٥	المحاضره الثالثه والعشرون: الورع والحلم والمداراه
١٢٦٥	المحاضره الرابعه والعشرون: حق الصدقه
١٢٧٣	المحاضره الخامسه والعشرون: سيد الأعمال
١٢٨١	المحاضره السادسه والعشرون: التفاخر والتكائر
١٢٩١	المحاضره السابعه والعشرون: الصراط
١٣٠١	المحاضره الثامنه والعشرون: إدخال السرور على المؤمنين
١٣٠٩	المحاضره التاسعه والعشرون: من أحب السبل إلى الله
١٣١٧	المحاضره الثلاثون: العيد
١٣٢٩	فهرست أهم المصادر
١٣٥٧	المحتويات
١٣٥٩	تعريف مركز

## معين الخطباء (محاضرات في العقيدة والأخلاق)

### اشاره

سرشناسه: بهادلى، احمد كاظم

عنوان و نام پديد آور: معين الخطباء: محاضرات في العقيدة والاخلاق / تاليف كاظم البهادلى

مشخصات نشر: كربلاى معلى - عراق

ناشر: العتبه الحسينيه المقدسه، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ١٤٣٥

مشخصات ظاهري: ٣: ج

يادداشت: عربى.

يادداشت: كتابنامه.

عنوان ديگر: محاضرات في العقيدة والاخلاق.

موضوع: خاندان نبوت -- فضائل

موضوع: Muhammad, Prophet, d. ٦٣٢ -- Family -- Virtues

موضوع: چهارده معصوم -- فضائل -- مقاله ها و خطابه ها

موضوع: Fourteen Innocents of Shiite -- Virtues -- \*Addresses, essays, lectures

شناسه افزوده: مركز الدراسات التخصصيه فى النهضه الحسينيه. قسم الشؤون الفكرية فى العتبه الحسينيه المقدسه

ص: ١

المجلد ١

اشاره



بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٣

معين الخطباء: محاضرات في العقيدة والاخلاق

ص: ٤

تالیف کاظم البہادلی

ص: ۵





إليك يا مُمتحنهُ، إليك يا صابره.

إليك يا أمه الله وسيدته النساء.

إليك يا بضعه رسول الله وأُمّ الأوصياء.

إليك أيتها المهظومهُ المظلومه، الممنوعه حقها.

إليك أيتها الصديقه الشهيده.

إليك أيتها المعصومه الشفيعه.

إليك يا روح رسول الله التي بين جنبيه، وريحانته من الدنيا.

إليك يا سيدتي يا فاطمه الزهراء، أقدم هذه البضاعه المزجاءه فتفضلي عليّ بالقبول والإحسان واشفعي لي عند ربك وربّي فإنه أكرم مسؤول وأعظم مأمول.

الراجي شفاعتكم

كاظم

ص: ٧



العلم والقراءه والكتاب بالقلم، قواعد المجد، ومفاتيح التنزيل، وديباجه الوحي، ومشرق القرآن الكريم، بها يقوم الدين، وتُدون الشرائع، وتحیی الأمم، وتُبنى الحضارات، ويُكتب التاريخ، ويُرسم الحاضر والمستقبل، وبها تتمايز المجتمعات، وتختلف الثقافات، ويوزن الإنسان، ويتفاضل الناس، ويزهو ويفتخر بعضهم على البعض الآخر.

في ضوء هذه القيم والمبادئ الساميه، ومن منطلق الشعور بالمسؤوليه، وبالتوكل على الله تبرك وتعالى، بذلت الأمانه العام للعبته الحسينيه المقدسه جهوداً كبيره واهتمامات واسعه لدعم الحركه العلميه والفكريه والثقافيه، وتطوير جوانب الكتابه والتأليف والتحقيق والمطالعه، وذلك عن طريق الاهتمام بالشؤون الفكريه، وافتتاح المؤسسات ومراكز الدراسات العلميه، وبناء المكتبات التخصصيه، والتواصل مع الأساتذه والعلماء والمفكرين، وتشجيع النُحف والكفاءات والطاقت القادره على بناء صروح العلم والمعرفه.

ويُعد مركز الدراسات التخصصيه في النهضه الحسينيه في النجف الأشرف وقم المقدسه، امتداداً لتلك الجهود المباركه، وقد عمل منذ تأسيسه وأقسامه ووحداته المتنوعه على إثراء الواقع العلمى والفكرى، وذلك من خلال تدوين البحوث، وتأليف الكتب وتحقيقتها ونشرها، وإصدار المجلات المتخصّصه، والمشاركه الفاعله مع شبكه التواصل العالميه، وإعداد الكوادر العلميه القادره على مواصله المسيره.

ومن تلك الأمور المهمه التي تصدّى مركزنا المبارك للقيام بها وتفعيلها بشكل واسع، في إطار وحده التأليف والتحقيق، هي الاهتمام بنشر التراث العلمى والنتاج الفكرى

والكتابات التخصصيه للعلماء والمحققين والباحثين، وذلك بهدف فسح المجال وفتح الأبواب والنوافذ أمام قراء الفكر، وطلاب العلم والحقيقه.

ومن تلك النتاجات العلميه والقيمه، هذا السفر المائل بين يديك عزيزى القارئ، وهو كتاب (معين الخطباء.. محاضرات فى العقيدته والأخلاق) للخطيب الألمعى فضيله الشيخ كاظم البهادلى، والذى سلط الضوء فيه على مجموعه كبيره من المسائل العقائديه والفقيهيه والتاريخيه والأخلاقيه من خلال مئه مجلس حسيني قيم، والتي تعد عملاً جاهزاً لرواد المنبر الحسينى خصوصاً الخطباء الذين هم فى سلم الصعود والرقى، وقد ابتداء كل مجلس فى هذا الكتاب بالشعر القريض ثم اتبعه بالشعر (الحسجه) ثم بعد ذلك يتبدأ المجلس بآيه أو روايه ثم يتم تسليط الضوء على أحد المفاهيم الإسلاميه المستوحاه من الآيه أو الروايه فيتناولها من جوانب عديده، بأسلوب واضح وفق منهجه علميه خطابيه داعماً ذلك بالقصه والشواهد التاريخيه ثم يتطرق إلى المصيبه والأبيات الشعرية المناسبه لها.

ويعتبر هذا العمل من الأعمال المهمه فى الأوساط العلميه والثقافيه وذلك بتبع ما للمنبر الشريف من أهميه قصوى فى هذا الميدان، إذ أن للمنبر الدور الأكبر فى صياغه الثقافيه العامه عند المجتمع، وهذا العمل يعتبر رافداً صافياً ومعيناً أميناً لخطباء المنبر الحسينى أيدهم الله تعالى وسدد خطاهم.

وفى الختام نتمنى للمؤلف دوام التوفيق فى خدمه القضيه الحسينيه، ونسأل الله تعالى أن يبارك لنا فى أعمالنا إنه سميع مجيب.

اللجنه العلميه

فى مركز الدراسات التخصصيه

فى النهضه الحسينيه

ص: ١٠

الحمدُ لله الذى تفرّد بالوحدانيه، وارتفع عن وصف المخلوقين له بالإيتيه، وحاترت العقول عن كُنه معرفته، وتلكأت الألسن عن إدراك صِفته، الواحد بلا شريك، والملك بلا تمليك.

والصَّلاه والسَّلام على خير الأنام، خاتم الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين وعلى أهل بيته الطَّيبين الطَّاهرين، لا سيَّما بقيه الله فى الأرضين، مولاي وولى نعمتى، صاحب العصر والزمان الحجَّه بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف، واللعن الدائم المؤبَّد على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

أمّا بعد، فلا يخفى على ذى لُبِّ ما للخطابه من أهميّه فى هدايه الناس وتثبيت ما اهتمدوا إليه، ولا يشكُّ ذو مسكّه بأنّها من وظائف الأنبياء والمرسلين والأوصياء والصّالحين، وأنّ ثوابها جسيم ومقامها عظيم.

فعن رسول الله صلى الله عليه و آله أنّه قال لأمير المؤمنين عليه السلام: «لئن يهدى الله بك رجلاً خيرٌ لك من أن يكون لك حُمر النعم»(١).

فهدايه إنسان واحد خيرٌ من أفضل النعم وأنفسها! فكيف إذا كانت الهدايه لمئات البشر ولمرّ العصور!!

والهدايه هذه تاره تكون بالفعل وأخرى بالقول، وكلّما كان القول تابعاً لإخلاص

ص: ١١

القائل وصدق نيته وعمله كان التأثير أكبر والنفع أوسع، وقد قيل في القَدَم: «ما خرج من اللسان لا يتجاوز الأذان، وما خرج من القلب دخل في القلب».

فينبغي لنا - معاشر الخطباء - الالتفات إلى ذلك جيداً؛ لأنَّ التوفيق كلُّ التوفيق في الإخلاص ومتابعه القول للعمل، فالخلاص في الإخلاص.

ومن جهة أخرى، ينبغي لسائر المؤمنين أيضاً أن ينظروا للخطيب بعين الإنصاف، وأن لا يتبعوا عثراته وزلاته وسقطاته، فنحن معاشر البشر عُرضه للخطأ والنسيان إلا من خصَّه الله وحباه؛ ومن هنا جاء النهي والتحذير عن تتبع العثرات على لسان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيث قال: «لا تطلبوا عثرات المؤمنين؛ فإنَّ مَنْ تَبَعَ عَثْرَاتِ أَخِيهِ تَبَعَ اللَّهُ عَثْرَاتِهِ، وَمَنْ تَبَعَ اللَّهُ عَثْرَاتِهِ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ»<sup>(١)</sup>.

والخطيب الجيد هو مَنْ يبذل قُصارى جهده في إنجاح منبره، فإن وُفِّقَ فيها ونعمت، وإن أخفق فنعين بعضنا البعض لتسديده وبيان ما يمكن له أن يتلافى به ما أخفق بسببه، فمنه ومنا السعي ومن الله التوفيق، قال الشاعر:

على المرء أن يسعى بمقدار جهده وليس عليه أن يكونَ موفقاً

وفي هذا السياق جاءت هذه المحاولة المتواضعة في هذا الكتاب - مُعين الخطباء - لتعين مَنْ يحتاج الإعانة، وتكون تذكراً لمن لم تُسعفه الذاكره، وناقلةً لأساتذته الفنِّ وكبار الخطباء، وهي عبارة عن مجموعته محاضرات ومجالس عزائيه أَلْقِيَتْ أَكْثَرَهَا - إذا لم أقل: كُلَّهَا - وقد نالت إعجاب ثلَّةٍ من إخواني الخطباء، فالتمسنى بعض إخوتي من الخطباء الفضلاء نشرها؛ لتعمَّ الفائدة، فتزلتُ عند رغبتهم، شاكرًا لهم حُسن ظَنِّهم بى وبها، وهي نافعه إن شاء الله تعالى لمن نظر فيها نظرة فاحصة، ومن محاسنها أنَّها اشتملت على المصادر التي استقيت منها المادَّة، وقد أرجعت ما فيها إلى مصدره ومرجعه، وهي مائة مجلس ومحاضرته، اشتمل الجزء

ص: ١٢

١- (١) الكافي: ج ٢، ص ٣٥٥، ح ٥.

الأول على أربعين منها؛ تيمناً بهذا العدد المبارك، وثلاثين في الجزء الثاني، وثلاثين في الجزء الثالث أيضاً، واشتمل الكتاب - بأجزائه الثلاثة - على مجالس شهر محرّم الحرام وبعض مناسبات شهر صفر والأيام الفاطميّة وشهر رمضان المبارك، وغير ذلك من مجالس ومحاضرات متفرّقة، والطابع الغالب على الجميع هو العقائدي والأخلاقي.

وسمّيته (مُعِين الخطباء) اسماً على مُسمّاه إن شاء الله تعالى؛ ليعينني وإخوتي أولاً، ولأجل أن يشملنا قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «مَنْ حَفَظَ مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا مِمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقِيهًا عَالِمًا» (١).

فقلت - في نفسي - : وأربعين مجلساً إن شاء الله، خصوصاً مع الالتفات إلى قوله صلى الله عليه وآله: «مِمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ» أو الالتفات إلى الحديث الآخر المُشتمل على سؤال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: «يا رسول الله، أخبرني ما هذه الأحاديث؟».

فقال صلى الله عليه وآله: «أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، وتعبده ولا تعبد غيره، وتقيم الصلاة بوضوءٍ سابغٍ في مواقيتها ولا تؤخرها فإنّ في تأخيرها من غير علّة غضب الله عزّ وجلّ، وتؤدّي الزّكاة، وتصوم شهر رمضان، وتحجّ البيت إذا كان لك مالٌ وكنت مستطيعاً، وأن لا تعقّ والديك، ولا تأكل مال اليتيم ظلماً، ولا تأكل الربا، ولا تشرب الخمر... وأن تصبر على البلاء والمصيبة، وأن تشكر نعم الله التي أنعم بها عليك... وأن تتوب إلى الله عزّ وجلّ من ذنوبك فإنّ التائب من ذنوبه كمن لا ذنب له... وأن تُكثر من قراءة القرآن وتعمل فيه... فهذه أربعون حديثاً من استقام عليها وحفظها عنّي من أمتي دخل الجنّة برحمه الله، وكان من أفضل النّاس وأحبّهم إلى الله عزّ وجلّ بعد النّبیین والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين، وحسُن أولئك رفيقاً» (٢).

ومحاضراتنا ومجالسنا المائه المبتوثة في هذا الجزء وبقية المحاضرات والمجالس في

ص: ١٣

١- (١) الخصال: ص ٥٩٠ - ص ٥٩١، ح ١٥.

٢- (٢) الخصال: ص ٥٩٢ - ص ٥٩٣، ح ١٩.

الجزءين الآخرين لا تعدو هذا المعنى، وكرم الله أكبر من أن نصِّفه أو نتصوِّره، فنسأله تبارك وتعالى أن يشملنا بعفوه وكرمه.

وفى الختام أتقدّم بجزيل شكرى وامتنانى للإخوة الأساتذة والخطباء، الذين وازرونى فى هذا العمل، وأخصّ بالذكر منهم: سماحه السيد على الموسوى، والشيخ محمّد صالح الحلقى، والشيخ سعد الغرى، والشيخ محمّد الساعدى، سائلاً المولى عزّ وجلّ لهم جميعاً دوام التوفيق، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبّلها منّا جميعاً بأحسن القبول، وأن يجعلها فى ميزان حسناتنا، وذخراً لنا يوم نلقاه، يوم لا- ينفع مالٌ ولا- بنون إلا- من أتى الله بقلبٍ سليم، وأن تكون من العلم الذى يُنتفع به بعد حياتنا، وأن يغفر لنا ولوالدينا.

(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ).

كاظم البهادلى

قم المقدّسه / أيام شهاده السيده الزهراء عليها السلام

هـ ١٤٣٤

ص: ١٤







أَظَلَّ عَلَيْنَا بِالْحُطُوبِ مُحَرَّمٌ فَخُلِعَ شِعَارِ الحُزْنِ فِيهِ مُحَرَّمٌ  
هوى هَيْكَلُ التَّوْحِيدِ فِيهِ عَلَى الثَّرَى غَدَاةَ هوى القَصْرِ المَشِيدُ المَعْظَمُ  
تَزَلَّزَلْ عَرْشُ اللَّهِ وَارْتَجَّتِ السَّمَاءُ عَشِيَّةَ صَدْرِ العِلْمِ بِالخَيْلِ يُحَطِّمُ  
لَقَدْ أَثَكَلَتْ أُمَّ المَعَالِي وَأُيِّمَتْ غَدَاةَ نِسَاءِ الطِّفْلِ ثَكَلَى وَأُيِّمُ  
فَلَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ حَامِيَ ذِمَارِهَا يُشَاهِدُهَا وَالنَّارُ بِالخَدْرِ تُضَرِّمُ  
أُعَزِّيكَ يَا خَيْرَ الوَرَى فِي الَّذِي جَرَى عَلَى ابْنِكَ يَوْمَ الطِّفْلِ وَالرُّزْءُ أَعْظَمُ  
بِمَاذَا تُعَزِّي وَالْمَصَائِبُ جَمَّةٌ لِأَدْنَى رِزَايَاهَا الشَّدَادُ تُهَدِّمُ  
فَأَطْفَالُ طُهْرٍ فِي حُجُورِ طَوَاهِرٍ وَليْسَ لَهَا ذَنْبٌ هُنَالِكَ يُعْلَمُ  
سِوَى أَنَّهَا مِنْ قَبْلِ حَلِّ تَمَائِمِ لَهَا السَّيْفُ وَالخَطِيُّ سِوَارٌ وَمَعْصَمُ  
أُمُ الذَّبْحِ لِلذَّبْحِ العَظِيمِ عَلَى الطَّمَا لِتَغْسِيلِهِ مِنْ نَحْرِهِ قَدْ جَرَى الدَّمُ  
أُمُ الهَتِكِ لِلخَدْرِ الَّذِي لِاحْتِرَامِهِ مَلَائِكَةُ الجِبَارِ بِالذَّلِّ تُخَدِّمُ  
أَصَابَتْ سَهَامُ الطِّفْلِ حَبَّةَ قَلْبِهَا فَأَحْشَاؤُهَا مِنْهِنَّ ثَوْبٌ مُقَسَّمٌ (١)

\*\*\*

(فائزى)

هَلَّتِ الشَّيْخَةُ بِالحُزْنِ يَهْلَالُ عَاشُورَ أَوْ نَصَبَتْ مِيَاثِمَ لِلعَزِيَّةِ وَتَلَطَّمَتْ أَصْدُورَ

ص: ١٧

---

١- (١) رياض المدح والثناء: ص ٧٢٨ - ص ٧٣٠. ولم تُنسب لأحد، ولم أعر على شاعرها، فلهذا درّه، وعلى الله أجره.

اهلال المحرّم ليش أشوفك كاسف اللون لابس سوادك ليش گلی اشصار بالكون

وّن الهلال او گال سيد الرّسل محزون او كلّ العوالم محزنه والدين مقهور

من حين هلّ الشهر هلّ ابكل الأحزان او جدد مُصاب اللّی گظه بالطفّ حيران

ناحت عليه املاكها والأنس والجان على قتيل اللّی گظه بالطفّ منحور

وأعظم مصيبه ذوّبت مُهجه آفادی أهل المدينة سمعوا الزهره تنادی

عاشور جانی اوزاد حزنی على أولادی نصبت مياتم يا خلگك في وسط الاكبور

صاحت أو منها الدمع فوگ الخد مسجوم ما ظنتی من هلسفر يرجع المظلوم

هلّ المحرم وامتلاً گلبی بالهموم من حين شفت الشهر صار الگلب مكسور

(مجاريد)

نارك ابگلبی دوم تسرى واعليک أونّ وأنه ابگبرى

اوعینى دمعا اعليک يجرى تدرى يبو السجّاد تدرى

ابضلعى اوبعد بصواب صدرى واصبرت لمن فات عمرى

لاچن ابچتلک ضاع صبرى

ص: ۱۸

اهلال الكدر والأحزان هليت اودمه عين الموالي بيك هليت

يشهر النوح عالاسلام هليت لا تظهر او تفرح بيك أميه

\*\*\*

قال تعالى فى محكم كتابه الكريم:(ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)١ .

الشعائر واحدها الشعيره، والشعيره: هى كل ما له دخل فى إحياء معالم الدين التى ندب الله إليها عباده(١). وهى لغه علامه.

ولقد تناول القرآن الكريم موضوع الشعائر بصريح اللفظ فى آيات أربع:

الآيه الأولى: فى سورة البقره، وهى قوله تعالى:(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) (٢).

والآيه الثانيه: فى سورة المائده، وهى قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَيْدَى وَلَا الْقَلَائِدَ) (٣).

والآيه الثالثه: فى سورة الحج، وهى قوله تعالى:(ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) (٤).

والآيه الرابعه: فى سورة الحج أيضاً، وهى قوله تعالى:(وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ

ص: ١٩

١- (٢) انظر: تاج العروس: ج ٣، ص ٣٠٤. كتاب العين: ج ١، ص ٢٥١. لسان العرب: ج ٤، ص ٤١٤.

٢- (٣) البقره: آيه ١٥٨.

٣- (٤) المائده: آيه ٢.

٤- (٥) الحج: آيه ٣٢.

شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ) ١ . والآية محل البحث نددت إلى تعظيم الشعائر التي لها صلة بالله تبارك وتعالى، ولها دخل في إحياء معالم الدين على ما جاء في بعض كلمات أهل اللغة في بيان الاصطلاح منهما.

والآية فيها دلالة واضحة على محبوبية التعظيم لشعائر الله، حيث عدّها البارى عزّ وجلّ من تقوى القلوب.

وقد فسّر بعض علماء العاقره الآيه المباركه بأنّ المقصود من الشعائر فيها: جميع ما أمر الله به وعفا عنه، أى جميع فرائضه.

وحكى عن القرطبى فى أحكام القرآن: أنّ المقصود من الشعائر هى جميع العبادات.. التى أشعرها الله، أى جعلها أعلاماً للناس.

والخلاصه: أنّ المراد من الشعيره والشعائر نشر الدين، وبث نور الله سبحانه وتعالى وعدم إطفائه، ورفع الدين، وطلب سموّه وعلوّه(١).

والآيه محل البحث فيها ثلاثة محاور:

المحور الأوّل: هو طلب التعظيم.

المحور الثانى: موضوع التعظيم هو شعائر الله.

المحور الثالث: نتيجة التعظيم وهى التقوى الناشئه من صفاء القلب، والنابعه عن الإحساس بإدراك الواجب المطلوب امتثاله فى المحور الأوّل.

فبمقتضى المحور الأوّل يكون كلّ إنسان مسؤولاً عن إفشاء طلب البارى عزّ وجلّ، أو قل: نذب البارى وترغيبه فى إقامه وامتثال ما أحبه عزّ وجلّ، فىكون حال هذا الامتثال حال

ص: ٢٠

امتثال بقيه الأوامر الإلهيه، كالصوم والصلاه وما شابه ذلك، فكما أنّ الإنسان يؤجر ويُثاب على امتثال صيام شهر رمضان، ويُعاقب بأشدّ العقوبات وأصرمها في حاله المخالفه، كذلك الحال في إقامه وتعظيم هذه الشعائر عند ملاحظه أنّ الطلب والترغيب تعلق في تعظيمها أو عدم خذلانها، في الآيات الباقية المتناوله لنفس الموضوع، مثل قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ) ١ الناهيه عن هتك وخرم شعائر الله تبارك وتعالى.

والآيات وإن كان بعضها وارداً في سياق آيات الحجّ إلا أنّ هذا لا يمنع من التعميم، كما هو مقتضى الحال في بقيه آيات القرآن الكريم بالنسبه إلى الموضوعات الأخرى؛ لأنّ القرآن يجرى مجرى الليل والنهار والشمس والقمر، كما ورد في ألسنه الروايات (١).

بعد ملاحظه أنّ الشعائر وإقامتها ليست أمراً توقيفياً، بل تركه الشارع بيد العرف ما لم يرد نهى عن مسير العرف العدى يريده الشارع الأقدس (٢).

ولأجل ذلك توسّع العلماء (قدس الله أسرارهم) في إطلاق لفظه الشعائر.

قال المقدّس الأردبيلي في مجمع الفائده والبرهان: «نقل أنّ تجديد قبور الأئمّه عليهم السلام مستثنى من كراهه تجديد القبر بعد الاندراس؛ لأنّ تجديد قبور الأئمّه عليهم السلام فيه تعظيم لشعائر الله، وبقاء الرسم لتحصيل الزياده الموجهه للثواب العظيم» (٣).

بل إنّ بعض الفقهاء أوجب الهجره على من يضعف عن إظهار شعائر الإسلام (٤)، من دون تحديدها بمصداق أبداً، وإنّما ترك ذلك للعرف. فيمكن أن يكون الضعف في إظهار الشعائر

ص: ٢١

١- (٢) تفسير العياشى: ج ٢، ص ٢٠٣.

٢- (٣) انظر: الشعائر الحسينيه بين الأصاله والتجديد: ص ١٣٤.

٣- (٤) مجمع الفائده والبرهان: ج ١، ص ٥٠١.

٤- (٥) انظر: منتهى المطلب: ج ٢، ص ٩٩٨. إيضاح الفوائد: ج ١، ص ٣٥٢، جامع المقاصد: ج ٣، ص ٣٧٤.

متمثلاً- بمنع الحاكم الجائر عن إقامة صلاه الجمعه والجماعه، أو يكون عن طريق منع المؤمنين من أداء زكاتهم، إلى غير ذلك من الأمثله.

إقامه المراسم الخاصه عند الشيعة:

البحث هنا فى ماهية المراسم التى يقيمها الشيعة على أئمتهم، خصوصاً على أبى عبد الله الحسين عليه السلام، فهل هى داخله فى جملة الشعائر التى أمر الله تبارك وتعالى بتعظيمها وحُرمه هتكها وخذلانها أم لا؟

والجواب واضح بعد ما قدّمنا من التعريف اللغوى والتفسير القرآنى للشعائر عند المسلمين، وأنّ المقصود بها كلّ معالم الدين التى ندب الله إليها عباده، والتى يجب على المسلم مهاجره وطنه وبلاده فيما لو ضعفت فيها إلى بلاد يتمكّن من إقامتها وإظهارها فيها.

فبعد معرفه أنّ تجديد قبور الأئمة عليهم السلام هو من شعائر الله التى ندب إليها - كما تقدّم - فلا إشكال فى أنّ إحياء ذكرى أئمة أهل البيت عليهم السلام أولى وأجلى.

فإنّ البكاء ولبس السواد والرثاء وإقامه المآتم على الأئمة عليهم السلام من أجلى وأوضح الشعائر الإلهية؛ لأنّ تعظيمهم تعظيم لرسول الله صلى الله عليه وآله.

وبما أنّ الكلام فى الليلة الأولى من محرّم الحرام فلنعطف البحث على خصوص قضية الإمام الحسين عليه السلام.

إقامه مراسم العزاء على سيد الشهداء عليه السلام من شعائر الله:

ثمّ إنّه بعد التسالم على دخول إقامة المراسم على الأئمة عليهم السلام فى الشعائر الإسلامية، وأنّه من صغريات كبرى شعائر الله، نعطف البحث على خصوص شعائر الإمام الحسين عليه السلام، فإنّه من الموضوعات التى أثير حولها التشكيك من هنا وهناك، حتّى أصبح البعض - وللأسف الشديد - يسخر من الشيعة بكلمات نابيه وساخره ومستصغره لمقامهم، مع ارتكاب هؤلاء المهترجين لأكبر الكبائر من دون حياءٍ ولا ورع.



وبكلمه مختصره نُجيب هؤلاء ضَعاف النفوس بما حَدَّثَ به رسولُ الله صلى الله عليه وآله حبيبه أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال له: «وإنَّ حُثَالَهُ مِنَ النَّاسِ يُعَيِّرُونَ زُورَ قُبُورِكُمْ كَمَا تُعَيِّرُ الزَّانِيَةُ بَزْنَاهَا، أَوْلَيْتُكَ شَرَارًا أُمَّتِي لَا أَنَالَهُمُ اللَّهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

ولكن ما ضَرَّ الَّذِينَ يَقِيمُونَ شَعَائِرَ دِينِهِمْ أَنْ يَسْخَرَ مِنْهُمْ الْجَاهِلُونَ مَا دَامُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ، وَأَنَّ أَعْدَاءَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ، وَلَقَدْ شَكُوا عِنْدَ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتِهْزَاءَ الْأَعْدَاءِ بِهِمْ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَهْدَتًا رُوِيَ عَنْهُمْ: «وَاللَّهِ لِحَظِّهِمْ أَخْطَأُوا، وَعَنْ ثَوَابِ اللَّهِ زَاغُوا، وَعَنْ جِوَارِ مُحَمَّدٍ تَبَاعَدُوا» (٢).

وقال له ذريح المحاربي: إني إذا ذكرتُ فضلَ زيارته أبي عبد الله عليه السلام هزأ بي وُلدي وأقاربي. فقال عليه السلام: «يا ذريح، دَعِ النَّاسَ يَذْهَبُونَ حَيْثُ شَاءُوا» (٣).

وما قيمه الاستهزاء حتى يميل الإنسان عن خطئه الصائب بسببه؟ وما قيمه المستهزئين أنفسهم حتى يعير لهم الإنسان اهتماماً؟

ولو كانت لهم قيمه لعملوا ما ينفعهم وينفع الناس، ولكن حيث لا- قيمه لهم ولا- هدف، تواضعوا بأنفسهم، فرضوا أن يكونوا مستهزئين، فحسبهم هذا الاعتراف العملي بفشلهم، وبطلان اتجاههم (٤).

مع أنه يكفي في المقام عدم وجود دليل مانع من إقامة مراسم عزاء سيِّد الشهداء عليه السلام، بل وعزاء سائر الأئمة عليهم السلام، فالأصل في مثل هكذا موارد هو الإباحة، مضافاً لما ورد عنهم وعن

ص: ٢٣

- 
- ١- (١) المزار للشيخ المفيد: ص ٢٢٨. فرحة الغرى: ص ١٠٥. وسائل الشيعه: ج ١٤، ص ٣٨٣، ضمن ح ١.
  - ٢- (٢) كامل الزيارات: ص ٤٩٢ - ص ٤٩٣، ح ١١. المزار للشيخ المفيد: ص ٢٢٥، ح ٧. تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٤٥، ح ١٢. الدرر الواقيه: ص ٧٣. وسائل الشيعه: ج ١٤، ص ٤٢٩، ح ٣. بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ١٢، ح ١، عن كامل الزيارات.
  - ٣- (٣) كامل الزيارات: ص ٢٧٢، ح ٥، عنه بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٧٥، ح ٢٦.
  - ٤- (٤) انظر: الشعائر الحسينيه للسيد حسن الشيرازي: ص ٢٢ - ص ٢٣.

جَدُّهُمُ الْأَكْرَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ الْحَثِّ الْأَكِيدِ عَلَى إِقَامَةِ الْعِزَاءِ، وَيَكْفِيكَ مَا كَانَ يَصْنَعُهُ النَّبِيُّ وَأَهْلُ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي أَيَّامِ الْمُحَرَّمِ، حَتَّى رُوِيَ أَنَّ الْإِمَامَ الْكَوَظِمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُرْ ضَاحِكًا فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ (١).

وروى عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى الحسين عليه السلام وهو مقبل، فأجلسه في حجره، وقال: إنَّ لقتل الحسين عليه السلام حرارةً في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً. ثم قال أبو جعفر: بأبي قتيل كلَّ عبره. قيل: وما قتيل كلَّ عبره؟ قال: لا يذكره مؤمن إلا بكى» (٢).

وفي كامل الزيارات عن أبي حمزه، عن أبيه، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنَّ البكاء والجزع مكروه للعبد في كلِّ ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي، فإنه مأجور» (٣).

وعن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «مَنْ تَذَكَّرَ مُصَابِنَا وَبَكَى لِمَا ارْتَكَبَ فِينَا، كَانَ مَعْنَا فِي دَرَجَتِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ ذُكِّرَ بِمُصَابِنَا فَبَكَى وَأَبَكَى لَمْ تَبْكْ عَيْنُهُ يَوْمَ تَبْكِي الْعَيُونَ، وَمَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا يُحْيِي فِيهِ أَمْرَنَا لَمْ يَمِتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ» (٤).

وللبكاء على أهل البيت جميعاً، وعلى الحسين بصورة خاصه جوانب دنيويه، قد يكون أبرزها الجانب التربوي؛ لأنَّ البكاء على أيِّ شيءٍ لا يكون إلا بعد انفعال الباكي بالحادث

ص: ٢٤

١- (١) انظر: أمالي الشيخ الصدوق: ص ١٩٠ - ص ١٩١، ح ٢، عنه إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٢٨. روضه الواعظين: ص ١٦٩. وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٥٠٤ - ص ٥٠٥، ح ٨. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٨٣-٢٨٤، ح ١٧، عن الأمالي.

٢- (٢) مستدرک الوسائل: ج ١٠، ص ٣١٨.

٣- (٣) كامل الزيارات: ص ٢٠١ - ص ٢٠٢، ح ٢، عنه وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٥٠٦ - ص ٥٠٧، ح ١٣. الفصول المهمه في أصول الأئمه: ج ٣، ص ٤١٣، ح ٢. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٩١، ح ٣٢، عن كامل الزيارات أيضاً.

٤- (٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٢٦٤، ح ٤٨. أمالي الشيخ الصدوق: ص ١٣١، ح ٤. وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٥٠٢، ح ٤، عن العيون والأمالي. بحار الأنوار: ج ١، ص ٢٠٠، ح ٦، عن العيون، و ج ٤٤، ص ٢٧٨، ح ١، عن الأمالي.

الأليم الذي اكتنف ذلك الشيء، ولكلِّ حادثٍ مجرّمٍ وضحّيّه، ومن الطبيعي أن يؤدّي الانفعال إلى تمييز الباكي للضحّيّه ومعاداه المجرّم، فتتهيج فيه الثورة على الظالم والإشفاق على المظلوم، وحيث إنّ الإمام الحسين عليه السلام ويزيد لم يكونا بطلين وقفاً على طرفي نقيض فاشتبكت مصالحهما، وتصارعا على حكم مثل كره الطراد، وإنّما كان كلّ واحدٍ منهما يمثّل جبههً بلغ فيها الذروه، فتوفّر في معرّكتهما من المعاني الحيويّه ما لم تتوفّر في أبيه معرّكه أُخرى، كان البكاء على الإمام الحسين عليه السلام يعني توجيه الباكي نحو جميع الفضائل وإثارته ضدّ جميع الرذائل، ومثل هذه الفائدة السخيّه لا يمكن أن تحصل من البكاء على أيّ شهيدٍ آخر، ولا- من أيّ شيءٍ آخر، سوى البكاء على الإمام الشهيد، كان حرّياً بتأكيدات الأئمّه الأطهار عليهم السلام، والمكافأه بذلك الثواب العظيم (الجنّه)؛ لأنّه يدفع إلى انتزاع صفات أهل النار وتقمّص صفات أهل الجنّه، ولو بعد حينٍ، حين يُتاح للبكاء أن يتفاعل مع الباطن ويخلق فيه أثره التربوي.

وهكذا لا تبدوا الأحاديث السّابقيه مبالغه في تكثير ثواب البكاء على الإمام الشّهيد، ولا تكشف عن مجازفه في جعل الثواب إزاء البكاء عليه، وإنّما تُعبّر عن ثواب البكاء بمقتضى أثر البكاء (1).

وهكذا داوم الشّيعه في كلّ زمانٍ ومكانٍ على إقامة الشعائر الحسينيّه، يُنقل أنّ شاباً موالياً لأهل البيت عليهم السلام من أهل البحرين، كان مُقيماً في بريطانيا لأجل الدراسه، أطلع في يوم من الأيام على كتاب في مذكّرات لأحد الضّباط البريطانيين كان لها الأثر الكبير في حياته. والحادثه هي أنّ هذا الضابط حصلت له علاقته مع عائله عراقيه في بغداد من المتديّنين، وكان يزورهم بين آونه وأخرى، وهم في المقابل يُحسنون إليه ويضيّفونه في بيتهم، فلمّا انقضت مدّته ورجع إلى بريطانيا طلب منهم أن يزوروه هناك، وبالفعل ما

ص: ٢٥

مرّت الأيام حتّى سافروا إلى بريطانيا، وبعد وصولهم توجّهوا إلى دار الضابط، وكانت واسعة، واقعه في إحدى ضواحي العاصمة، فأفرد لهم بيتاً مستقلاً كان موصولاً بداره، وعين لهم خادماً يخدمهم، وكانوا لا يغيّبون عن نظره وتفقّده، وفي صباح أحد الأيام استيقظت الزوجه وقالت لزوجها: يا أبا فلان، أشعر بضيقٍ واحتباسٍ صدرٍ وهمّ، لا أعلم لماذا؟ فقال الزوج: وأنا كذلك أشعر بهمّ وحزن!!

فقال: لعلّ أحد الأولاد أصابه مكروه، أو أحد الأقارب، أو أحد الأصدقاء. فبينما هم في هذا وأمثاله، إذ صرخت المرأة قائلة: أبا فلان، عرفت السبب!! فقال لها الرجل: وما هو بالله عليك؟ فقالت - وقد ترقّرت دموعها -: دخل علينا شهر محرّم كما اعتقد. فقام الرجل مسرعاً ونظر في تقويم الأيام، فعرف أنّ ما تقوله زوجته صحيح، وأنهم في بدايه شهر محرّم الحرام. فقالت: أسفى على وصول هذا الشهر ونحن في هذا المكان البعيد، حيث لا- نسمع قراءة ولا- نستطيع الذهاب إلى المآتم، وبدأت بالبكاء والنحيب، فقال لها الرّجُل: لا- عليك أنا أقرأ لك شيئاً، ولبس الرجل زيّه العربي وجلس على مرتفع، وبدأ يقرأ ويندب الإمام الغريب أبا عبد الله الحسين عليه السلام ويبكى والمرأه تسمع وتبكي وتندب وتُعزّي فاطمه الزهراء عليها السلام حتّى انتهى المجلس، فجلسا على الأرض فرحين؛ حيث أديا حقّ ذلك اليوم من الأيام العشره الأولى من المحرّم، فما مضت مدّه حتى طرّق الباب وإذا بصديقهم يقول لهم: لماذا لم تخبروني بقدم الضيوف إليكم حتى أقوم بالواجب؟! فقال له الرجل: من يعرفنا هنا حتى يأتى لزيارتنا؟ فقال له: أنا رأيتُ بعينى النَّاسَ يدخلون هذا المكان، وهم يلبسون الملابس العربيه، ورأيتُ معهم امرأه محتشمه. فبكى الرّجُل حتى سألت دموعه كُلاًّ مسيلٍ، وأخبره أنّهم أقاموا مجلس عزاء الإمام الحسين عليه السلام كما كانوا يفعلون ذلك في العراق، وأنّ أمثال هذه المجالس يرعاها أهل البيت عليهم السلام، في حياتهم وبعد مماتهم.

ورحم الله الأصفهاني، حيث يقول في الأرجوزه نادباً صاحب العصر والزمان عليه السلام في مثل هذه الأيام:

يا غائباً مثاله عيانه انهض على اسم الله جل شأنه

يا كعبه التوحيد من جور العدى تهدمت والله أركان الهدى

يا صاحب البيت ومستجاره ألا ترى قد هتكوا أستاره

يا شرف المشاعر العظام عطفاً على شعائر الإسلام

يا دوحه المجد العظيم شأنها لهفى لها تقطعت أغصانها(١)

ولا شك أن روح فاطمه الزهراء عليها السلام ترفرف في هكذا مجالس، فهي بنظر الرسول وأهل بيته الأطهار عليهم السلام؛ ولذا نقرأ عزائنا لأُمّ الذبيح، لأُمّ المظلوم، نقرأه لأُمّ الأئمه فاطمه الزهراء عليها السلام:

كل الأهله تهل عليه بفرح وسرور ودون الأهله بحزن هل هلال عاشور

عاشور هل وصارت الضجّه بالأكوان وناحت جميع الأنبياء والإنس والجان

والمصطفى لأجل الذبيح احسين حزنان من لاح بآفاق السمه هلالك يعاشور

صارت جميع الناس فى ضجّه وحيره كالوا انذبح فى كربلا شيخ العشيره

واخته إلى ابن زياد ودوها أسيره وسفه على زينب يا ويلي تركب الكور

ص: ٢٧

(أبو ذيه)

يا ناعى لو شفت شيعة وساده أخبرهم بالجره عليه وساده

احسين الرمل صايرله وساده ثلث تيام مرمى على الوطيه

\*\*\*

يا ناعياً إن جئت طيبة مُقبلاً عرج على مكسوره الصلح معولاً

وحدث بما مضى الفؤاد مُفضلاً أفاطم لو خلت الحسين مُجدلاً

وقد مات عطشاناً بشط فرات

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أيُّ مُقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين

ص: ٢٨







خُذْ بِالْبُكَاءِ فَقَدْ أَتَاكَ مُحَرَّمٌ وَعَلِمَ أَنَّ بِهِ السَّلْوَ مُحَرَّمٌ  
إِنِّي أَلْفُتُ وَمَا سَمِئْتُ مِنَ الْبُكَاءِ سَمِئْتِي الْعَلِيَاءُ إِنَّ أَنَا أَسْمُ  
فَوْقَ الْبَسِيطَةِ لِلْأَنَامِ وَتَحْتَهَا لِلْجِنِّ فِيهِ لِلنِّياحِ مَوْسِمٌ  
وَالْحِجْرُ أَعْوَلَ وَالْمِشَاعِرُ كُلُّهَا وَالرُّكْنُ ضَعُفٌ وَالْحَطِيمُ وَزَمْرٌ  
وَتَجَاوَبَتْ بِالنُّوحِ أُنْدِيَةُ الْعُلَا وَالْمُكْرَمَاتُ وَكُلُّ نَادٍ مَأْتَمٌ  
وَتَعَاظَمَ الرَّسُلُ الْعَظِيمُ مُصَابِيَهُمْ يَوْمَ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ الْأَعْظَمُ  
وَالْمُرْتَضَى صِهْرُ النَّبِيِّ وَفَاطِمَةُ وَالْمُجْتَبَى الْحَسَنُ الزَّكِيُّ الْأَشِيمُ  
شَهْرٌ بِهِ شَهْرَتْ أُمِّيَّةٌ مَخْدَمًا فَتَكَتْ بِهِ فِي الدِّينِ فَهُوَ مُخَدَّمٌ  
فَعَجِبْتُ حَتَّى قُلْتُ لِمَ لَا حَلَّهُمْ غَضَبُ الْإِلَهِ وَكَيْفَ عَنْهُمْ يَحْلَمُ  
وَبِعَيْنِهِ زَمْرُ الضَّلَالَةِ أَقْبَلَتْ عَدُوًّا عَلَى حَرَمِ الْإِمَامَةِ تَهْجِمُ  
لَمْ يَبْقَ لَا بَقِيَتْ عُلُوجُ أُمِّيَّةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْوَحْيِ إِلَّا مُسَقَّمٌ  
عَلَوْا يَدِيهِ وَقَتِدُوا رِجْلِيهِ وَازْدَحَمُوا عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ  
فَلَكُمْ رَأْيَ طِفْلاً يَتْنُ وَحُرَّةً تُسَبِي وَزَاكِيَةً تُسَبُّ وَتُشْتَمُّ (١)

ص: ٣١

١- (١) القصيدة من نظم الخطيب الأديب المرحوم الشيخ كاظم السبتي رحمه الله. قال عنه السيد محسن الأمين رحمه الله: - في أعيان الشيعة: ج ٩، ص ٥ - الشيخ كاظم بن حسن بن علي سبتي البغدادي النجفي المعروف بالشيخ كاظم السبتي، ولد في حدود سنة (١٢٥٥ هـ)، وتوفي سنة (١٣٤٢ هـ) في النجف ودفن بها. عالم، فاضل، أديب، شاعر، خطيب ماهر، وهو خطيب الذاكرين لمصيبة الحسين عليه السلام في عصره، ومقدمهم لا يماثله أحد منهم، يكون القاؤه في مجالس ذكره أقل من ساعه، يصغى إليه فيها المستمعون بكلهم وبغير ملل، ويستفيدون وتفويض منهم العيون... عالم بالعربية، يتكلم في القائه باللغاه الفصحى فلا يلحن... وله ديوان شعر كبير في المراثي الإمامية رأيناه في النجف الأشرف بخط بعض أولاده...).

عزائنا لإمامنا المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في هذه الليلة وللموالين:

كلبك هالمسيه شلون يابن العسكري حاله

ابعينك من شفت عاشور بين بالسّمه هلاله

يالبلواك بلوه أيوب كلبك ما جزع صبره

عين الثار تترباك لاجن تسجب بعبره

اشلون اهلال المّحرم يغايب عينك اتظره

بيه اشچم طفل لحسين ابنجره فتك سهم البين

مثلك من صبر عالدين

لو صبرك على المسكون هده وزلزل أجباله

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

\*\*\*

عن سيّدنا ومولانا الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين السّـجّاد عليه السلام، قال: «أَيُّمَا مُؤْمِنٍ دَمِعَتْ عَيْنَاهُ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ دَمْعَةً حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدِّهِ بَوَاهُ اللَّهُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ غُرْفًا يَسْكُنُهَا أَحْقَابًا» (١).

العجبُ كُلُّ العجبِ مَمَّنْ يزعم أنّ المعصوم لا يبكي، أو أنّ البكاء لا يليق به وليس من شأنه، فإذا خطر مثل هذا في البال فهو وهمٌ صَرَفٌ؛ إذ إنّ البكاء والرّقّة من صفات المعصوم، كما أنّ الرحمة والرّقّة مودعه في قلب كُلِّ نبيٍّ وكلِّ معصوم، بل وكلِّ مؤمنٍ، فضلاً عن خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، وقد دلّت الأخبار على أنّه صلى الله عليه وآله بكى في مواطن كثيرة: منها: يوم أحد، وذلك عندما رأى عمّه حمزه قتيلاً، ورأى ما مُثِّل به شهق.

ص: ٣٢

١- (١) كامل الزيارات: ص ٢٠١. ثواب الأعمال: ص ٨٣. تفسير القمّي: ج ٢، ص ٢٩١، عنه بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٨١، ح

قال ابنُ أبي الحديد: إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله كان يومئذٍ إذا بكت عمته صفيه يبكي، وإذا نشجت ينشج، وكذلك لما رأى ابنته فاطمه تبكي على عمها بكى (١). وروى أيضاً: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله لما رجع من أحد فجعلت نساء الأنصار يبكين على مَنْ قُتِلَ من أزواجهن، فقال صلى الله عليه وآله: «ولكن [عمي] حمزه لا- بواكي له»، ثُمَّ نام وانتبه وهُنَّ يبكين، قال: «فهنَّ اليوم إذا بكين يندبن حمزه» (٢).

ومنها: بكاءه على جعفر بن أبي طالب عليه السلام يوم مؤته لما قُتِلَ (٣).

ومنها: لما أُصيب زيد بن حارثة انطلق النبيُّ صلى الله عليه وآله إلى منزله، فلما رأته ابنته زيدٍ أجهشت بالبكاء، فسالت دمعته (٤).

ومنها: بكاءه عند موت ولده إبراهيم، فقيل له: أتبكي وأنت رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله: «إنما أنا بشرٌ مثلكم، تدمع العين ويحزن القلب، ولا أقول ما يُغضب الربَّ، وإنَّا بفراقك يا إبراهيم، لمحزونون» (٥).

ومن أهم هذه المواطن بكاءه على الإمام الحسين عليه السلام، فقد بكى على الإمام الحسين عليه السلام عدَّة مرات:

منها: قبل ولادته، وذلك لما هبط عليه جبرائيلُ عليه السلام قال: يا مُحَمَّدُ، يُولد لك ولد تقتله شرارُ أمَّتِكَ، فبكى، وقال: «لا حاجة لي فيه»، فقال جبرائيلُ: يا رسولَ الله، إنَّ الإمامه تكون فيه وفي ولده، فسكت صلى الله عليه وآله (٦).

ومنها: بكاءه عند ولادته، وذلك لما جاءت به صفيه بنت عبد المطلب تحمله، أخذه

ص: ٣٣

١- (١) انظر: شرح نهج البلاغه: ج ١٥، ص ١٧.

٢- (٢) البدايه والنهائيه: ج ٤، ص ٥٥. السيره النبويه (ابن كثير): ج ٣، ص ٩٥. وأنظر: أسد الغابه: ج ٢، ص ٤٨.

٣- (٣) تاريخ الإسلام: ج ٢، ص ٤٨٨.

٤- (٤) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٤٩٦.

٥- (٥) صحيح البخارى: ج ٢، ص ٨٥. المغنى: ج ٢، ص ٤١١. المُحَلَّى: ج ٥، ص ١٤٦.

٦- (٦) انظر: الإمامه والتبصره: ص ٥٢. كامل الزيارات: ص ١٢٢-١٢٣، ح ٥.

وشمّه ثمّ بكى، فقالت له صفيه: يا رسول الله، وما هذا البكاء؟! فقال لها صلى الله عليه وآله: «إنّ ولدى هذا تقتله شرارُ أمتي، لا تخبرى ابنتي فاطمه فإنّها جديدة عهد بولادته» (١).

ومنها: بكاءه صلى الله عليه وآله لما دخل على فاطمه ورأى الحسين عليه السلام يبكي في المهد، فقال صلى الله عليه وآله: «بُتّيهِ سكّتيه، فإنّ بكاءه يؤذيني»، ثمّ بكاه، وكان صلى الله عليه وآله كلّما نظر إليه يبكي، وإذا رآه في يوم عيد يبكي، وإذا رآه يلعب يبكي، وكان صلى الله عليه وآله يقول: «طمئنتي حسين، روحى التى بين جنبي، حسينٌ منّى وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً» (٢).

وروى أنّه دخل الحسن وأخوه الحسين على النّبى صلى الله عليه وآله يوماً فشَمَّ الحَسَنَ عليه السلام فى فمه وشَمَّ الحُسينَ عليه السلام فى نحره، فقام الحسين عليه السلام وأقبل إلى أمّه، فقال لها: «أماه شَمّى فَمَى هل تجدين فيه رائحه يكرهها جدّى رسول الله صلى الله عليه وآله؟» فشَمّتَه فى فمه، فإذا هو أطيب من المسك، ثمّ جاءت به إلى أبيها، فقالت: «أبه، لِمَ كسرت قلب ولدى الحُسين عليه السلام؟».

فقال صلى الله عليه وآله: «مّم؟» يعنى كيف إنّى كسرت قلب الحسين عليه السلام؟، قالت: «تشمّ أخاه فى فمه، وتشمّه فى نحره؟!» فلمّا سمع قولها صلى الله عليه وآله بكى، وقال: «بُتّيهِ، أمّا ولدى الحسن فإنّى شممتُه فى فمه؛ لأنّه يُسقى السّمّ فيموت مسموماً، وأمّا الحسين عليه السلام فإنّى شممتُه فى نحره؛ لأنّه يذبح من الوريد إلى الوريد»، فلمّا سمعت فاطمه بكت بكاءً شديداً، وقالت: «أبه، متى يكون ذلك؟» فقال: «بُتّيهِ فى زمانٍ خالٍ منّى ومنك ومن أبيه وأخيه»، فاشتدّ بكاءها، ثمّ قالت: «أبه، فَمَن يبكي عليه ومن يلتزم بإقامه العزاء عليه؟» فقال لها: «بُتّيهِ فاطمه، إنّ نساء أمتي يبكون على نساء أهل بيتي، ورجالهم يبكون على ولدى الحسين عليه السلام وأهل بيته، ويُجدّدون عليه العزاء جيلاً بعد جيل، فإذا كان يومُ القيامة أنت تشفعين للنساء وأنا أشفع

ص: ٣٤

١- (١) انظر: أمالى الشيخ الصدوق: ص ١٩٨، ح ٦.

٢- (٢) انظر: شرح الأخبار: ج ٣، ص ٧٦ - ص ٧٧، ح ١٠٠٢. مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٢٦. مجمع الزوائد: ج ٩، ص ٢٠١. المعجم الكبير: ج ٣، ص ١١٦، ح ٢٨٤٧. تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ١٧١. سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٢٨٤. بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٢٩٥ - ص ٢٩٦، ح ٥٦.

للرجال، وكلّ من يبكى على ولدك الحسين عليه السلام أخذنا بيده وأدخلناه الجنة» (١).

وقال صلى الله عليه وآله: «ألا وصلى الله على الباكين على الحسين بن علي عليهما السلام» (٢).

فرسول الله صلى الله عليه وآله تراه تارة يدعو للبكي على الحسين عليه السلام، وأخرى يُخبرُ بفضل الباكي عليه وما له يوم القيامة من الأجر؛ لقوله صلى الله عليه وآله: «كُلَّ عَيْنٍ بَاكِيه يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَيْنَ عَلِيٍّ وَوَلَدِي الْحُسَيْنِ، فَإِنَّهَا ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ» (٣)، وروى العلامة المجلسي رحمه الله قال: حكى السيد علي الحسيني قال: كُنْتُ مُجَاوِرًا فِي مَشْهَدِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الْعَاشِرَ مِنَ الْمُحَرَّمِ عَقَدْنَا مَأْتَمًا لِلْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَابْتَدَأَ رَجُلٌ مِنَّا يَقْرَأُ مَقْتَلَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَرَأَ رِوَايَةً عَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ بِالْدَمْعِ عَلَى مُصَابِ الْحُسَيْنِ وَلَوْ كَانَ مِثْلَ جَنَاحِ الْبَعُوضِ غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبْدِ الْبَحْرِ» (٤)، وَكَانَ فِي الْمَجْلِسِ مَعَنَا رَجُلٌ يَدْعَى الْعِلْمَ وَلَا يَعْرِفُهُ، فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا صَاحِبًا وَإِنَّ الْعَقْلَ لَا يَقْبَلُهُ. قَالَ: وَكَثُرَ الْبَحْثُ بَيْنَنَا، ثُمَّ افْتَرَقْنَا وَهُوَ مُصْرَبٌ عَلَيَّ مَا هُوَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا نَامَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ رَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ وَحُشِرَ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ نُصِبَتِ الْمَوَازِينُ، وَامْتَدَّ الصِّرَاطُ وَوُضِعَ لِلْحِسَابِ، وَنُشِرَتِ الْكُتُبُ، وَأُسْعِرَتِ النَّيْرَانُ، وَزُخِرَتِ الْجَنَانُ، وَاشْتَدَّ الْحَزُّ عَلَيْهِ وَعَطَشٌ شَدِيدًا، فَجَعَلَ يَطْلُبُ الْمَاءَ فَلَا يَجِدُهُ، فَالْتَفَتَ هُنَاكَ وَإِذَا بِحَوْضٍ عَظِيمٍ الطَّوْلِ وَالْعَرْضِ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: هَذَا الْكُوْثَرُ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ وَإِذَا عَلَيْهِ رَجُلَانِ وَامْرَأَةٌ، أَنْوَارُهُمْ مُشْرِقَةٌ، لَابَسِينَ السَّوَادَ، قَالَ: فَسَأَلْتُ عَنْهُمْ، فَقِيلَ لِي: هَذَا رَسُولُ

ص: ٣٥

١- (١) انظر: بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٩٢ - ص ٢٩٣، ح ٣٧. العوالم (الإمام الحسين): ص ٥٣٤، ح ٩. الأسرار الفاطمية: ص ٥٢٤.

٢- (٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٦٩، عنه بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٠٤، ح ١٧. العوالم (الإمام الحسين): ص ٥٩٨.

٣- (٣) بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٩٣ ضمن ح ٣٧. العوالم (الإمام الحسين): ص ٥٣٤، ح ٩.

٤- (٤) انظر كامل الزيارات: ص ٢٠٧، ح ٩.

الله صلى الله عليه وآله، وهذا علّي عليه السلام، وهذه فاطمه عليها السلام، فقلت: إذا لماذا لابسين السواد؟

ف قيل لى أليس هذا اليوم يوم قتل فيه الحسين عليه السلام!؟

قال: فدنوت إليهم، وقلت لفاطمه: سيدتي إنى لعطشان، فنظرت إلى شزراً(١) وقالت لى: أنت الذى تُنكر فضل البكاء على الحسين، والله لن تذوق منه قطره واحده حتى تتوب ممياً أنت عليه. يُقال: فانتبه من نومه فرعاً مرعوباً، وجاء إلى أصحابه وقص عليهم رؤياه، وقال: والله يا أصحابى، أنا ندمت ممّا صدر منى، وأنا تائب عمّا كنت عليه(٢).

أقول: إخوانى المؤمنين الحذر الحذر من أن يكون الإنسان يتعرض لرفض الروايات التى لا-تناسب ذوقه، فأنظر إلى موقف الزهراء عليها السلام مع هذا المدعى للعلم كيف كان!؟

فإن إقامة العزاء والمآتم والبكاء على أبى عبد الله الحسين عليه السلام ممّا هو مندوبٌ إليه فى الشريعة الإسلاميه، وقد ذكرت جملته من المواطن التى بكى فيها رسول الله صلى الله عليه وآله على الحسين عليه وآله فى هذه الليلة ليله الأوّل من شهر محرم الحرام هى ليله تجدد الحزن والبكاء على سيد الشهداء عند الأئمه عليهم السلام. وهناك مواقف فى غايه الحزن لأهل البيت عليهم السلام عندما كان يحلُّ شهر محرم الحرام.

روى عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «كان أبى إذا دخل شهر المحرم لا- يرى ضاحكاً، وكانت الكآبه تغلب عليه حتى تمضى عشره أيام منه، فإذا كان اليوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيئته وبكائه، ويقول: هو اليوم الذى قتل فيه الحسين»(٣)، وكان عليه السلام يطلّب من الشعراء أن يرثوا الحسين عليه السلام بما جادت قرائحهم، وكان يأمرهم أن ينشدوا بصوتٍ

ص: ٣٦

١- (١) الشزر: نظر فيه إعراض، كنظر المعادى المبغض. العين: ج ٦، ص ٢٣١.

٢- (٢) انظر: بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٩٣، ح ٣٨.

٣- (٣) أمالى الشيخ الصدوق: ص ١٩١، ح ٢. روضه الواعظين: ص ١٦٩. إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٢٨. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٨٣، ح ١٧، عن الأمالى. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٥٣٨، ح ١. وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٥٠٥، ح ٨.

حزين، فإذا حضر الرائي ضربَ لعياله سِتراً وأجلسهم خلفه(١)، وكان الإمام الصادق عليه السلام يُشجّع الشعراء على نظم الشعر في الحسين عليه السلام بأقواله الكثيره، كقوله عليه السلام: «ما من أحدٍ قال في الحسين شِعراً فبكى وأبكى به إلا أوجب الله له الجنة، وغفر له»(٢).

دخل عليه ذات يوم السيد الحميري رحمه الله(٣)، فقال له الإمام: أنشدني في الحسين شعراً. وقام الإمام وضرب سِتراً لنسائه وأطفاله، وأجلسهم خلفَ السِتْرِ، وجلس هو وأصحابه حزيناً باكياً على مصيبه جدّه الحسين عليه السلام.

يقول السيد الحميري فأنشأت:

أمرُّ على جدِّ الحسين فقل لأعظمه الزكيه

يا أعظماً لا زلت من وطفاء ساكبه رويّه

وإذا مررت بقبوره فأطل به وقف المطيّه

وابك المَطَهْر للمَطَهْر والمَطَهْره التقيّه

كبكاءٍ مُعولِه أتت يوماً لواحدِها المتيّه

يقول الحميري رحمه الله: فرأيت دموع جعفر بن مُحَمَّد تتحدّر على خديه، وارتفع الصُراخ من داره حتّى أمرني بالإمساك.

ص: ٣٧

١- (١) انظر: بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢٥٧، ح ١٥.

٢- (٢) انظر: كامل الزيارات: ص ٢٠٧، الباب (٣٣) وهو الباب الموسوم ب - (مَن قال في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى)، وذكر بهذا المضمون أحاديث سبعة.

٣- (٣) الحميري: «هو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعه، ولد سنة ١٠٥ هـ بعمان، ونشأ في البصره في حظانه والديه الإباضيين إلى أن عقل وشعر، فهجرهما حتى مات والداه، ثم غادر البصره إلى الكوفه، وتوفى في الرميله ببغداد في خلافه الرشيد سنة ١٧٣ هـ، أغلب شعره في مدح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته المعصومين عليهم السلام» انظر: هامش الدرّ النضيد: ص

وكان الإمام الصادق عليه السلام إذا مرّت عليه مصيبه يتذكّر مصيبه جدّه الحسين عليه السلام، ويُذكّرُ بها أصحابه، من ذلك: لَمَّا أمر المنصور الدوانيقي عامله على المدينة أن يحرق على أبي عبد الله الصّادق عليه السلام داره، فجاؤوا بالحطب فوضعوه على باب دار الإمام وأضرموا فيه النار، فلَمَّا أخذت النار ما في الدهليز تصايحت العلويّات داخل الدار، وارتفعت أصواتهنّ، فخرج الإمام عليه السلام وعليه قميص وإزار وفي رجله نعلان، فجعل يُخمدُ النار ويُطفئ الحريق حتّى قضى عليها، فلَمَّا كان الغدّ دخل عليه بعضُ شيعته يسألونه فوجدوه حزيناً باكياً، فقالوا: ممّن هذا التآثر والبكاء؟ أمن الجُراه عليكم أهل البيت، وليس منهم بأول مرّه؟!

فقال الإمام عليه السلام: لا، ولكن لَمَّا أخذت النار ما في الدهليز نظرتُ إلى نسائي وبناتي يتراكن في صحن الدار من حجره إلى حجره، ومن مكانٍ إلى مكانٍ، هذا وأنا معهنّ في الدار، فتذكّرتُ فرار عيال جدّي الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، من خيمه إلى خيمه، ومن خباءٍ إلى خباء، والمنادى يُنادى: أحرقوا بيوت الظالمين (1).

نادى ابن سعد جرّوها الخيام ولترحمون هل النسوه واليتام

ولكم كل أهل هلييت ظلام اويزيد اليوم منهم ياخذ الدين

غدت زينب تنادى الغوث يا ياب عليه الحكك يحيدر داحي الباب

يبويه گوم طفی نار الأطناب يبويه أنت غياث المستغيثين

عجيبه اشلون ظلّت بيهن أرواح بواجي وخوف دگك ولطم وصياح

بچت زينب وصفگت راح بالراح صاحت آه يا روحى اشتملين

\*\*\*

(بحراني)

ص: ٣٨



من شَبَّوا النيران فَزَّتْ كُلُّ العيال بس العقيله اتَحَيَّرت والدمع هَمَّال  
نادى عدوها اشحَّيرج يربات الادلال نادى ومثل المطر يهمل مدمع العين  
عدنه عليل إمن المرض ما يكدرا ايگوم نايم طريح وسادته بالخيم يا گوم  
هُوَّه البجيه من نسل هاشم ومخروم وهو الشريده اللي بگت من نسل الحسين

\*\*\*

ألا يا كرامَ الحى غبتم جميعكم وخلفتموا بالطفً تبكى نساؤكم  
حواسر بين القوم تدعوا وراءكم أجبأى لو غير الحمام أصابكم  
عتبتُ ولكن ما على الموت مَعَتَبُ

إنا لله وإنا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمدٍ أئى مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين

ص: ٣٩







يا وَقَعَهُ الطَّفُّ كم أوقدتِ في كبدى وَطيسَ حُزنٍ ليومِ الحشرِ مسجورا  
كأنَّ كُلَّ مكانٍ كربلاءُ لدى عيني وَكُلَّ زمانٍ يومٌ عاشورا  
لهفى لظامٍ على شاطئِ الفراتِ قضى ظمآنَ يرنو لعذبِ الماءِ مقرورا  
لا غرو إن كسفتِ شمسُ الضُّحى حُزنا على من اقتبست من نورهِ نورا  
يا ليتَ عينَ رسولِ الله ناظرةُ رأسِ الحسينِ على العسالِ مشهورا  
وجسمه نسجتِ هوجُ الرياحِ له ثوباً بقانى دمِ الأوداجِ مزرورا  
إن يبقَ ملقىً بلا دفنٍ فإنَّ له قبراً بأحشاءِ من والاه محفورا  
لم يشفِ أعداءه مثلُ القتلِ فابتدرتِ تجرى على جسمهِ الجُرْدِ المحاضريرا  
ويل ابن آكلهِ الأكبادِ كم جلبتِ يداه للدينِ كسراً ليسَ مجبورا  
لم يكفه قتله أبناءُ فاطمهٍ حتّى سبا الفاطمياتِ المقاصيرِ  
لهفى على خفراتِ المُصطفى هُتكتُ أستارُها بعد ما عودن تخديرا  
ينظرن رؤوسَ قتلاهنَّ سائرهَ إمامها بينها السجّادُ مأسورا  
من بلغ المرتضى أن العدى صدعتِ أهليه نصفينِ مقتولاً ومقهورا(١)

\*\*\*

ص: ٤٣

---

١- (١) القصيدة للشيخ عبد الحسين الأعسم رحمه الله. جاء فى ترجمته: «هو الشيخ عبد الحسين بن الشيخ محمد على بن الحسين بن محمد الأعسم الزبيدى النجفى، عالم فقيه، أصولى محقق، مؤلف أديب، شاعر مُفلق مشهور، وقد ولد سنة (١١٧٧ هـ) وتوفى سنة (١٢٤٧ هـ) بالطاعون العام فى النجف الأشرف، له كتاب (ذرائع الإفهام إلى أحكام شرائع الإسلام)، وله مراتب فى سيد الشهداء أبى عبد الله الحسين عليه السلام مشهوره ومتداوله» انظر: هامش الدرّ النضيد: ص ١٧.

(هجری)

شیعتی نصبوا المآتم والعزا لمصیبتی واذکروا التعفیر خدی بالثراب اوزبحتی  
لو شربتوا المای اذکرونی العطش فتّ مهجتی واگصدونی الکربله والکلّ یسجب عبرته  
لو تشوفونی یشیعه اعله الثره مرمی طریح خدی متوسّد ترایب والدمه منّی یشیح  
شیعتی ولیّ گطع ظهری اونحل منی الگوه وحدتی من طاح یم النهر شیال اللوه  
شیعتی کثروا البچه حگی علیکم والنحیب شفتوا مثلی بالخلگک مذبوح عطشان اوغریب  
والچفن سافی یشیعه اوبالدمه شیبی خضیب والحرایر نصب عینی من خدرها امشتته

\*\*\*

(مجارید)

وین الذی الهاشم یصلها بحسین یخبرها اویگلها  
بالطفّ بگه اشیح النبلها اوحریمه حرگت کوفان ظلها  
سبّات ما واحد یجلها ذلیلات مّحد یرحم إلهها  
اعرضوهن علی البلدان کلّها مصیبه فلا صارت مثلها

\*\*\*

ص: ۴۴

صدگ زينب يبو الحسين تنساب عگب عزها يحامى الجار تنساب

هاى أم الحزن بالحسب تنساب الجدها المصطفى سيد البريه

\*\*\*

قال تعالى فى محكم كتابه الكريم: (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَنْتُمْ الْكُفْرَ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) ١ .

لقد كانت سيره رسول الله صلى الله عليه و آله قبل نزول سوره براءه (التوبه) أن لا يقاتل إلا من قاتله، ولا يحارب إلا من حاربه.

ولكن لما نزلت عليه سوره التوبه، وأمره تعالى بقتل المشركين، من اعتزله ومن لم يعتزله، إلا الذين عاهدهم صلى الله عليه و آله يوم فتح مكه إلى مده، منهم: صفوان بن أميه وسهيل بن عمرو، فقال الله عز و جل: (بِرَاءةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ)، ثم يقتلون أينما وجدوا بعد أشهر السياحه، وهى: عشرون من ذى الحجه والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشرة من ربيع الآخر.

فلما نزلت الآيات من سوره براءه دفعها رسول الله صلى الله عليه و آله إلى أبى بكر وأمره أن يخرج إلى مكه ويقراها على الناس بمنى يوم النحر، فلما خرج أبو بكر نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه و آله فقال: «يا محمّد لا يؤذى عنك إلا رجل منك».

فبعث رسول الله صلى الله عليه و آله أمير المؤمنين عليه السلام فى طلب أبى بكر، فلحقه بالروحاء (١) وأخذ منه الآيات، فرجع أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فقال: يا رسول الله، أنزل الله فىّ شيئاً؟ فقال: لا،

ص: ٤٥

---

١- (٢) قال الحموى (فى معجم البلدان: ج ٣، ص ٧٦): «ذكر ابن الكلبي، قال: لما رجع تبع من قتال أهل المدينة يريد مكه نزل بالروحاء، فأقام بها وأراح فسماها الروحاء».

إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ لَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مَنِّي (١).

وَرُوِيَ عَنْ حَرِيْزٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعَثَ أَبَا بَكْرٍ مَعَ بَرَاءَةَ عَلَى الْمَوْسِمِ لِيَقْرَأَهَا عَلَى النَّاسِ، فَنَزَلَ جَبْرَائِيلُ فَقَالَ: لَا يَبْلُغُ عَنْكَ إِلَّا عَلِيٌّ. فِدَعَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيًّا، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ نَاقَتَهُ الْعَضْبَاءَ وَيَلْحَقَ أَبَا بَكْرٍ فَيَأْخُذَ مِنْهُ بَرَاءَةَ، وَيَقْرَأَهَا عَلَى النَّاسِ بِمَكَهْ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَسْخَطُ؟ فَقَالَ: لَا، إِلَّا أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَا يَبْلُغُ إِلَّا رَجُلٌ مَنَّا. وَفِي رِوَايَةٍ: وَلَمَّا رَجَعَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَزَعُ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ أَهْلَتَنِي لِأَمْرِ طَالَتْ الْأَعْنَاقُ فِيهِ، فَلَمَّا تَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ رَدَدْتَنِي مِنْهُ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «الْأَمِينُ هَبَطَ إِلَيَّ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى: أَنَّهُ لَا يُؤَدِّي عَنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مَنَّا، وَعَلِيٌّ مَنِّي وَلَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا عَلِيٌّ» (٢).

وَعَزَّلُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِأَبِي بَكْرٍ وَبِعَثُّهُ لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا كَانَ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ نَزَلَ بِهِ جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِمَّا يَكْشِفُ عَنِ الْمَنْزِلَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَتَمَتَّعُ بِهَا الْإِمَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَدْ اِخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي عِدَدِ الْآيَاتِ الَّتِي بَعَثَهَا النَّبِيُّ الْأَكْرَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِبَيْدِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ ثَلَاثِينَ آيَةً، وَقِيلَ أَرْبَعِينَ، وَقِيلَ ثَلَاثٌ عَشْرَةَ آيَةً (٣).

وَكَيْفَ كَانَ، فَإِنَّ الْآيَةَ مَحَلَّ الْبَحْثِ (وَهِيَ آيَةُ ١٢) مِنَ السُّورَةِ الْمُبَارَكَةِ كَانَتْ مِنْ ضَمَنِ الْآيَاتِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِقِرَاءَتِهَا عَلَى الْحِجَابِ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْهَجْرَةِ، إِلَّا عَلَى قَوْلٍ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْآيَاتِ الْعَشْرَ الْأُولَى فَقَطْ هِيَ الَّتِي كَانَتْ مُورَدَ التَّبْلِيغِ وَالْإِعْلَامِ (٤).

وَالْآيَةُ مَحَلَّ الْبَحْثِ جَاءَتْ ضَمْنَ آيَاتٍ عَرَضَهَا الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ فِي السُّورَةِ الْمُبَارَكَةِ، حَيْثُ جَاءَتْ الْآيَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي مُقَابَلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ)، أَي لَا يَخْلُو الْأَمْرُ مِنْ أَحَدٍ وَجْهَيْنِ:

ص: ٤٦

١- (١) التفسير الصافي: ج ٢، ص ٣١٩ - ص ٣٢٠. غايه المرام: ج ٥، ص ٤٨. بحار الأنوار: ج ٣٥، ص ٢٩٢.

٢- (٢) تفسير مجمع البيان: ج ٥، ص ٦ - ص ٧. تفسير الميزان: ج ٩، ص ١٦٢ - ص ١٦٦.

٣- (٣) انظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ج ١٥، ص ٢١٨.

٤- (٤) حكاة في الميزان عن الدر المنثور للسيوطي. انظر: الميزان: ج ٩، ص ١٦٣.



فإِذَا أَن يَتُوبُوا وَيَعْرَضُوا عَنِ الشَّرْكِ، وَيَتَّجِهُوا نَحْوَ اللَّهِ.

وإِذَا أَن يَسْتَمِرُّوا عَلَى طَرِيقِهِمْ وَنَكَثَ أَيْمَانَهُمْ. ففِي الصُّورَةِ الْأُولَى هُم إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ، وَفِي الصُّورَةِ الثَّانِيَةِ يَنْبَغِي مَقَاتَلَتَهُمْ (١).

وَالأَمْرُ بِالمَقَاتَلَةِ جَاءَ بَعْدَ الجُمْلَةِ الشَّرْطِيَّةِ (النَّكَثُ) وَ (الطَّعْنُ)، بِمَعْنَى مَتَى مَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَؤُلَاءِ الجَمَاعَةَ - مِنَ المَخَالِفِينَ لَكُمْ فِي العَقِيدَةِ وَالمَبْدَأِ - قَدْ نَكَثُوا الأَيْمَانَ وَالعُهُودَ، وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ، فَلَا مَانِعَ مِنْ قِتَالِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ هُم الَّذِينَ بَدَّؤُوا بِاخْتِيَارِ طَرِيقِ الحَرْبِ وَالقِتْلِ، بِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ.

مَا هُوَ النَّكَثُ وَالتَّعْنُ فِي الدِّينِ؟

النَّكَثُ فِي اللُّغَةِ: هُوَ نَفْسُ النِّقْضِ، تَقُولُ: فُلَانٌ نَكَثَ عَهْدَهُ إِذَا نَقَضَهُ بَعْدَ إِحْكَامِهِ، كَمَا يَنْكَثُ خَيْطُ الصُّوفِ بَعْدَ إِبْرَامِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (مَنْ بَعْدَ قُوَّةٍ أَنْكَأَتَا). وَالأَيْمَانُ جَمْعُ يَمِينٍ بِمَعْنَى الحَلْفِ وَالتَّقْسِمِ (٢).

وَأَمَّا الطَّعْنُ: فَهُوَ يَأْتِي بِمَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَلَكِنْ بِمَا أَنَّهُ أُضِيفَ إِلَى الدِّينِ فَمَعْنَاهُ الإِيْقَاعُ فِي الدِّينِ بِالقَوْلِ وَالتَّوَدُّعِ فِيهِ (٣).

وَمِمَّا يَسْتَرْعَى الإِنْتِبَاهُ أَنَّ الآيَاتِ مَحَلُّ البَحْثِ لَا تَقُولُ: (قَاتِلُوا الكُفَّارَ) بَلْ تَقُولُ: (فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الكُفْرِ)، وَهِيَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ القَاعِدَةَ الجَمَاهِيرِيَّةَ وَعَامَّةَ النَّاسِ تَبِعَ لِرُؤَسَائِهِمْ وَرُؤَسَائِهِمْ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الهَدَفُ القِضَاءُ عَلَى رُؤَسَائِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ أُسَاسُ الضَّلَالِ وَالتَّضَلُّلِ وَالتَّظَلُّمِ وَالتَّغْدِرِ، فَاسْتَأْصَلُوا شَجَرَةَ الكُفْرِ مِنْ جَذُورِهَا وَأَحْرَقُوهَا، فَمُوجِهُ الكُفَّارِ لَا- تَجْدِي نَفْعاً مَا دَامَ أُمَّتُهُمْ فِي الوجودِ، أُضِفَ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ هَذَا التَّعْبِيرَ يُعَدُّ

ص: ٤٧

١- (١) انظر: تفسير الأمل: ج ٥، ص ٥٤٨.

٢- (٢) انظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ج ١٥، ص ٢٣٣.

٣- (٣) انظر: مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٧٧.

ضرباً من ضروب النظرة البعيده المدى، وعلو الهمة، وتشجيع المسلمين؛ إذ عدُّ أئمة الكفر في مقابل المسلمين، ليواجهوهم  
فذلك أجدر من مواجهه من دونهم من الكفار.

والعجيب أنَّ بعض المفسرين يرى أنَّ هذا التعبير يراد به أبو سفيان وأمثاله من زعماء قريش، مع أنَّ جماعة منهم قُتلوا في معركة بدر، وأسلم الباقي منهم، كأبي سفيان بعد فتح مكة - بحسب الظاهر - وكانوا عند نزول الآية في صفوف المسلمين، فمقاتلتهم لا مفهوم لها.

واليوم ما يزال هذا الدستور القرآني المهم باقياً على قوّته (سارى المفعول)، فلكى نزيل الاستعمار والفساد والظلم لا بدّ من مواجهه الرؤساء والمتكبرين وأئمة الانحراف، وإلا فلا جدوى من مواجهه من دونهم من الأفراد(١).

من هم الناكثون؟

لقد اختلف المفسرون في تحقيق المراد من الناكثين في الآية المباركة، فذهب البعض إلى أنَّ المقصود هو أبو سفيان وأمثاله من زعماء قريش، وذهب البعض الآخر إلى أنَّ المراد اليهود والنصارى، وقال بعضهم إنَّ المراد الفرس والروم.

أمّا كون المراد هو أبو سفيان وأمثاله، فقد تقدّم بيان تأخر الآية عن وقت إسلامهم الظاهري، فلا يمكن أن تكون الآية ناظره إليهم على وجه التحديد؛ لعدم شمول اللفظ لهم، ونزول الآية في السنة التاسعة للهجرة.

وأمّا كونهم الفرس أو الروم فهو بعيد جداً عن مفهوم الآية أو الآيات؛ لأنَّ الآية تتكلّم عن مواجهه فعلية لا - على مواجهات مستقبلية. أضف إلى ذلك أنَّ الفرس أو الروم لم يهّموا بإخراج الرسول من وطنه، كما أنَّ الاحتمال بأنَّ المراد هم المرتدون بعد الإسلام بعيدٌ غاية البعد؛ لأنَّ التاريخ لم يتحدّث عن مرتدين أقوياء واجهوا الرسول ذلك الحين؛ ليقاتلهم بمن معه من المسلمين.

ص: ٤٨

ثُمَّ إِنَّ كَلِمَةَ (أَيْمَان) - جمع (يمين) - وكلمه (عهد) يشيران إلى المعاهده بين المشركين والرسول على عدم المخاصمه لا إلى قبول الإسلام(١).

وهناك روايات عديدة طبقت الآيه المباركه على أصحاب الجمل من الناكثين وأمثال ذلك.

منها: ما عن حنان بن سدير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «دخل على أناس من أهل البصره فسألوني عن طلحه والزبير، فقلت لهم: كانا من أئمة الكفر، إن علياً عليه السلام يوم البصره لما صف الخيل، قال لأصحابه: لا تعجلوا على القوم حتى أعذر فيما بيني وبين الله عز وجل وبينهم، فقام إليهم، فقال: يا أهل البصره، هل تجدون علياً جوراً في حكم؟ قالوا: لا. قال: فحيفاً في قسم؟ قالوا: لا. قال: فرغبه في دنيا أخذتها لي ولأهل بيتي دونكم، فنقمتم علياً فنكثتم بيعتي؟ قالوا: لا. قال: فأقمت فيكم الحدود وعطلتها عن غيركم؟ قالوا: لا. قال: فما بال بيعتي تُنكث وبيعه غيري لا تُنكث، إنني ضربت الأمر أنفه وعينه فلم أجد إلا الكفر أو السيف.

ثُمَّ ثَنَى إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ (وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «واللذي فلق الحبه، وبرأ النسمة، واصطفى محمداً صلى الله عليه وآله بالنبوه، إنهم لأصحاب هذه الآيه وما قوتلوا منذ نزلت»(٢).

وفي مضمونها هناك روايات أخرى تشير إلى نفس المعنى المذكور(٣) ، ومجرد تطبيق هذه

ص: ٤٩

١- (١) انظر: تفسير الأمثال: ج ٥، ص ٥٤٦ - ص ٥٤٧.

٢- (٢) قرب الإسناد: ص ٩٦ - ص ٩٧، ح ٣٢٧. تفسير البرهان: ج ٣، ص ٣٧٤ - ص ٣٧٧. تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٧ - ص ٧٨، ح ٢٣، عنهما التفسير الصافي: ج ٢، ص ٣٢٤. تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص ١٨٨ - ص ١٨٩، ح ٦٠. بحار الأنوار: ج ٣٢، ص ١٨٥، ح ١٣٣، عن تفسير العياشي.

٣- (٣) انظر: تفسير البرهان: ج ٣، ص ٣٧٤ - ص ٣٧٧.

الروايه وغيرها على الآيه على أصحاب الجمل لا يعنى أنها نزلت فيهم؛ لوضوح تقدّم الآيه على الحادثه، بل المقصود أنّ روحها وحكمها يصدقان في شأن الناكثين، ومن هم على شاكلتهم، ممّن سيأتون في المستقبل، وإنّما المقصود من الذين نزلت فيهم الآيه المباركه هم المشركون، الذين نقضوا عهدهم التي أبرموها مع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

فالمقصود هم المشركون الذين عاهدوا النبي صلى الله عليه وآله في الحديبيه ونقضوا، بأن أظهروا بنى بكر على خزاعه، وقد كانت خزاعه في عهد النبي صلى الله عليه وآله وبنو بكر في عهد قريش(١).

ولكن مع بيان أنّ المقصود هؤلاء فهذا لا ينافى تطبيق الآيه على كلّ من تمثّل بهم، ونهج منهجهم، كما طبّق ذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على طلحه والزبير، أو الناكثين بصورة عامه، وروى ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام.

وكذلك طبّق الإمام الحسين عليه السلام مضمون الآيه على يزيد لعنه الله وحزبه الظالمين المخالفين الناكثين، وذلك عندما انطلق نحو العراق، ونزل بمكان يسمّى (بيضه) وخطب بأصحابه وأصحاب الحُرّ خطبه قال فيها: «أيها الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سُلطاناً جائراً مُستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعه الشيطان، وتركوا طاعه الرحمن، وأظهروا الفساد وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحقّ من غيري»(٢).

فالإمام يرى يزيد - لعنه الله - ومن شابهه من أئمة الكفر الذين لا أيمان لهم وأنّ قتالهم واجب، فالإمام عليه السلام ترك مدينه جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله بهذه الصوره الواضحه عنده.

ولقد كان يوم خروج الإمام الحسين عليه السلام من مدينه جدّه صلى الله عليه وآله أعظم يوم على الهاشميين

ص: ٥٠

١- (١) انظر: تفسير الميزان: ج ٩، ص ١٨٩.

٢- (٢) سيره الأئمة: ص ١٥٢ - ص ١٥٣.

والهاشميات؛ إذ إنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان سلوةً لهم عن جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وعن أخيه الحسين عليه السلام، فأقبلت الهاشميات ونساء بني عبد المطلب إلى دار الحسين عليه السلام؛ لوداعه والتزوُّد منه ووداع عيالاته وأطفاله، فجعلن يبكين ويندبن، فمشى فيهنَّ الحسين عليه السلام وقال: «أنشدكنَّ الله، لا تبدين هذا الأمر لأنَّه معصية لله ولرسوله. فقلن: يا أبا عبد الله، فعلى من تبقى النياحه والبكاء بعدك؟ وهذا اليوم عندنا كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وعلِّي وفاطمة والحسن عليهم السلام، جعلنا الله فداك يا حبيب الأبرار». وبعد ذلك توجه الإمام الحسين عليه السلام إلى أمِّ سلمة (رضوان الله تعالى عليها) وأخبرها بقتله، وقال لها: «يا أمَّاه، وإنِّي مقتول لا محاله، وليس لي من هذا بدّ، وإنِّي والله، لأعرف اليوم الهدى أقتل فيه وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أدفن فيها، وأعرف من يقتل من أهل بيتي وقرايتي وشيعتي، وإن أردت يا أمَّاه، أريك حفرتي ومضجعي». يُقال: ثمَّ أشار بيده الشريفه إلى جهه كربلاء، فانخفضت الأرض بإذن الله حتَّى أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره، فعند ذلك بكت أمِّ سلمة، وسلّمت أمرها إلى الله. فقال لها الحسين عليه السلام: «يا أمَّاه، قد شاء الله أن يراني مقتولاً مذبحاً ظلماً وعدواناً، وحرمتي ورهطي ونسائي مسبيين وأطفالى مشرّدين» (١).

ثمَّ عزَّج على قبر جدِّه المصطفى صلى الله عليه وآله؛ ليودِّعه ويتزوّد منه ويطلب منه أن يأخذه معه إلى اللحد، وكأني بالشاعر يصف ذلك، فيقول:

لمن راد أبو السجّاد يرحل عن وطن جدّه

راح الحضرتة يزوره اويشجي من الهظم عنده

تعنّاله بظلام الليل يشجي الهظم ويودعه

يجدى اشتدت الشدّه عليه من عكب عيناك

ص: ٥١

اوصارت تنتقم منه يجدي أهل الدواهي عداك

يو ابراهيم يا جدي خذني للحد وياك

تراني من الهظم خلصان كلبى اوبيه تشب نيران

يجدي اوبالحرز نرگان

واخلص لو رح وياك يگله اودمعتة بخده (1)

وصل ويلي الكبر جده اوبچه حسين يودعه والدمع يهمل من العين

هوه فوگك الضريح وصاح صوتين يجدي امفارجك غضبن علي

يجدي ابوسط لحدك ضمني وياك تراني الضيم شفته عكب عيناك

يگله يا حبيبي وعدك اهنالك تروح او تنذبح بالغازيه

تروح وتنذبح يحسين عطشان وتبگه اعلى الأرض مطروح عريان

ويظل جسمك لعند الخيل ميدان ولا تبگه امن اضلوعك بجيه

\*\*\*

أَيُقْتَلُ السَّبْطُ ظَمَانًا وَمَنْ دَمِهِ تَرَوَى الصَّوَارِمَ وَالْعَسَالَهَ الدُّبْلُ

لَهْفَى لَزِينَبَ تَسْعَى نَحْوَهُ وَلَهَا قَلْبٌ تَزِيدُ فِيهِ الْوَجْدُ وَالْوَجْلُ

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

ص: ٥٢







هذه دارهم تُهيجُ شجوني كيف حبسُ الدُموعَ بينَ الجُفونِ  
جُودي بالدمعِ فوقَ خدّي جُودي هذه دارُ صَحْبِنَا يا عُيوني  
رَحَلُوا والفِرَاقُ صَعْبٌ ومُرٌّ وبِما لا أُطِيقُهُ حَمَلُونِي  
واصلُونِي دَهْرًا وما كُنْتُ أُدرِي بعدَ وِصْلِ وَرَحْمِهِ يَهْجُرُونِي  
وَدَعُونِي وأودَعُوا الهَمَّ قَلْبِي لِيَتَنِي مِتُّ قَبْلَ ما ودَّعُونِي  
فَدَعُونِي أَجِنُ طَوْرًا وطَوْرًا أُسَكِبُ الدَمْعَ فِي الرُّبُوعِ دَعُونِي  
أَيُّهَا اللّائِمُونَ كُفُّوا وَلَكِنِ بِمُصَابِ ابْنِ فَاطِمٍ ذَكَّرُونِي  
تلكَ ذَكَرِي بِهَا تَهَوُّنُ الرِّزَايَا وَهِيَ مِنَ أُمَّهَاتِ رَيْبِ المَنُونِ  
تَرَكَتْ (زَيْنَبًا) تُنادِي حُسَيْنًا يَا بَنَ أُمِّي وَوالدِي رَوَّعُونِي  
عَيَّرْتَنِي مِصائبُ الدَّهْرِ حَتَّى أَصْبَحَ العارِفُونَ بِي يُنْكِرُونِي  
فإِذا ما نَدَبْتُ جَدًّا وَعَمًّا وَأبًّا فِي سِياطِهِمُ ضَرَبُونِي (١)

ص: ٥٥

١- (١) القصيدة لأستاذنا الخطيب البارع المرحوم الشيخ محمد سعيد المنصوري رحمه الله وهو الخطيب الكبير وشيخنا وأستاذنا محمد سعيد بن الشيخ موسى المنصوري، ولد في النجف الأشرف عام ١٣٥٠ هـ ق (في حدود ١٩٣١ م)، درس المقدمات والسطوح في مسقط رأسه النجف الأشرف، ثم هاجر إلى إيران في حدود الستينيات، وسكن مدينة عبادان، وبقي ينتقل بينها وبين البصرة وبقية محافظات العراق إلى زمان مجيء زمرة البعثيين المجرمه، ثم انتقل إلى مدينة قم المقدّسه في سنة ١٩٨٠ م. تتلمذ على يد مجموعه من فطاحل الخطابه، أمثال استاذه المرحوم السيد محمد سعيد العدناني الغريفي. لأستاذنا المنصوري حسّ شعري رائع، وخطابه حسنيته فريده، ونغمه حنين نادره وعبرات وآهات تُبكي صمّ الصخور قبل رقائق القلوب. انتقل إلى رحمه الله وإلى جوار من أحبهم وندبهم ورثاهم وبكى عليهم ليلاً ونهاراً، إلى جوار رسول الله وآله الأطهار إن شاء الله تعالى، وذلك يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى عام ١٤٢٨ هـ ق، فشيّع تشيعاً مهيباً من قبل العلماء وطلاب العلم وطلّابه، ودُفن في مثواه الأخير - إلى جنب ولده الخطيب المرحوم الشيخ عبد الحسين المنصوري الذي سبقه إلى القضاء وتركه بحسره شديد وألم لظالما قرأته على صفحات محيّاه - وذلك في قم المقدّسه في مقبره (باغ بهشت). للشيخ المنصوري رحمه الله أسفار تليغية في شتى بقاع العالم الإسلامي، فقد سافر إلى الكويت والبحرين وقطر وعمان والإمارات وسوريا ولبنان فضلاً عن العراق وإيران، وغيرها من الدّول الأخرى. ترك آثاراً خالده وصدقات جاريه، منها؛ تدريسه ثلّه من الخطباء وخدمه المنبر

الحسينى. وترك مؤلفات قيمه فى الشعر والأدب، منها: مفاتيح الدّموع، وميراث المنبر، ومصايح المنبر، وديوان السعيد، وتحفه الفنّ، وخلصه مقتل الحسين. فسلامّ عليه يوم ولد ويوم مات يلهج بذكر أبى عبد الله الحسين عليه السلام، ويوم يُبعث حيّاً.

تَعْتَبُ وَالْعَتَبُ نار او سناها النوح اوسيف العتَب يترك بالكلوب اجروح

الجسد لو فُكِّد روحه ينسلى اعلى الروح و تراب البله ايغير معانيه

المعاني اتغيرت واختلف وضع الحال وَنَه زينب المنى ما يلوح اخيال

چنت امخدره واليوم خدرى شال وَعيش امخدره باستار ماضييه

أعيش امخدره بأستار خدرى الفات لو مات الأمل عَزَّ الإِبَّه ما مات

هَدَم أركان بيتى هادم اللذات نَحْرته بالصبر وَ شگف مواضيه

ششاگف آه من دنيای حيرتنى مراميه ابفگد وليای صابتنى

لو أشكف إسياط الوسمن متنى لو چلمه حچى اليكلون مسيه

(أبوزيه)

علامه الدهر فرگنه علامه بچيت اوصاحت الوادم علامه

سوّه السوط بمتونى علامه ونه ذيج العزيزه الهاشميه

\*\*\*

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «عليكم بمكارم الأخلاق، فإن الله عزّ وجلّ بعثنى بها، وإنّ من مكارم الأخلاق: أن يعفو الرجل عمّن ظلمه، ويُعطى من حرمه، ويصل من قطعه، وأن يعود من لا يعود» (١).

فى هذا الحديث يحثُّ النبىُّ الأكرم على أربع خصال لو اجتمعت فى إنسان أصبح هذا الإنسان حاوياً لمكارم الأخلاق، وهذه المكارم - التى جاء بها الحديث - كلّها اجتمعت فى الحسين بن على عليهما السلام، وهى:

١ - أن يعفو الرجل عمّن ظلمه.

٢ - ويُعطى من حرمه.

٣ - ويصل من قطعه.

٤ - وأن يعود من لا يعود.

والإمام الحسين عليه السلام هو الملبى لنداء الله تعالى فى كلّ دعوهِ إلى خُلُقٍ فاضل حميدٍ، وهو أتقى الناس وأولى منهم بالفضائل، ومن هذه الفضائل العفو، حتّى أنّه عفا عمّن ظلمه لَمّا كان قادراً على العقوبه فعفا، كجده المصطفى صلى الله عليه وآله حين قال لأهل مكة: «اذهبوا فأنتم

ص: ٥٧

---

١- (١) أمالى الشيخ الطوسى: ص ٤٧٨، ح ١١، عنه وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٧٣ - ص ١٧٤. وبحار الأنوار: ج ٦٦، ص ٣٧٥، ح ٢٤.

الطُّلُقَاءِ» (١) من بعد ما آذوه أشدَّ الإيذاء، وصَدَرَ عَفْوُهُ عَنْ مَقْدَرِهِ، فَكَانَ أَحْسَنَ الْعَافِينَ.

روى ابن الصَّبَّاحِ المَالِكِيُّ: جَنَى بَعْضُ غُلَمَانَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ «جَنَائِيَةً تَوْجِبُ التَّأْدِيبَ فَأَمَرَ بِتَأْدِيبِهِ، فَقَالَ: يَا مَوْلَايَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَ الْكَاطِمِينَ الْعَيْظَ)، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «خَلَّوْا عَنْهُ فَقَدْ كَظَمْتُ غِيظِي»، فَقَالَ: (وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ)، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ»، فَقَالَ: (وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)، قَالَ: «أَنْتَ حُرٌّ لَوْجَهَ اللَّهُ تَعَالَى». وَأَجَازَهُ بِجَائِزِهِ سَنِيَهُ» (٢).

فَكَانَ عَفْوُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

١ - مَكَافَأَتُهُ هُنَيْئَةً عَلَى ذَلِكَ الْغُلَامِ، فَإِنَّهُ اسْتَعَانَ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَخَاطَبَ بِهِ سَيِّدَ الْأَخْلَاقِ مُعْتَمِدًا عَلَى كَرَمِهِ وَعَفْوِهِ، فَلَمْ يُخَيِّبِهِ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَلْ صَفَحَ عَنْهُ، ثُمَّ قَدَّمَ لَهُ هَدِيَّتَيْنِ:

الأولى: هِيَ الْعَتَقُ، وَأَيُّ هَدِيَّةٍ كَانَتْ! وَالثَّانِيَةُ: جَائِزُهُ سَنِيَهُ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى الْعَيْشِ الْحَرِّ الْكَرِيمِ.

فَجَمَعَ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَكْثَرَ مِنْ خُلُقٍ: الْعَفْوُ، وَالتَّعْلِيمُ، وَالتَّكْرَمُ... وَتِلْكَ هِيَ أَخْلَاقُهُ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِ مُتَعَدِّدَةً فِي الْمَوْقِفِ الْوَاحِدِ.

٢ - أَنَّهُ أَكْثَرَ مِنْ عَفْوٍ، فَلَيْسَ هُوَ مَجْرَدُ إِسْقَاطِ حَقِّهِ مِنْ قِصَاصٍ، بَلْ كَانَ إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ صَفْحًا جَمِيلًا، وَالصِّفْحُ الْجَمِيلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) ٣/ هُوَ: الْعَفْوُ مِنْ غَيْرِ عِتَابٍ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ (٣).

ص: ٥٨

١- (١) الكافي: ج ٣، ص ٥١٣، ح ٢. الاستبصار: ج ٢، ص ٢٥ - ص ٢٦، ح ٤. تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ٣٨، ح ٨. وسائل الشيعة: ج ٩، ص ١٨٢ - ص ١٨٣، ح ١. بحار الأنوار: ج ١٩، ص ١٨٠ - ص ١٨١، ح ٢٩، عن الكافي.

٢- (٢) الفصول المهمّة: ج ٢، ص ٧٦٩. والآية ١٣٤ من سورة آل عمران.

٣- (٤) انظر: عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٢٦٤، ح ٥٠. أمالي الشيخ الصدوق: ص ١٣١، ح ٦. معاني الأخبار: ص ٣٧٤، ح ١، عنه وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٧٠، ح ٦، و ص ١٧١، ح ٧، عن الأمالي. وبحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٤٢١، ح ٥٦.

هذا عفو الحسين عليه السلام الذي ورثه من جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله.

وتعال الآن إلى النقطة الثانيه في الحديث، وهي: «ويُعطى مَنْ حرّمه»، لأنّ الذي يعطى مَنْ أعطاه لافضل فيه، فهو كالذي يُعطى مَنْ سأله؛ ولذا روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «السّخاء ما كان عن ابتداء، فأما ما كان عن مسأله فحياءٌ وتذمّم» (١).  
يعنى الإنسان عندما يُعطى المحتاج يعطيه قبل أن يسأله، فالحسين عليه السلام مدّ يده إلى القاصى والدانى فى رحمته، والعدو والصدىق، والمخالف والمؤالف، فهو لا يمنع كرمه، ولا يقف كرمه عند حدّ مُعين (سلام الله عليه).

وكذلك كان عليه السلام: «يصل مَنْ قطعه». زياره المؤمنين مُستحبّه، حتى إنّ جاء فى الروايه استحباب التجمل والخروج لزياره المؤمنين (٢)، خاصّه إذا كان فى الزياره نفع يعود على الزائر وعلى المزور، يعنى أن يكون المجلس خالى من المُحرّمات، كالغيبه التى تكثر فى المجالس - نستجير بالله - والحسين عليه السلام الذى تُعقد عليه المجالس والمآتم، ونلطم عليه الصدور إنّ لا يقبل على أحد بأن يغتاب أخاه المؤمن؛ لأنّ الغيبه عند الله أشدّ من الرّنا، كما روى عن النّبى الأكرم صلى الله عليه وآله (٣).  
ولكن أحياناً نجد بعض المؤمنين أنت تزوره وهو يقطع بك، ولعلّك تُكرّر عليه الزيارات مراتٍ، وهو إمّا قد يأتيك مرّه واحده حياءً منك، أو حتى لا- يأتى مرّه واحده. فى هذه الروايه التى جاءت على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله أنك لا تقاطعه خاصّه فى الأرحام، الله الله فى الرّحم، الله الله فى الأبوين، رفقاً بإخوانكم وأخواتكم، رفقاً بنسائكم؛ فإنّ الزوجه عند زوجها كالأمه (٤) لا تستطيع أن تقوم بأى شىء. فلنقتدى

ص: ٥٩

- 
- ١- (١) نهج البلاغه: ج ٤، ص ١٤، ح ٥٣، عنه وسائل الشيعه: ج ٩، ص ٤٥٧، ح ٤. بحار الأنوار: ج ٤٨، ص ٣٥٧، ح ٢١.
  - ٢- (٢) انظر: وسائل الشيعه: ج ٥، ص ١١، باب استحباب تزين المسلم للمسلم، وللغريب والأهل والأصحاب.
  - ٣- (٣) انظر: الخصال: ص ٦٢ - ص ٦٣، ح ٩٠. علل الشرائع: ج ٢، ص ٥٥٧، ح ١. الاختصاص: ص ٢٢٦. أمالى الشيخ الطوسى: ص ٥٣٧. مكارم الأخلاق: ص ٤٧٠. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٢٢.
  - ٤- (٤) انظر: وسائل الشيعه: ج ٢٠، ص ٧٩، ح ٨.

بأخلاق الحسين وآل الحسين عليهم السلام. دعونا نستفيد من أيام عاشوراء، أيام عاشوراء ليست عبره فقط، بل فيها عبر لأنَّ الحسين عليه السلام كما أنه عبره كل مؤمنٍ فإنه عبره لكل مؤمنٍ أيضاً، يعنى نستغلُّ هذه الأيام (عشره مُحَرَّم) نستمع إلى سيره أهل البيت عليهم السلام، نستفيد من الحسين عليه السلام الغيره على الدين وعلى العرض، نستفيد منه السخاء، نستفيد منه التواضع، نستفيد منه الشجاعه، وما إلى ذلك من الفضائل الحُسَيْبِيَّةِ الْقُدْسِيَّةِ. ولنرجع إلى النقطة الثالثه وهى: (أن يصل من قطعه) فإذا قاطع أحدُ الحُسَيْنِ عليه السلام تراه لا يقطعه، كما فعل أمير المؤمنين عليه السلام فى معركة صفين مع معاويه، حيث إنَّ الماء كان عند أصحاب الإمام عليه السلام فبعث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاويه عليه السلام قائلاً: «إنا لا نكافيك بضئِ نعك، هلهمَّ إلى الماء، فنحن وأنتم فيه سواء» (١) ولكنَّ أعداء الإمام وهم معاويه وجيشه لما ملكوا الماء فى بدايه الأمر لم يسقوا الإمام وأصحابه منه (٢).

مَلَكْنَا فَكَانَ الْعَفْوُ مَنَا سَجِيَّةً وَلَمَّا مَلَكْتُمْ سَأَلَ بِالْدَمِ أَبْطَحُ

فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكلِّ إناءٍ بالذى فيه ينضحُ (٣)

«وأن يعود من لا يعود»، العيادة: تعنى زياره المريض التى هى من الأمور الأخلاقية الساميه، وزياره المريض وما فيها من الأجر والثواب، ممَّا لا يعلمه إلا الله، ورسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام (٤)، فعلى الإنسان أن لا يقطع بأخيه الإنسان الذى كان لا يعود فى مرضه، يعنى: عندما كنتَ أمرض لا يزورنى، فعندما يمرض هو فلا يصحَّ أن أفعل كفعله أيضاً،

ص: ٦٠

١- (١) وقعه صفين، ابن مزاحم: ص ١٩٣.

٢- (٢) شرح نهج البلاغه: ج ٣، ص ٣١٤.

٣- (٣) من أبيات رائعه لابن الصيفى (الحيص بيص) المتوفى سنه (٥٧٤ هـ)، انظر: الوافى بالوفيات: ج ١٥، ص ١٠٤.

٤- (٤) روى عن أبى جعفر عليه السلام أنه قال: «كان فيما ناجى به موسى ربَّه أن قال يا ربُّ! ما بلغ من عياده المريض من الأجر؟ فقال الله عزَّ وجلَّ: أو كل به ملكاً يعودُه فى قبره إلى محشره». الكافى: ج ٣، ص ١٢١، ح ٩.

أى: لا أزوره.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «عليكم بمكارم الأخلاق»، وواحدة من مكارم الأخلاق هي عياده المريض حتى ولو كان قد قطع بك ولم يعدك في مرضك، أنت مؤمن تقصد وجه الله تبارك وتعالى ولم تقصد وجه الناس، أقبل إلى ذلك الوجه الكريم العذى يكفيك وجوه الناس كلها، فإذا كان الأمر كذلك - أى: تقصد وجه الله تبارك وتعالى - فلا يهتك الأمر، فأنت لا بد أن تعود لله بتيه صادقته وتدخل على قلبه السرور.

وهناك عياده حصلت للحسين عليه السلام - لأنَّ الحسين كان مريضاً في يوم عاشوراء من سهام القوم وطعنات الأعداء - وهى عياده أمه الزهراء عليها السلام فلم تكن الشيده الزهراء عليها السلام غائبة عن مأساه كربلاء، بل كانت حاضرة بروحها يوم العاشر من المحرم، وشاهدت تلك المشاهد المروعة من عطش الأطفال، وذبحهم، وقتل الحسين عليه السلام وأصحابه، إلى سبى النساء، وفصل الرؤوس عن الأجساد، وكانت تنتقل مع رأس الحسين عليه السلام من مكان إلى مكان، ومن بلده إلى بلده، ولهذا يُروى: أن سكينه بنت الحسين عليها السلام قالت: «لَمَّا كان اليوم الرابع من مقامنا بدمشق (في الخربه)، رأيتُ فى المنام امرأةً راكبةً فى هودج، ويدها موضوعه على رأسها، فسألتُ عنها، فقيل لى: هذه فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله أمُّ أبيك. فقلتُ: والله، لأنطلقن إليها ولأخبرنها ما صنع بنا، فسعيتُ مبادرةً نحوها حتى ألحقتُ بها، فوقفَت بين يديها أبكى وأقول: يا أمَّاه جحدوا حقنا، يا أمَّياه، بددوا والله شملنا، يا أمَّاه، إستباحوا والله حرمنا يا أمَّاه قتلوا والله الحسينَ أبانا. فقالت: كُفى صوتك يا سُكينه، فقد قُطعت نياط قلبى، هذا قميص أبيك الحسين لا يُفارقنى حتى ألقى الله به» (١)، ورحم الله شاعر أهل البيت عليهم السلام حيث يقول:

ص: ٤١

---

١- (١) مشير الأحزان: ص ٨٣، وعنه بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٤١. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٤٤١.



لا بُدَّ أن تردَّ القيامةَ فاطمٌ وقيصُّها بدمِ الحُسينِ ملطَّخٌ

ويلٌ لمن شفاعؤه خصماؤه والصُّور في يومِ القيامةِ يُنفخُ (١)

ولذا يقول الإمام الباقر عليه السلام في حديث طويل: «ثُمَّ إِنَّ فَاطِمَةَ تَأْخُذُ قَمِيصَ الْحُسَيْنِ مَلَطَّخًا بِالْدَمِ، وَتَقُولُ: إِلَهِي، احْكُمْ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ قَتَلَ وَلَدِي، ثُمَّ يُقَالُ لَهَا: انظُرِي فِي قَلْبِ الْقِيَامَةِ فَتَرَى الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامَ قَائِمًا مَقْطُوعَ الرَّأْسِ، فإِذَا رَأَتْهُ صَرَخَتْ وَوَلَوْلَتْ: وَآثَمَرَهُ فَوَادَاهُ، فَتُصْعَقُ الْمَلَائِكَةُ لَصِيحَتِهَا، وَيُنَادِي أَهْلُ الْمَوْقِفِ: قَتَلَ اللَّهُ قَاتِلَ وَلَدِكَ» (٢).

أقول: يا شيعي، يا موالى، يا مُحَبَّ الحُسينِ هذا القميص الذى تأتى به الزهراء يوم القيامة هو ذلك القميص الذى «صار كالقنفذ من شدَّه السهام».

ثكل ما يندره ابنشابهها منين يجيه اوزانها يخطف على احسين

سهم بيده اوسهم ابحابب العين يويلى ورؤحت روحه أمن الحر

صار اشبيح بيه امن المتيه ألف نبله يويلى وتسع ميه

وكف تبه نبل بالغازيريه زور أرماع شابج عيب ينظر

الله أكبر، الله أكبر...

قد يتعجب البعض كيف يكون الحُسين قد أصابه من الجُروح هذا العدد الكبير؟! لا تعجبوا؛ لأنَّ أكثر من خمسمائه رامٍ قد وجَّهوا سهامهم نحو الحُسين، وهو مُلقَى على الأرض وجود نفسه متقرِّين بذلك إلى عُبيد الله بن زياد.

ص: ٦٢

١- (١) البيتان لمسعود بن عبد الله القائني، كما في مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ١٠٨.

٢- (٢) انظر: ثواب الأعمال: ص ٢١٩، عنه بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٢٢٢ - ص ٢٢٣، ح ٩.

وهو يُفكر بحاله ذبيح العيال شلون اتظل يساره بيد الأندال

ولن الحجر جاله والدمه سال الوجهه أو للثره خر البجيه

(أبوزيه)

دليلي إمصوب اومحتر بلهام برزیه كربلا ما ركن بلهام

أخوى احسين صابه الحجر بلهام وطاح امن المهر فوك الوطيه(1)

\*\*\*

هوى هيكل التوحيد فيه على الثرى غداه هوى القصر المشيد المعظم

إنا لله وإنا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أي منقلب ينقلبون

والعاقبة للمتقين

ص: ٦٣

---

١- (١) انظر: مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ١، ص ١٦٦ - ص ١٦٧.







كم يا هلالٍ مُحَرَّمٍ تُشجينا ما زال قوسك نبله يرمينا  
كُلُّ المصائبِ قد تهونَ سوى التي تركتُ فؤادَ مُحَمَّدٍ محزوناً  
يومٌ به ازدلفتُ طُغاهُ أميهِ كى تشفينَ من الحُسينِ ضُغوناً  
نادى الأهلَ من مُعينٍ لم يجدُ إلا المُحدَّدةَ الرقاقِ مُعينا  
فهوى على وجهِ الصَّعيدِ مُبْضَعاً ما نالَ تَغْسِلاً ولا تكفيناً  
وسروا بنسوتهِ على عُجُفِ المطا تطوى سهولاً بالفلا وحزوناً  
أو مثلَ زينبٍ وهى بنتُ مُحَمَّدٍ برزتُ تُخاطبُ شامتاً ملعوناً  
فغدا بمحضرها يُقَلَّبُ مَبْسِماً كانَ النَبِيُّ برشفه مفتوناً  
نثرت عقيقَ دُموعها لَمَّا غدا بعصاه يَنكُتُ لُؤلؤاً مكنوناً(١)

ص: ٦٧

١- (١) القصيدة للسيد جعفر الحلبي رحمه الله، قال عنه السيد جواد شبر رحمه الله في أدب الطف: «السيد جعفر كمال الدين الحلبي النجفي، عُرفت هذه الأسره بالانتماء إلى الجدِّ السَّادس لصاحب هذه الترجمة، وهو السيد كمال الدين بن منصور، فهو جدُّ الأسره الكماليه المنتشره في الحلّه وضواحيها والنجف والكوفه، وقد كتب عنها مفضيلاً الخطيب اليعقوبي في (البابليات)، كما أقام الشواهد على شاعريته وسرعه البديهة عنده، وديوانه أصدق شاهد على سمو شعوره، وكان من حقّه أن يطلق اسم (سحر بابل وسجع البابل) على ديوانه قبل أن يجمع، والذي جمعه أخوه السيد هاشم بعد وفاه الشاعر. توفي فجأه في شعبان لسبع بقين سنه (١٣١٥ هـ)، ودفن في وادي السلام بالنجف الأشرف عند قبر والده على مقربة من مقام الإمام المهدي عليه السلام، نشأ السيد جعفر فاستطرف قدر حاجته من المبادئ، النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان، وصار يختلف إلى مدارس العلماء وحوزاتها الحافله بالفقه، وهو في كلِّ ذلك حلو المحاضره، سريع البدهاه، حسن الجواب، نبيه الخاطر، متوقد القريحه، جرى اللسان، برع في نظم الشعر وهو دون الثلاثين، وأصبح من الشعراء المعدودين الذين تلهج الألسن بذكرهم وتتغنى بشعرهم... أشهر قصيده له رائعته التي مطلعها: وجه الصَّباح على ليلٍ مظلوم ربيع أيامي على محرم وهذه القصيده التي تزيد على السبعين بيتاً كلها من الشعر المنسجم...». أدب الطف: ج ٨، ص ٩٩ - ص ١١٠.

وكأني بأمة الزهراء عليها السلام تسأله عن الذي صنع به ما صنع فتقول:

(بحراني)

تناديه يبنى من كقطع راسك والجفوف من كسر أضلوعك يعقلى بضرب السيوف

ومن كقطع أوصالك يعيني ابضرب السيوف يا مهجتي مذبح لا مطلب ولا دين

يحسين غلى من كقطع بالسيف نحرك يا نور عيني من وطا بالخيل صدرك

ومن سلب أيتامك أو ياهو حرك خدرك يا نور عيني من وطا بالخيل صدرك

\*\*\*

أنا الوالده والكلب لهفان أدور عزه ابني وين ما چان

جسمه سليب ولا له اچفان ولعبت عليه الخيل ميدان

\*\*\*

قال الله عزّ وجلّ: (وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ) ١ .

معناه أنه سبحانه حكم بأن يُظهر هذا التمييز، يعنى الآيه التي قبل هذا المقطع من هذه الآيه المباركه، وهو (ما كان الله ليُدرّ المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) إلى أن يصل الدور إلى هذا المقطع، وهو أنه لا يجوز أن يحصل ذلك التمييز - بين

ص: ٦٨

الخيث والطيب - بأن يُطلعكم الله على غيبه، فيقول: إن فلاناً منافق، وفلاناً مؤمن، وفلاناً من أهل الجنة، وفلاناً من أهل النار، فإنَّ سنَّه الله جاريه بأن لا- يطلع عوام الناس على غيبه، بل لا سبيلَ لكم إلى معرفه ذلك إلا بالامتحانات، مثل وقوع المحن والآفات حتَّى يتميَّز عندها الموافق من المنافق، فأما معرفه ذلك على سبيل الاطلاع على الغيب فمن خواصَّ الأنبياء؛ لهذا قال (وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ) ، أى: ولكنَّ الله يصطفى من رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فيخصَّهم بإعلامهم أنَّ هذا مؤمن وهذا منافق(١).

هذا معنى. وهناك معنى آخر: وهو وما كان الله ليؤتى أحداً منكم على الغيب، فلا تتوهموا عند إخبار الرسول صلى الله عليه و آله بنفاق الرُّجُل وإخلاص الآخِر، أنَّه يطلع على ما فى القلوب اطلع الله تعالى، فيخبر عن كُفْرها وإيمانها، (وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَرْسِلُ الرَّسُولَ فَيُوحِي إِلَيْهِ وَيُخْبِرُهُ بِأَنَّ فِي الْغَيْبِ كَذَا، وَأَنَّ فُلَانًا فِي قَلْبِهِ النِّفَاقَ، وَفُلَانًا فِي قَلْبِهِ الْإِخْلَاصَ، فَيَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ إِبْرَاهِيمَ اللَّهِ، لَا مِنْ جِهَةِ إِطْلَاعِهِ عَلَى الْمُغَيَّبَاتِ(٢).

إذن كان الاطلاع على الغيب إخبار من الله تبارك وتعالى للرُّسل، ومنهم - بل فى طليعتهم - النبىُّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

ثمَّ يُسَجَّلُ التَّيْدِيلُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ كَلَّمَا كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله فَلْنَا مِثْلَهُ، إِلَّا النَّبُوَّةَ وَالْأَزْوَاجَ، وَلَا غَلْوًا فِي ذَلِكَ بَعْدَ قَابِلِيهِ تِلْكَ الدَّوَاتِ الْمُطَهَّرَةِ بِنَصِّ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ فِي (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا) ٣/ لتحمّل الفيض الأقدس وعدم الشَّحِّ فى المبدأ الأعلى، تعالت آلاؤه، والمغالاه فى شخصٍ عبارته عن إثبات صفه له، إمَّا أن يتحمّلها العقل أو لا؛ لعدم القابليه لها، والعقل لا يمنع الكرم الإلهى، كيف؟! والجليل عزّ

ص: ٦٩

١- (١) انظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ج ٩، ص ١١١.

٢- (٢) تفسير الكشّاف: ج ١، ص ١٧٩.



لُطفه يدرّ النعم على المُتَمادِين في الطغيان والمتمردِين على قدس جلاله، حتّى كأنّ المنه لهم عليه، فلم يمنع ذلك من رحمه بهم والإحسان إليهم والتفضّل عليهم؟! (١)، ولا- تنفذ خزائنه ولا يفوته من طلبه، وهذا من القضايا التي قياساتها معها، وإذا كان حال المهيمن سبحانه كما وصفناه مع أولئك الطغاه، فكيف به عزّ وجلّ مع من اشتقّهم من الحقيقه الأحمديّه التي هي من الشّماع الأقدس جلّ شأنه، فالتقى مبدأ فيّاض وذوات قابله للإفاضه، فلا يدع في كلّ موردٍ في حقّهم عليهم السلام من علم الغيب، والتفوّق على أعمال العباد، وما يحدث في البلدان ممّا كان وما يكون.

فالغيب المدّعى فيهم عليهم السلام غير المختصّ بالبارى تعالى؛ لاستحالته في حقّهم عليهم السلام، فإنّه بالنسبه لله تعالى شأنه ذاتي، وأمّا بالنسبه للأئمّه عليهم السلام فهو مجعول من الله سبحانه وتعالى، فبواسطه فيضه تعالى ولطفه كانوا يتمكّنون من استعلام خواص الطّبائع والأحداث.

فأذن الغيب على قسمين: منه ما هو عين واجب الوجود بحيث لم يكن صادراً عن علّه غير ذات فاطر السّموات والأرضين، ومنه ما كان صادراً عن علّه ومتوقّفاً على وجود الفيض الإلهي، وهو ما كان موجوداً لدى الأنبياء والأوصياء. وإلى هذا يشهد ما جاء عن أبي جعفر الجواد عليه السلام، فإنّه لما أخبر أمّ الفضل بنت المأمون بما يجري على النساء عند الحيض قالت له: لا يعلم الغيب إلّا الله، قال عليه السلام: «وَأَنَا أَعْلَمُ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى» (٢)، وهناك شواهد كثيره على هذا المعنى.

وأما ما ورد عنهم عليهم السلام من نفى علمهم بالغيب، كقول أبي عبد الله عليه السلام: «يا عجباً،

ص: ٧٠

---

١- (١) اقتباس من دعاء الافتتاح: «إِنَّكَ تَدْعُونِي فَأُولَىٰ عِنْدَكَ، وَتَتَجَبَّبُ إِلَيَّ فَاتَبَغَّضْ إِلَيْكَ، وَتَتَوَدَّدُ إِلَيَّ فَلَا أَقْبَلُ مِنْكَ، كَأَنَّ لِي التَّطَوُّلَ عَلَيْكَ، فَلَمْ يَمْنَعْكَ ذَلِكَ مِنْ رَحْمَةِ بِي وَالْإِحْسَانِ إِلَيَّ، وَالتَّفَضُّلِ عَلَيَّ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ...». انظر: المصباح (الكفعمي): ص ٥٧٣. تهذيب الأحكام: ج ٣، ص ١٠٩.

٢- (٢) حقيقه علم آل محمد وجهاته: ص ١٤٣، عن كتاب الإرشاد إلى ولاية الفقيه: ص ٢٥٤. لكن لم أعره عليه.

لأقوام يزعمون إننا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله، لقد هممت بضرب جاريتي فهربت مني ما علمت في أي بيوت الدار» (١)، فهو محمول على التقية، لحضور بعض نفر ممن لم تكن لهم القابلية على تحمّل غامض علم أهل البيت عليهم السلام، فأراد أبو عبد الله عليه السلام أن ينفي علم الغيب عنهم عليهم السلام؛ تثبيتاً لعقيدته هؤلاء.

ويؤيدُه أنَّ سديراً الراوى لهذا الحديث دخل عليه في وقتٍ آخر، وذكر له استغراب ما سمعه منه من نفي العلم بالغيب، فطمّنه بأنّه ليعلم ما هو أرفع من ذلك وأرقى، وهو العلم بالكتاب كُله وما حواه من فنون المعارف وأسرارها.

وأما الحكاياه عن النبيّ صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم: (وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمَ الْغَيْبِ لَاشْتَكَيْتُكَ مِنَ الْخَيْرِ) ٢ فلا يفيد إلا كونه مفتقراً إلى الله تعالى في التعليم، وأنّه لم يكن عالماً بالغيب من تلقاء نفسه، وهذا لا ريب فيه.

إذن المنفى في الآيات أطلّعه على الغيب من غير واسطه، وأما علمه بالغيب بإعلام الله تعالى فثابتٌ ومتحقّقٌ؛ لقوله تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا \* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) ٣/.

نعم لقد آثر الله تبارك وتعالى بعض العلوم لنفسه، ولم يُطلع عليها أحداً أبداً، كالعلم بالساعة.

فلقد تجلّى بما ذكرناه وبيناه أنّ العقل والشرع يجوزان للمعصوم أن يعلم الغيب.

ص: ٧١

---

١- (١) بصائر الدرجات: ص ٢٥٠، ح ٥. الكافي: ج ١، ص ٢٥٧، ح ٣. ينابيع المعاجز: ص ١٣. غايه المرام: ج ٤، ص ٥٧، ح ٢. تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص ٥٢٢، ح ٢٠٨، عن الكافي. الفصول المهمه في أصول الأئمه: ج ١، ص ٣٩٥. بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٣٢٣، رواه مختصراً عن الكافي، وفي ج ٢٦، ص ١٩٧، ح ٨، رواه كاملاً عن البصائر.

ومن موارد علمهم عليهم السلام بالغيب علم الإمام الحسين عليه السلام بشهادته وما سيجرى عليه وعلى عيالاته وأطفاله، من محن ومصائب تنهدُّ منها الجبال وتكاد الأرض أن تنشقَّ لعظمتها، حيث أخبر عليه السلام وقال: «والله، ليجتمعنَّ على قتلى طُغاة بني أمية ويقدمهم عُمر بن سعد»<sup>(١)</sup>، وليس في إقدامهم عليهم السلام على الشهادة إعانه على إزهاق نفوسهم القدسيَّة وإلقائها في التهلكة المحظورة والمنهى عنها بنصِّ الذكر الحكيم؛ فإنَّ الإبقاء والحفاظ على النفس والحذر عن إيرادها مورد الهلكة إنما يجب إذا كان مقدوراً لصاحبها، أو لم يُقابل بمصلحه أهمَّ من حفظها، وأمَّا إذا وجدت هنالك مصلحه تكافئ تعريض النفس للهلاك، كما في الجهاد والدفاع عن النفس، فهنا يرتفع محذور الهلكة. فالهلكة التي ذكرها القرآن الكريم هي من الأحكام المُختصَّة بما إذا لم تكن هناك مصلحه أقوى من مفسده الإقدام على التلّف، ومع وجود المصلحه اللازمه لا يتأتى الحُكم بالحرمة أصلاً، كما في الدِّفاع عن بيضة الإسلام، الذي أفتى بعض الفقهاء في وجوبه، كما هو ظاهر لمن راجع أقوالهم وفتاواهم (قدس الله تعالى أرواحهم)<sup>(٢)</sup>.

فالعقل والشرع يجيِّد الإقدام على الهلكة إذا تحققت به مصلحه تقاوم مفسده الهلكة، من إبقاء دينٍ وشريعته، أو إبراز حقيقته لا تظهر إلاّ به، كما في أمر الإمام الحسين عليه السلام يوم وقف ذلك الموقف المدهش فتلا- على الملأ صحيفه بيضاء رتلتها الحُقب والأيام والأعوام.

فلقد عزى عليه السلام بنهضته المقدّسه حقيقه الأمويين للأُمم الحاضره والمتعاقبه، وكان عليه السلام يعتقد في نهضته أنه فاتح منصورٌ لما في شهادته من إحياء دين رسول الله صلى الله عليه وآله وإماتة البدعه، وفضح أعمال المناوئين، وتفهم الأُمم أنّهم عليهم السلام أحقّ بالخلافه من غيرهم، وإليه يشير في

ص: ٧٢

---

١- (١) دلائل الإمامه: ص ١٨٣، ح ٦. نوادر المعجزات: ص ١٠٩، ح ٥. فرج المهموم: ص ٢٣٧. مدينة المعاجز: ج ٣، ص ٤٥٣، ح ٢٥. الدّرّ النظيم: ص ٥٣٢. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ١٨٦، ح ١٤، عن دلائل الإمامه.

٢- (٢) انظر: كتاب فقه الإمام الصادق عليه السلام: ج ٢، ص ٢٦٢، وغيره.

كتابه إلى بنى هاشم: «مَنْ لَحِقَ بِي مِنْكُمْ اسْتَشْهَدَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ لَمْ يَبْلُغِ الْفَتْحَ» (١). فَإِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَرُدَّ بِالْفَتْحِ إِلَّا مَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ نَهْضَتُهُ وَتَضَحُّيْتُهُ مِنْ نَقْضِ دَعَائِمِ الضَّلَالِ، وَكَسْحِ أَشْوَاكِ الْبَاطِلِ عَنِ صِرَاطِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ، وَإِقَامِهِ أَرْكَانَ الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْأُمَّةِ هُوَ الْقِيَامُ فِي وَجْهِ الْمُنْكَرِ.

وهذا معنى كلمه الإمام زين العابدين عليه السلام لإبراهيم بن طلحه بن عبد الله لما قال له: مَنْ الْغَالِبُ؟ فقال الإمام السجّاد عليه السلام: «إِذَا دَخَلَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَأَذَّنَ وَأَقَمَ تَعْرِفَ الْغَالِبَ» (٢).

فإنه عليه السلام يُشير إلى تحقيق الغايه التي ضحى سيّد الشهداء بنفسه القدسيه لأجلها، وفشل يزيد بما سعى له من إطفاء نور الله تعالى، وما أرادَه أبوه من نقض مساعى الرسول صلى الله عليه وآله.

ولذا تجد الحسين عليه السلام ذكر أنه يُقتل وتُسبى عيالاته، وحصل ما حصل بالفعل في يوم عاشوراء، فقام خطيباً قبل أن يخرج إلى العراق، فقال: «كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تُقَطَّعُهَا عُسْلَانُ الْفُلُوتِ بَيْنَ النَّوَاوِيسِ وَكِرْبَلَاءَ، فَيَمْلَأُنْ مَنِيَّ أَكْرَاشاً جَوْفًا وَأَجْرِبَةً سَغْبًا» (٣).

رَوَى أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ مِنَ الْمَدِينَةِ تَوَجَّهَ إِلَى قَبْرِ جَدِّهِ لِيُودِّعَهُ، فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ، فَصَلَّى

ص: ٧٣

- 
- ١- (١) بصائر الدرجات: ص ٥٠٢. دلائل الإمامه: ص ١٨٧ - ص ١٨٨، ح ١٢. نوادر المعجزات: ص ١١٠. الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٧٧١ - ص ٧٧٢، ح ٩٣. ذوب النصار: ص ٢٩، ح ٤، عن البصائر. مثير الأحزان: ص ٢٧. مدينة المعاجز: ج ٣، ص ٤٦٠ - ص ٤٦١، ح ٣١. بحار الأنوار: ج ٤٢، ص ٨١، ح ١٢، عن البصائر وكذا: ج ٤٥، ص ٨٣ - ص ٨٤، ح ١٣.
  - ٢- (٢) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٦٧٧، ح ١١، عنه بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٧٧، ح ٢٧. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٤١٤، ح ١٣.
  - ٣- (٣) ذوب النصار: ص ٣٠. مثير الأحزان: ص ٢٩. نزهه الناظر: ص ٨٦. اللهوف: ص ٣٨. كشف الغمه: ج ٢، ص ٢٣٩. معارج الوصول إلى معرفه فضل آل الرسول: ص ٩٤. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٦٧. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٢١٧.

ركعتين عند قبر جدّه، ثُمَّ رفع طرفه نحو السّماء، ثُمَّ صَفَّ قدميه، فلم يزل قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً حتّى الصّباح، ثُمَّ عاد في اليوم الثاني، فبكى عند قبر جدّه المُصطفى، يبكي ويبكى إلى أن هوّمت عيناه، وإذا به يرى جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله في كتيبه من الملائكة ورعيلٍ من الأنبياء، فضمّ الحُسين عليه السلام إلى صدره وقال: «بُنى حسين، كأني بك عن قريبٍ مذبوحاً بأرض كربٍ وبلاءٍ، بين عُصابه من أُمّتي، لا- أنالهم شفاعتي، وأنت عطشانٌ لا تُسقى وظمآنٌ لا تُروى، بُنى حُسين، إنَّ أُمَّك وأباك وأخاك قدموا عليّ وهم مشتاقون إليك فالعجل العجل».

قال الراوى: «فصار الحسين عليه السلام ينظرُ في منامه إلى جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ويبكى ويقول: يا جدُّ لا حاجة لى فى الرجوع إلى الدُنيا خُذنى معك، أدخلنى فى قبرك؛ أستريح من هذه المصائب! فقال له جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بنى يا حسين، لا بُدَّ من الرجوع إلى الدُنيا حتّى تذوق الشهاده، فتنال ما قد كتب الله لك من الأجر العظيم والمنازل الرفيعه والدرجات العالیه»(١).

آه آه:

ضُمْنى عندك يا جدّاه فى هذا الضّريح علّنى يا جدُّ من بلوى زمانى أستريح

ضاق يا جدُّ من رحب الفضاه كلّ فسيح فعسى طود الأسى يندكّ بين الدكتين

جدّ صفو العيش من بعدك بالأكدار شيب وأشاب الهُمُّ رأسى قبل إبان المشيب

ص: ٧٤

---

١- (١) انظر: أمالى الشيخ الصدوق: ص ٢١٧. مدينه المعاجز: ج ٣، ص ٤٨٧. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣١٣، وج ٥٨، ص ١٨٢.

فعلا من داخل القبر بُكاءً ونحيب ونداء بافتجاج يا حبيبي يا حسين

ستذوق الموت ظلماً ظامياً في كربلاء وستبقى في تراها ثاوياً مُنجدلاً

وكانني بلثيم الأصل شمرٍ قد علا صدرك الطاهر بالسيف يحزّ الودجين (١)

\*\*\*

(نعى)

وصل ويلى الكبر جدّه وبچه حسين يودعه والدمع يهمل من العين

هوه فوگك الضريح وصاح صوبين يجدى مفارگك غضبن علىّ

يجدى ابوسط لحدك ضمّنى اوياك ترانى الضيم شفته عكب عيناك

يگله يا حبيبي وعدك إهناك تروح وتندبح بالغازيه

تروح وتندبح يحسين عطشان وتبگه اعلى الأرض مطروح عريان

ويظل جسمك لعند الخيل ميدان ولا تبگه من إضلو عك بُگيه

\*\*\*

ص: ٧٥

---

١- (١) من قصيده رائعه للشيخ حسن الدمستاني البحراني رحمه الله، قال عنه في كتاب رياض المدح والثناء: (ص ٦١٣): «الشيخ حسن بن محمد بن علي البحراني الدمستاني، عالم فاضل فقيه، محدث، رجالي، محقق، مدقق، ماهر في علمي الحديث والرجال، له مؤلفات عديده منها: منظومه في نفى الجبر والتفويض، إرجوزه في إثبات الإمامه والوصيه. أمّا شعره فهو كثير بعدد حروف الهجاء، ومن أشهره ملحمة الطفّ. وله ديوان شعر مطبوع في النجف اسمه (نيل الأمانى) يضمّ أربعاً وأربعين قصيده. توفي في بلده القطيف سنة (١١٨١هـ)».

(تخميس)

يا من له فضلُ الخلائقِ صائرٌ وعليه قطبُ رحي الجلاله دائرٌ  
ومجيبُ دعوهِ مَنْ دعاه وناصرٌ ياليت في الأحياء شخصك حاضر  
وحسين مطروح بعرصه كربلاء

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون  
وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أيُّ مُقلبٍ ينقلبون  
والعاقبة للمتقين

ص: ٧٦







إِنْ كُنْتَ مَحْزُونًا فَمَا لَكَ تَرُقُدُ هَلَا بِكَيْتَ لِمَنْ بَكَاهُ مُحَمَّدٌ  
وَلَقَدْ بَكَتْهُ فِي السَّمَاءِ مَلَائِكُ زُهْرٌ كَرَامٍ رَاكِعُونَ وَسُجَّدُ  
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ الْمُنِيرُ كِلَاهُمَا حَوْلَ النُّجُومِ تَبَاكِيَا وَالْفَرْقُدُ  
أَنْسَيْتَ آلَ الْمُصْطَفَى فِي كَرْبَلَا حَوْلَ الْحُسَيْنِ ذَبَائِحُ لَمْ يُلْحَدُوا  
كَيْفَ السُّلُوِّ وَفِي السَّبَايَا زَيْنَبُ تَدْعُو بِحَرْقِهِ قَلْبَهَا يَا أَحْمَدُ  
يَا جُدُّ حَوْلِي مِنْ يَتَامَى إِخْوَتِي فِي الدَّلِّ قَدْ سُلِبُوا الْقِنَاعَ وَجُرِّدُوا  
يَا جُدُّ قَدْ مُنِعُوا الْفِرَاتَ وَقَتَّلُوا عَطَشًا فَلَيْسَ لَهُمْ هُنَالِكَ مَوْرِدُ  
يَا جُدُّ مِنْ ثَكَلِي وَطُولِ مَصِيبَتِي وَلِمَا أَعَانِيهِ أَقُومُ وَأَقْعُدُ  
يَا جُدُّ ذَا صَدَرَ الْحُسَيْنِ مَرَضْرُضٌ وَالخَيْلُ تَنْزُلُ مِنْ عِلَاهِ وَتَصْعَدُ  
يَا جُدُّ ذَا ابْنِ الْحُسَيْنِ مُعَلَّلٌ وَمَغْلَلٌ فِي قَيْدِهِ وَمَصْفَدُ  
يَا أُمَّيْ الزُّهْرَاءِ قُومِي جَدْدِي وَجَمِيعِ أَمْلَاكِ السَّمَاءِ لَكَ يَنْجُدُ  
هَذَا حَبِيبُكَ بِالْحَدِيدِ مَقْطَعٌ وَمَخْضَبٌ بِدَمَائِهِ مُسْتَشْهِدٌ (١)

\*\*\*

(موشح)

يا تالي هلي يحسين يا سلوة هلي يحسين سهم الصابك ابكلك تره صوب الكلب الدين

ص: ٧٩

---

١- (١) المنتخب للطريحي: ج ٢، ص ٤٤٢ - ص ٤٤٣، الباب الثاني (ولم ينسبها لأحد، ولم أعر على قائلها فله دره وعلى الله أجره).

لا بعدك يجفّ دمعى ولا يهدده اوتنام العين ليل انهار أنه ابهمك اوهمك لا بعد ينزاح  
يا تالى هلى يحسين يا صبرى على بلواى بين أمى احترمت الماى عجبك لا شربت الماى  
يا تالى هلى يحسين من بعدك بعد تدرى لا شمس وبدر يا ليت لا عذب الهوه يسرى  
لا دنيه اوفلك دوّار لا ماى الذى يجرى عسه شط الفرات ايغور لا يطفح عسه اولافاح

\*\*\*

(مجاريد)

يحگلى لنوح الدهر كله للى انذبح ظامى اويه أهله  
والماى ظامى اوما أحصله لوّن الموت يسمعى لكّه  
خذنى وأخوى احسين خله اولاف عيشتى بهاي المذله

\*\*\*

(أبو ذيه)

المصبيه حلت اعلينه وترها اوچبدتى انگطع يا جدى وترها  
يريتك تنظر اشبولك وترها غدت مرتع لحافر خيل أميه

\*\*\*

ص: ٨٠

روى عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال لابن الزبير: «لئن أذفن بشاطى الفرات أحبَّ إليَّ من أن أذفن بفناء الكعبة» (١).

سؤال لطالما يُطرح على العقول، وهو لماذا توجّه الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق؟

وأفضل مَنْ أجاب عن هذا السؤال هو الإمام الحسين عليه السلام نفسه، ويمكننا هنا التعرّف على أبعاد هذا الجواب، وتحديد العوامل التي دفعت الإمام عليه السلام إلى اختيار العراق لا غيره من البلدان، من خلال تشبّع واستقصاء جميع ما أُثّر من تصريحات الإمام عليه السلام في هذا الصدد، منذ إعلانه عن قيامه المقدّس في رفض البيعه - ليزيد بعد موت معاوية - أمام الوليد بن عتبة والى المدينة آنذاك حتى أواخر ساعات حياته في كربلاء في احتجاجاته على أعدائه قبيل نشوب القتال يوم عاشوراء.

وعلى ضوء تصنيف تصريحاته عليه السلام على أساس نوع الإشارة فيها، يمكننا تحديد العوامل التي دفعت الإمام عليه السلام إلى هذا الأمر.

وهذه العوامل هي:

١ - العراق مهد التشييع ومركز معارضة الحكم الأموي:

وذلك حين إجابته عليه السلام عن سؤال عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة بالأبواء - بين المدينة ومكّة - أين تريد يا بن فاطمه؟

قال الإمام عليه السلام: «العراق وشيعتي» (٢)، علماً أنّ هذه المحاوره تمّت بالأبواء قبل وصول الإمام عليه السلام إلى مكّة، أي قبل وصول رسائل أهل الكوفة إليه.

ص: ٨١

---

١- (١) كامل الزيارات: ص ١٥٢، عنه بحار الأنوار: ج ٤، ص ٨٦ ح ١٨. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ١٥٥، ح ٢.  
٢- (٢) تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢٠٨. تهذيب الكمال: ج ٦، ص ٤١٦. سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٢٩٦، تاريخ الإسلام: ج ٥، ص ٨. البدايه والنهايه: ج ٨، ص ١٧٥. ترجمه الإمام الحسين (ابن عساكر): ص ٢٩٤، ترجمه الإمام الحسين (طبقات ابن سعد): ص ٥٧.

ونفهم ذلك أيضاً من خلال محاوره جرت بينه عليه السلام وبين عبد الله بن عباس، قال ابن عباس: فإن كنت على حال لا بدّ أن تشخص فصّر إلى اليمن؛ فإنّ بها حصوناً لك وشيعه لأبيك فتكون منقطعاً عن الناس!

فقال الإمام عليه السلام: «لا بدّ من العراق!»<sup>(١)</sup>.

هذان النّصان - ونظائرهما - يكشفان بوضوح عن أهميّة العراق بذاته عند الإمام عليه السلام، وبمعزلٍ عن أثر رسائل أهل الكوفة التي وصلت إلى الإمام عليه السلام في مكّه بعد موت معاويه، وأهميّة العراق بذاته عند الإمام عليه السلام من الحقائق التاريخيّة التي لا تحتاج لإثباتها إلى الاستشهاد عليها بنصّ.

فلقد كانت الكوفة مهدياً للشيعة، وموطناً من مواطن العلويين، وقد أعلنت إخلاصها لأهل البيت عليهم السلام في كثيرٍ من المواقف، وقد خاض الكوفيون حرب الجمل وصفين مع الإمام، وكانوا يقولون له: سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت، فنحن حزبك وأنصارك. وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يثنى عليهم ثناءً كبيراً، فيرى أنّهم أنصاره وأعدائه المخلصون له، يقول لهم: «يا أهل الكوفة، أنتم إخواني وأنصاري وأعواني على الحقّ ومجيبى إلى جهاد المحليين، بكم أضرب المدبر وأرجو إتمام طاعه المُقبِل»<sup>(٢)</sup>.

وكانت الكوفة بعد أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام المقرّ الرئيسي لمعارضه الحكم الأموي، وكان الكوفيون يتمنون زوال الحكم الأموي، وكان الشيعة في العراق - بعد شهادته الإمام الحسن عليه السلام - على اتّصال بالإمام الحسين عليه السلام من خلال المكاتبات واللقاءات، ونكتفى للدلالة على ذلك بهذين النّصين:

الأوّل: نقل الشيخ المفيد رحمه الله عن الكلبي والمدائني وغيرهما من أصحاب السير، أنّهم

ص: ٨٢

- 
- ١- (١) من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام: ص ٥٥.
  - ٢- (٢) نهج السعادة: ج ٢، ص ٣٦١ - ص ٣٦٢. وأنظر: نهج البلاغه: ج ١، ص ٢٣١، ح ١١٨. تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٨. الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣٤٠. الإمامه والسياسة: ج ١، ص ١٢٤.

قالوا: «لَمَّا مات الحسن عليه السلام تحرّكت الشّيعه بالعراق وكتبوا إلى الإمام الحسين عليه السلام في خلع معاويه والبيعه له، فامتنع عليهم وذكر أنّ بينه وبين معاويه عهداً وعقداً، لا يجوز له نقضه حتّى تمضى المُدّة، فإذا مات معاويه نظر في ذلك» (١).

الثاني: روى أنّ الوليد بن عتبة حجّب أهل العراق عن الإمام الحسين عليه السلام، فقال الإمام الحسين عليه السلام: «يا ظالماً لنفسه، عاصياً لربّه، علام تحول بيني وبين قوم عرفوا من حتّى ما جهلته أنت وعمّك؟!» (٢).

## ٢ - العراق أرض المصراع المختار:

لمّا عزم الإمام الحسين عليه السلام على الخروج من المدينة أتته أم سلمه (رضوان الله تعالى عليها) فقالت: يا بُنَيّ، لا تحزني بخروجك إلى العراق، فإنّي سمعتُ جدّك يقول: «يُقتل ولدى الحسين عليه السلام بأرض العراق في أرضٍ يقال لها كربلاء!»

فقال لها: «يا أمّاه، وأنا والله، أعلم ذلك، وإنّي مقتول لا محاله، وليس لي من هذا بدّ، وإنّي والله، لأعرف اليوم اللّذى أُقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعه الّتى أُدفن فيها، وإنّي أعرف من يُقتل من أهل بيتي وقرايتي وشيعتي، وإن أردت يا أمّياه أريكي حفرتي ومضجعي» (٣).

وفي روايه أخرى أنّه قال لها: «والله، إنّي مقتول كذلك، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلوني أيضاً» (٤).

وقد روى بأسانيد أنّه لمّا منعه عليه السلام مُحَمِّدُ بن الحنفية عن الخروج إلى الكوفه قال: «والله يا أخي، لو كنت في جحر هامه من هوام الأرض لاستخرجوني منه حتّى يقتلوني» (٥).

ص: ٨٣

١- (١) الإرشاد: ج ٢، ص ٣٢، عنه بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٤. والعوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ١٧٣.

٢- (٢) موسوعه كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٣٠٧.

٣- (٣) بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٣١. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ١٨١. ينابيع المودّه: ج ٣، ص ٦٠.

٤- (٤) بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٣٢، و ج ٤٥، ص ٨٩، ح ٢٧. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ١٥٧، و ص ١٨١.

٥- (٥) بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٩٩. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٣٢٣.

وفى روايه أنه عليه السلام قال لابن الزبير: «ولئن أقتل بالطّف أحبّ إليّ من أن أقتل بالحرم»<sup>(١)</sup>.

هذه النصوص - ونظائرها - تكشف لنا أنّ الإمام عليه السلام منذ البدء كان قد اختار العراق أرضاً لمصرعه.

ولعلّ سرّ ذلك هو أنّ الإمام عليه السلام بعد إن اختار موقفه المبدئي برفض البيعه ليزيد وبالقيام كان يعلم منذ البدء أنّه مقتول لا محاله، خرج إلى العراق أو لم يخرج، فكان من الحكمة أن يختار الإمام عليه السلام لمصرعه أفضل الظروف الزمانيه والمكانيه والنفسيه والاجتماعيه المساعده على كشف مظلوميته، وفضح أعدائه، ونشر أهدافه، وأنّ يتحرّك باتجاه وتحقيق ذلك ما وسعته القدره على التحرك، وبما أنّ الإمام عليه السلام كان يعلم منذ البدء أيضاً أنّ أهل الكوفه لا يفون له بشيء من عهدهم وبيعتهم، وأنهم سوف يقتلونه: «هذه كتب أهل الكوفه إليّ ولا أراهم إلّا قاتلي»<sup>(٢)</sup>، فهو عليه السلام مع هذا - بمنطق الشهيد الفاتح - كان يريد العراق ويصرّ على التوجّه إليه؛ لأنّه أفضل أرض للمصرع المختار؛ ذلك لما ينطوي عليه العراق من استعدادات للتأثر بالموت العظيم (واقعه عاشوراء).

ويكفي في ذلك قوله لَمَّا سأله ابنُ عباس: أين تريد يا بن فاطمه؟

فأجاب عليه السلام: «العراق وشيعتي!»<sup>(٣)</sup> وقوله لابن عباس: «لا بدّ من العراق»<sup>(٤)</sup>.

٣ - رسائل أهل الكوفه بعد موت معاويه:

ما إن علم أهل الكوفه بموت معاويه بن أبي سفيان، وأنّ الإمام الحسين عليه السلام قد

ص: ٨٤

١- (١) كامل الزيارات: ص ١٥١، ح ٧، عنه بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٨٥، ح ١٦. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٣١٣.

٢- (٢) ترجمه الإمام الحسين عليه السلام (من طبقات ابن سعد): ص ٦٤. البدايه والنهائيه: ج ٨، ص ١٨٣.

٣- (٣) تاريخ مدينه دمشق: ج ١٤، ص ٢٠٨. تهذيب الكمال: ج ٦، ص ٤١٦. سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٢٩٦. تاريخ الإسلام:

ج ٥، ص ٨. البدايه والنهائيه: ج ٨، ص ١٧٥. ترجمه الإمام الحسين عليه السلام (ابن عساكر): ص ٢٩٤، ترجمه الإمام الحسين

عليه السلام (طبقات ابن سعد): ص ٥٧.

٤- (٤) من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام: ص ٥٥.

رفض البيعه ليزيد، وقد خرج من المدينة وأقام في مكّة، حتّى تقاطرت إليه رُسُلُهُم ورسائلهم يدعونه إليهم، مُظهرين استعدادهم لنصرته والقيام معه، حتّى إنّه اجتمع عنده اثنا عشر ألف كتاب، ووردت إليه قائمه فيها مائه وأربعون ألف اسم، يعربون عن نصرتهم له حالما يصل إلى الكوفه، فكان سفيره إليهم مسلم بن عقيل عليه السلام قد كتب إلى الإمام عليه السلام - بعد وصوله إلى الكوفه وأخذ البيعه له منهم - قائلاً: «أما بعد فإنّ الرائد لا يكذبُ أهله، وقد بايعني من أهل الكوفه ثمانيه عشر ألفاً، فعجّل الإقبال حينَ يأتيك كتابي فإنّ النَّاسَ كُلَّهُم معك، ليس لهم في آل معاويه رأى ولا هوى والسلام» (١).

وكان أهل الكوفه في آخر وفادتهم إلى الإمام عليه السلام في مكّة قد كتبوا إليه يقولون: «أما بعد، فإنّ النَّاسَ ينتظرونك، لا رأى لهم غيرك، فالعجل العجل يابن رسول الله، فقد اخضرت الجنّات، وأينعت الثمار، وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار» (٢).

لقد شكّلت رسائل أهل الكوفه حُجَّةً على الإمام عليه السلام في وجوب الاستجابة لهم، وقد كان الإمام عليه السلام قد علّق عزمه في التوجّه إلى الكوفه على التقرير الميداني لمسلم بن عقيل عليه السلام عن حال أهل الكوفه، وقد صدّر عليه السلام لأهل الكوفه في رسالته الأولى إليهم بذلك، حيث قال: «فإن كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأى ملائكم وذوى الحجى والفضل فيكم على مثل ما قدّمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، فإنّي أقدمُ إليكم وشيكاً إن شاء الله» (٣).

وعلى ضوء رساله مسلم عليه السلام عقد الإمام الحسين عليه السلام عزمه على التوجّه إلى الكوفه، محتجّاً برسائلهم إليه، واحتجاجاته عليه السلام برسائل أهل الكوفه إليه كثيره، منها: قوله لابن عمر - وكان قد نهاه عن التوجّه إلى أهل العراق - «هذه كتبهم وبيعتهم» (٤) وغيره.

ص: ٨٥

- ١- (١) مشير الأحران: ص ١٦. بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٣٣٤. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ١٨٣.
- ٢- (٢) مشير الأحران: ص ٢١. تاريخ الطبرى: ج ٤، ٢٨١. مقتل الإمام الحسين عليه السلام (أبو مخنف): ص ٥١.
- ٣- (٣) بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٣٤. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ١٨٤.
- ٤- (٤) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ص ٢٦١. تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ٢٠٢. سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٢٩٢. تهذيب التهذيب: ج ٢، ص ٣٠٧. الدر النظيم: ص ٥٤٦. النزاع والتخاصم: ص ٩٦.



ولا يقال: لماذا أن الإمام لم يرجع بعد ما قُتل مسلم بن عقيل عليه السلام وظهرت أمارات الخذلان؟

فإنه يُقال: إن تأثير الإمام عليه السلام إذا كان بين أهل الكوفة يكون أكبر، واهتمامهم به أكثر، كما أشار إلى ذلك بعض أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، حيث قال: «إنك والله، ما أنت مثل مسلم بن عقيل ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع»<sup>(١)</sup>، ولذا واصل الإمام عليه السلام الإصرار على التوجه إلى الكوفة حتى بعد مقتل مسلم عليه السلام.

لكن التاريخ يثبت أن الإمام عليه السلام لم يعتمد هذا النظام ولم يتحرك على أساسه، لعلمه عليه السلام بما سيؤول إليه موقف أهل الكوفة من قبل ذلك.

فلا يبقى مجال إلا أن نقول إن الإمام واصل التزامه بالوفاء بهذا الوعد وهذا القول، وأصر على التوجه إلى الكوفة، لا لأن لأهل الكوفة حجه باقيه عليه في الواقع، بل لأنه لم يشأ أن يدع أي مجال لإمكان القول بأنه لم يف تماماً بالعهد، وذلك لو كان قد انصرف عن التوجه إلى الكوفة في بعض مراحل الطريق.

٤ - تنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه وآله:

وفي مجموعه من النصوص تصريحات من الإمام الحسين عليه السلام بصدده اختياره التوجه إلى العراق لا إلى غيره، هناك مجموعه من هذه النصوص يُصرح فيها الإمام عليه السلام بأنه إنما يخرج إلى العراق امتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد تلقى الإمام الحسين عليه السلام أمر رسول الله صلى الله عليه وآله عن طريق (الرؤيا) التي تكررت غير مره، وهي رؤيا حقه؛ لأن الرائي إماماً معصوماً عليه السلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

ص: ٨٦

---

١- (١) الإرشاد: ج ٢، ص ٧٥. تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٠٠. الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٤٢. مقتل الإمام الحسين (أبو مخنف): ص ٧٨. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٧٣، عن الإرشاد. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٢٢٤.

خلفه؛ ولأنَّ المرثى هو رسول الله صلى الله عليه وآله، والثابت في الأثر أنَّ مَنْ رآه في المنام فقد رآه (١).

فقصد الإمام الحسين عليه السلام العراق خارجاً من مكَّه: تنفيذاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، وتحقيقاً لأهدافه الناتجة عن شهادته عليه السلام.

ثمَّ إنَّ الإمامَ عليه السلام خرج بصورة علنيته، ولم يكن خروجه سرّاً، لكن قد اختار الإمام وقت السحر، لا لكونه يريد الخروج مستتراً خوفاً من مواجهه حربيته علنيته مع السَّلاطه الأمويه في مكَّه، وإنَّما لأجل ما تحمله نفسه الشَّريفه من غيره حسينيه هاشميه تأبى أن تتصَفَّح أنظارُ النَّاسِ في مكَّه حرائرَ بيت العصمه والرساله والنساء الأخریات في الركب الحسيني في حال خروج الإمام عليه السلام في وضح النهار، حيث تغصَّ مكَّه بالناس.

إنَّ هذا الأمر هو السَّبب الأقوى من بين تلك الأسباب الَّتِي دفعت الإمام عليه السلام إلى الخروج في السحر، أو في أوائل الصبح (٢)، خرجوا بذاك العزَّ الشامخ، التفت الإمام الحسين لأصحابه، وقال: «مَنْ منكم يعرف الطَّرِيقَ على غير الجادَّة؟» فقال الطَّرْمَاح: أنا يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال له الإمام: «تقدَّم أمامَ الركب» فتقدَّم وجعل يرتجز ويقول:

يا ناقتي لا تدعري من زجری واسر بنا قبلَ طلوعِ الفجرِ

بخيرِ فتیانٍ وخيرِ سفرِ آلِ رسولِ الله آلِ الفخرِ

السَّاده البيضِ الوجوهِ الزهرِ الضَّارِبِينَ بالسِّيوفِ البترِ

الطاعنين بالزَّماحِ السُّمرِ يا مالِكِ النفعِ معاً والضُّرِّ

أيدِ حُسيناً سيدي بالنصرِ على الطُّغاهِ من بقايا الكفرِ (٣)

حتَّى وصلوا كربلاء ونزلوا بها، ولسان حال العقيله زينب عليها السلام:

ص: ٨٧

١- (١) انظر: الإرشاد: ص ٢، و ص ٦٩. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٦٦. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٢١٦.

٢- (٢) انظر: كتاب الركب الحسيني: ج ٣، ص ١٣ - ص ٢٢، مع تصرّف واختصار يسيرين.

٣- (٣) بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٧٩. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٣٢٩.

طلعه بشملنه امن المدينه والناس كلهم حاسدينه

وللغاضريه من لفينه اجتنه العده ودارت عليه

والكاتبتنه اغدرت بينه وروحي بگت وله وحزينه

ناديت يا عزنه وولينه يحسين سدر بالضعينه

وشوف الجموع اگبت لينه أو ما غير قتلك رايدينه

ومن تنقتل ياهو يحمينه ناداها يختي او جرت عينه

هيها نرجع للمدينه لا بد يزيب تشوفينه

فوك الرمال امذبحينه وتيسر عزيزتنا سكينه

\*\*\*

(أبو ذيه)

نزل وبكربله خيامه نصبها ولعد الموت راياته نصبها

عليه امقدر إمن الله نصبها مصارعهم بهل التربه الزكيه

\*\*\*

الله أكبر ما أجل رزيه مضت الدهور وما مضت أيامها

يوم به وتر النبي وحيدر وبنو العواتك شيخها وعلامها

\*\*\*

إننا لله وإننا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أيُّ مُتَقَلِّبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ





أَسْبَلَتْ دَمْعَ الْعَيْنِ بِالْعِبْرَاتِ وَبَتَّ تُقَاسَى شِدَّةَ الزَّفْرَاتِ  
وَتَبْكِي عَلَى آثَارِ آلِ مُحَمَّدٍ وَقَدْ ضَاقَ مِنْكَ الصَّدْرُ بِالْحَسْرَاتِ  
أَلَا فَابُكِهِمْ حَقًّا وَأَجْرٌ عَلَيْهِمْ عُيُونًا لَرِيبِ الدَّهْرِ مُنْسِكِبَاتِ  
وَلَا تَنْسَ فِي يَوْمِ الطُّفُوفِ مُصَابِهِمْ بِدَاهِيِهِ مِنْ أَعْظَمِ النِّكَبَاتِ  
سَقَى اللَّهُ أَجْدَاثًا عَلَى طِفِّ كَرْبَلَاءِ مَرَابِعِ أَمْطَارٍ مِنَ الْمُرْنَاتِ  
وَصَلَّى عَلَى رُوحِ الْحُسَيْنِ وَجَسَمِهِ طَرِيحًا لَدَى النُّهْرَيْنِ بِالْفَلَوَاتِ  
أَأْنَسَى - وَهَذَا النَّهْرُ يَطْفُحُ - ظَامِنًا قَتِيلًا وَمَظْلُومًا بَغِيرِ تِرَاتِ  
فَقُلْ لَابْنَ سَعْدٍ - أَبْعَدَ اللَّهُ سَعْدَهُ - سَتَلْقَى عَذَابَ النَّارِ وَاللَّعْنَاتِ  
سَأَقْنُتُ طُولَ الدَّهْرِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وَأَقْنُتُ بِالْأَصَالِ وَالْغُدُواتِ  
عَلَى مَعْشَرٍ ضَلُّوا جَمِيعًا وَضَيَّعُوا مَقَالَ رَسُولِ اللَّهِ بِالشُّبُهَاتِ (١)

\*\*\*

ص: ٩١

١- (١) القصيدة لشاعر أهل البيت عليهم السلام دعبل الخزاعي و«هو دعبل بن علي بن زرير بن سليمان الخزاعي، أبو علي الشاعر المشهور، يعود نسبه إلى خزاعه إحدى قبائل اليمن الشهيرة. ولد سنة ١٤٨ هـ، أصله من الكوفة، ويقال إنه من قرقيسا، وأقام ببغداد، له كتاب طبقات الشعراء وكتاب الواحد في مثالب العرب ومناقبها، وله من الشعر الكثير حتى نقل عنه أنه قال: مكثت نحو ستين سنة ليس من يوم ذرّ شارقه إلا وأنا أقول فيه شعراً... وقد نظم في جميع فنون الشعر لكنه ضاع منه الكثير، ومن الأسباب التي أدت إلى إتلاف ديوانه أو فقده القهر والظلم اللذين لاحقته السلطه بهما للقضاء عليه واضطهاده؛ لمهاجمته الخلفاء الحكام. من أشهر قصائده تلك التي مدح فيها أهل البيت عليهم السلام هي التي تعرف بالتائيه (مدارس آيات)، ولم يبق أديب أو مؤرخ أو شاعر إلا وذكر بعضاً من أبياتها، قتل مسموماً بأيدي الظالمين في الأهواز سنة (٢٤٦)، وقد بلغ من العمر (٩٨) سنة ودفن فيها». نقلناه ملخصاً من مقدمه ديوانه بقلم ضياء حسين الأعلمي من (ص ٥ إلى ٣٠)، وهذه القصيدة من ديوانه (ص ٦٧ إلى ص ٦٨).

يجدى عزيزكم منحور نحره ولعبت خيل عدوانه على صدره

يجدى وهشمت العدوان صدره ولا مفصل بظهره موش مكسور

يجدى عزيزكم حرگوا خيامه اوظلت بالشمس تلعه اليتامه

أو ركبوا خيلهم رضوا إعظامه وضل مرمى وجسمه موذّر أوذر

يجدى لو شفت من هجمت الخيل على اخيمنه اوصار انهارنه ليل

يجدى من أمتك ما ضل لنا معين خذونه يشهرونه بالبلادين

\*\*\*

من كلمه لإمامنا الحسين عليه السلام أنه قال: «لا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت، ولا تفرح إلا بما نلت من طاعه الله، ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك له أهلاً» (١).

هذه الكلمات هي مقطع من كلمه قصيره لإمامنا سيّد الشهداء عليه السلام ينهى فيها عن ثلاث أمور:

الأمر الأول: لا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت.

والأمر الثانى: لا تفرح إلا بما نلت من طاعه الله.

والأمر الثالث: لا تتناول إلا ما رأيت نفسك له أهلاً.

أمّا الأمر الأول: فالإمام عليه السلام ينهى المؤمنين فيه أن يطلبوا من الجزاء أكثر ممّا صنعوا؛ لأنّ الإنسان إذا طلب من الجزاء أكثر ممّا صنع - سواء كان مع الله سبحانه وتعالى أم مع الإنسان المؤمن الآخر - فسيكون قد رضى عن نفسه أكثر من المطلوب، ولازم هذه الحال العجب غالباً، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن العجب وحذر منه أشدّ التحذير، حتى روى

ص: ٩٢

---

١- (١) موسوعه كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٩١٧، عن أسرار الحكماء: ص ٩٠. شرح إحقاق الحق: ج ٢٧، ص ١٩٠

عنه أنه قال: «لو لم تُذنبوا لخشيتُ عليكم ما هو أكبرُ من ذلك، العُجب العُجب»<sup>(١)</sup>، فالعُجب مَبْطُل للأعمال، حتَّى رُوِيَ عن مولانا الصّادق عليه السلام أنه قال: «أتى عالمٌ عابداً فقال له: كيفَ صلاتُك؟ فقال: مثلي يُسألُ عن صلاته، وأنا أعْبُد الله منذ كذا وكذا. فقال: فكيفَ بكأؤك؟ قال: أبكى حتَّى تجرى دموعي.

فقال له العالم: فَإِنَّ ضَحْكَكَ وَأَنْتَ خَائِفٌ أَفْضَلُ مِنْ بَكَائِكَ وَأَنْتَ مُدَلٌّ، إِنَّ الْمُدَلَ لَا يَصْعَدُ مِنْ عَمَلِهِ شَيْءٌ»<sup>(٢)</sup>.

وقال عليه السلام: «إِنَّ عيسى بن مريم عليه السلام كان من شرائعه السّيح في البلاد، فخرج في بعض سبحة ومعه رجل من أصحابه قصير، وكان كثيرَ اللزوم لعيسى عليه السلام، فلَمَّا انتهى عيسى إلى البحر قال: بِسْمِ اللَّهِ بِصَحِّهِ يَقِينٍ مِنْهُ. فمشى على ظهر الماء، فقال الرجل القصير - حين نظر إلى عيسى جازه - : بِسْمِ اللَّهِ، بِصَحِّهِ يَقِينٍ مِنْهُ، فمشى على الماء وَلِحَقَّ بعيسى عليه السلام، فدخله العُجب بنفسه، فقال: هذا عيسى روح الله يمشى على الماء وأنا أمشي فما فضله عليّ؟! قال: فرمَسَ في الماء، فاستعان بعيسى عليه السلام فتناوله من الماء فأخرجه، ثُمَّ قال له: ما قُلْتَ يا قصير؟ قال: قُلْتُ هذا روح الله يمشى على الماء وأنا أمشي، فدخلني من ذلك عُجب، فقال له عيسى: لقد وضعتَ نَفْسَكَ في غير الموضع الذي وضعك الله، فمقتك الله على ما قُلْتَ، فثُبَّ إلى الله عزَّ و جَلَّ مِمَّا قُلْتَ.

قال: فتاب الرَّجُل، وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها»<sup>(٣)</sup>.

ص: ٩٣

- ١- (١) مسند الشهاب: ج ٢، ص ٣٢، الجامع الصغير: ج ٢، ص ٤٣٨، ح ٧٤٨٨. جامع السعادات: ج ١، ص ٢٨٤. التحفة السّيئة: ص ٥٦. شرح أصول الكافي: ج ٨، ص ١٩٩.
- ٢- (٢) الكافي: ج ٢، ص ٣١٣، ح ٥. كتاب الزهد: ص ٦٣، ح ١٦٨. وسائل الشّيعه: ج ١، ص ١٠١، ح ٩. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٢٣٠، ح ٦، و ج ٦٩، ص ٣٠٧، ح ٢، عن الكافي.
- ٣- (٣) الكافي: ج ٢، ص ٣٠٦، ح ٣. قصص الأنبياء (الجزائري): ص ٤٦٣ - ٤٦٤. جامع السعادات: ج ١، ص ٢٨٦. بحار الأنوار: ج ١٤، ص ٢٥٤ - ٢٥٥، ح ٤٩، عن الكافي، و ج ٧٠، ص ٢٤٤ - ٢٤٦، ح ٢، عن الكافي أيضاً.



ولا يطلب من الجزاء أكثر مما يستحق؛ لأننا لا نستحق على الله شيء، يعنى مجرد أن الإنسان وُفِّقَ لطاعه من الطاعات لا يرى أنه استحقَّ على الله الجزاء الأوفر؛ لأنه بتوفيق من الله، فكلَّ عملٍ نعمله فى طاعه الله عزَّ وَّجَلَّ اللهُ تبارك وتعالى أعلى مراتب الشكر فيه؛ ولذلك يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «فأشكرُ عبادِك عاجزٌ عن شُكرِك» (١).

أمَّا الأمر الثانى: فالإمام عليه السلام ينهى المؤمنين فيه أن يفرحوا بالأُمور التى ينالونها فى غير طاعه الله، يعنى الفرح له قسمان: فرحٌ فى طاعه الله، وفرحٌ فى غير طاعه الله، فالإمام يقول: «ولا- تفرح إلا- بما نلتَ من طاعه الله»، يعنى: يحصر الفرح بما كان فى طاعه الله.

فالإنسان تارةً يفرح؛ لأنَّه نال طاعه من طاعات الله، وهى بعدد أنفاس الخلائق، فهذا التوفيق لحضور مجلس تعزبه على سيد الشهداء عليه السلام من أهمِّ الطاعات لله سبحانه وتعالى، التوفيق لزياره مرآة الأئمة وأولادهم عليهم السلام طاعه، ففرح المؤمن بهذه الطاعات مطلوب، وإلا فلا فرح حقيقى إذا لم يقترن بطاعه الله سبحانه وتعالى؛ ولذا يدخل رجل على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فى يوم العيد، فيقول له عليه السلام: «إنما هو عيدٌ لمن قَبِلَ اللهُ من صيامه، وشكر قيامه، وكلَّ يومٍ لا يُعصى اللهُ فيه فهو عيد» (٢)، يريد أن يبيِّن الإمام عليه السلام أنَّ حقيقة العيد ومناط الفرح فيه هو طاعه الله سبحانه وتعالى وعدم معصيته، لا أن يفرح الإنسان لأنَّه تحقَّق له مالٌ أو سكنٌ أو عملٌ، نعم، هى أُمور جيِّده لكن بهذا القيد (طاعه الله سبحانه وتعالى)، وإلا فهى بنفسها لا فائده منها، بل قد تكون وبالاً على الناس المالكين لها؛ لأنَّ هذه الأُمور مشتركة بين الطاعه وبين المعصيه، وكلَّ شىء من هذا القبيل قابل أن يكون فيه لله رضا، ويَمُكِن أن يكون فيه سخط، ولذا يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

ص: ٩٤

١- (١) الصحيفه السجديه: ص ٢٧.

٢- (٢) شرح نهج البلاغه: ج ٤، ص ٧٢١.

«المؤمن يُكتبُ مُحسناً ما دام ساكناً، فإذا تكلمَ كُتِبَ مُحسناً أو مسيئاً» (١).

الكلام هو كلام واحد، لكن يشترك بين رضا الله وبين سخطه، فقراءة الكتاب المفيد فيها أجرٌ وثواب كما إذا احتوى على فضائل أهل البيت عليهم السلام، وقراءة الكتاب المنحرف فيها إثم وعقاب، والقراءة واحده، وما شاء الله من هذه المصاديق العديده، والإمام الحسين عليه السلام في هذا المقطع يريد أن يقول: اجعل فرحك بقدر ما نلت من طاعه الله؛ لأنَّ المؤمن هو مَنْ سرته الحسنه وأسائه السيئه (٢)، فإذا أتى بطاعه من طاعات الله سبحانه وتعالى وفرح بها لأنه وفَّق لها لم يكن مأثوماً، لأنه ليس بعُجب؛ إذ هناك فرق كبير بين الفرح بطاعه الله الذي هو المطلوب، والعُجب المنهَى عنه، فالفرح أنك ترى لله عليك الفضل والامتنان في توفيقك لهذا العمل، وأنتك مازلت مُقصرٌ كلَّ التقصير أمام الله سبحانه وتعالى، ولا ترى لنفسك شيئاً، والتوفيق كُلُّه من الله سبحانه وتعالى.

أما العُجب فتري أنك قد حققت الطاعه القُصوى لله، ولا ترى أحداً أتى بما أتيت به، وكأنك الأوحدي في عبادتك لله، وهذه من وساوس الشيطان.

مثلاً: يوفَّق الإنسان لصلاه الليل، فإذا أقامها في السَّحر، ثم بعد ذلك ألحقها بخشوعٍ ومُناجاهٍ ودموعٍ ولا أحد يدري به إلا الله سبحانه وتعالى، في صباح ذلك اليوم يمشى على

ص: ٩٥

١- (١) نهج السعادة: ج ٧، ص ٣٧٦. التحفه السنيه: ص ٨٧. ونسبه إلى الإمام الصادق عليه السلام، ومثله في الكافي: ج ٢، ص ١١٦، ح ٢١، والاثان بزياده (لا يزال العبد) وفي كتاب الاعتقادات للشيخ الصدوق: ص ٦٩، رواه عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ب - (لا يزال الرجل المسلم). وفي الخصال: ص ١٥، ضمن ح ٥٢ روى المقطع الأول منه، ح ٥٣ رواه كاملاً عن الإمام الصادق عليه السلام، وكذا في ثواب الأعمال: ص ١٦٤، ص ١٧٨.

٢- (٢) ففي الكافي الشريف: ج ٢، ص ٢٣٢، ح ٦ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مَنْ سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن» ومثله في التوحيد: ص ٤٠٨، عن النبي صلى الله عليه وآله. بحار الأنوار: ج ٦٤، ص ٣٥٠، ح ٥٣، عن الكافي.

أطراف أصابعه أنه وُفق لهذه الطاعة، فماذا يريد الله منه؟! ومن مثله قد فعل ذلك؟! وأقرانه قد تفوتهم صلاة الفجر وهو في السحر مع الله وحده، لا يعلم به أقرب المقرّبين إليه، هذا هو الخطر الفضيع للمؤمن ومن مزلق الشيطان الخطره جدّاً.

الأمر الثالث: «ولا- تتناول إلا ما رأيت نفسك له أهلاً»، يعنى: إشاره خفيفه إلى قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «رَحِمَ اللهُ امرءاً عرف قدره ولم يتعدّ طوره»<sup>(١)</sup>، أى: لا- تطلب إلا- ما يُناسِبُك وما هو أهل لك وأنت أهل له، وإلا فتجلب لنفسك العار والشنار فى الحياه الدنيا، والعقوبه فى الآخره، ولذلك يُروى أنّ بهلولاً أتى يوماً إلى قصر الرشيد فرأى المسند والمُتَكأ الذى هو مكان هارون خالياً، فجلس فى مكانه لحظَةً، فرآه الخدم والحجّاب، فضربوه وسحبوه من مكان الخليفه، فلمّا خرج هارون من داخل القصر رأى بهلولاً جالساً يبكى، فسأل الخدم، فقالوا: جلس فى مكانك فضرّبناه وسحبناه، فزجرهم وعَنّفهم، وقال له: لا تبك. فقال: يا هارون، ما أبكى على حالى، ولكن أبكى على حالك، أنا جلستُ فى مكانك هذه اللحظه الواحده فضرّبونى هذا الضرب الشديداً، وأنت جالس فى هذا المكان طول عمرك فكيف يكون حالك غداً؟!<sup>(٢)</sup> يعنى: هذا المكان ينبغى أن يجلس فيه من يعدل فى الرعيه وينصف فى القضيه، ويقضى بالسويه، وأنت لست بأهل؛ لأنّ هارون السفيه لم يعرف قدره حقّ معرفته، وأعطى نفسه ما لا تستحقّ، وتناول ما لم يكن له أهل، وكانت الأحقيه لإمامنا المظلوم المسموم الإمام الكاظم عليه السلام، فعلى الإنسان أن يضع نفسه فى الموضع الذى هو أهل له، وإلا فالويل له.

ص: ٩٦

- 
- ١- (١) عيون الحكم والمواعظ: ص ٢٦١. شرح مائه كلمه لأمير المؤمنين عليه السلام: ص ٥٩. شرح نهج البلاغه: ج ١٦، ص ١١٨، المناقب (الخوارزمى): ص ٣٧٥. جواهر المطالب: ص ١٥١، ح ٦٤. الفصول المهمه فى معرفه الأئمه: ج ١، ص ٥٤١.
- ٢- (٢) مواقف الشيعة: ج ٣، ص ٢٦٠. وأنظر: شجره طوبى: ج ١، ص ٥٠.

ولهذا نرى أنّ إمامنا الحسين عليه السلام رأى نفسه أهلاً لقيادته الأئمة من الراعى يزيد، فعندما هلك معاوية، وذلك فى رجب سنة ستين للهجرة كتب يزيد بن معاوية إلى الوليد بن عتبة بن أبى سفيان بن حرب الأموى - وقد وُلّى المدينة سنة (٥٧) للهجرة أيام معاوية - يأمره بأخذ البيعة له من أهلها عامه، ومن الحسين بن على عليه السلام خاصه، ويقول له: إن أبى عليك فاضرب عنقه وابعث إلى برأسه.

فأحضر الوليد مروان بن الحكم واستشاره فى أمر الحسين عليه السلام، فقال: إنّه لا يقبل، ولو كنت مكانك لضربت عنقه، فقال الوليد: ليتنى لم أك شيئاً مذكوراً. ثمّ بعث إلى الإمام الحسين عليه السلام فجاءه فى ثلاثين رجلاً من أهل بيته ومواليه، فعنى الوليد إليه معاوية، وعرض عليه البيعة ليزيد، فقال الإمام الحسين عليه السلام: «أيها الأمير إنّ البيعة لا تكون سراً، ولكن إذا دعوت الناس غداً فادعنا معهم»، فقال مروان: لا تقبل أيها الأمير عذره، ومتى لم يبايع فاضرب عنقه.

فغضب الإمام الحسين عليه السلام ثمّ قال: «ويلى عليك يا ابن الزرقاء، أنت تأمر بضرب عنقى، كذبت والله ولؤمت» ثمّ أقبل على الوليد، فقال: «أيها الأمير إنّنا أهل بيت النبوه، ومعدن الرساله، ومختلف الملائكه، وبنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحترمه، معلن بالفسق، (ليس له هذه المنزله، يعنى: أنّه ليس أهلاً لهذا المكان) ومثلى لا يبايع مثله، (الإمام عليه السلام لم يقل وأنا لا أبايع يزيد، بل يقول: الذى هو مثلى فى الأهداف والمبدأ لا يبايع الذى يحمل ما يحمله يزيد إلى يوم القيامة، غير مختص فى زمانٍ أو مكانٍ مُحدّد) ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافه والبيعه» (١)، وبالفعل فإنّ الإمام الحسين عليه السلام انتظر ذلك اليوم الذى رفع فيه شعار لا إله إلاّ الله،

ص: ٩٧

---

١- (١) انظر: مشير الأحزان: ص ١٣ - ص ١٤. الإرشاد: ج ٢، ص ٣٢ - ص ٣٣. اللهوف: ص ١٦ - ص ١٧. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٣ - ص ٣٢٥. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ١٧٣ - ص ١٧٤.

وهيهات منا الذله، ولكنها كلمه احتاجت دماء تفديها لئلا تخمد، فقدم القربان تلو القربان، والعزير تلو العزيز إلى أن وصل الأمر إليه فشاء الله أن يراه قتيلاً.

يقول الراوى: والله لا أنسى زينب بنت عليّ وهى تندب أباها الحسين، وتنادى بصوت حزينٍ وقلبٍ كئيبٍ: «يا مُحَمَّداه، يا رسولَ الله، صلّى عليك مَلِيكُ السَّماءِ، هذا حُسَيْنُكَ مُرْمَلٌ بالدماءِ، مقطَّعُ الأَعْضاءِ، وبناتُكَ سبائاً، إلى الله المشتكى وإلى مُحَمَّدٍ المصْطَفى وإلى عليّ المرتضى وإلى فاطمة الزهراء وإلى حمزة سَيِّدِ الشُّهداءِ، يا مُحَمَّداه، هذا حسين بالعراء، تسفى عليه ريحُ الصَّبا، وا حُزنه، وا كرباه عليك يا أبا عبد الله، اليوم مات جدّى رسولُ الله صلى الله عليه وآله» (١).

ولسان حال سيّد الشهداء عليه السلام لأخته زينب عليها السلام:

خويه هالترابه أحرگت خدى خويه والعطش ذوبه الجبدى

خويه والشَّمس زِيدت وجدى فيلى بردن ثوبچ عن الحرّ

صوره لزينب عليها السلام عندما نظرت فرأت أباها الحسين عليه السلام على وجه الأرض يقبض يميناً ويسط شَمالاً، والدم يسيل من جراحاته كالميزاب، فرمت بنفسها على جسده الشريف:

هوت فوگه تصيح ابصوت يحسين عليك أمك يخويه ديرلى العين

ونّ وصاح يا زينب اشتردين كسرت الكلب منى وزدتى الهَمّ

ص: ٩٨

---

١- (١) انظر: اللهوف: ص ٧٨، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٥٨. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٣٠٣.

ردی الخیمتچ لمی اطفالی او عکب عینای عینچ علی اعیالی

یخویه الشمر هالموجب اگبالی دشوفیه علی چتلی اشلون مهتم

یخویه بیش اضمکک وین اودییک یخویه اشلون اصد عنکک وخلیک

ترانی اتحیرت یا مهجتی بییک یخویه بیش اضللك عن الحر

\*\*\*

قُتِلَ الْحُسَيْنَ يَا لَهَا مِنْ نَكْبِهِ عَمَّتْ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

ص: ۹۹



## المحاضره الثامنه: فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ص: ١٠١





رَحَلُوا وَمَا رَحَلُوا أَهِيْلُ وَدَادِي إِلَّا بِحُسْنِ تَصَبُّرِي وَفُؤَادِي  
سَارُوا وَلَكِنْ خَلَّفُونِي بَعْدَهُمْ حُزْنًا أَصَوَّبُ الدَّمْعَ صَوَّبَ عِهَادِي  
وَسَرْتُ بِقَلْبِي الْمُسْتَهَامِ رِكَابُهُمْ تَعَلُّوا بِهِمْ جَبَلًا وَتَهَبُّطُ وَادِي  
وَخَلْتُ مَنَازِلَهُمْ فَهَا هِيَ بَعْدَهُمْ قَفْرِي وَمَا فِيهَا سِوَى الْأَوْلَادِ  
وَلَقَدْ وَقَفْتُ بِهَا وَقُوفَ مُوَلِّهِ وَبِمُهْجَتِي لِلْوَجْدِ قَدْحُ زَنَادِ  
أَبْكِي بِهَا طَوْرًا لِفِرْطِ صَبَابَتِي وَأَصِيحُ فِيهَا تَارَةً وَأُنَادِي  
يَا دَارُ أَيْنَ مَضَى ذُووَكِ أَمَا لَهُمْ بَعْدَ التَّرْحُلِ عِنكَ يَوْمَ مَعَادِ  
يَا دَارُ قَدْ ذَكَرْتَنِي بِعِرَاصِكَ أَلِ قَفْرِي عِرَاصَ بَنِي النَّبِيِّ الْهَادِي  
لَمَّا سَرَى عَنْهَا ابْنُ بِنْتِ مُحَمَّدٍ بِالْأَهْلِ وَالْأَصْحَابِ وَالْأَوْلَادِ  
بَقِيَتْ عَلَيْهِ تَنَوُّحُ بَعُولِهِ وَتَقُولُ ذَابَ مِنَ الْفِرَاقِ فُؤَادِي(١)

ص: ١٠٣

١- (١) القصيدة للسيد مهدي الأعرجي رحمه الله باستثناء البيت الأخير، فإنه لأستاذنا الخطيب الأديب الشيخ محسن الفاضلي (حفظه الله). قال السيد جواد شبر رحمه الله في أدب الطف: «السيد مهدي الأعرجي بن السيد راضي بن السيد حسين بن السيد علي الحسيني الأعرجي البغدادي، ولد السيد مهدي في النجف الأشرف سنة (١٣٢٢ هـ)، درس فن الخطابة على يد خاله الخطيب الشهير الشيخ قاسم الحلبي، زاول نظم الشعر وعمره أربعة عشر سنة، وأول قصيده نظمها هي قصيده في رثاء الإمام الحسن السبط عليه السلام: قضى الزكي فنوحوا يا محبيه وابكوا عليه فذى الأملاك تبكيه درس العربيه والعروض على يد العلامة الكبير شيخ الأدب السيد رضا الهندي رحمه الله، توفي السيد مهدي سنة (١٣٥٩ هـ ق) غريقاً بشطّ الفرات في الحلة يوم الخامس من شهر رجب، جمع ديوانه شقيقه الخطيب السيد حبيب. وللسيد الأعرجي ظرف وخفّه روح بالرغم من الجهمه التي لا تفارق محياه، فلا تكاد تفوته النادره والنكته. وأمّا ولاؤه لأهل البيت وتفانيه في حبهم فهو من ألمع ميزاته، ولا زلت أتمثله في المآتم الحسينيه يجهش بالبكاء وقد أفنى عمره في خدمه المنبر الحسيني». أدب الطف: ج ٩، ص ١٩٣ - ص ١٩٨.

سار احسین وأمسہ الحرم مغبر یویلی والمدینہ صُفَّتْ تصفیر

طلعوا آل ہاشم عن وطنہم اوظل خالی حرم جدہم بعدہم

ساروا لیلہم وأبعد ظعنہم اولن صوت العلیلہ ابکلب محتر

دریضوا هنا یهلنہ للعلیلہ یهلنہ افراگکم ما لیش حیلہ

یهلنہ بعدکم ما نام لیلہ اوعینی من بعدکم دوم تسهر

یهلنہ خلوا الطفل باللہ یضل عندی اوروحوا اوداعہ اللہ

یهلنہ من المرض کلبی تگلہ یهلنا خلوا اخویہ الطفل واسدر

نادی احسین یا فاطم دردی بیویہ للمدینہ وطن جدی

لودیلج علی ابنی اوچبدی اولا بد ما یجی یمچ امخبر

ردت للمدینہ اوسار أبوها اوظلت ترتقب عمها وأخوها

ظنت فاطمہ لنہم یجوہا أخوها والبطل عمها المشکر

\*\*\*

قال اللہ تعالیٰ فی مُحکم کتابہ الکریم: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ۱ .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروع الدين التي لا تقل أهميته عن غيرها من الفروع كالصلاه وغيرها، وقد حثَّ اللہ سبحانه وتعالیٰ علی هذه الفريضه العظیمه فی آیات عديده، منها هذه الآيه وآيات أخرى، مثل قوله تعالیٰ: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَيَّاتِ الْقُرْآنِيَةِ الْمُبَارَكَةِ. وقد أكد النبي صلى الله عليه وآله على هذه الفريضة العظيمة في أكثر من حديث، فقد قال صلى الله عليه وآله: «لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر...» (١).

وكذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من ترك إنكار المنكر بقلبه ويده ولسانه فهو ميت بين الأحياء» (٢).

وكذلك قد حث الأئمة عليهم السلام على هذه الفريضة، ومن بعد الأئمة جاء دور ممثلي الأئمة، ألا وهم الفقهاء، فقد اهتموا بهذه الفريضة اهتماماً بالغاً، وعقدوا لها باباً خاصاً في كتبهم، واستدلوا على وجوبها بالنص القطعي من القرآن الكريم والروايات الشريفة، وبإجماع المسلمين، وضروره الدين، تماماً كالصلاة والصوم، بل قال بعض فقهاءنا: إن وجوبه ثابت بالعقل، لا بالسمع، وأن النص الثابت في الكتاب يرشد إلى حكم العقل ويؤكدده، بحيث نحكم بالوجوب، حتى ولو لم يرد نص به من الشارع.

نعم، اختلف الفقهاء في أنه هل يجب عيناً، بمعنى: أنه كالصلاة اليومية لا يُبدَّ على كل إنسان أن يأتي به؟ أو كفايةً، بمعنى: أنه يسقط عن الجميع بفعل البعض كالصلاة على الميت؟ ذهب بعض الفقهاء إلى الأول وبعض إلى الثاني (٣).

ومنشأ اختلافهم - في أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هل هما واجبان عيناً أو كفاية - في تفسير (من) في الآية المذكورة في صدر الكلام، فمنهم من قال إنها تبعيضية، أي: ولتكن منكم بعض الأئمة؛ لأن الإنسان عندما يقول - مثلاً -: قرأت من الكتاب،

ص: ١٠٥

١- (٢) تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٨١، ح ٢٢. مشكاة الأنوار: ص ١٠٥. بحار الأنوار: ج ٩٧، ص ٩٤.

٢- (٣) المقنعه: ص ٨٠٨ - ص ٨٠٩. تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٨١، ح ٢٣. وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ١٣٢، ح ٤. مشكاة الأنوار: ص ١٠٥. بحار الأنوار: ج ٩٧، ص ٩٤.

٣- (٤) انظر: فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ج ٢، ص ٢٨٣.

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

شراف حتى انتصف النهار، بينما هم يسرون إذ كبر رجل من أصحابه، فقال له الإمام الحسين عليه السلام: «الله أكبر، لِمَ كبرت؟» قال: سيدي رأيت النخل. فقال له رجل من أصحابه: ما رأينا في هذا المكان نخلة واحدة. فقال الحسين عليه السلام: «وما ترون؟» قالوا: والله، لا نرى إلا أسنّة الرّماح وآذان الخيل. فقال عليه السلام: «وأنا والله أرى ذلك»، ثمّ قال عليه السلام: «ما لنا ملجأ نلجىء إليه ونجعله خلفَ ظهورنا ونستقبل القوم بوجه واحد؟» قالوا: بلى، هذا ذو حُسمٍ إلى جنبك، فمل إليه عن يسارك. فأخذ ذات اليسار.

قال: فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادى الخيل، كأنّ أسنتهم اليعاسيب، وكأنّ راياتهم أجنحة الطير، فأمر الإمام الحسين عليه السلام بالأبنية فضربت، وجاء القوم زهاء ألف فارس، يتقدمهم الحرّ بن يزيد الرياحي وكان مجيئه من القادسيه، فنزل حذاء الإمام الحسين عليه السلام في حرّ الظهره، والإمام الحسين وأصحابه جالسين مُتقلدى أسياهم.

فقال الإمام الحسين عليه السلام لفتيانه: «اسقوا القوم واروهم من الماء، ورشّوا الخيل ترشيفاً» فأقبلوا يملثون القصاع والطساس، ثمّ يدنونها من الفرس حتى أسقوهم عن آخرهم.

قال الراوى: وما زال الحرّ مخالفاً للحسين عليه السلام حتى حضر وقت صلاة الظهر فأمر الحسين عليه السلام بالأذان، فأذن، ثمّ خرج الإمام الحسين عليه السلام والتفت إلى الحرّ، وقال: «أتصلى بأصحابك؟»

فقال الحرّ: كلاً، بل تُصلى ونُصلى بصلاتك، فصلّى الإمام الحسين عليه السلام فلما فرغ من صلاته أقبل عليه بوجهه، فحَمِدَ الله وأثنى عليه، وذكر النبيّ فصلّى عليه، ثمّ قال: «أيّها الناس، إنّي لم آتكم حتى أتتني كُتُبكم، وقدمت على رُسُلكم، فإن كنتم لُقدومى كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جنّت منه».

فقال الحرّ: أنا والله، لا أدري ما هذه الكتب والرُّسل! فصاح الإمام الحسين عليه السلام



برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

سأَمْضَى وَمَا بِالْمَوْتِ عَارٌّ عَلِ الْفَتَى إِذَا مَا نَوَى حَقًّا وَجَاهِدَ مُسْلِمًا

وَوَاسَى الرَّجَالَ الصَّالِحِينَ بِنَفْسِهِ وَفَارَقَ مَثُورًا وَوَدَّعَ مُجْرَمًا

فَإِنْ عَشْتُ لَمْ أُنْدَمْ وَإِنْ مُتُّ لَمْ أُذَمَّ كَفَى بَكَ ذُلًّا أَنْ تَعِيشَ وَتُرْغَمًا

قال: فلما رأى امتناع الحسين عليه السلام سكت وجعل يسايره، فلما أصبح الصبح نزل وصلى، ثم عجل بالركوب، فأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرقهم حتى انتهوا إلى نينوى(١). ويروى أن الإمام الحسين عليه السلام قال لأصحابه: «مَن مِنكُمْ يَعْرِفُ الطَّرِيقَ؟» فقال الطرمّاح(٢): أنا يا ابن رسول الله، فقال له الحسين عليه السلام: «تقدّم»، فتقدّم الطرمّاح أمام الركب، وجعل يرتجز ويقول:

يَا نَاقَتِي لَا تَدْعُرِي مِنْ زَجْرِي وَاسْرِي بِنَا قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ(٣)

فسارت ضعيفه الإمام الحسين عليه السلام على هذه الحالة، وقد حفّتها بنو هاشم وأصحابه الصّفوف والطرّماح يحدو بها، ولكنها يوم خرجت من كربلاء حفّت بها الأعداء من كلّ جانب، وسارت على حاله يحدو بها شمّر بن ذى الجوشن وزجر بن قيس:

أَيْسُوقُهَا زَجْرٌ بَضْرِبٍ مُتُونِهَا وَالشَّمْرُ يَحْدُوهَا بِسَبِّ أَيْيَهَا

ص: ١١١

---

١- (١) انظر: الإرشاد: ج ٢، ص ٧٦ - ص ٨٣. تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٠٢ - ص ٣٠٨. الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٤٦. مقتل الإمام الحسين عليه السلام (أبو مخنف): ص ٨١ - ص ٩٣. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٧٥ - ص ٣٨٠. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٢٢٥ - ص ٢٣٠.

٢- (٢) قال عنه السيد الخوئي رحمه الله في كتابه القيم معجم رجال الحديث: ج ١٠، ص ١٧٥، رقم (٦٠١٣): «الطرمّاح بن عدّى: عدّى الشيخ تارة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قائلًا: رسوله إلى معاويه، وأخرى من أصحاب الحسين عليه السلام».

٣- (٣) انظر: بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٧٨.

وزينب تخاطب أباها بلسان الحال:

وَدَعْتِكَ اللهُ يَا عَيْونِي يردون عَنْكَ ياخذونِي

اوزجر اوخولّه اليبارونِي للكوفه أنووا يمشُونِي

نخيت إخوتي اولا جاوبونِي وابغضب عنكم فارگونِي

كطعت الرّجّه اوخابت اظنونِي

وكأنِّي بِها توجّهت إلى جِهه العلقمِي، وخاطبت الجمال أَيامَ رجوعِها من السّبي:

يجمالُ مُرّ بينا اعلى عباس اخونه العجيد اليرفع الراس

نكله تراهم گوم الأرجاس خذونه اوعلينه الشّمّر حرّاس

تتفرج على أحوالنا النّاس

\*\*\*

هذه زينبُ ومن قَبْلُ كانت بحمي دارها تُحطُّ الرحالُ

إِنَّا اللهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

ص: ١١٢





ولقد وقفتُ فما وقفنَ مَدَامعى فى دار زینبِ بل وقفنَ ربابا

وذكرتُ حينَ رأيتها مهجورَةً فيها العُرابُ يُردُّدُ التنعابا

أبياتِ آلِ مُحَمَّدٍ لَمَّا سَرى عنها ابنُ فاطمِه فُعَدنَ يبابا

ونحا العراقَ بفتيةٍ من غالبِ كُلِّ تراهُ المُدرَكِ الغلابا

صيدُ إذا شَبَّ الهياجُ وشابتِ الأرضُ الدما والطفلُ رُعباً شابا

ركزوا قناهم فى صُدورِ عداهمُ وليضِهم جعلوا الرقابَ قِرابا

وجدوا الردى من دُونِ آلِ مُحَمَّدٍ عَذباً وبعدهمُ الحياهُ عذابا

ودعاهمُ داعى القِضاءِ وكلَّهمُ ندبُ إذ الداعى دعاهُ أجابا

فهوى على عُفْرِ الترابِ وإنما ضمُّوا هناك الخرد الأترابا

ونأوا عن الأعداءِ وارتحلوا إلى دارِ النعيمِ وجاوروا الأحبابا(١)

ص: ١١٥

١- (١) الأبيات للسيد رضا الهندي رحمه الله. قال عنه السيد جواد شبر رحمه الله فى أدب الطف: ج ٩، ص ٢٤٢ - ص ٢٥٥: «السيد رضا الهندي شيخ الأدب فى العراق، والعالم الجليل المؤرِّخ، والباحث الشهير، وهو ابن السيد محمَّد ابن السيد هاشم الموسوى الهندي. وُلد قدس سرّه فى الثامن من شهر ذى القعدة سنة (١٢٩٠ هـ)، وهاجر إلى سامراء بهجره أبيه سنة (١٢٩٨ هـ) حين اجتاحت النجف وباء الطاعون، وكان خامس إخوته الستة، ومكث يواصل دروسه فى سامراء، وكان موضع عنايه من آيه الله المجدد الشيرازى؛ لذكائه وسرعه البديهة وسعه الأطلاع، وفى النجف واصل جهوده العلمية على أساطين العلم حتى نال درجة الاجتهاد... مؤلفاته: الميزان العادل بين الحقِّ والباطل فى الردِّ على الكتابيين (مطبوع)، وبلغه الراحل فى الأخلاق والمعتقدات، والواقى فى شرح الكافى فى العروض والقوافى، سبيكه المسجد فى التأريخ بأبجد (وقد فُقد)، وشرح غايه الإيجاز فى الفقه. أمَّا الرائعة التى ختم بها حياته وطلب أن تكون معه فى قبره فهى هذه القطعة الوعظية: أرى عُمرى مؤذنا بالذهابتمُّ لياليه مرَّ السَّحاب وتفجأنى بيض أيامهفتسلخُ منى سواد الشَّباب كانت وفاته بالمشخاب فجأه بالسكته القلبيه، وذلك بعد ظهر يوم الأربعاء ٢٢ جمادى الأولى سنة (١٣٦٢ هـ) المصادف (٢٦ مارس سنة ١٩٤٣ م)، وحُمل جثمانه على الأعناق إلى قضاء أبى صخير فى النجف فى صبيحه اليوم الثانى، وكان يوماً مشهوداً حتى دفن بمقبره الأسره الخاصه، وأقام زعيم الحوزه الدينيه السيد أبو الحسن [الأصفهانى] الفاتحه على روحه فى مسجد الشيخ الأنصارى بالقرب من دار الفقيه...».

(فائزى)

طَوَّحَ الحادى والظعن هاج ابحنينه اوزينب تنادى سفره الكشره عليه  
صاحت ابكافلها شديد العزم والباس شمّر اردانك وانشر البيرخ يعباس  
چنى أعاينها مُصيبه اتشيب الراس ما ظنتى نرجع ابجمعتنه المدينه  
كلها يزينب هاج عزى لا تنخين ما دام أنه موجود يختى ما تدلين

\*\*\*

(أبو ذيه)

يناعى حيل صيح بصوت وليان يحيدر يا مطوع الأنس واليان(١)

تره زينب بگت من غير وليان تحشم وينكم يهل الحميه

\*\*\*

رَوَى عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: «إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَتَلَكَ عِبَادَةُ التَّجَارِ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتَلَكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا فَتَلَكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ وَهِيَ أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ»(٢).

من عيون الأحاديث والروايات المروية عن أهل البيت عليهم السلام هذا الحديث، وهذه

ص: ١١٦

١- (١) المقصود هنا (الجان).

٢- (٢) تحف العقول: ص ٢٤٦، عنه بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١١٧، ح ٥.

الروايه الشّريفه، والتي ورد مضمونها عن أكثر من إمام معصوم، فقد ورد مضمونها في النهج الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام ولعلّه نصّها حيث روى عنه عليه السلام أنّه قال: «إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً...»<sup>(١)</sup> لكن من دون ذكر (وهي أفضل العباده) ومع تغيير (شكراً) ب (حُبّاً).

وورد عن الإمام الصّادق عليه السلام أيضاً، لكن جاء فيه: «العباد ثلاثه: قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً، فتلك عباده العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلباً للثواب، فتلك عباده الأجراء، وقوم عبدوا الله عزّ وجلّ حُبّاً له، فتلك عباده الأحرار، وهي أفضل العباده»<sup>(٢)</sup> وهو يشابه ما في النهج.

والروايه معتبره - كما عبّر بعض المحقّقين عنها - أو ضعيفه كما عن بعض آخر<sup>(٣)</sup>.

ولعلّها تختلف باختلاف سندها المروي عن المعصوم عليه السلام، فكما ذكرنا أنّها زويت عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تاره، وعن الإمام الحسين عليه السلام أخرى، وعن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام ثالثه. ويمكن أن تكون مرويه عن غيرهم عليهم السلام من الأئمّه (صلوات الله عليهم أجمعين) فكلامهم واحد، كما أنّ نورهم نور جدّهم المصطفى صلى الله عليه وآله.

ولو تأملنا في الروايه الشّريفه التي صدرنا بها المجلس نجد أنّ الإمام الحسين عليه السلام حصر العباده التي يترتب عليها الثواب والكرامه إجمالاً بثلاثه أقسام، وأمّا غيرها من الأقسام، مثل: عباده المرائي ونحوها فليست بعباده حتّى تدخل في المقسم<sup>(٤)</sup>.

ثمّ إنّ الملفت للنظر أنّ التعابير في الروايات الثلاث المتقدّمه، أعني: ما روى عن ا

ص: ١١٧

١- (١) نهج البلاغه: ج ٤، ص ٥٣، رقم: ٢٣٧.

٢- (٢) الكافي: ج ٢، ص ٨٤ ح ٥، عنه وسائل الشيعه: ج ١، ص ٦٢. بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٢٣٦.

٣- (٣) مستند الشيعه: ج ٢، ص ٥٠.

٤- (٤) انظر: شرح أصول الكافي: ج ٨، ص ٢٦٣. بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٢٥٥.



لإمام الحسين عليه السلام، وعن الإمامين أمير المؤمنين والصادق عليهما السلام عبرت بالشكر تارةً وبالحبّ أخرى بالنسبة لعباده الأحرار والتي هي أفضل العباد، فما هو الوجه في هذا الاختلاف؟

والجواب: إنّ الاختلاف لفظي وليس معنوي حقيقي؛ «فإنّ الشكر وضع الشيء المنعم به في محله، والعبادة شكرها أن تكون لله العبد يستحقها لذاته، فيعبد الله؛ لأنه الله، أي: لأنه مستجمع لجميع صفات الجمال والجلال بذاته، فهو الجميل بذاته المحبوب لذاته، فليس الحبّ إلّا الميل إلى الجمال والانجذاب نحوه، فقولنا فيه تعالى: هو معبود لأنه هو، وهو معبود لأنه جميل محبوب، وهو معبود لأنه مشكور بالعبادة، يرجع جميعها إلى معنّى واحد»<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن نقسم العباد والعبيد المقيمين لها إلى أقسام ثلاثة:

القسم الأول (عبادة التجار): وهو نفس ما روى بلفظ (عبادة الأجراء)؛ فإنّ الأجراء يعبدون للثواب، كما أنّ الأجير يعمل للأجر، وهكذا التاجر يعمل للمال. وهذا القسم هو من المراتب الدنيا بالنسبة للأقسام الثلاثة؛ لحصول الضميمة في القربة له تبارك وتعالى. وأمثله عديده في الفقه، كضمّ تبه الحميه إلى الصوم، أو التبريد إلى الوضوء، والاشتغال بالصلاة لأجل تقوية البدن وغير ذلك، كما هو مذكور في محله، وقد اختلف الفقهاء في ذلك اختلافاً كبيراً، وأنّه هل تضرّ الضميمة المباحه مع الضميمة بالتقرّب إلى الله تعالى؟

ذهب الكثير منهم للقول بالبطلان.

قال الشيخ البهائي في محكي البحار عنه قدّس سرّه: ذهب كثير من علماء الخاصّه والعامّه إلى بطلان العباده إذا قصد بفعلها تحصيل الثواب، أو الخلاص من العقاب، وقالوا: إنّ هذا القصد مناف للإخلاص الذي هو إرادته وجه الله وحده، وأنّ من قصد ذلك فإنّه قصد جلب النفع إلى نفسه، ودفع الضرر عنها، لا وجه الله سبحانه، كما أنّ من عظم شخصاً أو

ص: ١١٨

أثنى عليه طمعاً في ماله، أو خوفاً من إهانتة لا يُعدّ مخلصاً في ذلك التعظيم والثناء(١).

ويمكن للقائل بالصحة بأن يستدلّ بدليلين:

الأول: بالآيات المباركة التي مدحت وحّثت على طلب الثواب والخوف منه تبارك وتعالى، حيث يقول عزّ وجلّ: (كأنوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) ٢ أي: للرجبة في الثواب والرهبة من العقاب، وقوله تعالى: (وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا) ٣/

والثاني: نفس الرواية التي صدرنا بها المجلس، حيث عبّرت بأفضليته عباده الأحرار على قسيميها، وهذا ما يدلّ على المشاركة والزيادة؛ إذ العبادة على الوجهين لا تخلو من فضل فتكون صحيحة، وهو المطلوب(٢).

ويؤيّد ما روى عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً، حيث قال: «مَنْ بَلَغَهُ ثَوَابٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عَمَلٍ فَعَمِلَ ذَلِكَ الْعَمَلِ التَّمَّاسَ ذَلِكَ الثَّوَابُ أَوْ تَيْهٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْحَدِيثُ كَمَا بَلَغَهُ»(٣)، فإنّ التعبير بالالتماس - المقصود منه رجاءٌ للثواب وطمعاً فيه، وأنّ الله تبارك وتعالى يعطى ذلك العبد مئاه وما أمّله ورجاه - لدليل على جوازه وصحة العبادة المأتي بها.

القسم الثاني (عبادة العبيد): وهي العبادة الناشئة من خوف الله تبارك وتعالى تشبيهاً لصاحبها بالعبد الذي يطيع مولاه لا لأجل شيء، بل لكونه خائفاً ومرهوباً منه، فعبادة العبيد الحقيقيين مع المولى عزّ وجلّ إذا كانت لأجل التخلص من النار والعذاب الذي ينتظر العاصي له تبارك وتعالى، فهكذا عبادة تُسمّى عبادة العبيد، وهي مع الأولى ليستا من العبادات التي فيها تمام الفضل والكمال.

ص: ١١٩

١- (١) انظر: بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٢٣٤.

٢- (٢) انظر: بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٢٣٥ - ص ٢٣٦.

٣- (٣) شرح أصول الكافي: ج ١، ص ٢٥٤.

ولعلَّ العبادة بهذه الأقسام الثلاثة تختلف باختلاف نفس العباد، فبعضهم يعبد الله تبارك وتعالى لأجل الثواب فقط، كمن يتقرب بالنوافل مثلاً. وبعضهم للتخلص من العقاب وما سببته من ثواب الطاعة، كما هو حال الكثير من بنى آدم الذين يمثلون الصيالة والصوم لا- لأجل الثواب، بل خوفاً من استحقاق العقاب، والبعض الثالث يعبدون الله تبارك وتعالى لا لأجل طلب الثواب ولا لخوف العقاب، وإنما هو الشوق الإلهي المذى حدا بهم نحوه تبارك وتعالى، والحب المذى أخذ بقلوبهم، كما روى ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول في بعض مناجاته: «ما عبدتُك خوفاً من نارِك، ولا طمعاً في جنتِك، لكن وجدتُك أهلاً للعبادة فعبدتُك» (١).

وهي من أرفع الدرجات والمقامات، وهي القسم الثالث في الحديث الذي صدرنا به الكلام.

القسم الثالث (عبادة الأحرار): وهي عبادة الله تبارك وتعالى وطاعته له لا لأجل الثواب ولا لخوف العقاب وإنما حباً له تعالى، وشكراً على ما أنعم به على عبده.

وقد ضرب لنا في ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله المثل الأعلى في عبادته شكراً لله تعالى، فقد حُكي عن الاحتجاج أنه روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أن يهودياً قال له: إن داود عليه السلام بكى على خطيئته حتى سارت الجبال معه لخوفه. قال له عليّ عليه السلام: «لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله أعطى ما هو أفضل من هذا!؛ إنه كان إذا قام إلى الصلاة سَمِعَ لصدرة أزيز كأزيز المرجل على الأثافي (٢) من شدة البكاء، وقد آمنه الله عزّ وجلّ من عقابه فأراد أن يتخسّع لربّه ببيكائه، ويكون إماماً لمن اقتدى به، وقد قام صلى الله عليه وآله عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورمت قدماه

ص: ١٢٠

١- (١) مرآة العقول: ج ١٠، ص ١٠١.

٢- (٢) المرجل: هو قدر من نحاس. انظر: كتاب العين: ج ٦، ص ٢٠٨. والأثافي هي الحجارة التي تُنصب وتُجعل القدر عليها. انظر: لسان العرب: ج ٩، ص ٣.

واصفرَّ وجهه، يقوم الليل أجمع حتى عُتِبَ في ذلك، فقال الله عزَّ وجلَّ: (طه \* ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) (١) بل لتسعدَ به، ولقد كان يبكى حتى يُغشى عليه، فقيل له: يا رسول الله، أليس الله عزَّ وجلَّ قد غفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ قال: بلى، أفلا أكون عبداً شكوراً؟» (٢).

فكانت عبادته صلى الله عليه وآله وعباده أهل بيته عليهم السلام الغالب فيها الشكر والحبُّ للبارى عزَّ وجلَّ، فالعلاقة بينهم عليهم السلام وبين خالقهم علاقة المودَّة والولاء.

والداعي لعباده الشَّاكرين هو وجود النعم الكثيره من الخالق الكريم، حيث خلق كلَّ شيءٍ للإنسان من دون أن يحتاج منه إلى شيءٍ إلا شكره وطاعته.

ومن هنا ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «... ولو لم يخوف الله الناسَ بجنِّه ونارٍ لكان الواجب عليهم أن يُطيعوه ولا يعصوه؛ لتفضله عليهم، وإحسانه إليهم» (٣).

فعبادة الشَّاكرين والمحبِّين - والتي هي أفضل الأقسام الثلاثة - تجعل العابد ليس له غاية إلا رضا المحبوب، فكلَّ همِّه هو إرضاء مَنْ يُحبُّ ولو جرى عليه ما جرى من أنواع البلاء والعذاب، فقلبه متوجِّه إلى الحبيب ولا يريد شيئاً منه سوى أن يكون راضياً عنه.

وبهذه العبادة يصير الإنسان أعبد أهل الأرض، كما روى ذلك عن نبي الله يونس (على نبينا وآله وعليه السلام) أنه قال لجبرائيل عليه السلام: «دلني على أعبد أهل الأرض» فدله على رَجُلٍ قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعته، وهو يقول: «إلهي متعتني بها ما شئت، وسلبتني ما شئت، وأبقيت لي فيك الأمل، يا برُّ يا وصول» (٤).

ص: ١٢١

١- (١) طه: آية ١.

٢- (٢) تفسير البرهان: ج ٥، ص ١٥٥ - ص ١٥٦، عن الاحتجاج: ص ٢١٩.

٣- (٣) عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٩٣، ضمن حديث: ٤، عنه بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ١٧٤، ح ١٠، ج ٧٠، ص ٣٥٣، ح ٥٥.

٤- (٤) مُسكِّن الفؤاد: ص ٨٧. بحار الأنوار: ج ٧٩، ص ١٥٣.

لأنَّ ذلك كان في الله فهان عليه الخطب، وسهل عليه الأمر، وصار أعبد أهل الأرض على حدِّ تعبير الخبر.

فكلَّ ما يصيب عباد الله تبارك وتعالى يكون من نعم الله عليهم، فهكذا هو ديدن العباد الذين يعبدون الله تبارك وتعالى حبًّا وشكرًا له عزَّ وجلَّ.

ولذا لمَّا وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء وحطَّ رحله الشَّريف فيها في أيام مُحرَّم الحرام، وأحاط به الآلاف من أعداء الدِّين إلى أن وصل اليوم المحتوم وهو ينظر إليهم، كان يبكي على المصير الذي ينتظرهم، وفي بعض المنازل التي مرَّ بها عليه السلام قال هذه الكلمه: «هَوْنٌ ما نزل بي أنه بعين الله» (١).

أى: أن الله تبارك وتعالى يرى بعينه ما يجرى علينا ويصيبنا، فحَبَّبَ لله وشكرى له يوجب لى أن أقدم كُلَّ ما يريدته تعالى من طاعه وعباده.

وعندما سأل مُحَمَّدُ بن الحنفية الإمام الحسين عليه السلام عن سبب خروجه وخروج السبايا معه، أجاب عليه السلام: «أتانى رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك، فقال: يا حسين، اخرج، فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً»، قال: ما معنى حملك هذه النسوة معك؟ قال: «إنَّ الله قد شاء أن يراهنَّ سبايا» (٢).

ولمَّا جاء الملائكة لينصروه لم يأذن لهم، وقال: «نحن أقدر منكم على هلاكهم»، ولم يظهر منه وهنٌ ولا خوف ولا استكانه، بل العدى ظهر منه عليه السلام الشدَّة فى قتالهم، والسيرور بقاء ربِّه عزَّ وجلَّ، والتشجيع لأصحابه عند لقاءهم عدوهم، وأمره لهم بالصبر هنيئاً حتى

ص: ١٢٢

١- (١) بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٤٦.

٢- (٢) اللهوف فى قتلى الطفوف: ص ٤٠. المُحتضر: ص ٨٢. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٦٤. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٢١٤.

يشربوا من حوض الرسول صلى الله عليه وآله (١).

وقد كان يقول لأولئك النسوة: «قد شاء الله أن يراني قتيلاً- مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي ونسائي مُشرّدين وأطفالي مذبوحين مأسورين مظلومين مُقيّدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرًا ولا معينًا».

وكانني بزئيب عليها السلام:

وا ذبيحاً من قفاه بالحُسام الباتر وا طريحاً بعراه ما له من ساتر

وا كسيراً أضلعاه بصليب الحافر وا رضيعاً قدماه والطوى والمنكبين

يا أخى قد كُنتَ تاجاً للمعالي والرؤوسِ مقرباً للضيفِ والسيفِ نفيساً ونفوس

كيف أضحى جسمك السامى له الخيل تدوس بعد ما داست على هام الشهى بالقدمين

حطّم الحزنُ فؤادى لحطيم فى الصفا ولهيف القلب صاِدٍ وذبيحٍ من قفا

ولعادٍ فى وهادٍ فوقه الشافى سفا صدره والظهر فيه أصبحا منخسفين (٢).

ص: ١٢٣

---

١- (١) انظر: المحتضر: ص ٤١.

٢- (٢) هذه الأبيات من الملحمة الرائعة للمرحوم الشيخ حسن الدمستاني رحمه الله. انظر: رياض المدح والرثاء: ص ٦١٣ - ص ٦٢٧.

وبلسان الحال:

والله امحيره ظليت يحسين ابها الأطفال خويه او هلنساوين

دليني أنطى الوجه لاوين عكبك يابن عله التكوين

يا هي الكسرها كسرتى البين اجتنى رزيه كربله امين

او منى خذت سبعين واثنين المثلهم أبد ما شافت العين

(تخميس)

أُخِي ذَابَ الْقَلْبُ مِنْ فُرْطِ الْعِنَا وَعَلَى حَرْمَتِ الْمَسْرَةِ وَالْهِنَا

يَا لَيْتَ عُمْرِي كَانَ عَاجِلَهُ الْفَنَاءَ فَأَجَابَهَا مِنْ فَوْقِ شَاهِقِهِ الْقَنَا

قُضِيَ الْقَضَاءُ بِمَا جَرَى فَاسْتَرْجِعِي

\*\*\*

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

ص: ١٢٤







حَكَمَ إِلَهُهُ بِمَا جَرَى فِي مُسْلِمٍ وَاللَّهُ لَيْسَ لِحُكْمِهِ تَبْدِيلُ  
أَوْتُهُ طَوْعُهُ مُذْ أَتَاهَا وَالْعَدَى مِنْ حَوْلِهِ عَدْوًا عَلَيْهِ تَجَوُّ  
فَأَحْسَسَ مِنْهَا ابْنُهَا بِدُخُولِهَا فِي الْبَيْتِ أَنَّ الْبَيْتَ فِيهِ دَخِيلُ  
فَمَضَى إِلَى ابْنِ زِيَادٍ يُسْرِعُ قَائِلًا بُشْرَى الْأَمِيرِ فَتَى نَمَاهُ عَقِيلُ  
فَدَعَى الدَّعَى جُبُوشَهُ فَتَحَزَّبَتْ يَقْفُوا عَلَى أَثْرِ الْقَبِيلِ قَبِيلُ  
فَأَتَوْا إِلَيْهِ فِغَاصَ فِي أَوْسَاطِهِمْ حَتَّى تَفَلَّلَ عَرْضُهَا وَالطُّوْلُ  
سَلَّ مَا جَرَى جُمَلًا وَدَعَّ تَفْصِيلَهُ فَقَلِيلُهُ لَمْ يُحْصِهِ التَّفْصِيلُ  
لَمَّا هَوَى بِحَفِيرِهِ صُنَعَتْ لَهُ أَهْوَتْ عَلَيْهِ أَسِنَّةٌ وَنُصُولُ  
فَاسْتَخْرَجُوهُ مِثْخَنًا بِجِرَاحِهِ وَالْجِسْمُ مِنْ نَزْفِ الدَّمَاءِ نَحِيلُ  
قَتْلُوهُ ثُمَّ رَمَوْهُ مِنْ أَعْلَى الْبِنَاءِ وَعَلَى الثَّرَى سَحْبُوهُ وَهُوَ قَتِيلُ  
مُذْ فَاجَأَ النَّاعِي الْحُسَيْنَ عَلَتْ عَلَى فَقْدَانِ مُسْلِمٍ رَنَّهُ وَعَوِيلُ  
وَلَهُ ابْنَةٌ مَسَحَ الْحُسَيْنُ بِرَأْسِهَا وَالْيَتِيمَ مَسَحَ الرَّأْسَ فِيهِ دَلِيلُ (١)

ص: ١٢٧

---

١- (١) الأبيات من قصيدته رائعه للسيد صالح الحلبي رحمه الله. قال عنه في أدب الطف (ج ٩، ص ٢٠٤ - ص ٢٠٦): «أبو المهدي السيد صالح ابن السيد حسين ابن السيد محمد، حسيني النسب، حلبي المحتد والمولد، وتناديه عامه الناس (أبو مهدي). خطيب شهير، أو أشهر خطباء المنبر الحسيني؛ إذ إن شهرته الخطابية لم يحصل عل مثلها خطيب حتى اليوم، يتحلى بجرأه قويه، وبسطه في العلم والجسم، ولد سنة (١٢٨٩ هـ) في الحلبة، وهاجر منها إلى النجف (١٣٠٨ هـ) وهو في التاسعة عشرة من عمره، وأكمل دروسه في العربية والمعاني والبيان عند الشيخ سعيد الحلبي، والشيخ عبد الحسين الجواهري، ودرس كتابي المعالم والقوانين في الأصول على يد العلامة الشهير السيد عدنان ابن السيد شبر الغريفي الموسوي، وكتابي الرسائل والمكاسب عند الشيخ علي ابن الشيخ باقر الجواهري، وعلي الشيخ ملا كاظم الخراساني صاحب

بلى والله، كان يوماً عظيماً على قلوب أهل البيت عليهم السلام، فلما بلغهم الخبر عَظَمَ على أبي عبد الله عليه السلام المصاب، واشتدَّ به الحُزن، وارتجَّ الموضوع بالبكاء والعيول، وسالت الدموعُ عليه كُلَّ مسيلٍ، خصوصاً يتيَّمته حميده، فانكسر قلبُها، وسالت دموعها، فأخذها عمُّها الحسين عليه السلام ووضعها في حجره، وأخذ يمسح على رأسها، عندها استشعرت باليِّتم، وأخذت تبكى والدها.

أخذت مسلمة من الخيم بيده يمسح رأسها ابحسره شديده

بالشر حسَّت الطفله حميده كالتله يعمى اوسالت العين

يعمى لاحت بوجهك علامه على راسى مسحت كلى علامه

يعمى هلسجيه اويه اليتامه أظن عودى كظه اويتمنى البين

وأخذت تنوح وتبكي والدها، وكأني بها:

يعمى اشكر بيه حلوه الليالى عزيز وفرگته تصعب الوالى

اعله أبوى انلچم كلى اوتاه بالى ابجيتك هاى وابنشدك على

اعله أبوى انخمش گلبى وهلت العين يعمى وباليتم حسيت يحسين

علايم بيتلى بوجهك ائين الحزن وادموعك التجرى سويّه

غده يمسح دمعها ومحنى ضلعه ابوج أنه يكلها اويهل دمعها

يعمى النوح لكيبى يصدعه اگطعى البجه اوهودى اولا تنوحين

\*\*\*

(أبو ذبه)

بت مسلم غضه بوها وملها غيرك وانته رادتها وملها

ذبه الدهر يا عمها وملها ولا والى العليها ايدوم فيه

\*\*\*

من كتاب للإمام الحسين عليه السلام جاء فيه: «من الحسين بن عليّ إلى الملا من المؤمنين والمسلمين، فإن هائناً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم وكانا آخر من قديم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذى اقتصصتم وذكركم... وقد بعثت إليكم أخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتى وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم...» (١).

لقد جرى الأنبياء والرسل والأوصياء مجرى خالقهم عزّ وجلّ فى اختيارهم لمن يمثّلهم؛ إذ أن الله تبارك وتعالى لم يجعل النبوه والرّساله والوصايه إلّا- فى أناس يراهم هو - جلّ وعلا - أهلاً لها، ولم يكن هذا الاختيار اعتباراً منه تعالى وهو الحكيم، وإنما لكون هؤلاء نفر يمثّلون من بعثهم وأرسلهم واستخلفهم على بنى البشر، ولا بدّ حينئذ أن يتمتعوا

ص: ١٢٩

---

١- (١) تاريخ الطبرى: ج ٤، ص ٢٦٢. روضه الواعظين: ص ١٧٣ مناقب آل أبى طالب: ج ٣، ص ٢٤١ - ص ٢٤٢. كتاب الفتوح: ج ٥، ص ٣٠. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٣٤. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ١٨٣ - ص ١٨٤.

بالصفات اللائقة به عزّ وجلّ، وهى ما وصف بها نفسه تبارك وتعالى فى القرآن الكريم، من الصفات الجلالية والجمالية.

لذا صار الأنبياء والرّسل أخلاقهم ما فى كتبهم، حتّى روى أنّ أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله كانت القرآن (١) أى: ما يريدّه الله تبارك وتعالى للإنسان الكامل.

وهكذا جرت السنّة على اختيار الشخص المناسب للمكان المناسب. فرسول يستخلف وصياً، ووصيّ يستخلف وصياً آخر أو ممثلاً عنه، يحكيه أو يحكى بعض صفاته.

وهذا ما حدث وصار جلياً فى انتخاب سيّد الشهداء وريحانه المصطفى صلى الله عليه وآله لمسلم بن عقيل، بعد أن أتته كتب أهل الكوفة تترأ، تحته على القدوم إليهم، لينقذهم من جور الأمويين وظلمهم، ورأى الإمام أنّ الواجب الشرعى يدعوه للقيام بهذه المهمّة الخطيره.

ولكن قبل كلّ شىء رأى من المصلحه أن يختار سفيراً له يعرّفه بصدق ثبات أهل الكوفة، فإن رأى منهم عزيمة صادقة فيأخذ البيعه له منهم، ثمّ يتوجه عليه السلام لهم، فعزم على اختيار البطل الهمام والشجاع المقدم مسلم بن عقيل بن أبى طالب عليه السلام، وهو من أفذاذ الرجال، ومن أمهر الساسة، وأكثر قابلية على مواجهه الظروف والصمود أمام الأحداث (٢).

ولذا يقول الشيخ العلامة عبد الواحد المظفر فى هذا المجال:

تصفحت أخبار السفاره لم أجد سفيراً يُدانى مُسلم بن عقيل

أرى ذكره حياً وإن غاب شخصه لدى كلّ دورٍ فى الحياه وجيلٍ

ص: ١٣٠

---

١- (١) انظر: مُسند ابن راهويه: ج ٣، ص ٢٨٢، ح ١٤٧٧. المحجّه البيضاء: ج ٤، ص ١٢٠، عنه سنن النبى: ص ١٢٦، ح ٤. مجموعه ورام: ج ١، ص ٨٩.

٢- (٢) الشهيد الخالد مسلم بن عقيل: ص ١١٣ - ص ١١٤.

فتى ينتخيه السبط سبط محمد متى تسمح الدنيا له بمثل (١)

والكلمه الغراء لسيد الشهداء عليه السلام ذكرت بصور متعدده وما ذكرناه هنا هو ما رواه المؤرخ الشهير الطبرى فى تاريخه.

ويشتمل هذا النص على الأمور التاليه:

الأمر الأول: توافد رسائل الكوفيين على الإمام عليه السلام طالبين منه القدوم لمصرهم، وهذا الأمر هو صريح قول الإمام عليه السلام: «وكانا آخر من قدم على من رسلكم.. إلخ».

والمقصود من هذين الشخصين هما: هانى بن هانى السبى (٢) وسعيد ابن عبد الله الحنفى، وهو ذلك البطل المقدم الذى استقدمه الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء فاستهدف لهم يرمونه بالنبل يميناً وشمالاً، وهو قائم بين يدي الإمام الحسين عليه السلام يقيه السهام طوراً بوجهه، وطوراً بصدره، وطوراً بيديه، حتى سقط الحنفى إلى الأرض (٣).

الأمر الثانى: الإشاده بشخصيه مسلم، حيث أعطاه الإمام عليه السلام صك السفاره وأيده بهذه الكلمات؛ لتكون له وثيقه بين أهل الكوفه، وقد وصفه الإمام بأوصاف فريده، فقد وصفه بالأخوه الإيمانيه، والقرايه الرحميّه، حيث قال: «أخى وابن عمى»، والوثاقه حيث قال: «وثقتى من أهل بيتى».

وهذه الكلمه الوجيزه لم تصدر من أى أحد، وإنما صدرت من المعصوم الواقف على نفسيات البشر.

ص: ١٣١

١- (١) سفير الحسين مسلم بن عقيل: واجهه الكتاب المذكور.

٢- (٢) هانى بن هانى السبى: هو آخر رسول أرسله أهل الكوفه إلى الإمام الحسين عليه السلام مع سعيد بن عبد الله الحنفى يستدعونه إلى الكوفه، ولم يعلم حاله إلى أين انتهى، ولم يذكر فى عداد أصحاب الحسين عليه السلام الذين قتلوا معه فى المعركه. انظر: الفوائد الرجاليه: ج ٤، ص ٥٠. (المتن والهامش).

٣- (٣) إِبصار العين فى أنصار الحسين: ص ١٢٦.

والأوصاف المذكوره هي من أهم الصفات التي ينبغي أن يتّصف بها السفير، ولا أقل من وصف الوثاقه.

والأمر الثالث: تحديد صلاحية مسلم، وهو اكتشاف الوضع السياسي في الكوفه، ومدى صدق القوم فيما كتبوه، ومن المؤكّد أنّه لا تُنَاط هذه الصّلاحيات إلاّ بَمَن كانت له معرفه بشؤون المجتمع وأحوال الناس(١).

سفر مسلم إلى العراق:

خرج مسلم بن عقيل ومعه الصّكّ الحسينيّ في منتصف شهر رمضان من سنه ستين للهجره، خرج من مكّه المكرّمه يريد العراق على طريق المدينه، ولَمّا وصلها صلّى في مسجد الرّسول وزار بُقْعَتَه المقدّسه وودّعه الوداع الأخير، وجدّد هنالك المواثيق المؤكّده. وقد ضلّ الدليلان اللذان استأجرهما مسلم بن عقيل وماتا، وكان مع مسلم قيس بن مسهر الصّيداوى وعماره بن عبد الله السلولى، وعبد الرحمن بن عبد الله الأزدي.

وقد كتب ابن عقيل عليه السلام كتاباً يخبر الحسين بموت الدليلين، وقد تلاعبت الأفلام المأجوره لتضيف إلى ذلك الكتاب (التّظير)(٢)، وهو الذى لا يصدر عن مثل مسلم بن عقيل من أبناء هذا البيت الطاهر جزماً.

ومضت الأيام والليالي ومسلم يجدّ السير، وقد كان يحمل بين ثنايا صدره الشوق للوصول إلى بلده الكوفه؛ ليحقّق أمر سيده ومولاه الحسين عليه السلام والذى هو متفرّع عن أمر الله تبارك وتعالى.

ص: ١٣٢

١- (١) انظر: كتاب الشهيد الخالد مسلم بن عقيل: ص ١١٤ - ص ١١٥.

٢- (٢) والمقصود به «الطّيره بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن: هي التّشاؤم بالشىء... وكان ذلك يصدّهم عن مقاصدهم، فنفاه الشّارع وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنّه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع». النهايه في غريب الحديث: ج ٣، ص ١٥٢.

وهناك نزل في بيت الموالى العظيم المختار بن أبي عبيد الثقفى والذى كان من وجهاء الكوفيين، ومن خاصه البيت العلوى وممن أخلص للعلويين.

وهنا ائثال الكوفيون على بيت المختار بعد ما سمعوا بقدم مسلم بن عقيل إليه، وأحاطوا به يبايعونه، وهنا تعرف وتقف على نفسه مجموعه ممن بايعوا مسلم، وذلك عن طريق كلمات بعض الأجله، أمثال عابس بن شيب الشاكرى وصحبه المخلصين، وحبیب بن مظاهر الأسدى وسعيد الحنفى، والتى يُبينون فيها أنهم وطنوا أنفسهم على ما عليه الإمام الحسين عليه السلام وسفيره مسلم بن عقيل، وبالفعل فقد ثبت هؤلاء الأطهار فى الدفاع عن آل نبئهم فيما بعد؛ حفظاً للعهد، وأداءً لأجر الرساله.. وهكذا فقد بلغ عدد من بايع مسلماً عليه السلام ثمانيه عشر ألفاً، أو خمسه وعشرين ألفاً، وقيل: أربعون ألفاً. ولما أحصى ديوان مسلم ذلك العدد الكثير من المبايعين كتب إلى الإمام الحسين عليه السلام مع عابس الشاكرى، وقيس بن مسهر الصيداوى يخبره باجتماعهم على رأيه وطاعته، وانتظارهم لقدمه، وفيه يقول: «الرائد لا يكذب أهله»<sup>(١)</sup>.

ومن جانب آخر لما بلغ والى الكوفه النعمان بن بشير الأنصارى اجتماع الكوفيين على مسلم بن عقيل عليه السلام، وبيعتهم له، رقى المنبر وأخذ يتحدث باللين والشده. مما أثار ضغينه من وجد من بنى أميه، واعتبروا أن حديث والى الكوفه مثاراً للضحك والاستياء، وطافح بالضعف والمسكنه. مما جعل البعض منهم يكتب كتاباً ليزيد ليخبره بحال والى الكوفه ويبيعه أهلها لمسلم بن عقيل، فاستشار يزيد سرجون فيمن يولىه، فأشار إليه بعبيد الله بن

ص: ١٣٣

---

١- (١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام (أبو مخنف): ص ٥١ - ص ٧٢. مثير الأحزان: ص ٢١. الأخبار الطوال: ص ٢٤٣. تاريخ الطبرى: ج ٤، ص ٢٨١. البدايه والنهايه: ج ٨، ص ١٨١. والمقصود من كلمه (أن الرائد الذى يقدم القوم يطلب لهم الماء والكلاء والطالب صلاحهم لا يكذبهم؛ لأنه لو كذبهم غشهم وهلك معهم) انظر: بحار الأنوار: ج ٥٩، ص ١٠٤. تفسير التبيان: ج ٢، ص ١٢٤. تنزيل الآيات على الشواهد من الآيات: ص ٤١٤.



زياد، فكتب إليه يزيد يخبره بالتحرك من البصرة إلى الكوفة، ودخل الكوفة متنكراً بزى ريحانه المصطفى صلى الله عليه وآله الحسين عليه السلام وقد هتف الحرس بصوت عالٍ: مرحباً يا بن رسول الله، وهو لا يكلمهم إلى أن وافى القصر، وقد أغلقه النعمان بن بشير، فأشرف من أعلى القصر يقول: ما أنا بمؤدِّ إليك أمانتي يا بن رسول الله، وما لي في قتالك من إرب، فغضب ابن زياد منه وقال له: افتح لا فتحت فقد طال ليلك، وسمعه من كان خلفه فرجع إلى الناس يقول: إنه ابن مرجانه ورب الكعبة، فتقهقر الناس إلى منازلهم فرقاً من سطوه ابن زياد، وأخذ الرجل يحدث جلسه بالشر المقبل من جراء هذا الطاغى، وفي الصباح ألقى اللعين خطبته في جمع من الناس، وهددهم وتوعد من خالفه الشر ومن أطاعه الخير (١).

فحصل الخذلان في المجتمع الكوفي بعد أن سجن ابن زياد منهم الأشراف، وخوف منهم البقية، وطمع الآخرين، وهكذا بقي ابن عقيل سفير ريحانه المصطفى صلى الله عليه وآله وحيداً فريداً. بعد ما سمع الناس مقاله ابن زياد، وكانت المرأة تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام (٢)، فخرج ابن عقيل يمشى وحيداً إلى أن وقف على باب امرأه يقال لها طوعه (٣)، فأراها فسلم عليها وردت عليه السلام، فقال: «اسقيني» فسقته ودخلت إلى بيتها، وخرجت فرأت مسلماً جالساً على باب دارها، قالت: يا عبد الله، ألم تشرب الماء؟ قال: «بلى»، فقالت له: فاذهب إلى أهلك فسكت، ثم أعادت القول ثانية فسكت مسلم، فقالت له: أصلحك الله،

ص: ١٣٤

- 
- ١- (١) الشهيد مسلم بن عقيل: ص ١١١ - ص ١٥٧. بتصرف واختصار.
  - ٢- (٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام (أبو مخنف): ص ٤٥. الإرشاد: ج ٢، ص ٥٤. مقاتل الطالبين: ص ٧١. تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٢٧٧. إعلام الوری: ج ١، ص ٤٤٢. روضه الواعظین: ص ١٧٤. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ١٩٩.
  - ٣- (٣) قال عنها الطبري (في تأريخه: ج ٤، ص ٢٧٧): «أمّ ولد كانت للأشعث بن قيس فأعتقها، فتزوجها أسيد الحضرمي، فولدت له بلالاً».

لا يصلح لك الجلوس على باب دارى ولا أحله، قال: «يا أمه الله، ما لى فى هذا المصر أهلاً ولا عشيره، فهل لك أجرٌ ومعروف أن تُصَيِّفِني سوادَ هذه الليله، ولعلّى مكافئك بعد هذا اليوم؟» قالت: «ومن أنت حتى تكافيني عليه؟» (١)، فكأنى بها تسأله: هل أنت رسول الله صلى الله عليه وآله الذى يجازى المُحسِنين، أو ابن عمه أمير المؤمنين، أو أخوه عقيل أو حتى ابنه مسلم الذى أرسله قُرّه عيني الحسين والذى يقال أنه دخل الكوفه.. كأنى به دمعت عيناه، وقال: «أنا مسلم بن عقيل!» فقالت: معذرة يا ابن أخ الكزار لم أعرفك (٢). عندها أدخلته إلى دارها.

\*\*\*

(نصارى)

خانت واغدرت مسلم الكُفَّار وطلع يمشى غريب الدار محتار  
يتلَّفت نوب يمنه ونوب ايسار بعد ومن العطش ذائب الدلال  
وصل يم باب دار اوزاد وجده غريب اوليل وسط البلد وحده  
اجت من شافته طوعه تنشده انشدته اونال منه الخجل ما نال

ماذا قالت له:

نادت ببعد عيونى الاثنين گلى وين رايح جيتك امنين

گلها آنه مسلم طارش احسين وتت وسالت دمعت العين

وعندها بقى يعبد الله تبارك وتعالى إلى طلوع الفجر، جاءت إليه بماء ليتوضأ به، وقالت: يا مولاي، ما رأيتك رقدت البارحه؟! فقال لها: «اعلمى أننى رقدت رقدة فرأيتُ

ص: ١٣٥

---

١- (١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام (أبو مخنف): ص ٤٥. كتاب الفتوح: ج ٥، ص ٥٠. الإرشاد: ج ٢، ص ٥٤. الدرّ النظيم: ص ٥٤٣ - ٥٤٤. روضه الواعظين: ص ١٧٥. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٥٠.  
٢- (٢) سمعت هذا الكوريز من سماحه أستاذى الشيخ المنصورى رحمه الله فى داره المحروسه بقم المقدسه، سنه (١٤٢٧ هـ ق).

فى منامى عمى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول: الوحى الوحى، العجل العجل، وما أظن إلا أنه آخر أيامى من الدنيا».

فتوضأ وصلّى صلاه الفجر، وكان مشغولاً بدعائه إذ سمع وقع حوافر الخيول وأصوات الرجال، فعرف أنه قد أتى إليه، فعجل فى دعائه، ثم لبس لأمه حربه، وقال: «يا نفس، اخرجى إلى الموت الذى ليس له محيص»، فقالت المرأة: سيدى أراك تتأهب للموت؟ قال: «نعم، لا بد لى من الموت. وأنتِ قد أديتِ ما عليك من البرّ والإحسان، وأخذتِ نصيبك من شفاعه رسول الله صلى الله عليه وآله». فاقتموا عليه الدار وهم ثلاثمائة، وقيل سبعون فارساً وراجلاً، فخاف أن يحرقوا عليه الدار، فخرج وشدّ عليهم حتّى أخرجهم من الدار، ثم عادوا عليه، فحمل عليهم وهو يقاثلهم، حتّى قتل منهم واحداً وأربعين رجلاً، فأخذوا يصعدون فوق السّطوح ويرمونّه بالنار والحجاره والسّيوف والرّماح، إلى أن أثخن بالجراح، وعجز عن القتال فأسند ظهره إلى جنب جدار، فضربوه بالسّهام والأحجار، فخرّ إلى الأرض، فتكاثروا عليه وأوثقوه أسيراً وأخذوا يسحبونه، وطوعه تنظر إلى هذا المنظر المروّع وكأنى بها:

(قطيفى)

ظلت تنخيمهم يهل كوفان ارحموه هذا ابن أخو الكزار حيدر لا تسحبوه

خلوه يمشى ابراحته كلبه شعبتوه خافوا من الله ما لكم مذهب ولا دين

صاحت يمسلم يا عظمها خجلتى بيك اشبيدى وأنا حرمه وضعيفه اومكدر أحميك

ص: ١٣٦

لو يتركونك چان آفت گلبى وداويك انچان اسلمت من كيدهم سلّم على حسين

كلها يطوعه اليوم ما تحصل سلامه اوصيچ چان ابهل البلد نزلوا يتامه

گولى ترى مسلم يبلّغكم سلامه واجرح على الله والنبي سيد الكونين

ثمّ أركبوه على بغله واجتمعوا حوله، ونزعوا سيفه، عند ذلك يثس من نفسه، فدمعت عيناه، ثمّ قال: «هذا أوّل الغدر».

خذوا مسلم لعد كصر الإمارة خذوه وادموع عيناه اتجاره

اوكلبه من العطش تلتهب ناره من اجروحه المنهن يمطر الدم

ثمّ استسقى الماء فلم يسق، وأدخلوه على اللعين ابن زياد وهو بحاله يرثى لها، فلم يسلم على اللعين، فأخذ ابن زياد يشتم الحسين وأمير المؤمنين عليهما السلام ويتوعده.

آه:

على ابن زياد طب راعى الشهامه من كثر الولم يسحب إجدامه

اوگام الطاغى يشتمه ابكلامه اويشتم احسين سبط النبى الأكرم

التفتله اوگال اگظى اللى تريده اوشتمك لابن طاها لا تعيده

انته الغدر ثوبك والمكيدته اوسكت يا ويل گلبى اوما تكلم

أولى والرجس آمر بچتله ومن بعد الكصر سلّم على أهله

وعندما أمر اللعين بقتله عليه السلام، صعدوا به على سطح قصر الإمارة، وهو يسبح الله ويستغفره، ثمّ توجه إلى جهة الحسين عليه السلام وقال: «يا أبا عبد الله، هذا سلام وداع وإلى يوم

ص: ١٣٧

اللقاء يتجمّع الأحبّه والرّفقاء».

(بحراني)

من صعد فوك الكصر حلو الجهامه اتوجّه لبو اليمه كيل جتله بسلامه

سلم عليه او مدمعه على الوجن هامى سلم وجسمه من الطعن والضرب دامى

اوناده يبو السجاد هذا آخر سلامى اولا تكرب الكوفه بين سيد تهامه

ثم رفع اللعين سيفه فضرب مسلماً بالسيف على عنقه حتى قطعها، ثم ألقى بجثته من أعلى القصر بلا- رأس، ثم أتبعها الرأس الشريف، وا مسلماه، وا مظلوماه، وا سيداه(1):

انچتل مسلم وأبو اليمه ابدر به اجاه الخبر عنه اوزاب كلبه

اعله زينب صاح والمدمع ايصبه على اثيا به او عليه امخيم الهم

يزينب جيبى بت مسلم حميده جابتها او مسح على الراس بيده

انشدته من اعرفت مسلم فجيده امسحت راسى تكله ليش يا عم

ص: ١٣٨

---

١- (١) انظر: الإرشاد: ج ٢، ص ٥٤ - ص ٦٥. مثير الأحزان: ص ٢٣ - ص ٢٦. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٥٠ - ص ٣٥٧. مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ١، ص ٢٤٦ - ص ٢٥٨. بتصرف واختصار.

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

إلى بطلٍ قد هشمَ السيفُ وجهه وأخرُ يهوى من طمارٍ قتيلٍ (١)

إنا لله وإنا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمدٍ أيُّ مُقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين

ص: ١٤٠

---

١- (١) الأبيات مشهوره وهى - على ما فى مثير الأحزان صفحه: ٢٦ - لعبد الله بن الزبير الأسدى.







عَيْنُ جُودِي لِمُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ لِرَسُولِ الْحُسَيْنِ سَبْطِ الرَّسُولِ

لشَهِيدِ بَيْنِ الْأَعَادِي وَحِيدٍ وَقَتِيلٍ لِنَصْرِ خَيْرِ قَتِيلٍ

أَبْكِي مَنْ قَدْ بَكَاهُ أَحْمَدُ شَجْوًا قَبْلَ مِيلَادِهِ بَعْدَ طَوِيلٍ

وَبَكَاهُ الْحُسَيْنُ وَالْأَلُّ لَمَّا جَاءَهُمْ نَعْيُهُ بِدَمْعِ هُمُولٍ

تَرَكَوهُ لَدَى الْهِيَاجِ وَحِيدًا لِعَدُوِّ مُطَالِبٍ بِذُحُولٍ

ثُمَّ سَاقَوْهُ بَيْنَهُمْ يَتَهَادَى لِلْعَيْنِ الرَّذِيلِ وَابْنِ الرَّذِيلِ

طَاوِيًا ظَامِيًا جَرِيحًا عَلِيًّا طَالِبًا مِنْهُمْ رُوءَاءَ الْغَلِيلِ

وَعَلَى الْقَصْرِ مُذْ رَقَى لِئِلَاقِي حَتْفَهُ مَا انْثَنَى عَنِ التَّهْلِيلِ

وَجَهَ الطَّرْفَ لِلْحُسَيْنِ وَنَادَى يَا بَنَ طَهٍ وَيَا حَبِيبَ الْبَتُولِ

لَكَ يَا سَيِّدِي أَزْفُ سَلَامِي بُوْدَاعِي مُقَارِنًا لِرَحِيلِي (١)

\*\*\*

ص: ١٤٣

---

١- (١) القصيدة للسيد مهدي بحر العلوم جاء في ترجمته في هامش الدرّ النضيد: ص ٢٦٤. «ولد في كربلاء سنة (١١٥٥ هـ)، وتوفي في النجف سنة (١٢١٢ هـ)، ودُفن قريباً من قبر الشيخ الطوسي وقبره مشهور، ومن أقوال العلماء فيه، هو الإمام العلامة رئيس الإمامية وشيخ مشايخهم في عصره. الفقيه الأصولي الكلامي المفسر المحدّث الرجالي، الماهر في المعقول والمنقول، المتضلع بالأخبار والحديث والرجال، وهو نفسه شاعر مطبوع ينظم الشعر كثيراً... قال في رثاء مسلم بن عقيل: عين جودي لمسلم بن عقيل لرسول الحسين سبط الرسول».

أولى والرجس أمر بچتله اوبعد ما عالقصر سلم على أهله  
اگطعوا راسه اوجبل خلوا إبرجله اسحبوه اوكل عضو منه تهشم  
أهل كوفان ماعدهم إمرؤه عملهم كل ضلع منه تطوه  
إغدروه وكل أهل بيته والإخوه بعیده أولا وصل طارش اوحشم  
ابچتل مسلم وبو اليمه ابدربه اجاه الخبر عنه وذاب كلبه  
أعلى زينب صاح والمدمع يصبه لبن عمه وعليه امخيم الهم  
يزينب جيبى بت مسلم حميده جابتها ومسح عالراس بيده  
انشدت من أعرفت مسلم فجيده امسحت راسى تگله ليش يا عم  
گاللها أبوچ أنه اوبناتى خواتج والمکدر کون ياتى  
متشوفين كل ذله بحياتى لمن بالطف على يجرى المحتم

\*\*\*

(أبوذيه)

الکدر كل عام عام الفرح ياعم على المخلوگ كله إیكون ياعم  
بطلی ابچاچ لا تبچين ياعم أشوفچ والحزن يشد عليه

\*\*\*

قال الله تبارك وتعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ١ .

تشتمل هذه الآيه على أبحاث أتعرض لبعضها:

البحث الأول: ما هو سبب نزول هذه الآيه المباركه؟ لأن بعض أسباب النزول لها دخل في الوصول إلى معنى الآيه المطلوب؟

ص: ١٤٤

رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَكَانَتْ تَنْوِبُهُ فِيهَا نَوَائِبُ وَحُقُوقٌ، وَلَيْسَ فِي يَدَيْهِ سِعَهُ لِنَدْلِكَ، فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ هَدَانَا اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، هُوَ ابْنُ أُخْتِكُمْ يَنْوِبُهُ نَوَائِبُ وَحُقُوقٌ، وَلَيْسَ فِي يَدَيْهِ سِعَهُ، فَاجْمَعُوا لَهُ مِنْ أَمْوَالِكُمْ مَا لَا يَضُرُّكُمْ فَتَأْتُونَهُ فَيَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى مَا يَنْوِبُهُ. فَفَعَلُوا، ثُمَّ أَتَوْهُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ ابْنُ أُخْتِنَا، وَقَدْ هَدَانَا اللَّهُ عَلَى يَدَيْكَ، وَيَنْوِبُكَ نَوَائِبُ وَحُقُوقٌ، وَلَيْسَ عِنْدَكَ لَهَا سِعَهُ، فَرَأَيْنَا أَنْ نَجْمَعَ مِنْ أَمْوَالِنَا فَنَأْتِيكَ بِهِ، تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى مَنْ يَنْوِبُكَ وَهُوَ ذَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ١.

البحث الثاني: معنى هذه الآية على لسان أهل البيت عليهم السلام، فقد ذكر أصحابُ التفسير ما زاد على العشرين روايه (١) في أنَّ المودَّةَ في القُرْبَى بمعنى المودَّةَ في أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

فَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قَالَ: «هُمْ الْأَيْمَةُ الَّذِينَ لَا يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ وَلَا تَحَلُّ لَهُمْ» (٢).

وَأَمَّا عَنْ طَرِيقِ الْمُخَالَفِينَ فَقَدْ ذَكَرَ صَاحِبُ الْكَشَافِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ الْحَدِيثَ الطَّوِيلَ: «أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ مَغْفُورًا لَهُ» (٣)، وَكَذَا ذَكَرَهُ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، وَأَضَافَ وَأَنَا أَقُولُ: «آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُمُ الَّذِينَ يُؤَوَّلُ أَمْرُهُمْ إِلَيْهِ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَمْرُهُمْ إِلَيْهِ أَشَدَّ وَأَكْمَلَ كَانُوا هُمُ الْآلُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ فَاطِمَةَ وَعَلِيًّا وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ كَانَ التَّعَلُّقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَشَدَّ التَّعَلُّقَاتِ، وَهَذَا كَالْمَعْلُومِ بِالنَّقْلِ الْمُتَوَاتِرِ فَوْجِبَ أَنْ

ص: ١٤٥

١- (٢) انظر: تفسير البرهان: ج ٧، ص ٨٣.

٢- (٣) المحاسن: ج ١، ص ١٤٥، ح ٢٨، عنه بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ٢٤٠، ح ٩.

٣- (٤) تفسير الكشاف: ج ٤، ص ٢٢٠.

يكونوا هم الآل» (١).

وفى صحيح البخارى فى تفسير هذه الآيه قال: «عن سعيد بن جبير إنَّ القربى قُربى آل مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم)» (٢).

البحث الثالث: فى أنَّ (إلا) فى الآيه هل تُفيد الاستثناء المتّصل أم الاستثناء المنفصل؟

فعلى القول الأول، وأنَّ الاستثناء متّصل، يعنى: أنَّ الله تبارك وتعالى أمرَ النبىِّ الأكرم صلى الله عليه وآله أن لا يسألهم أجراً إلاَّ أجراً واحداً، وهو أن يودّوا أهل بيته.

ووجوب مودّتهم وجعلها أجراً للرّسالة إمّا كان ذريعاً إلى إرجاع الناس إليهم فيما كان لهم من المرجعيه العلميه، فالمودّه المفروضه على كونها أجراً للرّسالة لم تكن أمراً وراء الدّعوه الدينيه من حيث بقائها، فالآيه فى مؤدّاها هذا لا تُغيّر مؤدّى سائر الآيات النافيه لسؤال الأجر، مثل قوله تعالى: (قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) ٣/ المحكيه عن لسان النبىِّ الأكرم صلى الله عليه وآله، ومؤدّى هذه الآيه الشّريفه: إنى لا أسألكم عليه أجراً، إلاَّ أن الله لَمَّا أوجب عليكم مودّه المؤمنين، ومن جملتهم قرابتى، فإنى أحاسب مودّتكم لقرابتى وأعدّها أجراً لرسالتى (٣).

أمّا على الثانى، ومن كون الاستثناء منفصل، يعنى: أنَّ الكلام تمّ فى قوله تعالى: (قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) ، فيكون حال الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله و آله حال الأنبياء الآخرين فى أنه لم يسألهم أجراً أبداً، ثمَّ إلاَّ المودّه فى القربى جملته أُخرى ليست هى الأجر؛ وهذا خلاف

ص: ١٤٦

١- (١) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ج ٢٧، ص ١٦٦.

٢- (٢) صحيح البخارى: ج ٦، ص ٣٧، ومثله فى مسند أحمد: ج ١، ص ٢٨٦. سُينن الترمذى: ج ٥، ص ٥٤. المستدرک على الصحيحين: ج ٢، ص ٤٤٤. السنن الكبرى (النسائى): ج ٦، ص ٤٥٣.

٣- (٣) انظر: تفسير الميزان: ج ١٨، ص ٤٨.

ظاهر الآيه كما صرّح به السيد العلامة رحمه الله (١) بأن الاستثناء مُتّصل ولا قرينه على أنه منفصل.

البحث الرابع: الاستدلال بهذه الآيه على عصمه أهل البيت عليهم السلام، فإنّ الله تبارك وتعالى أمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أن يطلب الأجر، وهو المودّه في القربى، ومن المُستحيل أنّ الله يطلب المودّه لشخص - مهما كان - إذا لم يكن هذا الشخص محفوظاً من كُملٍ نقصٍ دائماً وأبداً، وإلاّ لما أمر بطلب المودّه، فكيف يُودّد الله تبارك وتعالى أشخاصاً يخطئون ويعصون؟! فما دام أنّ الله تبارك وتعالى أمر بمودّتهم إذا هم معصومون من كلّ نقصٍ دائماً وأبداً.

ولكنّ هؤلاء القرابه لرسول الله صلى الله عليه وآله ما أعطوا المودّه، فخالف جمعٌ من المسلمين أوامر الله تبارك وتعالى فيهم.

روى الشيخ الصدوق رحمه الله في الأمالي: أنّه لما قُتل الحسين عليه السلام وهجم القوم على رحله، فرّت العيالات والأطفال - كالطيور الهاربه - من النار، فمن جُملة من هرب من الأطفال طفليّ مسلم بن عقيل، ولمّا ألقى القبض عليهما جيء بهما إلى الكوفه، وأدخلهما على ابن زياد، فأمر بهما أن يُزجّيا في السّجن، حتّى إذا مرّت عليهما سنه كامله وهما في السّجن، وقد ضاقت صُدورهما، فقال الصغير ذات يوم لأخيه الكبير: أخي، يوشك أن تُفنى أعمارنا في هذا السّجن، فلم لا نُخبر السّجان بخبرنا ونُعرفه أنفسنا لقربنا من رسول الله صلى الله عليه وآله؟! ولمّا أن جاء إليهما السّجان بقوتهما قام إليه الصّغير وقال له: يا هذا أتعرف مُحمّداً المصطفى نبيّ هذه الأمّه؟ قال: وكيف لا- أعرّف النبيّ!! فقال له: أو تعرف ابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟ قال: وكيف لا أعرفه وهو إمامي!! فقال له: يا شيخ، أو تعرف مُسلم بن عقيل؟ قال: نعم، فقال له: يا هذا نحن أولادّه، فما لك وما لنا لا ترحمنا لصغر سنّنا؟!

فلما سمع السّجان بكى وانكبّ عليهما يُقبلهما وهو يقول: نفسي لكما الفداء، والله، ما

ص: ١٤٧

كان لى علم بأنكما ابنى مُسلم وأن أمير المؤمنين عمكما، سيدى هذا باب السجن مفتوح، فخذنا أى طريق شئنا وسيرا فى الليل، واكمننا فى النهار.

قال الراوى: فأطلقهما من السجن وخرجا وهما لا يدريان إلى أين يتوجهان، فجعلا يسيران فى شوارع الكوفه، حتى إذا كان وقت طلوع الفجر، ودخلا فى بستانٍ هناك فكمننا، فمرت عليهما جاريه فسألتهما عن حالهما، فأقسما عليها أن لا تُخبر أحداً بخبرهما، وعلمنا منها أنها مواليه لعمهما، فقصا لها خبرهما، فقالت لهما: سيدى امضيا معى فإن مولاتى مواليه لعمكما ومحبه لكما، فجاءا معها حتى إذا وصلا سبقتهما الجاريه على مولاتها وأخبرتها، فلما سمعت قامت لاستقبالهما وقالت لهما: ادخلا البيت على الرُحب والسعه، ورفهت عليهما.

هذا وقد استُخبر ابنُ زياد بخروجهما من السجن فأمر مُناديه أن يُنادى: من جاءنى بولدَى مُسلم له عند الأمير الجائزه العظمى، فصار أجلاف أهل الكوفه يُفتشون عليهما ويطلبونهما، ومن جملتهم زوج تلك المرأه التى أجاتهما.

قال: فلما جئ الليلُ أقبل زوجها وقد أتعب نفسه فى طلبهما رجاء الجائزه، فقالت له زوجته: أين كنت اليوم وأرى عليك آثار التعب؟! فحكى لها بما نادى مُنادى ابن زياد، وقد أتعب نفسه فى طلب الطفلين، فلما سمعت الحزّه قالت له: ما لك وذريه عبد المطلب، أما تخشى أن يكون مُحبيدٌ غداً خصمك؟ فقال لها: دعيني من هذا. فبينما هى تكلمه ويكلمها إذ سمع همهمه فى داخل الحجره فقال لها: أى شىء أسمع، هل عندنا أحد؟! فأعرضت وتلجلجت. فقام اللعين وأخذ الضياء ودخل الحجره وإذا بالطفلين قائمين يُصليان، حتى إذا فرغا قال لهما: من أنتما؟ فقالا: أولادُ مُسلم بن عقيل، أجاتنا هذه الحزّه، فقال اللعين: أتعبت نفسى وفرسى فى طلبكما وأنتم فى دارى!!

ثم رفع يده ولطم الكبير على وجهه، وجاء لهما بالحبال فأوثقتهما كتافاً.

فقالا: له: ما لك تفعل بنا هذا الفعل وامرأتك أضافتنا؟ أما تخاف الله فينا؟ أما تراعى يُتمنا وقربنا من رسول الله؟ فلم يعبا اللعين بكلامهما، ولا رقّ لهما فتركهما فى الحجره

بيكيان حتى الصّباح، ثمّ أخرجهما من داره وتبعته امرأته وولده وعبده. هذا وامرأته تتوسّل به وتحالفه وتذكره الله، حتى جاء بهما إلى جانب الفرات ليقتلها، فالتفت إلى عبده وقال له: خذ السيف واضرب عنقيهما وأتني برأسيهما، فأخذهما العبد وأراد قتلها، فقالا له: يا هذا، ما أشبه سوادك بسواد بلال مؤذن رسول الله... يا هذا، لا تقتلنا فإنك إن قتلنا يخاصمك رسول الله يوم القيامة، فقال لهما، من أنتما؟! فقالا: نحن أولاد مسلم بن عقيل.

قال: فانكّب العبد عليهما يتبّلهما، ورمى السيف من يده وألقى بنفسه في الفرات، وعبر إلى الجانب الآخر، فصاح به مولاه عصيتي؟ فقال له: عصيتك لما عصيت الله، فقال اللعين: والله، لا يتولى قتلها أحد غيري. فأخذ السيف وأتى إليهما فلما هم يقتلها جاء إليه ابنته وقال له: أبة، ارحمهما لقربهما من رسول الله ولصغر سنّهما، فلم يعأ به، فلما رأيا صيغته تباكيا، ووقع كلُّ منهما على الآخر يودّعه ويعتقه، والتفتا إليه وقالا له: يا هذا، لا تدعنا نطالبك بدمنا أمام رسول الله يوم القيامة، خذنا حين إلى ابن زياد يصنع بنا ما يشاء. فقال: ليس إلى ذلك من سبيل، فقالا: يا هذا بعنا في السوق وانتفع بأثماننا ولا تقتلنا، فقال: لا بيد من قتلكما، فقالا له: ارحم يئنا وصغر سننا، وإن كنت عزمت على قتلنا فدعنا نصلّي لربنا ركعتين.

قال: صلّيا ماشئتما إن نفعتكما الصّلاه. فلما فرغا من الصّلاه شهر سيفه وقدم الكبير ليضرب عنقه، فقال له الصغير: اقتلني قبل أخي. فقال الكبير: إنني لا أحب أن أرى أخي قتيلاً. فشهر سيفه وضرب الكبير فقتله، فوقع عليه الصغير يتمرغ بدم أخيه وهو ينادى: وا أخاه، ثمّ اجتذب وضرب الصّغير فقتله، وقطع رأسيهما وحملهما في مّخلاه (1) له ورمى بأبدانهما في الفرات، وسار برأسيهما إلى ابن زياد، فلما مثل بين يديه ووضع المّخلاه، فقال له

ص: ١٤٩

---

١- (١) قال ابن السكيت - في ترتيب إصلاح المنطق: ص ١٤٩ - «وسميت الخلاه مّخلاه؛ لأنه يجعل فيها الخلي»، وفي لسان العرب: ج ١٤، ص ٢٤٣ «قال الأصمعي: (الخلي) الرطب من الحشيش، وبه سميت الخلاه، فإذا يبس فهو حشيش».



ابن زياد: ما معك؟ فأخرج إليه الرأسين فكشف عن وجهيهما وإذا هما كالقمرين.

فقال له: قتلتهما؟ قال: طمعاً بالجائزه، قال: واين ظفرت بهما؟

قال في داري، وإن زوجتي أجارتهما، فقال له ابن زياد: ما عرفت لهما حق الضيافه وقتلتهما! ولو جئتني بهما أحياء لضاعفت لك الجائزه، ثم قال: ويلك، ما قال لك حين أردت قتلتهما؟ قال: قال لي: إرحم يمتنا ولا تقتلنا فيكون خصمك مُحَمَّدٌ يومَ القيامة، وامض بنا إلى ابن زياد حيين، وإن شئت بعنا في السوق وانتفع بثماننا. فقلت لهما: لا يُدَّ من قتلكما، فنظر ابن زياد إلى جلسائه وقال: ما أفصه وأجفاه.

قال الراوى: فأمر ابن زياد بقتله فقتل (عليه لعائن الله)، وأمر بالرأسين أن يُدفنا في المكان الذي قُتلا به (١).

أقول: ليت اللعين فعل مثل هذا الفعل برأس وجسد أبيهما مُسلم بن عقيل.

يقول الراوى: لما صعدوا بمُسلم إلى السطح قال: يا بكر، دعني أصلي لربي ركعتين، فقال: صل. فصلّى مُسلم حتى إذا فرغ من الصلاه وجهه نحو مكه، وقال: «السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بن رسول الله»، فصيح به: يا بكر، عجل عليه، فشهر بكر سيفه وضرب عنق مُسلم، ورمى برأسه من أعلى القصر إلى الأرض وأتبع جسده، وأراد أهل الكوفه في ذلك اليوم إرضاء ابن مرجانه بفعالهم، فجاؤوا لمُسلم ولهاني ووضعوا الحبال برجليهما، وجعلوا يسحبونهما بالأسواق (٢). ورحم الله الشاعر حيث يصف حال الشيعة وبكائهم على مُسلم:

بكتك دماً يا ابن عمّ الحسين محاجر شيعتك السافحه

ص: ١٥٠

١- (١) انظر: أمالي الشيخ الصدوق، المجلس العشرون: ص ١٤٣ - ص ١٤٨، ح ٢، عنه بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٠٠ - ص

١٠٥، ح ١. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٣٥١ - ص ٣٥٨، ح ١.

٢- (٢) ثمرات الأعواد: ج ١، ص ١٥٠.

ولا برحتْ هاطلاتُ العُيون تُحَيِّكُ غاديهُ رائحه  
لأنك لم تُرو من شربه ثناياك فيها غدت طائحه  
رَموك من القصرِ إذ أو تقوك فهل سلّمت فيك من جارحه  
وسحباً تُجرُّ بأسواقهم ألسّت أميرهم البارحه  
قُلت ولم تبكك الباقيات أما لك في المِصر من نائحه  
لئن تقضى نجباً فكم في زرود عليك العشيّه من صائحه(١)

وذلك لَمّا وصل خبر استشهاد مُسلم عليه السلام للحسين عليه السلام وكان في زرود، كأنني به استرجع قائلاً: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، ثمّ إنّه عليه السلام عمد إلى خيمه النساء ونادى الحوراء زينب عليها السلام قائلاً لها: «أئتيني بحميده»، ولَمّا أقبلت إليه وضعها في حجره، وأخذ يمسح على رأسها.

(نصّارى)

أخذت مُسلم من الخيم بيده يمسح رأسها ابحسره شديده  
وبالشر حسّت الطفله حميده كالتله يعمى وسالت العين  
يعمى لاحت ابوجهك علامه على راسى امسحت كلى علامه  
السجيه هاى بس ويّه اليتامه أظن عودى كظه ويتمنى البين

\*\*\*

(عاشورى)

غده يمسح دمعها ومحنى ظلعه أبوج أنه يكلها ويهل دمعها  
يعمى النوح دلّالى يصدعه وبطلّى البجه وهودى ولا تنوحين

ص: ١٥١

لئن تقضى نجباً فكم فى زرود عليك العشيّه من صائحه

وكم طفله لك قد أعولت وجمرتُها فى الحشا قاده

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أىّ منقلبٍ ينقلبون

والعاقبه للمتقين

ص: ١٥٢





كَيْفَ يَصْحُوا بِمَا تَقُولُ اللَّوَاهِي مَنْ سَقَتَهُ الْهُمُومُ أَنْكَدَ رَاحِ  
كَيْفَ تُهْنِنِي الْحَيَاءُ وَقَلْبِي بَعْدَ قَتْلِي الطُّفُوفِ دَامِيَ الْجِرَاحِ  
وَقَفُوا يَدْرُؤُونَ سُمَرَ الْعَوَالِي عَنْهُ وَالنَّبْلَ وَقَفَةَ الْأَشْبَاحِ  
فَوْقَهُ بِيضَ الطُّبَا بِالنَّحُورِ الْبِيضِ وَالنَّبْلَ بِالْوُجُوهِ الصَّبَاحِ  
فَنَّهُ إِنْ تَعَاوَرَ النَّقْعَ لَيْلًا أَطْلَعُوا فِي سَمَاءِ شُهَبِ الرَّمَاحِ  
وَإِذَا غَنَّتِ السُّيُوفُ وَطَافَتْ أَكْوُسُ الْمَوْتِ وَانْتَشَى كُلُّ صَاحِ  
بَاعَدُوا بَيْنَ قُرْبِهِمْ وَالْمَوَاضِي وَجَسُومِ الْأَعْدَاءِ وَالْأَرْوَاحِ  
أَدْرَكُوا بِالْحُسَيْنِ أَكْبَرَ عِيدٍ فَعَدُوا فِي مَنَى الطُّفُوفِ أَصَاحِي  
بِأَبِي الْوَارِدُونَ حَوْضَ الْمَنَايَا يَوْمَ ذَيْدُوا عَنِ الْفِرَاتِ الْمُبَاحِ  
بِأَبِي اللَّابِسُونَ حُمْرَ الثِّيَابِ طَرَزْتُهُنَّ سَافِيَاتُ الرِّيَاحِ (١)

\*\*\*

گال احسين يرجال الحميه إنجان اهنا محلي الغاضريه  
نضبو خيامنا ابهاى الثنيه السبب بيها يوافينا المحتم  
الخيم من امر عليهم بنوها اوبيها بنات حيدر نزلوها  
ابمواظيهم الترهب حوطوها على وجاسم وعباس المشيم  
العقيه إگعدت لاجن زاد همها عليها اوكل بنى عدنان يمها  
مدرى اشلون من فگدت زلمها او نار الكوم وجت بالمخيم  
(أبوزيه)

ص: ١٥٥

هذا الكتاب، فراجع.

اچفوف الكدر يصحابى لونكم أحشمكم اوروحى تون لونكم

تنهظون اوتشوفنى لونكم وحيد اوحاطت العدوان بيه

\*\*\*

من حِكَمِ أبى مُحَمَّدِ الحِسنِ الزَّكِيِّ عليه السلام: «وإن نازعتك إلى صُحْبِهِ الرِّجالِ حاجه، فاصحَبْ مَنْ إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا أردت معونه أعانك، وإن بدت منك ثلمه سدّها، وإن رأى منك حسنة عدّها» (١).

من موعظه لإمامنا المجتبي عليه السلام، ألقاها على أحد أصحابه، وهو يريخ تحت أعباء الآلام الشديده من أثر السُّمِّ الذى أوهى قوته، وذلك الصاحب هو جُناده بن أبى أميد (أميه)، دخل عليه فقال: سيدي لم لا تُعالج نفسك؟

قال عليه السلام: «بأى شىء أعالج الموت؟! وهل يُفيدنى العلاج، وقد ألقىت الطائفه الكبرى من كبدى؟!»، فطلب منه الموعظه، فوعظه وهو على فراشه بكلمه بليغه موجزه مشتمله على عَدّه وصايا وهذه واحده منها، علمه فيها بصيغ فمات الصاحب الذى إن احتاج أن يُصاحب أحدًا فليصحب هكذا إنسان، ونحن عندما نقول: صاحب ورفيق وزميل وقرين و خليل وحيب، هذه كُلُّها تُعطى معنى: أخ «ورُبَّ أخ لك لم تلده أمُّك» (٢)، والمرء يُعرف بصاحبه ورفيقه، إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ.

قال الشاعر:

ص: ١٥٦

١- (١) كفايه الأثر: ص ٢٢٨، عنه بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ١٣٩، ح ٦. ومستدرک الوسائل: ج ٨، ص ٢١١، ح ١.

٢- (٢) الإخوان (ابن أبى الدنيا): ص ١٤٧، الطبقات الكبرى: ج ٦، ص ٣٣٥، و ج ٧، ص ١٧٧. والكلّ نسبه للحسن البصرى.



عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى (١)

ولعل الشاعر القائل:

صاحب أخاً ثقة تحضى بصحبته فالطبع مكتسب من كل مصحوب

كالريح آخذه مما تمرُّ به نتناً من النتن أو طيباً من الطيب (٢)

كان يقصد هذا المعنى نفسه، يُمثل أحد الحكماء صيحه السيفيه وذى الأعمال السيئه بالدخان يقول: «إذا لم تكتسب نفس تلك الحالة الذميمة التي هي فيمن صحبتته من الأشرار، تكون صحبه هكذا إنسان مثل الدخان، فالدخان إن لم يقتلك، فإنه يدخل في عينك فيهمل دموعها». ولأهميه الأخوة في الدين الإسلامى أولى هذا الجانب العناية التامة دستور الإسلام ونبى الإسلام وأئمته الإسلام، فالقرآن تارة يقول: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) ٣/، وأخرى يأمر بتقوية الروابط الأخوية والعلاقات الإسلاميه بقوله: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) ٤، أما النبى الأكرم صلى الله عليه وآله فيكفى فعله عن قوله عندما آخا بين المهاجرين والأنصار، وأمرهم بالتآزر والتعاون.

وللإمام أمير المؤمنين عليه السلام كلمة من كلماته الرائعة - وكل كلامه رائع - : «إنما أنتم

ص: ١٥٧

- 
- ١- (١) ذكره العيني فى عمده القارى: ج ١٥، ص ٢١٦، ولم ينسبه لأحد، ومثله ابن أبى شيبه الكوفى فى المصنّف: ج ٦، ص ١٢١، وابن أبى الحديد فى شرح النهج: ج ١٦، ص ٩٩، لكنه قال - فى ج ١٨، ص ٤٨: قال طرفه: عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فإنّ القرين بالمقارن يقتدى وفى جامع البيان: ج ٥، ص ١٢٣ نسبه إلى عدى بن زيد.
- ٢- (٢) الخصائص الفاطمية: ج ١، ص ١٠٠، وفيه (عاشر) بدل (صاحب)، ولم يُعرف قائله.

إخواناً على دين الله، ما فرّق بينكم إلا خُبثُ السِّرائرِ وسوءُ الضَّمائرِ، فلا توازرون ولا تناصحون ولا تباذلون ولا توادون، ما بالكم تفرحون بالقليلِ من الدُّنيا تدرّكونه، ولا يحزنكم الكثيرُ من الآخرة تحرمونه» (١) ومضافاً إلى ذلك، وضع عليه السلام ميزاناً ليفرّق به المسلمُ المؤمنُ صديقَه من عدوّه؛ ليعرف مَنْ عليه أن يُصاحبه ويُصادقه، ومَنْ الذي عليه أن يبتعد عنه ويتجنّبَه.

بهذا الميزان أو هذه النصيحة والبيان أرشد الإنسان الواعي المتديّن، فالإنسان إن أتبع ما وُضع له من خُطوطٍ وعلاماتٍ على الطّريق أدّى به سيرُه إلى (محطه الكرامه ومرسا السّلامه)، وإلا فنصيبه الخسران والضلال والندامه، ماذا قال عليه السلام «أصدقاؤك ثلاث وأعداؤك ثلاث: فأصدقاؤك: صديقك، وصديق صديقك، وعدو عدوك. وأعداؤك: فعدوك وعدو صديقك وصديق عدوك» (٢). ومن هذه الحكمة التي يعسر أن يأتي بها أحدٌ غير بابِ مدينه العلم، بهذه الوجازة مع الإحاطة الكامله بالأمرين المهمّين، وهما تعيين الصّديق والعدو، ويكشف الصّديق المتلون الذي لا يُعرف له وجه، ورحم الله الشاعر:

فأما أن تكونَ أخي بصدقٍ فأعرفَ منك غثي من سميني

وإلا فاطرحني واتخذني عدواً أتقيك وتتقيني (٣)

وكلّ ما ذكرناه من الشعر والنثر لم تخرج عنه كلمه الإمام الحسن عليه السلام، بل جمعت كلّ ما فيه زياده، انظر إلى موعظته ووصفه الناجع والنافع: «إذا صحبته زانك، وإذا خدمته

ص: ١٥٨

- 
- ١- (١) نهج البلاغه: ج ١، ص ٢٢٢، خطبه ١١٣.
  - ٢- (٢) المصدر نفسه: ج ٤، ص ٧٢، حكمه رقم ٢٩٥، عنه بحار الأنوار: ج ٦٤، ص ١٩٥، و ج ٧١، ص ١٦٤. شرح أصول الكافي: ج ٩، ص ٢٠٠.
  - ٣- (٣) خزانه الأدب: ج ٧، ص ٤٦٠. فتح الباري: ج ٨، ص ٢٣٧. عمده القارئ: ج ١٨، ص ٢٥٧. مغنى اللبيب: ج ١، ص ٦١، شاهد رقم (٨٥)، شرح الرضى على الكافية: ج ٤، ص ٤٠٢، شاهد رقم (٨٨٥). والبيتان هما من قصيده ل - (المثقب العبدى) على ما وجدته فى أكثر المصادر.

صانك، وإذا طلبت منه معونة أعانك»، وفي الحقيقة هذه هي الأخلاق الحميدة والصفات الرفيعة والمجيدة، فضيحة الرجال الأخيار والشرفاء والعظماء في سيرتهم وعلمهم هي التي تكسب المرء جمالاً وكمالاً، ثم أعطى الصّاحب الصّالح والكريم وصفاً آخر، فقال: (وإذا خدمته صانك)، بخلاف اللئيم الذي يقول في صانع المعروف له ما يقوله في غيره على حدّ سواء.

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا(1)

ثم قال عليه السلام: «وإذا طلبت منه معونة أعانك» أي: لا يسلمك عند النكبات، ولا يتخلّى عنك في الأزمات، والصاحب رصيّدٌ غالٍ وطاقه تردّ بها الصّعب من الأمور، وقد قيل فيه: الصاحب نعم العون على النوائب، نوائب الدهر وصروفه.

انظر إلى أصحاب الإمام الحسين عليه السلام النخبة الصالحة، والصّيفوه التي كتب الله لها الفوز والسّعادة في نصره أ بي عبد الله الحسين عليه السلام، وأخذ عددهم يتكامل شيئاً فشيئاً بين مفارقٍ يُلقى الله النورَ في قلبه فينصرف عن طريقه الأوّل إلى ما عليه الحسين عليه السلام فيصبح من أنصاره، وبين مسيحيٍّ يُحصى الله له السّبب بعد السّبب لوضوح سبيل الحقّ، وإذا به بعد نصرانتيه مُسلمٌ مؤمنٌ، يقارعُ الظّالمين، وينصر الدّين. وبين من كان في الانتظار، منهم (حبيب بن مظاهر الأسدي) الذي كان للحسين عليه السلام حبيباً منذ عهد الرسول صلى الله عليه وآله، كتب إليه الحسين عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم: من الحسين بن عليّ إلى الرّجل الفقيه حبيب بن مظاهر، أمّياً بعد فقد نزلنا كربلاء والسّلام». يعني مجرّد إشاره، وإلاّ فهو على موعدٍ ثابتٍ من أمير المؤمنين عليه السلام بأنّه سيُوفّق إلى شهادته عظيمه بعد مرور زمانٍ، وبعد قتل مُسلم عليه السلام وتوجّه الحسين إلى العراق، كان ينتظر؛ لأنّه من أهل علوم المنايا والبلايا، بالإضافة إلى ما

ص: ١٥٩

١- (١) شرح نهج البلاغه: ج ١٨، ص ١٧٩. ونسبه لأبي الطيّب المتنبّي، وهو المعروف المشهور، وأنظر: يتيمة الدهر: ج ١، ص ٢٥١. تفسير أبي السعود: ج ٨، ص ٣٤.

سبقه من الوعد، بينما هو جالس وإذا بالباب تُطرق، وكانت زوجته قد تفاءلت بورود كتاب كريم من رجل كريم، وذلك عندما غصت بلقمتهما، طرقت الباب، أقبل حبيب، فتح الباب وإذا برجلٍ يحمل الرسالة، استلم منه الرسالة، ثم قال: ادخل على الرّحب والسّعة، فشكره الرسول وقال: الأمرُ أسرع من ذلك.

دخل حبيب فتح الرسالة قرأها تهاملت دموعه، تحنّت ظلّوعه، أمّا زوجته - جزاها الله خيراً - أخذت تبكي ككبكاء التّكلى، ثم أخذت تحنّه على الإسراع بالذهاب إلى الحسين عليه السلام، ضامنّه له مباراه أطفاله ومُداراتهم، وهو يمتحن صبرها وولائها، فأخذ يُظهر التباطؤ والتكاسل، فالتفتت إليه بأهات وحسراتٍ وأنينٍ وحنينٍ.

ذكر أصحابُ السّير: أنّ الحسين عليه السلام عندما قسّم الرايات على أصحابه، وكانت اثنتي عشرة راية، أبقى راية، فقال له بعض أصحابه: منّ عليّ بحملها، فقال له: يأتي إليها صاحبها، بينما الحسين عليه السلام وأصحابه في الكلام وإذا بغيره نائره، فالتفت الإمام عليه السلام وقال: إنّ صاحب هذه الراية قد أقبل، فلما صار حبيب قريباً من الإمام المظلوم ترجّل عن جواده، وجعل يُقبّل الأرض بين يديه، وهو يبكي، فسلمّ على الإمام وأصحابه، فردّوا عليه السلام (١)، فسمعت زينب بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقالت: من هذا الذي أقبل؟ فقيل لها: حبيب بن مظاهر، فقالت: اقرؤوه عنّي السلام. فلما بلغوه سلامها، لطم حبيب على وجهه، وحثا الثراب على رأسه، فقال: ومن أكون حتى تُسلم عليّ بنت أمير المؤمنين (٢)؟!

ص: ١٦٠

١- (١) ثمرات الأعواد: ج ١، ص ٢٠٦ - ص ٢٠٧.

٢- (٢) من دروس أستاذنا المرحوم الشيخ محمد سعيد المنصوري رحمه الله.

(نصاری)

أنه منین وتسلم علی بنت المرتضی حامی الحمیه  
های امدلله عباس هیه وبحگهم نزل وبنص الكتاب  
علی إنت بیت حیدر تسلیمین ولکم خادم أنه وعبد لحسین  
گام ولطم وجهه وهلت العین جیب أوفوگك راسه ذب التراب

(أبوذیه)

للخالک أنصار احسین وحدوا عن الدین ما صفحوا وحدوا  
لبسوا علی الدروع گلوب وحدوا بضعن للموت وانوو للمتیة

\*\*\*

أحبیب أنت إلى الحسین حبیب إن لم ينط نسب فأنت نسیب  
إننا لله وإننا إليه راجعون

وسیعلم الذین ظلموا آل محمّد أی منقلب ینقلبون

والعاقبة للمتین

ص: ۱۶۱









لله آل الله تُسرِعُ بالسُّرى وإلى الجنانِ بها المنايا تُسرِعُ

مُنَعُوا الفُراتَ وَقَدْ طَمَا مُتَدَفِّعاً يَا لَيْتَ غَاضَ عُبَابِهِ المُتَدَفِّعُ

أَتَرى يَسُوعُ بِهِ الوُرُودُ وَدُونَهُ آلُ الهُدَى كَأَسِّ المَنُونِ تَجَرَّعُوا

أَمْ كَيْفَ تَنْقَعُ غُلَّةَ بَنَمِيرِهِ وَالسَّبْطُ غَلَّتْهُ بِهِ لَا تُنْقَعُ

تَرَحَّأَ لِنَهْرِ العَلْقَمَى فَإِنَّهُ نَهْرٌ بِأَمْوَاجِ النُّوَابِ مُتَرَعٌ

وَرَدُوا عَلَى الظَّمَا الفُراتِ وَدُونَهُ البِيضُ القَوَاطِعِ وَالرِّمَاحُ الشُّرَعُ

أُسْدٌ تُدَافِعُ عَنْ حَقَائِقِ أَحْمَدٍ وَالحَرْبُ مِنْ لُجَجِ الدِّمَا تُتَدَفِّعُ

وَاسْتَقْبَلُوا بِيضَ الصِّفَاحِ وَعَانَقُوا سُمَرَ الرِّمَاحِ وَبِالْقُلُوبِ تَدَرَّعُوا

فَكَأَنَّمَا لَهُمُ الرِّمَاحُ عَرَائِسٌ تَجَلَى وَهُمْ فِيهَا هِيَامٌ وَوَلَّعُ

يَمشُونَ فِي ظِلِّ القَنَا لَمْ يُثْنِهِمْ وَقَعَ القَنَا وَالبِيضُ حَتَّى صُرِّعُوا

فَدَمَاؤُهُمْ لِلسَّمْهَرِيهِ مَنَهْلٌ وَنُحُورُهُمْ لِلْمَشْرِفِيهِ مَرْتَعٌ

وَجُسُومُهُمْ بِالغَاضِرِيهِ جُنْثٌ وَرُؤُوسُهُمْ فَوْقَ الأَسِنَّهِ تَرْفَعُ (١)

ص: ١٦٥

١- (١) القصيدة للسيد صالح القزويني النجفي رحمه الله في رياض المدح والثناء: ص ٣٥ - ص ٣٦، وجاء في هامش المصدر المذكور «السيد صالح ابن السيد مهدي ابن السيد رضا الحسيني القزويني الأصل البغدادي المسكن، فقيه وأديب جهيد كثير الشعر، حسن الكلام، مُجيد الوصف، وله قصائد في مدح أئمة أهل البيت الطاهر عليهم السلام ومراثيهم استوفى بها كثيراً من فضائلهم ومعجزاتهم. له الدرر الغروي في أئمة البرية، وهو ديوان شعر يشتمل على أربع عشرة قصيدة كل قصيدة في إمام، يذكر فيها مناقبه ووفاته، وهي قصائد طويلة جداً. توفي في بغداد سنة (١٣٠٦ هـ) ونقل إلى النجف».

وين الصميد يهضر الحين ويشوف ويلاده المطاعين

عباس وأخوانه والحسين وباجى بنى هاشم الطيبين

الظلت عرايه ابغير تكفين اوزينب تصيح اوتهمل العين

هاذى حرمكم مالها امعين اوبيها العده للشام ماشين

لحك يحيدر يبو الحسين

\*\*\*

رؤى عن إمامنا الصادق عليه السلام أنه قال: «لا تكون الصداقة إلا بحدودها، فمن كانت فيه هذه الحدود أو شيء منها فانسبه إلى الصداقه، ومن لم يكن فيه شيء منها فلا تنسبه إلى شيء من الصداقه: فأولها: أن تكون سريرته وعلايته لك واحده. والثاني: أن يرى زينك زينه وشينك شينه. والثالث: أن لا تغيره عليك ولاية ولا مال. والرابع: أن لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته. والخامسه - وهى تجتمع هذه الخصال - : أن لا يسلمك عند النكبات» (١).

إن عالمنا اليوم يتعطش إلى إقامة علاقات وطيدة تُبنى على أسس المودة والتآلف والوثام والانسجام، ففي الوقت الذى يسوده التشاؤم والحقد والعنف والإرهاب، تراه يتشوق بلهفه إلى كيمياء المحبة، إذ إنه العلاج الناجح لداء التوتر... وأفضل معلم يعلمنا ذلك هو البارى عزّ وجلّ فى كتابه الكريم الذى جعل (الرحمن والرحيم) من مفتحات سوره وآياته المباركه فى الإشاره إلى أنّ رحمته لا تقتصر على المؤمنين والصالحين وحسب، بل إنّ

ص: ١٦٦

---

١- (١) الكافى: ج ٢، ص ٦٣٩، ح ٦. وأنظر: أمالى الشيخ الصدوق: ص ٧٦٧، ح ٧. تحف العقول: ص ٣٦٦. روضه الواعظين: ص ٣٨٧. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٥ - ٢٦، ح ١، عن الكافى. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٧٣، ح ١، عن الأمالى: ج ٧٥، ص ٢٤٩ - ٥٠.

رحمته العامه تشمل الصالحين والطالحين وتستوعب كل شىء فى الوجود؛ إذ قال تعالى: (وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) ١ .

ومن هذا المنطلق يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أبلغ ما تُستدّرُّ به الرَّحمة أن تُضمّر لجميع النَّاس الرَّحمة» (١).

وما الحديث الذى افتتحنا به كلامنا إلا واحد من مئات الأحاديث التى حثت على المحبة والأخوة والصداقه.

وهذا الحديث المروى عن إمامنا الصّادق عليه السلام فى مصادرٍ عديده ما هو إلا ثمرة من ثمرات الحُبِّ والموَدَّة التى كان يحملها إمامنا الصّادق عليه السلام تبعاً لأبائه وجدّه رسولِ الله صلى الله عليه وآله، وما أخذه من البارى عزّ وجلّ إلا أنّ الإمام الصّادق عليه السلام ذكر حُدوداً خمسة فى حقيقه الصّداقه، إذا حصل الإنسان عليها أو على بعضها فهو الصّديق، وإذا لم يحصل ولا على واحده منها - على أقل تقدير - فهو ليس من أهل الصّداقه.

لكن هذا لا ينفى أن يكون نضيراً فى الخلق وما شابه ذلك، إلا أنّه ليس بالصديق الذى يكون من الخواصّ.

الأوّل: «أن تكون سريرته وعلايته لك واحده»

وهذا هو الشرط الأول من هذه الشروط الخمسه، فمتى ما كان الذى تريد أن تُصاّدقه يحمل هذا الشّعور وهذا المبدأ فهو أهلٌ للصّداقه.

قال بعض الأكابر: «لعلّ المراد أن يكون كلّ قوله موافقاً لضميره، وإلا لكان نفاقاً منافياً للصّداقه، لا أن لا يكتتم سرّاً من أسرارهِ؛ إذ كتمان بعض السرّ من باب الحزم قد

ص: ١٤٧

يكون مطلوباً، كما دلّ عليه بعض الروايات» (١)، ومثل هذه الشروط الخمسة لا يتحقق العلم بوجوده إلا بالمجالسه المتعدده، والمخالطه المتكرره، والمعاشره الظاهريه، أو بشهاده حاله وغيرها.

الثانى: «أن يرى زينك وشينك شينه»: بحيث يريد ويكره لك ما يريد ويكره لنفسه، بحيث لا- يورطك فى فعل هو لا يرتضيه لنفسه أبداً، ويعتبر ذلك عاراً عليه؛ لأنك مرآه له فى أصل الإيمان، فضلاً عن الصداقه التى هى أخص من مطلق الإيمان، وينهاك سرّاً عن بعض ما لا يرتضيه هو لنفسه؛ لأنّ هذا الشرط يريد أن يجعلك مع صديقك شخصين فى صوره واحده؛ إذ ورد فى بعض حقوق المسلم على المسلم: «أن يُدِيمَ نصيحتَه... ويحبّ له من الخير ما يحبّ لنفسه، ويكره له من الشرّ ما يكره لنفسه» (٢).

والثالث: «أن لا- تُغيّره عليك ولايه ولا مال»: بأن تكون صداقته بعد وجدان الحكومه والمال كما يكون قبله بلا تفاوتٍ، وهى نادره (٣).

وهذا الشرط هو محكّ الأصدقاء، فكم من صديقٍ أخلص صداقته لصديقه، وكانت سريره وعلانيته واحده، ويرى زين صديقه زينه، وشينه شينه؟ لكن ما أن وصل إلى الولايه، أو حصل على بعض المال الذى ليس لصديقه منه نصيب، حتّى تراه قد انقلب ورجع القهقرى. وهناك أمثله عديده فى التاريخ، أذكر نموذجاً واحداً على نحو التذكير يشابه ما تريد ببعض الاعتبارات.

روى مُحمّد بن على الصوفى قال: استأذن إبراهيم الجمال رحمه الله على أبى الحسن على بن يقطين الوزير، فحجبه، فحجّ على بن يقطين فى تلك السنه، فاستأذن بالمدينه على مولانا

ص: ١٤٨

١- (١) شرح أصول الكافى: ج ١١، ص ٩٧ - ص ٩٨.

٢- (٢) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢٣٦.

٣- (٣) شرح أصول الكافى: ج ١١، ص ٩٧ - ص ٩٨.

موسى بن جعفر فحجبه، فرآه ثانى يومه، فقال على بن يقطين: يا سيدى ما ذنبى؟ فقال: «حجبتك لأنك حجبت أخاك إبراهيم الجمال، وقد أبى الله أن يشكر سعيك أو يغفر لك إبراهيم الجمال، فقلت: سيدى ومولاي، من لى بإبراهيم الجمال فى هذا الوقت وأنا بالمدينه وهو بالكوفه؟»

فقال: إذا كان الليل فامض إلى البقيع وحدك من غير أن يعلم بك أحد من أصحابك وغلما نك واركب نجيباً (١) هناك مسرّجاً. قال: فوافى البقيع وركب النجيب، ولم يلبث أن أناخه على باب إبراهيم الجمال بالكوفه، ففرع الباب، وقال: أنا على بن يقطين. فقال إبراهيم الجمال من داخل الدار: وما يعمل على بن يقطين الوزير بابى؟! فقال على بن يقطين: يا هذا، إن أمرى عظيم، وآلى عليه أن يأذن له، فلمّا دخل قال: يا إبراهيم، إن المولى عليه السلام أبى أن يقبلنى أو تغفر لى، فقال: يغفر الله لك. فألى على بن يقطين على إبراهيم الجمال أن يطأ خده، فامتنع إبراهيم من ذلك، فألى عليه ثانياً ففعل، فلم يزل إبراهيم يطأ خده وعلى بن يقطين يقول: اللهم اشهد. ثم انصرف وركب النجيب وأناخه من ليلته بباب المولى موسى بن جعفر عليه السلام بالمدينه، فأذن له ودخل عليه فقبله (٢).

فلاحظ كيف أن الإمام عليه السلام لم يقبل على بن يقطين لعمله هذا، وكيف كان تصرّف على بن يقطين تجاه صديقه إبراهيم الجمال!؟

الرابع: «أن لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته» والرابع من هذه الحدود الخمسه أن لا يمنع الصديق صديقه شيئاً هو قادر على تقديمه له، سواء كان هذا الشيء مالاً أو جاهاً أو

ص: ١٦٩

- ١- (١) النجيب: الفاضل من كل حيوان (النهايه فى غريب الحديث: ج ٥، ص ١٧ ماده نجب)، وفى (ج ١، ص ١٦) قال: النجيب: التام الخلق الحسن المنظر. وفى القاموس المحيط: ج ١، ص ١٣٠ (النجيب: الكريم الحسب).
- ٢- (٢) عيون المعجزات: ص ٩١. مدينه المعاجز: ج ٦، ص ٣٤٣ - ص ٣٤٤، ح ١١٠. بحار الأنوار: ج ٤٨، ص ٨٥ ح ١٠٥، عن عيون المعجزات.

مواصاةً أو ما شابه ذلك؛ لأنَّ كلمه (الشَّىء) تشمل الجميع، وإلَّا يكون قد قصر في حدِّ من حدودِ الصِّداقه.

والخامس: «أن لا يُسَلِّمَكَ عند النكبات» وقد عبَّر الإمام عليه السلام عن هذه الخصله بأنَّها تجمع الخصال كُلَّها؛ لأنَّ الصِّديق إذا لم يُسَلِّم صديقه عند النكبات فقد حقَّق: بأنَّه ما منع صديقه شيئاً تناله مقدرته، ولا تغبَّر بالولايه ولا المال، وهكذا، فكلِّما احتاجه صديقه كان عنده في الشدائد والمحن، في الرِّخاء والشَّدّه.

والنكبه - بالفتح - هي ما يُصيب الإنسان من الحوادث. ومعنى الإسلام هنا الخذلان والإلقاء إلى الهلكه. يقال: أسلم فلان فلاناً إذا خذله ولم ينصره، أو إذا ألقاه إلى الهلكه ولم يحمِه من عدوّه (١).

وقد روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «النَّفْسُ الكريمة لا تؤثر فيها النكبات» (٢).

وهذه الكلمه أشبه ما تكون حلاً - لَمَنْ سلَّمه صديقه للنكبات، وخذله في المُهمَّيات، والحلُّ هو أن لا يتأثر بذلك، بل يصبرُ ويتوكَّل على الله تبارك وتعالى.

وأروغُ مثالٍ سطره التاريخُ في حدود الصِّداقه ما ذُكر عن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، فلقد بالغوا في غايه المجهود، وزادوا في تحقيق الحدود، فشملمهم الله تبارك وتعالى بواسع رحمته، ورفيع درجته، وإنَّ العاقل يقف لهم بكلِّ إكبارٍ وإجلالٍ، لعظيم ما قدّموه في عاشوراء، وجيل ما حقَّقوه لسَيِّد الشهداء أرواحنا له الفداء فترى الكبير يحثُّ الصِّغير، والحرَّ يقوى عزيمة المولى، والزوجه تُشجِّع زوجها، والولد يتقدَّم والدّه وهكذا. فلم يسلموه عند النكبات.

ص: ١٧٠

١- (١) شرح أصول الكافي: ج ١١، ص ٩٧ - ص ٩٨.

٢- (٢) غرر الحكم: حكمه ١٥٥٥.

فناصروا الرّسول وبضعته البتول، وناصروا أمير المؤمنين، وبهجه المختار فصاروا بذلك نِعَمَ الأنصار، وقد أعمى الله لهم ولأجلهم من كثر السواد.

فقد سئل عبدُ الله الزّياح القاضي الأعمى عن عمائه، فقال: كنتُ حضرتُ كربلاء، وما قاتلتُ فتمتُ فرأيتُ شخصاً هائلاً قال: أجب رسول الله، فقلت: لا أطيق، فجزّني إلى رسول الله فوجدته حزينا وفي يده حربه، وبسط قدامه نطعاً ومَلَكٌ قبله قائم، في يده سيف من النار، يضرب أعناق القوم وتقع النار فيهم فتحرقهم، ثمَّ يُحيون ويقتلهم أيضاً هكذا، فقلت: السلام عليك يا رسول الله، والله ما ضربتُ بسيفٍ ولا طعنتُ بزُمَحٍ ولا رميتُ سهماً، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: ألسَتِ كَثَرَتِ السَّوَادُ فَسَلَّمَنِي وَأَخَذَ مِنْ طَسْتٍ فِيهِ دَمٌ فَكَحَلَنِي مِنْ ذَلِكَ الدَّمِ فَاحْتَرَقَتْ عَيْنَايَ فَلَمَّا انْتَبَهتُ كُنْتُ أَعْمَى (١).

نعم والله، لقد ضرب أصحاب الإمام الحسين عليه السلام أروع الأمثلة، ويكفيك ما قاله الإمام الحسين عليه السلام في حقهم كما روى ذلك زين العابدين وسيّد السّاجدين عليه السلام، ونصّ عليه العالم الكبير الشّيخ المفيد رحمه الله حيث قال: «فجمع الإمام الحسين عليه السلام أصحابه عند قرب المساء، قال عليُّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم، وأنا إذ ذاك مريضٌ، فسمعت أبي يقول لأصحابه: «أثنى على الله أحسن الثناء، وأحمده على السراء والضراء، اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى أَنْ أكرمْتَنَا بالنبوة، وعلمتَنَا القرآن، وفقهتَنَا في الدين، وجعلتَ لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدةً فاجعلنا من الشّاكرين.

أما بعد: فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيتٍ أبزّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي خيراً، ألا وإنّي لأظنُّ أنّه آخر يوم لنا من هؤلاء، ألا- وإنّي قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم منّي ذمام، هذا الليل قد غشيكم

ص: ١٧١

---

١- (١) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢١٦، عنه مدينة المعاجز: ج ٤، ص ٨٤ ح ١٥٥. بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٣٠٣. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٦٢٤.

فاتخذوه جملاً». فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا(١) عبد الله بن جعفر: لِمَ نفعل ذلك، لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً. بدأهم بهذا القول العباس بن علي عليه السلام واتبعته الجماعة عليه فتكلموا بمثله ونحوه»(٢).

فنصروا إمامهم بكل ما أوتوا من قوّه ومن هنا ترى أنّ المؤرّخين عندما يمرّون بسيره حبيب يقفون له ولأمثاله إجلالاً لمواقفه النبيله مع أهل بيت العصمه والطهاره.

فقد ذكر بعض أهل المقاتل أنّ حبيب بن مظاهر كان ذات يوم بالكوفه واقفاً عند عطارٍ يشتري صبغاً لكريمته، فمرّ عليه مسلم بن عوسجه فالتفت إليه حبيب وقال له: يا مُسلم، إنّى أرى أهل الكوفه يجمعون الخيل والرجال والأسلحه! فبكى مسلم، وقال: صمّموا على قتال ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. فبكى حبيب ورمى الصبغ من يده، وقال: لا والله، لا تصبغ هذه إلا من هذه. وأشار إلى نحره، ثم سار حتّى وافى كربلاء..(٣)، وأنّه لما رأى كثره العساكر وتصميمهم على حرب الحسين أقبل إلى الحسين، وقال له: سيّدى، إنّ ها هنا حتّى من بنى أسد أفتأذن لى أن أمضى إليهم وأدعوهم إلى نُصرتك؟ فقال له الحسين عليه السلام: «بلى امض» فانسلّ حبيب فى جوف الليل حتّى إذا جاء إلى ذلك الحىّ اجتمعوا عليه ورخبوا به، ثمّ قالوا له: ما حاجتُك؟ فقال إنّى أتيتكم خير ما أتى به وافد على قومه، جئتكم أدعوكم إلى نصره ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا ابن سعد أحاط به، وأنتم عشيرتى أطيعونى تنالوا شرف الدنيا والآخره، والله، لا يُقتل أحد منكم إلا وكان لمحمّد صلى الله عليه وآله رفيقاً يوم القيامه. فقام إليه رجل يُسمّى عبد الله بن بشير فقال: يا حبيب! أمّا أنا

ص: ١٧٢

١- (١) فى بعض المصادر (وأبناء).

٢- (٢) الإرشاد: ج ٢، ص ٩١. روضه الواعظين: ص ١٨٣. إعلام الورى: ج ١، ص ٤٥٥. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٩٢. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٢٤٣ - ص ٢٤٤.

٣- (٣) ثمرات الأعواد: ج ١، ص ٢١٠.



فأول من يجيبك إلى هذه الدعوه، وها أنا ماضٍ معك. قال: فتبادروا حتى اجتمعوا تسعون رجلاً وأقبلوا معه يريدون الإمام الحسين عليه السلام(١).

وذكر بعض أرباب العزاء: أنه لما كان اليوم العاشر من المحرم جلس حبيب بإزاء خيمه النساء واضعاً رأسه في حجره يبكي، ثم رفع رأسه فقال: آه آه لوجدك يا زينب يوم تحملين على بعير ضالع يُطافُ بك البلدان، ورأس أخيك الحسين أمامك. وكأني برأسى هذا مُعلق بلبان الفرس، تضربه بركبتيها. فضربت زينب رأسها بعمود الخيمه وقالت: «بهذا أخبرني البارحه، لوددت أن أكون عمياء». ثم جاء حبيب واستأذن الحسين عليه السلام للبراز، فأذن له، فحمل على القوم وهو يقول:

أنا حبيب وأبى مُظهر فارس هيجاء وليث قسور

أنتم أعدُّ عُدَّةً وأكثر ونحن أوفى منكم وأصبر

ونحن أعلى حُجَّةً وأظهر حقًّا وأتقى منكم وأعذر

ولم يزل يقاتل حتى قتل من القوم مقتله عظيمه، فحمل عليه بدليل بن صريم العقفاني فضربه بسيفه، وحمل عليه آخر من تميم فطعنه برُمحه فوق إلى الأرض، فذهب ليقوم فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف فسقط إلى الأرض، فنزل إليه الحصين فاحتز رأسه.

وروى عن أبي مخنف قال: لما قتل حبيب هدَّ قتلُه الحُسينَ عليه السلام فجاء إلى مصرعه، وقال: «عند الله أحتسب نفسي وحماء أصحابي»(٢). إننا لله وإنا إليه راجعون، قُتل والله أسدُّ من آساد الله، يذَّب عن حرم الله، رَحِمَكَ اللهُ يا حبيب، لقد كنت شجاعاً فاضلاً، تختم

ص: ١٧٣

١- (١) ثمرات الأعواد: ج ١، ص ٢١٠ - ص ٢١١.

٢- (٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام (أبو مخنف): ص ١٤٥ - ص ١٤٧.

القرآن في ليله واحده. (١)

وفي ذلك يقول الشيخ محمد السماوي رحمه الله:

إن يهدّ الحسين قتل حبيبٍ فلقد هدّ قتلُه كلَّ رُكنٍ

بطلٌ قد لقي جبالَ الأعداى من حديدٍ فردّها كالعهنِ (٢)

فأخذ الحسين عليه السلام ينظر يميناً وشمالاً، فلم يرَ أحداً من أنصاره إلا من صافح الترابُ جبينه، ومن قطع الحمامُ أنيئه، فنادى يا حبيب بن مظاهر، ويا زهير بن القين، ويا مسلم بن عوسجه، ويا فلان ويا فلان. وكأني به بلسان الحال:

ليش أنادى او ما تجييون الندّه رحنوا عنّي اودارت عليّ العده

أدرى بينى او بينكم حال الرده اوبعدكم بيه اشتفت عدوانها

وذكر أنّ الحسين عليه السلام عندما وصل لحبيب استعبر باكياً وقد بان الانكسار في وجه الحسين عليه السلام، وقال: «عند الله أحتسب نفسي وحمّاه أصحابي».

اجاه احسين شافه ودمّه مسفوح وعارين بيرغه اعلى الأرض مطروح

جذب وئّه او منه غابت الروح سدر عنه اودمع العين منثور

وكأني بالحسين عليه السلام ينصرفُ عنه وعن بقيه أصحابه رضوان الله عليهم، ولسان الحال:

تعنه احسين واوجب بالمعاره لگاها امطرّحه اودمها يتجاره

صفنگ بيده اوتلهّف على انصاره وعليهم دمع عينه انحدر واسچم

اشلون اعيونكم يهل الوفه تنام وتسمعون الحرم لاجت بالخيام

ص: ١٧٤

١- (١) ثمرات الأعواد: ج ١، ص ٢١٠ - ص ٢١٣.

٢- (٢) إبصار العين: ص ١٠٦.

گامت تضطرب بالكاع الأجسام ورادت تنتهض لوله المحتّم  
بعد هيهات دهرى بيكم ايعود وردّ اشيل راسى بيكم اردود  
اوترد اچفوف أبو فاضل للزنود وتتلايم النوب اجرّوح الأكبر

\*\*\*

(أبو ذيه)

اچفوف الكدر يصحابى لونكم احشمكم اوروحى تُون لونكم  
تنهضون او شوفونى لونكم وحيد او حاطت العدو ان بيه

\*\*\*

(تخميس)

لما رأى السبّط أصحاب الوفا قتلوا نادى أبا الفضل أين الفارسُ البطلُ  
وأين من دونى الأرواح قد بذلوا بالأمس كانوا معى واليوم قد رحلوا  
وخلّفوا فى سويد القلب نيرانا

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أىّ منقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين

ص: ١٧٥







ما السيفُ ما الرمحُ لولا خفتهُ العلمِ إن أزمعتُ تلكمُ الأرواحَ للعدمِ  
حامى الظعينةَ من فادى بمهجتِهِ دُونَ ابنِ بنتِ رسولِ اللهِ والحرمِ  
فكم أزالَ كرباً في مُهنِّدِهِ عنه وأثبتَ في أعداءِهِ من فقمِ  
حتّى هوى وهو مقطوعِ اليدينِ إلى جنبِ الشريعةِ مطروحاً مع العلمِ  
نادى أخاهُ ألا ادركنى فقد بلغتُ منى أُمِّيهِ ما رامتهُ من قِدمِ  
فخرِ كالصقرِ مُنقِضاً أخوه على جُثمانِهِ بفؤادِهِ منه مُضطرمِ  
ناداهُ والقلبُ خفاقٌ ومُهجتُهُ ذابتُ بدمعِ على خديهِ مُنسجمِ  
عبّاسُ أنتَ عمادى أنتَ مُعتمدى وأنتَ جامعُ شملى أنتَ مُعتمضى  
اليومِ فى قتلِكَ الأعداءِ قد شمتتَ اليومِ قد خلّفتنى فرداً بغيرِ حمى  
إن الرزايا وإن جلتَ فزؤوكَ قد أحنى ضلوعى وأجرى أعينى بدمِ (1)

\*\*\*

(فائزى)

ظهري انكسر خويه وانته اللى كسرته مانى أخوك اشلون أخوك اليوم عفته  
انته التجيب الماي وانته الكافل انتة اتخلى العقيله ابلا ولى بين آل أُمِّيهِ  
اشلون اردن للخيم والخيم ظلمه عباس خويه نومتك علكاع هضمه

ص: ١٧٩

١- (١) لم أعتز على ناظمها (فليله درّه وعلى الله أجره).

ما بين طفل اليرتجيك وبين حُرْمه كلساع تگول اهسا يجيب المای لِيه

ولكن انقطعت آمالهم بعد ما علم الجميع - كباراً وصغاراً - أنه على المشرعه، دامی الودجين، وكأني بأبي عبد الله الحسين عليه السلام يخبر بذلك.

(نصاري)

يخويه أَيْست سکنه امن المای تجی يَمی يخويه او تو گف احذای

يخويه امن العطش رادت تجی اويای او تگلك وين وعدك يا مشكّر

يخويه ما درت لنك رميه وهي برجواك تسجيهأُميه

يخويه امنين اجت ليك الميه او تگظي بالعطش والشمس والحرّ

يخويه ليش هلساعه عفتني غبت عني يخويه اوضيعتني

مهو افراگك شعب گلبی اوفتنی اوانارك بالکلب يا خوی تسعر

\*\*\*

ص: ۱۸۰



فضل عباس ما ينعده وجوده ضوه لحسين يوم الطف وجوده

انحنه من طاحن اچفوفه وجوده اوبعده احسين صاح انگطع بيه

\*\*\*

قال تعالى فى محكم كتابه الكريم: (وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ) ١ .

الآيه المباركه جاءت ضمن آيات أخر من سوره الحديد تتحدّث عن مجموعه مُهمّه من المسائل الأخلاقية والتربويه، كان آخرها المذنين يتصدّقون بأموالهم، حيث قال تعالى فيها: (إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَ الْمُصَّدَّقَاتِ وَ أَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسِينًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَ لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ) ٢ ثم جاء دور الآيه التى نحن بصدها.

ويمكن أن نركّز حديثنا فى ضوء الآيه المباركه على بعض المقاطع التاليه:

الإيمان بالله ورسوله:

لقد بنى القرآن الكريم الصفات والجزاء على الإيمان بالله ورسوله، ومن هنا كان من المهم جدّاً أن نركّز البحث عليه.

فالإيمان بالله ورسوله هو الاعتقاد الراسخ بأنّ الله تبارك وتعالى: (أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ \* وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) بصفاته الذاتيه والجلاليه والجماليه حى قنوم، إلى آخر ما وصف به البارى عزّ و جلّ نفسه تبارك وتعالى، وأنّه بعث الأنبياء والرسل لا نفرّق بين أحدٍ من رُسله.

فَمَنْ انطوى قلبه وانعدت جوانحه ورسخت عقيدته على هذه المعانى فهو مؤمن بالله ورسله مع كامل الإقرار والاعتقاد.

وَأَنْ يَأْتِيَ بِأَعْمَالِهِ عَلَى ضَوْءِ مَا اعْتَقَدَ بِهِ، وَلِذَا عَطَفَ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ عَلَى الْإِيمَانِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) ١، فَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ أَشْبَهَ مَا يَكُونُ بِالنَّظَرِيهِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى تَطْبِيقِ عَلَى الْوَاقِعِ الْخَارِجِيِّ؛ وَلِذَا وَرَدَ النَّهْيُ الْمُؤَكَّدُ عَنْ ادِّعَاءِ مِثْلِ هَذَا الْإِيمَانِ الْمَفْرَغِ مِنْ مَحْتَوَاهِ الْعَمَلِيِّ الَّذِي يَكُونُ مَنَاسِبًا لِمَا يَعْتَقِدُهُ وَيُؤْمِنُ بِهِ، كَمَا رَوَى ذَلِكَ فِي رَوَايَاتٍ عَدِيدَةٍ عَنِ النَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَطْهَارِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

منها: ما رواه الشيخ الكليني رحمه الله في الكافي عن شيماعه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن الإسلام والإيمان أمهما مختلفان؟ فقال: «إنَّ الإيمانَ يشارك الإسلام، والإسلام لا يشارك الإيمان»، قلت: فصفهما لي، فقال: «الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، والتَّصديق برسول الله صلى الله عليه وآله، به حُققت الدِّماءُ وعليه جرت المناكح والموارِيث، وعلى ظاهره جماعه الناس. والإيمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفه الإسلام، وما ظهر من العمل به، والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة؛ إنَّ الإيمانَ يشارك الإسلام في الظاهر، والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن، وإن اجتمعا في القول والصفه» (١).

ومحل الشَّاهد في هذا الخبر هو قوله عليه السلام: «والإيمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفه الإسلام وما ظهر من العمل به»، فلا بدَّ من العمل بالإضافة للإيمان القلبي.

وقريب منه ما عن حمran بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «الإيمان ما

ص: ١٨٢

---

١- (٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٥، ح ١. الفصول المهمَّة في أصول الأئمَّة: ج ١، ص ٤٣٠، ح ٣. بحار الأنوار: ج ٦٥، ص ٢٤٨، ح ٨ عن الكافي.

استقرّ في القلب وأفضى به إلى الله عزّ وجلّ، وصدّقه العمل بالطّاعة لله والتسليم لأمره...» (١).

فالمقصود من الإيمان ما انعقد عليه القلب، وصدّقه الجوارح بالعمل الصّالح المرضي عند الله ورسوله وأوليائه.

صفات المؤمنين بالله ورسوله:

بعد أن بيّنا أنّ حقيقة الإيمان بالله ورسوله لا يُقتصر فيها على المقام النظري، بل لا بدّ من التعدّي إلى مقام العمل، جاء الآن الدور لبيان ما هي الصّفات المترتبة على الإيمان بالله والرّسل؟

وفي الجواب نقول: إنّ الآيه المباركه ذكرت أنّ هؤلاء لهم مقام عظيم ليس عند الناس فحسب، بل لهم مقام رفيع وشأن عظيم عند الله عزّ وجلّ، وهذا المقام والصّفه هي ما ذكره الباري عزّ وجلّ بقوله: (أُولَئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ وَ الشّٰهَدَاءُ عِنْدَ رَبّٰهِمْ).

وقبل الخوض في معنى الصّديق والشّهيد في الآيه المباركه، أودّ أن اتعرّض لبعض الآيات التي تناولت موضوع الإيمان بالله ورسوله. فهناك آيات عديده ذكرت مقامات ومنازل للذين آمنوا بالله ورسوله غير ما ذكرته الآيه الشريفه.

مثل قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ) ٢، ومثل قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ) ٣، وغيرها من الآيات. ففي الآيه الأولى جعل الباري عزّ وجلّ منزله الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات الجنّه. وفي الآيه الثانيه جعلهم الباري عزّ وجلّ المصداق الوحيد للمؤمن. وهكذا هو الأمر في عديد من الآيات، فقد

ص: ١٨٣

تجاوزت الآيات التي تعرّضت لمادّة الإيمان المائة آية إذا لم نقل المئات.

ثمّ نعود إلى الصّيفه التي وصف الباري عزّ وجلّ بها الّذين آمنوا به تعالى وبرسله هي: (الصّدّيق والشّهيد) حيث قال عزّ وجلّ: (أُولَئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ وَ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) .

فما المراد بالصّدّيق والشّهيد؟ لقد تكرّرت هاتان اللفظتان في القرآن الكريم كثيراً، وقد وصف الباري عزّ وجلّ بعض الأنبياء بالصّدّيق في بعض الآيات.

منها: قوله تعالى: (وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ اِبْرٰهِيْمَ اِنَّهٗ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا) ١ .

وقوله تعالى: (وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ اِدْرِيسَ اِنَّهٗ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا) ٢ .

وقوله تعالى: (وَ اُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) ٣/ إلى غير ذلك من الآيات الكريمه. وكذلك الأمر بالنسبه للفظه (الشّهيد) فقد تكرّر ذكرها في القرآن الكريم كثيراً، مثل قوله تعالى: (فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصّٰدِقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصّٰلِحِينَ) ٤ .

والمقصود بالصّدّيقين في الآيه المباركه «هم الّذين سرى الصّدق في قولهم وفعلهم، فيفعلون ما يقولون ويقولون ما يفعلون»(١).

يعنى أصبح الصّدق ملازماً لهم ولا- ينفكّ عنهم، لكون الصّيغه من صيغ المبالغه، وهي دالّه على الكثره، وهي النموذج التّام للصّدق(٢).

وقد روى عن أهل البيت عليهم السلام أنّ فاطمه عليها السلام «كانت صّدّيقه»، فعن أبي عبد الله

ص: ١٨٤

١- (٥) تفسير الميزان: ج ١٩، ص ١٦٢.

٢- (٦) انظر: تفسير الأمثل: ج ١٨، ص ٥٣.

الصِّادِق عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ تَسَعُهُ أَسْمَاءُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَاطِمَةُ، وَالصَّدِيقُ، وَالْمُبَارَكَةُ...» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ (١). وَسَيَأْتِي أَنَّ بَعْضَ الرِّوَايَاتِ وَسَّعَتْ مِنْ مَصَادِيقِ الصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ.

وَأَمَّا الشُّهَدَاءُ فَهُوَ جَمْعُ شَهِيدٍ مِنْ مَادَّةِ (شُهُودٍ) بِمَعْنَى الْحُضُورِ مَعَ الْمَشَاهِدَةِ، سِوَاءَ كَانَتْ بِالْعَيْنِ الْمَجْرُودَةَ أَوْ الْبَصِيرَةَ، وَإِذَا أُطْلِقَتْ عَلَى (الشَّاهِدِ) كَلِمَةً شَاهِدًا وَشَهِيدًا فَالسَّبَبُ هُوَ حُضُورُهُ وَمَشَاهِدَتُهُ فِي الْمَكَانِ، كَمَا يُطْلَقُ هَذَا الْمِصْطَلَحُ عَلَى (الشُّهَدَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) بِسَبَبِ حُضُورِهِمْ فِي مِيقَانِ الْجِهَادِ.

إِلَّا أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ (الشُّهَدَاءِ) فِي الْآيَةِ - مُورِدِ الْبَحْثِ - قَدْ يَكُونُ الشُّهَادَةُ عَلَى الْأَعْمَالِ، كَمَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَةِ الْأُخْرَى، فَالْأَنْبِيَاءُ شُهَدَاءٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَرَسُولُ الْإِسْلَامِ شَاهِدٌ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْمُسْلِمُونَ أَيْضًا شُهَدَاءٌ عَلَى أَعْمَالِ النَّاسِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَسَيَطَاطُ لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) ٢ وَغَيْرِهَا مِنَ الْآيَاتِ. وَبِنَاءٍ عَلَى هَذَا فَإِنَّ الشُّهَادَةَ عَلَى الْأَعْمَالِ مَقَامٌ عَالٍ، وَالَّذِي يَكُونُ مِنْ نَصِيبِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَاحْتِمَالُ الْبَعْضِ أَنَّ لَفْظَ (شُهَدَاءٍ) هُنَا يَرَادُ بِهِ الشُّهَدَاءُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَيْ الْأَشْخَاصَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ لَهُمْ أَجْرٌ وَثَوَابٌ فِي الشُّهَادَةِ يُحْسَبُونَ بِمَنْزِلَةِ الشُّهَدَاءِ.

وَمِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنَّهُ يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَعْنِيَيْنِ، خُصُوصًا أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَطْلَقَ مِصْطَلَحَ (شَهِيدٍ وَشُهَدَاءٍ) - فِي الْغَالِبِ - عَلَى الْأَعْمَالِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ (٢).

وَأَمَّا الصَّدِيقُ وَالشُّهِيدُ فِي أَحَادِيثِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَهُمَا أَوْسَعُ مِنْ ذَلِكَ، فَفِي (حَدِيثِ الْأَرْبَعَمَائَةِ) مِنَ الْخِصَالِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «وَالْمَيِّتُ مِنْ شِيعَتِنَا صَدِيقٌ شَهِيدٌ، صَدَّقَ

ص: ١٨٥

١- (١) بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ١٠.

٢- (٣) انظر: تفسير الأمل: ج ١٨، ص ٥٣.

بأمرنا، وأحبّ فينا وأبغض فينا، يريد بذلك الله عزّ وجلّ مؤمن بالله وبرسوله، قال الله عزّ وجلّ (وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ  
أُولَئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ وَ الشّٰهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ) (١).

ووصفت بعض الروايات المرويّة عن النّبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أشخاصاً مُعيّنين بكونهم صدّيقين، حيث قال صلى الله عليه  
و آله: «الصّديقون ثلاثة: عليّ بن أبى طالب، وحبیب النّجار، ومؤمن آل فرعون» (٢)، وقال صلى الله عليه و آله: «لكلّ أمّة صدّيق  
وفاروق، وصدّيق هذه الأمّة وفاروقها عليّ بن أبى طالب عليه السلام» (٣)، هذا هو صدّيق الأمّة الأوّل.

وأما صدّيقها الثّانى فهو أبو الفضل العباس ابنه عليه السلام، حيث شهد له الإمام الصّادق عليه السلام بذلك، وأعطاه هذا الوسام  
فى زيارته له عليه السلام، حيث قال إمامنا أبو عبد الله الصّادق عليه السلام: «أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء  
والنصيحة..» (٤).

فأبو الفضل العباس عليه السلام هو الصّديق من حيث اللّغه، لأنّه عليه السلام كان دائم التصديق لله ولرسوله ولإمامه - الإمام  
الحسين عليه السلام - وهو الذى كان عمله يصدّق قوله، وهو أيضاً كان المبالغ فى الصّديق، وأنّه كان الذى لم يختلج فى قلبه  
شكّ فى كلّ ما أمر الله به، وهو الصّديق من حيث الاصطلاح أيضاً؛ لأنّه عليه السلام كان النموذج الأفضل، والمصداق الأمثل -  
بعد الأئمّة الأطهار عليهم السلام - لمن آمن بالله ورسوله وأطاع الله ورسوله كما كان هو عليه السلام فى مقدّمه الشّيعه وطلّيعتهم  
والسّابق فى متابعه أئمّه أهل البيت عليهم السلام ومشايعتهم؛ لأنّ الشّيعى هو من شايح عليّاً عليه السلام والأئمّة من بنيه الذين  
سمّاهم القرآن بأهل البيت عليهم السلام، والتزم متابعتهم، والسير على هديّهم، وكيف لا يكون أبو الفضل العباس عليه السلام  
كذلك وهو ابن الإمام أمير

ص: ١٨٦

١- (١) الخصال: ص ٦٣٦.

٢- (٢) الخصال: ص ١٨٤، ح ٢٥٤.

٣- (٣) عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٦، ح ٣٠.

٤- (٤) كامل الزّيارات: ص ٤٤٠، باب ٨٥، ح ١.

المؤمنين عليه السلام، وأخو الإمامين الهمامين الحسن والحسين عليهما السلام، وقد تلقى تربيته الأخلاقية والعلمية الزاقيه في أحضانهم ومدرستهم (١).

هذا هو المقام الأول لأبي الفضل العباس عليه السلام وهو مقام التصديق.

المقام الثاني: وهو مقام الشَّهادة، ومن المعلوم أنَّ أبا الفضل عليه السلام ممَّن آمن بالله ورسوله وأوصياء الله ورسله، فهو ممَّن نال مقامَ الشَّهادة بكلا معنييها المتقدِّمين، بمعنى مَنْ شاهد وحضر، أو بمعنى مَنْ قُتل في سبيل الله تبارك وتعالى، وكان كذلك أبو الفضل العباس عليه السلام، فإنَّ مواقفه المشرفه في كربلاء وفي يوم عاشوراء وغيرها، لهي خير دليل على ما قاله الإمام زين العابدين عليه السلام في حقِّ عمِّه أبي الفضل العباس عليه السلام، وأجلى برهان على جداره أبي الفضل العباس عليه السلام لنيل هذا الوسام المنيف، وسام (الشَّهيد المحتسب) كما وسمَّه الإمام الصادق عليه السلام بهذا الوسام العظيم، وذلك حيث خاطبه في زيارته المعروفه بقوله: «أشهدُ أنَّكَ قُتلتَ مظلوماً» فلم يكن شهيداً فحسب، بل شهيد مظلوم؛ لأنَّ الأعداء من دناءتهم وخسرتهم لم يبارزوه وجهاً لوجه، وإنما اغتالوه في كمين لهم، فقتلوه غيلةً وغدرًا، ومن قساوتهم وغلظتهم لم يكتفوا بقتله بضربه وضربتين، وإنما قطَّعوه بسيوفهم إرباً إرباً، بعد أن بتروا يديه وأبانوا رجليه، وأصابوا عينه، وخسفوا رأسه وقتلوه مظلوماً فصدق عليه أنَّه الشَّهيد المظلوم كما شهد له الإمام الصادق عليه السلام بذلك (٢).

الأجر والنور:

بعد أن بينت الآيه المباركه أنَّ للَّهذين آمنوا بالله ورسله مقاماً عظيماً عند الله تبارك وتعالى، وهو مقام الصِّدِّيقين والشَّهداء، ذكرت أيضاً أنَّ لهم أجراً ونوراً، حيث قالت:

ص: ١٨٧

١- (١) انظر: الخصائص العباسيه: ص ١٩٧ - ص ٢٠٠.

٢- (٢) انظر: كتاب الخصائص العباسيه: ص ١٩٣ - ص ١٩٤.

(لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ) والتي فسرها بعض العلماء بأن لهؤلاء أجراً من نوع الصديقين والشهداء، ونوراً من نوع نورهم (١).

وهكذا هو الحال في قمر العشير ونورها أبي الفضل العباس عليه السلام، فإن له مقاماً عند الله تبارك وتعالى زائداً على مقام الصديقين والشهداء إذ لا يبقى صديق ولا شهيد إلا وغط أباهما الفضل العباس عليه السلام.

ومن هنا روى عن إمامنا زين العابدين عليه السلام أنه قال: «رحم الله عمي العباس بن علي، فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه، حتى قطعت يده فأبدله الله بجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزله يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة» (٢).

ولعل مرجع هذه المنزلة إلى مرتبه المواساة وقوتها لسيد أبي عبد الله المظلوم عليه السلام، والنفس الأبية التي كانت لا تتحمل سماع صوت الأطفال يتصارخون وينادون: العطش، العطش.

أَوْ تَشْتَكِي الْعَطْشَ الْفَوَاطِمُ عِنْدَهُ وَبَصِيرَ صَعْدَتِهِ الْفُرَاتِ الْمُفْعَمُ

فركب جواده ومعه اللواء، وأخذ القربة وقصد الفرات، وأحاط به أربعة آلاف ممن كانوا موكلين بالفرات لمنع الحسين وأصحابه منه ورموه بالنبال، فكشفهم وقتل منهم جماعة.

وثنى أبو الفضل الفوارس نُكْصاً فَرَأُوا أَشَدَّ ثَبَاتِهِمْ أَنْ يُهْزَمُوا

ما كَرَّ ذُو بَأْسٍ لَهُ مُتَقَدِّمًا إِلَّا وَفَرَ وَرَأْسُهُ الْمُتَقَدِّمُ (٣)

ص: ١٨٨

١- (١) انظر: تفسير الميزان: ج ١٩، ص ١٦٢.

٢- (٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام (أبو مخنف): ص ١٧٦، عنه بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ٢٧٤.

٣- (٣) هذه الأبيات من قصيده عصماء للمرحوم السيد جعفر الحلبي.



حتى إذا وصل إلى المشرعه ركز لواءه ونزل إلى الماء، فلما أحسَّ ببرد الماء وقد كظله العطش، اغترف غُرفه ليشرب، لكنه تذكر عطش الحسين عليه السلام، فرمى الماء من يده، وقال: لا والله، لا أشرب الماء وأخى الحسين عليه السلام عطشان.

غرف غرّفه ابيمينه اوراد يشرب وگلبه امن العطش نيران تلهب

ذكر جبده عضيده والدّمع صب ذبه او علىّ گال المای يحرم

اشلون اشرب وخوى احسين عطشان ع طشان اوسكنه والحرم وأطفال رضعان

وظن گلب العليل التهب نيران يريت المای بعده لا حله او مرّ

ثمّ ملأ القربة وحملها على كتفه، وخرج من المشرعه، فاستقبلته جموع الأعداء، وصاح ابن سعد: اقطعوا عليه طريقه، ولما رأى ذلك منهم حمل عليهم بسيفه:

حتى إذا قطعوا عليه طريقه بسداد جيش بارز وكمين

حسموا يديه وهامه ضربوه في عمد الحديد فخرّ خير طعين (١)

فرموه بالنبال والسهم من كلّ جانب حتى صار درعه كالتنفذ من كثرة السهم، فكمن له زيد بن ورقاء من وراء نخله، وعاونه حكيم بن الطفيل على ضربه عليه السلام، لحظات وجاء إليه أخوه الحسين، فرآه مقطوع اليدين، مرضوض الجبين، والسهم نابت في العين، والعلم ممزق إلى جنبه، والقربة مخزقة نادى: الآن انكسر ظهري، الآن قلت حيلتي، الآن شمت بي عدوي، وكأني به يُخاطب أبا الفضل بلسان الحال:

يبو فاضل يعزّي اوسيف نصرى يشيال العلم يا تاج فخرى

عمود الصاب راسك كسر ظهري اوهدم ركنى اوكلّ ما چان إلى سور

ص: ١٨٩

١- (١) هذه الأبيات من قصيده رائعه للمرحوم الشيخ حسن قفطان.

اعيون أطفالنا الدربك رجيه تگول المای عمی السآ يجيه

متدری أطفالنا ابعمهم ضریه او مخ راسه على الچتفین منثور

ثمّ قام أبو عبد الله عليه السلام وحمل على القوم، فأخذ يضرب فيهم وهو يقول: إلى أين تفزون وقد قتلتم عَضُدِي؟ إلى أين تفزون وقد قتلتم ابنَ والدي؟ ثمّ رجع إلى أخيه وانحنى عليه يُقبّله ويبكى، ففاضت روحهُ الطّاهره ورأسه فى حجر أخيه الحُسين عليه السلام. رَجِمَ اللهُ مَنْ نادى: وا عبّاساه، أى وا سيّداه وا عطشاناه.

ثمّ رجع أبو عبد الله إلى الخيام وكأّنى به:

يخويه امودّع الله تظلّ بالبرّ نهض محنى الظّهر للخيم سدر

اجت سكنه تصيح الله وكبر يبويه وحّدك عبّاس چا وين

بچه اوناده يبويه راح عمچ يبويه اشينفع اعتابچ اوونچ

بعد عمچ يبويه موش يمچ گظه امطبر يسكنه لا تعتبن

\*\*\*

عبّاس يا حامى الطّعينه والحرم بحماك قد نامت سكينه فى الخيم

صرخت ونادت يوم قد سقط العَلَم اليوم نامت أعين بك لم تنم

وتسهّدت أخرى فعزّ منامها

\*\*\*

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمّدٍ أىّ مُقلّبٍ ينقلبون

والعاقبه للمتقين





عَبَسَتْ وُجُوهُ الْقَوْمِ خَوْفَ الْمَوْتِ وَالْإِبْرَاهِيمَ فِيهِمْ ضَاحِكٌ مَتَبَسِّمٌ  
قَلْبَ الْيَمِينِ عَلَى الشُّمَالِ وَغَاصَ فِي الْأَوْسَاطِ يَحْصُدُ لِلرُّؤُوسِ وَيَحِطُّمُ  
بَطْلٌ تَوَرَّتْ مِنْ أَبِيهِ شَجَاعَةً فِيهَا أَنْوْفُ بَنِي الضَّلَالَةِ تُرْغَمُ  
عَرَفَ الْمَوَاعِظَ لَا تَفِيدُ بِمَعَشَرٍ صُؤُومًا عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ كَمَا عُمُوا  
فَانْصَاعَ يَحِطُّبُ فِي الْجَمَاجِمِ وَالْكَلا فَاالسَّيْفُ يَنْشُرُ وَالْمُتَّقِفُ يَنْظُمُ  
لَوْ سَدَّ ذِي الْقَرْنَيْنِ دُونََ وَرُودِهِ نَسْفَتَهُ هَمَّتَهُ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ  
حَامِي الظَّعِينَةِ أَيْنَ مِنْهُ رِبْعُهُ أَمْ أَيْنَ مِنْ عَلِيَا أَبِيهِ مُكَدَّمُ  
بَطْلٌ إِذَا رَكِبَ الْمُطَّهَمَ خَلَّتَهُ جَبَلًا أَشَمَّ يَحْفُ فِيهِ مُطَّهَمُ  
قَسْمًا بِصَارِمِهِ الصَّقِيلِ وَإِنِّي فِي غَيْرِ صَاعِقِهِ السَّمَاءِ لَا أُقْسَمُ  
لَوْلَا الْقَضَا لِمَحَى الْوَجُودَ بِسَيْفِهِ وَاللَّهُ يَقْضِي مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ (١)

\*\*\*

يَعْبَاسُ مَتْنَهُ اللَّيْ جَبْتَنِي وَبِيدَكَ يَخْوِيهِ رَكْبَتَنِي  
طُولُ الدَّرْبِ مَا فَارَكْتَنِي بَسْ مَا رَحْتَ عَنِّي وَعَفْتَنِي  
عَكْبَكَ بَنِي أُمِّيهِ وَلَتَنِي خَذُونِي يَسِيرُهُ أَوْلَا شَفْتَنِي  
دَغْدَغُ يَخْوِيهِ أَوْشُوفُ مَتْنِي تَرَهُ أَسْيَاطُ زَجْرِ الْوَرْمَتَنِي  
جَاوِبَهَا يَا زَيْنَبُ اشْبِيدِي أَخُوجِ الْحَرْبِ تَدْرِينِ عِيدِي  
وَيَرْهَبُ بِيَوْمِ الْكُونِ وَيَدِي لَوْنِي تَنْوَشُ السَّيْفِ أَيْدِي

ص: ١٩٣

١- (١) القصيدة للسيد جعفر الحلبي رحمه الله، تقدمت ترجمته في المحاضرة الخامسة من هذا الكتاب فراجع.

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثلاثة يشفعون إلى الله عز وجل فيشفعون: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء» (١).

للشفاعة أصل واحد يدل على مقارنه الشئيين، من ذلك الشفع خلاف الوتر، تقول: كان فرداً فشفعته (٢).

وأما المراد من الشفاعة في مصطلح المتكلمين هو أن تصل رحمته سبحانه ومغفرته إلى عباده عن طريق أوليائه وصرفه عباده، ووزان الشفاعة في كونها سبباً لإفاضه رحمته تعالى على العباد وزان الدعاء في ذلك، يقول سبحانه: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً) ٣/.

وتتضح هذه الحقيقة إذا وقفنا على أن الدعاء بقولٍ مطلقٍ، وبخاصة دعاء الصالحين من المؤثرات الواقعة في سلسله نظام الأسباب والمسببات الكونية، وعلى هذا ترجع الشفاعة المصطلحه إلى الشفاعة التكوينية، بمعنى تأثير دعاء النبي صلى الله عليه وآله في جلب المغفرة الإلهية إلى العباد.

وقد ورد ذكر الشفاعة في الكتاب والسنة.

أما في الكتاب الحكيم فقد وردت سورٌ مختلفه لمناسباتٍ شتى، كما وقعت مورد اهتمام

ص: ١٩٤

١- (١) الخصال: ص ١٥٦، ح ١٩٧، وقريب منه قرب الإسناد: ص ٦٤، ح ٢٠٣. الفصول المهمه في أصول الأئمة: ج ١، ص ٣٥٨، ح ١. بحار الأنوار: ج ٢، ص ١٥، ح ٢٩، عن قرب الإسناد، و ج ٨، ص ٣٤، ح ٢، عن الخصال، و ج ٩٧، ص ١٢، ح ٢٤، عن قرب الإسناد أيضاً.

٢- (٢) معجم مقاييس اللغة: ج ٣، ص ٢٠١.

بليغ في الحديث النبوي وأحاديث العتره الطاهره.

الآيات القرآنيه في هذا المجال على أصناف:

الصنف الأول: ما ينفي الشفاعة في بادئ الأمر، كقوله سبحانه: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ١ .

الصنف الثاني: ما ينفي شمول الشفاعة للكفار، كما يقول سبحانه وتعالى - حاكياً عن الكفار -: (وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ \* حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ \* فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) ٢ .

الصنف الثالث: ما ينفي صلاحية الأصنام للشفاعة، يقول سبحانه وتعالى: (مَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُفِّ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ) ٣ .

الصنف الرابع: ما ينفي الشفاعة من غيره تعالى، يقول سبحانه وتعالى: (وَ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) ٤ .

الصنف الخامس: ما يثبت الشفاعة لغيره تعالى بإذنه سبحانه، حيث يقول تعالى: (يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلًا) ٥ .

الصنف السادس: ما يبين من تناله شفاعة الشافعين، يقول سبحانه وتعالى: (وَ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَ هُمْ مِنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ) ٦ .

هذه نظرة إجمالية إلى آيات الشفاعة.

وأما السنّة، فَمَنْ لاحظ الصّحاح والمسانيد والجوامع الحديثيّة يقف على مجموعه كبيره من الأحاديث الواردة في الشّفاعه توجب الإذعان بأنّها من الأصول المسلّمه في الشّريعهِ الإسلاميّه، وإليك نماذج منها:

١ - قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمَّتِي، وَهِيَ نَائِلَةٌ مَن مَاتَ مِنْهُمْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا» (١).

٢ - وقال صلى الله عليه وآله: «إِنَّمَا شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي» (٢).

٣ - وقال الإمام زينُ العابدين عليه السلام: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَشَرِّفْ بُنْيَانَهُ، وَعَظِّمْ بُرْهَانَهُ، وَثَقِّلْ مِيزَانَهُ، وَتَقَبَّلْ شَفَاعَتَهُ» (٣).

ويمكن أن تُتصور الشّفاعه على وجهين:

الوجه الأوّل: الشّفاعه المُطلقه، بأن يستفيد العاصي من الشّفاعه يوم القيامة وإن فعل ما فعل، وهذا مرفوض في منطق العقل والوحي.

الوجه الثّاني: الشّفاعه المحدوده، وهي التي تكون مشروطه بشروط في المشفوع له، ومُجمل تلك الشّروط أن لا يقطع الإنسان جميع علاقاته مع الله تبارك وتعالى ولا يقطع وشائجه الرّوحيه مع الشّافعين، وهذا هو المقبول عند العقل والوحي.

ص: ١٩٦

- 
- ١- (١) صحيح مُسلم: ج ١، ص ١٣١. مسند أحمد: ج ٢، ص ٤٢٦. الشرح الكبير: ج ١، ص ٣٨٤ - ص ٣٨٥. سنن ابن ماجه: ج ٢، ص ١٤٤، ح ٤٣٠٧. سنن الترمذي: ج ٥، ص ٢٣٨. والحديث مستفيض في كتب الجمهور.
- ٢- (٢) الكامل: ج ٤، ص ١٠١. التوحيد: ص ٤٠٧. أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥٦. عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ١٢٤ - ص ١٢٥، ح ٣٥. من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٥٧٤، ح ٤٩٦٣. روضه الواعظين: ص ٥٠٠. مشكاه الأنوار: ص ٥٦٥. وسائل الشيعه: ج ١٥، ص ٣٣٤، ح ٤. بحار الأنوار: ج ٨، ص ٣٤، ح ٤، عن عيون الأخبار.
- ٣- (٣) الصحيفه السجاديّه: ص ١٩٨ (دعاؤه عند ختم القرآن). إقبال الأعمال: ج ١، ص ٤٥٣.



وبذلك يتضح الجواب عما يعترض على الشفاعة من كونها تُوجب الجُراه وتُحیی روح التمرد في العُصاه والمجرمين، فإن ذلك من لوازم الشفاعة المُطلقه المرفوضه لا المحدوده المقبوله.

والغرض من تشريع الشفاعة هو الغرض من تشريع التوبه التي اتفقت الأمة على صحتها، وهو منع المذنبين عن القنوط من رحمه الله وبعثهم نحو الابتهاال والتضرع إلى الله رجاء شمول رحمته إليهم، فإن المجرم لو اعتقد بأن عصيانه لا يُغفر قط، فلا شك أنه يتمادي في اقتراف السيئات، باعتقاد أن ترك العصيان لا ينفعه في شيء، وهذا بخلاف ما إذا أيقن بأن رجوعه عن المعصيه يغير مصيره في الآخرة، فإنه يبعثه إلى ترك العصيان والرجوع إلى الطاعة.

وكذلك الحال في الشفاعة، فإذا اعتقد العاصي بأن أولياء الله قد يشفعون في حقه إذا لم يهتك الستر، ولم يبلغ إلى الحد الذي يحرم من الشفاعة؛ فعند ذلك ربما يُحاول تطبيق حياته على شرائط الشفاعة حتى لا يُحرمها.

شرائط شمول الشفاعة:

١ - عدم الإشراك بالله تعالى: وقد تقدّم في الأحاديث السابقه والآيات.

٢ - الإخلاص في الشهاده بالتوحيد: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مُخلصاً، يُصدق قلبه لسانه، ولسانه قلبه» (١).

٣ - عدم كونه ناصبياً: فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إن المؤمن ليشفع لحميمه إلا أن يكون ناصباً، ولو أن ناصباً شفّع له كُلُّ نبيٍّ مرسلٍ ومَلِكٍ مُقرَّبٍ ما شفّعوا» (٢).

ص: ١٩٧

١- (١) مسند أحمد: ج ٢، ص ٣٠٧ وص ٥١٨. المستدرک علی الصحیحین: ج ١، ص ٧٠. مجمع الزوائد: ج ١٠، ص ٤٠٤.

عمده القارئ: ج ٢٣، ص ١٢٩. بغية الباحث: ص ٣٤٠. فتح الباري: ج ١١، ص ٣٨٥.

٢- (٢) المحاسن: ج ١، ص ١٨٦، ح ١٩٨. بحار الأنوار: ج ٨، ص ٤١، ح ٢٧.

٤ - عدم الاستخفاف بالصلاة: فعن الإمام الصادق عليه السلام: «لا ينال شفاعتنا من استخفَّ بالصلاة» (١).

٥ - عدم التكذيب بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله: قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «من كذَّب بشفاعة رسول الله لم تنله» (٢).

هذه هي شرائط شمول الشفاعة.

ثُمَّ إِنَّ الشَّفَاعَةَ عِنْدَ الْأُمَمِ بِوَجْهِهَا يُرَادُ فَهَا حُطُّ الذَّنُوبِ وَرَفْعُ الْعِقَابِ، وَلَكِنِ الْمَعْتَزِلَةَ ذَهَبَتْ إِلَى أَنَّ أَثَرَهَا يَنْحَصِرُ فِي الرَّفْعِ مِنَ الدَّرَجَاتِ، وَزِيَادَةِ الثَّوَابِ، فَهِيَ عِنْدَهُمْ تَخْتَصُّ بِأَهْلِ الطَّاعَةِ، وَالسَّبَبِ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ حَكَمُوا بِأَنَّ مَرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ يُخَلَّدُ فِي النَّارِ إِذَا مَاتَ بِلَا تَوْبَةٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّ الْقَوْلَ بِالشَّفَاعَةِ الَّتِي أَثَرُهَا هُوَ إِسْقَاطُ الْعِقَابِ يَنَافِي هَذَا الْحُكْمَ، أَوَّلُوا آيَاتِ اللَّهِ، فَقَالُوا: إِنَّ أَثَرَ الشَّفَاعَةِ إِنَّمَا هُوَ زِيَادَةُ الثَّوَابِ، وَخَالَفُوا فِي ذَلِكَ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ (٣).

وَالْأَعْجَبُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، وَتَبِعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ - مُخَالَفِينَ الْأُمَّةَ جَمْعًا - إِلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ طَلْبُ الشَّفَاعَةِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ، وَلَا يَجُوزُ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَقُولَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، اشْفَعْ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وَاسْتَدَلُّوا عَلَيْهِ بِأَدْلَةٍ مِنْهَا:

١ - إِنَّهُ مِنْ أَقْسَامِ الشَّرْكَ، أَيْ: الشَّرْكَ بِالْعِبَادَةِ وَالْقَائِلُ بِهَذَا الْكَلَامِ يَعْبُدُ الْوَلِيَّ.

وهذا لاوجه له باعتبار أن حقيقه الشرك هي أن يكون الخضوع والتذلل لغيره تعالى باعتقاد أنه إله أو رب، لا مطلق الخضوع والتذلل.

٢ - إِنَّ طَلْبَ الشَّفَاعَةِ مِنَ الْغَيْرِ دُعَاءٌ لَهُ، وَدُعَاءٌ غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَرَامٌ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) ٤.

ص: ١٩٨

١- (١) الكافي: ج ٣، ص ٢٧٠، ح ١٥، تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ١٠٧، ح ١٩٩. وسائل الشيعة: ج ٤، ص ٢٤، ح ٣. بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ٧ - ص ٨، ح ٢٣، عن الكافي.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٧١، ح ٢٩٢، عنه بحار الأنوار: ج ٨، ص ٤٠ - ص ٤١، ح ٢٥.

٣- (٣) انظر: محاضرات في الإلهيات: ص ٤٥٩.

ويردُّه أن مُطلق دعاء الغير ليس مُحرِّماً، وإنَّما الحرام منه ما يكون عبادته له، بأن يعتقد الألوهيه والربوبيه في المدعو، والآيه ناظره إلى هذا القسم بقرينه قوله تعالى: (مع الله).

٣ - إنَّ طلب الشَّفاعة من الميت أمر باطل.

ويرد عليه: إنَّ الإشكال ناجمٌ من عدم التَّعرّف على مَقام الأولياء في كتاب الله الحكيم وشنّه نبيه الكريم صلى الله عليه وآله، ولو لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله حياه فما معنى التسليم عليه في كُلِّ صباحٍ ومساءٍ في تشهد كُلِّ صلاهٍ (السلام عليك أيها النبي ورحمته الله وبركاته)؟! والمؤمنون لا يطلبون الشَّفاعة من أجساد الصالحين وأبدانهم، بل يطلبونها من أرواحهم المُقدَّسه الحيه عند الله سبحانه، بأبدانٍ برزخيه(١).

ثمَّ إنَّ الحديث جعل الشَّفاعة للأنبياء والعلماء والشهداء، وأهمَّ مصداق، بل المصداق الحقيقي للعلماء والشهداء هم أهل البيت عليهم السلام، ومن هؤلاء أبي الفضل العباس عليه السلام، فقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كان عمُّنا العباس بن علي نافذ البصيره، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله عليه السلام وأبلى بلاءً حسناً ومضى شهيداً»(٢)، فاجتمعت فيه صفه العلم وصفه الشَّهاده، فأى شفاعه تكون له عند الله؟! كيف لا؟! وقد ضحَّى من أجل الدِّين ومن أجل الإمامه؛ ولذلك يقول أربابُ المقاتل: لَمَّا لم يبقَ مع الحسين إلّا- أخوه العباس، جاء إلى الحسين عليه السلام يطلب البراز منه قائلاً: هل من رُخصه؟ فبكى الحسين عليه السلام بكاءً شديداً، ثمَّ قال: «يا أخي، أنت صاحبُ لوائى، فإذا مضيتَ تفرَّقَ عسكرى».

فقال العباس: «قد ضاق صدرى وسئمتُ الحياه». فقال له الحسين عليه السلام: «إن عزمت فاستق لنا ماءً»، فأخذ قربته وحمل على القوم حتَّى ملأ القربه، قالوا: واغترف من الماء عُرفه ثمَّ ذكر عطش الحسين عليه السلام فرمى بها، وقال:

ص: ١٩٩

١- (١) انظر: محاضرات فى الإلهيات: ص ٤٥٩ - ص ٤٦٢.

٢- (٢) عمده الطالب: ص ٣٥٦. سرُّ السلسله العلويه: ص ٨٩. مقتل الإمام الحسين عليه السلام (أبو مخنف): ص ١٧٦.

يا نفسُ من بعدِ الحُسينِ هونى وبعده لا كُنت أن تكونى

هذا حسينٌ وارِدُ المنونِ وتشرينَ باردَ المعينِ

ثمَّ عاد فأخذ عليه الطَّريق، فجعل يضربهم بسيفه، وهو يقول:

لا أرهبُ الموتَ إذ الموتُ زقا حتى أوارى فى المصاليث لُقى

إنى أنا العباسُ أغدوا بالسقا ولا أهابُ الموت يومَ الملتقى

فضربه حكيم بن طفيل الطائى السنبسى على يمينه فبرأها، فأخذ اللواء بشماله وهو يقول:

والله إن قطعتم يمينى إنى أحامى أبدأ عن دينى

فضربه زيد بن ورقاء الجهنى على شماله فبرأها، فضم اللواء إلى صدره - كما فعل عمه جعفر إذ قطعوا يمينه ويساره فى مؤتته فضم اللواء إلى صدره - (١) فحمل عليه رجيل تيمى فضربه بعمود على رأسه فخرَّ صريعاً إلى الأرض، ونادى بأعلى صوته: أدركنى يا أخى، فانقضَّ عليه أبو عبد الله كالصقر فرآه مقطوعَ اليمين واليسار، مرضوخ الجبين، مشكوك العين بسهم، مُرتثاً بجراحه فوقفَ عليه يبكى، وضع الحسين يديه تحت ظهره، وأراد حمله إلى المُخيم.

فقال له العباس: بالله عليك، إلا ما تركتنى فى مكانى، فقال الحسين: لماذا يا أخى؟ فقال العباس: لحالتين؛ الأولى: فقد نزل بى الموت الذى لا بُدَّ منه، والثانية: إنى واعدتُ سكينه بالماء وإنى مُستحٍ منها.

(نصارى)

يخويه احسين خلىنى ابمجانى يگله ليش يا زهره زمانى

يگله واعدت سکنه ترانى ابماى او مستحى منها ومگدر

ص: ٢٠٠

بچه ونادی یبعد العکل والزوح خلینی یخویه احسین مطروح

أموت ولا أرد للخیم مجروح اشلون أسدر وتعتبني النساوین

وبینما الحُسن عنده، وإذا بالعباس شهق شهقهً وفاضت روحه الطاهره(۱)، رَحِمَ اللهُ مَنْ نادى: وا عَبَّاساه، وا سَيِّداه، وا مظلوماه.

(نصاری)

یون وَّنه اویونّ حسین وَّئات وکل طبره ابگلب احسین طبرات

أهو یحاجیه اوافاضت روحه ومات وگام احسین گلبه امشطر اشطور

قام الحُسن محنی الظهر، یکفکف دُموعه بکمه، وهو ینادی: وا أخاه، وا عَبَّاساه.

یخویه انکسر ظهري اولگدر اگوم صرت مرکز یخویه الکل الهموم

یخویه استوحدونی عکبک الگوم اولا واحد علی بعد ینغر

(أبوذیه)

انه صابر لهذا الصار وعدای عزمی بیك چنت احترام وعدای

سوری انهدم ظهري انکسر وعدای یخویه اتشمت العدوان بیه

هونت یا ابن أبی مصارع فتیتی والجرح یسکنه الّذی هو آلم

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

ص: ۲۰۱









يا دوحه المجد من فهِرٍ ومن مُضِرٍ قد جَفَّ ماءُ الصِّبا من غُصْنِكِ النَّضْرِ

يا دُرَّةً غادرتُ أصدافها فعلت حتى غَلت ثَمناً عن سائرِ الدُّرَرِ

قد غَالَ خَسْفُ الرِّدى بدرَ الهُدَى فإِنا نُجوِمُ السَّما مِن بَعْدِهِ انْتَشِرِ

حُلُو الشَّيبِبه يا لهفَى عليه ذَوى من بَعْدِ اِبناعِهِ بِالْعَزِّ وَالظَّفَرِ

خِضابُهُ الدَّمُ والنَّبِلُ النَّثارُ وقد زَفَّتُهُ أَعداؤُهُ بِالبيضِ والسُّمْرِ

ما اخضَرَ عارِضُهُ ما دَبَّ شارِبُهُ لَكِن جَرى القَدَرِ الجارى على القَدَرِ

فاغْتالَ مفرِقَهُ الأزدى بمرهفِهِ فخرَّ لَكِن بَخدٌ مِنْهُ مُنَعَفِرِ

إِنْ يَبِكُهُ عَمُّهُ حُزناً لمصرِعِهِ فما بَكَى قَمَرٌ إِلا على قَمِرِ

يا ساعدَ اللهُ قَلبَ السَّبِطِ يَنْظُرُهُ فَرِداً ولم يَبْلُغِ العِشرينَ فى العُمُرِ

مُرَمَّلاً مُذْ رَأَتْهُ رَمَلَهُ صرِخَتْ يا مُهَجَّتى وسُرورى يا ضِيا بصرى

بُنَى تقضى على شاطى القُرأت ظمًا والماءَ أَشْرَبُهُ صَفِواً بلا كَدَرِ(١)

وكأَنى بأُمَّه المَفجوعه رملهُ تُخاطبه:

بعدك فلا يسكن ويني اولا تغفه طول الليل عيني

ريت الكدر گبلک يجينى اوبيدک يجاسم توارينى

الموت ما بينک اوبينى لو حال ما يفتى حينى

أَغضى الهظم بعدک اسينى والتفت لشمالى ويمينى(٢)

(أبو ذيه)

ص: ٢٠٥

١- (١) القصيده للسيد صالح الحللى رحمه الله. تقدمت ترجمته فى المحاضره العاشره من هذا الكتاب فراجع.

٢- (٢) ديوان مفاتيح الدموع: ص ١٤٥.

كَلْبِي مِنَ الْحَزَنِ وَرَثَ وَرَمَلَهُ أَوْ رَأْسِي أَعْلَيْكَ أَكْصَنَهُ وَرَمَلَهُ

عَلَى جَاسِمٍ بَجَتْ زَيْنَبُ وَرَمَلَهُ يَحْكَ الْهَنَ بَدْرٌ وَنَخَسَفَ ضِيَّهُ

\*\*\*

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حُبَّ نبيكم، وحُبَّ أهل بيته، وقراءة القرآن، فإنَّ حملة القرآن في ظلِّ الله يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه مع أنبيائه وأصفيائه» (١).

الأخبار في هذه المعاني كثيرة متواتره، وفيها من ضرور التأكيد والترغيب في محبة أمير المؤمنين عليّ والزَّهراء والحسين وأولادهم عليهم السلام وذمِّ بغضهم، ما يلحق حُبَّهم بأعظم الواجبات والفرائض، وبغضهم والانحراف عنهم بأشدَّ المحرّمات، بل يجعله من أكبر الكبائر، ونعم ما قاله الفرزدق:

مِن مَعْشَرِ حُبِّهِمْ دِينٌ وَبِغْضِهِمْ كُفْرٌ وَقَرْبُهُمْ مَنْجَى وَمُعْتَصِمٌ

إِنْ عُدَّ أَهْلَ التَّقَى كَانُوا أَنْمَتَهُمْ أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ هُمْ

يُسْتَدْفَعُ الضُّرُّ وَالْبَلْوَى بِحُبِّهِمْ وَيُسْتَرَادُّ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنِّعَمُ (٢)

ومن هنا صارت محبتهم حسنات يمدح القرآن الكريم المكتسب لها كما أخرج ذلك مجموعه من علماء العامه، عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِرْفَ حَسَنَةً) قال:

ص: ٢٠٦

١- (١) كنز العُمَال: ج ١٦، ص ٤٥٦، ح ٤٥٤٠٩. الجامع الصغير: ج ١، ص ٥١، ح ٣١١. كشف الخفاء: ج ١، ص ٧٤، ح ١٧٤. ينابيع المودّه: ج ٢، ص ٣٦١، ح ٣٢.

٢- (٢) الاختصاص: ص ١٩٣. الفصول المختاره: ص ٣٩. عيون المعجزات: ص ٦٣. مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٣٠٧. تاريخ مدينه دمشق: ج ٤١، ص ٤٠٢. تهذيب الكمال: ج ٢٠، ص ٤٠١ - ٤٠٢. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٢٦.

«المودّة لآل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله» (١).

ومن المعلوم البديهي أنّ الحثّ على حُبِّهم بهذا التأكيد، واهتمام النبيّ صلى الله عليه وآله في بيان فضائلهم ومناقبهم وتنزيلهم منزلة نفسه في حُبِّهم وبغضهم، وسلمهم وحرّبتهم، واختصاصهم بفضائل كثيرة دون غيرهم، أقلّ ما يدلّ عليه هو حجّج الاقتداء بهم في الأحكام الشرعيّة، وحجّج أقوالهم وأفعالهم، وحرمة الإعراض عن أحاديثهم وعلومهم (٢).

وهذا الحديث يتناول أموراً ثلاثة:

الأمر الأول: حُبُّ النبيّ صلى الله عليه وآله

محبه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله شعارُ المسلمين، وعلامه الإيمان والمؤمنين، وقد حثّ هذا الحديث على تأديب الأولاد ذكوراً وإناثاً على محبته صلى الله عليه وآله؛ لأنّ محبته الهدى إلى تعاليمه، والأخذ بأقواله وأفعاله وسننه صلى الله عليه وآله.

فعلى عاتق الأبوين تلقى هذه المسؤوليّة لتعليم أولادهم مقامات النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، ومعاجزه وفضله عند الله تبارك وتعالى، ومكارم أخلاقه وسننه صلى الله عليه وآله حتّى يشترك الأولاد إلى شخصه الكريم ويحبّوه، فإذا أحبّوه اقتدوا به، وصار أسوتهم، وحينئذٍ تكون لهم علامات يُعرفون بها ومن هذه العلامات:

١ - كثرة ذكره صلى الله عليه وآله: لأنّ من أحبّ شيئاً أكثر من ذكره، وهذه حاله مطّرده تقريباً.

٢ - كثرة الشوق إلى لقائه: فكلُّ حبيبٍ يحبّ لقاء حبيبه، ولذا كان الأشعريون يُردّدون عند قدومهم المدينة هذه الأرجوزة:

ص: ٢٠٧

---

١- (١) الدرّ المنتور: ج ٦، ص ٧. نظم درر السّيمطين: ص ٨٦. تفسير الثعلبي: ج ٨، ص ٣١٤. شواهد التنزيل: ج ٢، ص ٢١٢.  
تفسير القرطبي: ج ١٦، ص ٢٤. الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج ١، ص ١٥٩. ينابيع المودّة: ج ٢، ص ٤٥٥.  
٢- (٢) نقلنا ذلك من مجموع رسائل سماحه الشيخ لطف الله الصافي: ج ٢، ص ٧٧ - ص ٧٨.

٣ - التعظيم له والتوقير، وإظهار الخشوع والانكسار، حتَّى عند سماع اسمه الشَّريف صلى الله عليه وآله، فعن أبي هارون مولى آل جعده قال: «كُنْتُ جليساً لأبي عبد الله عليه السلام بالمدينة ففقدني أياماً، ثُمَّ إِنِّي جِئْتُ إليه فقال لى: لم أرك منذ أيام يا أبا هارون؟ فقلتُ: وُلِدَ لى غلام، فقال: بارك الله لك فيه، فما سمَّيته؟ قلتُ: سمَّيته مُحَمَّدًا، فأقبل بخدَّه نحو الأرض وهو يقول: مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ، حتَّى كاد يُلصق خدَّه بالأرض، ثُمَّ قال: بنفسى وبولدى وبأبوى وبأهل الأرض كلَّهم جميعاً الفداء لرسول الله صلى الله عليه وآله، لا تسبَّه ولا تضربه ولا تُسئ إليه، واعلم أنه ليس فى الأرض دارٌ فيها اسمُ مُحَمَّدٍ إلاَّ وهى تُقدَّسُ كلَّ يومٍ» (٢).

٤ - حُبُّ مَنْ أَحَبَّه صلى الله عليه وآله من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار وعداوه مَنْ عاداهم، وبغض مَنْ أبغضهم وسبَّهم، فَمَنْ أَحَبَّ شيئاً أَحَبَّ مَنْ يَحِبُّ، وقد قال صلى الله عليه وآله فى الحسن والحسين «اللَّهُمَّ إِنِّى أَحَبُّهُمَا فَأَحَبُّهُمَا» (٣). وهكذا بالنسبة لأمير المؤمنين عليه السلام. حيث قال صلى الله عليه وآله فى حقِّه: «مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحَبَّنِى... وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيًّا فَقَدْ أَبْغَضَنِى» (٤).

وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحَبَّنِى، وَمَنْ أَحَبَّنِى فَقَدْ أَحَبَّ اللهَ، وَمَنْ أَحَبَّ أَهْلَ بَيْتِى فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِى لَا انْفِصَامَ لَهَا» (٥).

ص: ٢٠٨

١- (١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ج ٢، ص ٢٥.

٢- (٢) الكافى: ج ٦، ص ٣٩، ح ٢، عنه وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٣٩٣، ح ٤. بحار الأنوار: ج ١٧، ص ٣٠، ح ٩.

٣- (٣) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ج ٢، ص ٢٥ - ص ٢٦.

٤- (٤) المستدرک على الصَّحيحين: ج ٣، ص ١٣٠. مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٣٢. المعجم الكبير: ج ٢٣، ص ٣٨٠. الاستيعاب:

ج ٣، ص ١١٠١. الجامع الصغير: ج ٢، ص ٥٥٤، ح ٨٣١٩. كنز العُمال: ج ١١، ص ٦٠١، ح ٣٢٩٠٢.

٥- (٥) مناقب أمير المؤمنين (محمد بن سليمان الكوفى): ج ٢، ص ٤٧٦.

٥ - العمل بأوامره واجتناب نواهيه صلى الله عليه وآله: من علامات محبته صلى الله عليه وآله العمل بأوامره واجتناب عن نواهيه، وفي قوله تعالى: (إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ١ إشارة إلى الحبِّ والطاعة، لا الحبِّ المفرغ من محتواه وأصله.

الأمر الثاني: حبُّ أهل بيته عليهم السلام

ثُمَّ إِنَّ الْأَمْرَ الثَّانِي فِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُؤَكِّدُ عَلَى تَأْدِيبِ الْأَبَاءِ لِلأَوْلَادِ عَلَى مَحَبَّةِ أَهْلِ بَيْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وقبل الخوض في هذا الأمر أودُّ أن أُشير إلى سبب فصل هذا الأمر عن الأمر الأول.

فأقول: لماذا أكَّد النبي صلى الله عليه وآله على محبته أهل بيته مع أنَّ في محبته الكفاية لحبِّ أهل البيت عليهم السلام، خصوصاً بعد اطلاعك على جُملة من الأحاديث التي تربط بين محبته ومحبتهم عليهم السلام؟

وفي الجواب: إنَّ السَّبب يعود إلى أنَّ الملازمة حاصله قطعاً من الأمر الثاني، بمعنى أنَّ مَنْ أَحَبَّ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ قَطْعاً فَقَدْ أَحَبَّ النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ لِأَنَّهُمْ فَرَعُهُ وَثَمَرُهُ غَرَسُهُ، دُونَ الْعَكْسِ، فَقَدْ يُرَبِّي الْأَبُ أَوْلَادَهُ عَلَى مَحَبَّةِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ دُونَ أَنْ يُعْرِفَهُمْ أَوْلَادَهُ وَذُرِّيَّتَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ؛ وَحِينَئِذٍ يَنْشَأُ الْوَلَدُ بِمَعزِلٍ عَنِ أَهْلِ بَيْتِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ حَالُ جُمْلَةٍ مِمَّنْ يَدْعُونَ الْإِخْلَاصَ فِي مَحَبَّتِهِمْ لِلنَّبِيِّ وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِذِكْرِ أَهْلِ بَيْتِهِ أَصْلاً، حَتَّى عَلَى مَسْتَوَى الصِّيَالَةِ عَلَيْهِمْ، كَمَا يَصْنَعُهُ بَعْضُ الْجَهْلَةِ مِنْ أَعْدَاءِ شِيعَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ، مَعَ أَنَّ الْأَخْبَارَ صَرِيحَةً بِالْحَاقِ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ فِي الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

والعجب ممَّن يدعى الإسلام كيف يردُّ على كلام خاتم الأنبياء والمرسلين صريحاً؟ فقد نُقل أنَّ بعضَهم قال: إِنَّ الصِّيَالَةَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَإِنْ ثَبَتَ بِالنَّصِّ مُنْضَمَّةً إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَّا أَنَّ الرَّافِضَةَ (أَيَّ الشِّيْعَةَ) لَمَّا اتَّخَذَتْهُ شِعَاراً نَتْرَكَهُ!!

بل وصل الحال ببعضهم أن يقول: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ منفرداً. وبقيدها بالانفراد!!

وكان آل مُحَمَّدٍ أنعموا وقدموا للشيعة فقط، ولم يُجاهدوا في سبيل نصره الدين الإسلامي الحنيف!؟

فعلَّ مردّ هذا التأكيد إلى ما ذكرناه من أنّ مجرّد تأديب الأولاد على مَحَبَّةِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ليس صريحاً في الملازمة بمحبه أهل بيته عليهم السلام. نعم، المفروض أن يكون ذلك كما ذكرناه في النقطة الرابعة من علامات المُحِبِّينَ له صلى الله عليه وآله لكن الملازمة على أي حال ليست واضحةً وصريحةً.

أمّا من الطرف الآخر فنجد أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله يؤكّد على حصول الملازمة، كما روى ذلك في حقّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام، والحسن والحسين عليهما السلام.

مثل قوله صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحَبَّنِي» المتقدّم، ومثّل وقوله صلى الله عليه وآله في حقّ فاطمة الزهراء عليها السلام: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني» (١)، إلى غير ذلك من الأحاديث المرويّة عنه صلى الله عليه وآله وقد تقدّمت الإشارة إلى بعضها.

ولذا تراه صلى الله عليه وآله قد جمع بين التأديب على حُبِّه وحبّ أهل بيته، ولعلّ ما في الحديث المروي عنه صلى الله عليه وآله من كفايه حيث قال: «حُبِّي وحبّ أهل بيتي نافع في سبعة مواطن أهوالهنّ عظيمه: عند الوفاة، وفي القبر، وعند النشور، وعند الكتاب، وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصّراط» (٢).

فقد رتب النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله الإشارة والنتائج على مجموع الحُبِّين (حُبِّه وحبّ أهل

ص: ٢١٠

---

١- (١) صحيح البخارى: ج ٤، ص ٢١٠ و ٢١٩. فضائل الصحابه: ص ٧٨. عمده القارىء: ج ١٦، ص ٢٢٣، ح ٤١٧٣. المُصنّف: ج ٧، ص ٥٢٦، ح ١، الآحاد والمثاني: ج ٥، ص ٣٦١، ح ٢٩٥٤. السُنن الكُبرى: ج ٥، ص ٩٧، ح ٨٣٧١. المعجم الكبير: ج ٢٢، ص ٤٠٤. الجامع الصغير: ج ٢، ص ٢٠٨، ح ٥٨٣٣. كنز العُمال: ج ١٢، ص ١٠٨، ح ٣٤٢٢٢.

٢- (٢) الخصال: ص ٣٦٠، ح ٤٩. أمالي الشّيخ الصّدوق: ص ٦٠، ح ٣. فضائل الشيعة: ص ٥، الحديث الثاني. روضه الواعظين: ص ٢٧١. غايه المرام: ج ٦، ص ٨٧، الحديث الثالث والأربعون. بحار الأنوار: ج ٧، ص ٢٤٨، ح ٢. عن فضائل الشّيعة، وج ٢٧، ص ١٥٨، ح ٣، عن الخصال.

بيته صلى الله عليه وآله). فلاحظ جيداً.

الأمر الثالث: قراءه القرآن

والأمر الثالث الذى ينبغى لنا أن نؤدّب أولادنا عليه هو قراءه القرآن الكريم، ولا نحتاج إلى المزيد لمعرفة أهميه هذا الأمر بعد أن يعامل النبى الأكرم هذا الأمر بقوله صلى الله عليه وآله: بأنّ حمّله القرآن ومفاهيمه والمهتمين به هم فى ظلّ الله يوم القيامة، فى ذلك الظل وتلك العناية الفريده، التى تمتدّ على الأنبياء والأولياء دون غيرهم من بنى البشر، فإنّ هؤلاء الأنبياء العذّين يتأدّبون بهذه الآداب، ستشملهم تلك العناية الربّانيه لا محاله، وسينتهى بهم الأمر إلى كلّ خير. وإذا مات الوالد وهو على هذه الحاله - حاله تأديبه لأولاده على هذه الخصال - مات ولم ينقطع عمله ولا أمّله؛ لأنّه ترك صدقهً جارياً، وعلماً ينتفع به ويهتدى بهداه، وولداً صالحاً يدعو له (١).

إذن الترييه والتأديب هى التى تُنتج الولد الصّالح؛ ولذا نرى تربيّه أهل البيت عليهم السلام ماذا أنتجت من نتاج ظلّت مضرّباً للمثل على مرّ العصور والدّهور، أمثال القاسم بن الإمام الحسن المجتبى ربحانه المصطفى صلى الله عليه وآله والذى كان موصوفاً بالحسن والجمال، لم يبلغ الحُلم، ووصفه الزاوى حميد بن مسلم: بأنّه كفلقه قمر. وقد أكمل أربع عشره سنه، حيث كانت ولادته سنه (٤٤٤هـ) وقد أوصى به عمّه الحسين وصيه خاصّه، ولذا كان الإمام الحسين يخاطبه بقوله: أنت الوديعه من أختى. و كان القاسم صغيراً من حيث السن إلاّ - أنّه كان كبيراً فى عقله وهمومه؛ لأنّ أباه الحسن المجتبى عليه السلام أدّبه وربّاه فى صغره، فاستفاد من ذلك فى

ص: ٢١١

١- (١) إشاره إلى قوله صلى الله عليه وآله: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث: صدقه جارّيه، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له». انظر: الحديث فى المصادر التاليه: المجموع: ج ١، ص ١٩ و ج ١٥، ص ٥٢٠. صحيح ابن خزيمة: ج ٤، ص ١٢٢. صحيح ابن حبان: ج ٧، ص ٢٨٦. كنز العَمّال: ج ١٥، ص ٩٥٢. ح ٤٣٦٥٥. بحار الأنوار: ج ٢، ص ٢٢ - ص ٢٣، ح ٦٥ وح ٧٠.

كبره، ونشأ بين أحضان النبوه والإمامه، فلذا دلت الدلائل على أنه يملك أعلى مراتب الشجاعه؛ ولذا لمّا رأى وحده عمّه الحسين عليه السلام وقف قائلاً: والله يا عمّ، لا أقدر أن أسمعك تُنادى: ألا من ناصرٍ ينصرنا. وأنا قابع في الخيمه، يا عمّ، ائذن لي، لقد ضاق صدري، وسئمتُ الحياه! فقال له الحسين عليه السلام: يا بن الأخ، أنت الوديعه عندي من أخى الحسن، فارجع بُني وعد إلى الخيمه لتكون مع النساء فليس لهنّ أحد إلا العليل، فابقّ معه لتؤنسه بعد فراقنا. فرجع إلى الخيمه، وهكذا جاء القاسم مرّه أُخرى، فقال له الإمام الحسين عليه السلام: أو عَزَمْتَ على الموت يا بُنَيّ؟ قال القاسم: نعم يا عمّ. قال الحسين له: إذهب إلى عمّتك زينب لتخرج لك من الصندوق جُبّه وعمارته وسيفٌ والدك الحسن لتلبسها. وفعلاً أخرجت له زينب جُبّه للإمام الحسن عليه السلام فلبسها، ثمّ عمامته وسيفه وحزامه، ثمّ خرج من الخيمه وهو بلباس والده الحسن عليه السلام. وكأني بالحسين عليه السلام لمّا رآه بهذه الهيئه أهوى عليه وتعانق معه.

آه:

بس شافه شبگ فو گه او تباچوا اختنگوا بالبواچی وما تحاچوا

لمن غابت الروح وتناجوا على التربان اويلی والوکت حرّ

يگله ابگه لبن عمّک تباريه عليل او ما بگه غير النفس بيه

يعمّی خلافنه بلچن تسليه وظن هيهات يتسلّی ويستّر

يگله اسدر يعمّی للصواوين منگلك راد ليها جذب يحسين

أرد عنك دعلمنى يباعين واشوفتک على الرمضه امطبر

يگله گمر بينى يشعشاع يعمّی اوداعه الله هذا الوداع

رکب وارزم وذبها موش مرتاع شهاب او يحرج الطاغى من اتخر

ثمّ خرج على الأعداء وهو راجل غير فارس، وكأنّه أبوه الحسن المجتبى عليه السلام، فأخذ

ص: ٢١٢



يرتجز ويقول:

إن تنكروني فأنا نجلُ الحسن سبط النبيِّ المُجتبى والمؤمن

هذا حُسين كالأسير المُرتَهَن بين أناسٍ لا سُقوا صوبَ المُزن

وكان الحسين عليه السلام مُستبشراً بصوته وشجاعته، حيث أخذ يحصد بالرؤوس، ويفرّ منه الجيش على صغر سنّه، وعين الحسين تلاحقه ويشاهده ماذا يصنع بأعداء الله:

أبد والله ما تكف دون الفحل ولعب بيهم ما لعب حين الحمل

فأخذ يقتل فيهم حتى قتل مقتله عظيمه، ذكر بعضُ أنّها وصلت إلى المائتين، وكان همّه أن يقتل صاحبَ رايه جيش عُمر بن سعد، بينما هو كذلك يقول حميد بن مسلم إذ انقطع شمع نعله لا أنسى أنّها اليسرى، فطأ رأسه لشدها وإذا بالأزدى - لعنه الله - شدّ عليه وقال: لأثكلنّ به أمّه، يقول حميد بن مسلم: فقلت له: أما كفاكم ما قتلتكم؟ قال: والله، لأثكلنّ به عمّه وأمّه: (١)

ويل گلبى من انگطع شمع النعل انوه يشده اويصول على البگه

انوه يشده اويرد الرادته ايدكر عداه حرب جدّه اوحملته

اولن اجت ضربت الأزدى الهامته اوسبح جاسم آه من دم مفرگه

سبح جاسم بالدمه اوناده يعم من سمع صوته النفل دمعه انسجم

بالفعل ضرب الأزدى القاسم على رأسه فوق على الأرض، وصاح: أدركنى يا عمّاه! فقال الحسين عليه السلام للقاسم: بُنى قاسم، بُعداً لقوم قتلوك، ومن خصمهم يوم القيامة جدّك رسول الله. وكأنى به:

صاح يا جاسم اوعد راسه گعد ويل گلبى ينحب اوگلبه انمرد

ص: ٢١٣

يا بن اخويه العرس چا لمن بعد اوهامتك من سيف الأزدى مشرگه

أويلی بس ما سمع صوته شرعبت بيه چتل چتال جسام اوسدر ليه

لگاه ايعالج اويبحث ابرجليه يلوج ابروحه اودمه يفور

بچه اوناده يا جاسم اشبيدي يريت السيف گبلک حز وریدی

هان الکم تخلونى وحيدى على خيمى يعمى الخيل تفتّر

يعمى اشگالت من الطير روحك يجاسم ما تراوينى اجر وحقك

لون ابكى يعمى چنت انوحك ابگلب مثل الغضه وبدمع مُحمر

حطّ احسين صدره بصدر جسام شبگ فوگه اوشاله اليم الخيام

صدره ابصدر عمه او خط الجدام بالتربان واحسين ايتعثر

جابه اومدده ما بين اخوته بچه عددهم يويلی وهم موته

بس ما سمعن النسوان صوته اجت (رمله) تصيح الله وأكبر(۱)

و کائى بها:

(بحرانى)

رمله اطلعت تلطم صدرها بدمع همّال تنادى يغصن البان عنى گوض وشال

ظليت حرمه بلا ولى من غير رجال وصارت الصيحه فى خدور الهاشميه

وصلت لعد قاسم او منها الكلب مهموم

ص: ۲۱۴

صاحت ييمه يا شباب المات محروم

مرمى على الرمضه ومتخضب بالدموم لبجى على فرگاک كل صبح ومسيه

جلست عند رأسه، كأتى بها تقول:

وحيد وأعزّ عندي من العذبيى اوردتك ذخر ليام شيبى

مظنيت بيك ايشح نصيبى وابگه اسحن صبر فرگاک والهم

\*\*\*

(أبو ذيه)

بيني الدوم أباريلك ودارى وانته بحالتى تعلم ودارى

يا جاسم يا ضوه عيونى ودارى أنه ردتك ضخر واگطعت بيه

\*\*\*

بُنَى فِي لَوْعِهِ خَلْفَتَ وَالِدَةٍ تَرَعَى نُجُومَ السَّمَاءِ فِي اللَّيْلِ بِالسَّهْرِ

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

ص: ٢١٥







قَسَمِ الْإِلَهَ الرَّزءَ بَيْنَ أَعْظَمِ لَا رِزءَ أَعْظَمُ مِنْ مُصَابِ الْقَاسِمِ

حَسَنِي خُلِقَ مِنْ نِجَارِ مُحَمَّدٍ مَضْرُوبِ عِرْقٍ مِنْ سُلَالِهِ هَاشِمِ

عُصْنُ نَضِيرٍ مِنْ أُصُولِ مَفَاخِرِ ثَمَرِ جَنِّي مِنْ فُرُوعِ مَكَارِمِ

قَتَالَ أَبْطَالَ مُبِيدٍ كِتَابِ قِتَاكَ آسَادِ هَزَبُرٍ مَلَا حِمِ

هَزَمَ الْكُمَاهُ بِقُوَّةِ عَلَوِيَّةٍ وَأَبَادَهُمْ طُرّاً بِبَطْشِ هَاشِمِ

لِلَّهِ يَوْمٌ خَرَّ فِيهِ إِلَى الثَّرَى مُتَكَسِّرَ الْأَضْلَاعِ تَحْتَ مَنْاسِمِ (١)

نَادَى حُسَيْنًا عَمَّهُ مُتَشَكِّيًّا بَعْدَ الْوَصَالِ وَقُرْبَ هَجْرٍ دَائِمِ

وَيَلُوكَ كَالْحَوْتِ التَّرِيبِ لِسَانَهُ لَوْ كَأَ وَيَفْحَصُ كَالْقَطَا بِقَوَادِمِ (٢)

وَكَأَنِّي بِأُمَّهِ الْمَفْجُوعَةَ رَمَلَهُ:

آيِنِي شَكُولِ عَلَيْكَ آيِنِي دَوْلِبِنِي زَمَانِي بِيكَ دَوْلِبِنِي

دَوْلِبِنِي زَمَانِي بِيكَ يَاسَلُوهُ أَشْلُونِ أَنْسَاكَ وَأَنْسَهُ أَيَامَكَ الْحَلُوهِ

أَشْهَلِ الْبَلُوهِ الْمَثَلَهَا مَاسَدَتِ بَلُوهِ آيِنِي لَعْنَدِ الْمَوْزَمَةِ اتْدَبِنِي

تَذِبِ الْبِيكَ تَسْعُهُ مِنَ الشُّهْرِ شَالَتْ أَوْ نَالَتْ مِنْ تَجِيلِ الْحَمَلِ مَا نَالَتْ

أُمَّكَ جَابَتَكَ يَمْدَلُّ أَوْحَالَتِ أَوْ يَوْمِ الْبِي صَرَتْ يُولِيدِي شَيْبِنِي

(أَبُوذِيه)

يَبْنِي مَا ذَكَرْتَ أُمَّكَ وَحَنَيْتِ عَفْتِنِي مِنْ أَنْطَبْكَ ظَهْرِي وَحَنَيْتِ

يَجَاسِمِ خَضَبْتِ شَيْبِي وَحَنَيْتِ أِبْدَمَكَ يَا شَبَابِ الْغَاضِرِيهِ

ص: ٢١٩

١- (١) المناسم جمع منسم، وهو حُفُّ البعير. مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٧٥.

٢- (٢) لم أَعَثْرَ عَلَى نَاطِمِهَا (فَلَلَهُ دَرَّةٌ وَعَلَى اللَّهِ أَجْرُهُ).

عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «لو أتيت بشابٍ من شباب الشيعة لا يتفقه في الدين لأوجعته» (١).

في هذه الليلة نتحدث عن مسألة مهمّة وهي مسألة التفقه في الدين!

ومعنى التفقه هو أن يكون الإنسان على بصيرة من الأمر الذي يطلبه، وهذا الأمر تارة يكون في الدين وأخرى في غير الدين، لكن المطلوب في هذه الليلة هو التفقه في الدين. ولا يخفى أن طلب العلم بصوره عامه هو من الأمور المحبوبة في الدين الإسلامي، ومن الأمور التي رغب الله فيها في أكثر من آية، قال تعالى: (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ٢.

وقد حثّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عليها حيث قال: «لا خير في العيش إلا لرجلين: عالم مُطاع، أو مستمع واع» (٢).

والعلم المهم هو أن يقف الإنسان على معالم دينه وأحكام الشريعة، خاصه المتعلقة بأحكام الحلال والحرام، فإن الروايات التي أكّدت على طلب العلم، وأنه فريضة، ناظره إلى هذا النحو من العلوم لا- مُطلق العلوم، كما روى عن إمامنا الكاظم عليه السلام: «دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد فإذا جماعه قد أظافوا برجلٍ فقال ما هذا؟ فقيل: علامه، فقال: وما علامه؟ فقالوا: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها، وأيام الجاهلية، والأشعار العربية.

قال: فقال النبي صلى الله عليه وآله: ذاك علم لا يضر من جهله، ولا ينفع من علمه، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله: إنما العلم ثلاثة: آية مُحكمه، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة، وما خلاهن فهو

ص: ٢٢٠

١- (١) المحاسن: ج ١، ص ٢٢٨. مشكاة الأنوار: ص ٢٣٦. بحار الأنوار: ج ١، ص ٢١٤، ح ١٧، عن المحاسن.

٢- (٣) الكافي: ج ١، ص ٣٣، ح ٧. الخصال: ص ٤٠ - ص ٤١، ح ٢٨. روضه الواعظين: ص ٦. كنز الفوائد: ص ١٣. معدن الجواهر: ص ٢٥. أعلام الدين: ص ١٦٩. بحار الأنوار: ج ١، ص ١٦٧ - ص ١٦، ح ١٢، عن الخصال، وص ١٩٥، ح ١٢ عن الروضة، وج ٧٤، ص ١٦٨، ح ٦، عن الكنز.



وهذا الحديث ليس مختصاً بالشباب الشيعي ولكن الشاب هو المهم في التعلم، يعني: لا بد للشاب أن يتعلم أحكام دينه حتى يعرف ما هو الحلال وما هو الحرام. يعني الإمام عليه السلام يتأذى من أن يرى شاباً شيعياً غير متفقه في الدين، ولذلك يقول الإمام عليه السلام لأوجعته.

وهذه الليلة هي ليلة الشباب، ليلة القاسم بن الإمام المجتبي عليه السلام، فدعونا نستفيد من هذه الليلة، دعونا نستفيد من أخلاق أهل البيت عليهم السلام في أيام عاشر، دعونا نُفكر فيكم يا شباب من حين البلوغ إلى آخر عمركم كيف تبنون حياتكم؟ كيف تختارون زوجات صالحات؟ كيف تتعاملون مع الزوجه؟ كيف تتعاملون مع الأبوين؟ ما هي عقوبه العاق لوالديه؟

نستفيد من هذه الليلة أن نربى أنفسنا ونتخلق بأخلاق القاسم عليه السلام؛ لأنه من هذا النسل الطاهر.

نرجع إلى الروايه الشريفه، لماذا الإمام عليه السلام شدّد على تعلم الفقه؟ ولم يُشدّد على غيره؟ لعله لأجل أن الإنسان إنما يُحاسب في يوم القيامة على الأحكام الشرعيه، فلا بد للشباب أن يسألوا عن أحكامهم الشرعيه في كل تصرف يتصرفونه حتى ينجوا من ذلك اليوم، يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

فعليكم يا شباب أن تُرتبوا حياتكم من أولها، أي من حين البلوغ، فإذا بلغ الإنسان سنّ التكليف - الذي يكون في المرأه بإكمال تسع سنوات وفي الرجل خمس عشره سنه

ص: ٢٢١

---

١- (١) الكافي: ج ١، ص ٣٢، ح ١. أمالي الشيخ الصدوق: ص ٣٤٠، ح ١٣. معاني الأخبار: ص ١٤١، ح ١. مشكاة الأنوار: ص ٢٤١. مستطرفات السرائر: ص ٦٢٦. وسائل الشيعه: ج ١٧، ص ٣٢٧، ح ٦، عن الكافي. بحار الأنوار: ج ١، ص ٢١١، ح ٥، عن الأمالي.

قمرية، أو الاحتلام - بعد ذلك لا بُدَّ له من التقليد والتوجه إلى رساله ذلك المجتهد الذي قلده، وعليه أن يسأل عن المقلد، لأنَّ للمقلد شروطاً لا بُدَّ من توفرها، فعليه أن يسأل العالم في تلك المنطقه عن العالم المجتهد الذي يريد تقليده؛ لأنَّ العمل بلا تقليد باطل، والعمل بلا علم لا يزيد العامل إلا بعداً عن الطريق (١)، ولذلك قليل العباده مع العلم خيراً من كثيرها بلا علم (٢)، فما الفائدة من إنسان يُصلى في اليوم والليله ألف ركعه وهو لا يتقن الوضوء، فعلى كلِّ إنسان مراجعه فتوى المرجع الذي يُقلده حتى يعرف الحلال من الحرام.

ومن أهم هذه الأمور التي نتحدث عنها الليله هي مسأله طاعه الوالدين وبرَّهما حيين أو ميتين فإنَّ رضا الله في رضاها، وسخطه في سخطها، وهذه المسأله كثيراً ما يتعرَّض لها الشاب في أوَّل شبابه؛ لأنَّه يرى نفسه قد اكتمل ولا أحد يفيدته في أيِّ رأيٍّ، ويرى أنَّ أبويه متخلفان لم يطلعوا على العالم الحديث، لم يطلعوا على عصر الأترنت، لم يطلعوا على الفنَّ الغربي وعلى اللباس الغربي، فيعتبرون كلام الأبوين لغواً، وهذه هي الفادحه الكبرى، فعليكم ببرِّ الوالدين والطاعه لهما حيين كانا أو ميتين؛ لأنَّ الله تعالى أمرنا بذلك في قوله: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) ٣١ فَإِنَّ أَوَّلَ دَرَجَةٍ مَطْلُوبَةٍ مِنَ الْإِنْسَانِ هِيَ تَوْحِيدَ اللَّهِ وَعِبَادَتَهُ، ثُمَّ الْإِحْسَانَ لِلْوَالِدَيْنِ.

ص: ٢٢٢

- 
- ١- (١) ففي نهج البلاغه: ج ٢، ص ٤٤ «العامل بغير علم كالسائر على غير طريق، فلا يزيده بعده عن الطريق إلا بعداً من حاجته». وفي المحاسن: ج ١، ص ١٩٨، ح ٢٤، عن الإمام الصادق عليه السلام: «العامل على غير بصيره كالسائر على غير طريق، لا يزيده سرعه السير إلا بعداً». ومثله في الكافي: ج ١، ص ٤٣، ح ١.
- ٢- (٢) فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعه من غير عالم» كنز العمال: ج ١، ص ١٥٤، ح ٢٨٧٨٦. وفي رسائل الشهيد الثاني: ص ١٤٧، قال: «ولهذا قيل: ركعتان من عالم أفضل من عباده سنه من جاهل». والأحاديث في هذا المجال كثيره.

يجب أن لا- تتضايق من الأبِّ والأُمِّ إذا صارا شيخين كبيرين، تذكّر حينما كنت طفلاً وهما يخدمانك بكلِّ أنواع الخدمه، ويتميان بقاءك، انظروا إلى الإسلام كيف يربط الأسرة الواحدة برباط المودّه، برباط التّحاب، إن كان لأحدٍ حقٌّ على الولد بعد الله عزّ وجلّ فهو للوالدين، وإن كان الله عزّ وجلّ هو خالق الولد فإنّ الأبوين هما مُظهرها ذلك الخلق.

رَوَى عن عَمَّار بن حَيَّان قال: خَبَرْتُ أبا عبد الله عليه السلام بِبِرِّ إِسْمَاعِيلَ ابْنِي بِي، فَقَالَ: «لَقَدْ كُنْتُ أَحِبُّهُ وَقَدْ ازددت له حُبًّا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَتَتْهُ اخْتُ لَه مِنَ الرضاعه، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا سَيَّرَ بِهَا وَبَسَطَ مَلْحَفَتَهُ لَهَا فَأَجْلَسَهَا عَلَيْهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ يُحَدِّثُهَا وَيَضْحَكُ فِي وَجْهِهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَذَهَبَتْ، وَجَاءَ أَخُوها فلم يصنع به ما صنع بها، فقيل له: يا رسول الله، صنعت بأختي ما لم تصنع به وهو رجلٌ؟! فقال: لأنّها كانت أُمَّ بوالديها منه» (١)، فالطاعة الطاعة للوالدين في الدنيا، وبرّهما فيها، وكذلك برّهما وهما ميتين بعدهُ أمور، منها:

١ - أن يُصلّى صلاه برّ الوالدين، وهي: ركعتان، يقول في الأولى بعد الحمد عشر مرّات: (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَ لِوَالِدَيَّ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ)، وفي الثانيه بعد الحمد عشر مرّات: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِوَالِدَيَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ)، ويقول بعد التسليم والانتهاه من صلاته: (رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا) عشر مرّات (٢).

٢ - أن يتصدّق عنهما.

٣ - أن يقضى ما فاتهما من صلاه وصيام و حجّ إن تمكّن.

٤ - أن يقضى ما عليهما من ديون.

ص: ٢٢٣

١- (١) الكافي: ج ٢، ص ١٦١، ح ١٢. وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٤٨٨ - ص ٤٨٩، ح ٣، بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ٢٦٧، ح ١١ عن الكافي.

٢- (٢) مكارم الأخلاق: ص ٣٣٤. بحار الأنوار: ج ٨٨، ص ٢٢٠ - ص ٢٢١. مستدرک الوسائل: ج ٦، ص ٣٤٨، ح ٦، عن مكارم الأخلاق، وفيه بدل (ربّ) في الركعه الأولى (ربّنا)، لكن جاء في المصدر كما أثبتناه. مفاتيح الجنان (الباقيات الصالحات): ص ٧١٨.

٥ - أن يزور المراقد الشريفه عنهما، ويدعو لهما فى تلك المراقد والمشاهد الشريفه، وفى صلاه الليل، وصلاه الجمعة.

فإن عمل ذلك فقد فتح على نفسه أبواب الرحمة والسعادة فى الدارين، وتحتمت أعماله بحسن العاقبه إن شاء الله تعالى، وذلك غاية الغايات.

ثم إن ما تقدم من الكلام فى بز الوالدين بصوره عامه، ولكن هناك خصوصيه للأُم، فعن أبى عبد الله عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «جاء رَجُلٌ إلى النبىِّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، مَنْ أَبْرُ؟ قال: أُمُّكَ. قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: أُمُّكَ. قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: أُمُّكَ. قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: أُمُّكَ.» (١). ثلاث مرات يكرر النبىُّ صلى الله عليه وآله بالوالده؛ لأنَّ الأُم هى التى حملتك وربتكَ، وجاعت وأشبعتكَ، وسهرت من أجلك الليالى والأيام، قال تعالى: (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) ٢، وقال تعالى: (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا) ٣، وهذه الليله هى ليله شاب من الشباب المتفقه فى الدين، الذى يلزم على الشباب أن يقتدوا به، فلقد كان عارفاً بأحكام الدين، وباراً بوالدته وكيف لا؟! فهو تربى فى حضن الإسلام، ورضع من ثدى الإيمان، فهكذا كان. ولو فكّر الإنسان إلى ما لاقاه القاسم يوم كربلاء لعرف بسالته وشجاعته تجاه العدو، لَمَا حمل على القوم وجعل يضربهم بسيفه، فهذه أفعاله يوم الطفّ، وأما أقواله فتبهر العقول؛ وذلك لَمَا ارتجز وهو فى الميدان غايته أن يعرفهم نفسه، بل مُفْتخِراً بقوله:

إن تنكرونى فأنا نجلّ الحسَنِ سِبطِ النبىِّ المُجتبىِّ والمؤتمن

هذا حسينٌ كالأسير المرتهن بين أناسٍ لاسقوا صوبَ المُزن

ص: ٢٢٤

١- (١) الكافى: ج ٢، ص ١٥٩ - ص ١٦٠، ح ٩، عنه وسائل الشيعه: ج ٢١، ص ٤٩١، ح ١. كتاب الزهد: ص ٤٠، ح ١٠٧. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٤٩، ح ٩، عن الكافى.

وكانت همتته أن يقتل حامل رايه عمر بن سعد، فبينما هو يُقاتلُ إذ انقطع شسع نعله اليسرى فوقف ليشدّها، فقال عمرو بن سعيد بن نفيل الأزدي: والله، لأشدنّ عليه وأثكلنّ به أمّه. فقال له حميد بن مسلم: وما تريد بذلك؟ والله، لو ضربني ما بسطت يدي، يكفيك هؤلاء الذين تراهم قد احتوشوه من كل جانب. قال: والله، لأفعلنّ. فشدّ على الغلام فما ولّى حتى ضرب الغلام بالسيف على رأسه، فوقع القاسم لوجهه وصاح: أدركني يا عمّاه، فأتاه الحسينُ وإذا بالغلام يفحص بيديه ورجليه، فقال: «عزّ والله على عمّيك أن تدعوه فلا يُجيبك، أو يُجيبك فلا يُعينك، أو يُعينك فلا يُغني عنك، بعداً لِقوم قتلوك، ومن خصمهم يوم القيامة جدك وأبوك، هذا يوم والله كثر واتره وقلّ ناصرُه» (١).

(نصّارى)

بچه وناداه يا جاسم اشبيدى يريت السيف گبلک حز وريدى

هان الکم تخلونى او حيدى او على اخيمى يعمى الگوم تفتري

يعمى اشگالت من الطبر روحک يجاسم ما تراوينى اجر وحقک

لون أبگه يعمى چنت انوحک ابگلب مثل الغضا وبدمع مُحمر

گعدِ عنده او شافه ادموعه اتفوح او كل اکتار جسمه مجرّحه اجر وحق

وهو يرفس ايعالج نزع الروح مات او ظل أبو اسكينه امحير

ثمّ حمله على صدره ورجلاه يخطّان فى الأرض، حتّى جاء به إلى المخيم، ووضعهُ إلى جنب ولده علىّ الأكبر، وهو يقول: يا ابن أخى، أنت الوديعه.

ص: ٢٢٥

---

١- (١) انظر: مقتل الإمام الحسين عليه السلام (أبو مخنف): ص ١٧٠، عنه مقاتل الطالبين: ص ٥٨. شرح الأخبار: ج ٣، ص ١٧٩ - ص ١٨٠. الإرشاد: ج ٢، ص ١٠٧ - ص ١٠٨. مثير الأحزان: ص ٥٢. بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٣٤ - ص ٣٥.

(دكسن)

جابه ومدده ما بين اخوته وگعد عدّهم يويلي وهم موته

بسماسمعن النسوان صوته إجت رمله تصيح الله وأكبر

\*\*\*

كأني بالحسين عليه السلام لما جاء بالقاسم إلى الخيمة التي فيها عليّ الأكبر وطرحه إلى جنبه، جعل ينظر إلى وجه الأكبر تارةً، وإلى وجه القاسم تارةً أخرى، وهو يكفّف دموعه بكُمه، وكانت أمّ الأ-كبر وأمّ القاسم تنتظران خروجه؛ لأنهما لا تستطيعان أمّ الحسين عليه السلام أن يندبن ولديهما وهو حاضر، لذلك جئن إلى زينب وطلبن منها أن تذهب وتطلب من الحسين عليه السلام أن يفسح لهنّ المجال؛ ليقضين وطراً من البكاء على الشّباب، كأني بها عليها السلام جاءت إلى الحسين عليه السلام قائلةً: أخي أبا عبدالله، ساعدك الله على هذه المصيبة، أبا عبد الله هذه أمّ القاسم وأمّ عليّ الأكبر يُردن الدخول للبكاء على قتلاهنّ، وهنّ يستحين منك، فقال الحسين عليه السلام: إنّ المصيبة والرزء أكبر فليأتين وليندبن قتلاهنّ، عند ذلك إلتفتت الحوراء زينب وصاحت يا ليلي، ويا رمله، هلّمّن للبكاء والعويل، جئن فدخلن عليها بعد ما خرج الحسين عليه السلام من الخيمة:

(نصّارى)

طبن من طلع من خيمته احسين اوماتدرى الصايح كبر منين

حگهن لو بچن ويهلن العين كل منهن وليها اموزعينه

رملة اتصيح يوليدى يجاسم عمت عيني على التربان نايم

تردلى من الحرب ظنيت سالم اولن جسمك ابدمه امخضيبه

ولكبر يمه ليله اتصيح بينى دحاجينى ترى امصابك كتلنى

ص: ٢٢٤

ما تسمع يبعد الروح ونى أظن النفس كلبك كاطعنه  
شباب اثنين ما وصلوا العشرين اوكل واحد امن أمه طره البين  
ليه اتصيح إجتنه كربله امنين عسن للطف يرمله لا لفينه (١)  
ولسان حال أمه:

بيني العتب وياك شيفيد يانور عيني افرا كك ابعيد  
يا مُهجتى يا فرد يا حيد بينى امن ابنها الوالده تريد  
ماذا تريد كأتى بها تجيبُ قائله:  
(أبوزيه)

ردتك ما ردت دنيا ولا مال تحضرنى لو و كع حملى ولا مال  
يجاسم خابت اظنوى ولا مال عند الضيغ بينى إ كطعت بيه  
(تخميس)

رزء تكاد السما تهوى لمصرعه وجبرئيل شجاً يذرى لأدمعه  
والبدر كور لم يظهر بمطلعه إن يبكه عمه حزناً لمصرعه  
فما بكى قمر إلا على قمر

\*\*\*

إننا لله وإنا إليه راجعون  
وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أى مُقلب يُقلبون  
والعاقبة للمتقين

ص: ٢٢٧









يَا تَبْرَأَ فِيهِ تُجْلَى ظُلْمَةُ الْعَسَقِ قَدْ غَالَهُ الْخَسْفُ حَتَّى انْقَضَ مِنْ أَفُقِ  
يَا بَنَ الْحُسَيْنِ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ وَشَبَهُ أَحْمَدَ فِي خَلْقِهِ وَفِي خُلُقِهِ  
أَشْبَهَتْ فَاطِمَةَ عُمَرَاءَ وَحَيْدَرَةَ شَجَاعَةً وَرَسُولَ اللَّهِ فِي نُطْقِهِ  
لَوْ أَنَّ جُنْدَ الْقِضَاءِ فِي الْحَرْبِ حَارَبَهُ لَفَرَّ مِنْهُمَا مِنْهُ عَلَى فَرْقِ  
مَا صَالَ إِلَّا وَجَيْشُ الْكُفْرِ مَزَقَهُ يَوْمَ الْكُرَيْبِ فِي صِمَصَامِهِ الْحَنَقِ  
بِهِمْ أَيْدِي مَا ارْتَاعَ صَاحِبُهَا يَلْقَى الْمَنَايَا بِلَا طَيْشٍ وَلَا قَلَقِ  
لَهْفَى عَلَيْهِ وَحِيداً أَحْدَقْتُ زُمُرَ الْأَعْدَاءِ بِهِ كِبْيَاضِ الْعَيْنِ بِالْحَدَقِ  
نَادَى عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا أَبْتَأَ فَجَاءَ يَعْذُو فَأَلْفَاءُ عَلَى رَمَقِ  
نَادَى عَلَيْهِ عَلَى الدُّنْيَا الْعَفَا وَغَدَا مُكْفِكِفاً دَمَعَهُ الْمَمْرُوجَ بِالْعَلَقِ  
مِنْ بَعْدِكَ اسْوَدَّ وَجْهُ الْأَفُقِ فِي بَصْرَى يَا تَبْرَأَ فِيهِ تُجْلَى ظُلْمَةُ الْعَسَقِ (١)

\*\*\*

(بحراني)

من وكع شبه المصطفى فوك الوطيه ناده ابرفيح الصوت بويه الحكك عليه  
صوته وصل لحسين وحسين اعتناله امن الخيم والمدمع دمه من العين ساله  
اويمه وكف لكن فلا ينوصف حاله حين الوصل يمه اوعاينله رميه

ص: ٢٣١

---

١- (١) القصيده للسيد صالح الحلبي رحمه الله، تقدمت ترجمته في المحاضره العاشره من هذا الكتاب فراجع.

دنك اوشمه اوظل يحل درعه او طاسه او يجذب الوئه اعليه وينادي بحماسه

تهدم بيويه اليوم بنيانى امن اساسه اوشملى تفرگ والصواب البيك بيه

\*\*\*

(نصارى)

بيويه لا تفت روحك عليه فدوه اتروح إلك كل البريه

بيويه الشاع جدى بين ادويه سگانى عذب ماى الكوثر الزين

\*\*\*

فى رساله الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «وَحَقُّ أَيْبِكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ أَصْلُكَ، وَأَنَّهُ لَوْلَاهُ لَمْ تَكُنْ، فَمَهْمَا رَأَيْتَ فِى نَفْسِكَ مَا يُعْجِبُكَ فَاعْلَمْ: أَنَّ أَبَاكَ أَصْلُ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ فِيهِ، فَاحْمَدِ اللَّهَ وَاشْكُرْهُ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» (١).

لقد خلق الله تبارك وتعالى الخلق، وسن لهم الأحكام والسُنن، وجعل بينهم الروابط والأوصار والحقوق؛ ليتسنى لهم العيش الرغيد، والحياه الكريمه، والتى لولا توفر هذين العنصرين فيها لأصبحت جحيماً، ولصارت هى والموت على حد سواء، بل يكون الموت سعاده أحياناً، كما جاء على لسان سيد الشهداء عليه السلام: «فإني لا أرى الموت إلا سعاده والحياه مع الظالمين إلا برماً» (٢)، وما جعل هذه الحياه بهذا الشكل إلا خلوها من الناس الطيبين

ص: ٢٣٢

- ١- (١) الخصال: ص ٥٦٨. تحف العقول: ص ٢٦٣. أمالى الشيخ الصدوق: ص ٤٥٣. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٦٢٢، ح ٣٢١٤. روضه الواعظين: ص ٣٦٧. وسائل الشيعه: ج ١٥، ص ١٧٥. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٦، ح ١، عن الخصال.
- ٢- (٢) اللهوف فى قتلى الطفوف: ص ٤٨. مناقب آل أبى طالب: ج ٣، ص ٢٢٤. مشير الأحران: ص ٣٢. مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٩٢. المعجم الكبير: ج ٣، ص ١١٥. نزاهه الناظر وتنبيه الخاطر: ص ٨٨. تاريخ مدينه دمشق: ج ١٤، ص ٢١٨. تاريخ الإسلام: ج ٥، ص ١٢. كشف الغمه: ج ٢، ص ٢٤٢. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ١٩٢.

الَّذِينَ يَحْتَرِمُونَ حُقُوقَ الْآخَرِينَ.

وبما أنَّ المجتمع الإنساني ليس إلا عبارة عن مجموعته من الأفراد تُسمَّى كُلُّ حلقة من هذه المجاميع بالأسره، شرَّع الله تبارك وتعالى الحقوق بين أفراد الأسره الواحده والمتمثله بالأبوين والأولاد، والتي بدورها تحفظ لنا العائله الواحده وبالتالي سوف نحفظ مجتمعاً كاملاً. هذه التعاليم القيمه وصلت لنا عن طريق القرآن الكريم والسُّنَّه المطَّهره، وبهذين الثَّقَلين العظيمين أصبحنا على اطلاعٍ كاملٍ على المنهج الحقيقي لحفظ قوام هذه الأسره. فجاءت الآيات والروايات تترا، ففاز قوم بإتباعها، وخسر آخرون بهجرانها.

ومن هذه الحقوق التي وصلت إلينا من السُّنَّه المطَّهره هي أعظم لائحته حقوق وأجمعها، ألا- وهي رساله الحقوق للإمام زين العابدين وسيّد السَّاجدين عليه السلام، والتي ذكر فيها العشرات من الحقوق، التي تصلح أن تكون دستوراً للعالم بأسره. اخترت في هذا المحاضرته المقطع المتعلِّق بحقّ الآباء على الأبناء لمناسبته لهذه الليله العظيمه.

حقوق الآباء على الأبناء:

إنَّ الله تبارك وتعالى جعل لنا الأسباب حتّى نوجِد بعد أن كُنَّا معدومين، وأقرب تلك الأسباب الملموسه الأبوان، ولكلِّ واحدٍ منهما حقوق وواجبات أشار لها القرآن الكريم والسُّنَّه المطَّهره، وقد لخص لنا الإمام زين العابدين عليه السلام هذه الحقوق، ونحن نتناول الحقّ المتعلِّق بالآباء والعدى يجب على الأبناء الوفاء به والالتزام بحده، حيث قال الإمام عليه السلام: «وَحَقُّ أَبِيكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ أَصْلُكَ» وهذه الكلمه المختصره غايه في الرُوعه

ص: ٢٣٣

والجمال؛ إذ ما من شيء يصيبك من الخير إلا والأصل فيه أبوك؛ لأنه أوجدك، فلا بد أن تستشعر دائماً هذا المعنى، وتفتخر به كما كانت العرب يفتخرون بأبائهم في أسواقهم وفي موسم الحج؛ حتى قال الله تعالى: (فَإِذَا قُضِيَ مَنَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) ١.

فالولد بضعه من أبيه يرث بعض صفاته وطباعه وشمائله، من جسديّه ونفسيّه وعقليّه، فالأب هو الأصل، والأبناء هم الفرع لذلك الأصل، فلا بد من حفظ ذلك له وتقدير تلك الآهات والحسرات التي قضاها الأب في سبيل أبنائه والتي جعلت إمامنا زين العابدين عليه السلام أيضاً يقول في دعائه في الصّحيفه السجّاديه: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَهَابَهُمَا هَيْبَةَ السُّلْطَانِ الْعَسُوفِ، وَأَبْرَهُمَا بَرًّا الْأُمِّ الرَّؤُوفِ، واجعل طاعتي لوالديّ وبرّي بهما قرّ لعيني من رقد الوَسنان، وأثلج لصدري من شربه الظمآن» (١).

ولما كان الأبناء فرعاً لذلك الأصل قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لذلك الولد الممتنع عن النفقه من ماله على أبيه: «أنت ومالك لأبيك» (٢)، ولم يقبل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أيّ عمليه التواءٍ أو امتناع عن تأديته الحق لأبيه. ولأنقل لكم هذه القصّه التي يُعرف منها كلّ تلك المعاني.

روى العلامة المجلسي رحمه الله في البحار: «إنّ شيخاً كبيراً جاء بابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله

ص: ٢٣٤

- 
- ١- (٢) الصّحيفه السجّاديه: ص ١٢٩. دعائه عليه السلام لأبويه دعاء رقم ٢٤. المصباح (الكفعمي): ص ١٦٢.
  - ٢- (٣) الكافي: ج ٥، ص ١٣٥. علل الشرائع: ج ٢، ص ٥٢٤. عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٠٣. معاني الأخبار: ص ١٥٥. من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١٧٧، ح ٣٦٦٩. الاستبصار: ج ٣، ص ٤٨، ح ١، و ح ٢. تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٣٤٣، ح ٨٢ و ح ٨٣. وسائل الشيعه: ج ٧، ص ٢٦٣، ح ١، و ح ٢، و ج ٢٠، ص ٢٩١، ح ٥. بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ٢٢٦، ح ١٤، عن الكافي. والحديث مستفيض في كتب الخاصّه والعامّه.

والشيخ يبيكى ويقول: يا رسول الله، ابني هذا غذوته صغيراً، وربيته طفلاً عزيزاً، وأعنته بمالى كثيراً حتى اشتد أزره، وقوى ظهره، وكثر ماله، وفنيت قوتي وذهب مالى عليه، وصرت من الضعف إلى ما ترى، فلا يواسيني بالقوت الممسك لرمقى. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للشباب: ماذا تقول؟ قال: يا رسول الله، لا فضل معى عن قوتي وقوت عيالى. فقال رسول الله للوالد: ما تقول؟ فقال: يا رسول الله، إن له أنابيراً (١) حنطه وشعير وتمر وزبيب، وبدر (٢) الدراهم والدنانير وهو غنى. فقال رسول الله للابن: ما تقول؟ قال الابن: يا رسول الله، ما لى شىء مما قال. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اتق الله يا فتى، وأحسن إلى والدك المحسن إليك. قال: لا شىء لى. قال رسول الله: فنحن نعطيه عنك فى هذا الشهر، فأعطه أنت فيما بعد، وقال لأسامه: أعط الشيخ مائه درهم نفقة لشهره لنفسه ولعياله. ففعل، فلما كان رأس الشهر جاء الشيخ والغلام، وقال الغلام: لا شىء لى. فقال رسول الله: لك مال كثير، ولكنك اليوم تسمى وأنت فقير، وتصير أفقر من أبيك هذا لا شىء لك. فانصرف الشاب فإذا جيران أنابيره قد اجتمعوا عليه يقولون: حوّل هذه الأنابير عنا، فجاء إلى أنابيره وإذا الحنطه والشعير والتمر والزبيب قد نتن جميعه، وفسد وهلك، وأخذوه بتحويل ذلك عن جوارهم، واكتراء أجراء بأموال كثيرة، فحوّلوه وأخرجوه بعيداً عن المدينة، ثم ذهب يخرج إليهم كراءً من أكياسه التى فيها دراهمه ودنانيره، فإذا هى قد طمست ومسخت حجارة، وأخذ الحمالون يطالبون بالأجره، فباع ما كان له من كسوه وفرش ودارٍ وأعطاهم الكراء، وخرج من ذلك كله، صفرًا ثم بقى فقيراً وقيراً (٣) لا يهتدى

ص: ٢٣٥

- 
- ١- (١) الأنابير: جمع (الأنبار) بيت التاجر الذى ينضد فيه الغلال والمتاع. (حاشيه المصدر)  
٢- (٢) البدر: جمع البدره الكيس الموضوعه فيه الدراهم والدنانير، كميته عظيمه من المال. (حاشيه المصدر)  
٣- (٣) الوقير: الذليل المهان، انظر: تاج العروس: ج ٧، ص ٦٠.

إلى قوت يومه، فسقم لذلك جسده وقضى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أيُّها العاقون للآباء والأمهات اعتبروا واعلموا أنه كما طمس في الدنيا على أمواله، فكذلك جعل بدل ما كان أعد له في الجنه من الدرجات مُعداً له في النار من الدرجات...»(١).

فمن هنا وجب على الولد نحو أبيه وأمه أمور أربعة(٢): (الحُب، الشُّكر، الطَّاعه، الاحترام)

١ - أمَّا الحُب: فعاطفه فطريه أوجدها القدره الربانيه في قلب الولد، وكلِّما نما الولد ازداد إدراكه وشعوره بالمحبه، وإن كانت لا تصل إلى الحدِّ الذي عليه الوالدان - وبالخصوص الأُم - ومن هنا نعرف اهتمام القرآن الكريم والسُّننه المطهره بعدم عقوب الوالدين، والحُب لهما حتى قُرنا بالتوحيد وعدم الشُّرك، ولم يأت في القرآن الكريم ذلك الحث من الأبوين تجاه الأولاد لكون فطره حب الآباء للأبناء قويه إلى درجه لا يحتاجون إلى توصيه بهذه المثابه، كما روى ذلك في قصه الشاب الذي كان يلي من والديه ما يليان منه عند الصيغره من الفضلات، فإنَّ النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله بين للشاب أنَّ الفرق هو: «أنهما كانا يليان منك ذلك وهما يُحبان بقاءك، وأنت تفعل ذلك ولا تُحب بقاءهما»(٣)، فالفطره كفيله بتوصيه الوالدين دون وصاه، بخلاف الولد فإنَّه بحاجة إلى الوصيه المكرره.

٢ - وأمَّا الشُّكر لهما: أي للوالدين، فيجب أن لا يحده حد، ولا يُحصيه عد؛ لأنَّهما سبب الولد في الحياه الدنيا، وهما اللذان ربَّياه وأحبابه حُباً جمًّا، واشتغلا من أجله، وكابدا الآلام في سبيل راحته، وسهرا على حياته، وأقلَّ ثمن لذلك الشُّكر، وعليه أن يقرن هذا الشُّكر بالعمل لنفعهما، وتخفيف أعباء الحياه عنهما، فهو عدتهما في الحياه، وقلده كبدهما، وموضع هنائهما، ومحلَّ عنايتهما.

ص: ٢٣٦

١- (١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٢١، ح ٢٨٨. بحار الأنوار: ج ١٧، ص ٢٧٢.

٢- (٢) شرح رساله الحقوق للسيد حسن القبانجي رحمه الله: ج ١، ص ٥٦١ - ص ٥٧٨.

٣- (٣) انظر: تفسير الثعلبي: ج ٦، ص ٩٣. تفسير البيضاوي: ج ٣، ص ٤٤١.



٣ - وأمّا الطّاعه لهما: أى للوالدين، فهى دليل على إخلاص الولد وحبّه، فواجب عليه أن يُطيعهما، وأن يخلص لهما فى السرّ والعلانيه، وأن يعمل بنصائحهما، وأن يعتقد كُلاًّ الاعتقاد أنّ الفوز والنجاح فى امتثال أوامرهما، والخيبه والخسران فى مخالفتهما؛ لأنّهما أعرف منه بالنفع والضّرّ، وأكثر خبره منه بأُمور الدنيا، ولا يهتمّهما إلّا نفعه وراحته وسعادته.

٤ - وأمّا احترامه البنيوى لهما: فيكون برعايه الأدب نحوهما فى قوله وفعله، فلا يعاملهما مُعامله الأنداد، بل معامله الصّغير للكبير، حتى إذا بلغا من الكبر عتياً وجب عليه احتمال ما يبدو منهما، مهما كان مخالفاً للعقل، والصّبر مع التّلطف فى إرشادهما إلى جاده الحقّ والصّواب (١).

فإذا قام بهذه الأمور الأربعة وأرضاهما صارت دعوتهما له لا- عليه، فاستجاب الله لهما، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ثلاث دَعَوَات لا يُحجّين عن الله تعالى: دُعاء الوالد لولده إذا برّه، ودَعوَتُهُ عليه إذا عَفَّه، ودُعاء المظلوم على ظالمه...» (٢).

لذا رجع عليّ الأكبر عليه السلام فى المرّه الأولى بدُعاء أمّه ليلى وهو يحمل رأس بكر بن غانم، وقد أسرّ والديه وقد دعا له أبوه الحسين عليه السلام. ولم يكن دعاء للعوده والسّلامه بل دعاء لهلاك الأعداء، وذلك عندما رجع عليّ الأكبر من الميدان وهو يقول: أبتاه العطش قتلنى، وثقل الحديد أبهضنى، هل من شربه من الماء أتقوى بها على قتال الأعداء، عندها ذرفت عينا الحسين بالدموع، وقال له: بُنى عليّ أنا أيضاً مثلك عطشان، بنىّ اصبر وارجع إلى الميدان:

ص: ٢٣٧

- 
- ١- (١) شرح رساله الحقوق للسّيد حسن القبانجى رحمه الله: ج ١، ص ٥٧٥ - ص ٥٧٧.
- ٢- (٢) أمالى الشيخ الطوسى: ص ٢٨٠، ح ٧٩. عُدّه الداعى: ص ١٢١. وسائل الشيعة: ج ٧، ص ١٣٠، ح ٦، عن الأمالى. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٧٢، ح ٥٧، وص ٣٩٦، ح ٢٣، وج ٧٢، ص ٣١، ح ١٠، وج ٩٠، ص ٣٥٦، ح ٦، والجميع عن الأمالى.

يصيح بصوت فت كلبى وشعبنى يبوى گوم لى العطش ضرنى

يبويه درعى وطاسى بهظنى يبويه اونشفت ارياگى من الحر

يبويه شربه أميه لچبدى اتگوى وارد للميدان وحدى

يبويه فطر كلبى وحگ جدى العطش والشمس والميدان والحر

يگله امنين اجيب الماى بينى مهو حچيك بهض حيلى اوشعبنى

اوفت روحى اوحمس چبدى وسلبنى يبويه استخلف الله العمر واصبر

يگله والدمع يجرى امن العين يبعدى اوبعد كل الناس يحسين

تگلى اصبر وصار الكلب نصين اشلون اصبر يبوى والصبر مَر

حن احسين ويلى اوسال دمع حنا ظهره يبوى وكسر ضلعه

دار ايدى على اطواگه يودعه يشمه والعيون تسيل محمر

ثم إن الحسين عليه السلام نظر لولده على الأكبر نظر آيس، وأرخى عينيه بالدموع، وأطرق برأسه إلى الأرض؛ لئلا يراه العدو فيشمت به، وقيل: إن الإمام قال له: ولدى على، إلى إلى أودعك وتودعنى، وأشمك وتشمنى، فاعتنق الحسين ولده وجعلا بيكيان حتى وقعا على الأرض.

أولى من تلاگو عند الوداع امشابگ طول لمن هوو للکاع

لاع ابنه لأبيه والأبو لاع على اوليده يولى اوداع الأكشر

يشم حسين خد ابنه اويحبه اودمعه مثل دمع ابنه يصبه

النار اللى بگلب ابنه ابگلبه يخفيها على ابنه ونوب تظهر

يگله والدمع بالعين دفاگ ابعره امكسره وابگلب خفاگ

يبويه اوداعه الله هذا الفراگ يبويه اشديه هذا المكدر

تحسّر ويل گلبى وجذب ونّه او من المای آه انگطع ظنّه

عرف لن المتيه دنت منّه خزّ دمعه اوللميدان سدّر

شبل احسين للميدان سدّر وخله الخيل بالهامات تعثر

وجعل يُقاتل حتّى قتل تمام المائتين، قال حميد بن مسلم: كنت واقفاً وبنجى مُرّه بن منقذ (العبدى)، وعلى بن الحسين يشدّ على القوم ميمينه وميسره فيهمهم، فقال مُرّه: على آتام العرب إن مرّ بى هذا الغلام ولم أئكل به أباه. فلما مرّ وهو يطرد كتيبه أمامه، فطعنه برُمحه فانقلب على قربوس فرسه، فحمله إلى مُعسكر الأعداء، وكانت الفرس من خيل جياذ رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا أنّ وقوع الدم على عينها جعلها تسير بلا درايه نحو الأعداء.

أويلى:

عگب ما شرگ الهامات والطاس اجته ضربه العبدى على الراس

ضعف وارذوه بسيفها الناس شبگ على المهر ويلى والمهر فرّ

وكان كلّ ظنّ على الأكبر أنّ الجواد سار به نحو معسكر والده الحسين عليه السلام:

شبگ على المهر لباله يوديه لبوه احسين عن الكوم يحميه

أويلى المهر للعدوان فرّ بيه اوچب آه بموسط العسكر

داروا بالسيف عليه والزان مثل چتال سبع المات فرحان

عسى ابعيد البله وليته العدوان ارذال اوبالمعايب دوم تفخر

هذا يگطع بسيفه وريده او هذا بالخناجر فصل ايده

وهذا يغط من رمحه الحديده ابخاصرته وهو ايعالج اويغفر

وعندما بلغت روحه التراقى نادى: أبه، عليك منى السلام، هذا جدّى رسول الله قد

سقانى بكأسه الأوفى شربه لا أظماً بعدها أبداً، وهو يقول لك: العجل العجل فإن لك كأساً مذخوره.

نده يحسين هذا السّاع جدّى سگانى المای وروه عطش چبدى

يگول اسرع تراک اليوم عندى اجاه ايصيح يبنى الله وأکبر

تقول سکينه: لما سمع أبى صوت على أخذ تاره يقوم وأخرى يجلس وهو يقول: وا ولداه، ثمّ انحدر إليه الحسين عليه السلام ومعه أهل بيته حتّى وقف عليه، رآه مُقَطَّعاً بالسيوف إرباً إرباً، آه:

گعد عنده اوشافه مغمّض العين ابدمه سابح امترّب الخدين

متواصل طبر والراس نصّين حنا ظهره على ابنه اوتحسّر

يبويه گول منهو الشرگ راسک ينور العين من خمّد أنفاسک

يعگلى من نهب درعک اوطاسک يروحي اشلون أشوفنک مطّبر

يبويه من عدل راسک ورجليک او من غمّض اعيونک وسبل ايديک

ينور العين کل سيف الوصل ليک گطع گلبى اولعند احشای سدر

يبويه من سمع يّمک ونينک او من شحت لعند الموت عينک

(لثلاثين) ما وصلن سنينک او حاتفنى عليك الدهر الأگشر

أريد امسح اجر وحوک وشّم خدّک وحوط صدري على صدرك وأشّمک

يبويه شوف لاجن حرم جدک وحت زينب تصيح الله وأکبر

قال أرباب المقاتل: ثمّ صاح الحسين: يا فتیان بنى هاشم احملا ولدى، والله لا طاقه لى على حمله، فجاؤوا إليه وحمّوه إلى المخيم والحسين ينادى: وا ولداه! بينما هم كذلك وإذا بعّمته زينب جاءت تنادى: يا حبيباه يا ثمره فؤاداه! فجاءت حتّى انكبت عليه وهى تشّمه وتقبّله.

هوت فوگه تشم خده اوتحبه وتطبك طبره الراس وتعصبه

اوتفتح زيح ثوبه اوتجس گلبه لگت دمه امن افاده يفور

يويلى ولولت واحنت ظهرها تخمش اخدودها اوتنشر شعرها

اوتدگ ابراسها اوتلطم صدرها اوتنعى ابصوت طر گلब الصخر طر(١)

ثم جاءت أمه ليلي لتساعد عمته زينب على البكاء، فرأته مقطّعاً بالسيف(٢) إرباً إرباً، فنادت وا ولداه وا عليها! وكأني بها تنعاه:

فجيده يا على بينى فجيده بعیده شوفتك صارت بعیده

المد ايده عليك انشلت ايده شرابه لا هنه اولاً طابله الزاد

\*\*\*

(تخميس)

لمصابه اظلم الصبح وفجره ولفقده اغبر النهار وعصره

والبدر بعد البدر كور نوره يا كوكبا ما كان اقصر عمره

وكذا تكون كواكب الاسحار

\*\*\*

إنّا لله وإنا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أيّ مُقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين

ص: ٢٤١

١- (١) الشعر النصارى كله من الملحمة الخالده النصاريات الكبرى: ص ١١ - ص ١٥.

٢- (٢) انظر: مقاطع مقتل عليّ الأ-كبر عليه السلام في ثمرات الأعواد: ج ١، ص ٢٢٩ - ص ٢٣٥. مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ١، ص ٣٢٩ - ص ٤٢٨. إِبصار العين: ص ٢١ - ص ٢٣.









بشبه المصطفى جاؤوا قتيلاً إلى خيم النساء فعلى العويلُ  
وصاحت زينب الكبرى بصوتٍ ودمعٍ من محاجرها يسيلُ  
لليلي أسرعى هذا علىّ شبيه المصطفى الهادى قتيلاً  
فمُدَّ سَمِعَتْ بمصرعه تحنّت أضالعها وقد ذاب الغليلُ  
غدت تمشى وتعثّر وهى تكلّى عراها من مصيبتها الدّهولُ  
وجاءت تسحب الأذيالَ حُزناً وحولَ وحيدها أخذت تجولُ  
ووالده الحسينُ هوى عليه وقد أدمت محاسنه النصولُ  
يناديه وليس به حراكٌ بُنى اليومَ فارقنا الرسولُ  
على الدنيا العفى يانورَ عيني وبعذك غير هذا لا أقول(١)

\*\*\*

(نصارى)

كعد عنده وشافه امغمض العين ابدمه سابح امترّب الخدين  
متواصل طبر والراس نصين حنه ظهره على ابنيه وتحسّر  
يبويه گول منهو الشرگ راسك ينور العين من خمد أنفاسك  
يعگلى من نهب درعك او طاسك يروحي اشلون أشوفنك مطبر  
يبويه گول منهو الوصل يممك من شبحت لعند الموت عينك  
لثلاثين ما وصلن سنينك او حاتفنى عليك الدهر الأگشر  
أريد أمسح اجر وحوك وشمك خدك وخط صدرى على صدرك ووسدك

ص: ٢٤٥

تقدّمت ترجمته في المحاضره الرابعه من هذا الكتاب، فراجع.

يبويه شوف لاجن حرم جدك وحت زينب تصيح الله وأكبر

(أبوزيه)

گظوا گومی وعمامی إزغار واكبار وگمت انهل وأصيح الله وأكبر

لا عباس ظل بالخيم وأكبر ولا قاسم يرد صوتي علي

\*\*\*

روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من حقّ الولد على والده ثلاثة: يُحسّنُ اسمه ويُعلّمه الكتابه، ويُروّجه إذا بلغ» (١).

الله تبارك وتعالى عندما خلق الخلق أوجب عليهم حقوقاً، وفرض لهم حقوقاً، فعندما نتحدّث عن برّ الوالدين ولا بُدّ للولد أن يُطيع أبويه حين أو ميّتين، وفي بعض الروايات مُسلمين أو كافرين (٢)، وليس معنى هذا أنّ الولد ليس له حقّ على والديه، بل إنّ الله تبارك وتعالى كما أوجب حقّ الوالدين على الأولاد كذلك أوجب حقّ الأولاد على الوالدين، وأوصى كلّ واحدٍ منهما بالآخر رحمهً منه وحكمه، إذ قال تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ) ٣/ وغيرها من الآيات الشريفة، وأكد الرسول صلى الله عليه وآله في أكثر من حديثٍ على مسأله التوادد من قبل الأبوين بحقّ الولد، إذ قال صلى الله عليه وآله: «ريحُ الولد من ريح الجنّة» (٣)، أو

ص: ٢٤٤

١- (١) مكارم الأخلاق: ص ٢٢٠. الجامع الصغير: ج ١، ص ٣٨١، ح ٢٤٨٩ (مع تقديم وتأخير)، ومثله في كنز العمال: ج ١٦، ص ٤٥٧، ح ٤٥٤١٦. روضه الواعظين: ص ٣٦٩، عنه وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٤٨٢، ح ٩. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٨٠، ج ١٠١، ص ٩٢، ح ١٩.

٢- (٢) انظر: الكافي: ج ٢، ص ١٦٠، ح ١١، روايه زكريا بن إبراهيم حيث أمره الإمام الصادق عليه السلام ببرّ أمّه وأبيه وهما على دين النصرانية وهو قد أسلم. فقال له الإمام عليه السلام: «فأنظر أمك فبرّها...».

٣- (٤) روضه الواعظين: ص ٣٦٩. مجمع الزوائد: ج ٨، ص ١٥٦. المعجم الأوسط: ج ٦، ص ٨٢. المعجم الصغير: ج ٢، ص ٢١. نظم درر السّمطين: ص ١٧٧. تذكرة الموضوعات: ص ١٣١. الكامل: ج ٦، ص ١٦٠.

«إذا نظر الوالد إلى ولده فسرّه كان للوالد عتق نسمة» (١).

ولا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى، بل إن بعض الروايات أكدت على الاهتمام بالبت أكثر من الولد؛ لأنها ضعيفه، فقد روى أن رجلاً ولد له جاريه، فدخل على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فرآه متسخطاً، فقال له: «أرأيت لو أن الله أوحى إليك أن أختار لك أو تختار لنفسك؟ ما كنت تقول؟» قال: «كنت أقول: يا ربّ تختار لي، قال: «فإن الله عزّ وجلّ قد اختار لك»، ثمّ قال: «إنّ الغلام الذي قتله العالم الذي كان مع موسى عليه السلام وهو قول الله عزّ وجلّ: (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَ أَقْرَبَ رُحْمًا) ٢ أبدلها الله عزّ وجلّ به جاريه ولدت سبعين نبياً» (٢)، بل إن وجود البنت في البيت حسنه، «البنات حسنات، والبنون نعمه، وإتّما يُتاب على الحسنات ويُسأل عن النعمه» كما ورد هذا المعنى في أكثر من روايه (٣). وأبسط الأمور التي تجلب التوادد بين الأب والابن هي القبله، فرسول الله صلى الله عليه وآله كان كثير التقبيل لفاطمه والحسن والحسين عليهم السلام (٤)، والقرآن يصدع ويقول: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) ٦ أفلا نستن بسنة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في هذه الأمور وما أبسطها على الإنسان.

ص: ٢٤٧

١- (١) روضه الواعظين: ص ٣٦٩. مكارم الأخلاق (ابن أبي الدنيا): ص ٧٤، وفيه (للولد عتق نسمة) وأكثر مصادر العامه هكذا، وهو كما ترى. انظر: مجمع الزوائد: ج ٨، ص ١٥٦، المعجم الأوسط: ج ٨، ص ٢٨٣، وغيره.

٢- (٣) انظر: الكافي: ج ٦، ص ٦، ح ١١. تفسير العياشي: ص ٣٣٦، ح ١٠. وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٣٦٤، ح ٤. بحار الأنوار: ج ١٣، ص ٣١١، ح ٢٦، عن تفسير العياشي.

٣- (٤) انظر: الكافي: ج ٦، ص ٦، ح ٨. ثواب الأعمال: ص ٢٠١. من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٤٨١، ح ٤٦٩٢. تحف العقول: ص ٣٨٢.

٤- (٥) فقد روى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يكثر من تقبيل فاطمه عليها السلام...» المحتضر: ص ٢٣٨، ح ٣١٨. نظم درر السيمطين: ص ١٧٧. أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥٢٢، ضمن حديث ٢. (تقبيله صلى الله عليه وآله للحسن والحسين عليهما السلام).

فى يوم من الأيام نظر أحد الصحابه إلى النبى صلى الله عليه وآله وهو يقبلُ الحسنَ والحسينَ عليهما السلام، فقال: إنَّ لى عشرة من الولد ما قبلتُ أحداً منهم، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ لا- يَرْحَمُ لا يُرَحَمُ» (١). يعنى القبله للولد رحمه، ترحم نفسك بها أيها الوالد وأيتها الوالده.

من بعد هذا البيان نأتى إلى الحقوق التى تجب على الوالدين وبالأخص الأب لولده، فالحديث ذكر ثلاثه حقوق لأهميتها، وإلا فهى أكثر من ذلك.

الحقُّ الأوَّل: أن يُحسَنَ الوالد تسميه ولده، وهو حقٌ ليس صعباً، وفى نفس الوقت هو مُهمٌّ، عندنا فى الروايات استحباب التسميه للحمل (٢)، يعنى الإنسان عندما يكون عند زوجته حمل يُسميه باسمِ حَسَنٍ كما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام: «أوَّل ما يبُرُّ الرجلُ ولده أن يُسميه باسمِ حَسَنٍ، فليُحسَنُ أحدكم اسمَ ولده» (٣).

وعن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله: «استحسنوا أسماءكم، فأنكم تدعون بها يومَ القيامة» (٤).

وأهمُّ وأجمل الأسماء هى أسماء مُحمَّدٍ وآلِ مُحمَّدٍ (صلوات الله عليهم أجمعين) فهى أصدق الأسماء، وأحلى الأسماء، وكما جاء فى الزياره الجامعه: «فما أحلى أسماءكم» (٥) وأفضل الأسماء اسم (مُحمَّد)؛ لأنَّ هذا الاسم هو اسمٌ لأشرفِ مخلوقٍ على الإطلاق، لا يُدانيه اسمٌ أبداً، حتَّى إنَّه ورد فى الروايه عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله: «مَنْ ولد له أربعة أولاد لم

ص: ٢٤٨

١- (١) المجموع: ج ٤، ص ٦٣٩. روضه الواعظين: ص ٦٣٩. وفيه (يُقَبَّلُ الحسنَ بنَ عليٍّ). وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٤٨٥، ح ٤. بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٢٨٢ - ص ٢٨٣.

٢- (٢) الكافى: ج ٦، ص ١٨، ح ٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام «سَمَّوا أولادكم قبل أن يولدوا... وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وآله محسناً قبل أن يولد».

٣- (٣) المصدر نفسه: ج ٦، ص ١٨، ح ٣. التهذيب: ج ٧، ص ٤٣٧، ح ٩. وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٣٨٨ - ص ٣٨٩، ح ١، عن الكافى.

٤- (٤) المصدر نفسه: ج ٦، ص ١٩، ضمن ح ١٠. وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٣٨٩، ح ٢. عدّه الداعى: ص ٧٨. بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ١٣١، ح ٢٩.

٥- (٥) المحتضر: ص ٢١٩. جامع أحاديث الشيعة: ج ١٢، ص ٣٠٢. مفاتيح الجنان: ص ٦٢٥.

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

بدون كتابه وقراءه يكون في الواقع فاقد لحاسبه كامله وليست عاديه؛ لأنَّ الإنسان تارة يحصل على العلوم عن طريق السمع، وأخرى عن طريق الرؤيه، وثالثه عن طريق القراءه والكتابه.

فجدير بالإنسان - سواء كان والداً أم لا - أن يُتعب نفسه من أجل أن يُعلِّم الولد الكتابه والقراءه ويعلمه القرآن الكريم، وكل هذا فيه أجر وثواب للعالم وللمتعلِّم حتَّى جاء في الروايه الشريفه عن أبي جعفر عليه السلام: «إِنَّ الَّذِي يُعَلِّمُ الْعِلْمَ مِنْكُمْ لَهُ أَجْرٌ مِثْلُ أَجْرِ الْمُتَعَلِّمِ، وَلَهُ الْفَضْلُ عَلَيْهِ، فَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنْ حَمَلِهِ الْعِلْمَ، وَعَلِّمُوهُ إِخْوَانَكُمْ كَمَا عَلَّمَكُمُوه الْعُلَمَاءُ» (١) حتَّى إنَّ النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي بَدَايَةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَانَ يَأْتِي لِلْأَسِيرِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَيَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَعْلَمَ الْكِتَابَةَ لِعَشْرَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ يُطَلِّقُ سَرَّاحَهُ (٢)؛ وماذا لك إلا لأهميه أمر التعلُّم.

الحقَّ الثالث: وهو أن يُزوّجه إذا بلغ؛ لأنَّ الزواج عامل مُساعد للولد على التحصين من الوقوع في المحرّمات، ولا- نقصد بالمحرّمات هنا هو الزنا والعياذ بالله فحسب، بل حتَّى إنَّ النظرة إلى المرأه الأجنبيه مع التلذذ والريبه هي مُحرمه، وتوجب الزواج على هذا الولد، فكان على الأب أن يُزوّج ولده فيما إذا كان الولد يستحقّ الزواج، يعنى: بلغ السن الكافى لأن يتحمّل مسؤوليه زوجه وعيال، لا أن يزوّجه وإذا بين يومٍ وليله يحصل الطلاق، فلا بدّ من الفحص والتدقيق فى معرفه الزوجه وعيال الزوجه وأهم شىء فيها - على ما فى الروايات (٣) - هو: «أن تكون كريمه الأصل، عفيفه، ولود» يعنى: من عائله كريمه

ص: ٢٥٠

١- (١) الكافى: ج ١، ص ٣٥، ح ٢. مستطرفات السرائر: ص ٥٩٥. الفصول المهمه: ج ١، ص ٤٦٥، ح ١.

٢- (٢) انظر: السيره الحليّه: ج ٢، ص ٤٥١.

٣- (٣) فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «خير نساءكم العفيفه». دعائم الإسلام: ج ٢، ص ١٩٧، ح ٧٢٢. ومثله فى مستدرک الوسائل: ج ١٤، ص ١٥٩، ح ١. وفى مكارم الأخلاق: ص ٢٠٢. عنه صلى الله عليه وآله قال: «شوهاء ولود خيرٌ من حسناء عقيم».

الأصل، وعائله ملتزمه بأحكام الله سبحانه وتعالى، وكذلك عادة عشيرتها الولاده، يعنى: والدتها، جدتها، أخواتها ليست فيهن عقيم، وأن لا يقتصر على المال والجمال فقط، بل عليه أن يتفحص جيداً عن هذه الصفات المتقدمه، فإذا كان الولد غير مالك للمهر والأب مالك له فيجب على الأب أن يزوجه ولده من ماله، وأما إذا كان الولد يملك المهر فعليه أن يتزوج بمهر منه، لا من أبيه، لكن على الأب ألا يقطع عن ولده السعي في هذه المهمة الخطره والعظيمه، وأعظم أجر للإنسان أن يسعى في قضاء الحوائج، لا سيما في الزواج، سواء للابن أو لغيره، وكذلك على الأب ألا يغفل من جانب البنت، فإنها تحتاج الزوج؛ لأن البنات كالثمر على الشجر إذا حان وقته ولم يُقطع فسد(1)، فعلى الأب إذا بلغت البنت عنده أن يربّيها تربيّه صالحه، ثم بعد ذلك يزوجه من إنسان مؤمن.

وهذه الحقوق قد أذاها الإمام الحسين عليه السلام وقام بها بحق لولده عليّ الأكبر، إذ من حقّ الولد على والده أن يحسن اسمه، وما أحلى وما أحسن اسمه؛ إذ سمّاه عليّاً كجدّه أمير المؤمنين عليه السلام، وأن يُعلّمه الكتابه، وكان عليّ الأكبر يحمل صفات النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله(2).

ص: ٢٥١

- ١- (١) فقد روى عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «... إن الأبكار بمنزله الثمر على الشجر، إذا أدرك ثمارها فلم تجتن أفسدته الشمس ونثرته الرياح، وكذلك الأبكار...» انظر: وسائل الشيعة: ج ٢٠، ص ٦١، ح ٢.
- ٢- (٢) ويدلّ عليه ما روى عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: «اللهم اشهد، فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك صلى الله عليه وآله، وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه...» اللهوف: ص ٦٧. بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٤٢.



وكذلك أن يُزوجه إذا بلغ، فكان عليُّ الأكبر مُتزوجاً كما في الرواية الصحيحه عن الإمام الصادق عليه السلام في زياره له علمها أبا حمزه الثمالي قال: تضع خدك على القبر وتقول ثلاثاً «صلى الله عليك يا أبا الحسن»، ثم يقول فيها: «صلى الله عليك وعلى عترتك وأهل بيتك وآبائك وأبنائك وأمهايتك الأخيار» (١)، ولفظ الأبناء جمع يدلُّ على أكثر من اثنين، وأن له أهلاً وولداً وإن كان عقبه منقطع الآخر، فكلُّ الصفات قد اجتمعت في هذا الإنسان العظيم والولد البار بالديه، وكيف لا؟! وقد رضع من ثدى النبوه، وفي مهده الإمامه ترعرع وتربى، فهو ابن سيّد الشهداء، ولذلك عندما رأى عليُّ الأكبر أن لا بُدَّ لهذا الدين من مُحامي جعل يطلب البراز، فلم يبرز إليه أحد هيبه منه. هذا والإمام الحسين عليه السلام واقف بباب الخيمه ويلي جالس في خيمتها، تأخذ علامه السلامه من وجه الحسين عليه السلام، جالس تنظر في وجه الحسين تراه يتلأأ نوراً وسروراً بشجاعه ولده عليُّ الأكبر، فبينما هو كذلك وإذا بوجه الإمام قد تغير، قامت ليلي وقالت: سيدي أبا عبد الله، أرى وجهك قد تغير، فهل أصيب ولدي علي؟ فقال لها: «لا يا ليلي، ولكن برز له من أخاف منه عليه، يا ليلي ادع لولدك علي، فأنتي سمعتُ جدى رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: دُعاء الوالده مُستجاب بحق ولدها»، دخلت ليلي إلى خيمتها، رفعت يديها إلى السماء قائلة: إلهي بغربه أبا عبد الله! إلهي بعطش أبا عبد الله! إلهي بوحدته أبا عبد الله! يا رادُّ يوسف إلى يعقوب، ارُدِّد إليّ ولدي عليّ.

ردت الخيمتها الغريبه تبجي على ابنيها ابريه

وتوسلت لله بحبيبه بالحسين وشما بيه من مُصيبه

يا راد يوسف من مغيبه يعقوب ومسجن نحيه

أريدك عليّ سالم تجيبه

ص: ٢٥٢

١- (١) أوردها العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ١٨٦.

فاستجاب الله دُعاء ليلى لولدها ونصر علياً الأكبر على بكر بن غانم، فقتله واحتز رأسه وجاء إلى أبيه الحسين وهو يقول:

صيدُ الملوك أرانب وثمانب وإذا برزتُ فصيدى الأبطالُ

يا أبة هل من جائزه؟ فقال له أبوه الحسين: بُنى على وأى جائزه تُريدُ من أيبك؟ فقال: يا أبة، فهل من شربه من ماء سبيل أتقوى بها على الأعداء؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: بُنى على اصبر قليلاً سيسقيك جدك المصطفى بكأسه الأوفى شربه لا تظماً بعدها أبداً، فرجع على الأكبر يُقاتل حتى قتل تمام المائتين.

يقول أرباب المقاتل: رأينا علياً الأكبر، وهو يطرد كتيبه أمامه، قطعنه مژه ابن مُنقذ (لعنه الله) بزُمحه فانقلب على قُربوس سرج فرسه واعتنق الفرس، فحملة إلى معسكر الأعداء فاحتوشوه، وقطعوه بسيوفهم إرباً إرباً، ولما بلغت روحه التراقي نادى: أبة، عليك منى السلام، هذا جدى رسول الله قد سقانى بكأسه الأوفى، شربه لا أظماً بعدها أبداً، قالت سكينه: لَمَا سمع أبى صوت على أخذ تارة يقوم وأخرى يجلس وهو يقول: وا ولداه.

آه:

شبك على المهر لباله يُوديه لبوه احسين عن الكوم يحميه

أولى المهر للعدوان فرّيه ووجب آه بموسط العسكر

هذا يقطع إبسيفه وريده أو هذا بالخناجر فصل ايده

وهذا يغط زُمحه الحديده ابخاصرته وهو يعالج اويغفر

نده يا حسين هذا الساع جدى سگانى المای واروه عطش چبدى

يگول اسرع تراک اليوم عندى إجاه يصيح بينى الله وأکبر

وأما الحوراء زينب عليها السلام فإنها هوت على ذاك الجسد الطاهر تلثمه تقيلاً:

ص: ٢٥٣

هوت فوگه تشم خدّه و تحبه او تطبک طبره الراس و تعصبه

او تفتح زیگ ثوبه او تحس کلبه لگت دمّه من افاده یفور(۱)

\*\*\*

ونادت زینبُ الکبری بصوتِ علی (لیلی) وأدمعها تسیلُ

تقول لها اسرعی هذا علیّ شبيه المصطفى الهادی قتیلُ

\*\*\*

إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

ص: ۲۵۴

---

۱- (۱) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ۱، ص ۳۹۰ - ص ۴۲۸.





هُم فِتِيَهُ خَطَبُوا الْعُلَى بِسِيُوفِهِمْ وَلَهَا النُّفُوسُ الْغَالِيَاتُ مُهُورُ  
فَرَحُوا وَقَدْ نُعِيَتْ نَفُوسُهُمْ لَهُمْ فَكَأَنَّ لَهُمْ نَاعِي النُّفُوسِ بِشِيرُ  
فَاسْتَنْشَقُوا النَّقَعَ الْمُثَارَ كَأَنَّهُ نَدُّ الْمَجَامِرِ فَاحَ مِنْهُ عَيْبُ  
وَاسْتَيْقَنُوا بِالْمَوْتِ نَيْلَ مَرَامِهِمْ فَالْكُلُّ مِنْهُمْ ضَاحِكٌ مَسْرُورُ  
عَاثُوا بِآلِ أُمِيهِ فَكَأَنَّهُمْ سَرَبُ الْبُغَاثِ يَعِثْنَ فِيهِ صُقُورُ  
حَتَّى إِذَا شَاءَ الْمُهَيْمَنُ قُرْبَهُمْ لِحَوَارِهِ وَجَرَى الْقَضَا الْمَسْطُورُ  
رَكَضُوا بِأَرْجُلِهِمْ إِلَى شَرَكِ الرَّدَى وَسَعَوْا وَكَلَّ سَعِيهِمْ مَشْكُورُ  
فَزَهَتْ بِهِمْ تِلْكَ الْعِرَاصُ كَأَنَّمَا فِيهَا رَكَدَنَ أَهْلَةٌ وَبُدُورُ(١)

\*\*\*

وَكَأَنِّي بَزِينِبَ عَلَيْهَا السَّلَامَ فِي لَيْلِهِ عَاشُورَاءَ تُحَدِّثُ اللَّيْلَ وَدَمَعُهَا تَهْلُ عَلَى خَدَّيْهَا:

تَحَاجِي اللَّيْلَ بَتِ حَيْدَرِ أَوْجَفْنَهَا ابْمَدْمَعَهُ تَفَجَّرَ

صُبْحَكَ عَلَيَّ لَا يَنْظُرُ أُرِيدُ أَتُودِعُ أَمِنْ أَحْسِينِ

أَوْوِيلَادِهِ وَإِخْوَانِهِ

أَدْرِي بِصُحْبِكَ يَرْوِحُونَ عَنِّي وَبَعْدَ مِيرْجَعُونَ

وَعَلَيْنِهِ الْعَدَةُ يَهْجُمُونَ وَنَبِغَهُ بِصَفْغَتِ الْبُحَيْنِ

أَوْوَالًا وَاحِدًا الْيَحْمَانَةَ

ص: ٢٥٧

---

١- (١) هذه الأبيات من قصيده رائعه للسيد جعفر الحلبي رحمه الله والتي مطلعها: أدرك تراتك أيتها الموتور فلکم بكل يد دم مهذور وقد تقدمت ترجمته في المحاضره الخامسه من هذا الكتاب فراجع.

قال تعالى في مُحكم كتابه الكريم: (وَ أقيمِ الصَّلَاةَ طَرْفِي النَّهَارِ وَ زُلْفَاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذَهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ) ١ .

في هذه الآية عدَّةُ بُحوثٍ نتعرَّضُ لها على التوالي إن شاء الله تعالى.

البحثُ الأول: ما هو المعنى الإجمالي لهذه الآية؟

المعنى الإجمالي للآية هو الحثُّ على الصَّلاة وبيان أوقاتها وثمراتها.

البحث الثاني: ما هو معنى هذه الآية عند أهل البيت عليهم السلام؟

والجواب: إنَّه رُوِيَ عن حريز عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (وَ أقيمِ الصَّلَاةَ طَرْفِي النَّهَارِ) وطرفاه المغرب والغداة (وَ زُلْفَاً مِنَ اللَّيْلِ) وهي صلاة العشاء الآخرة (١).

وتعتبر هذه الآية من الآيات التي تحتوى على رجاء في رحمهِ الله لايدانيه رجاء في سواها من الآيات، فعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعتُ أحدهما عليهما السلام يقول: «إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَرْجَى عِنْدَكُمْ؟» فَقَالَ بَعْضُهُمْ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) ٣/ . قال: «حسنه وليس إياها». فقال بعضهم: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) ٤ . قال: «حسنه، وليست إياها». وقال بعضهم: (وَ الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ) ٥ قال: «حسنه وليست إياها».

قال: ثُمَّ أَحْجَمَ النَّاسُ، فَقَالَ: «مَالِكُمْ، يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ؟» قَالُوا: لَا وَاللَّهِ، مَا عِنْدَنَا

ص: ٢٥٨

---

١- (٢) تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٦١، ح ٧٣. تفسير البرهان: ج ٤، ص ١٥١، ح ١٠. تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص ٣٩٩ - ص ٤٠٠، ح ٢٣٤.

شئ، قال: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ: (وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَ زُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ) وقرأ الآية كلها، وقال: يا علي، والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً، إن أحدكم ليقوم إلى وضوئه فتساقط من جوارحه الذنوب، فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم يفتل عن صلاته وعليه من ذنوبه شئ، كما ولدته أمه، فإذا أصاب شيئاً بين الصلاتين كان له مثل ذلك، حتى عدّ الصلوات الخمس، ثم قال: يا علي، إنما منزلة الصلوات الخمس لأمتي كنهج جارٍ على باب أحدكم، فما ظنُّ أحدكم لو كان في جسده دَرَن؟ فكذلك والله الصلوات الخمس لأمتي» (١)؛ ولذلك ورد في الحديث الشريف «الصلوة صابون الخطايا» (٢).

البحث الثالث: محل هذه الآية جاء بعد عدّه أوامر ونواهي، منها: (فَأَسِئْتُمْ كَمَا أُمِرْتُمْ) ٣/ إلى غيرها من الآيات، عندما أمر الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله بالاستقامة أردفه بالأمر بالصلوة، وذلك يدلُّ على أنَّ أعظم العبادات بعد الإيمان بالله هو الصلوة، واعتبر الخوارج أن هذه الآية مُستمسكاً، فتمسكوا به في أنَّ الواجب من الصلوة ليس إلا الفجر والعشاء، مستدلين بوجهين:

الوجه الأول: أنَّ الفجر والعشاء واقعان على طرفي النهار، وأمّا عبارته (وَ زُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ) فهي صفة لطرفي النهار.

والوجه الثاني: أنَّ الآية ذكرت: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) وعبرت عن الصلوة بأنّها حسنة، وهذا يتحقق في الصلاتين.

ص: ٢٥٩

- 
- ١- (١) تفسير أبي حمزة الثمالي: ص ٢٠٣. تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٦١ - ص ١٦٢، ح ٧٤. تفسير مجمع البيان: ج ٥، ص ٣٤٦. التفسير الصافي: ج ٢، ص ٤٧٦. تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص ٤٠١ - ص ٤٠٢، ح ٢٣٧. بحار الأنوار: ج ٧٩، ص ٢٢٠، ح ٤١، عن مجمع البيان والعياشي وأبي حمزة الثمالي.
  - ٢- (٢) شرح نهج البلاغة: ج ٢٠، ص ٣١٣، رقم ٥٩٨.



وهذا الرأى باطل يا جماعة الأمة الإسلاميه فلا يلتفت إليه (١).

البحث الرابع: ما معنى طرفى النهار؟ معناه أقم الصلاه فى الصباح والمساء وفى ساعات من الليل هى أقرب من النهار، وينطبق من الصلوات الخمس اليوميه على صلاه الصبح والعصر، وهى صلاه المساء والمغرب والعشاء الآخره.

البحث الخامس: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) تعليل لقوله: (أَقِمِ الصَّلَاةَ) وبيان أن الصلوات حسنة واردة على نفوس المؤمنين، تذهب بآثار المعاصى وهى ما تعترىها من السيئات. ومن بعد ذلك قال تعالى: (ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) أى: هذا الذى ذُكر وهو (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) - على رفعه قدره - تذكير للمتلبسين بذكر الله تعالى من عباده (٢).

ولذلك يُعبر أمير المؤمنين عليه السلام عن الصلاه «أَنَّهَا قَرِيبَانِ كُلُّ تَقِيٍّ» (٣)، إضافة إلى أن الصلاه تُنزل بالإنسان عن مواطن الكبر، والتتره عن الكبر من مقومات شخصيه المسلم، فلم تُفرض الصلاه لذاتها وإنما لتكون الوسيله التى يتذلل بها الإنسان لخالقه، والمُحفز للإنسان على الشعور بسائر مسؤولياته، قال تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) ٤، والدعامه التى يُستند إليها عند وقوع المهمات، وحلول الكوارث

ص: ٢٦٠

١- (١) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ج ١٨، ص ٧٣.

٢- (٢) تفسير الميزان: ج ١١، ص ٥٨.

٣- (٣) شرح نهج البلاغه: ج ٤، ص ٣٤، رقم ١٣٦. الكافى: ج ٣، ص ٢٦٥، ح ٦. دعائم الإسلام: ج ١، ص ١٣٣ ورواه عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله. عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ١٠، ح ١٦. من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢١٠، ح ٦٣٧، كلاهما عن الإمام الرضا عليه السلام، وفى ج ٤، ص ٤١٦، ح ٥٩٠٤، عن الإمام الصادق عليه السلام، وسائل الشيعة: ج ٤، ص ٤٣، ح ١، عن الإمام الرضا عليه السلام. بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٢٠٣، ح ٤١، عن الإمام الصادق عليه السلام.

والخطوب والزلازل وبقية المضايقات النفسيه وغيرها؛ ولذلك نجد أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بذل كل ما بوسعه من أجل اغتنام هذه الفريضة العظيمه، وما نرى فريضه لها تلك الأهميه، كالصلاه، واجبها ومستحبها، حتى أصبحت الفارق الحقيقي بين المسلم والكافر، والفارق بين الإنسان المجنون والعاقل، قال الأصمعي: رأيت سعدون المجنون جالساً عند رأس شيخ سكران، يذبُّ عنه الذباب، فقلتُ له: أنت مجنون أم هو؟ قال: بل هو، قلتُ: من أين؟ قال: لأنني صليتُ الظهر والعصر في جماعه، وهو لم يُصلِّ جماعه ولا فرادى، فقال شعراً، فقلتُ له: صدقت وانصرفت» (١) إذن الصلاه لها الأهميه الكبرى في تقويم حياه الإنسان، ونرى في التاريخ أصحاب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كيف قد اهتموا بهذه الفريضه، وحافظوا عليها؛ لأهميتها في التأثير على سلوك الفرد والمجتمع، فهي هويه المؤمن إن قبلت قبل ما سواها وإن ردت ردت ما سواها كما في الروايه (٢).

في يوم من الأيام دخل عقيل بن أبي طالب (رضوان الله تعالى عليه) على معاويه، فلما دخل واستقرَّ به الجلوس في المجلس سأل معاويه عقيلاً قائلاً: أنت دخلت في معسكرين، معسكر أخيك عليّ ومُعسكري، فما الفرق بين المعسكرين، هل تستطيع أن تبيّنه؟ قال عقيل: دخلتُ على مُعسكر أخى فرأيتُ ليلهم كليل رسول الله، ونهارهم كنهار رسول الله، بين قائمٍ وقاعدٍ وراكعٍ وساجدٍ وصائمٍ، إلا أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله ليس فيهم،

ص: ٢٤١

١- (١) البدايه والنهايه: ج ١٠، ص ٢٢٠.

٢- (٢) ففي الكافي الشريف: ج ٣، ص ٢٤٨، ح ٤، عن أبي بصير قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كل سهو في الصلاه يُطرح منها غير أنّ الله تعالى يُتم بالنوافل، إن أول ما يُحاسب به العبد الصلاه، إن قبلت قبل ما سواها...» الحديث ومثله في التهذيب: ج ٢، ص ٢٣٩، ح ١٥. وسائل الشيعه: ج ٤، ص ١٠٨، ح ٢. بحار الأنوار: ج ٧، ص ٢٤٧، ح ٣٣، عن التهذيب، وفي مواضع أخرى أيضاً.

ودخلتُ إلى مُعسكرِك فما وجدت فيهم إلا قوماً مَمَّنَ نَفَرِ ناقه رسولِ الله صلى الله عليه و آله ليلَه العقبه(١).

ولأهميَه الصَّلاه نجد أنَّ أصحابِ الحُسين مع إمامهم وأهل بيته عليهم السلام قد انشغلوا في ليلَه عاشوراء بالصَّلاه، حتَّى صار لهم دويٌّ كدويِّ النَّحل، من الصَّلاه وقراءه القرآن والأدعيه.

رُوى عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «لَمَّا كان الليله العاشره من المُحرَّم قام أبى الحسين عليه السلام في أصحابه خطيباً، فقال: يا أصحابي، إنَّ هؤلاء يُريدونى دونكم، ولو قتلونى لم يصلوا إليكم، فالنجاه النجاه وأنتم فى حلٍّ مِنى، فإنكم إن أصبحتم معى قُتلتم كُلُّكم. فقالوا: لا نخذلك ولا نختار العيش بعدك، فقال عليه السلام: إنكم تُقتلون حتَّى لا يفلت مِنكم أحدٌ. فقالوا: الحمد لله الذى شرفنا بالقتلِ معك. ثم إنَّ دعا لهم، وقال: إرفعوا رُؤوسكم وانظروا. فجعلوا ينظرون إلى منازلهم فى الجنَّه»(٢).

ويُروى أنه قال فى آخر خُطبته: «أصحابي وعمومتي أهل بيتي، ألا- ومن كانت فى رحله امرأه فليبعث بها إلى أهلها، فإن نساى تُسبى وأخاف على نساىكم السبى. فقام من بينهم حبيب بن مظاهر الأسدى، وأقبل إلى خيمته فتبَسَّمت زوجته فى وجهه، فقال لها: دعينا والتبسّم، قُومى والحقى بنى عمِّك من بنى أسد. فقالت: لِمَ يابن مظاهر؟ هل فعلتُ معك مكروهاً؟ قال: حاشا لله، ولكن أما سمعتِ غريب رسولِ الله صلى الله عليه و آله خطبنا فى هذه الساعه؟ قالت: بلى، ولكن سمعتُ فى آخر خُطبته هممه لا أعرُفها؟ قال: خطبنا وقال: ألا ومن كانت فى رحله امرأه فليبعث بها إلى أهلها، فلَمَّا سمعت الحُرَّه نطحت رأسها بعمود الخيمه، وقالت: ما أنصفتنى يا بن مظاهر أيسرَّك أن تُسلبَ زينب إزارها وأنا أترزُّنُ

ص: ٢٦٢

١- (١) انظر: شرح نهج البلاغه: ج ٢، ص ١٢٤ - ص ١٢٥. الدرجات الرفيعه: ص ١٦٠. الغارات: ج ٢، ص ٩٣٦. بحار الأنوار: ج ٤٢، ص ١١٢ - ص ١١٣، عن شرح النهج.

٢- (٢) انظر: الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٨٤٦ - ص ٨٤٧، ح ٦٢، عنه بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٩٨، ح ٣. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٣٥٠، ح ١، عن الخرائج أيضاً.

يا زارى؟! أم يسرك أن سكينه يسلب قرطها وأنا أترين بقرطى؟! لا كان ذلك أبداً، بل أنتم تواسون الرجال ونحن نواسى النساء، فلما سَمِعَ منها ذلك رجع إلى الحسين عليه السلام فرآه جالساً ومعه أخوه العباس، فسلم عليهما وجلس، وقال: أبت الأسدية أن تُفارقكم. فقال الحسين عليه السلام: جزاكم الله خير الجزاء»(١).

وبالفعل - فى يوم العاشر من المُحرم - هؤلاء الأبطال قدّموا كُلَّ ما عندهم من أموال وأرواح فى سبيل أبى عبد الله الحسين عليه السلام؛ لأنّه حُجّه الله وخليفته فى أرضه، وكذلك سيدهم وقائدهم الإمام الحسين عليه السلام قدّم حتّى الطفل الرضيع. يذكر أرباب المقاتل أنّه عندما جاءت الحوراء زينب عليها السلام إلى أخيها الحسين عليه السلام، وكانت تحمل معها عبد الله الرضيع عليه السلام، فدفعته إليه وهى باكيه، قالت: أختى أخذت طفلك فأخذه ووضعته فى حجره يُقبّله، ويقول: «بعداً لهؤلاء القوم إذا كان جدك المصطفى خصمهم»، ثمّ أتى به نحو القوم يطلب له الماء قائلاً: «يا قوم، قد قتلت إختى وأولادى وأنصارى وما بقى غير هذا الطفل، وهو يتلظى عطشاً من غير ذنبٍ أتاه إليكم، فاسقوه شربه من الماء». فاختلف المعسكر فيما بينهم، منهم من قال: إذا كان ذنبٌ للكبار فما ذنبٌ هذا الطفل؟ ومنهم من قال: اقتلوه، ولا تبقوا لأهل هذا البيت باقيه. فلما رأى ابنُ سعد ذلك صاح بحرمله: ويلك يا حرملة، اقطع نزع القوم. قال: فما أصنع؟ قال: ارم الطفل بسهم. قال حرملة: فرأيت رقبته تلمع على عضد أبيه الحسين عليه السلام فرميت الطفل بسهمى، فذبحت من الوريد إلى الوريد، فلما أحسّ الطفل الرضيع بحراره السهم أخرج يديه من القمط واعتق أباه، وجعل يُرفرف كالطير المذبوح، فملاً الحسين كفه من دمه، ورمى به نحو السماء، قائلاً: «اللهم لا يكن أهون عليك من فصيل ناقه صالح»(٢).

ص: ٢٤٣

١- (١) انظر: معالى السبطين: ج ١، ص ٣٤٠ - ص ٣٤٢.

٢- (٢) انظر: بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٤٧. لواعج الأشجان: ص ١٨١ - ص ١٨٢.

وكأني به واقف وهو يحمل الطفل الرضيع بين يديه:

(نصاري)

تلگه حسين دم الطفل بيده شحال اليجتل بحضنه وليده

سال اوترس دمه من وريده وذبه للسماء اوللكاع ما خز

أولى من لفت سكنه تنادي بيويه العطش هالفتت أفادي

صدت لن أخوها الطفل غادي يلوح رغبته ودمه يفور

بيويه ذاب جبدي وچبد أمه دخليني أودعته وأشمه

\*\*\*

توجهت سكينه إلى أخيها الطفل الرضيع وكأني بها تناديه:

يخويه عون من حبك وشمك يخويه عون من راواك لأمك

لغسلنك يخويه ابيض دمك أو كبرك بالكلب يا خوي لحفر

گام احسين يمشي يم الأنصار وگف يمهم اوچبده من العطش نار

نده عباس خويه والدمع فار يخويه گوم لينه الساع واحضر

\*\*\*

فلو أن موتاً يشتري لا شترته وعيشي بعد الظامين منك

\*\*\*

إننا لله وإننا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أيُّ مُقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين





اللَّهُ أَيُّ دَمٍ فِي كَرْبَلَا سُفِكَا لَمْ يَجْرِ فِي الْأَرْضِ حَتَّى أَوْقَفَ الْفَلَكَا  
وَأَيُّ خَيْلٍ ضَلَّالٍ فِي الطُّفُوفِ عَدَّتْ عَلَى حَرِيمِ رَسُولِ اللَّهِ فَانْتَهَكَا  
يَوْمٌ بِحَامِيهِ الْإِسْلَامِ قَدْ نَهَضَتْ لَهُ حَمِيَّةَ دِينِ اللَّهِ إِذْ تُرَكَا  
رَأَى بَأْنَ سَبِيلَ الْغَيِّ مُتَّبِعٌ وَالرَّشْدُ لَمْ تَدْرِ قَوْمٌ أَيَّ سَلَكَا  
وَالنَّاسُ عَادَتْ إِلَيْهِمْ جَاهِلِيَّتِهِمْ كَأَنَّ مَنْ شَرَعَ الْإِسْلَامَ قَدْ أَفَكَا  
وَقَدْ تَحَكَّمَ بِالْإِسْلَامِ طَاغِيَةٌ يُمَسَّى وَيُصْبِحُ بِالْفَحْشَاءِ مِنْهُمَا  
لَمْ أَدْرِ أَيْنَ رَجَالُ الْمُسْلِمِينَ مَضُوا وَكَيْفَ صَارَ بَيْنَهُمْ مَلِكَا  
الْعَاصِرُ الْخَمْرَ مِنْ لَوْمٍ بَعْضُهُ وَمِنْ خَسَاسِهِ طَبِيعُ يَعْصُرُ الْوَدَكَا  
لَنْ جَرَتْ لَفْظُهُ التَّوْحِيدِ فِي فَمِهِ فَسَيْفُهُ بِسُورِ التَّوْحِيدِ مَافَتَكَا  
قَدْ أَصْبَحَ اللَّيْنُ مِنْهُ يَشْتَكِي سَقْمًا وَمَا إِلَى أَحَدٍ غَيْرِ الْحُسَيْنِ شَكَا  
فَمَا رَأَى السَّبْطُ لِلدَّيْنِ الْحَنِيفِ شِفَاءً إِلَّا إِذَا دَمُهُ فِي كَرْبَلَا سُفِكَا(١)

\*\*\*

يا فاطمه يم البدور يلگبرچ خفي من دُون الْكَبُورِ  
جيبى سدر لبنيچ وكافور اخبرچ بصدر حسين مكسور  
ومن العطش چبد حسين مفطور هذا الجره فى يوم عاشور  
ولسان حال الحوارء زينب عليها السلام:

يا فاطمه يم الميامين يلگبرچ خفي ما يندرہ وين

ص: ٢٤٧

---

١- (١) القصيده للسيد جعفر الحلى رحمه الله، وقد تقدمت ترجمته فى المحاضره الخامسه.



أخبرج بالجره والصار بحسين ظل عشره من غير تكفين

وعباس البطل مگطوع الايديين واتسلبت كل النساءين

وأنا ادخلت يمه الدواوين

\*\*\*

رُوي أَنَّهُ جاءَ رَجُلٌ للإمامِ الحُسينِ عليه السلامُ وقالَ له: أَنا رَجُلٌ عاصٍ ولا- أَصبرُ عنِ المعصِيه، فعظني بموعظِهِ، فقالَ عليه السلامُ: «افعلْ خمسَه أَشياءٍ واذنبْ ما شئتَ، فأوَّلُ ذلكَ: لا تأكلْ من رزقِ اللهِ واذنبْ ما شئتَ، والثاني: اخرجْ من ولايهِ اللهِ واذنبْ ما شئتَ، والثالث: اطلبْ موضعاً لا يراكِ اللهُ واذنبْ ما شئتَ، والرابع: إِذا جاءَ مَلَكَ الموتِ ليقبضَ رُوحَكَ فادفعه عن نَفْسِكَ واذنبْ ما شئتَ، والخامس: إِذا ادخَلَكَ مالَكَ في النَّارِ فلا تدخلْ في النَّارِ واذنبْ ما شئتَ»<sup>(١)</sup>.

من أهمَّ الطُّرقِ لعلاجِ المشاكلِ الأخلاقِيه هي عدمُ المباشره بالعلاجِ، بل الابتداء بمقَدِّماتِ علاجِيه توصلُ المكلِّفَ نَفْسَه للتفكُّرِ، وبعدها إلى حسمِ المشكله، وهذا هو ديدنُ أهلِ البيتِ عليهم السلامُ في علاجاتهم لُمُجملِ المشاكلِ. ولعلَّ هذا الأُسلوبُ داخلُ في قولهِ تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) ٢ فمن الحُكمه أن نتكلَّم بالأُسلوبِ غيرِ المباشِرِ مع النَّاسِ كما كان يصنع الإمامُ الصَّادقُ وباقي الأئمَّه عليهم السلامُ مع بعضِ العُصاه، كما في قصه الشُّقراني، وصفوان الجمال، حيث عبَّر سلام اللهُ عليه بالإشاره إِذ قال للشُّقراني: «الحسنُ من كُلِّ أَحَدٍ حسنٌ ومنكَ أحسن؛ لقربكَ مِنَّا، والقبيحُ من كُلِّ أَحَدٍ قبيحٌ ومنكَ أقبح؛ لقربكَ مِنَّا» في ذلكِ إشاره إلى أَنَّ الشُّقراني كان مُقيماً على شربِ

ص: ٢٤٨

١- (١) بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٢٦، ح ٧.

الشَّرابِ الْمُحَرَّمِ (١)، وبهذه الكلمه استطاع الإمام عليه السلام أن يُغَيِّرَ حياه الشَّقرانى. وهكذا ديدن الأئمه عليهم السلام تبعاً لجدِّهم المُصطفى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بلا فرقٍ فى كون الموعظه لأجل ترك المعصيه، أو لأجل الاهتمام بالعباده والطاعه والمواظبه عليهما، ومن هنا نعرف وصايا النبى للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ووصايا الإمام عليه السلام لأولاده بأنَّها كانت أكثرها تحت عنوان «إياك أعنى واسمعى يا جاره» (٢).

وبنفس هذا الأسلوب وعظ الإمام الحسين عليه السلام هذا الرجل المبتلى بالمعصيه، بأنَّ الإمام لم يقل له لا تعص، وإنَّما قال: «افعل ما شئت»، وهذا معناه اعصِ لكن بشروطٍ خمس، إذا أنت حققتها فاعصِ بما تحب وترغب.

أولها: «لا تأكل من رزق الله واذنب ما شئت»، أى: يحقُّ لك أن تذنّب وتعصى لكن بشرط ألا تأكل من رزق الله تبارك وتعالى، والله تبارك وتعالى هو الذى يُطعم ويسقى قال عزَّ وجلَّ: (وَ الَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي) ٣/ كما جاء على لسان نبى الله إبراهيم على نبينا وآله وعليه السلام حين كان يخاطب قومه العصاه الفجره: بأنكم تعصون الله، بل وتعبدون سواه، وهو الذى يطعم ويسقى، ويمرض ويشفى، ويُميت ويُحيى.

ففى نفس الوقت الذى يأمر الله تبارك وتعالى عباده بأكل رزقه ويبيحه لهم، فى نفس الوقت ذاته ينهاهم عن العبث والفساد فى الأرض، حيث يقول عزَّ وجلَّ: (كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ

ص: ٢٦٩

- 
- ١- (١) بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ٣٤٩ - ص ٣٥٠، ح ٥٠.
  - ٢- (٢) وهذا الجواب هو أحد الأجوبه فى مقام دفع إشكالات عديده يتراءى منها ثبوت الذنوب والمعاصى للمعصومين عليهم السلام، وقد اختاره الشيخ الصدوق رحمه الله فى كتابه الاعتقادات فى دين الإماميه: ص ٨٧، والسيد المرتضى علم الهدى رحمه الله فى تنزيه الأنبياء: ص ١٦٧، ومروى عن ابن عبَّاس رضى الله عنه أنه قال: «نزل القرآن بإياك أعنى واسمعى يا جاره». انظر: مجمع البيان: ج ٧، ص ٤٦٥. عوالى اللئالى: ج ٤، ص ١١٥، ح ١٧٩.

رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) ١ . يبيح لعباده التمتع بملذات الدنيا بشرط عدم الفساد والإفساد في الأرض، ورزق الله هو كل ما كان منه عزّ وجلّ بالمباشره أو بالأسباب؛ لأنه لا مؤثر في الوجود إلا الله تبارك وتعالى.

فإذا كان الإنسان عنده أولاد يعملون فيطعمونه، فهو يأكل من رزق الله، أو كان يعمل فيطعم نفسه، فهو من رزق الله.

فالأكل من رزق المضيف يحرم على الضيف التمرّد عليه كما هو ديدن العرف، فإنّ الإنسان إذا دخل في دار أحد وأكل منها امتنع عن سرقة وغيبته والنظر المحرم إلى أهل داره؛ لأنه أكَلَ من رزقه، فكيف بمن هو الرزاق المطلق، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) ٢ .

والخلاصه فالإمام الحسين عليه السلام يقول لهذا الرجل: اعصِ لكن لا تأكل من رزق الله، وبما أنّه من المستحيل ألا يأكل من رزق الله، لأنّ كلّ الطعام له عزّ وجلّ؛ كان عليه أن يمتنع عن المعصيه.

ثانيها: «أخرج من ولايه الله واذنب ما شئت!» كيف يخرج من ولايته عزّ وجلّ وهو القائل: (وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) ٣/ ، وقال تعالى: (هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا) ٤ ، وقال تعالى: (مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) ٥ ، وقال عزّ وجلّ: (لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ) ٦ ، وغيرها من الآيات الدالّة على أنّ الولاية - أولاً وبالذات -

له عزّ وجلّ، لا يمكن لأحدٍ أن يخرج عن ولايته سبحانه وتعالى، كيف يصير الإنسان مستقلاً بشؤونه وهو الفقير المطلق؟!!

وثالثها: «اطلب موضعاً لا يراك الله واذنب ما شئت!»

أى: إذا أردت أن تعصى الله تعالى فعليك أن تتذكر أولاً أنه عزّ وجلّ لا يخفى عليه شيء (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَ مَا يُغْلِبُونَ) ١ وهو الذى يعلم ما فى أنفسنا حيث يقول عزّ وجلّ: (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَ مَا يُغْلِبُونَ) ٢، وهو العالم بكلّ شيء حيث يقول: (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ٣، وقال: (يَعْلَمُ السِّرَّ وَ الْأَخْفَى) ٤.

وهذا بديهي جداً، وما أكثر ما نطق به القرآن الكريم من آيات تتعلّق بعلمه عزّ وجلّ بدقائق الأمور وأسرارها، حتّى صار الأمر ضروره يعرفها الصغار فضلاً عن الكبار.

يُذكر أنّ معلماً قال لصبيان كان يعلمهم القرآن: مَنْ منكم يأخذ هذا العصفور إلى مكانٍ بحيث لا يراه أحدٌ؟ فقال أحد الصّبيان الأذكىاء: كيف نستطيع أن نأخذ هذا العصفور إلى مكانٍ لا يرانا أحدٌ فيه والله تبارك وتعالى محيط بنا من كلّ جانب وموجود فى كلّ مكان، فقال المعلم للصّبي: أحسنت، إنّ الله تبارك وتعالى معنا، وأنا أردت أن تعلموا هذا المعنى وحقيقته.

ويروى أنّ زليخا لما همّت بالمعصيه مع نبيّ الله يوسف عليه السلام قامت إلى صنمٍ فى بيتها فألقت عليه مُلاءه (١) لها، فقال لها يوسف: ما تعملين؟ فقالت: ألقى على هذا الصنم ثوباً لا يرانا فإنّى أستحي منه، فقال يوسف: أنت تستحين من صنمٍ لا يسمع ولا يُبصر ولا

ص: ٢٧١

أستحي من ربّي؟ فوثب وعدا وعدت من خلفه وأدركهم العزيز على هذه الحالة وهو قول الله: (وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ) ١ .

ورابعها: «إذا جاءك ملك الموت، ليقبض روحك، فادفعه عن نفسك واذنب ما شئت».

ورابع هذه الشروط أن ادفع عن نفسك ملك الموت إذا جاء لقبض روحك، فإن استطعت دفعه فاذنب ما شئت.

كيف يستطيع الإنسان أن يدفع عنه هذا الملك أو الملائكة العظام الشداد الذين وصفهم خالقهم بأنهم: (مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) ٢ .

وهو الذى يصف سكره الموت بقوله عزّ من قائل: (وَ جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) ٣ .

وقال عزّ وجلّ: (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) ٤ .

ويكفيك معرفه بعظمته وقوّته وتوفيه للنفس ما وصفه به الإمام أمير المؤمنين الإمام علىّ عليه السلام حيث يقول: «هل تحسّ به إذا دخل منزلاً؟ أم هل تراه إذا توفّي أحداً؟ بل كيف يتوفّي الجنين فى بطن أمّه، أيلج عليه من بعض جوارحها؟ أم الروح أجابته بإذن ربّها؟ أم هو ساكنٌ معه فى أحشائها؟ كيف يصف إلهه من يعجز عن صفه مخلوقٍ مثله» (١).

ص: ٢٧٢

---

١- (٥) نهج البلاغه: ج ١، ص ٢٢١، خطبه ١١٢، فى ملك الموت. تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٢٢٥، ح ١٩. بحار الأنوار: ج ٦، ص ١٤٣، ح ٩، عن النهج.

فملك الموت الذى لا يحس به أحد هو الموكل بقبض روح هذا المخلوق الضعيف، ويلج إليه من حيث لا يشعر.

وقد قرّب أمير المؤمنين عليه السلام هذا المعنى لبعض من سأله عمّن يسدّ بابه من أين يأتيه رزقه؟ فقال عليه السلام «من حيث يأتيه أجله»<sup>(١)</sup>.

فإذن ملك الموت هذا لا نحسّ به إذا جاءنا، ولا نستطيع دفعه، ومتى ما شعرنا بحضوره واستطعنا دفعه عن أنفسنا حينئذٍ نحن فى غاية القوه والجبروت، فلا نحتاج إلى ربّ نعبده وإله نطيعه!! فالإمام الحسين عليه السلام ينصح هذا الرّجل المبتلى بالمعصيه بهذا البيان الرائع، والمستحيل أن يتحقّق للمخلوقين من عباده الضعفاء وهو: «متى ما استطعت أن تدفع ملك الموت عنك فادفعه واذنب ما شئت» وبما أنّ التالى لا يمكن تحقيقه فعليك أيها العبد المبتلى ألاّ تعصى الله؛ لأنّك لم تستطع دفع الضيم عن نفسك فاتق الله واستعن به.

وخامسها: «إذا أدخلك مالك فى النار، فلا تدخل فى النار واذنب ما شئت!»

وخامس الشروط وأخيرها التى ذكرها الإمام الحسين عليه السلام لهذا العبد المبتلى بالمعصيه هو ما بعد الوفاء، بمعنى أنّك أيّها العبد المبتلى بالمعصيه إذا متّ وأنت على هذا الحال فإنّ مصيرك إلى النار، ولكن هل فكرت بأنّك لا تستطيع أن تدفع عن نفسك فى ذلك اليوم الشوق العذى يسوقك به مالك خازن النيران إلى النار؟ فإن كُنت تستطيع منازعته وعدم الانصياع له فاذنب ما شئت.

وخازن النيران ملك لا يسمع شكوى للعاصيين، ولا رجاء من المذنبين، قال تعالى -

ص: ٢٧٣

---

١- (١) نهج البلاغه: ج ٤، ص ٨٣، رقم ٣٥٦، تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٣٥٦، ح ٤٢. بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ١٤٦، وج ١٠٠، ص ٣٧، ح ٨٠.

واصفاً حال أهل النار معه :- (وَ نَادَوْا يَا مَالِكَ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُتِبْتُمْ) ١ ، وفي حديث المعراج أن رسول الله صلى الله عليه وآله مرَّ على ملكٍ قاعد على كُرْسِيِّ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فلم يرَ منه من البشر ما رأى من الملائكة، فقال: يا جبرئيل، ما مررت بأحد من الملائكة إلا رأيتُ منه ما أحبُّ إلا هذا، فمن هذا الملك؟ قال: هذا مالكُ خازن النار، أما أنه قد كان من أحسن الملائكة بشراً، وأطلقهم وجهاً، فلما جعل خازن النار أطلع فيها أطلعه، فرأى ما أعدَّ الله فيها لأهلها، فلم يضحك بعد ذلك (١).

وقد روى أنه لما وُلد الإمام الحسين عليه السلام أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى مالك خازن النار: أن أحمده النيران على أهلها لكرامه مولود ولد لمحمد صلى الله عليه وآله (٢).

فالله تبارك وتعالى أحمده النيران كرامه للإمام الحسين عليه السلام ولكنَّ القومَ أضرَموا النيران وأحرقوا الخيام، بُغْضاً وعداوة لأبي عبد الله عليه السلام وأهل بيته الكرام في يوم العاشر من المحرم.

ومن هنا روى: أنه لما هجم القوم على المخيم ارتفع صياح النساء، فصاح ابن سعد: اكبسوا عليهنَّ الخباء واضرموها ناراً فأحرقوها ومن فيها.

فقال له رجل منهم: ويلك يا بن سعد، أما كفاك قتل الحسين وأهل بيته وأنصاره عن إحراق أطفاله ونسائه؟ فقد أردت أن يخسف الله بنا الأرض؟

فامتنع ابن سعد، ولكنه نادى على مشعل من نارٍ لأحرق بيوت الظالمين، فجاؤوا إليه بمشعل، فأضرم النار في المخيم، ففرَّ عيال وبنات رسول الله والتجؤوا إلى السيدة زينب عليها السلام (٣).

ص: ٢٧٤

١- (٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥٣٦. روضه الواعظين: ص ٥٨. بحار الأنوار: ج ١٨، ص ٣٣٥.

٢- (٣) كمال الدين وتمام النعمه: ص ٢٨٣. مدينه المعاجز: ج ٣، ص ٤٣٣. بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٢٤٨، ح ٢٤، عن كمال الدين.

٣- (٤) انظر: كتاب الأخلاق الحسينيه: ص ٢٩١ - ص ٢٩٢.

وكانني بهن:

(مجاويد)

فرن اوكل وحده ابعشها تتعثر او تندب وليها

واطفالها تبجي البعيا وسياط اميه اتدك عليها

ولذا بقيت الحوراء زينب عليها السلام في حيره من امرها ودهشه، من قساوه عدوها.

(فائزي)

زينب احتارت يوم شبا بالخيم نار طلعت وياها الحريم اصغار واكبار

تصرخ بعالي الصوت طايح وين يحسين ض

خدري انهتك وانت غياث المستعشين

عجل ادر كنه اتهتكت خويه النساوين لمن سمع كام ايتكلب والدمه فار

وكانني به عليه السلام يجيها:

كلها يزيب باليتامه لا تجيني اولا تكثرين امن البواجي اتهيجيني

ردى اسكينه لا يدوبها ويني لا تكثري عتبي ولا اتجيني بلا اخمار

لا تكثري عتبي وانا جته بلا راس راسي اگبالج والجسد بالخيل ينداس

گصدي الشريعه بلكن اتشوفين عباس يگدر على الكومه اويسل سيفه البتار

ص: ٢٧٥



وكأني بها عليها السلام تنادي كافلها أبا الفضل العباس عليه السلام:

يعباس دير العين لينه وانظر عزيز تكم اسكينه

تگلی یعمه البطل وینه حل ينظر اشلون انولينه

\*\*\*

عباس تسمع زينبا تدعوك من لي يا حماي إذ العدى نهروني

أولست تسمع ما تقول سكينه عماء يوم الأسر من يحميني

\*\*\*

إنّا لله وإنا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أي منقلب ينقلبون

والعاقبة للمتقين

ص: ٢٧٦





يَابْنَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَىٰ وَوَصِيَّهُ وَأَخَا الزَّكِيِّ يَابْنَ الْبَتُولِ الزَّكَايَةِ  
تَبَكِّيكَ عَيْنِي لَا لِأَجْلِ مَثْوِيهِ لَكِنَّمَا عَيْنِي لِأَجْلِكَ بَاكِيهِ  
تَبْتَلُّ مِنْكُمْ كَرِبْلَاءَ بَدَمٍ وَلَا تَبْتَلُّ مِنِّي بِالْذُّمُوعِ الْجَارِيهِ  
أَنْسَتْ رَزِيَّتَكُمْ رَزَايَانَا الَّتِي سَلَفَتْ وَهَوَّنتِ الرِّزَايَا الْآتِيَةَ  
وَفَجَائِعِ الْأَيَّامِ تَبْقَىٰ مُدَّةً وَتَزُولُ وَهِيَ إِلَى الْقِيَامَةِ بَاقِيَهُ  
لَهْفِي لِرُكْبٍ صَرَّعُوا فِي كَرِبَلَا كَانَتْ بِهَا آجَالُهُمْ مُتَدَانِيَهُ  
نَصَرُوا إِبْنَ بَنَاتِ نَبِيِّهِمْ طُوبَىٰ لَهُمْ نَالُوا بِنَصْرَتِهِ مَرَاتِبَ سَامِيَهُ  
قَدْ جَاوَرُوهُ هَاهُنَا بِقُبُورِهِمْ وَقَصُورُهُمْ يَوْمَ الْجَزَاءِ مُتَحَاذِيَهُ  
وَلَقَدْ يَعِزُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ أَنْ تُسَبَّى نِسَاءُهُ إِلَى يَزِيدَ الطَّاعِيَهُ  
وَيَرَى حُسَيْنًا وَهُوَ قُرَّةُ عَيْنِهِ وَرِجَالَهُ لَمْ تَبَقَ مِنْهُمْ بَاقِيَهُ  
وَجَسُومُهُمْ تَحْتَ السَّنَابِكِ بِالْعَرَى وَرُؤُوسُهُمْ فَوْقَ الرَّمَاكِ الْعَالِيَهُ  
وَيَرَى دِيَارَ أُمِّيهِ مَعْمُورَةً وَدِيَارَ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْهُمْ خَالِيَهُ  
وَيَزِيدُ يَقْرَعُ ثَغْرَهُ بِقَضِيْبِيهِ مَتْرَنًا مِنْهُ الشَّمَاثَةُ بِأَدْيِهِ (١)

\*\*\*

وَكَأَنِّي بِالْحَوْرَاءِ زَيْنَبَ عَلَيْهَا السَّلَامَ لَمَّا نَظَرْتُ إِلَى أَخِيهَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَزِيدَ يَقْرَعُ بَعْصَاهُ ثَنَايَاهُ:

يَحْسِينِ رَاسِكَ حِينَ شَفْتَهُ تَلْعَبُ عَصَا يَزِيدَ عَلَى شَفْتِهِ

ذَاكَ الْوَكْتَ وَجْهِي لَطَمْتَهُ وَصَدَّيْتُهُ ابْحَرَكَ وَنَدَهْتَهُ

إِنْشَلَّتْ يَمِينُكَ يَا الضَّرْبَتَهُ مِنْ شَافِنِي الظَّالِمِ عَذْلَتَهُ

شَتَمْنِي وَتَعَدَّلْتَهُ شَتَمْتَهُ يَا أَخُو الْمَثَلِكِ ضَاعَتْ إِخْتَهُ

١- (١) القصيده للشيوخ عبد الحسين الأعمس رحمه الله كما قال السيد الأمين رحمه الله في الدرّ النضيد: ص ٣٣٢. وقد تقدّمت ترجمته في المحاضره الثانيه من هذا الكتاب فراجع.

قوله تعالى: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) ١ .

«أجمع أهل القبله - حتّى الخوارج منهم - على أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله لم يدع للمباهله من النساء سوى بضعته الزّهاء، ومن الأبناء سوى سبطيه وريحانتيه من الدّنيا، ومن الأنفس إلاّ أخاه الذّي كان منه بمنزله هارون من موسى، فهؤلاء أصحاب هذه الآيه بحكم الضروره التي لا يُمكن جحودها، لم يُشاركهم فيها أحدٌ من العالمين كما هو بديهيّ لكلّ من ألمّ بتاريخ المسلمين، وبهم خاصّه نزلت لا بسواهم.

وأوردها ابن حجر في الباب الحادى عشر من صواعقه أنّ عليّاً يوم الشّورى احتجّ على أهلها فقال لهم: أنشدكم بالله هل فيكم أحد جعله الله نفس النبيّ، وأبناءه أبناءه، ونساءه نساءه غيرى؟ قالوا: اللهم لا...» الحديث (١).

فبأهل النبيّ صلى الله عليه و آله بهم خصومه من أهل نجران فبأهلهم، وأمّهات المؤمنين كُنّ حينئذٍ في حجراته صلى الله عليه و آله، فلم يدع واحده منهمّ وهنّ بمرأى منه وسمع، ولم يدع صفيّه وهى شقيقه أبيه وبقية أهليه، ولا- أمّ هانى ذات الشّان والمكان، وهى كريمه عمّه الفارج لهمّه، ذى الأيادى التي هى من المسلمين طوق الهوادى، ولا- دعا غيرها من عقائل الشّرف والمجد، ولا واحده من نساء الخلفاء الثلاثة وغيرهم من المهاجرين والأنصار، كما أنّه لم يدع مع سيديّ شباب أهل الجنّه أحداً من أبناء الهاشميين، على أنّهم كانوا (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً) (٢) ولا دعا أحداً من أبناء الصّحابه على كثرتهم ووفور فضلهم.

ص: ٢٨٠

- ١- (٢) شرح إحقاق الحقّ: ج ٩، ص ٨١، عن الصواعق: ص ١٥٤ (ط عبد اللطيف بمصر). وأنظر: تاريخ مدينه دمشق: ج ٤٢، ص ٤٣٢. ينابيع المودّه: ج ٢، ص ٣٤٤. بحار الأنوار: ج ٣٥، ص ٢٦٦ - ص ٢٦٧، عن الصواعق.
- ٢- (٣) اقتباس من قوله تعالى: (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا) الإنسان: آيه ١٩.

وكذلك لم يدع من الأنفس مع عليّ عمّه وصنو أبيه العباس بن عبد المطلب، وهو شيخ الهاشميين، وأجود القرشيين وأعظم الناس عند رسول الله صلى الله عليه وآله، بل لم يدع أحداً من كافه عشيرته الأقربين، ولا واحداً من السابقين الأولين (رضى الله تعالى عنهم أجمعين) وكانوا بمرأى من المباهله وسمع من المنتدى والمجمع فلم ينتدب واحداً منهم مع من انتدبهم إليها، بل لم ينتدب أحداً من سائر أهل الأرض بالطول والعرض، وإنما خرج صلى الله عليه وآله - كما نصّ عليه الرازي في تفسيره - وعليه مرط من شعر أسود وقد احتضن الحسين، وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشى خلفه، وعليّ خلفها وهو يقول: «إذا أنا دعوت فأمّنوا»، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى، إننى لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يُزِيلَ جبلاً لأزاله بها، فلا تباهلوهم فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصرانى إلى يوم القيامة (١).

وهنا فوائد لا بُدّ من التعرّض إليها:

الأولى: قد ذكر الزمخشري في تفسيره: «أنّ البارى قدّمهم فى الذّكر على الأنفس لئيبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم، وليؤذن بأنهم مُقدّمون على الأنفس مفدون بها. وفيه دليل لا شىء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام، وفيه بُرهان واضح على صحّته نبوّه نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله؛ لأنّه لم يرو أحد من موافق ولا مُخالف أنّهم أجابوا إلى ذلك» (٢).

الثانية: وذكر الفخر الرازي في تفسيره: «أنّه كان فى الرى رجلٌ يُقال له: محمود بن الحسن الحَمْصى، وكان مُعلّم الاثنى عشرية، وكان يزعم أنّ علياً رضى الله عنه أفضل من جميع الأنبياء سوى مُحمّد صلى الله عليه وآله قال: والذى يدلّ عليه قوله تعالى: (وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ) وليس

ص: ٢٨١

- 
- ١- (١) نقلنا هذا الكلام المسبوك من كتاب الكلمه الغراء فى تفضيل الزهراء عليها السلام المطبوع فى ذيل الفصول المهمه فى تأليف الأئمّه: ص ١٩٧ - ص ١٩٨. والكتابان من تأليف فخر الشيعه السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله.
- ٢- (٢) تفسير الكشاف: ج ١، ص ٣٧٠.

المراد بقوله (وَ أَنْفُسَنَا) نفس مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله؛ لأنَّ الإنسان لا يدعو نفسه، بل المراد غيره، وأجمعوا على أنَّ ذلك الغير كان عليّ بنَ أبي طالبٍ رضى الله عنه، فدلت الآيه على أنَّ نفس عليّ هي نفس مُحَمَّدٍ، ولا يمكن أن يكون المراد منه أنَّ هذه النفس هي عين تلك النفس، فالمراد أنَّ هذه النفس مثل تلك النفس، وذلك يقتضى الاستواء فى جميع الوجوه تركَّ العمل بهذا العموم فى حقِّ التَّبَوِّه وفى حقِّ الفضل؛ لقيام الدلائل على أنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله كان نبيًّا وما كان عليّ كذلك، ولانعقاد الإجماع على أنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله كان أفضل من عليّ رضى الله عنه، فيبقى ما بعده معمولاً به، ثُمَّ الإجماع دلَّ على أنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله كان أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام، فيلزم أن يكونَ عليّ أفضل من سائر الأنبياء، فهذا وجه الاستدلال بظاهر هذه الآيه.

ثُمَّ قال: ويؤيد الاستدلال بهذه الآيه، الحديث المقبول عند الموافق والمخالف وهو قوله صلى الله عليه وآله: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرَى آدَمَ فى علمه وَنُوحًا فى طاعته وَإِبْرَاهِيمَ فى خَلْتِهِ وَمُوسَى فى هَيْبَتِهِ وَعِيسَى فى صِيْفُوْتِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَلِيّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رضى الله عنه (١)، فالحديث دلَّ على أنَّه اجتمع فيه ما كان متفرِّقاً فيهم، وذلك يدلُّ على أنَّ عليًّا رضى الله عنه أفضل من جميع الأنبياء سوى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله.

وأما سائر الشِّيعة فقد كانوا - قديماً وحديثاً - يستدلُّون بهذه الآيه على أنَّ عليًّا رضى الله عنه [أفضل] من سائر الصَّحابة؛ لأنَّ الآيه لما دلَّت على أنَّ نفسَ عليّ رضى الله عنه مثل نفس مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله إلَّا فيما خصَّه الدليل، وكان نفس مُحَمَّدٍ أفضل من الصَّحابة (رضوان الله عليهم) فوجب أن يكون نفس عليّ أفضل أيضاً من سائر الصَّحابة (٢).

ثُمَّ إنَّه ذكر كلاماً فى غاية العناد والمكابره لردِّ هذا الاستدلال السليم.

ص: ٢٨٢

١- (١) انظر: فهرست منتجب الدين: ص ٤٣٢. تفسير البحر المحيط: ج ٢، ص ٥٠٣. بحار الأنوار: ج ٢١، ص ٢٨٣.

٢- (٢) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ج ٨، ص ٨٦.



الثالثة: وهى نكته مهمه لا يعرفونها إلا علماء البلاغه ولا يقدروا قدرها إلا الراسخون فى العلم العارفون بأسرار القرآن ألا وهى: إن الآيه الكريمة ظاهره فى عموم الأبناء والنساء والأنفس، كما يشهد به علماء البيان، ولا يجهله أحد ممن عرف أن الجمع المضاف حقيقه فى الاستغراق، وإنما أطلقت هذه العمومات عليهم بالخصوص تبياناً؛ لكونهم ممثلى الإسلام، وإعلاناً بكونهم أكمل الأنام، وصفوه العالم، وبرهاناً على أنهم خيره الخيره من بنى آدم، وتنبهاً إلى أن فيهم من الرُوحانيه الإسلاميه والإخلاص لله فى العبوديه، ما ليس فى جميع البريه، وأن دعوتهم إلى المباله بحكم دعوه الجميع، وحصرهم خاصه فيها مُنزَل منزله حضور الأمه، وتأمينهم على دعائه مقدّم عن تأمين من عداهم، وبهذا جاز التجوز بإطلاق تلك العمومات عليهم بالخصوص، ومن غاص [فى] أسرار الكتاب الحكيم وتدبره ووقف على أغراضه يعلم أن إطلاق هذه العمومات عليهم بالخصوص إنما هو على حد قول القائل:

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد (١)

ولذا - كما ذكرت آنفاً - قال الزمخشري فى تفسيره: وفيه دليل لا شىء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام.

الرابعه: إن هذه الآيه التى دلت على أن أمير المؤمنين عليه السلام هو نفس النبى صلى الله عليه وآله لو ضممتها إلى آيه أخرى، وتأخذ من تلك كلمه (وَ أَنفُسِنَا) ومن هذه أيضاً فى قوله تعالى: (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ) ٢ وأمعنت النظر فى الآيتين يتجلى لك من الأسرار ما كان خفياً (٢).

ص: ٢٨٣

١- (١) انظر: الكلمه الغراء فى تفضيل الزهراء: ص ٢٠١ - ص ٢٠٢.

٢- (٣) انظر: هامش الكلمه الغراء: ص ٢٠٢.

الخامسة: ومن طريق المُخالفين: ما رواه مُوفَّق بن أحمد - وهو من كبار علمائهم - قال: أخبرنا قُتَيْبَة، قال: حدَّثنا فلان عن سعد بن أبي وقاص قال: أمر مُعاوية بن أبي سُفيان سعداً فقال: ما منعك أن تُسبَّ أبا تُراب؟ قال: أما ما ذكرتُ ثلاثاً قالهنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله لأن تكون لى واحده أحبُّ إليَّ من حُمُرِ النعم، سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ عليه السلام وخلفه فى بعض مغازيه: «تكون أنت فى بيتى إلى أن أعود» فقال له عليّ عليه السلام: «يا رسولَ الله، تُخلفنى مع النساء والصبيان؟» فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «أما ترضى أن تكون منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدى».

وسمعتُه يقول يومَ خيبر: «الأعطينَ الرايه رجلاً- يُحِبُّ اللهَ ورسولَه ويُحِبُّه اللهُ ورسولُه» قال: فتطاولنا لها، فقال: «ادعوا لى عليّاً»، قال: فأتى عليّ وبه رمُد، فبصقَ فى عينيه ودفعَ الرايه إليه، ففتح اللهُ عليه، وأنزلت هذه الآية: (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ) ١.

ومعنى الآية: يا مُحَمِّد، فَمَنْ حَاجَّكَ مِنَ النَّصَارَى فى عيسى عليه السلام من بعد ما جاءك من العلم، أى البيئات الموجهه للعلم فباهلهم وقل لهم هذا القول حتى يتبين الحق من الباطل (١).

وأما قوله (فَمَنْ حَاجَّكَ) فى تفسير القمى عن الصادق عليه السلام: «فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله:

ص: ٢٨٤

فبأهلوني، فإن كنت صادقاً أنزلت اللعنة عليكم، وإن كنت كاذباً أنزلت عليّ، فقالوا: أنصفت، فتواعدوا للمباهلة، فلما رجعوا إلى منازلهم قال رؤسائهم، السيد والعاقب والأهتم: إن بأهلنا بقومه بأهلنا، فإنه ليس بنبي وإن بأهلنا بأهل بيته خاصه فلا نبأه؛ فإنه لا- يُقدّم أهل بيته إلا- وهو صادق، فلما أصبحوا جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام» (١).

ثمّ إنهم قالوا: إنا لنرى وجوها لو دُعي بها على الجبال لانهدت، تلك الوجوه هي وجوه آل مُحَمَّدٍ عليهم السلام، أي وجوه تلك التي كانت مرآه عاكسه لنور الله: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) ٢.

يا لها من ليلة مؤلمة مرّت على بنات رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك العزّ الشامخ الذي لم يُفارقهنّ منذ أوجد الله كيانهنّ، فلقد كنّ بالأمس في سُرّادق العظمة وأخيه الجلاله، وبقين في هذه الليلة في حلّك دامس في فقد تلك الأنوار الساطعه بين رحلٍ مُنتهب، وخباءٍ محترق، وحُماهٍ صرعى، لا مُحامى لهنّ ولا كفيل، ولا يدرين من يُدافع عنهنّ إذا دهمنّ داهم، ومن يُسكنّ فوره الفاقات ويخفض من وجدهنّ.

في هذه الليلة قامت الحوراء زينب عليها السلام بجمع العيال والأطفال في مكانٍ واحدٍ، فلما جمعتهم أخذ الأطفال ينظرون بعضهم إلى البعض الآخر ودموعهم تتحادر على الخدود، وأخذوا يسألون الحوراء زينب، هذه تنادي: عمّه زينب أين أبي؟ وذاك يُنادي أين عمّي؟ وآخر يُنادي: عمّه، أين أخي؟ ماذا تجيهم الحوراء زينب؟! أتقول لهم: أنهم صرعى على الأرض؟ أم عندها جواب آخر؟ نعم قامت إليهم، أخذت تضمّ الطفلة إلى صدرها لتهدئها عن البكاء والعيول، فإذا هدأت أخذت الأخرى فضمتها إلى صدرها، وكأني بها

ص: ٢٨٥

فى تلك اللحظات، لحظات اللوعه والألم، تلتفت إلى أبى عبد الله الحُسين عليه السلام تناديه ولكنها لم تسمع منه جواباً، وأنى له بالجواب، وقد فُزق بين رأسه وجسده؟ لهذا حوّلت بوجهها إلى الغزى شاكياً مُصابها لأبيها أمير المؤمنين عليه السلام:

(مجاريد)

يبويه عليه اللّيل هوّد وأنه حُرّمه وغريبه اومالى أحد

بيمن يبويه الكلب يُضمد بالحسين هلعدى امدد

وابن والدى العباس ما ردّ خلصوا هلى الله ولحد

(مجاريد)

يبويه عليه ليل اودارت عليه الزلم والخيل

اوجاسم والأكبر مچاتيل اوعباس مرمى ابغير تغسيل

والحسين بيه مثّلوا تمثيل اوسجادنه مطروح ونحيل

\*\*\*

(فايزى)

أمسه المسه والنار ماخلت لنا اخيام صيوان ما ظل تلتجى ابفيه هاليتام

أگبل عليه اللّيل أو زادت الوحشه او ما شوف غير أيتام تتصارخ ابدهشه

اوشيوخ العشيره احسين مّحد شال نعشه مطروح اوبجنبه علىّ الأكبر اوجسام

\*\*\*

(أبوزيه)

ص: ٢٨٤

يناعى صبح ابصوت وليان يحيدر يا مطوع الأنس واليان

ترى زينب بُغت من غير وليان تحشم وينكم يهل الحميه

\*\*\*

قم يا على فما هذا القعود وما عهدى تغض على الأتداء أجفانا

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أيُّ مُقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين

ص: ٢٨٧









لَعَمْرَى لَقَدْ سَارَ الزَّمَانُ بِأَهْلِهِ وَمَا سِيرَ هَذَا الدَّهْرُ فِي النَّاسِ رَاشِدٌ  
أَيْمَسَى ابْنُ صَخْرٍ وَالْحَرِيرُ وَسَادُهُ وَلِلْسَبْطِ مِنْ صُمَّ الصُّخُورِ وَسَائِدُ  
وَرَأْسِ حُسَيْنٍ فِي الرَّمَاحِ وَخَصْمُهُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجَ الْخِلَافَةِ عَاقِدُ  
[أَيُحْمَلُ رَأْسُ ابْنِ النَّبِيِّ بِأَسْمِهِ وَحَامِلُهُ رَجَسُ زَيْنِمٍ مَعَانِدُ]  
يَمِيدُ بِهِ الْخَطَاؤُ حُزْنًا وَغِبْطَةً أَيَعْلَمُ تَحْقِيقًا بَمَنْ هُوَ مَانِدُ  
وَتُجَلِبُ آلُ اللَّهِ وَالشَّمْرُ سَائِقٌ وَزَجْرُ ابْنِ قَيْسٍ بِالشَّمَاتَةِ قَائِدُ  
وَفِي الرِّكْبِ أَطْفَالٌ يَتَامَى وَمَدْنِفٌ عَلِيلٌ وَنِسْوَانٌ أَيَامَى فَوَاقِدُ  
فَطُورًا لِكُوفَانٍ تَرَاهَا قَوَاصِدًا كَمَا أَنَّهَا لِلشَّامِ طُورًا قَوَاصِدُ(١)

\*\*\*

ص: ٢٩١

١- (١) الأبيات - ما عدا الرابع - من قصيده رائعه للشيخ عبد العظيم الربيعي رحمه الله كما في ديوانه المطبوع الموسوم ب -  
(ديوان الربيعي صفحه ٢٣٧)، وأما البيت الرابع فإنني سمعته من أستاذي المرحوم الشيخ محمد سعيد المنصوري وكأنه من نظمه  
رحمه الله. وأمّا الشيخ الربيعي فقد جاء في ترجمته في مقدمه كتابه البديع (سياسة الحسين عليه السلام) بقلم أخينا الخطيب  
المُبدع الشيخ هادي الهلالي (حفظه الله) ما ملخصه: «هو الشيخ عبد العظيم بن التقى النقي الشيخ حسين بن الشيخ علي...  
البحراني الربيعي، عالم جليل، وأديب كبير، وكاتب ضليع وشاعر مبدع، ولد في عبادان سنة ١٣٢٣ هجريه، ونشأ نشأةً صالحه فقرأ  
المبادئ الأولى لدى والده الذي كان من العلماء الأجلاء المشهود لهم بغزاره العلم وسعه الإطلاع، إلى جانب ورعه وصلاحه  
وتحرّجه في الدين... يمم وجهه صوب عاصمه العلم والدين والأدب النجف الأشرف... بدأ بالاختلاف على أساتذه مُبرزين  
وفضلاء معروفين وفقهاء مرموقين كان من بينهم (آيه الله أبو الحسن الأصفهاني)، ثم كثر راجعاً إلى مسقط رأسه... للشيخ الربيعي  
مؤلفات كثيره، منها (وفاه الإمام الرضا عليه السلام)، ألفيه الربيعي في النحو، سياسيه الحسين، المنظومه في المنطق، المنظومه في  
البلاغه، المنظومه في العقائد... توفاه الله تبارك وتعالى في الثامن من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٩٩ هجريه».

ولكن سلني ماذا يصنعن وهنَّ مربطات بالحبال على ظهور النياق المهزوله، وكأني بالنسوه:

هاى إتصيح أبويه إشلون خلانى وهاى إتگول أخوى اشلون ينسانى

وذيچ اتگول ابني البار ما جاني يشوف آثار ضرب السوط بيديه

زينب نادت النسوان ولهانه عليمن هالعتب والروس ويانه

وراس احسين هذا اوروس خوانه يبارون الظعن أوله وتاليه

\*\*\*

قال تعالى فى محكم كتابه الكريم: (إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا قَدِيرًا) ١ .

العفو وهو ضد الانتقام، هو إسقاط ما يستحقه الغير من قصاص أو غرامه، وأيضاً هو محو الشيء وإزالته، ويقال: عفا عن الذنب، أى لم يعاقب عليه (١).

ولعلّ سائلاً يقول: ألا يُعتبر العفو عن الظالم المعتدى تأييداً لظلمه وتتميماً لنزعه العدوان لديه؟ ألا يؤدّى العفو إلى ظهور حاله سلبيه من اللامبالاه لدى الظالمين؟

والجواب هو: إنّ العفو لا صلّه له بمسأله تحقيق العدل ومكافحه الظلم؛ والدليل على ذلك ما تقرأونه فى الأحكام الإسلاميه من نهى عن ارتكاب الظلم وأمر بعدم الخضوع له، كما فى الآيه المباركه: (فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) ٣/ .

كما تقرأ من جانب آخر الأمر بالعفو والصفح، كما فى قوله تعالى: (وَ أَنْ تَعْفُوا

ص: ٢٩٢

١- (٢) الأخلاق والآداب الإسلاميه: ص ١٥٤.

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) ١، وقوله: (وَلْيُغْفُوا وَلْيُصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) ٢. من الممكن أن يتبادر إلى الذهن أن هناك تناقضاً بين هذين الحكمين، ولكن لدى الإمعان فيما ورد في المصادر الإسلامية في هذا المجال يتضح أن العفو والصفح يجب أن يكون في موضعٍ بحيث لا يُساء استغلاله، وإنَّ الدعوه إلى مكافحه الظلم وقمع الظالم يكون لها مجالٌ آخر.

وينبغي أن يعلم بأنَّ العفو والصفح يكونان لدى تملك القدره وعند الانتصار على العدو وهزيمته النهائيه، أى فى حال لا يحتمل فيها حصول أى خطر جديد من جانب العدو، ويكون العفو والصفح عنه سبباً لإصلاحه واستقامته ودفعه إلى إعادة النظر فى سلوكه، والتاريخ الإسلامى فيه أمثله كثيره فى هذا المجال وكلام مولى الموحدين عليه السلام إذ قال: «إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدره عليه» (١)، خير دليل على هذا القول.

أمّا فى حاله وجود خطر من جانب العدو، واحتمال أن يؤدى العفو عنه إلى تجزّيه وتماديه أكثر فى عداوته، أو إذا اعتبر العفو استسلاماً للظلم وخضوعاً أمامه ورضى به، فإنَّ الإسلام لا يجيزُ مثل هذا العفو مُطلقاً، كما أنَّ أئمة الإسلام لم ينتخبوا طريق العفو فى مثل هذه المجالات (٢).

حيث إنَّ الأئمة عليهم السلام اقتبسوا ذلك من أدب الله تبارك وتعالى، وهو غفور رحيم، وشديد العقاب فى وقتٍ واحدٍ.

ص: ٢٩٣

- 
- ١- (٣) نهج البلاغه: ج ٤، ص ٤، ح ١١. عيون الحكم والمواعظ: ص ١٣٢. المناقب (الخوارزمى): ص ٣٧٦. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٧١، ح ٨. الفصول المهمه فى معرفه الأئمه: ج ١، ص ٥٤٨. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٤٢٧.
- ٢- (٤) تفسير الأمثل: ج ٣، ص ٥١٠ - ص ٥١١. بتصرّف يسير.

«وأيقنت أنك أنت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة، وأشدّ المعاقبين في موضع النكال والنقمة» (١).

ثمّ لو رجعنا إلى الآية نجد أنّها ليست عديمه الارتباط بما قبلها من الآيات، وبالخصوص الآية التي قبلها مباشرة، حيث قال تعالى: (لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً) ٢ ثمّ جاء دور الآية التي نحن بصدددها، فالآية المباركة ذكرت ثلاثه أمور:

الأول: (إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا) ومعنى الإبداء هنا هو الإظهار، أى إظهار الخير سواء كان فعلاً، كإظهار الإنفاق على مستحقّه، وكذا كلّ معروف؛ لما فيه من إعلاء لكلمه الدين وتشويق الفاسق إلى المعروف، أو كان قولاً، كإظهار الشكر للمنعم وذكره بجميل القول؛ لما فيه من حسن التقدير وتشويق أهل النعمه.

الثاني: (أَوْ تُخْفُوا)، أى: أو تخفوا الخير، يعنى فعل المعروف؛ ليكون أبعد من الرياء وأقرب إلى الإخلاص، كما قال تعالى: (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ) ٣/.

وأما الأمر الثالث والمهم في المقام: وهو العفو عن السوء، فالمقصود منه هو الستر عليه قولاً، بأن لا يُذكر ظالم بظلمه، ولا يذهب بماء وجهه عند الناس، ولا- يُجهر عليه بالسوء من القول، وفعلاً، بأن لا يواجهه بما يقابل ما أساء به، ولا ينتقم منه فيما يجوز له ذلك (٢).

فالعفو من المراتب الساميه التي لا يتحلّى بها إلا عباد الله المخلصون، وهو من آداب

ص: ٢٩٤

---

١- (١) مقطع من دعاء الافتتاح، انظر: تهذيب الأحكام: ج ٣، ص ١٠٨. إقبال الأعمال: ج ١، ص ١٣٨. المصباح (الكفعمي): ص ٥٧٨، عنه بحار الأنوار: ج ٢٤، ص ١٦٦، ح ١٤.

٢- (٤) تفسير الميزان: ج ٥، ص ١٢٤.

الله تبارك وتعالى التي أذب بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

وللعفو فضائل لا- تُعدّ ولا- تُحصى؛ حتى ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «إذا عنت لكم غضبه فادرؤوها بالعفو، إنّه ينادى منادٍ يوم القيامة من كان له على الله أجرٌ فليقم، فلا يقوم إلا العافون، ألم تسمعوا قوله تعالى: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ)» ١ .

فكفى به فضلاً ومنزله أن يكون أجره على الله تبارك وتعالى، وهذا غاية ما يتمناه الإنسان.

وأفضل العفو وأجمله، هو العفو عند القدرة؛ حتى ورد عن الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام: «أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة» (١).

ثمار العفو:

ثُمَّ إِنَّ هُنَالِكَ ثَمَاراً عديده للعفو، منها:

١ - سقوط الضغائن بين المتعافين لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «تعافوا تسقط الضغائن بينكم» (٢).

٢ - يزيد العبد عزاً، لما ورد عنه صلى الله عليه وآله، أنه قال: «عليكم بالعفو فإن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً فتعافوا يعزكم الله» (٣).

ص: ٢٩٥

---

١- (٢) نهج البلاغه: ج ٤، ص ١٤، ح ٥٢. أمالي الشيخ الصدوق: ص ٧٣. معاني الأخبار: ص ١٩٦. من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٩٦. كنز الفوائد: ص ١٣٨. عيون الحكم والمواعظ: ص ١٢٠. جواهر المطالب: ص ١٤١، ح ١٥. أعلام الدين: ص ٣٠٣. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٧١، ح ٩. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٤٢٧، ح ٧٦.

٢- (٣) مجمع الزوائد: ج ٨: ص ٨٢.

٣- (٤) الكافي: ج ٢، ص ١٠٨، باب العفو ح ٥. مشكاة الأنوار: ص ٤٠٣. التفسير الصافي: ج ١، ص ٣٨١. تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٥٨٥، ح ١٢٣. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٦٩ - ص ١٧٠، ح ٢. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٤٠١، ح ٥، عن الكافي.

٣ - يزيد في العمر، فعنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «... من كثر عفوهُ مُدَّ في عمره» (١).

٤ - دفع عذاب النار؛ لما ورد عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «تجاوزوا عن ذنوب الناس يدفع الله عنكم بذلك عذاب النار» (٢).

٥ - يدفع سوء الأقدار؛ لما ورد عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «تجاوزوا عن عثرات الخاطئين يَقِمْ الله بذلك سوء الأقدار» (٣).

فمن هنا كان العفو دأب أهل البيت عليهم السلام، ومن تتلمذ على أيديهم من أصحابهم، حتى وصل الدور إلى أفذاذ العلماء أمثال العالم العَلَم الشيخ مرتضى الأنصارى الذى ينقل أحد أسباطه بالواسطه، أنه شوهده رجل قد طرح بنفسه على قبر الشيخ الأنصارى وكان يبكى بكاءً شديداً.

وعندما سُئل عن سبب بكائه؟

قال: أوعز إليّ جماعه أن أقتل الشيخ، فاستجبت لطلبهم، وأخذت سيفى وذهبت إلى منزل الشيخ وكان الوقت منتصف الليل، فلما دخلت عليه غُرِفَتَه وجدته على سجاده فى حاله الصلاه، فلما جلس رفعت السيف بيدي لأضربه، فامتعت يدي عن الحركة ولم أتمكن من القيام، فبقيت على هذه الحال حتى فرغ من صلاته وبدون أن يرجع بطرفه إليّ قال: إلهى، ما الذى عملته حتى أن فلان وفلان - وصرح بأسمائهم - قد أرسلوا فلاناً - وصرح باسمى - ليقتلنى، إلهى، قد غفرت لهم فاغفر لهم.

وفى ذلك الوقت التمسست منه وطلبت العفو، فقال لى: لا- ترفع صوتك حتى لا- يفهم أحد، إذهب لمنزلك، وتعال لى عند الصباح.

ص: ٢٩٦

١- (١) كنز الفوائد: ص ٥٦. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٣٥٧.

٢- (٢) تنبيه الخواطر: ج ٢، ص ١٢٠.

٣- (٣) المصدر نفسه.

فخرجت من عنده وقد استغرقت في الفكر حتى الصباح، وعند الصباح فكّرت وقلت في نفسي أذهب أم لا أذهب؟ وما الذي يحدث لي في حاله امتناعي عن الذهاب؟

وأخيراً تملكّت الجُراه وذهبت، فرأيت الناس حوله في المسجد، فتقدّمت إليه، وسلّمتُ عليه، فأعطاني كيساً من المال في الخفاء، وقال لي: اذهب وتكسّب به، ومن برّكه هذا المبلغ أصبحت اليوم أحد تجار السوق، وكلّ ما عندي هو من برّكه صاحب هذا القبر.

وقد يسأل سائل ويقول: لماذا لا يتفق مثل ذلك لأمر المؤمنين عليه السلام حيث قتله ابن ملجم، وليس بعد أمير المؤمنين غير أولاده من يصل إلى مقامهم صلوات الله عليهم أجمعين؟!

الجواب: هي إرادة الله تبارك وتعالى، وفعلها وعدم فعلها تابع لمشيئته، كما أنّ بدن الحسين عليه السلام رضّته الخيل في كربلاء ولم تتمكّن الثيران من محو معالم قبره حينما أراد المتوكّل ذلك (١).

نعم رضّته الخيل الجسد الطاهر لإمامنا الحسين عليه السلام بمسمع ومرأى من أمّ المصائب زينب عليها السلام، نظرت فرأت الخيل تلعب على صدر الحسين عليه السلام، وكأني بها بلسان الحال تقول:

يا ناس ضيّعت البصيره وحيرني زمانى اشلون حيره

ابن والدى ماله عشيره ولا حضرت گرابه البيهه غيره

تسوى الجثّت ابن أمّى حفييره

إلى أين تلتفت، وبأيّهم تنتخى، بأبى الفضل العباس عليه السلام وهو على نهر العلقمى جثّه بلا رأس.

(قطيفى)

ص: ٢٩٧

سِعِ النَّخِيْنَةَ غَدَهُ عَلَى الْكَعَاقِ طَائِحٍ وَمَنْحُورٍ مِنْ ظَلَّوْا عَلَى الْغُبْرَةِ ذَبَائِحِ  
سَبْعِينَ صَرَعَهُ مَا يَسْمَعُونَ الصَّوَائِحَ وَمَحْدٍ مِنْ رَجَالِجٍ بَغَهُ تَتْرَگِيْنَهُ  
وَاللّٰى يَرِدُ الْخَيْلَ عَنَجٍ دَاسْتَهُ الْخَيْلَ ظَلَّ عَالْتَرَهُ يَمْخَدَّرُهُ مِنْ غَيْرِ تَغْسِيْلِ  
لَازِمٍ يَزِيْنِبُ تَرْكِبِيْ ظُهُورِ الْمَغَافِيْرِ وَمَجْلِسِ الطَّاعِيْ يَزِيْدُ لَازِمٍ تَدْخِيْلِيْنَهُ  
وَيَنْ الْكَفِيْلَ الَّذِيْ زَمَطَلَجَ بِالْكَفَالَةِ وَجَابِجٍ لِأَرْضِيْ كَرْبَلَةَ بَعَزَ وَجَلَالَهُ  
رُوحِيْ النَّهْرِ الْعَلْگَمِيْ وَأَنْظُرِيْ بِحَالِهِ گَالَتْ جَفِيْلِيْ مَاتَ وَتَوْسَدُ يَمِيْنَهُ (١)

\*\*\*

فِدِيْتُكَ لَوْ تَعَايْنُ مَا أُلَاقِيْ لِعَزَّ عَلَيْكَ ذُلِّيْ يَا حَبِيْبِيْ

\*\*\*

إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِيْنَ

ص: ٢٩٨

---

١- (١) من دروس أستاذنا الشيخ محمد سعيد المنصوري رحمه الله.







قِفْ بالطُفوفِ وَجُدْ بفيضِ الأدمعِ إن كنتَ ذا حُزنٍ وَقَلْبٍ مُوجِعِ

أبيتُ جسمُ ابنِ النبيِّ على الثرى وَيبيتُ من فوقِ الحشايا مضجعي

لم أنسَ لا واللهِ زينبُ إذ مشتُ وهى الوقورُ إليه مشى المُسرِعِ

تدعوه والأحزانُ ملءُ فؤادِها والطرفُ يسفحُ بالدموعِ الهَمَّعِ

أُخى أَيْنَ أبى عليُّ المُرتضى ليرى انكسارى للعدى وتخضعى

أُخى هل سمعتَ بنعيك أُمكَ الزهراءِ حينَ نعتتِ أم لم تسمعِ

أُخى ماعودتنى مِنكَ الجفا فعلامَ تجفونى وتجفونَ مِن معى

أنعمَ جواباً يا حسينُ أما ترى شِمَرَ الخنا بالسوطِ كسَرَ أضلعي

فأجابها من فوقِ شاهقه القنا قضى القضاء بما جرى فاسترجعي

وتكفلى حال اليتامى وأنظري ما كنتُ أصنعُ فى حِمَاهم فاصنعى(١)

\*\*\*

ص: ٣٠١

١- (١) القصيدة للشيخ محمد بن شريف بن فلاح الكاظمي رحمه الله، قال عنه السيد جواد شبر رحمه الله فى أدب الطف: «الشيخ محمد شريف بن فلاح الكاظمي نزيل الغرى، ولد فى الكاظميه ونشأ فيها، ثم هاجر إلى النجف وقرأ العلوم فيها فى الربع الأخير من القرن الثانى عشر للهجرة، وكان من المشاهير فى العلم والأدب واللامعين من بين أقرانه، له اطلاع بجمله من العلوم، ومن أهل الكرامات الباهره، معاصراً للشيخ مهدي الفتونى العاملى النجفى المتوفى سنة ١١٨٣ هـ، وللسيد محمد مهدي الطباطبائى المعروف ببحر العلوم، وللشيخ الأ-كبر الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء، وللشيخ أحمد النحوى، وكان على جانب عظيم من التقى والورع والصلاح، تنسب إليه كرامات الصلحاء الأبرار. وله القصيده الدالية فى مدح أميرالمؤمنين عليه السلام وإنه ألقاها فى الحرم أمام القبر الشريف، وسقط عليه القنديل الذهبى المعلق، فأخذ من يده وعلق، فوقع عليه مره ثانيه فأخذه، والقصيده أولها: أبا حسن ومثلك من يناديلكشفت الضرّ والهول الشديد توفى رحمه الله سنة ١٢٢٠ هـ». أدب الطف: ج ٦، ص ١٢٤ - ص ١٢٦.

(فايزى)

وگفت على التل الحزينه ابكلب مفتوت اوشبجت على الراس بعشرها اوصاحت بصوت

يحسين دگعد وصلت العدوان البيوت هجموا عليه يا كفيلى اوفرهدونه

ناده لسان الحال منه وصعد أنفاس يمخدره حيدر أبونه صعب المراس(1)

كثر العتب شيفيد فى جته بلا راس راسى على الخطى(2) يزيب تنظرينه

ردى الخيمه گالت الخيمه احركوها سلى الحرم گالت حريمك سلبوها

بارى اسكينه اعزيتى لا يضربوها اوزين العباد بالمرض منخطف لونه

\*\*\*

(نعى)

أوصيچ يازينب بلعيال اوعينچ تحطيتها من الأطفال

تدرين همّه ارباب الأدلال اوعن الشمس يردلهم اضلال

ونظرى على السجاد لومال

ص: ٣٠٢

---

١- (١) البطل الشجاع الذى يصعب ملاقاته وذو الشده والقوه، ذكر فى هامش البحار: ج ٤٢، ص ١٦٦.

٢- (٢) الخطى: هو الرمح. انظر: النهايه فى غريب الحديث: ج ٢، ص ٤٨.

وكأني بها تجيبه بلسان الحال:

(عاشوري)

ابعيني لباريلك اعيالك ابروحى لسكتلك أطفالك

والبين لو يرضه بدالك انروح كل احنه فدا لك

\*\*\*

قال تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا) ١ .

لقد كثر النقاش والكلام حول المراد من أولى الأمر، وما يُعتبر فيهم من صفات، كما تشبث بها الحكام الأدياء في وجوب إطاعتهم، أو السكوت عنهم على الأقل (١).

ولأجل بيان الحق في الآيه نذكر كلام المفتيرين وما قيل، أو يمكن أن يُقال. قال العلامة الطباطبائي قدس سره: لما فرغ الله تبارك وتعالى من الندب إلى عبادته وحده لا شريك له، وبث الإحسان بين طبقات المؤمنين، وذم من يعيب هذا الطريق المحمود، أو صد عنه صدوداً، عاد إلى أصل المقصود بلسان آخر، يتفرع عليه فروع أخرى، بها يُحكم أساس المجتمع الإسلامي وهو التخصيص والترغيب في أخذهم بالاتلاف والاتفاق (٢).

واللازم هنا عرض الجهات التي تضمنتها الآيه والآراء التي قيلت حولها.

١ - لا - يختلف اثنان من المسلمين في أن طاعه الله والرسول إنما تكون بالعمل بكتاب الله وسنة نبيه، وإنهما وسيلتان للتعبير عن شيء واحد (من يطع الرسول فقد أطاع الله) ٤، (و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا) ٥ وغيرها من الآيات

ص: ٣٠٣

١- (٢) آيات منتخبه: ص ١٢٦

٢- (٣) تفسير الميزان: ج ٤، ص ٣٨٧

الشريفه. ومن هنا اتفق المسلمون قولاً واحداً على رفض كل ما يُنسب إلى النبي صلى الله عليه وآله إذا تنافى مع مبدأ من مبادئ القرآن، أو حكم من أحكامه.

وقد يسأل سائل ويقول: لماذا كُتِرَ لفظ الإطاعة عند ذكر الرسول ولم يكثرها عند ذكر أولى الأمر؟ وهو سؤال مشروع.

الجواب: إنَّ تكرار (أطيعوا) في الآيه المباركه إنما هو للتنبيه على أنَّ طاعة الرسول أصل بذاته، تماماً كإطاعة الله، ومن هنا كان قول كل منهما مصدرًا من مصادر الشريعة، وليس كذلك إطاعة أولى الأمر؛ لأنها فرع وتبع لإطاعة الله والرسول؛ لأنَّ أولى الأمر فرع عن الرسول صلى الله عليه وآله وطريقهم عليهم السلام طريقه صلى الله عليه وآله.

ولذا ورد: «إنَّ حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدِّي رسول الله صلى الله عليه وآله» (١).

٢ - إنَّ لفظ منكم يدلُّ بوضوحٍ على أنَّ حاكم المسلمين يجب أن يكون منهم ولا- يجوز إطلاقاً أن يكون من غيرهم، ويؤيد ذلك قوله تعالى: (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) ٢.

٣ - اختلفوا في المراد من أولى الأمر - بعد اتّفاقهم على شرط الإسلام - على عدّه أقوال:

القول الأول:

ذهب جماعه من مفسّري أهل السنّه (٢) إلى أن المراد من أولى الأمر هم الأُمراء والحُكّام في كلّ زمانٍ ومكانٍ، فتكون نتيجته هذا الرأى هي: أنَّ على المسلمين أن يُطيعوا كلّ

ص: ٣٠٤

---

١- (١) الكافي: ج ١، ص ٥٣. روضه الواعظين: ص ٢١١. الإرشاد: ج ٢، ص ١٨٦. الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٨٩٥. وسائل الشيعه: ج ٢٧، ص ٨٣، ح ٢٦. بحار الأنوار: ج ٢، ص ١٧٨ - ص ١٧٩، ح ٢٨.

٢- (٣) انظر: تفسير الأمثل: ج ٣، ص ٢٨٦ - ص ٢٩١.

حكومه وسلطه مهما كان شكلها حتى إذا كانت حكومه المغول ودولتهم الجائره.

وهذا الرأى لا يناسب مفهوم الآيه وروح التعاليم الإسلاميه بحال؛ إذ لا يمكن أن تقترن طاعه كلّ حكومه - مهما كانت طبيعتها - ومن دون قيد وشرطٍ بإطاعه الله والنبي، ولهذا تصدّى كبار علماء السنّه لنفى هذا الرأى وهذا التفسير، مضافاً إلى علماء الشيعة.

القول الثانى:

ذهب البعض من المفسّرين - مثل صاحب تفسير المنار وصاحب تفسير فى ظلال القرآن وآخرون - إلى أنّ المراد من (أولى الأمر) ممثّلو كافه طبقات الأُمّه من الحكّام والقاده والعلماء وأصحاب المناصب فى شتى مجالات الحياه، ولكن لا تجب طاعه هؤلاء بشكل مُطلقٍ وبدون قيدٍ أو شرطٍ، بل هى مشروطه بأن لا تكون على خلاف الأحكام والمقرّرات الإسلاميه.

وهذا الرأى - كما ترى - خلاف إطلاق الآيه المباركه؛ لأنّ الآيه توجب إطاعه أولى الأمر من دون قيد أو شرطٍ.

القول الثالث:

ذهب جماعه آخرون إلى أنّ المراد من (أولى الأمر) هم القاده المعنويون والفكيريون، أى: العلماء والمفكّرون العدول العارفون بمحتويات الكتاب والسنّه معرفه كامله.

وهذا التفسير كسابقه لا- يناسب إطلاق الآيه؛ لأنّ لإطاعه العلماء واتباعهم شروطاً من جملتها أن لا يكون كلامهم على خلاف الكتاب والسنّه، وعلى هذا لو ارتكبوا خطأً - لكونهم عرضه للخطأ وغير معصومين - أو انحرفوا من جادّه الحقّ لأى سببٍ آخر لم تجب طاعتهم، فى حين أن الآيه توجب إطاعه أولى الأمر بنحو مطلقٍ كإطاعه النبي صلى الله عليه وآله.

هذا مضافاً إلى أنّ إطاعه العلماء إنّما هى فى الأحكام التى يستفيدونها من الكتاب والسنّه، وعلى هذا لا تكون إطاعتهم شيئاً غير إطاعه الله وإطاعه النبي صلى الله عليه وآله فلا حاجه إلى ذكرها بصورهٍ مستقلّه.

ص: ٣٠٥

## القول الرابع:

وذهب بعض مفسرى أهل السنّه إلى أنّ المراد من هذه الكلمه هم الخلفاء الثلاثة مع أمير المؤمنين عليه السلام الذين عبّروا عنهم بالخلفاء الأربعة، باعتبارهم أنّهم شغلوا منبر الخلافه بعد رسول الله خاصّه، ولا تشمل غيرهم، وعلى هذا لا يكون لأولى الأمر أى وجود خارجى فى العصور الأخرى!

وهذا الحصر لا دليل عليه، مضافاً إلى أنّه يؤدّى إلى عدم وجود مصداق لأولى الأمر بين المسلمين فى هذا الزمان.

## القول الخامس:

إنّ (أولى الأمر) هم صحابه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

## القول السادس:

وهو احتمال يقول: بأنّ المقصود من أولى الأمر هم القاده العسكريون المسلمون وأمراء الجيش والسرايا.

وهذان التفسيران - الخامس والسادس - لا يوجد أى دليل على تخصيص الآيه بهما، فالإشكال عليهما كالأشكال على التفسير الرابع.

## القول السابع:

ذهب كلُّ مفسرى الشيعة (رحم الله الماضين منهم وحفظ الباقيين) بالاتفاق إلى أن المراد من (أولى الأمر) هم الأئمّه المعصومون عليهم السلام، الذين أنيطت إليهم قياده الأئمّه الإسلاميه الماديه والمعنويه فى جميع حقول الحياه من جانب الله سبحانه وتعالى والنبى الأكرم صلى الله عليه وآله، ولا تشمل غيرهم. اللهمّ إلاّ الذى يتقلّد منصباً من قبلهم، ويتولّى أمراً فى إداره المجتمع الإسلامى من جانبهم، فإنّه يجب طاعته أيضاً إذا توفرت فيه شروط معينه، ولا تجب طاعته لكونه من أولى الأمر، بل لكونه نائباً لأولى الأمر، ووكيلاً من قبلهم.



وهذا التفسير يسلم من الإشكالات السابقة؛ وذلك لموافقته إطلاق وجوب الإطاعة المستفادة من الآيه المبحوثة هنا؛ لأنّ مقام العصمه يحفظ الإمام من كلّ معصيه، ويصونه عن كلّ خطأ، وبهذا الطريق يكون أمره - مثل أمر الرسول - واجب الإطاعة من دون قيدٍ أو شرط، وينبغي أن يوضع في مستوى إطاعته صلى الله عليه وآله، بل وإلى درجه أنّها تُعطف على إطاعه الرسول من دون تكرار أطيعوا.

والجدير بالانتباه إلى أنّ بعض العلماء المعروفين من أهل السنّه، ومنهم المفسّر المعروف الفخر الرازي، قد اعترف بهذه الحقيقه في مطلع حديثه عند تفسير هذه الآيه، حيث قال: «إنّ الله تعالى أمر بطاعه أولى الأمر على سبيل الجزم في هذه الآيه، ومن أمر الله بإطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بُدَّ أن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ، كان بتقدير إقدامه على الخطأ قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأً منهياً عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد.

ثبت أن الله تعالى أمر بطاعه أولى الأمر على سبيل الجزم، وثبت أنّ كلّ من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ» (١)(٢).

ومع هذا الاعتراف الصريح والاستدلال المنطقي المتين - مع كثره إشكالات صاحبه، حتّى تداول على الألسنه بأنّه شيخ المشكّكين، أو من اعتاد الناس على إشكالاته - قبل دلاله الآيه بهذا المقدار.

لكنّ تلبّيس إبليس وغوايته المعهوده لم تترك الفخر الرازي حتّى استدرك قائلاً:

«إننا عاجزون عن معرفه الإمام المعصوم والوصول إليه واستفاده الدين والعلم منه،

ص: ٣٠٧

١- (١) تفسير الأمثل: ج ٣، ص ٢٨٦ - ص ٢٩١.

٢- (٢) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ج ١٠، ص ١٤٤.

فلا مناص من كون المراد هو أهل الحل والعقد»(١).

ولكن نسأل:

١ - هل أن أهل الحلّ والعقد معروفون لدى الناس حتّى يرتفع الإشكال فهو تفسير بما هو أشدّ غموضاً من سابقه، فهل المراد منهم العساكر أو الضباط أو العلماء...؟

٢ - إن الآيه إذا دلّت على عصمه أولى الأمر فيجب علينا التعرّف عليهم، وادّعاء العجز هروباً من الحقيقة، فهل العجز يختص بزمانه، أو كان يشمل زمان نزول الآيه؟ والثاني باطل قطعاً، فإنّه لا يعقل أن يأمر الوحي الإلهي بإطاعة المعصوم، ثمّ لا يقوم بتعريفه حين النزول.

وإذا عرف في زمان النزول يُعرف في أزمنه متأخره عنه حلقه بعد أخرى(٢)، أضف إلى هذا كلّ ما ورد من الأحاديث في المصادر الإسلاميّة، تلك التي تؤيد تفسير (أولى الأمر) بأنّه أهل البيت عليهم السلام منها:

١ - ما كتبه المفسّر الإسلامي المعروف أبو حيان الأندلسي المغربي المتوفى عام (٧٥٦ هـ) في تفسيره البحر المحيط: من أن هذه الآيه نزلت في حقّ عليّ عليه السلام وأهل بيته.

٢ - روى الشيخ سليمان الحنفى القندوزى وهو من أعلام أهل السنيّة المشهورين في كتابه (ينابيع الموده) من كتاب (المناقب) عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعتُ علياً (صلوات الله عليه) يقول: «أتاه رجلٌ فقال: أرني أدنى ما يكون العبد مؤمناً، وأدنى ما يكون به العبد كافراً، وأدنى ما يكون به العبد ضالاً؟»

قال: قد سألت، فافهم الجواب... وأما أدنى ما يكون العبد به ضالاً أن لا يعرف حجّه الله تبارك وتعالى وشاهده على عباده، الذي أمر الله عزّ وجلّ عباده بطاعته وفرض ولايته،

ص: ٣٠٨

١- (١) المصدر السابق.

٢- (٢) محاضرات في الإلهيات: ص ٣٧٤.

قلت: يا أمير المؤمنين، صفهم لى. قال: الذين قرنهم الله تعالى بنفسه وبنبيه فقال: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ).

فقلت له: جعلنى الله فداك أوضح لى؟ فقال: الذين قال رسول الله صلى الله عليه و آله فى مواضع، وفى آخر خطبه يوم قبضه الله عزّ و جلّ إليه: إنى تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدى إن تمسكتم بهما: كتاب الله عزّ و جلّ و عترتى أهل بيتى»(١).

٣ - إضافة إلى كل ما تقدّم ما رواه أفذاذ علماء الطائفة، أمثال ثقة الإسلام الكلينى فى الكافى الشريف، والعيناشى فى تفسيره، والصدوق فى مصنفاته، وغير ذلك.

حتى أن صاحب تفسير البرهان السيد هاشم البحرانى رحمه الله ذكر ما يزيد على عشر روايات فى أنّها نزلت فى أهل البيت عليهم السلام(٢).

بلى والله، فهموا ذلك، وعلموا ولكن صمّوا عنه آذانهم فكانوا كالأنعام، بل أضل سبيلاً.

تَبَّ لَهُمْ مِنْ أُمَّهِ لَمْ يَحْفَظُوا عَهْدَ النَّبِيِّ بِآلِهِ الْأَمْجَادِ

قَدْ شَتَّوْهُمْ بَيْنَ مَقْهُورٍ وَمَأْسُورٍ وَمَنْحُورٍ بِسَيْفِ عِنَادِ

حَتَّى إِلَيْهِ دُسَّ سُمًّا قَاتِلًا فَأَصَابَ أَقْصَى مِنْهُ وَمَرَادِ

من الذين دُسَّ لهم السّم، إمامنا زين العابدين عليه السلام، حتّى أصبح يتقلّب من السّم الذى دسّه إليه الوليد (لعنه الله).

قال إمامنا السجّاد عليه السلام - عند الوفاة - لأبى جعفر الباقر عليه السلام:

«إنى حججت على ناقتى هذه عشرين حجّة لم أقرعها بسوطٍ فإذا نفقت فادفنها لا يأكل لحمها السباع، فإنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قال: ما من بعير يُوقف عليه موقف عرفه سبع

ص: ٣٠٩

١- (١) تفسير الأمل: ج ٣، ص ٢٩٤ - ص ٢٩٥، نقلاً عن ينابيع المودّة والبحر المحيط.

٢- (٢) انظر: تفسير البرهان: ج ٢، ص ٢٥٢ - ص ٢٦٥.

حجج إلا جعله الله من نعم الجنه وبارك في نسله».

فلما دُفن الإمام زين العابدين عليه السلام فلم تلبث أن خرجت الناقه إلى القبر فضربت بجرانها(1) الأرض، ورغت رغاءً عالياً وهملت عيناها، فأخبر بذلك الباقر عليه السلام فجاء إليها وقال لها: «مه الآن وقومي»، فقامت ودخلت موضعها فما مضت إلا هنيهة إذ خرجت الناقه ثانيه، ورغت رغاءً عالياً وضربت بجرانها القبر وهملت عيناها، فأخبر الباقر عليه السلام، فقال عليه السلام: «دعوها فإنها مودّعه»، فلم تلبث إلا ثلاثة أيام حتى نفقت وماتت، فأمر الإمام الباقر عليه السلام بدفنها فُدُفنت.(2)

أقول: وأعجب ممّا فعلته هذه الناقه ما فعله جواد الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وماذا فعل الجواد؟ جعل يشمّ الحسين عرفه ويلطخ ناصيته بدم الحسين وتوجّه نحو الخيام وهو يقول بصهيله: الظليمه الظليمه من أمّه قتلت ابن بنت نبيها، فلما وصل إلى خيمه النساء جعل يضرب برأسه الأرض عند باب الخيمه، ولم يزل يضرب حتى مات، وإليه أشار الإمام الحجّه عجل الله تعالى فرجه الشريف في زياره الناحيه:

«فلما نظرت النساء إلى الجواد مخزياً والسرج عليه ملوياً، خرجن من الخدور ناشرات الشعور على الخدود لاطمات وللوجوه سافرات، وبالعويل داعيات وبعد العزّ مذلات وإلى مصرع الحسين مبادرات».

فواحدته «تحنو عليه تشمه وأخرى عليه بالرداء تظلل

وأخرى بفيض النحر تصبغ وجهها وأخرى تفديه وأخرى تقبل

وأخرى على خوف تلوذ بجنبه وأخرى لما قد نالها ليس تعقل(3)

ص: ٣١٠

١- (١) الجران: مقدّم العنق من مذبج البعير، أى: منحره. كتاب العين: ج ٦، ص ١٠٤.

٢- (٢) انظر: الكافي: ج ١، ص ٤٦٧، ح ٢. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٤٨، ح ٤.

٣- (٣) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ٣، ص ١٢٣ - ص ١٢٤.

ولسان حال العقيله عليها السلام:

بسما غبت واكفيت يحسين عن كربله صرته مظنين  
خذوني يسيره وتدمع العين اومدرى اوجوه الكوم لاوين  
للكوفه يوللشام ناوين والدرب تدرى يريدله اثنين  
ولويای ماغير النساوين أبارى الطعن ما ليش تمكين  
ولذا تقول يالثارات الأئمه الهداه:

آه نطلب ثار رَضَه الباب نطلب راس داحى الباب  
انظبر ويصلى بالمحراب وتهدم عكبه ركن الدين  
نطلب ثار يوم الطف جدك رضرضنه الخيل  
نطلب ثار عبد الله الرضيع الدمه يجرى يسيل  
نطلب ثار عماتك خذوهن يسر للکوفه  
نطلب ثار أبو فاضل عمك كطعوا اچفوفه  
نطلب ثار للسجاد ليش الرگبه محتوفه

\*\*\*

ما ذنب أهل البيت حتى منهم أخلوا ربوعه  
تركوهم شتى مصارعهم وأجمعها فظيعه

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أي منقلب ينقلبون

والعاقبه للمتقين











أبا حسنٍ تُغضِي وتلتدُّ بالكرى وبالكفِّ أمستِ تسرُّ الوجهَ زينبُ

أبا حسنٍ ترضى صفاياك في السِّ يا ونسوهُ حربٍ بالمقاصيرِ تُحجِبُ

وتلوى للينِ الفرشِ جنباً وهذه بناتك فوق العيسِ للشامِ تُجلِبُ

ويُهنيك عيشُ والعقائلُ حُسْرُ إذا ما بكت بالأصبحيه تُضربُ

تُشرقُ فيها تارةً عُصْبُ الخنا وطوراً بها نحو الشامِ تغرِبُ

فأصواتها بحت وذابت قلوبها وأنفاسها كادت من الحزنِ تذهبُ

عجبتُ ومَن في الدهرِ سرح طرفه وفكر فيه لم يزل يتعجبُ

يزيدُ الخنا في دسه متقلّبٌ ويمسى حُسينٌ في الثرى يتقلّبُ

ويُحملُ منه الرأسُ في الرُمحِ جَهْرَةً وفي التاجِ رأسُ ابنِ الدعيهِ يُعصَبُ

ويبقى ثلاثاً عارياً ويزيدها على جسمه يغدو الدمقسُ المذهبُ (١)

ص: ٣١٥

١- (١) القصيدة للشيخ حسون الحلبي رحمه الله، قال عنه السيد جواد شبر رحمه الله في أدب الطّف: «هو الشيخ حسون (حسين) بن عبد الله بن الحاج مهدي الحلبي من مشاهير الخطباء في عصره. أديب شاعر معروف. ولد في الحلة عام ١٢٥٠ هـ، ونشأ بها وعرف بالخطابه فكان من أشهر مشاهيرها، وذاع صيته في الشعر فكان من أعلام الشعراء فيها، وكان مرموق الشخصية نابه الذكر حميد الخصال يحترمه الكبير والصغير ويعظمه العالم والجاهل ويهواه الأعيان والوجوه، مستقيم السيره طيب السريره كريم الطبع طاهر القلب مرح الروح، من أعلام النساك وبارزى الثقاه، ولقد أعرب عن منزلته الشاعر الخالد السيد حيدر الحلبي عند تقدمته لتقريضه كتابه (العقد المفصل)، فقال: هو الذي تقتبس أشعه الفضل من نار قريحته. توفي رحمه الله بالحلة في العشر الأواخر من شهر رمضان عام ١٣٠٥ هـ، ونقل جثمانه إلى النجف ودفن بها، وخلف ولداً اسمه الشيخ علي، توفي بعده بثلاثين عاماً. ورثاه فريق من شعراء عصره بقصائد مؤثره دلت على سمو مكانته في نفوسهم...». أدب الطّف: ج ٨، ص ٤٥ - ص ٤٧.

(فائزى)

يلى تناشدنى عليمن تهمل العين كل البچه والنوح والحسره على احسين  
حبه ابكلى او تظهره ابصبها ادموعى مجبور فى حبه ولا اشوفه ابطوعى  
يا ريت قبل اضلوعه انرضت اضلوعى او من دون خده إتعفرت منى الخدين  
أبجى على مصابه كل صبح اومسيه أبجى وساعد عالبحه الزهره الزقيه  
لا زال تندب يا غريب الغاضريه يحسين وين اللى يواسينى عله احسين

(أبوذيه)

ابكلى ماتمك يحسين ينصاب او ذچرك من يمر الدمع ينصاب  
كلى دون كلك ريت ينصاب او خدى دون خدك على الوطيه

\*\*\*

قال تعالى: (وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ١ .

الحق: هو الصدق واليقين والشىء الثابت بلا شك.

والباطل بخلافه، فهو الفاسد والساقط.

ص: ٣١٤

وهناك فاصله بين الحق والباطل أشار إليها الإمام الباقر عليه السلام في روايه عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال: «سئل أمير المؤمنين عليه السلام كم بين الحق والباطل؟»

فقال: أربع أصابع - ووضع أمير المؤمنين يده على أذنه وعينه - فقال: ما رأته عيناك فهو الحق، وما سمعته أذناك فأكثره باطل» (١).

فمن هنا لا- بد للإنسان أن يتحدّر في كلامه وأحكامه التي يتخذها على الإنسان الآخر، ويكون منصفاً في اتّخاذها، ولا يدع اللامبالاه هي الحاكمه عليه من دون أن ينظر بعين الإنصاف إلى الناس.

قال تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُلاً) ٢.

ولذا ترى أن الإمام عليه السلام يقول ما بين الحق والباطل أربع أصابع.

وفي كلمه غزاء أخرى له عليه السلام أنّه قال: «الحقّ طريق الجنّة، والباطل طريق النار، وعلى كلّ طريق داع...» (٢).

فبعض الناس دائماً وأبداً يسعون للحقّ، والبعض الآخر بخلافهم دائماً وأبداً يسعون للباطل، بل ثانون أرجلهم؛ ليصدّوا عن الحقّ وعن الطريق السوى.

ومن هنا روى عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله عزّ وجلّ خلق قوماً للحقّ، فإذا مرّ بهم الباب من الحقّ قبلته قلوبهم وإن كانوا لا- يعرفونه، وإذا مرّ بهم الباطل أنكرته قلوبهم وإن كانوا لا- يعرفونه، وخلق قوماً لغير ذلك فإذا مرّ بهم الباب من الحقّ أنكرته قلوبهم وإن كانوا لا يعرفونه، وإذا مرّ بهم الباب من الباطل قبلته قلوبهم وإن كانوا

ص: ٣١٧

١- (١) الخصال: ص ٢٣٦، باب الأربعة. وورد قريباً منه في نهج البلاغه: ج ٢، ص ٢٤.

٢- (٣) مسند زيد بن علي عليه السلام: ص ٣٨٩. نهج السعادة: ج ٣، ص ٢٩١.

من بعد هذه المقدمه نأتى للآيه.

لا شك أن الآيه جاءت فى سياق آياتٍ عديده تناولت عدّه أمُور من أوامر ونواهى لبنى إسرائيل، ولعلّها تزيد على مائه أمر من هذا القبيل إلى أن وصل الدور إلى هذا المقطع وهو نهى هنا.

رُوى عن الإمام العسكرى عليه السلام أنه قال: «خاطب الله بها قوماً من اليهود ألبسوا الحقّ بالباطل بأن زعموا أن محمداً نبئاً وأنّ علياً وصيّاً، ولكنهما يأتیان بعد وقتنا هذا بخمسائه سنه، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: أترضون التوراه بينى وبينكم حكماً؟ فقالوا: بلى، فجاؤوا بها وجعلوا يقرؤون منها خلاف ما فيها، فقلب الله عزّ وجلّ الطومار (٢) الذى كانوا يقرؤون فيه، وهو فى يد قراءين منهم مع أحدهما أوله ومع الآخر آخره، فانقلب ثعباناً له رأسان، وتناول كلّ رأس يمين من هو فى يده وجعل يُرَضِّضه ويُهَشِّمه ويصيحُ الرجلان ويصرخان، وكانت هناك طوامير أخرى فنطقت وقالت: لا تزالا فى هذا العذاب حتى تقرأ بما فيها من صفه محمّد صلى الله عليه وآله ونبوته وصفه على عليه السلام وإمامته على ما أنزل الله تعالى، فقرأ صحیحاً وآمناً برسول الله صلى الله عليه وآله واعتقداً إمامه على ولى الله ووصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال الله عزّ وجلّ: (وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ) بأن تقرأوا لمحمد صلى الله عليه وآله وعلى عليه السلام من وجهٍ وتجدوهما من وجه، بأن (وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ) من نبوه محمّد هذا وإمامه على هذا (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنكم تكتمونه وتكابرون علومكم وعقولكم، فإنّ الله إذا كان قد جعل أخباركم حجّه، ثمّ جحدتم لم يُضَيِّع هو حجته، بل يقيمها من غير حجّتكم فلا تقدرُوا أنكم تغالبون ربكم وتقاهاونه...» (٣).

ص: ٣١٨

١- (١) الكافى: ج ٢، ص ٢١٤، باب ترك دُعاء الناس، ح ٥، عنه بحار الأنوار: ج ٦٥، ص ٢١٠، ح ١٥.

٢- (٢) الطومار: (الصحيحه) جمعه طوامير.

٣- (٣) تفسير البرهان: ج ١، ص ٢٠٢ - ص ٢٠٣، ذيل آيه ٤٢ من سوره البقره، ح ١.

وقضيه كتمان الحق ولبسه بالباطل ليست قد انتهت ولا هي من مستحدثات عصرنا هذا، بل هي تجرى في دم بنى إسرائيل ومن شاكلهم من ذاك الزمان إلى وقتنا هذا.

نقل أحد المبشرين النصارى قصه اعتناقه للإسلام الحنيف، فقال: بعد سفر طويل من العلوم والمعارف المسيحيه، انتقلت إلى إحدى المدارس الكاثوليكيه وكان يُديرها قس مُقرب إلى أوساط الأعيان والأشراف، وكان متميزاً في التدريس لا يقل حُضار درسه عن خمسمائه طالب، مضافاً إلى عدد آخر من الراهبات، ولقد نشأت بيني وبينه علاقة ود حميمه، بحيث اطمأن لي وسلّمني مفاتيح غرف الكنيسه، ما خلا مفتاحاً واحداً لغرفه صغيره كنت أظنها مخصصه للذهب والمجوهرات، وفي أحد الأيام، أمرني أستاذي القس بالذهاب إلى الطلاب، وإبلاغهم اعتذاره عن حضوره للتدريس، ولما وصلت قاعه الدروس وجدتهم يتباحثون فيما بينهم لفظ (فارقليط) الذي ورد في إنجيل يوحنا في الإصحاحات [١٤-١٥-١٦] بعد أن استمعت إلى مناقشتهم واحتجاجهم، عدت إلى الأستاذ وأخبرته بما دار بينهم حول العبارة وتفسيرها.

قال لي الأستاذ: وما تقول أنت؟ فذكرت له رأي أحد مفسري الإنجيل.

قال الأستاذ: ليس التقصير منك، إن تفسير هذا اللفظ لا يعرفه في هذا الزمان غير فريق ضئيل من أصحاب الرأي والتحقيق في هذا العلم.

شعرت أن في الأمر سرّاً يخفى عليّ، ألقىت بنفسى على قدميه وتوسّلت إليه أن يُطلعني على المراد الحقيقي. اغرورقت عيناه بالدموع، ثم استرسل في البكاء، وبعد برهه رفع عينيه المبللتين نحوى وقال: سوف أذكر لك الحقيقه شريطه أن تبقئها سرّاً بيننا ما دمت على قيد الحياه؛ لأنك إن أفشيتها تكون قد حكمت عليّ بالإعدام.

وبعد أن عاهدته على الالتزام بما طلب، نظر في وجهي لحظات ثم قال: إن (فارقليط) هو اسم نبي الإسلام، ويعنى كثير الحمد (أحمد ومحمد).

ثمّ ناولني مفتاح تلك الغرفه، التي كنت أظن أنّها مخصّصه للذهب والمجوهرات، وقال لي: افتحها وسوف تجد فيها صندوقاً بموضع كذا، وفي الصندوق كتابان قد كُتبا على جلود الحيوانات، وقد كُتبا بالخط اليوناني قبل ظهور الإسلام، احضرهما وسترى بعينك تفسير (فارقليط) بما ذكرت لك.

يقول ذلك القسّ التلميذ: ومُنذ تلك اللحظه تمكّن عشقُ الدين الإسلامي من قلبي وأيقنت أنّ واجبي هو دعوه الناس إليه.

وبعد إشهار إسلامه، أطلق على نفسه اسم (محمّد صادق فخر الإسلام)، وألّف كتاباً في رد المسيحيين ويروي فيه قصّه إسلامه، بعنوان (أنيس الأعلام)(١). وقد طبع الكتاب مؤخراً في ستّة أجزاء(٢).

إذن، لبس الحقّ بالباطل من لباس اليهود وتلاميذهم؛ ولذا أكّدت عليه الآية تأكيداً حثيثاً.

فقلت: (وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

فإضلال الغير يحصل بأحد طريقتين: وذلك لأنّ الغير إمّا أنه سمع دلائل الحقّ، وإمّا أنّ الغير لم يسمع دلائل الحقّ.

فعلى الأول يكون إضلاله بتشويش تلك الدلائل عليه، وعلى الثاني فإضلاله إنّما يمكن بإخفاء تلك الدلائل عنه، ومنعه من الوصول إليها، فقوله تعالى: (وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ) إشاره إلى تشويش الدلائل عليه، أو منع وصول الدلائل إليه.

وقوله: (وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ) إشاره إلى القسم الثاني وهو منعه من الوصول إلى الدلائل.

والكلام وإن كان موجهاً إلى بني إسرائيل، ولكن هو تنبيه إلى سائر الخلق وتحذير من

ص: ٣٢٠

---

١- (١) الأخلاق والآداب الإسلاميه: ص ٦٠٦ - ص ٦٠٨.

٢- (٢) هامش الإلهيات: ص ٢٥٦.

مثله، فصَارَ الخطابُ وإن كان خاصًّا في الصورة لكنَّه عامٌّ في المعنى(١).

فعلى طول التاريخ يجرى لبس الحقِّ بالباطل وكنتم الحقَّ مع العلم به جزماً، فترى أمَّه من الناس وبكلِّ صلافه يخلطون السَّمَّ بالعسل، من زمن النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله وما بعد زمنه صلى الله عليه وآله ترى هذا الخلط، إلى أن وصل بهم الأمر أن يسبَّوا علياً عليه السلام، بل أكثر من ذلك أن لبس الحقَّ بالباطل الذى وصل به معاويه إلى ذروته جعل الناس يُصدِّقون بأنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لا يصلى، وذلك عندما انتشر خبر شهادته فى المحراب، قالوا: ولِمَ فى المحراب؟ قيل: لأنَّه كان يصلى صلاته فيه.

قالوا: عجباً أو يصلى ابن أبى طالب؟!

هكذا وصل الأمر بالناس، منع معاويه وصول الحقائق إليهم، بل حتَّى الذين وصلت إليهم الحقائق استطاع بمكره وخداعه وكذبه أن يُشوش تلك الحقائق، فكان مصداقاً حقيقياً لقوله تعالى: (وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ).

فألبس الحقَّ بالباطل بتشويشه أفكار الناس، وكنتم الحقَّ أن يصل إلى الناس، والحقَّ مع على بن أبى طالب عليه السلام كما جاء فى أكثر من حديث عن النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله: «علَى مع الحقِّ، والحقَّ مع على»(٢)، «علَى مع القرآن، والقرآن مع على لا يفترقان»(٣)، إلى غير ذلك من المضامين الصريحه.

ولكنَّه غيَّر عقول الناس فى قتل عمار بن ياسر رضى الله عنه مع أنه وردت أحاديث متواتره فى أن عمَّار تقتله الفئه الباغيه(٤)، ولكن ترى كيف أن معاويه ألبس على الناس الحقَّ؟!

ص: ٣٢١

١- (١) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ج ٣، ص ٤٣.

٢- (٢) المعجم الصغير: ج ١، ص ٢٥٥. الجامع الصغير: ج ٢، ص ١٧٧. كنز العمال: ج ١١، ص ٦٠٣.

٣- (٣) أمالى الشيخ الطوسى: ص ٤٧٩. المستدرک على الصحيحين: ج ٣، ص ١٢٤.

٤- (٤) صحيح البخارى: ج ٣، ص ٢٠٧. مسند أحمد: ج ٢، ص ١٦٤. المستدرک: ج ٢، ص ١٤٩.



عندما قتل عمّار يوم صفين ماج أهل الشام بقتله لهذا الحديث؛ إذ كان معلوم التواتر، فمؤه عليهم معاويه وقال: قاتله الذي جاء به من العراق وألقاه بين رماحنا - يعنى به علياً عليه السلام - فقال الإمام عليه السلام: «يلزم على هذا أن يكون النبي صلى الله عليه وآله قاتل عمّه حمزه؛ لأنّه ألقاه بين رماح المشركين»<sup>(١)</sup>.

وهكذا فى تفسير معركة صفين عندما أمر الجيش بأن يرفعوا القرآن على الرماح بعد أن أوشكت الهزيمة أن تقع بهم، فقال الإمام على عليه السلام: «كلمه حقّ يُراد بها باطل»<sup>(٢)</sup>.

معنى ذلك أن نفس القرآن حقّ، لكن رفعه فى هذا الوقت وفى هذه الساعه ما أريد به إلاّ الأباطيل والحيل.

وهناك الكثير ممّا قام به معاويه وأضرابه؛ ولذا ترى تلاميذ معاويه صنعوا كما صنع معاويه، وأقرب هؤلاء التلاميذ المخلصين لمعاويه ابنه يزيد قاتل الحسين عليه السلام.

فقد زاد على أبيه وشيظنته، وألبس الحقّ بالباطل وكنم الحقّ عن الناس، حيث أشاع بين الناس بأنّ الحسين خارج على إمام زمانه.

يقول مسلم الجصّاص: دعانى ابن زياد لإصلاح دار الإمارة بالكوفه فيينا أنا أجصّصُ الأبواب وإذا بالزروعات قد ارتفعت من جنبات الكوفه، فأقبل علىّ خادمٌ كان معنا، فقلت: ما لى أرى الكوفه تضجُّ؟ قال: الساعه يؤتى برأس خارجى خرج على يزيد.

فقلت: من الخارجى؟

فقال: الحسين بن علىّ.

ص: ٣٢٢

---

١- (١) معانى الأخبار: ص ٣٥. الاحتجاج: ج ١، ص ٢٦٨. بحار الأنوار: ج ٣٣، ص ٧، ح ٣٦٤.  
٢- (٢) نهج البلاغه: ج ١، ص ٨٥، و ج ٤، ص ٤٥، ح ١٩٨. دعائم الإسلام: ج ١، ص ٣٩٣. خصائص الأئمّه: ص ١١٣. مناقب آل أبى طالب: ج ٢، ص ٣٦٩. العمده: ص ٣٣٠. فتح البارى: ج ١٢، ص ٢٥١. تاريخ الطبرى: ج ٤، ص ٥٣. وقعه صفين: ص ٤٨٩. الدرّ النظيم: ص ٣٣٤. بحار الأنوار: ج ٣٢، ص ٥٣٢، و ج ٣٣، ص ٣٥٧، ح ٥٩٠ عن النهج، و ج ٧٢، ص ٣٥٧.

قال مُسلم: فتركت الخادم حتّى خرج، لطمت وجهي حتّى خشيت على عينيّ أن تذهبها، وغسلت يديّ من الجصّ، وخرجتُ من ظهر القصر، وأتيت على الكناس، فبينما أنا واقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس وإذا بالمحامل نحو ثمانين شقّه على أربعين جملاً، فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمه الزهراء، وإذا بعليّ بن الحسين على بعير بغير وطاء، وأوداجه تشخب دمًا.

وا حزناه على بنات رسول الله، وا ويلاه على زين العابدين.

والذي عظم على زين العابدين وبنات رسول الله: أنّ نساء الأنصار اللاتي كُنَّ مع السبايا لَمَّا وصلنَ إلى الكوفه تشفّع فيهنّ بعضُ أرحامهن فأمر ابن زياد بتسريحهن، وبقيت بناتُ رسول الله صلى الله عليه وآله (١)، وكأني بالهوراء زينب تخاطب الحسين عندما رأت ذلك:

يحسين كلّ إلهه عشيره إجت ناهضه ابخدمه جبيره

اوظلعت الكلّ منهم يسيره بس الفواطم غرب ديره

ما من عشيرتهن ذخيره

يهلنه ما دريتوا ابعمله احسين بالطف فصل لليطلب بدين

أهو وأخوته ظلّوا مرايين يهلنه ليش ما جيتوا امطلبين

تطلعون مسيه النساءين

\*\*\*

(أبوزيه)

المرض والگيد للسجاد باريه يصد شمر اوزجر للظعن باريه

راس الدين من الجسد باريه ابراس الرمح رأس ابن الزجيه

ص: ٣٢٣

ورأسك أم رأس الرسولِ على القنأ بآيه أهل الكهفِ راح يُردُّ

\*\*\*

إنَّا لله وإنا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمدٍ أيُّ منقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين

ص: ٣٢٤





أَوْ مَا أَتَاكَ حَدِيثٌ وَقَعَهُ كَرِبْلَاءُ أَنِّي وَقَدْ بَلَغَ السَّمَاءَ قَتَامُهَا

فَانْهَضْ إِلَى الذِّكْرِ الْجَمِيلِ مَشْمَرًا الذِّكْرَ أَبْقَى مَا اقْتَنَتْهُ كِرَامُهَا

يَوْمُ أَبُو الْفَضْلِ اسْتَجَارَ بِهِ الْهُدَى وَالشَّمْسُ مِنْ كَدْرِ الْعَجَاجِ لثَامُهَا

وَالْبَيْضُ فَوْقَ الْبَيْضِ تَحَسَّبُ وَقَعَهَا زَجَلُ الرُّعُودِ إِذَا اكْفَهَرَ غَمَامُهَا

مِنْ بَاسِلٍ يَلْقَى الْكُتَيْبَةَ بِاسْمًا وَالشُّوسُ يَرشُحُ بِالْمَيْتَةِ هَامُهَا

بَطْلٌ أَطْلُ عَلَى الْعِرَاقِ مُجَلِّيًا فَاغْصُوبْتَ فِرْقًا تَمُورُ لثَامُهَا

فَكَأَنَّهُ صَقْرٌ بِأَعْلَى جَوْهَا جَلَى فَحَلَّقَ مَا هُنَاكَ حَمَامُهَا

أَوْ ضَيْعَمٌ شَتْنُ الْبِرَاثِنِ مُلْبِدٌ قَدْ شَدَّ فَاَنْثَرَتْ هَبًّا أَنْعَامُهَا

فَهِنَا لَكُمْ مَلِكُ الشَّرِيعَةِ وَاتَكَى مِنْ فَوْقِ قَائِمِ سَيْفِهِ قَمَقَامُهَا

وَأَبْتُ نَقِيبَتَهُ الزَّكِيَّةُ رِيَّهَا وَحَشَى ابْنَ فَاطِمَةَ يَشْبُ ضَرَامُهَا(١)

ص: ٣٢٧

١- (١) القصيدة للشاعر الشيخ محمد رضا الأزري رحمه الله، قال عنه السيد جواد شبر رحمه الله في أدب الطف: «الشيخ محمد رضا الأزري ولد سنة ١١٦٢ وتوفي ١٢٤٠ في بغداد، درس العلوم العربية على أخيه الشيخ يوسف الأزري وعلى غيره من فضلاء عصره، وولع بحفظ القصائد الطوال من شعر العرب فقد رواها عنه أنه كان يحفظ المعلقات السبع وقسمًا كبيرًا من أشعار الجاهلية والإسلام، مضافاً إلى الخطب والأحاديث المروية عن العرب. أهم شعره في رثاء أهل البيت، وقد حدثت في زمانه واقعه الوهابيين المعروفه في التاريخ حينما احتلوا كربلاء ونهبوها وقتلوا من أهلها ما يزيد على خمسة آلاف نسمة، وذلك سنة ١٢١٦ فنظم على أثرها ثلاث قصائد تشتمل على مائتين وستين بيتاً، ذكر بها الواقعة المذكوره وختم كلاً منها بتاريخ، وإذا لاحظنا تواريخ قصائده رأينا أكثرها نظمت بعد وفاه أخيه الشيخ كاظم الأزري... وللشيخ محمد رضا الأزري يصف بطوله العباس بن أمير المؤمنين يوم كربلاء: أو ما أتاك حديث وقعه كربلاء أنى وقد بلغ السماء قتامها يوم أبو الفضل استجار به الهدى والشمس من كدر العجاج لثامها أدب الطف: ج ٦، ص ٢٦٣.

وصل للمای لاجن ما شرب مای او گال اشلون اُبرد جمره احشای

گبل احسین واطفاله البرجواى على مای الفرات العذب يحرم

عاف المای والجربه ملاها او گصد للضاحيه اُبروى حشاها

وصل واخته الجافلها لگاها ما لومه او علاها الهظم والهم

گلها او غورگت بالدمع عينه يزینب لیش مهمومه او خزینه

گالتله یحماى الطعینه اشوف الجیش من کلّ کتر حوم

ناداها ابو جودى لا تخافین یختى او أمّنى کلّ النساءین

بس لو طاحت اُیسارى ولیمین اوراسى بعمد یا زینب تهشم

\*\*\*

ذیچ اُسا اُریدیچ تعذرینى الگدر لو حال ما بینچ اُوبینى

یزینب و اُبو الیمه اخلاف عینى ذخر لیکم اُوبیه الشمل یلتم

\*\*\*

لکن یلعقیله لومشه احسین عن عینچ یخویه او غیبه البین

ذاک الوکت یا زینب تضيعین او تهجم هالعهه النهب المخیم

\*\*\*

قال الله فى محکم کتابه الکریم: (فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) ١ .

التوکل:

هو اعتماد القلب على الله فى الأمور کلها وانقطاعه عما سواه، فما فعل بك كنت راضياً

تعلم أنّ الحكم في ذلك له وتُسَلِّم أنّ ما جاء من الأوامر والنواهي هو خير لك، وتعمل بها من دون عنادٍ وكرهٍ.

قال ابن الأثير: «توكل بالأمر، إذا ضمن القيام به. ووكلت أمرى إلى فلان: أى ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه. ووكل فلان فلاناً، إذا استكفاه أمره ثقته بكفايته، أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه» (١)، وينبغي للمؤمن أن يجعل نفسه بين يدي الله تعالى، يفعل بها ما يشاء، ولكن الحركة في طلب الرزق لا تنافي التوكل؛ لأن الله أمر بها بقوله تعالى: (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ) (٢).

ومن هنا فلا يعترض البعض بأن يجلس في داره مدعياً التوكل على الله في أن يرزقه، فإن مثل هذا ليس من التوكل، وإنما التوكل والاعتماد على الله تبارك وتعالى إنما يكون مع العمل ومع السعي والجهد والمثابرة والعزم، قال تعالى: (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) (٣).

ومن هنا نجد أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله نهى الأعرابي لما أهمل بعيه وقال: «توكلت على الله، قال له صلى الله عليه وآله و آله اعقلها وتوكل» (٤). أى: اربط البعير وتوكل على الله.

وسأل رسول الله صلى الله عليه وآله جبرائيل: «ما التوكل على الله عزّ وجلّ فقال: العلم بأنّ المخلوق لا يضر ولا ينفع، ولا يعطى ولا يمنع، واستعمال اليأس من الخلق، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله، ولم يرج ولم يخف سوى الله، ولم يطمع في أحد سوى الله، فهذا هو التوكل» (٥).

ص: ٣٢٩

١- (١) النهاية في غريب الحديث: ج ٥، ص ٢٢١.

٢- (٢) الملك: آية ١٥.

٣- (٣) آل عمران: آية ١٥٩.

٤- (٤) علل الترمذي: ص ٤١٧. مشكاة الأنوار: ص ٥٥١. فتح الباري: ج ٣، ص ٣٠٤. صحيح ابن حبان: ج ٢، ص ٥١٠.

٥- (٥) معاني الأخبار: ص ٢٦١.



ثمرات التوكل على الله:

هناك عدّة نتائج وثمرات مترتبه على التوكل، أشارت إليها بعض الأحاديث والروايات التي وردت عن المعصومين عليهم السلام منها:

١ - الشعور بالقوّه والهمّه؛ لأنّ التوكل على الله مع العمل يجعل الإنسان يشعر أنّه أدّى ما عليه، فيكون قوى القلب بقوّه الله عزّ وجلّ.

٢ - المتوكل يكون عزيزاً وغنياً بين الناس.

٣ - من توكل على الله ذلّت له الصعاب وتسهّلت عليه الأسباب.

فعن النبيّ الأ-عظم صلى الله عليه وآله: لو أنّ رجلاً توكل على الله بصدق النيه لاحتاجت إليه الأمراء فمنّ دونهم، فكيف يحتاج هو ومولاه الغنى الحميد(١).

فإذا توكل الإنسان على الله تبارك وتعالى كفاه الله أموره كلّها، حيث قال تبارك وتعالى: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) ٢ .

ولذا يُحكى أنّه في إحدى المدن كان يوجد تاجر مؤمن يتوكل على الله دائماً، خصوصاً فيما يتعلّق بتجارته وتعامله مع القوافل، وبسبب ذلك التوكل لم تتعرّض تجارته للسرقة من اللصوص وقطّاع الطرق الموجودين بكثرة خارج المدينة، فأراد أصحابه أن يؤذوه يوماً ما عندما خرجوا جميعاً للتجارة، فحينما نام التاجر المؤمن أخذوا بضاعته ودفنوها في الصحراء، حتّى إذا أصبح الصباح قالوا له: إنّ بضاعتك قد سرقها اللصوص، ولكن وبعد أن انتهوا من عملهم وذهبوا للنوم هجم قطع الطرق على القافلة وسرقوا كلّ ما كان لديهم من بضاعه، ولم يأخذوا بضاعه الرجل المؤمن؛ لأنّهم لم يكونوا يعرفون مكانها،

ص: ٣٣٠

---

١- (١) روضه الواعظين: ص ٤٢٦. وأنظر: الأخلاق والآداب الإسلاميه: ص ٥٤٦ - ص ٥٤٧.

وعندما أصبح الصباح أخذ الرجل بضاعته حامداً شاكراً لله تعالى متوكِّلاً عليه(١).

ثُمَّ إِنَّ الْكَلَامَ فِي الْآيَةِ مَوْجَّهٌ إِلَى الْجَمِيعِ، حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى: (وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ، فَلَا تَتَصَوَّرُوا أَنَّهُ سَيَبْقَى لَكُمْ؛ لِأَنَّهُ كَالْوَمِيزِ الَّذِي يَبْرِقُ ثُمَّ يَخْبُو، وَكَالشَّمْعَةِ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ، وَالفَقَاعَةِ عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ، وَلَكِنْ (وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) ، فَلَوْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَسْتَبَدُّوا هَذَا الْمَتَاعَ الدُّنْيَوِيَّ الزَّائِلَ الْمَحْدُودَ التَّافِهَ بِمَتَاعِ أَبَدِيِّ خَالِدٍ، فَتَلْكَ هِيَ التَّجَارَةُ الْمَرْبِحَةُ الْعَدِيمَةُ النَّظِيرُ.

فالمواهب في هذه الدنيا لا تخلو من المشاكل، حيث توجد الأشواك دائماً إلى جانب الورود، والمحبطات إلى جانب الآمال، في حين أن الأجر الإلهي لا يحتوي على أي إزعاجات، بل هو خير خالص و متكامل.

وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ فَإِنَّ هَذِهِ الْمَوَاهِبَ مَهْمَا كَانَتْ سَتْرُولَ حَتْمًا، إِلَّا أَنَّ الْجِزَاءَ الْآخِرِيَّ أَبَدِيَّ خَالِدٍ، عِنْدَهَا هَلْ يَقْبَلُ الْعَقْلُ أَنْ يَسْتَغْنَى الْإِنْسَانُ عَنِ هَذِهِ التَّجَارَةِ الْمَرْبِحَةِ، أَوْ يَصَابُ بِالغُرُورِ وَ الْغَفْلَةِ وَ تَبْهَرَهُ زَخَارِفُ الدُّنْيَا؟

إِذَنْ، لَا قِيمَةَ لِلدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ لِلْآخِرَةِ؛ وَلِذَا فَقَدْ رُويَ عَنِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَنَّهُ قَالَ: «وَاللَّهِ، مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ أَنْ يَجْعَلَ أَحَدُكُمْ إصْبَعَهُ هَذِهِ فِي التِّيمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمِ تَرْجَعُ»(٢).

والملفت للنظر أنه ورد في هذه الآيه التأكيد على الإيمان والتوكل، وهذا بسبب أن نيل الأجر الإلهي هو للذين يفوضون أمورهم في جميع الأعمال، ويستسلمون له تعالى إضافة إلى الإيمان؛ لأن التوكل يعني تفويض الأمور. ويقابل هذه المجموعه أشخاص يجادلون في

ص: ٣٣١

١- (١) الأخلاق والآداب الإسلامية: ص ٥٤٧.

٢- (٢) مسند أحمد: ج ٤، ص ٢٢٩. صحيح مسلم: ج ٨، ص ١٥٦.

آيات الله بسبب حب الدنيا والارتباط بالمتاع الزائل ويقلبون الحقائق (١)، بل يحاولون إخفاء الحق عن أقرب الناس إليهم.

ولذا نرى يزيد (لعنه الله) قلب جميع الحقائق، قتل أولاد النبيين وأدخلهم إلى الشام على هيئة السبايا، ظاناً بأنه سوف يخفى الحقيقه أبداً، ولكن الله تبارك وتعالى أبى إلا أن يُظهر نورَه ولو كره المشركون.

أخفى الحقائق حتى على زوجته هند، وهي ممن قُتل أبوها وبقيت عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ولما قبض أمير المؤمنين عليه السلام بقيت في دار الحسن عليه السلام، فسمع بها معاويه فأخذها من الحسن وزوجها من ولده يزيد، فبقيت عند يزيد إلى أن قُتل الحسين عليه السلام، ولم يكن لها علم بأن الحسين عليه السلام قد قُتل، ولما قُتل وأتوا بنسائه وبناته وأخواته إلى الشام، دخلت امرأه على هند وقالت لها: يا هند، الساعه أقبلوا بسبايا ولم أعلم من أين هم، فلعلك تمضين إليهم وتتفرجين عليهم، فقامت هند ولبست أفخر ثيابها وأمرت خادمه لها أن تحمل الكرسي، فلما رأتها الطاهره زينب التفتت إلى أختها أم كلثوم، وقالت لها: أختيه أتعرفين هذه الجاريه؟ قالت لا والله، قالت: هذه هند بنت عبد الله خادمتنا، فسكتت أم كلثوم ونكست رأسها. فقالت هند: أراك طاطأت رأسك؟ فسكتت زينب ولم ترد عليها جواباً، ثم قالت لها: أختيه من أي البلاد أنتم؟ فقالت لها زينب: من بلاد المدينه، فلما سمعت هند بذكر المدينه نزلت من الكرسي، وقالت: على ساكنها أفضل السلام، ثم التفتت إليها زينب وقالت: أراك نزلت عن الكرسي؟

قالت هند: إجلالاً لمن سكن في أرض المدينه، ثم قالت لها: أختيه أريد أن أسألك عن بيت في المدينه، قالت لها العقيله زينب: أسألي ما بدا لك. قالت هند: أسألك عن دار على بن أبي طالب عليه السلام. قالت لها زينب: وإن لك معرفه بدار على؟ فبكت وقالت: إني كنت

ص: ٣٣٢

خادمه عندهم. قالت لها زينب: وعن أيها تسألين؟ قالت أسألك عن الحسين وإخوته وأولاده وعن بقيه أولاد علي، وأسألك عن سيدتي زينب، وعن أختها أم كلثوم، وعن بقيه مخدرات فاطمه الزهراء عليها السلام؟

فبكت عند ذلك زينب بكاءً شديداً، وقالت لهند: أمّا إن سألت عن دار علي عليه السلام فقد خلفناها تنعى أهلها، وأمّا إن سألت عن العباس وبقيته أولاد علي، فقد خلفناهم على الأرض مجزّرين كالأضاحي بلا- رؤوس، وإن سألت عن زين العابدين عليه السلام فما هو عليل نحيل لا يُطيق النهوض من كثرة المرض والأسقام، وهذه أم كلثوم، وهذه بقيه مخدرات فاطمه الزهراء، وإن سألت عن زينب فأنا زينب بنت علي:

أنه زينب اليججون عنى سليت المصايب ما سلنى

مصايب احسين الدوهنى نزلن على اعيونى اوعمنى

(فايزى)

زينب تجاوبها او كلبها فسره الهم يالتنشدن احسين جسمه ابكربله تم

والراس جابوه إليزيد اوهاى چلشم وآنه الذى ابخدرى الوادم تضرب أمثال

يا هند خلصت كلّ عمامى بأرض الطفوف وعباس ظل جسمه بلا راس ولا اچفوف

ما چنت أظن من بلد لآخر بالسبى انطوف او تنفرج اعلينه الخلك ما خطر علبال

فلما سمعت هند هذا الكلام - كلام زينب - رقت وبكت ونادت: وا إماماه، وا سيداه، وا حسيناه، ليتنى كنت قبل هذا اليوم عمياء ولا أنظر بنات فاطمه الزهراء على هذه الحالة.

ص: ٣٣٣

ثُمَّ تناولت حجراً وضربت به رأسها، فسال الدم على وجهها ومقنعتها وغشى عليها، فلما أفاقت من غشيتها قيل: فقامت وحسرت وشققت الثياب وهتكت وخرجت حافية إلى يزيد وهو في مجلس عام، وقالت: يا يزيد أنت أمرت برأس الحسين يُشال على الرمح عند باب الدار؟ رأس ابن فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مصلوب على فناء داري، فوثب إليها يزيد فغطاها، فقالت: يا يزيد أخذتكم الحمية على فلم لا أخذتكم الحمية على بنات رسول الله؟ هتكت ستورهن وأبديت وجوههن، وأنزلتهن في دار خربه؟ والله، لا أدخل حرمك حتى أدخلهن معي. وفعلاً أدخلتهن دارها بموافقته من يزيد، فاقمن المآتم ثلاثة أيام.

(أبوزيه)

سهر بالعين يوم احسين وزّث على امصابه دليلي ابنار وزّث

هند تلبس جديد الهدم والرث على سكنه اوتطب ديوان أميه (١)

\*\*\*

أوصى النبي بوصل عتره أحمد فكأنما أوصى بها أن تقطعا

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أي منقلب ينقلبون

والعاقبة للمتقين

ص: ٣٣٤

---

١- (١) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ٢، ص ١٢٦ - ص ١٢٩، مع تصريف يسير في العبارة.





حُرِّمَ السَّبْطُ مِنْ فِرَاتٍ مَبَاحٍ كَيْفَ أَهْنَا بِشَرِّ ذَاكَ الْقِرَاحِ  
حَرَّ قَلْبِي لِزَيْنَبٍ مُذْ رَأَتْهُ تَرَبَّ الْجِسْمِ مُنْخَنًا بِالْجِرَاحِ  
أَحْرَسَ الْخَطْبُ نُطْقَهَا فَدَعْتَهُ بِدَمْعٍ بِمَا تُجْنُ فَصَاحِ  
يَا مَنَارَ الضَّلَالِ وَاللَّيْلِ دَاجٍ وَظِلَالِ الرَّمِيضِ وَالْيَوْمِ ضَاحِي  
أَتْرَى الْقَوْمَ إِذْ عَلَيْكَ مَرَرْنَا مَنَعُونَا عَنِ الْبُكَاءِ وَالنِّيَاحِ  
إِنْ يَكُنْ هَيِّنًا عَلَيَّ كَهَوَانِي وَاعْتِرَابِي مَعَ الْعَدِيِّ وَانْتِرَاحِي  
وَمَسِيرِي أُسِيرَةً لِلْأَعَادِي وَرُكُوبِي عَلَى النِّيَاقِ الطَّلَاحِ  
فَبِرْغَمِي أَنِّي أَرَاكَ مُقِيمًا بَيْنَ سُمْرِ الْقَنَا وَيَبِضِ الصَّفَاحِ  
لَكَ جِسْمٌ عَلَى الرَّمَالِ وَرَأْسٌ رَفْعُهُ عَلَى رُؤُوسِ الرَّمَاحِ (١)

\*\*\*

وَكأَنِّي بِهَا عَلَيْهَا السَّلَامَ تَوَجَّهَ خَطَابُهَا لِأَخِيهَا أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

يُنُورُ الْعَيْنَ مَتْنَهُ اللَّيْلِ جَبْتَنِي أَوْ بِيَدِكَ يَا عَزِيزِي رُكْبَتَنِي  
لَيْشَ الْيَوْمِ يَا خَوِيهِ عَفْتَنِي وَحَيَّرْتُوا عَزِيزَتِكُمْ يَطِيبِينَ  
لِجَنِّي وَحَكَّ عَوْدَكَ عَذْرَتَكَ لَا چَفَكَ وَلَا رَأْسَ أَعْلَهُ جَشْتَكَ  
تَدْرِي بِالْمَصِيبَةِ اللَّيْلِ عَلَى أَحْتِكَ اتَسَكَّتْ حَرَمٌ يُوْتِنَعُهُ أَعْلَهُ مَيْتِينَ  
وَلِسَانُ حَالِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

تَعْتَبِينَ يَا زَيْنَبَ عَلَيَّ إِنَّهُ وَبَيْنَ رَأْسِي وَبَيْنَ أَدْيِيهِ  
حَالِجٌ يَخُوِيهِ أَيْعِزُّ عَلَيَّ أَنْتِي الْعَزِيزَةُ أَوْ هَالِسِيهِ

ص: ٣٣٧



روى عن إمامنا الصادق عليه السلام: أنه قال: «ارحُ الله رجاءً لا يجزئك على معاصيه وخفِ الله خوفاً لا يؤيسك من رحمته» (١).

الرجاء: هو توقع الشيء المحبوب ولا معنى له إذا لم يكن عن عمل، فمن رجا شيئاً طلبه وسعى إليه، فمن رجا الجنة سعى إليها بالعمل الصالح.

وأما الخوف: فهو التألم من توقع مكروهٍ ممكن الحصول أو عدم الحصول. والخشية والوجل والرهبه والهيبه، كلها من أنواع الخوف.

قال تعالى: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً) ٢.

وهناك خوف ممدوح: وهو الخوف من الله عزّ وجلّ، والخوف من ارتكاب الذنوب، والخوف من التقصير في أمور دينه وطاعته. وهذا الخوف يدعو الإنسان إلى السعى في طاعة الله، واجتناب معاصيه.

وأما الخوف المذموم: فهو الخوف من الأمور الواقعة لا محاله وليس للإنسان القدره على دفعها، مثل الخوف من الموت.

فلا بُدّ من إعمال توازن للخوف والرجاء، بأن لا يرجح أحدهما على الآخر، ومن هنا ورد مروياً عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «لو تعلمون قدر رحمة الله لا تكلمتم عليها وما عملتم إلا قليلاً، ولو تعلمون قدر غضب الله لظننتم بأن لا تنجوا» (٢).

ثم إنّ الخوف يزداد بقدر معرفه الإنسان وعلمه، فكلمما كان الإنسان عالماً لا يُبدّ أن يزداد خوفه وعمله، خوفه من الله، وعمله إلى الله عزّ وجلّ.

ص: ٣٣٨

١- (١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٦٥، ح ٥. مشكاة الأنوار: ص ٢١٣. الدرّ المنتور: ج ٥، ص ١٦٥. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص

٢١٨، ح ٧. بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٨٤، ح ٣٩، عن الأمالي.

٢- (٣) كنز العمال: ج ٣، ص ١٤٤، ح ٥٨٩٤.

قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) ١ .

وما ورد عن نبي الرحمة صلى الله عليه وآله أنه قال: «مَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنَ اللَّهِ أَخْوَفَ» (١).

ويروى أن نبي الله عيسى (على نبينا وآله وعليه السلام): «مَرَّ بِثَلَاثَةِ نَفَرٍ قَدْ نَحَلَتْ أَيْدِيَهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ أَلْوَانُهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا الَّذِي بَلَغَ بِكُمْ مَا أَرَى؟

فقالوا: الخوف من النار. فقال: حقّ على الله أن يؤمن الخائف. ثمّ جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشدّ نحولاً وتغيّراً، فقال: ما الذى بلغ بكم ما أرى؟

قالوا: الشوق إلى الجنّة. فقال: حقّ على الله أن يعطيكم ما ترجون، ثمّ جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشدّ نحولاً وتغيّراً كأنّ على وجوههم المرايا من النور فقال: ما الذى بلغ بكم ما أرى؟

فقالوا: نحبّ الله عزّ وجلّ. فقال: أنتم المقرّبون، أنتم المقرّبون» (٢).

ثمّ إنّ للخائفين والراجلين الله تعالى من الصفات ما يعرفون بها، وليس كلّ إنسان يمكن له أن يدعى بأنّه خائف أو راجٍ، ومن هذه الصفات:

الأولى: الهروب من الذنوب والمعاصي؛ لأنّ الذنوب تدخل العبد النار. والخائف خائف من عقوبات الله تعالى، وهى التى تتمثل بدخول الإنسان إلى النار، والراجى كذلك، فإنّه يرجو رحمة الله، ويرجو الجنّة، وهى متمثلة بالهروب من المعاصي، والطاعة لله تبارك وتعالى.

الثانية: يطلب دائماً الأعمال التى تقرّبه إلى الله عزّ وجلّ، ويختار الشاقّ منها؛ لما ورد «أفضل

ص: ٣٣٩

١- (٢) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٩٣، ح ٦٤.

٢- (٣) تنبيه الخواطر: ج ١، ص ٢٣٢. وأنظر: الأخلاق والآداب الإسلاميه: ص ٤٦١.

الأعمال أحمرها» (١) بمعنى أشقها.

الثالثة: يحاسب نفسه دائماً ويصلح عيوبه.

الرابعة: لا يخاف إلا الله عز وجل حتى أنه روى عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أنه قال: «مَنْ خَافَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَافَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ أَخَافَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» (٢).

ولذا ترى أن المعصوم سلام الله عليه لا يخاف من شيء؛ لأنه خاف من الله تبارك وتعالى.

روى أنه خرج الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في بعض الأيام من المدينة إلى ضيعة له خارجة عنها فتبعته الراوى وكان راكباً على بغله وأنا على حمار، فلما صرت إلى بعض الطريق اعترضنا أسد فأحجمت خوفاً، وأقدم أبو الحسن عليه السلام غير مكترث، به فرأيت الأسد يتدلل لأبى الحسن عليه السلام ويهمهم، فوقف له أبو الحسن عليه السلام كالمصغى إلى هممته ووضع الأسد يده على كفل بغلته وخفت من ذلك خوفاً عظيماً، ثم تنحى الأسد إلى جانب الطريق وحول أبو الحسن عليه السلام وجهه إلى القبلة، وجعل يدعو، ثم حرّك شفّتيه بما لم أفهمه، ثم أوماً إلى الأسد أن أمض، فهمهم الأسد هممةً طويلاً، وأبو الحسن عليه السلام يقول: آمين آمين، وانصرف الأسد حتى غاب عن أعيننا ومضى أبو الحسن عليه السلام لوجهه وأتبعته فلما بعدنا عن الموضوع لحقته، فقلت له: جعلت فداك ما شأن هذا الأسد؟ ولقد خفته والله عليك وعجبت من شأنه معك. فقال لى أبو الحسن عليه السلام: «إنه خرج إلى يشكو عسر الولاده على لبوته، وسألنى أن أدعو الله ليفرّج عنها، ففعلت ذلك وألقى فى روعى أنها تلد ذكراً، فخبّرتُه بذلك، فقال لى: إمض فى حفظ الله، فلا سلط الله عليك ولا على ذريتك ولا على

ص: ٣٤٠

١- (١) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ١٩١.

٢- (٢) المصدر نفسه: ج ٤، ص ٥٠.

أحدٍ من شيعتك شيئاً من السباع. فقلت: آمين» (١).

الخامسة: يعلم أنّ الله يراه فلا يعمل ما يغضبه، وأمرًا إذا رأى أنّ الله لا يراه فهذا الكفر بعينه، فقد ورد عن إمامنا الصادق عليه السلام أنّه قال لإسحاق: «يا إسحاق، خف الله كأنك تراه، وإن كنت لا تراه فإنّه يراك، فإن كنت ترى أنّه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنّه يراك ثمّ برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين إليك» (٢).

والحديث الذي صدرنا به كلامنا يقول: لا بدّ أن يكون خوف الإنسان ورجاؤه ككفتي الميزان، لا أن يخاف الله تبارك وتعالى خوفاً يوصله إلى اليأس من رحمه الله تبارك وتعالى، ويقع في القنوط واليأس من روح الله الذي عُبدّ من الكبائر، ولا يرجو الله تبارك وتعالى رجاءً يأخذ به إلى التجزّي بالمعصية على الباري عزّ وجلّ.

فالمتمقون حقاً من كانوا بين خوفٍ ورجاءٍ؛ ولذا ترى كلام الأئمّه المعصومين عليهم السلام في الأدعية وكأنّهم قد ارتكبوا معاصي الخلق أجمعين، وهم معصومون، ولكنّ هذا كلّ خوفٍ من الله تبارك وتعالى؛ لعلمهم بالله وعظمته (إنّما يخشى الله من عباده العلماء) ٣/.

بلى والله هم العلماء ولكنّ القوم ما عرفوا حقّهم ولا قدرهم.

وإلا ما الذي صنعه أهل البيت عليهم السلام بحيث أصبحوا أسارى وسبايا من بلدٍ إلى بلدٍ، والدم يجري من ساقى الإمام زين العابدين عليه السلام من شدّه ما لاقاه من مصائب ومحن.

يقول المنهال بن عمر: كنت أتمشى في أسواق دمشق وإذا أنا بعلّي بن الحسين عليه السلام

ص: ٣٤١

١- (١) الإرشاد: ج ٢، ص ٢٢٩ - ص ٢٣٠. روضه الواعظين: ص ٢١٤. الثاقب في المناقب: ص ٤٥٦، ح ٢. الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٦٤٩، ح ١. مدينة المعاجز: ج ٦، ص ٣١٣، ح ٩٦. كشف الغمّه: ج ٣، ص ١٩. بحار الأنوار: ج ٤٨، ص ٥٧، ح ٦٧، عن المناقب والإرشاد والخرائج.

٢- (٢) الكافي: ج ٢، ص ٦٨، ح ٢. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٢٢٠، ح ٦. بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٥٥، ح ٢، عن الكافي.

يمشى ويتوكأ على عصاه في يده، ورجلاه كأنهما قصبتان، والدم يجرى من ساقيه والصفرة قد علت عليه.

قال المنهال: فخنقننى العبره، فاعترضته وقلت له: كيف أصبحت يا بن رسول الله؟ قال عليه السلام: «يا منهال، وكيف يُصبح من كان أسيراً ليزيد بن معاوية، يا منهال، والله منذ قتل أبى، نساؤنا ما شبعن بطونهن، ولا كسونا رؤوسهن، صائمات النهار، نائحات الليل» (١).

لهذا روى عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «دخلت على عمى زينب في طريقنا إلى الشام فرأيتها تُصلى من جلوس، فسألته عن ذلك فقالت: أصلى من جلوس لشده الجوع والضعف. لأنها منذ ثلاثه أيام لم يدخل في جوفها طعام، لأنها كانت تقسم ما يصيبها من الطعام على الأطفال».

ولسان حال الإمام عليه السلام:

يا عمه أشوفنچ تصلين وانتي ابكعدتج ما تگومين

مالچ خلگک لو طيحت احسين نخلت جسمچ يا ضوه العين

فأجابته بلسان الحال:

يا عمه راح الحيل منى من راح أبوك إحسين عنى

اولوعه اطفاله المحننتى والضعف يا عمه هلكنى

وانشعب گلبى ابكتر ونى اوچى الشماته الى كتلى

ميته عسن من زغر سنى اولاً أشوف هالهظمه اللفتنى

ثم قال له: «يا منهال، أصبحنا مثل بنى إسرائيل في آل فرعون، يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم، أصبحت العرب تفتخر على العجم بأن محمداً منهم، وتفتخر قريش على العرب بأن محمداً منهم، وأنا عتره محمد أصبحنا مقتولين مذبحين مأسورين مشردين

ص: ٣٤٢

شاسعين عن الأمصار كأننا أولاد ترك أو كابل، هذا صباحنا أهل البيت. يا منهال، المكان الذى نحن فيه ليس له سقف، والشمس تصهرنا، فأفرّ منه سويعه لضعف بدنى، وأرجع على عماتى وأخواتى خشية على النساء.

قال المنهال: فبينما أنا أخاطبه وهو يخاطبنى، وإذا أنا بامرأه قد خرجت من الخربه وهى تناديه: إلى أين تمضى يا قرّه عيني، فتركنى ورجع إليها، فحققت النظر إليها وإذا هى زينب بنت عليّ» (١).

(أبوزيه)

انزوع بالعين شوج السهر وانبات او كلبى امن الهظيمه انكطع وانبات

يصير أحنه ابخرابه إنجيم وانبات او هند بقصورها إنبات اوسميّه

\*\*\*

بنات زياد في القصور مصونه وآل رسول الله في الفلوات

\*\*\*

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أيّ منقلب ينقلبون

والعاقبة للمتقين

ص: ٣٤٣



## المحاضره الثامنه والعشرون: كبائر الذنوب وصغائرها

ص: ٣٤٥





أبا صالح يا مُدرِكِ الثَّأْرِ كَمْ تَرَى وَغِيْضُكَ وَارٍ غَيْرِ أَنْكَ كَاظِمُهُ  
وَهَلْ يَمْلِكُ المَوْتُورُ صَبْرًا وَحَوْلَهُ يَرُوْحُ وَيَعْدُوْآ مَنْ السَّرْبِ غَارْمُهُ

أَتَنَسَى أَبِي الصَّيْمِ فِي الطَّفِّ مَفْرَدًا تَحُوْمُ عَلَيْهِ للودَاعِ (فوَاطْمُهُ)

أَتَنَسَاهُ فَوْقَ الثَّرْبِ مَنْفَطِرَ الحِشَا تَنَاهَبُهُ سُمْرُ الرَّدَى وَصَوَارْمُهُ

وَرَبِّ رَضِيْعٍ ارْضَعْتُهُ قَسِيْهِمْ مِنْ النِّبْلِ تَدِيًّا دَرَّةُ الثَّرِّ فَاطْمُهُ

فَلَهْفِي لَهُ مُذْ طَوَّقَ السَّهْمُ جِيْدَهُ كَمَا زَيَّنْتُهُ قَبْلَ ذَاكَ تَمَائِمُهُ

وَلَهْفِي لَهُ لَمَّا أَحَسَّ بَحْرَهُ وَنَاغَاهُ مِنْ طَيْرِ المَتِيَّةِ حَائِمُهُ

وَلَهْفِي عَلَى أُمِّ الرَضِيْعِ وَقَدْ دَجَا عَلَيْهَا الدُّجَى وَالدَّوْحُ نَاَحَتْ حَمَائِمُهُ

فَمُذْ لَاحَ سَهْمُ النَّحْرِ وَدَتَّ لَوْ أَنَّهَا تَشَاطَرْتُهُ سَهْمَ الرَّدَى وَتَسَاهَمُهُ (١)

ص: ٣٤٧

---

١- (١) للشاعر محمّد تقى الجواهرى رحمه الله، قال عنه صاحب كتاب شعراء الغرى: «هو الشيخ محمد تقى بن الشيخ عبد الرسول بن الشيخ شريف بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ الأكبر محمد حسن صاحب جواهر الكلام، عالم فاضل، وأديب بارع، وشاعر مطبوع، وُلِدَ فِي النِّجْفِ ٢٥ جُمَادَى الْأُولَى عَامَ ١٣٤١ هـ، وَنَشَأَ بِهَا عَلَى وَالِدِهِ الْحِجَّةِ الْفَقِيهِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْمَقْدَمَاتِ وَعَنَى بِتَوْجِيهِهِ وَتَدْرِيْسِهِ، فَنَالَ الْعِلْمَ الْجَمِّ عَلَى صَغَرِهِ، وَاخْتَلَفَ عَلَى حَلَقَاتِ أَعْلَامِ عَصْرِهِ، كَحَلْقِهِ وَالِدِهِ فِي الْفِقْهِ، وَفِي الْأَصُولِ عَلَى حَلْقِهِ السَّيِّدِ أَبُو الْقَاسِمِ الْخُوْنِي، وَالشَّيْخِ مِيْرَزَا بَاقِرِ الزَّنْجَانِي، وَالمُتَرَجِمِ لَهُ شَبَابٍ يَحْمِلُ عَقْلَ الشَّيْخِ، وَإِنْسَانٍ يَتَّصِفُ بِصِفَاتِ الْإِنْسَانِ الصَّحِيْحِ. لَهُ مِنْ المَوْلُفَاتِ: (غَايَةُ المَأْمُولِ مِنْ عِلْمِ الْأَصُولِ) خَصَّ فِيهِ بَحْثَ أَسْتَاذِهِ السَّيِّدِ الْخُوْنِي وَيَقَعُ فِي جِزْءَيْنِ، (مَدَارِكُ الْعُرُوْهِ الوَثْقَى فِي الْفِقْهِ الاسْتِدْلَالِي) وَصَلَّ بِهِ إِلَى بَابِ الوُضُوْءِ، (مَنْظُوْمُهُ فِي فُرُوْعِ الْعِلْمِ الْإِجْمَالِي اسْتِدْلَالًا) قَدْ أَكْمَلَ مِنْهُ سِتَّةَ عَشْرٍ فِرْعَاً» كِتَابِ شِعْرَاءِ الْغَرَى: ج ٧، ص ٣٣٧.

طفل حسين ظامى والوكت حرّ اويلى من العطش چيده تفضّر

تكله الطفل راح اللون عنه يبويه ما بگت بالطفل ونّه

جف دمعته وجف اللبن عنه اوظل ايلوچ بلسانه اوينغر

يبويه ما بعينى دمع واسجيه يرضى الموت بى اساع لفيديه

گامت شالته اوجت الوليها فكك اعوينته اويبحر عليها

تخيّل جاييه أميه بديها شاله احسين ودموعه تنثر

گامت تستدير اعيون طفله شبح عينه لبوه وعين لهله

أيس شاف أميه ما حصله رد غمض عويناته واسكر

شمّه وحبّه بصدرة اوخذّه چيد حسين يابس مثل چيده

يبويه ما بعد للعيش رده اهو يحاجيه اولن سهم المكدر

\*\*\*

قال تعالى فى محكم كتابه الكريم: (إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا) ١ .

لا ريب فى دلالة الآيه على انقسام المعاصى إلى كبائر، وصغائر وهى التى عبرت عنها الآيه المباركه (بالسيئات).

ونظير هذه الآيه فى الدلالة الآيه الأخرى التى يقول فيها سبحانه وتعالى على لسان المجرمين: (يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) ٢ ؛ إذ اشفاقهم ممّا فى الكتاب يدلّ على أنّ المراد بالصغيره والكبيره صغائر الذنوب وكبائرهما.

ولا ريب أيضاً فى أن الآيه فى مقام الامتنان، وهى تفرع أسمع المؤمنين بعنايه لطيفه

ص: ٣٤٨

إليه أنهم إن اجتنبوا البعض من المعاصي كَفَر عنهم البعض الآخر.

فليس إغراء على ارتكاب المعاصي الصغار، فإن ذلك لا معنى له؛ لأن الآيه تدعو إلى ترك الكبائر بلا شك، وارتكاب الصغيره من جهه أنها صغيره لا يعاب بها ويتهاون في أمرها، يعود مصداقاً من مصاديق الطغيان والاستهانه بأمر الله سبحانه، وهذا من أكبر الكبائر، بل الآيه تعدّ تكفير السيئات من جهه أنها سيئات، لا- يخلو الإنسان المخلوق على الضعف المبني على الجهاله من ارتكابها بغلبه الجهل والهوى عليه، فمساق هذه الآيه مساق الآيه الداعيه إلى التوبه التي تعد غفران الذنوب، كقوله تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) ١ .

فكما لا- يصح أن يقال هناك: إن الآيه تغري بالمعصيه بفتح باب التوبه، وتطيّب النفوس بذلك، فكذا ههنا، بل أمثال هذه الخطابات إحياء للقلوب الآيسه بالرجاء.

ومن هنا يعلم أنّ الآيه لا- تمنع عن معرفه الكبائر بمعنى أن يكون المراد بها اتقاء جميع المعاصي مخافه الوقوع في الكبائر، والإبتلاء بارتكابها، فإن ذلك معنى بعيد عن مساق الآيه، بل المستفاد من الآيه أنّ المخاطبين هم يعرفون الكبائر ويميزون تلك الموبقات من النهى المتعلق بها، ولا أقل من أن يُقال: إن الآيه تدعو إلى معرفه الكبائر حتّى يهتم المكلفون في الاتقاء منها كلّ الاهتمام، من غير تهاون في تجنّب غيرها، فإن ذلك التهاون - كما عرفت - إحدى الكبائر الموبقه.

وذلك أنّ الإنسان إذا عرف الكبائر وميّزها وشخصها، عرف أنّها حرّات لا يغمض من هتكها بالتكفير إلاّ عن ندامه قاطعه وتوبه نصوح، ونفس هذا العلم ممّا يوجب تنبه الإنسان وانصرافه عن ارتكابها(١). وعليه فلا بدّ أن نحدد ضابطاً لمعرفة كبائر الذنوب من صغائرهما.

ص: ٣٤٩

يذهب البعض إلى أن وصف الكبيره والصغيره من الأمور النسبيّه، تكون كلّ معصيه بالنسبه إلى ما هو أكبر منها صغيره، وبالنسبه إلى ما هو أصغر منها كبيره(١).

ولكن من الواضح أنّ هذا المعنى لا ينسجم مع ظاهر الآيه الحاضره؛ لأنّها تقسّم الذنوب إلى صنفين مستقلّين، وتعتبرهما نوعين متقابلين، وتعتبر الاجتناب عن صنف موجبا للعفو والتكفير عن الصنف الآخر.

ولكنّا إذا راجعنا المعنى اللغوي للكبيره وجدنا أنّ الكبيره هي كلّ معصيه بالغه الأهميه من وجهه نظر الإسلام، ويمكن أن تكون علامه تلك الأهميه أنّ القرآن لم يكتفِ بالنهاي عنها فقط، بل أردف ذلك بالتهديد بعذاب جهنم، مثل قتل النفس والزنا - نستجير بالله - وأكل الربا وأمثال ذلك، ولهذا جاء في روايات أهل البيت عليهم السلام: «الكبائر التي أوجب الله عليها النار»(٢).

وعلى هذا الأساس تسهل معرفه المعاصي الكبيره إذا أخذنا بنظر الاعتبار الضابطه المذكوره، وما قد ذكر في بعض الروايات من أنّ عدد الكبائر سبع وفي بعض عشرون، وفي بعضها سبعون، لا ينافي ما ذكرنا قبل قليل؛ إذ إنّ بعض هذه الروايات يشير - في الحقيقه - إلى المعاصي الكبيره من الدرجه الأولى، وبعضها الآخر يشير إلى المعاصي الكبيره من الدرجه الثانيه، وبعضها الثالث يشير إلى جميع الذنوب الكبيره.

متى تنقلب الصغيره إلى كبيره؟

إلا أنّ هاهنا نقطه مهمه لا بدّ من الالتفات إليها، وهي أنّ المعاصي الصغيره تبقى صغيره ما لم تتكرّر، مضافاً إلى كونها لا تصدر عن استكبار أو غرور وطغيان؛ لأنّ الصغائر

ص: ٣٥٠

١- (١) نسبه الطبرسي رحمه الله في مجمع البيان - على ما حكى عنه في تفسير الأمثل - إلى علماء الشيعة، ونسبه العلامة الطباطبائي في حاشيه تفسيره إلى الغزالي.

٢- (٢) انظر: مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٠.

- كما يستفاد من الكتاب العزيز والأحاديث الشريفة - تتبدّل إلى الكبيره في عدّه موارد منها:

الأول: إذا تكزرت الصغيره قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا صغيره مع الإصرار» (١).

الثاني: إذا ستصغر صاحب المعصيه معصيته واستحقرها، فقد جاء في نهج البلاغه «أشدّ الذنوب ما استهان به صاحبه» (٢).

الثالث: إذا ارتكبها مرتكبها عن عناد واستكبار وطغيان وتمرّد على أوامر الله تعالى، وهذا هو ما يستفاد من آيات قرآنيه متنوّعه إجمالاً، مثل قوله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ طَغَى \* وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى) ٣/.

الرابع: إن صدرت المعصيه ممّن لهم مكانه اجتماعيه خاصّه بين الناس، وممّن لا تحسب معصيتهم كمعصيه الآخرين، فقد جاء في القرآن الكريم حول نساء النبي صلى الله عليه وآله في سورة الأحزاب: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) ٤/.

الخامس: أن يفرح مرتكب المعصيه بما اقترفه من المعصيه، ويفتخر بذلك، كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: (مَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا وَهُوَ ضَا حَكٌ دَخَلَ النَّارَ وَهُوَ بِأَكْبَرِ) (٣).

ص: ٣٥١

١- (١) الكافي: ج ٢، ص ٢٨٨. مشكاة الأنوار: ص ٢٠١. تفسير جوامع الجامع: ج ١، ص ٣٩٣. تفسير مجمع البيان: ج ٢، ص ٣٩٥. التفسير الصافي: ج ١، ص ٣٨٢. تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٣٩٤، ح ٣٦٨. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٣٣٨، ح ٣. بحار الأنوار: ج ٨٥، ص ٣٠.

٢- (٢) نهج البلاغه: ج ٤، ص ٨١ ح ٣٤٨. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٣١٢، ح ٦. شرح أصول الكافي: ج ١، ص ١٩٦. مستدرک الوسائل: ج ١١، ص ٣٥٠، ح ١٢.

٣- (٥) ثواب الأعمال: ص ٢٢٣. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٣٠٤ - ٣٠٥، ح ٢٢. أعلام الدين: ص ٤٠١. بحار الأنوار: ج ٦، ص ٣٦، ح ٥٧.

السادس: أن يعتبر تأخير العذاب العاجل عنه على المعصية دليلاً على رضاه تعالى، ويرى العبد نفسه محصيناً من العقوبة آمناً من العذاب، أو يرى لنفسه مكانه عند الله لا يعاقبه الله على معصية لأجلها، كما جاء في سورة المجادلة، الآية الثامنة حاكياً عن لسان بعض العصاة المغرورين الذين يقولون في أنفسهم (لَوْ لَا - يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ) ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَائِلًا: (حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ) ١ .

ثم إن هذه الآية ليست عديمه النظير من الآيات القرآنية الأخرى؛ فإن لفظ السيئات ورد بالفاظ متحدة معها في المعنى متغايرة بلفظها، كما ورد في بعض الآيات التعبير (اللَّمَم)، كما في الآية الثانية والثلاثين من سورة النجم، بدلاً عن التعبير بالسيئة قال تعالى: (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ) .

إذن، هذا البحث يوصلنا إلى هذه النتيجة، وهي أن الإنسان إذا تجنّب الكبائر وصدرت منه الصغائر - لكن لا على نحو الإصرار والعناد والاستخفاف - كفر الله عنه هذه الصغائر.

وأما إذا صدرت هذه الصغائر نفسها بشكل مستمر ودائم مع الإصرار والعناد فسوف تتحوّل هذه الصغائر إلى كبائر، بل إلى أكبر الكبائر والتي منها قتل النفس المحترمة، والإضرار بالمسلم ومن بحكمه، في نفسه، أو ماله، أو عرضه.

فما حال من تعرّض لجميع ذلك، فقد أضرب القوم بنفسه وبياله وأطفاله، بين صغيره لم يتجاوز عمرها الثلاث سنوات وهي رقيه بنت الإمام الحسين وأمّها الرباب، ولدت رقيه عليها السلام أواخر السنة السابعة والخمسين للهجرة، وبعد أن أخذت عليها السلام مع الأسيرات من بيت النبوه إلى الشام استمرت في البكاء ليلها ونهارها؛ لفراق أبيها الإمام الحسين عليه السلام، وكانوا يقولون لها: إن أباك في السفر (يقصدون سفر الآخرة) فرأته ليله في منامها، ولما

استيقظت أخذت بالبكاء الشديد وهي تقول: ائتوني بوالدى وقره عيني.

وكلما أراد أهل البيت إسكاتها ازدادت حزناً وبكاءً، ولبكائها زاد وكثر حزن أهل البيت عليهم السلام، فأخذوا فى البكاء الشديد، فسمع يزيد صيحتهم وبكاءهم، فقال: ما الخبر؟

قيل له: إن بنت الحسين الصغيره الموجوده مع السبايا فى الخربه رأت أباه فى نومها، فاستيقظت وهى تطلبه وتبكي وتصيح، فلما سمع يزيد ذلك قال: ارفعوا إليها رأس أبيها وضعوه بين يديها تتسلى به، فأتوا بالرأس الشريف فى طبق مغطى بمنديل، ووضعوه بين يديها، فقالت: ما هذا؟ إنى أطلبُ أبى، ولم أطلبُ الطعام، فقالوا: هذا أبوك، فرفعت المنديل فرأت رأساً، فقالت: ما هذا الرأس؟ قالوا: رأس أبيك، فرفعت الرأس وضمته إلى صدرها، وهى تقول: يا ابتاه من الذى أيتمنى على صغر سنى؟ يا ابتاه، من للعيون الباقيات؟ يا ابتاه من اللضائعات الغريبات؟ يا ابتاه من بعدك واخيبتاه، من بعدك واغربتاه، يا ابتاه ليتنى كنت لك الفداء، يا ابتاه ليتنى كنت قبل هذا اليوم عمياء، يا ابتاه ليتنى توسدت التراب ولم أر شبيك مخضباً بالدماء، ثم وضعت فمها على فم أبيها الشهيد المظلوم وبكت حتى غشى عليها!!

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «عمّه زينب، ارفعى اليتيمه من على رأس والدى فإنّها فارقت الحياه»<sup>(١)</sup>.

يا عمّه زينب گومى ليها شيليهى من راسه وليها

ماتت الطفله من بچيها وأختى إنكسر گلبى عليها

فلما حرّكتها زينب وإذا بها قد فارقت روحها الدنيا فارتفعت الأصوات وعلا الصراخ.

ص: ٣٥٣

١- (١) الأخلاق والآداب الإسلاميه: ص ٧٣١ - ص ٧٣٢.



(فائزى)

عمتها من گامت اوشالتهأ بدیها من راس أبوها اوعایت ویلی علیها

لنها الیتیمه امغمضه اولاً نفس بیها صاحت یعمه امصیبتج زادت إیچانه

گامن فرد گومه الحرم کلهن سویه های التحبها و ذیچه اشمها رقیه

قیل: وأحضر لها أهل البيت مغسِلهً لتغسلها، فلمّا جرّدها عن ثيابها قالت: لا أغسِلهَا، فقالت لها زينب عليها السلام: ولم لا تغسليها؟ قالت: أخشى أن يكون فيها مرض، فأنى أرى أضلاعها زرقاً، قالت زينب: والله، ليس فيها مرض ولكن هذا من ضرب سيّاط أهل الكوفه.

من جلّه الوالى علینه یضربونه اونشگف بدینه

اویشتمون حامینه اوولینه(۱)

\*\*\*

لا أضحك الله سنّ الدهر إن ضحكت وآل أحمد مظلومون قد قهروا

\*\*\*

إنّا لله وإنا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أئىّ منقلب ینقلبون

والعاقبه للمتقين

ص: ۳۵۴





يا بن النبيِّ لنا ببابك وقفه للروح فيها منهلٌ يترقرقُ  
ونرى ضياءك مشرقاً وكأنه من نور جدك جذوه تتألقُ  
ولنا ببابك وقفه نلقى بها عبراً تُطيلُ لنا الحديث وتصدقُ  
ونقولُ إنك قد خلقت بطوله لله فيها حكمه تتحققُ  
ولأنت رمز الحق حين يؤده ظلمٌ يبددُ شمله ويمزقُ  
ولأنت رمز الحق حين رفعته والكفر حولك في عنادٍ يطبقُ  
واشتدَّ جندُ الظالمين وضيقوا وتزاحموا وتواكبوا وتحلقوا  
وخرجت وحدك تلتقى بجموعهم يا واحداً ما نال منه الفيلقُ  
وجبهتم إن كان ما تبغونه موتى فإنني للزدي أتشوقُ  
لن ترهقوا روحى بكل جيوشكم لكن باطلكم بحقى يزهُقُ  
ومضيت لكن ما قضيت وإنما تحيا وتسعدُ فى الوجود وتُرزقُ (١)

\*\*\*

المثلک عدل ما مات یحسین یعمود بیت الهاشمیین  
ابدچرک تضج الخلک صوین و تصیح یالمظلوم کل حین  
یاهو الغیرک شید الدین ابدم صحبتہ وأهله المیامین  
اوجسمه بگه فوگ الثره اطعین اوراسه مشه ویه المظعنین  
ابعالی الرماح أویصد بالعين إالصوب الیتامی والنساوین

ص: ٣٥٧

١- (١) للشاعر محمد التهامی المصرى رحمه الله، قال عنه كامل سليمان الجبورى فى كتابه (معجم الشعراء): ج ٤، ص ٣٥٦ - ص ٣٥٧: «محمد التهامى، سيد أحمد ولد فى قرية الدالاتون محافظه المنوفيه - مصر سنه ١٩٢٠، حصل على ليسانس فى القانون

والاقتصاد من كلية الحقوق، جامعه الإسكندريه ١٩٤٧، اشتغل بالمحاماه والصحافه والإعلام، فكان مديراً لتحرير صحيفه الجمهوريه ١٩٥٣-١٩٥٨... اشترك في أكثر من ثلاثين مؤتمراً ومهرجاناً شعرياً. نشر ديوانه الشعري الأول وهو طالب بالمرحله الثانويه، من دوواينه الشعريه (أغنيات لعشاق الوطن) و (أنا مسلم) شعر إسلامي... نال الميداليه الذهبيه لشعر معركة بور سعيد ١٩٥٦...»

والآن هلموا معي ننظر ماذا يجري على الرأس الشريف:

من يصد لعياله يساره \*\* فوگ الهزل دمه يتجاره \*\* اويحجي اويه زينب بالإشارة

يكلها وظن نصّ العبارة \*\* يختى الدهر تاره وتاره \*\* وي والدج شفتى قراره

اسمعوا جواب العقيله عليها السلام:

(بحراني)

أصبر ولو كلفه اوصعبه هالرزيه أصبر ولا خَلِي العده ايشمتون بيه

بس امن أصد الراسك اعلى السمهرية ذاك الوكت ما أكدر أحبس دمه العين

يحسين راسك من يشيلونه اگبالى ما يمكن أصبر من أصد له على العوالى

سامحنى لونايت يا ابن أُمى الغالى ولو سال دم راسى وخمشت أخذودى الاثنين

\*\*\*

قال تعالى (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (١).

النبوه سفاره بين الله وبين ذوى العقول من عباده، لتدبير حياتهم فى أمر معاشهم، والنبى هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بإحدى الطرق المعروفة (٢).

إذا عرفنا معنى النبوه والنبى تعال معي لنعرف ما هى الطرق التى تعرفنا بصدق

ص: ٣٥٨

---

١- (١) الحديد: آيه ٢٥.

٢- (٢) انظر: الإلهيات: ص ٢٤٧.

دعوى النبوه؟ إذ من الممكن لأى إنسان أن يدعى النبوه والسفاره الإلهيه بين الله تبارك وتعالى وبين ذوى العقول، كما ذكرنا فى تعريف النبوه!

فمن هنا إذن يجب أن تقترن دعوى النبوه بدليل يثبت صحتها، وإلا كانت دعوى غير قابله للإذعان والقبول، وهذا طبيعى جداً وتقتضيه الفطره الإنسانيه.

هناك طرق ثلاث للوقوف على صدق مدعى النبوه فى دعواه، وهى:

١ الإعجاز.

٢ تصديق النبى السابق نبوه النبى اللاحق.

٣ جمع القرائن والشواهد من حالات المدعى وتلامذه منهجه(١).

ولذا نرى أن الآيه المباركه ابتدأت أولاً بذكر البيّنات والدلائل الواضحات الشامل للمعجزات والدلائل العقليه التى يتسلح بها الأنبياء والرسل الإلهيون(٢).

والمعجزه: «أمر خارق للعاده مقرون بالتحدى مع عدم المعارضه»(٣).

إذ إن هناك أموراً تعدّ خارقه (مضاده) للعقل، كاجتماع النقيضين وارتفاعهما، ووجود المعلول بلا علّه ونحو ذلك ممّا يخالف القواعد العاديه، بمعنى أنها تعدّ محالات بحسب الأدوات والأجهزه العاديه، وهى المُسماه بالمعاجز، وذلك كحركه جسم كبير من مكان إلى مكان آخر بعيد عنه فى فتره زمنيّه لا تزيد على طرفه العين بلا تلك الوسائط العاديه فإن ذلك غير ممتنع عقلاً ولكنّه محال عادةً.

ومن هذا القبيل ما يحكيه القرآن من قيام من أوتى علماً من الكتاب(٤) بإحضار عرش بلقيس ملكه سبأ من بلاد اليمن إلى بلاد الشام فى طرفه عين، بلا توسط شىء من تلك

ص: ٣٥٩

١- (١) المصدر نفسه: ٢٥٧.

٢- (٢) تفسير الأمثال: ج ١٨، ص ٧١.

٣- (٣) شرح التجريد: ص ٤٦٥.

٤- (٤) كما جاء فى قوله تعالى: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ). النمل: آيه ٤٠.

إذن، الإعجاز أمرٌ خارق للعاده لا للعقل، فإذا جاء إنسانٌ بما هو خارق للعاده لا يسمّى نبياً إلا إذا كان مقترناً بدعوى النبوه، وأمّا إذا تجرّد عنها وصدر من بعض أولياء الله تعالى يسمّى حينئذٍ (كرامه).

ومع هذا حتّى ولو تمّ الأمران وهما: إتيان المعجزه مع التحدّي ودعوى النبوه إذا لم يكن معهما أمرٌ ثالث وهو عدم تمكن باقى الناس من الإتيان بمعارضه ما أتى به مدّعى النبوه لم يكن المدّعى نبياً حينئذٍ.

ومن شرائط كون الإعجاز دليلاً على صدق دعوى النبوه أن يكون فعل المدّعى مطابقاً لدعواه، فلو خالف ما ادّعاه لما سُمّي مُعجزه، وإن كان أمراً خارقاً للعاده، ومن ذلك ما حصل من مسيلمه الكذاب عندما ادّعى أنه نبيّ، وآيه نبوته أنه إذا تفلّ في بئرٍ قليله الماء يكثر ماؤها، فتفلّ فغار جميع ماؤها(1).

الطريق الأول: معاجز النبي الأكرم صلى الله عليه و آله

بعدما عرفنا معنى الإعجاز والمعجزه، وأنّها من الطرق الثلاث الدالّه على صدق دعوى النبوه، تعال معى الآن لتتعرف على قطره من معاجز النبي الأكرم صلى الله عليه و آله، وهى كثيره داله على نبوته سوى القرآن الكريم.

منها: مجيء الشجره إليه، ذكرها أميرالمؤمنين عليه السلام فى خطبته القاصعه قال:«لقد كنتُ معه صلى الله عليه و آله لَمّا أتاه المألُ من قريش فقالوا له: يا محمّد، إنك قد ادّعت عظيمًا لم يدّعه أبأوك ولا أحد من بيتك، ونحنُ نسألك أمراً إن أجبتنا إليه وأريتاه علمنا أنّك نبيٌّ ورسولٌ، وإن لم تفعل علمنا أنّك ساحرٌ كذاب.

ص: ٣٦٠



فقال لهم: وما تسألون؟

قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك.

فقال صلى الله عليه وآله: إن الله على كل شيء قدير، فإن فعل ذلك بكم أتؤمنون وتشهدون بالحق؟!

قالوا: نعم.

قال: فإنني سأريكم ما تطلبون، وإنني لأعلم أنكم لا تفيثون إلى خير، وإن فيكم من يطرح في القلب (١)، ويحزب الأحزاب، ثم قال: أيتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي بإذن الله.

فوالذي بعثه بالحق، لانقلعت بعروقها، وجاءت ولها دوى شديد وقصيف كقصيف أجنحة الطير، حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مرفرفه، وألقت بغصنها الأعلى على رأس رسول الله، وبيعض أغصانها على منكبي، وكنت على يمينه صلى الله عليه وآله.

فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا علواً واستكباراً: فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها. فأمرها بذلك، فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دويّاً وكادت تلتف برسول الله.

فقالوا كفراً وعتوّاً: فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه، فأمره صلى الله عليه وآله فرجع.

فقلت أنا: لا إله إلا الله، إني أول مؤمن بك يا رسول الله، وأول من آمن بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تصديقاً لنبوتك وإجلالاً لكلمتك.

فقال القوم: بل ساحرٌ كذاب، عجيبُ السحر، خفيفٌ فيه، وهل يُصدّقك في أمرك غير هذا؟! يعنونى» (٢).

ص: ٣٦١

١- (١) القلب: البئر، والمراد منه قلب بدر، طُرح فيه نيف وعشرون من أكابر قريش.

٢- (٢) نهج البلاغه: ج ٢، ص ١٥٨ - ص ١٦٠، ذيل خطبه ١٩٢ المُسمّاه بالقاصعه. الطرائف في معرفه مذاهب الطوائف: ص ٤١٦. إعلام الوري: ج ١، ص ٧٥. الدرّ النظيم: ص ١٣٤. نهج الإيمان: ص ٥٣٣، بحار الأنوار: ج ١٤، ص ٤٧٧، وج ١٧، ص ٣٩٠، ح ٥٩، عن إعلام الوري والنهج، وج ٣٨، ص ٣٢١.

ومنها: خروج الماء من بين أصابعه، وذلك أنهم كانوا معه في سفرٍ فشكوا أن لا ماء معهم وأنهم بعرض التلف وسبيل العطب، فقال: «كَلَّا، إِنَّ مَعِيَ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ»، ثُمَّ دَعَا بِرُكُوهِ فَصَبَّ فِيهَا مَاءً مَا كَانَ لِيُرْوَى رَجُلًا ضَعِيفًا، وَجَعَلَ يَدُهُ فِيهَا فَنَبَعَ الْمَاءُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، وَصِيحَ فِي النَّاسِ، فَشَرَبُوا وَسَقَوْا حَتَّى نَهَلُوا وَعَلَوْا وَهَمُّ أَلُوفٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «أَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا».

ومنها: حنين الجذع الذي كان يخطب عنده صلى الله عليه وآله.

ومنها: كلام الذراع المسمومه التي أهدتها له امرأه من اليهود بخيبر.

ومنها: انشقاق القمر له نصفين بمكة في أول بعثته صلى الله عليه وآله.

هذا فيضٌ من غيظٍ وقطره من بحار معاجز النبي صلى الله عليه وآله، وهو أكثر الأنبياء معاجز وكرامات، وقد ذكر بعض المصنِّفين: أن معاجزه تبلغ ألفاً، فالأولى الاقتصار على الاختصار(١).

الطريق الثاني: تنصيب النبي السابق

إذا ثبت نبوه نبيِّ بدلائل مفيدة للعلم بنبوته، ثُمَّ نَصَّ هَذَا النَّبِيَّ عَلَى نُبُوهِ نَبِيٍّ لَّا-حَقَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِ، كَانَ ذَلِكَ حِجَّةً قَطْعِيَّةً عَلَى نُبُوهِ اللَّاحِقِ، لَّا-تَقِلُّ فِي دَلَالَتِهَا عَنِ الْمُعْجَزَةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّبِيَّ الْأَوَّلَ، إِذَا ثَبَتَتْ نُبُوته يَثْبُتُ كونه معصوماً عَنِ الْخَطَا وَالزَّلَلِ لَّا يَكْذِبُ وَلَا يَسْهُو، فَإِذَا قَالَ وَالْحَالُ هَذِهِ سَيَأْتِي بَعْدِي نَبِيٌّ اسْمُهُ كَذَا، وَأَوْصَافُهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ ادَّعَى النَّبُوَّةَ بَعْدَهُ شَخْصٌ يَحْمِلُ عَيْنَ تِلْكَ الْأَوْصَافِ وَالسَّمَاتِ، يَحْصُلُ الْقَطْعُ بِنُبُوته.

ومن هذا الباب تنصيب المسيح عيسى بن مريم عليه السلام على نبوه النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، كما يحكيه سبحانه بقوله: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) ٢.

ص: ٣٦٢

ويظهر من الذكر الحكيم أنّ السلف من الأنبياء وصفوا النبي الأكرم بشكل واضح، وأنّ أهل الكتاب كانوا يعرفون النبي كمعرفتهم لأبنائهم، قال سبحانه: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) ١.

بناءً على رجوع الضمير إلى النبي المعلوم من القرائن، لا إلى الكتاب.

وقال سبحانه: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ) ٢.

وقد آمن كثيرٌ من اليهود والنصارى بنبوه النبي الخاتم في حياته وبعد مماته لصراحه التباشير الواردة في العهدين.

هذا وإنّ الاعتماد على هذا الطريق في مجال نبوه النبي الخاتم في عصرنا هذا يتوقف على جمع البشائر الواردة في العهدين وضمها إلى بعضها، حتّى يخرج الإنسان بنتيجة قطعية على أنّ المراد من النبي المبشر به فيها هو النبي الخاتم، وقد قام بهذا المجهود لفيف من العلماء وألّفوا فيه كتاباً (١) منها: «كتاب أنيس الأعلام، ومؤلفه كان قسيساً مُحيطاً بالعهدين وغيرهما، وقد تشرف بالإسلام، وألّف كتاباً كثيره منها هذا الكتاب، وقد طبع في ستّة أجزاء» (٢).

الطريق الثالث: جمع القرائن والشواهد

هذا هو الطريق الثالث لتمييز النبي الصادق عن المتنبى الكاذب، وهذا الطريق ضابطه مطرّده في المحاكم القانونيه، معتمداً عليه في حلّ دعاوى والنزاعات، يسلكه

ص: ٣٤٣

١- (٣) الإلهيات: ص ٢٦٤ - ص ٢٦٥.

٢- (٤) هامش الإلهيات: ص ٢٥٦.

القضاء في إصدار أحكامهم، ويستند إليه المحامون في إبراء موكلهم خاصه في المحاكم الغريبه التي تعتقد القضاء على ضوء الأيمان والبيّنات، وتقضى هذه الطريقه بجمع كلّ القرائن والشواهد التي يُمكن أن تؤيد دعوى المدعى، أو إنكار المنكر، وضمّها إلى بعضها حتّى يحصل القطع بصحّه دعواه أو إنكاره.

ويمكن تطبيق هذه الطريقه بعينها في مورد دعوى النبيّ للنبوه، فنتحرى جملة القرائن التي يُمكن أن نقطع معها بصدق الدعوى.

وأولّ من طرق هذا الباب وجعل القرائن المفيده للقطع بصدق المدعى دليلاً على صحّه الدعوى، هو قيصر الروم، فإنه عندما كتب إليه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله رسالته يدعوها فيها إلى اعتناق دينه الذي أتى به، أخذ بعد استلامه الرسالة يتأمل في عبارات الرسول، وكيفيّة الكتابه، حتّى وقع في نفسه احتمال صدق الدعوى، فأمر جماعة من حاشيته بالتجوّل في الشام والبحث عمّن يعرف الرسول عن قرب، ومطلّع على أخلاقه وروحياته، فانتهى البحث إلى العثور على أبي سُفيان وعدّه كانوا معه في تجاره إلى الشام، فأحضره إلى مجلس قيصر، فطرح عليهم الأسئلة التاليه:

كيف نسبه فيكم؟

قال أبو سفيان: محض، أوسطنا نسباً.

أخبرني، هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول مثلما يقول، فهو يتشبه به؟

قال أبو سفيان: لا، لم يكن في آباءه من يدعى ما يقول.

قال قيصر: هل كان له فيكم مُلكٌ فاستلبتموه إياه، فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه؟

أبو سفيان: لا.

قيصر: أخبرني عن أتباعه منكم من هم؟

أبو سفيان: الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء، وأمّا ذوو الأسنان

والشرف فلم يتبعه منهم أحد.

قيصر: أخبرني عمَّن تبعه، أيحبه ويلازمه؟ أم يقلبه ويفارقه؟

أبو سفيان: ما تبعه رجلٌ ففارقه.

قيصر: أخبرني كيف الحرب بينكم وبينه؟

أبو سفيان: سجال، يُدال علينا ونдал عليه.

قيصر: أخبرني هل يغدر؟

أبو سفيان: (لم أجد شيئاً ممَّا سألتني عنه أغمزه فيه غيرها) فقلتُ: لا ونحن منه في هدنه، ولا نأمنُ غدره. (وأضاف أبو سفيان بأنَّ قيصر ما التففت إلى الجملة الأخيره منه).

قال قيصر - بعد هذه الأسئلة العديده - : سألتك كيف نسبه فيكم، فرعمت أنه محض، من أوسطكم نسباً، وكذلك يأخذ الله النبي إذا أخذه لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسباً، وسألتك هل كان أحد من أهل بيته يقول بقوله فهو يتشبه به، فرعمت أن لا. وسألتك هل كان له فيكم مُلك فاستلبتموه إياه، فجاء بهذا الحديث يطلب به ملكه، فرعمت أن لا. وسألتك عن أتباعه فرعمت أنهم الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء، وكذلك أتباع الأنبياء في كلِّ زمان. وسألتك عمَّن يتبعه، أيحبه ويلزمه، أم يقلبه ويفارقه؟ فرعمت أن لا يتبعه أحد فيفارقه، وكذلك حلاوه الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه، وسألتك هل يغدر؟ فرعمت أن لا. فلئن صدقتني عنه ليغلبني على ما تحت قدمي هاتين، ولوددتُ أني عنده فأغسل قدميه، انطلق لشأنك.

قال أبو سفيان: «فقمْتُ من عنده وأنا أضربُ إحدى يدي بالأخرى وأقول: أي عباد الله، لقد أمرَ أمرُ ابن أبي كبشه، أصبح ملوك بني الأصفر يهابونه في سلطانهم بالشام» (١).

ص: ٣٦٥

١- (١) الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ٩٥ - ص ٩٦، حوادث السنه السادسه للهجره. تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ٢٩٠ - ص ٢٩١.

فإذن، ملكات النبيّ النفسية، ومضمون دعوته، والأدوات التي يستفيد منها في دعوته، والمؤمنون به، كلّها شواهد على صدق دعواه صلى الله عليه وآله.

هذا ثمّ نرجع إلى الآيه حيث قالت: (وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) أرسل الله تبارك وتعالى الرُّسُلَ - بما فيهم النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله - ومعهم الحجج القاطعه التي يتبين بها أنهم مرسلون من جانب الله سبحانه وتعالى، وأنزل معهم الكتاب، وهو الوحي المشتمل على معارف الدين من اعتقاد وعمل، والكتب خمسة: كتاب نوح، وكتاب إبراهيم، والتوراه، والإنجيل، والقرآن.

والميزان يعنى الدين، فهو الذى يوزن به الأعمال والعقائد، وهذا المعنى هو الملائم لحال الناس من حيث خشوعهم وقسوه قلوبهم(١)؛ ولذا ترى أنّ مَنْ قسا قلبه ولم تنزل فيه رحمه الله تبارك وتعالى ينكر النبوه والوحي، وينكر الدين. وإلّا كيف تُفسّر موقف يزيد عندما جاؤوه برأس الحسين عليه السلام وسبايا بيت الرساله!؟

يقف يزيد (عليه لعائن الله) فيتجاسر على رأس سيد الشهداء مُظهراً كُفْره بقوله:

ليت أشياخي بيدرٍ شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثمّ قالوا يا يزيد لا تشلّ

لعبتهاشُم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيّ نزل (٢)

فقامت إليه ابنه أمير المؤمنين عليهما السلام وهي تحمل قلب عليّ؛ لتقول: «الحمدُ لله ربّ العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول: (ثُمَّ كَانَ

ص: ٣٦٦

١- (١) تفسير الميزان: ج ١٩، ص ١٧١ - ص ١٧٢ (بتصرّف).

٢- (٢) للشاعر المسمى (ابن الزبيرى)، وهو من ألدّ أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله، واسمُه عبد الله بن الزبيرى السهمى، وهذه الأبيات قالها - لعنه الله - فى معركة أحد، وله مواقف سيئه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسائر المسلمين. انظر: بحار الأنوار: ج ٣٥، ص ١٢٦.

عاقبه الَّذِينَ أَسَاؤُا السُّوَاىَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ كَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (١) أَظَنَّتْ يَا زَيْدُ حَيْثُ أَخَذْتَ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ وَأَفَاقَ السَّمَاءِ، فَأَصْبَحْنَا نَسَاقُ كَمَا تُسَاقُ الْإِمَاءُ أَنْ بِنَا عَلَى اللَّهِ هَوَانًا وَبَكَ عَلَيْهِ كِرَامَهُ، فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ وَنَظَرْتَ فِي عَطْفِكَ جَذْلَانَ مَسْرُورًا حِينَ رَأَيْتَ الدُّنْيَا لَكَ مُسْتَوْسِقَهُ وَالْأُمُورَ مُتَّسِقَهُ، وَحِينَ صَفَا لَكَ مُلْكُنَا وَسُلْطَانُنَا، فَمَهَلًا مَهَلًا أَنْسَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّنَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزِدُوا إِثْمًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) ٢.

أَمِنَ الْعَدْلُ يَا بَنَ الطَّلَقَاءِ تَخْدِيرُكَ حَرَائِكَ وَإِمَاءَكَ وَسَوْقَكَ بِنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ سَبَايَا؟! قَدْ هَتَكَتَ سَتُورَهُنَّ وَأَبْدِيَّتَ وَجُوهَهُنَّ، تَحْدُو بِهِنَّ الْأَعْدَاءُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ...» (٢).

فَمَنْ بَلَدِهِ تَسْبَى إِلَى شَرِّ بَلَدِهِ \* \* \* وَمَنْ ظَالِمٍ تَهْدَى إِلَى شَرِّ ظَالِمٍ

وَكَأَنِّي بِالْحَوْرَاءِ زَيْنَبَ عَلَيْهَا السَّلَامَ لَمَّا نَظَرْتُ إِلَى رَأْسِ أُخِيهَا عَلَى رَأْسِ الرَّمْحِ الطَّوِيلِ:

لَمَنْ شَافَتْهُ صَفْغَتْ بَدِيهَا أَوْ شَكَّتْ ثُوبَهَا وَيَلِي عَلَيْهَا

مَاتَنَلَامَ مِنْ شَافَتْ وَلِيهَا اِبْرَاسَ الرَّمْحِ رَاسَهُ اِيْلُوحَ بِالْبِرِّ

يَشَايِلُ رَاسَ حَامِيْنِهِ أَوْ لِيْنِهِ رِيضَ خَلِيٍّ اتُودَعُهُ إِسْكَينَهُ

لِيَشِ احْسِينِ سَاجِدَةً عَنْ وَنِيْنِهِ كَلِيٍّ تَعَبَ لُوجْرَحَهُ تَخْدَّرُ

(عاشورى)

عَلَى الْجِثِّ مَرَوْا بِالنِّسَاوِيْنَ أَوْ مَتَعَفَّرَهُ إِشْبُولَ الْمِيَامِيْنَ

أَوْ يَلَا وَشَافَنَهُمْ مَطَاعِيْنَ مِنْهُمْ يَسَارَ وَمِنْهُمْ اِيْمِيْنَ

ص: ٣٦٧

١- (١) الروم: آيه ١٠.

٢- (٣) اللهوف: ص ١٠٥ - ص ١٠٦. الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٥. مشير الأحزان: ص ٨٠. بلاغات النساء: ص ٢١. بحار الأنوار: ج

٤٥، ص ١٣٣. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٤٠٣.

واعلى الوجه مطروح الحسين زينب لخواها شبحت العين  
رادت عليه فخر الخواتين من على الناگه اُطّيح بالحين  
(نعى)

ناده الولى اوضنوه الطيبين يعمه عليهم من تيطحين  
هالچيف ياعمه تركبين وانه عليل اوبيه تدرين  
لاچن يعمه من تریدين وانتى على الناگه تودعين  
ونت ونين المرمر ايلين منه ويصير الكلب نصين  
اوحتى العساكر غدت صوبين والخيل تسچب دمعه العين  
نادت يبو السجادهالحين للشام بينه العده امغرين  
(أبوزيه)

زجر يحسين من عگبک محنه اسفر واعداك ما بيهم محنه  
على راس الرُمح شيبك محنه بدماه اوبس يدير العين إلیه  
\*\*\*

وشيته مخضوبه «بدمائه يُلاعبها غادى النسيم ورائحه  
\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمدٍ أئى مُقلبٍ يُقلبون  
والعاقبه للمتقين







قَمِ جَدُّ الحُزْنِ فِي العَشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ ففِيهِ رُدَّتْ رُؤُوسُ الآلِ لِلحُفْرِ  
يَا زَائِرِي بُقِعِهِ أَطْفَالُهُمْ ذُبِحَتْ فِيهَا خَذُوا تُرْبَهَا كُحْلًا إِلَى البَصْرِ  
وَ لَهْفَتَا لِبِنَاتِ الطُّهْرِ يَوْمَ رَنَتْ إِلَى مِصَارِعِ قِتْلَاهِنَ وَ الحُفْرِ  
رَمِينَ بِالنَّفْسِ مِنْ فَوْقِ النِّيَاقِ عَلَى تَلْكَ القُبُورِ بِصَوْتِهَائِلِ ذَعْرِ  
فَتَلْكَ تَدْعُو حُسَيْنًا وَهِيَ لِأَطْمَةِ مِنْهَا الخُدُودِ وَ دَمْعُ العَيْنِ كَالْمِطْرِ  
وَ تَلْكَ تَصْرُخُ وَ أَجْدَاهُ وَ أَبْتَاهُ وَ تَلْكَ تَصْرُخُ وَ يُتِمَّاهُ فِي الصَّغْرِ  
فَلَوْ تَرَوْا أُمَّ كَلْتُومٍ مُنَاشِدَةً وَلَهْيَ وَ تَلْتُمُ تَرْبَ الطِّفْلِ كَالعَطْرِ  
يَا دَافِنِي الرِّأْسِ عِنْدَ الجَنَّةِ احْتَفِظُوا بِاللهِ لَا تَنْشُرُوا تُرْبًا عَلَى قَمْرِ  
لَا تَدْفِنُوا الرِّأْسَ إِلَّا عِنْدَ مَرْقَدِهِ فَإِنَّهُ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ وَ الزَّهْرِ  
لَا تَغْسِلُوا الدَّمَ عَنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ خَلُّوا عَلَيْهَا خِضَابَ الشَّيْبِ وَ الكَبْرِ  
رَشُّوا عَلَى قَبْرِهِ مَاءً فَصَاحِبُهُ مَعْطُشٌ بَلَّلُوا احْشَاءَهُ بِالقَطْرِ  
لَا تَدْفِنُوا الطِّفْلَ إِلَّا عِنْدَ وَالدِّهِ فَإِنَّهُ لَا يُطِيقُ الِئْتِمَ فِي الصَّغْرِ  
لَا تَدْفِنُوا عَنْهُمْ العَبَاسَ مَبْتَعِدًا فَالرِّأْسُ عَنْ جِسْمِهِ حَتَّى اليَدِينَ بَرَى(١)

ص: ٣٧١

---

١- (١) القصيدة للسيد هاشم الستري البحراني رحمه الله، قال عنه في أنوار البدرين - ص ٢٣٣ -: «السيد النجيب الأديب السيد هاشم المعروف بالصياح رحمه الله الستري البحراني كان (رحمه الله تعالى) أديباً شاعراً له يد طولى في علم التجويد، ولهذا يلقب بالقارئ، سمعت من شيخنا الثقة العلامة المرحوم الصالح الشيخ أحمد ابن المقدس الشيخ صالح أن له كتاباً في القراءه سماه (هدايه القارئ إلى كلام البارئ)، وله القصيده الغراء التي أولها: قم جدد الحزن في العشرين من صفر ففيه ردت رؤوس الآل للحفر وهي مشهوره».

وكأني بهن يخاطبنَ أبا عبد الله الحسين عليه السلام:

جينه اوعله گبرك گعدنه اوندبناك يا عزنه اوضمنه

های المحامل گوم ردنه لأرض المدينة اووطن جدنه

قيل: وأجالت زينب بطرفها يميناً وشمالاً فقيل لها: لعلك تريدين شيئاً؟ قالت: قوموا بنا إلى قبر أبي الفضل العباس.

صاحت بالحرم گومن امشته لعد اللى تكفلنه من أهله

نريده ايگوم ويردنه الوطنه او مثل ما جابنه بينه ايتوزم

زينب والحرم كلهن تعنن إالشاطى العلكمى اوعلگبر گعدن

گامن ونه الثكلى يونن اوحمام الدوح من عدهن تعلم

يخويه اگعد يراعى العلم والجود اوشوف امتونه من أسياطهم سود

اوشوف امن الحبال اشمال الزنود بگت لليوم منها ينضح الدم(١)

وأما الحوراء زينب عليه السلام:

زينب تصب دمعات العيون وتصيح بالبلحد مدفون

اگعد اوشوف بحالنه اشلون وانظر يتاماك الينوحون

بدموع عبرى اوكلب محزون او ضرب السياط أثر بالمتون

\*\*\*

روى عن إمامنا الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: «علامات المؤمن خمس: صلاة الخميس، وزيارة الأربعين، والتختُّم في

اليمين، وتعفير الجبين، والجهُّ بيسم الله الرحمن الرحيم»(٢).

ص: ٣٧٢

١- (١) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ٢، ص ١٦٠ - ص ١٦٢.

٢- (٢) تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٥٢، باب زياره الحسين عليه السلام، ح ٣٧. روضه الواعظين: ص ١٩٥، وفيه بدل الخميسين (إحدى والخمسين). ومثله المزار (الشيخ المفيد): ص ٥٣، ح ١. والمزار (ابن المشهدى): ٣٥٢، ح ١. وإقبال الأعمال: ج ٣، ص

١٠٠. وعوالى اللئالى: ج ٤، ص ٣٧، لكن رواه عن الإمام الصادق عليه السلام. وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٤٧٨، ح ١، عن التهذيب. بحار الأنوار: ج ٨٢، ص ٧٥، ح ٧، وج ٩٥، ص ٣٤٨، ح ١، عن الإقبال، وج ٩٨، ص ١٠٦، ح ١٧، عن التهذيب، وص ٣٢٩، ح ١، عن مصباح الزائر.

شهر محرّم وصفر شهران لم يشهد المؤمن مثلهما على طول أيام السنه؛ لتجدد أحزان محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين فيهما، وإن كانت أحزانهم ومظلوميّاتهم غير مختصّه بهذين الشهرين، ولكن لمصيبة سيد الشهداء عليه السلام أبيّ الضيم خصوصيه، خصّه الله تبارك وتعالى بها؛ ولهذا ترى المعصومين عليهم السلام من النبيّ الخاتم إلى الإمام الحجّه القائم عليهم السلام، عندما يتعرّضون لمصيبة سيد الشهداء عليه السلام يجعلون لها الحظّ الأوفّر، وليس معنى هذا سهولهٌ مُصيبه باقى المعصومين عليهم السلام، بل المقصود عظم مصيبه أبى عبد الله عليه السلام، وقد عبّر عن ذلك الإمام الرضا عليه السلام حيث قال: «إنّ يومَ الحُسينِ أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء، وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء...» (١).

وسوف لا نخوض فى الحديث عن العلامات الأربع الأولى التى جعلها الإمام عليه السلام من صفات المؤمنين، فهى وإن كانت جديره بالبحث والبيان إلا أنّ المناسبه تقتضى تسليط الضوء على العلامه الثانيه، أعنى، (زياره الأربعين).

زياره الأربعين فى التاريخ غير الإسلامى

من النواميس المطّرده عند الناس هو الاعتناء بالفقيد بعد مضيّ أربعين يوماً من وفاته، بإسداء البرّ إليه وتأيينه، وعدّ مزاياه فى جلسات تعقد، وذكريات تردد وتدوّن؛ تخليداً لذكّره، على حين أن الخواطر تكاد تنساه، والأفتدّه أوشكت أن تهمله، فبذلك تعاد

ص: ٣٧٣

---

١- (١) أمالى الشيخ الصدوق: ص ١٩٠. مناقب آل أبى طالب: ج ٣، ص ٢٣٨. إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٢٨. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٨٣، ح ١٧، عن الأمالى. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٥٣٨، عن الأمالى أيضاً.

إلى ذكره الفائت صورته جديده ترسمها السنُّ المؤننين.

وقد ورد عن أبي ذرّ الغفاري وابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله «إِنَّ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ لَتَبْكِي عَلَى الْمُؤْمِنِ إِذَا مَاتَ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً»<sup>(١)</sup>.

وعن زراره عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «يا زرارته، إِنَّ السَّمَاءَ بَكَتْ عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً بِالْدَمِ، وَإِنَّ الْأَرْضَ بَكَتْ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً بِالسَّوَادِ، وَإِنَّ الشَّمْسَ بَكَتْ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً بِالْكَسُوفِ وَالْحَمْرَةِ، وَإِنَّ الْجِبَالَ تَقَطَّعَتْ وَانْتَشَرَتْ، وَإِنَّ الْبِحَارَ تَفَجَّرَتْ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ بَكَتْ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ، وَمَا اخْتَضَبَتْ مَنَّا امْرَأَةٌ وَلَا أَذْهَنْتْ وَلَا اِكْتَحَلَتْ وَلَا رَجَلَتْ حَتَّى أَتَانَا رَأْسَ عَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، وَمَا زَلْنَا فِي عَبْرِهِ مِنْ بَعْدِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وكلّ هذا يؤيد ويؤكد هذه الطريقتين المألوفتين، والعاده المستمره بين الناس، من الحداد على الميِّت أربعين يوماً، فإذا كان يوم الأربعين أُقيم على قبره العزاء بتأبينه، ويحضره أقاربه وخاصيته وأصدقائه، وهذه العاده لم تختص بالمسلمين، بل تشمل حتى اليهود والنصارى؛ فإنّ النصارى يقيمون حفلةً تأبينه يوم الأربعين من وفاه فقيدهم يجتمعون في الكنيسه، ويعيدون الصلاه عليه المسماه عندهم بصلاه الجنازه، ويفعلون ذلك في نصف السنه، وعند تمامها.

وكذا اليهود يُعيدون الحداد على فقيدهم بعدَ مُرور ثلاثين يوماً، وبمرور تسعه أشهر، وعند تمام السنه<sup>(٣)</sup>.

وكلّ ذلك إعادته لذكراه وتنويهاً بآثاره وأعماله إن كان من العظماء مثلاً.

ص: ٣٧٤

١- (١) مناقب ابن شهر آشوب: ج ٢، ص ١٧٠، وعنه بحار الأنوار: ج ٤٢، ص ٣٠٨، ح ٩.

٢- (٢) كامل الزيارات: ص ١٦٧، ح ٨، باب بكاء جميع خلق الله على الحسين عليه السلام. مدينه المعاجز: ج ٤، ص ١٦٦ - ص ١٦٧، ح ٢٤٣. بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢٠٥ - ص ٢٠٦، ح ١٣، عن كامل الزيارات. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٤٦٢.

٣- (٣) مقتل الحسين عليه السلام للسيد عبد الرزاق المقرّم: ص ٣٦٥.

إذن، الفكره لا تختص بفئه دون فئه ولا بطائفه دون أخرى، ولا يمكن لأى إنسان منحه الله عقلاً سليماً، وفكراً صحيحاً أن يتعدى سيّد الشهداء عليه السلام دون أن يُعطيه حقّه الذى منحه الله تبارك وتعالى له، فهو الأولى بكلّ ذلك من كلّ أحد، وهو الجدير بأن تُقام له الذكريات فى كلّ مكان، وتُشدّ إليه الرحال للوقوف عند قبره المقدّس.

ولهذا اطردت عادة الشيعة على تجديد العهد بتلكم الأحوال يوم الأربعاء من كلّ سنه، ولعل روايه أبى جعفر الباقر عليه السلام: «إنّ السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً تطلّع حمراء وتغرب حمراء»<sup>(١)</sup> تلمح إلى هذه العاده المألوفه بين الناس.

هل تشمل زياره الأربعاء سائر المعصومين عليهم السلام أم لا؟

إنّ الأئمه من آل الرسول صلى الله عليه وآله وإن كانوا كلّهم أبواب نجاه، وسفن رحمه، وبولائهم يعرف المؤمن من غيره، وكلّهم استشهدوا على أيدي طواغيت عصرهم، فكان الواجب إقامة المأتم فى يوم الأربعاء من شهاده كلّ واحد منهم، وحديث الإمام العسكرى عليه السلام لم يشتمل على قرينه لفظيه تصرف هذه الجملة (زياره الأربعاء) إلى خصوص الحسين عليه السلام، إلا أنّ القرينه الحاليه أوجبت فهم العلماء الأعلام (قدس سرّهم) من هذه الجملة خصوص زياره الحسين عليه السلام؛ لأنّ قضيه سيّد الشهداء عليه السلام هى التى ميّزت بين دعوه الحقّ والباطل؛ ولذا قيل: الإسلام بدؤه محمدى وبقاؤه حسينى، وحديث الرسول صلى الله عليه وآله «حسين منى وأنا من حسين»<sup>(٢)</sup> يشير إليه.

ومن هنا لم يرد التحريض من الأئمه على إقامة المأتم فى يوم الأربعاء من شهاده كلّ واحد منهم، حتّى نبى الأئمه صلى الله عليه وآله و آلّه مع إيماننا بأنّه الأعظم من الحسين عليه السلام، ومن هنا فالذى

ص: ٣٧٥

---

١- (١) انظر: كامل الزيارات: ص ١٨٣، باب بكاء السماء والأرض على الحسين عليه السلام. وأنظر: مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم: ص ٣٦٥.

٢- (٢) كامل الزيارات: ص ١١٦، ح ١١، باب حبّ رسول الله صلى الله عليه وآله للحسن والحسين عليهما السلام.



يتجلى للسامع هو اختصاص زياره الأربعين بالحسين عليه السلام، ويتجلى أيضاً أنها من صفات المؤمنين وليس لكل أحد أن يتصف بها، وكذا العلامات الأخر.

هل يمكن حمل زياره الأربعين على زياره أربعين مؤمناً؟

قد يشكل البعض، أو قد يأتي إلى ذهن أحد، أو يلتوى آخرون في أن المقصود من زياره الأربعين هو زياره أربعين مؤمناً، فيكون معنى الحديث: إن من علامات المؤمن صلاه الخمسين وزياره أربعين مؤمناً.

وهذا فهم ياباه الفهم السليم لسياق الحديث وقرائنه، مع أنه عيار عن أى قرينه، ولو كان الفرض هو الإرشاد إلى زياره أربعين مؤمناً لقال عليه السلام «وزياره أربعين» «أو زياره أربعين مؤمناً»، فالإكتفاء بالجمله من غير ذلك، والإتيان بالألف واللام العهدية، كل ذلك يبعد الحمل الموهوم ويُقرب المطلوب.

أضف إلى ذلك كله أن زياره أربعين مؤمناً ليست من مختصات المؤمنين وعلاماتهم التي يعرفون بها، بل هي من علائم الإسلام والمسلمين.

نعم زياره الحسين عليه السلام يوم الأربعين من قتله مما يدعو إليه الإيمان الخالص بأهل البيت عليهم السلام، وقد وردت زياره الحسين عليه السلام يوم الأربعين عن صفوان الجمال عن الإمام الصادق عليه السلام ولم ترد زياره الأربعين لباقي المعصومين عليهم السلام، مما يؤكد اختصاص أربعين الحسين عليه السلام بميزه خاصه. ومعلوم أن الذين يحضرون في الحائر الحسيني الأظهر - بعد مرور أربعين يوماً من مقتل سيد الشهداء سيد شباب أهل الجنه - خصوص المتابعين له السائرين على أثره (١).

كلام الفقهاء الأعلام وفهمهم للحديث

إن فهم الفقهاء الأعلام وكلماتهم في المراد من زياره الأربعين هو الفصل في هذا

ص: ٣٧٤

---

١- (١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام، السيد المقرّم: ص ٣٧١.

المقام. منهم أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي قدّس سرّه في التهذيب (١)، فإنّه بعد أن روى الأحاديث في فضل زيارته المطلقة ذكر منها المقيّد بأوقاتٍ خاصّه، ومنها يوم عاشوراء، وبعده روى هذا الحديث، وهذا دليل واضح وصالح على ما أردناه من أنّ المقصود من زيّاره الأربعين زيّاره الإمام الحسين عليه السلام، وإلاّ لما ذكره هناك ولمذكره في باب التزاور بين المؤمنين واستحباب عياده المريض - مثلاً - إلى غير ذلك من الأبواب التي هي الأنسب من غيرها جزماً.

وفي مصباح المتهجد ذكر شهر صفر وما فيه من الحوادث، ثمّ قال: وفي يوم العشرين منه رجوع حرم أبي عبد الله عليه السلام من الشام إلى المدينة - مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله - وورود جابر بن عبد الله الأنصاري إلى كربلاء لزيّاره أبي عبد الله صلى الله عليه وآله فكان أول من زاره من الناس، وهي زيّاره الأربعين. فروى عن أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال: «علامات المؤمن خمس...» (٢).

وقال العلامة الحليّ في المنتهى، كتاب الزيارات بعد الحجّ: يُستحب زيّاره الحسين عليه السلام في العشرين من صفر، ثمّ ساق الحديث نفسه (٣).

وفي الإقبال للسيد بن طاووس عند ذكر زيّاره الحسين عليه السلام في العشرين من صفر، وساق الحديث المذكور أيضاً (٤).

ونقل العلامة المجلسي (أعلى الله مقامه الشريف)، في مزار البحار هذا الحديث عند ذكر فضل زيّاره الحسين عليه السلام يوم الأربعين (٥).

ص: ٣٧٧

١- (١) التهذيب: ج ٦، ص ٥٢، باب زيّاره الحسين عليه السلام، ح ٢٧.

٢- (٢) مصباح المتهجد: ص ٧٨٨.

٣- (٣) انظر: منتهى المطلب: ج ٢، ص ٨٩٢.

٤- (٤) انظر: إقبال الأعمال: ج ٣، ص ١٠٠.

٥- (٥) انظر: بحار الأنوار: ج ٩٥، ص ٣٤٨، ح ١.

وفى الحدائق للشيخ يوسف البحراني فى الزيارات بعد الحجّ قال: وزياره الحسين فى العشرين من صفر من علامات المؤمن (١).

وحكى الشيخ الجليل المحدّث عبّاس القمى فى المفاتيح هذه الروايه عن التهذيب ومصباح المتهجّد فى الدليل على رجحان الزياره فى الأربعين من دون تعقيب باحتمال إرادته أربعين مؤمناً (٢).

وكذا نصّ على الاستحباب الشيخ المفيد فى كتابه (مسارّ الشيعه) (٣)، والعلّامه الحلّى فى التذكرة (٤) والتحرير (٥)، وملاً محسن الفيض الكاشانى فى تقويم المحسنين (٦).

وفى ذكر هؤلاء الأعلام ممّن هم أهل الدرايه والروايه من أمثال شيخ الطائفه الطوسى رحمه الله ما فيه غنىّ وكفايه.

زياره جابر رحمه الله لكربلاء

ولنذكر هنا روايه مجىء جابر بن عبد الله الأنصارى إلى كربلاء.

يقول عطيه بن سعد بن جناده العوفى: خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصارى رحمه الله زائرين قبر الحسين عليه السلام، فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل، ثمّ اتّتر بإزار، وارتدى بآخر، ثمّ فتح صرّه فيها سُرّعد، فنثرها على بدنه، ثمّ لم يخطُ خطوه إلاّ ذكر الله، حتّى إذا دنا من القبر قال: ألمسنيه - أى خذ بيدي إلى القبر - فألمسته فخرّ على القبر

ص: ٣٧٨

١- (١) انظر: الحدائق الناضره: ج ١٧، ص ٤٣٥.

٢- (٢) انظر: مفاتيح الجنان: ص ٥٤١.

٣- (٣) انظر: مسارّ الشيعه (ضمن مجموعه نفيه): ص ٢٧، وص ٦٣.

٤- (٤) انظر: تذكرة الفقهاء: ج ١، ص ٤٠٣.

٥- (٥) انظر: تحرير الأحكام: ج ١، ص ١٣١.

٦- (٦) انظر: كتاب مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرّم: ص ٣٧٢، ولم أعثر على كتاب تقويم المحسنين.

مغشياً عليه، فرششت عليه شيئاً من الماء، فأفاق وقال: يا حسين. ثلاثاً، ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه. ثم قال: وأنى لك بالجواب، وقد شحطت أوداجك على أثابجك، وفُرق بين بدنك ورأسك... ثم جال يبصره حول القبر، وقال: السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلت بفناء الحسين عليه السلام، وأناخت برحله.. إلى أن قال: لقد شاركناكم فيما دختم فيه.

قال عطيه: فقلتُ لجابر: وكيف ولم نهبط وادياً، ولم نعلُ جبلاً، ولم نضرب بسيف، والقوم قد فُرق بين رؤوسهم وأبدانهم، وأُيتمت أولادهم، وأرملت الأزواج؟

فقال لى: يا عطيه، سمعتُ حبيبي رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: «مَنْ أَحَبَّ عَمَلِ قَوْمٍ اشْرَكَ فِي عَمَلِهِمْ..»

والذى بعث محمداً بالحق نبياً إن نيتي وتبته أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحابه.

قال الراوى: فلما صرنا فى بعض الطريق فقال لى: يا عطيه، هل أوصيك؟ وما أظن إننى بعد هذه السفره ملائيك، أحبَّ محبَّ آلِ محمّدٍ ما أحبَّهم، وأبغضَ مُبغضَ آلِ محمّدٍ ما أبغضَهم، وإن كان صَوَاماً قَوَاماً، وارفق بمُحِبِّ آلِ محمّدٍ، فإنه إن نَزَلَ لهم قدم بكثره ذنوبهم تثبت لهم أُخرى بمحبتهم، فإنَّ مُحَبَّهم يعود إلى الجنّه ومبغضهم يعود إلى النار(١). ثم التقوا بأهل البيت عليهم السلام.

قال فى معالى السبطين: فلما بلغوا أرض كربلاء نزلوا فى موضع مصرعه ووجدوا جابر بن عبد الله مع جماعه من بنى هاشم وغيرهم، وقد وردوا إلى زياره الحسين عليه السلام فتلاقوا فى وقت واحد، وأخذوا بالبكاء والنحيب واللطم، وأقاموا العزاء إلى مدّه ثلاثه أيام (٢)، وكأنى بزئب عليها السلام وهى عند قبر أخيها الحسين عليه السلام تخاطبه:

ص: ٣٧٩

١- (١) بشاره المصطفى: ص ١٢٥ - ص ١٢٦، عنه بحار الأنوار: ج ٦٥، ص ١٣٠ - ص ١٣١، ح ٦١.

٢- (٢) معالى السبطين: ج ٢، ص ١٩٧.

جیتک وجبت الراس ویاى إمن السبى اوچانت بیه بلوای

اوهسه یخویه صار منوای أشچیلک أحوالی ابممشای

ذ انهض یغزی او جلعه احمای اونشف ابردنک دمع عینای

ما واعدتنی سابج ابهای أنخاک ما تنهض النخوای

معذور یالمذبوح علمای

فقام جابر وَمَن معه واستقبلوهم، فلَمَّا التقوا قال الإمام زین العابدین علیه السلام: أنت جابر؟ قال: نعم سیدی، أنا جابر، فقال علیه السلام: «یا جابر، ههنا قُتل أبو عبد الله، یا جابر، ههنا ذُبِحت أطفال أبی، یا جابر، هاهنا والله قُتلت رجالنا، وسُيِّت نساؤنا وأُحرقت خیائنا».

یجابر ما دریت اشصار بینه یجابر هالأرض بیها أنولینه

یجابر وانذیح بها ولینه یجابر ذَبَحوا واحد وسبعین

یکله والدمع فیض الودیان چتل خلصوا عمامی إبهذا المچان

ظَلَّت بس یتامه او جمع نسوان او عندی إلهها الفواطم عدل ماتم

یجابر فوگک هذا الهظم کله سبونه والیبارینه خوّه

شبعنه امن الهظم وامن المذلّه یفکنه ظالم اونوگک ابأظلم

(أبوزیه)

کسیر او محمد إلكلبی یجابر اوتدری بالكدر حکمه یجابر

عن احسین لا تنشد یجابر هذی عیلته الچانت سبیه

حُمِلت على الأکوار بعد خُدورها الله ماذا تحملُ الأکوارُ

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

ص: ٣٨٠







كُلَّمَا تَعَدَّلَانَ زِدْتُ نَحِيْبًا يَا خَلِيْلِيْ اِنْ ذَكَرْتُ حَبِيْبًا

يَا حَبِيْبَ الْقُلُوْبِ زُرُّوْكَ مَهْمَا ذَكَرْتَهُ الرَّائِثُوْنَ شَقَّ الْقُلُوْبَا

يَا وَحِيْدًا حَامِيْتِ دُوْنَ وَحِيْدٍ حَيْثُ لَا نَاصِرًا يَزِيْ أَوْ مُجِيْبًا

بَعْتَ نَفْسًا نَفِيْسَةً فَاشْتَرَاهَا بِارِيْ النَّفْسِ مِنْكَ وَالرَّبْحُ طُوْبِيْ

اِنْ نَصَرْتَ الْحُسَيْنَ غَيْرَ عَجِيْبٍ اِنْ تَخَلَّفْتَ عَنْهُ كَانَ عَجِيْبًا

يَا وَزِيْرَ الْحُسَيْنِ حَزْتَ مَقَامًا كُلُّ اَنْ يَزِدَادُ عُرْفًا وَطِيْبًا

كَمْ عَنِ السَّبْطِ قَدْ كَشَفْتَ كُرُوْبًا بَعْدَ مَا قَدْ لَقِيْتِ يَا حَبِيْبُ حُرُوْبَا

اِنْ يَوْمًا اُصِبْتَ فِيْهِ لِيَوْمٍ فِيْهِ طَهَ وَالْمَرْتَضَى قَدْ اُصِيْبَا

يَا مَصَابًا اُصَابَ قَلْبَ حُسَيْنٍ اَيُّ قَلْبٍ لَذَكَرِهِ لَنْ يَذُوْبَا(1)

\*\*\*

(نصاري)

أُوْلِيٌّ مِنْ كَرْبِ حَتْفِهِ اَوْ تَدَانِهِ اَوْ صَابُوهُ الْعَدَةُ الْكَلْبَةُ اِبْرَانَهُ

هُوَ وَاِبْنُ النَّبِيِّ اِنْهَدَّتْ اُرْكَانُهُ اَوْ طَاحَ الْبَيْرِغُ الْمَنْصُورُ كُلُّ دَوْرٍ

شَيْخٌ عَيْنُهُ اَوْ عَجَّ الْخَيْلُ ثَايِرٌ اَوْ دَمُهُ يَسْفَحُ اَعْلَهُ الْكَاعُ فَايِرٌ

اَوْ كَلْبُهُ مِنَ الْعَطَشِ وَالطَّعْنِ طَايِرٌ مِنْ فَرَفَرْتِ رُوْحِهِ اَوْ بَغَهُ مَعْفُورٌ

يُوسِفُهُ ظَنُوهُ اَمْظَاهِرُ يَمِيْمَرُ تَخْلَى اِحْسِيْنَ ظَلَّ عَجْبَكَ اَمْحِيْرُ

تَنَامُ اَوْ بِيْرَغَكَ يَمَّكَ اَمْكَسَّرُ وَاَبُو الْيَمَةِ عَلَيْهِ الْعَسْكَرُ اَيْدُوْرُ

ص: ٣٨٣

---

١- (١) القصيده للسيد صالح الحلّي رحمه الله، وقد تقدّمت ترجمته في المحاضره العاشره من هذا الكتاب فراجع.

قال تعالى: (وَ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ) ١ .

المقصود من المصيبة: النائبة، تصيب الإنسان كأنها تقصده، والمراد بما كسبت أيديكم: المعاصي والسيئات، وقوله: (وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ) أى عن كثير مما كسبت أيديكم وهى السيئات.

والخطاب فى الآيه اجتماعى موجه إلى المجتمع، والمراد بالمصيبة التى تصيبهم المصائب العامه الشامله، كالحط والغلاء والوباء والزلازل وغير ذلك.

فيكون المراد أن المصائب والنوائب التى تصيب مجتمعكم وتصابون بها إنما تصيبكم بسبب معاصيكم، والله يصفح عن كثير منها فلا يأخذ بها.

فالآيه فى معنى قوله تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) ٢ ، وغير ذلك من الآيات الداله على أن بين أعمال الإنسان وبين النظام الكونى ارتباطاً خاصاً، فلو جرى المجتمع الإنسانى على ما تقتضيه الفطره من الاعتقاد والعمل لنزلت عليه الخيرات وفتحت عليه البركات، ولو أفسدوا أفسد عليهم: (وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ لَكِنْ كَذَّبُوا...) ٣/ .

هذا ما تقتضيه هذه السنه الإلهيه إلا أن ترد عليه سنه الابتلاء أو سنه الاستدراج والإملاء فينقلب الأمر.

هذا، ويمكن أن يكون الخطاب فى الآيه عاماً، منحلاً إلى خطابات الأفراد، فيكون ما يُصاب - كل إنسان - بمصيبه فى نفسه أو ماله أو ولده أو عرضه وما يتعلّق به مستنداً إلى

معصية أتى بها، وسيئه عملها، ويعفو الله عن كثير منها.

والمراد بما كسبته الأيدي، المعاصي والسيئات دون مطلق الأعمال.

والمصائب التي تصيب إنما هي آثار الأعمال في الدنيا لما بين الأعمال وبينها من الارتباط والتداعي (١).

والطريف في الأمر: إننا نقرأ في حديث عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه نقل عن الرسول صلى الله عليه وآله قوله: «خير آية في كتاب الله هذه الآية، يا على ما من خدشٍ عودٍ ولا نكبه قدمٌ إلا بذنب، وما عفا الله عنه في الدنيا فهو أكرم من أن يعود فيه، وما عاقب عليه في الدنيا فهو أعدل من أن يثنى على عبده» (٢).

ولو رجعنا إلى سيره بنى البشر لوجدنا شواهد كثيرة محسوسة وملموسة تدل على أن المصائب ما هي إلا من آثار أعمالنا ليس غير، اللهم إلا ما قلناه آنفاً من استثناء كونها لأجل الابتلاء، أو ما ستأتي الإشارة إليه إن شاء الله تعالى في آخر البحث.

فيرى الإسلام أن للمعاصي التي يقترفها الإنسان دوراً أساسياً فيما يواجهه من متاعب ومصائب في الحياة الدنيا.

ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير هذه الآية: «توقوا الذنوب، فما من بليه ولا نقص رزق إلا بذنب، حتى الخدش والكبوه والمصيبة، قال الله عز وجل: (وَ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ)» ٣/.

فلو آمن الإنسان حق الإيمان بأن ما يقترفه من الذنوب والمعاصي تنعكس عليه

ص: ٣٨٥

١- (١) تفسير الميزان: ج ١٨، ص ٥٩ - ص ٦٠. بتصرف يسير.

٢- (٢) تفسير مجمع البيان: ج ٩، ص ٥٣.

بالآلام والمصائب ليس في حياته الأخرى فحسب، بل وحتّى في حياته الدنيويّه أيضاً، لما أقدم على معصيه قط، ولما تعمّد الإتيان بأيّ عمل قبيح، وكلّما ترسّخ هذا الإيمان، توفّرت الأرضيه المناسبه لبناء الإنسان الصالح أكثر فأكثر.

ولذا قال أحد الطلاب من أهل العلم: في أحد الأيام بال ابني الذي يبلغ من العمر سنتين على الفراش، فضربته أمّه ضرباً مبرحاً حتّى كاد أن ينقطع نفّسه، وبعد ذلك بساعه ارتفعت حراره بدنّها ارتفاعاً شديداً حتّى اضطررنا على أثر ذلك إلى مراجعه الطبيب، وكلفنا الدواء والوصفه مبلغاً باهضاً في تلك الظروف الاقتصاديه الصعبه، ولم تنخفض حرارتها، بل أخذت ترتفع أكثر، فراجعنا الطبيب ثانيه ودفعنا هذه المرّه مبلغاً آخر أقلّ من المبلغ الأول لغرض معالجتها، وكان المبلغ بالنسبه لي مبلغاً ضخماً، وفي الليل ركب سماحه الشيخ رجب على الخياط - وكان من العرفاء - في سيارتي لنذهب إلى المجلس، وكانت زوجتي في السياره. قلت: إنّ زوجتي ارتفعت درجه حرارتها وأخذتها إلى الطبيب ولكن دون جدوى.

فنظر الشيخ وتوجّه بالكلام إلى زوجتي قائلاً:

الأطفال لا- يُضربون بتلك الصوره، استغفري ربّك، وطيبّي خاطر الطفل واسترضيه واشتري له شيئاً، تتحسّن حالك. وفعلنا ما أمرنا به الشيخ فانخفضت درجه حرارتها(١).

ومثل هذه القصص يوجد الكثير الكثير الذي يطول المقام بذكره وسرده،

وهذا ممّا لا ينبغي الشكّ فيه، وآثاره واضحه جداً للإنسان الملتفت.

ولكن للأسف قد يستنتج البعض من هذه الحقيقه القرآنيه استنتاجاً خاطئاً، ويقول بوجوب الاستسلام لأيّه حادثه مؤسفه، إلا أنّ هذا الأمر خطير للغاية؛ لأنّه يستفيد من هذا الأصل القرآني التربوي بشكل معكوس، ويستنتج نتيجة تخديرية.

ص: ٣٨٦

١- (١) انظر: كيمياء المعجبه: ص ١٣٨.

فالقرآن لا يقول أبداً بالاستسلام حيال المصائب وعدم السعى لحل المشاكل، والركون للظلم والجور والمرض، بل يقول: إذا اشتملتك المصائب بالرغم من سعيك ومحاولاتك لدفعها، فاعلم أنّ ذلك هو كفّاره الذنوب التي قمت بها وارتكبتها، عليك أن تفكر بأعمالك السابقة، وتستغفر لذنوبك، وتصلح نفسك وتكتشف نقاط ضعفك. ولذا ورد - كما ذكرنا آنفاً - في الروايات أن هذه الآيه من أفضل آيات القرآن، بسبب تأثيرها التربوي المهم، ولأنّها تقوم بتخفيف هموم الإنسان، وتعيد الأمل وعشق الخالق إلى قلبه وروحه(١).

ولكن - مع كلّ ما تقدّم من البيان التامّ للآيه - قد يشكل البعض ويقول: إنّ الآيه - التي نحن بصددّها - مخالفة لظواهر ما دلّ من بعض الآيات على أنّ موطن جزاء الأعمال هي الدار الآخرة، كقوله تعالى: (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْجِدُونَ) ٢ وغيرها من الآيات التي دلّت على أنّ كلّ مظلّمه ومعصيه مأخوذ بها، وأنّ موطن الأخذ هو ما بعد الموت وفي القيامة، إلّا ما عُفّر بالتوبه، أو ما أُذهب بحسنه تتبعه، أو بشفاعه في الآخرة، ونحو ذلك(٢).

وهذا مدفوع بما ذكرته نفس الآيه التي نحن في صددّها - أعني ما أصابكم من مصيبه - إذ قال عزّ وجلّ (وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ)، فلو أراد الله سبحانه وتعالى أن يؤخذ العباد بما عملوا وارتكبوا من ذنوب ومعاصٍ لكان ما كان من عدم بقاء واحد على وجه الأرض. لكنّ البارى عزّ وجلّ عفا عن كثير من هذه الأمور وأبقى العقوبات التي فيها للإنسان النفع والخير.

ص: ٣٨٧

١- (١) تفسير الأمثال: ج ١٥، ص ٥٣٩ - ص ٥٤٠.

٢- (٣) تفسير الميزان: ج ١٨، ص ٧١.

والآ- فأنت ماذا تقول في الدعاء الوارد والمنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام، وهو الدعاء المعروف بدعاء كميل، حيث جاء فيه: «اللَّهُمَّ اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم» والتي فُسرَت بمثل شرب الخمر(١). «اللَّهُمَّ اغفر لي الذنوب التي تورث الندم» التي فُسرَت بقتل النفس المحترمه(٢).

ومثل هتك العصم والندم وحبس الدعاء لا يناسب الآخرة، بل هي من شؤون عالم الدنيا، ولا أقلّ من حبس الدعاء، فإنّ الآخرة دعاؤها لأهلها غير محجوب، وأمّا غيرهم فلا ينفع.

وهناك فوائد تربويه للمصائب لا يمكن التغافل عنها بحالٍ من الأحوال، وإليك الحديث عنها:

الفوائد التربويه للمصائب:

فالبلايا والمصائب إذا لم تواجه الإنسان، والمشاكل إذا لم تعتره، لا تتفتح طاقاته ولا تنمو.

ومن فوائدها العظيمة أنّها جرس إنذار؛ لأنّ الإنسان يغفل عن حقيقته وينسى ضعفه و فقره بمجرد أن ترقى حالته، ولذا يقول البارى عزّ وجلّ: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ \* أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى) ٣/.

ص: ٣٨٨

١- (١) انظر: معانى الأخبار: ص ٢٧٠. الكافي: ج ٢، ص ٤٤٨، ح ١. غده الداعي: ص ١٩٩. وسائل الشيعه: ج ١٦، ص ٢٨١ - ص ٢٨٢ ضمن حديث ٨. بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٣٧٥، ح ١٢، عن المعانى.

٢- (٢) انظر: الكافي: ج ٢، ص ٤٤٨، ح ١. علل الشرائع: ج ٢، ص ٥٨٤، ح ٢٧. الاختصاص: ص ٢٣٨. معانى الأخبار: ص ٢٦٩، ح ١. وسائل الشيعه: ج ١٦، ص ٢٧٤، ح ٣. بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٣٧٤، ح ١١، عن العلل، و ج ١٠١، ص ٣٧٣، ح ١٩، عن العلل أيضاً.

وأَمَّا ثمراتها في حياة الأنبياء والأوصياء والصالحين فهي أُلطاف إلهية وشرط لوصولهم إلى المقامات العاليه في الآخرة، قال تعالى: (حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا...) ١.

وما ورد من الروايات في أنّ للعبد مقاماً ومنزلةً عند الله لا ينالها إلاّ بالبلايا والمصائب إلى غير ذلك (١).

ولذا فقد ورد في الحديث، أنّه عندما دخل على بن الحسين عليه السلام على يزيد بن معاوية، نظر إليه يزيد وقال: يا علي، ما أصابكم من مصيبه فيما كسبت أيديكم (إشاره إلى أنّ مأساه كربلاء هي نتيجة أعمالكم).

إلا أنّ الإمام عليه السلام أجابه مباشرة: «كلا ما نزلت فينا، إنّما نزل فينا، (ما أصاب من مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \* لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا من أمر الدنيا ولا نفرح بما أوتينا» (٢).

فعلى الحسين فليبك الباكون ويضج الضاجون ويعج العاجون؛ لأنّه ليس من أمر الدنيا. نعم، ولمثل الحسين فلتُدرف الدموع (٣).

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «بكى عليّ بنُ الحسين عشرين سنه، وما وضع بين يديه طعام إلاّ بكى، حتّى قال له مولاه: جعلت فداك يا بن رسول الله، إنّى أخاف أن تكون من الهالكين، (قال إنّما أشكوا بئى وحرزى إلى الله و أعلم من الله ما لا تعلمون)، إنّى لم

ص: ٣٨٩

١- (٢) الإلهيات: ص ١٧٨ - ص ١٨٠.

٢- (٣) تفسير الأمثل: ج ١٥، ص ٥٣٦.

٣- (٤) من دعاء النُذبه، انظر: بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ١٠٧.

أذكر مصرع بنى فاطمه إلا وخنقتنى العبره» (١).

وفى ذات يوم دخل عليه أبو حمزه الثمالى وسأله عن بكائه قائلاً: سيدى ما هذا البكاء والجزع؟ ألم يُقتل عمك حمزه؟ ألم يُقتل جدك على بالسيف؟ (سيدى): إنَّ القتل لكم عادة وكرامتكم من الله الشهاده. فقال له الإمام عليه السلام: «شكر الله سعيك يا أبا حمزه، كما ذكرت، القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهاده، ولكن يا أبا حمزه، هل سمعت أذناك أم رأيت عيناك أنَّ امرأه منَّا سبت وهتكت قبل يوم عاشوراء؟ والله يا أبا حمزه، ما نظرت إلى عماتى وأخواتى إلا وذكرت فرارهن فى البيداء من خيمه إلى خيمه ومن خباء إلى خباء، والمنادى ينادى أحرقوا بيوت الظالمين» (٢).

\*\*\*

(فايزى)

كلبى يبو حمزه تراهو اتفطر وذاب مثل المصيبه اللى دهتنى محد انصاب

ذيج الأقمار اللى ابمنازلنه يزهرون والليل كله من العباده ما يهجعون

سبعه وعشره عاينتهم كلهم أغصون فوگك الوطيه مطرّحين ابحر الاتراب

ص: ٣٩٠

١- (١) كامل الزيارات: ص ٢١٣، باب بكاء على بن الحسين عليهما السلام، ح ١. أمالى الشيخ الصدوق: ص ٢٠٤. الخصال: ص ٢٧٢ - ص ٢٧٣، ضمن حديث ١٥. روضه الواعظين: ص ١٧٠. مكارم الأخلاق: ص ٣١٦. مناقب آل أبى طالب: ج ٣، ص ٣٠٣. كشف الغمّه: ج ٢، ص ١٢١. بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ١٥٥، ح ١، عن الخصال وج ٤٦، ص ١٠٨، ح ١، عن المناقب، وج ٧٩، ص ٨٦ - ص ٨٧، ح ٣٣، عن الخصال.

٢- (٢) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ١، ص ١٠٣ - ص ١٠٥.



اولوشفت جسم اللى على امسناه مطروح وذاك الشباب اللى بصبح العرس مذبوح

اولوشفت الأكبر مالمتنى ابكثره النوح ما خلتنه كربله شيب ولا شاب

بعينى نظرت احسين بيده الطفل منحور وأمه الرباب اتعاينه وادموعها اتفور

وكلوبنه فتها بونينه او عينه إدور وكلما طلع منه بدر للمعركه غاب

ومصبيه اللى هيجت حزنى على عاينت صدر احسين تحت الأعوجيه

اوحركوا خيمنه اوسيروا زينب سبيه شحجى يبو حمزه اوشعدد من هالمصاب

ما نكست راسى لجل ذيج الصناديد ما كصروا بالغازيه زلزلوا البيد

نكسه الراسى ادخول زينب مجلس يزيد حسره او من نوح اليتامه راسها شاب

هذه زينب ومن قبل كانت بفنا دارها تحط الرحال

\*\*\*

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

ص: ٣٩١









(عاشورى)

يحسين خويه اشيو جمعك گول او من يا جرح ياخوى معلول  
لونا شدونه الناس شنگول يا لچنت سور اوسيف مسلول  
وسافه اعله حگك تمسى مچتول مرمى او عليك اتجول الخيول  
تمنيت الك من هاشم اشبول يشوفون جسمك فوگ الرمولى  
ولكن سلنى ما حال النسوه والأطفال بعد مصرع حُما تهم:

(بحر طويل أو تغريد الحزين)

يفترن خوات احسين من خيمه لعد خيمه او كلّ خيمه تشب ابنا رذن ضربن الهيمه  
ينخن وين راحوا وين ماكو بالعده شيمه والسجاد اجو سجبوه اودمعه اعلى الوجن ساله

\*\*\*

(نعى مجاريد)

فزن او كلّ وحده ابمشيها تتعثر او تندب وليها  
وأطفالها تبجى إلبجها وسياط أميه اذك عليها

\*\*\*

روى عن إمامنا الصادق عليه السلام أنه قال:

«ثلاثة لا تعرف إلا فى ثلاث مواطن؛ لا يعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا أخ إلا عند الحاجة» (١).

ص: ٣٩٤

الشجاعه من المعاني العظيمه، فالشجاعه هي قوه القلب والإقدام والجرأه والصبر في وقت الشده، وقد تكون الشجاعه باللسان، وقد تكون باليد، وقد تكون بالبنان، كأن يكتب الإنسان شيئاً يظهر فيه حقيقه من الحقائق الخطيره ولو كانت لا ترضى القوم بل تسخطهم، وهي تحتاج إلى التحديد وإلا إذا زادت عن حدها انقلبت إلى التهور، وبخلاف ذلك ما لو نزلت عند الإنسان صفه الشجاعه إلى دون المتعارف، فسوف يكون الإنسان جباناً، وهكذا الحال في باقي الصفات، فكل صفه لها حد معين، فالكرم - مثلاً - إذا زاد عن حده الطبيعي المناسب لشأن الإنسان سوف يكون إسرافاً وتبذيراً، وإذا نزل دون المتعارف سوف يكون بخلاً، وهكذا الحال في الصفات الباقية. إلا أن هناك آفه للشجاعه، كما في باقي الصفات أيضاً، فإن لكل شيء آفه، كما روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بيان آفه القوه والشجاعه، حيث قال: «وآفه القوي استضعاف الخصم، وآفه الشجاعه إضاعه الحزم» (١).

ثم إن هناك عدّه صفات تلازم الشجاعه منها:

الأول: الصدق

فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لو تميّزت الأشياء لكان الصدق مع الشجاعه، وكان الجبن مع الكذب» (٢).

ولذا ترى الإنسان الشجاع لا يكذب؛ لأنّ الإنسان إنّما يكذب بسبب جبنه، وإلا فما الداعي ليخفي الإنسان الحقائق؟ ليس هناك سبب سوى أنه يخاف من الحقيقه، أو أنّها لا تصبّ في مصلحته، إلى غير ذلك ممّا هو معلوم بالبدهاه.

الثاني: السخاء والكرم

الشجاع تجده كريم النفس وسخى اليد عادة؛ لأنه لا يخاف من الفقر ولا يخشى منه؛

ص: ٣٩٧

١- (١) عيون الحكم والمواعظ: ص ١٨٢.

٢- (٢) عيون الحكم والمواعظ: ص ٤١٧.

ولذا يقدم على السخاء والجود.

الثالث: قول الحقّ وطاعه الله

وهاتان من أهمّ الصّيفات التي ينبغي أن تلازم الشجاعه، وهى أن يكون الإنسان قويّاً وشجاعاً فى قول الحقّ مطيعاً لله تبارك وتعالى.

ومن هنا روى عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بقوم يرفعون حجراً، قال ما هذا؟ قالوا: نعرف بذلك أشدنا وأقوانا. فقال صلى الله عليه وآله: «ألا أخبركم بأشدكم وأقواكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أشدكم وأقواكم الذى إذا رضى لم يدخله رضاه فى إثم ولا باطل، وإذا سخط لم يخرج سخطه من قول الحقّ، وإذا قدر لم يتعاط ما ليس له بحق» (١).

وحرى بالإنسان الشجاع أن يكون عنده هدف مقدّس، وغايه نبيله، ونّيه خالصه لله تبارك وتعالى، وأن يكون الإنسان الشجاع مشخّصاً للهدف الإلهى حتّى يعطى ثوابها، ويختتم لصاحبها بالشرف الرفيع، قال المتنبى:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتّى يراق على جوانبه الدّم (٢)

فقول الحقّ وطاعه الله تبارك وتعالى صفتان تلازمان الشجاعه الحقيقيه التي يريدّها الله تبارك وتعالى، حتّى روى: «حقّ عند سلطان جائر» أو «أنّ من أعظم الجهاد كلمه عدل عند سلطان جائر» (٣).

ص: ٣٩٨

١- (١) أمالى الشيخ الصدوق: ص ٧٢، ح ٣١. معانى الأخبار: ص ٣٦٦. روضه الواعظين: ص ٣٧٩. مشكاه الأنوار: ص ٧٢. وسائل الشيعه: ج ١٥، ص ٣٦١، ح ١٤. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٨، ح ١٦، عن معانى الأخبار. ويوجد فى المصادر اختلاف يسير، كالاختلاف فى كلمه (يرفعون حجراً) أو (يربعون) أو (يتشايلون) أو (يريعون) بمعنى يرفعون فراجع.

٢- (٢) شرح نهج البلاغه: ج ٣، ص ٢٦٨. شرح أصول الكافى: ج ١، ص ١٩٤.

٣- (٣) عوالى اللئالى: ج ١، ص ٤٣٢. مسند أحمد: ج ٣، ص ١٩. سنن ابن ماجه: ج ٢، ص ١٣٢٩. سنن أبى داود: ج ٢، ص ٣٢٥، ح ٤٣٤٤. تفسير التبيان: ج ٢، ص ٤٢٢. تفسير مجمع البيان: ج ٢، ص ٢٦٣.



هذه هي الشجاعه التي امتلكتها حتى نساء المسلمين، حُكى أنه خرج الحجاج يوماً ما إلى الصَّحراء والتقى بجاريه عربيّه، فقال لها: هل تحفظين القرآن؟

قالت: نعم، وبدأت تقرأ: إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يخرجون من دين الله أفواجاً.

فغضب الحجاج، وتلاها صحيحه وقال لها: لقد حرّفت الآيه، إنها: (وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا) ، وليس يخرجون من دين الله.

فقالت له: كان ذاك في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، أما في عهدك فهكذا يخرج الناس من الدين بسبب أعمالك»(١).

هذه مرتبه عاليه من الشجاعه في أن تواجه امرأةً والياً فضّاً غليظاً ليس عنده إلا لغه النطع والسيف.

وصفه الشجاعه برزت وبشكل مثير للانتباه في أمير المؤمنين عليه السلام حتى شهد بها العدو قبل الصديق - والفضل ما شهدت به الأعداء - فقد ظهر منه عليه السلام من الشجاعه ما حير العقول، وأذهل النفوس في مواطن عديده وكثيره بين يدي الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في يوم بدر، والذي كان بعد مرور ثمانية عشر شهراً من قدوم النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينه المنوره، تلك الوقعه حصلت فيها المعجزات وكانت تعتبر المعركه الأولى والكبرى بالنسبه للمسلمين، قال تعالى فيها: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ) ٢ .

وبعد أن انهزم المشركون فيها أخذوا يعدّون العده والعدد - كردّ فعل لما أصابهم في بدرٍ - ليُرجعوا إلى وجوههم الماء الذي أريق منها في معركه بدر، فتجمّعوا وبدلوا الأموال وجيشوا الجيوش، وتولّى ذلك أبو سفيان بنفسه، وقصدوا النبي صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام

ص: ٣٩٩

بالمدينة، فخرج النبي بالمسلمين، ودخل النفاق والشك والريب بين جماعه منهم، فرجع ما يقارب من ثلثهم إلى المدينة، وبقي النبي صلى الله عليه وآله في سبعائه من المسلمين، وحصلت الهزيمة وانكسر جيش المسلمين، ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله إلا نفر قليل يتزعمهم أمير المؤمنين عليه السلام.

وذكر أهل السير قتلى أحد من المشركين، فكان جلُّ جمهورهم مقتولين بسيف أمير المؤمنين عليه السلام، وكان الفتح له، وسلامه رسول الله صلى الله عليه وآله من المشركين بسبب سيفه عليه السلام (1).

ثم حصلت معركة الخندق وخلصتها: أن جماعه من اليهود جاؤوا إلى أبي سفيان - لعلمهم بعداوتة للنبي صلى الله عليه وآله - وسألوه المعونه فأجابهم وجمع لهم قريشاً وأتباعهم من كنانة وتهامه وغطفان وأتباعها من أهل نجد، وأتفق المشركون مع اليهود وأقبلوا بجمعٍ عظيمٍ فاشتد الأمر على المسلمين، فحفر المسلمون خندقاً وخرج النبي صلى الله عليه وآله بالمسلمين وهم ثلاثه آلاف، والمشركون مع اليهود يزيدون على عشرة آلاف، وجعلوا الخندق بينهم وبين المسلمين، وركب عمرو بن عبد ود ومعه فوارس من قريش، وأقبلوا حتى وقفوا على أضيق مكان في الخندق، ثم ضربوا خيلهم فاقتحمت وصاروا بين الخندق والمسلمين فخرج إليهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال عمرو: «هل من مبارز؟» قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا»، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: «إنه عمرو» فسكت، ونادى عمرو: «هل من مبارز؟» فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا له يا رسول الله»، فقال صلى الله عليه وآله: «إنه عمرو»، فسكت، ونادى عمرو ثلثه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا له يا رسول الله» فقال صلى الله عليه وآله: «إنه عمرو». وكل ذلك يقوم على عليه السلام فيأمره النبي صلى الله عليه وآله بالثبات انتظاراً لحركه غيره من المسلمين، هذا وهم يسمعون كلام النبي صلى الله عليه وآله ونداء عدو الله وعدو رسوله صلى الله عليه وآله، وطال نداء عمرو وهو يطلب المبارزه وتتابع قيام أمير المؤمنين عليه السلام، فلما لم يقدم أحد من الصحابه قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «ادن مني يا علي»، فدنا منه، فنزع عمامته عن رأسه وعممه بها، وأعطاه سيفه،

ص: ٤٠٠

وقال: «امضِ لشأنك». ودعا له، ثُمَّ قال: «برز الإيمان كَلِّهِ إلى الشرك كَلِّهِ».

فدنا أمير المؤمنين عليه السلام نحو عمرو حتَّى انتهى إليه فقال له: «يا عمرو، إنَّك كنت تقول: لا- يدعوني أحد إلى ثلاثٍ إلَّا قبلتها، أو واحده منها»، فقال عمرو: أجل، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إني أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ مُحَمَّدًا رسول الله، وأنَّ تسلم لربِّ العالمين»، قال عمرو: آخر هذه عنى، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أما أنَّها خير لك لو أخذتها»، ثُمَّ قال عليه السلام: «ههنا أُخرى»، قال: وما بقى؟ قال عليه السلام: «ترجع من حيث أتيت»، قال: لا تتحدَّث نساء قريش عنى بذلك أبداً، قال عليه السلام: «فها هنا أُخرى»، قال: وما هى؟ قال عليه السلام: «أبارزك أو تبارزنى»، فضحك عمرو وقال: إنَّ هذه الخصلة ما كنتُ أظنُّ أحداً من العرب يطلبها منى، وأنا أكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، وقد كان أبوك نديماً لى، فقال على عليه السلام: «وأنا كذلك، لكننى أُحِبُّ أن أقتلك ما دمت أبياً للحقِّ»، فحمى عمرو ونزل عن فرسه وضرب وجهه حتَّى نفر، وأقبل على أمير المؤمنين عليه السلام مسلطاً سيفه وبادره بضربه فلبث السيف فى ترس على عليه السلام وضربه أمير المؤمنين عليه السلام.

قال جابر بن عبد الله الأنصارى رحمه الله: فتجاولا وثارَت بينهما غُبْره، وبقيَا ساعه طويله لم نرهما ولا سمعنا لهما صوتاً، ثُمَّ سمعنا التكبير، فعلمنا أن علياً عليه السلام قد قتل عمراً، وشيَّرَ النبي صلى الله عليه وآله سروراً عظيماً لما سمع صوت أمير المؤمنين عليه السلام بالتكبير وكبر وسجد لله تعالى شكراً، وانكشف الغبار وعبر أصحاب عمرو الخندق وانهمز عكرمه بن أبى جهل وباقي المشركين، وكانوا كما قال الله سبحانه وتعالى: (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا... ١).

هذا فيض من غيظ، وقطره من بحر شجاعه أمير المؤمنين عليه السلام، وما لم نذكره أكثر بكثير ممَّا ذكرناه. فأصبحت بيوت مشركى قريش تطلب الثأر من أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنه لم

يترك بيتاً إلا وقد وترهم بواحد منه فأخذوا يتحِينون الفرصه به عليه السلام إلى أن جاء الموعد المحدد الذي رسمه أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك في ليله التاسع عشر من شهر رمضان. أتى أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن صَلَّى المغرب وما شاء من النفل ليفطر، وكان يفطر ليله عند الحسن، وليله عند الحسين، وليله عند عبد الله بن جعفر، فقدّمت إليه ابنته أم كلثوم (زينب) قرصين من شعير، وقصعه فيها لبن وجريش ملح، فقال لها: «قدّمتِ أدامين في طبق واحد، وقد علمت أنّي متبّع ما كان يصنع ابن عمّي رسول الله صلى الله عليه وآله، ما قدّم إليه أدامان في طبق واحد حتّى قبضه الله إليه مكرماً، ارفعى أحدهما فإنّ من طاب مطعمه ومشربه طال وقوفه بين يدي الله»، فرفعت اللبن الحامض بأمر منه، ثمّ أكل قليلاً وحمد الله كثيراً، وأخذ في الصلاة والدعاء إلى أن غفت عيناه فاستيقظ وقال لأولاده: «رأيت النبي صلى الله عليه وآله فشكوت إليه ما أنا فيه من التبلد بهذه الأمّه فقال لي: ادع عليهم فإنّ الله تعالى لا يرد دعاءك، فقلت: اللّهُمّ أبدلني بهم خيراً وأبدلهم بي شراً». وكان عليه السلام يكثر الدخول والخروج وينظر إلى السماء ويقول: «هي والله الليله التي وعدنيها حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله». وكان يكثر من قوله: «لا حول ولا قوه إلا بالله»

العلی العظیم»، حتّی ذهب بعض اللیل تُثمّ جلس للتعقیب فهوّدت عیناه وهو جالس، تُثمّ انتبه مرعوباً فقال لأولاده: «إنّی رأیت رؤیا أهالنتی وأرید أن أقصّها علیکم»، قالوا: وما هی؟ قال: «إنّی رأیت الساعه رسول الله صلی الله علیه و آله فی منامی وهو یقول: یا أبا الحسن، إنّک قادم علینا عن قریب یجیء إلیک أشقاها فیخضّب شیتک من دم رأسک، وأنا والله، مشتاق إلیک وإنّک عندنا فی العشر الأواخر من شهر رمضان، فهلمّ إلینا فما عندنا خیر لک وأبقی» فلمّا سمع أولاده کلامه ضجّوا بالبکاء والنحیب وأبدوا العویل، فأقسم علیهم بالسکوت فسکتوا تُثمّ عاد إلی البکاء من خشیه الله والتضرّع والعباده.

تقول أمّ کلثوم: «سمعتّه یقول - بعد ما نظر إلی الکواکب -: والله، ما کذبتُ ولا کذّبتُ وإنّها اللیله التی وعدتُ بها. إنّنا لله وإنّا إلیه راجعون، ولا حول ولا قوّه إلاّ بالله العلی العظیم»، وصلى على النبی صلی الله علیه و آله واستغفر الله کثیراً، فلمّا رأیته کذلک قلقاً متملماً أرقت معه لیلتی، وقلت: «یا أبتاه، ما لی أراک هذه اللیله لا تذوق طعم الرقاد؟ قال: یا بنیه، إنّ أباک قتل الأبطال وخاض الأهوال وما دخل الخوف له جوفاً، وما دخل قلبی رعب أكثر ممّا دخل فی هذه اللیله. تُثمّ قال: إنّنا لله وإنّا إلیه راجعون». فقلت: «یا أبتاه، ما لک تنعی نفسک هذه اللیله؟ قال: یا بنیه، قد قرب الأجل وانقطع الأمل».

تقول أمّ کلثوم: «فبکیت، فقال لی: یا بنیه، لا تبکی فإنّی لم أقل ذلك إلاّ بما عهد إلیّ النبی صلی الله علیه و آله. تُثمّ قال: یا بنیه، إذا قرب الأذان فأعلمینی. فجعلت أراقب الأذان، فلمّا لاح الوقت أتیته ومعی إناء فی ماء، فأسبغ الوضوء وقام ولبس ثیابه، وفتح الباب ونزل إلی الدار، وكان فی الدار إوز قد أهدى إلی أخویّ الحسن والحسین، فلمّا نزل خرجن وراءه ورفرفن وصحن فی وجهه ولم یکنّ قد صحن فی وجهه من قبل، فقال علیه السلام: لا إله إلاّ الله، صوائح تتبعها نوائح وفی غداه غدٍ یظهر القضاء. فلمّا وصل إلی الباب وعالجه لیفتحه تعلّق مئزره بالباب فانحلّ حتّی سقط، فأخذه شدّه وهو یقول:

أشدد حیازیمک للموت فإنّ الموت لاقیکا

ولا تجزع من الموت إذا حلّ بنا دیک

كما أضحکک الدهر کذاک الدهر بیکیا»

تُثمّ فتح الباب وخرج متوجّهاً إلی المسجد، وكان عدو الله ابن ملجم متخفياً فی بیوت الخوارج بالکوفه یتحین الفرصه بأمر المؤمنین علیه السلام، وقد اتفقت معه قطام أنّه إذا قتل علیاً تتزوجه؛ لأنّ ذلك یشفی غلیلها ویطفی جمره غیظها، حیث إنّ أمير المؤمنین علیه السلام قتل أباه وأخاه فی النهروان. وانبری لمساعدته ابن ملجم شخصان آخران من الخوارج هما: شیب بن بجره، ووردان بن مجالد، واتفقوا جمیعاً علی أن تكون لیله التاسع عشر لیله اغتیال الإمام علیه السلام، فجاء ابن ملجم (لعنه الله) إلی المسجد ونام مع الناس مُخفياً سیفه تحت إزاره، ولما وصل الإمام إلی المسجد صلی رکعتین، تُثمّ صعد المئذنه فأذن، تُثمّ نزل وهو یُسبّح الله

ويكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، وكان من عاداته أنه يتفقد النائمين في المسجد، وهو يقول: «الصلاة يرحمك الله، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر»، حتى وصل إلى ابن ملجم (لعنه الله) وهو نائم على وجهه، فقال له: «يا هذا، قم من نومك فإنها نومه يمقتها الله، وهي نومه الشياطين». ثم أتجه نحو المحراب يصلي، وكان يطيل الركوع والسجود في صلاته، فقام الشقي ابن ملجم حتى وقف يإزاء الأسطوانة التي يصلي عندها الإمام، فأمهله حتى ركع وسجد السجدة الأولى ورفع رأسه منها، فتقدم اللعين وأخذ السيف وهزه، ثم ضرب الإمام عليه السلام على رأسه الشريف فوقع الإمام على وجهه قائلاً: «بسم الله وبالله وعلى مله رسول الله». ثم صاح: «فزت ورب الكعبة، قتلني ابن اليهوديه».

(نصارى)

بالمحراب اويلي طاح أبو احسين اودم الراس يتفايض على العين

يوم الطاح أبو الحسين مجروح ثار اصياح لهل العرش بالنوح

طبره اشلون طبره تشعب الروح تشوف السم اودم الراس لونين

أجركم الله، فاصطفقت أبواب الجامع، وضجت الملائكة في السماء، وهبت ريح عاصفه سوداء مظلمه، ونادى جبرئيل بين السماء والأرض بصوت يسمعه كل مستيقظ: «تهدمت والله أركان الهدى، وانطمست والله نجوم السماء وأعلام التقي، وانفصمت والله العروة الوثقى، قتل ابن عم المصطفى، قتل الوصي المجتبي، قتل علي المرتضى، قتل سيد الأوصياء، قتله أشقى الأشقياء»، فلما سمعت أم كلثوم نعي جبرائيل لطمت على وجهها وخذها، وصاحت واأبتاه وا عليها.

(فايزى):

الله يالناعى إفجعت كلبى اومردته يا ريت صوتك لا على مرّ اوسمعته

ص: ٤٠٤

چن عودی ماتمم ابمحرابه سجده الله يالناعى افجعته ابهذا المصاب

گلهها یویلی راح أبوج اوهلی العین صابه المرادی ابسیفه اوطر راسه نصین

من سمعته صاحت یخویه حسن واحسین وموا لبونه اتلاحگوا بالمسجد انصاب

فخرج الحسنان إلى المسجد وهما يناديان: «وا أبتاه! وا عليها! ليت الموت أعدمنا الحياه»، حتى وصلا إلى المسجد، وإذا بالإمام في محرابه والدماء تسيل من رأسه على وجهه وشيئته، فتقدم الحسن عليه السلام وصلى بالناس وصلى أمير المؤمنين عليه السلام إيماءً من جلوس، وهو يمسح الدم من وجهه وكريمته، يميل تاره ويسكن تاره أخرى، والحسن ينادى: «وا انقطاع ظهراه، يعز علي أن أراك هكذا»، ثم شاع الخبر في الكوفة، فهرع الناس رجالاً ونساءً حتى المخدرات خرجن من خدورهن إلى الجامع، وهم ينادون: وا إماماه! قتل والله إمام عابد مجاهد لم يسجد لصنم، كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، فدخل الناس إلى المسجد، فوجدوا الحسن ورأس أبيه في حجره، وقد شد الضربه وهي لم تزل تشخب دمًا، ووجهه قد زاد بياضاً بصفرة، وهو يرمق السماء بطرفه ولسانه يسبح الله ويوحده، ثم أمر أن يحملوه من ذلك المحراب إلى موضع مصلاه في منزله.

قال محمد بن الحنفية: فحملناه إليه والناس حوله، وهم في أمر عظيم باكون محزونون قد أشرفوا على الهلاك من شدة البكاء والنحيب، وكان الحسين عليه السلام يبكي ويقول: «وا أبتاه، من لنا بعدك، ولا يوم كيومك إلا يوم رسول الله صلى الله عليه وآله» (١).

ص: ٤٠٥

١- (١) انظر: بحار الأنوار: ج ٤٢، ص ٢٧٤. الإمامه والسياسة: ج ١، ص ١٧٩ - ص ١٨٢.

وكأني بزئب لَمَا نظرت إلى أمير المؤمنين وهو محمول على الأكتاف نادت: وا أبتاه، وا عليها!

(مجاريد)

ونت اونادت يلمجبلين هلشايلىنه اوياكم امنين

أسمع هضل وصياح صوبين خوفى انچتل عودى يطييين

لمن سمعها الحسن وحسين صاحوا يزئب زىدى الونين

أبوچ انطبر والراس نصين صاحت اوهلت دمه العين

يا عيد الكشر علمسلمين عگبک يويه اوجوهنا وين

\*\*\*

(أبوزيه)

اشلون اللى رسول الله وصابه(١) عليه سل سيفه المرادى وصابه

على امصابه الدمع سيله وصابه مثل ما سال دمه اعلى الوطيه

\*\*\*

شهر الصيام به الإسلام قد فُجعا وفى رزيتيه قلب الهدى انصدعا

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

ص: ٤٠٦

١- (١) معنى (وصابه) هنا أى أنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله وصّى بأمر المؤمنين عليه السلام؛ وذلك فى مواطن عديده  
لا- يسع المجال لذكرها، ومنها - لا على سبيل الحصر -: «حربٌ علىّ حربى، وسلمٌ علىّ سلمى»، و «مَن كنت مولاه فهذا على



مولاه، اللهم والِ مَنْ والاه وعادِ مَنْ عاداه وانصر مَنْ نصره واخذل مَنْ خذله» إلى غير ذلك.

## المحاضره الثالثه والثلاثون: آيه الولايه

ص: ٤٠٧



لَيْسَ الْإِسْلَامُ أِبْرَادَ السَّوَادِ يَوْمَ أَرْدَى الْمُتْرَضِي سَيْفُ الْمُرَادِي  
لَيْلَهُ مَا أَصْبَحَتْ إِلَّا وَقَدْ غَلَبَ الْغَيُّْ عَلَى أَمْرِ الرَّشَادِ  
وَالصَّلَاحُ انخَفَضَتْ أَعْلَامُهُ فَغَدَتُ تُرْفَعُ أَعْلَامُ الْفَسَادِ  
مَا رَعَى الْغَادِرُ شَهَرَ اللَّهِ فِي حُجَّهِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ الْعِبَادِ  
وَبَيْتِ اللَّهِ قَدْ جَدَّلَهُ سَاجِداً يَنْشِجُ مِنْ خَوْفِ الْمَعَادِ  
يَا لِيَالٍ أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا سُورَ الذِّكْرِ عَلَى أَكْرَمِ هَادِ  
مُحِيَتْ فِيكَ عَلَى رِغْمِ الْهُدَى آيَةٌ فِي فَضْلِهَا الذِّكْرُ يُنَادِي  
قَتْلُوهُ وَهُوَ فِي مَحْرَابِهِ طَاوَى الْأَحْشَاءِ مِنْ مَاءٍ وَزَادِ  
سَلِّ بَعِينِيهِ الدُّجَى هَلْ جَفَّتَا مِنْ بُكَاءٍ أَوْ ذَاقْنَا طَعْمَ الرُّقَادِ  
وَسَلِّ الْأَنْجُمَ هَلْ أَبْصَرْنَاهُ لَيْلَهُ مُضْطَجِعاً فَوْقَ الْوَسَادِ  
وَسَلِّ الصَّبْحَ أَهْلَ صَادَفَهُ مَلٌّ مِنْ نَوْحِ مَذِيبٍ لِلْجَمَادِ  
وَهُوَ لِلْمَحْرَابِ وَالْحَرْبِ أَخٌ فَجِئْنَا النَّوْمَ عَلَى لَيْنِ الْمَهَادِ  
نَفْسُهُ الْحَزَّةُ قَدْ عَرَّضَهَا لِلضُّبَا الْبَيْضِ وَلِلسَّمْرِ الصَّعَادِ  
سَلْبُوهَا وَهُوَ فِي غِرَّتِهِ حَيْثُ لَا حَرْبٌ وَلَا قَرْعٌ جَلَادِ  
عَاقِرُ النَّاقَةِ مَعَ شَقْوَتِهِ لَيْسَ بِالْأَشْقَى مِنَ الرَّجْسِ الْمُرَادِي  
فَلَقَدْ عَمَّ بِالسَّيْفِ فَتَى عَمَّ خَلَقَ اللَّهُ طَرّاً بِالْأَيَادِي  
فَبَكَتُهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ مَعاً وَطَيُورُ الْجَوِّ مَعَ وَحْشِ الْبَوَادِي

وبكاه المأ الأعلى دماً وغدا جبريل بالويل يُنادى

هدمت والله أركان الهدى حيث لا من منذر فينا وهاد (١)

(موشح)

نوح يا ناعى اودمعتك سيلها اوصيح طاح الليث حامى ادخيلها

طاح والدنيا الفكداه مُظلمه أهل بيته تهل دمعتهم دمه

والأملاك اتنوح لجله بالسّمه اتبدل ابنوح اوبجه تهليلها

اتبدل التهليل منها بالعويل لجل أبو الحسنين حمّاي الدخيل

ويل كلبى من وكع دمه يسيل فيض المحراب وأشبه سيلها

فيض المحراب دمه اوهامته غدت نصين اوتحتت شيبته

اوضجت الأملاك كلّها الوكعته اوصاح وأعول بالسّمه جبريلها

صاح طاح الدين ركنه وانهدم اوراس أبو الحسنين نصين انجسم

\*\*\*

قال تعالى: (إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ) ٢ .

جاء فى تفسير مجمع البيان - وتفاسير وكتب أخرى - نقلاً عن عبد الله بن عباس أنه قال: إنه كان فى أحد الأيام جالساً إلى جوار بئر زمزم ويروى للناس أحاديث النبى صلى الله عليه و آله، فتقرّب إليهم - فجأه - رجلٌ كان يرتدى عمامه، ويضع على وجهه نقاباً، وكان كلّما تلا ابن عباس حديثاً عن النبى صلى الله عليه و آله قال هو حديثاً عن النبى. مستهلاً قوله بعبارة: «قال رسول الله...» فأقسم عليه ابن عباس أن يعرّف نفسه، فرفع هذا الشخص النقاب عن وجهه

ص: ٤١٠

١- (١) القصيده للسيد جعفر الحلى رحمه الله، وقد تقدّمت ترجمته فى المحاضرة الخامسة، فراجع.

وصاح: أيتها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا جندب بن جنادة البدرى أبو ذر الغفارى، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله بهاتين وإلا صيماً، ورأيت بهاتين وإلا فعميتا، يقول: «على قائد البرره وقاتل الكفره، منصور من نصره، مخذول من خذله» وأضاف أبو ذر: أما إنى صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً من الأيام صلاة الظهر، فسأل سائل فى المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء، وقال: اللهم اشهد بأنى سألت فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يعطنى أحد، وكان على أمير المؤمنين عليه السلام راکعاً، فأوماً إليه بخصره اليمنى، وكان يتختم فيها، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خصره وذلك بعين النبى صلى الله عليه وآله، فلما فرغ من صلاته رفع رأسه إلى السماء، وقال: «اللهم موسى سألك فقال: (قال رب اشرح لى صدرى \* ويسر لى أمرى \* واحلل عقده من لسانى \* يفقهوا قولى \* واجعل لى وزيراً من أهلى \* هارون أخى \* أشد به أزرى \* وأشركه فى أمرى) فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: (سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ مِائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَلِيكَ يَكْفِيكَ وَإِنَّا سَالِمُونَ إِلَيْكُمَا) اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك، اللهم فاشرح لى صدرى، ويسر لى أمرى، واجعل لى وزيراً علياً أشد به ظهري». قال أبو ذر رحمه الله: فما استتم رسول الله صلى الله عليه وآله كلامه حتى نزل جبرائيل من عند الله عز وجل فقال عليه السلام: يا محمد، اقرأ. قال: وما أقرأ؟ قال: اقرأ: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راکعون) ١.

وفى مصنفات بعض علمائنا: إن عمر بن الخطاب قام ووقف أمام النبى صلى الله عليه وآله وقال: يا رسول الله، أجاؤ هذا؟ إن على بن أبى طالب يعث فى صلاته، ويشير إلى السائل أن ينتزع الخاتم من يده - وأراد أن يسند إلى الإمام سيئه -؟ فقال النبى صلى الله عليه وآله: «والله الذى لا إله إلا هو إنه لجائز لعلنى أن يتصدق بالصلاه وهو فى حاله الركوع».

وفى ذلك اليوم العظيم - يوم الرابع والعشرين من شهر ذى الحجه المبارك، يوم

تصدَّق فيه أمير المؤمنين عليه السلام وفرض الله ولايته على جميع المسلمين والمسلمات فرضاً واجباً - قام حسان بن ثابت الأنصاري وقال: يا رسول الله، فداؤك أبي وأمي! أتأذن لي أن أنشد أبياتاً في هذه المناسبه؟

فقال صلى الله عليه وآله: «شأنك يا حسان»، فأنشد حسان تلك الأبيات التي اشتهرت بعد ذلك:

أبا حسنٍ تفديك نفسي ومُهجتى وكلُّ بطيء في الهدى ومُسارعٍ

أيذهبُ مدحى والمحبِّين ضائعاً وما المدحُ في ذاتِ الإلهِ بضائعٍ

أأنتَ الذي أعطيتَ إذ أنتَ راعٍ فدتك نفوسُ القومِ يا خيرَ راعٍ

بخاتمك الميمونِ يا خيرَ سيِّدٍ ويا خيرَ شارٍ ثمَّ يا خيرَ باعٍ

فأنزلَ فيك الله خيرَ ولايهِ وبيَّنهما في محكماتِ الشرائعِ (١)

ومما لا شك فيه أنَّ هذا الشعر صدر من حسان بن ثابت، فأنظر إليه بعين الإنصاف ماذا يقول:

فأنزلَ فيك الله خيرَ ولايهِ وبيَّنهما في محكماتِ الشرائعِ

وكانت القضية واضحةً بدرجة أنَّ حسان يقوم - وعلى البداهه - فيقرأ هذه الأبيات.

وقد وردت هذه الأبيات باختلافات طفيفة في كتب كثيرة منها: كتاب تفسير (روح المعاني) للآلوسي، وكتاب (كفايه الطالب) للكنجي الشافعي وكتب كثيرة أخرى (٢).

فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لا يُحصيها كتابٌ ولا كاتبٌ ولا شاعرٌ ولا مفوّه، لا يُحصيها إلا الله تبارك وتعالى.

ابتدأت هذه الآية بكلمه: (إنما) التي تفيد الحصر، وبذلك حصرت ولايه أمر المسلمين في ثلاثٍ هم: الله عزَّ وجلَّ، ورسوله صلى الله عليه وآله، والذين آمنوا وأقاموا الصلاة وأدوا الزكاة في

ص: ٤١٢

١- (١) كشف الغمّة: ج ١، ص ٣٠٧. شواهد التنزيل: ج ١، ص ٢٣٥ - ص ٢٣٦.

٢- (٢) انظر: تفسير الأمثل: ج ٤، ص ٤٩.

حاله الركوع فى الصلاة كما تقول الآيه: (إِنَّمَا وَلِيَّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) .

ولا شك فى أن الركوع المقصود فى هذه الآيه هو ركوع الصلاة، ولا يعنى الخضوع؛ للدلاله عليه من الروايات حيث ذكرت أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تصدق بخاتمه فى حال الصلاة وبالخصوص فى حال الركوع، كما ذكرنا ذلك فى سبب النزول فى صدر المحاضرته، ثم إن القوم اتفقوا على أن الذى أعطى خاتمه هو صهر رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يضرب سواء فسر الركوع بالركوع المصطلح، أم فسر بالخضوع والخشوع، أو غير ذلك.

ولو رجعنا إلى اللغة وعملية وضع الألفاظ للمعاني واستعمالها يكون استعمال الركوع فى معنى الخضوع والخشوع استعمالاً مجازياً يحتاج إلى قرينه؛ إذ المعنى الحقيقى للركوع هو الركوع الذى بمعنى الانحناء وطأه الرأس.

ثم إنهم قد أشكلوا على التصديق فى أثناء الركوع بما مفاده: تقولون بأن أمير المؤمنين عليه السلام إذا قام للصلاة يصل به الخشوع والخضوع إلى درجه أن المسلمين إذا أرادوا انتزاع سهم منه عليه السلام لا يستطيعون إلا فى وقت الصلاة، فإنه يذوب فى ذات الله، فكيف توجه إلى السائل وأعطاه الخاتم، أليس ذلك معناه أنه انصرف عن ذات الله وعظمته وجلاله حين التفاته إلى السائل وإشارته إلى الخاتم وغير ذلك (1).

وهذا الكلام لا قيمة له؛ لأن إعطاء الخاتم وهو فى الصلاة هو تنقل بين طاعه وطاعه أخرى، وهذا العمل - التصديق بالخاتم - بنفسه عباده ولم يخرج عن عنوان العباده والعبوديه.

ثم إن سماع صوت السائل والسعى لمساعدته لا يعتبر دليلاً على الانصراف والتوجه إلى النفس، بل هو عين التوجه إلى الله، ومن الضرورى أن نؤكد هنا ونقول: إن الذوبان فى التوجه إلى الله، ليس معناه أن يفقد الإحساس بنفسه، ولا أن يكون بدون إرادته، بل

ص: ٤١٣

١- (١) المستشكل هو الفخر الرازى فى تفسيره: ج ١٢، ص ٣٠ - ص ٣١، وغيره.



الإنسان بإرادته يصرف عن نفسه التفكير في أى شيء لا صلة له بالله تعالى(١).

كما لا شك أن كلمه (الولى) الواردة فى هذه الآيه، لا تعنى الناصر والمحب؛ لأنّ الولاية التى هى بمعنى الحب والنصره لا تنحصر فىمن يؤدّون الصّلاه ويؤتون الزكاه وهم راعون، بل تشمل كلّ المسلمين الذين يجب أن يتحابّوا فيما بينهم وينصر بعضهم البعض، حتّى أولئك الذين لا زكاه عليهم، أو لا يمتلكون - أساساً - شيئاً ليؤدّوا زكاته، فكيف يدفعون الزكاه وهم فى حاله الركوع؟! هؤلاء كلّهم يجب أن يكونوا أحبّاء فيما بينهم ينصر بعضهم البعض الآخر.

ومن هنا يتّضح لنا أنّ المراد من كلمه (ولى) فى هذه الآيه، هو ولاية الأمر والإشراف، وحقّ التصرّف والزعامه المادّيه والمعنويه، خاصّه وقد جاءت مقترنه مع ولاية النّبى صلى الله عليه وآله وولايه الله - تبارك وتعالى - حيث جاءت الولايات الثلاث فى جملة واحده.

وبهذه الصوره فإنّ الآيه تعتبر نصّاً قرآنيّاً يدلّ على ولاية وإمامه على بن أبى طالب عليه السلام للمسلمين(٢). هذا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أعطى الزكاه للسائل وهو راع، وأعطى رأسه لله وهو ساجد، والجود بالنفس أقصى غايه الجود.

ما حال الإمام فى مثل هذه الليله - ليله العشرين -؟! -

فى هذه الليله كان أمير المؤمنين عليه السلام فى داره بين أولاده وأهل بيته، إلّا أنّ الدماء كانت تنزف من رأسه الشريف.

يقول مُحمّد بن الحنفية: فبينما نحن فى ليله العشرين من شهر رمضان عند أبى على عليه السلام وقد سرى السمّ فى بدنه الشريف، وكان يُصلّى تلك الليله من جلوس، وهو يعزّينا بنفسه ويوصينا بما هو أهله، من أفعال الخيرات، واجتناب الشرور، ويكثر من ذكر الله تعالى

ص: ٤١٤

١- (١) تفسير الأمثل: ج ٤، ص ٥١.

٢- (٢) تفسير الأمثل: ج ٤، ص ٥١.

وقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

يقول الأصبغ بن نباته: «دخلت على الإمام فإذا هو مستند ومعصوب الرأس بعمامة صفراء قد نزف دمه، واصفرَّ وجهه، فما أدري وجهه أشدَّ صفره أم العمامه، فأكبتُّ عليه فقبلته وبكيت، فقال لي: لا تبك يا أصبغ فإنها الجنه.

قلت: جعلت فداك يا أمير المؤمنين، ثمَّ نظر الإمام إلى أولاده فرآهم تكاد أنفسهم تزهرق من النوح والبكاء، فجرت دموعه على خديه ممزوجه بدمه.

وقال عليه السلام: أتبكي عليّ؟ ابكيا كثيراً واضحكا قليلاً، أمّا أنت يا أبا مُحمّد، ستقتل مظلوماً مسموماً مضطهداً، وأمّا أنت يا أبا عبد الله، فشهيد هذه الأمه، وسوف تذبح ذبح الشاه من قفاك، وتُرض أعضاءك بحوافر الخيل، ويُطاف برأسك في ممالك بني أميه، وحريم رسول الله صلى الله عليه وآله تُسبى وأنّ لي ولهم موقفاً يوم القيامة».

وأقبلت إليه زينب وأمُّ كلثوم وهما يندبانه ويقولان:

من للصغير حتى يكبر؟ ومن للكبير بين الملا، يا أبتاه، حزننا عليك طويل، وعبرتنا لا تبرح ولا ترقأ.

فضجَّ من كان حاضراً بالبكاء، وفاضت دموع أمير المؤمنين عليه السلام على خديه، وهويقلَّب طرفه وينظر إلى أهل بيته:

ها ليله أبونه أمسى بشده او جرحه الذي ابراسه مضهده

والسم لعد جسمه تعدّه و ابروحه أشوفه ايلوج وحده

لونكم يخوتى تجعدونه او جرح ابراسه تشدونه

بهداى بس لا تلجمونه او شنهو اليهيسه اتساييلونه

بلجن اصوابه اتعالجونه او عيناك بس تغمض عيونه

الوادم بعد ما يعرفونه او عند الشدايد يخذلونه

وفى هذه الليله أحضر عنده عروه السلولى، وكان أعرف أهل زمانه بالطبّ، فذبح

شاه، وأخرج منها عرقاً فأدخله في جراحه الإمام ثم أخرجته وإذا عليه بياض الدماغ فقال الطبيب - بعد أن استعبر وبكى :-

إعهد عهدك يا أمير المؤمنين، فإنّ الضربه وصلت إلى الدماغ(١):

بس ما فحص جرحه طبيبه صاح اودمعتة عالخد سچيه

يشراف مکه اوفخر طيه امن الطبره والدکم الهييه

مسموم جسمه إبهالمصيبه عزّ النبي الهادي اوحيبه

وكانت بزينب تسأل أخاها الحسن عليه السلام عن أبيها عليه السلام وما قاله الطبيب:

ياحسن والدنه اوذخرنه

جرحه الطبيب اشگال عنهحين السمع منها المچنه

هل دمعتة اوظهره تحنهگال الجسم مسموم منه

امن الطبره يختى وحك جدرهاومن والدچ گطعى الظنه

(أبوزيه)

ولى امن الله على المخلوگك ينصاب اوراسه ابسيف أشقى الناس ينصاب

اومخه ويه الدمع عالعين ينصاب اوجرحه يعصبه حسين الشفيه ينصاب

\*\*\*

مُصابٌ قد لوى للدين جيداً وهدّ من الهدى رُكناً مشيداً

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُتْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ







ألا من هدَّ رُكْنَ المُسلمينا ومَن أَردى أميرَ المؤمنينا  
ومَن أدمى أبا حسنٍ عليّاً فحُضِبَ ويحه منه الجينا  
فكم قرّت لمقتله عيونٌ فلا قرّت عيون الشامتينا  
وكم قذيت عيون فيه ويلٌ لمن أقدى به تلك العيونا  
فللحسن الزكى عليه نوحٌ ويتبعه الحسينُ له أنينا  
وأضحت زينبٌ تبكى عليه وتتبعُ نعشه السامى حنينا  
ألا يا حاملين النعش مهلاً أراكم قد سرّيتم فى أبينا  
حملتُم فيه للإسلام طوداً ومِطعاناً وقرآناً مُبيناً  
فَمَن للوافدين إذا أناخوا ومَن يحمى نُغورَ المُسلمينا(١)

\*\*\*

(موشح)

إخلاف حيدر ياهو يتلگه الوفد ومنهو يحمى الثغر من خصم اليضد  
أگبت تمشى العقيله او مرّه تطيح بويه يا حيدر ييو الشيمه تصيح  
صدگ يا بويه ابنعش تصيح طريح گبل جسمك ريت ضم جسمى اللحد  
چم مصيه حزن راوانى الزمان امصاب جدى گبلک اوفگد أمى چان  
اوهذا يومک صار إلى شاهد عيان ابشده أحزانى اوچبدى المنمرد  
اوبعد عندى الرابعه سم الحسن الفرگته سباح الگلب يتيبسن

ص: ٤١٩

---

١- (١) نسبه شيخنا الأستاذ الشيخ مُحَمِّد سعيد المنصورى رحمه الله لبعض الشعراء ولم يذكره، ولم أعثر عليه رغم البحث الطويل فلله درّه وعلى الله أجره.

اوعدى يوم الطف او كبل الطف عسن ميتة أولا عيني لابن أمى تصد

اشلون أشوف احسين نايم على تراب جسمه عارى اوراسه من فوگك الحراب

اشلون أصدّ للنار تسعر بالأطناب اوبعد أبو اليمه اعليمن أعتمد

بويه والليله إمصابك يالعميد ما يخلى امن البچه عيني تهيد

ريت لا عشنه اويهل إعلينه عيد واحنه ما تمه يبيجى أعلى البعد

\*\*\*

إجه العيد ريته لا إجانه اولا بين اهلاله اسمانه

واحنه ابميا تمنه اوبجانه من المصاب اللى دهانه

البه انفگد منه حمانه بالعيد يتجدد عزانه

الحامى الحمه الخالى مچانه

\*\*\*

قال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) ١ .

العصمه ملكه إلهيه تمنع من فعل المعصيه والميل إليها مع وجود القدره على ذلك، وهى واجبه على من وجبت له الطاعه، وبيده مقاليد أمور الأُمَّه الدينيه والدينيه، وإلا احتاج إلى من يوجهه ويهديه، وتسبب فى نشر البدع والفتن، لجهله وكثره أخطائه، فالله عزّ وجلّ هو من يختار النبى والإمام؛ لأنّه أعلم بخلقه، ويريد الله عزّ وجلّ إتمام دينه وتوضيحه لمخلوقاته عن طريق أناس معصومين من الخطأ(١).

ومن هنا لا يمكن أن نلتزم أو يلتزم أى عاقل بأنّ يُلقى تعيين الإمام إلى الأُمَّه؛ لقصور إداركات البشر عن الوصول إلى الصحيح الواقعى وتمييزه من السقيم كذلك؛

ص: ٤٢٠



ولذا تجد أنّ البشر اليوم تارةً - وبحسب المنظار العلمى - يتوصّلون إلى نظريه، تعكف على دراستها الأجيالُ عشرات بل مئات السنين، وبعد فتره أخذت أعمار الأجيال ينكشف لهم بأنّها كانت خاطئه، ويؤتى بنظريه جديده على نقيض تلك الأولى، بل يُستهزأ بعقل وعلم كلّ إنسان ينتصر لتلك النظرية الأولى مع أنّ الأجيال عكفت عليها مئات السنين.

فالذى ينبغى أن يقال: إنّ الناس قاصرون وبكلّ ما تعطى هذه الكلمه من معنى عن إدراك ما ينفعهم واقعاً ممّا ليس كذلك، وهذا أمر يدركه العقل ولا يمكن لأى عاقل أن ينكره؛ لأنّه بالبديهى أشبه.

فالحاصل: لا بدّ أن يقع تعيين الإمام والخليفه من قبل الله تبارك وتعالى، فإذا عرفنا هذا فما هى المواصفات التى ينبغى أن يتّصف بها الإمام؟

وهذا السؤال واسع النطاق؛ إذ هناك من الصفات ماتعجز الأقلام عن ذكرها مع كونها من صفات الإمام، ولكنّ المهم هنا فى هذه المحاضرته بيان صفه مهمّه يجب أن يتّصف بها الإمام الخليفه بعد الرسول صلى الله عليه وآله، وهى صفه العصمه التى قد أشرنا إلى تعريفها إجمالاً.

ولنرجع إلى الآيه المباركه ولنبحث فيها، ولنرى هل تدلّ على العصمه أو لا؟ ولودلّت على العصمه يأتى السؤال الثانى وهو: فيمن نزلت؟ إلى غير ذلك.

إنّ التعبير ب (إنّما) - والذى يدلّ عادةً على الحصر - دليل على أنّ هذه المنقبه خاصّه بأهل البيت عليهم السلام، والمقصود من أهل البيت المذكورين فى الآيه القرآنيه هم خصوص أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله و آله دون أزواجه صلى الله عليه وآله، لأنّ كبار علماء العامه قد رووا فى غير صحيح من صحاحهم، ومنهم أبوداود فى صحيحه - على ما ذكره أفذاذ العلماء عنه - أنّه روى عن أم سلمه زوجة النبى صلى الله عليه وآله: أنّ هذه الآيه نزلت فى بيتها قالت: وأنا جالسه عند الباب، فقلت: يارسول الله، ألسنت من أهلٍ؟

فقال: «إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، إِنَّكَ مِنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ». قالت: وفي البيت رسول الله وعلِي وفاطمه والحسن والحسين عليهم السلام فجللهم بكساء، وقال: «اللَّهُمَّ هؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً»، وروى نحو هذا في أكثر كتبهم بطرق متعدده، وغيرها يُوجب التَّطْوِيلَ، وإنَّ دلالة هذه الآية على عصمتهم ظاهره لتفسير عامه المحققين والمفسرين (الرجس) في الآية بالذنب، ويُراد من (التطهير) الطهاره من السوء والعيب والقبايح.

والظاهر من سياق الآية والأحاديث التعميم لجميع القبائح والأرجاس، والإرادة الواردة في الآية في قوله تعالى (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ)، يراد منها الإرادة التكوينية، بمعنى أنَّ الله تبارك وتعالى أذهب عنهم الرجس تكويناً في تكوينهم عليهم السلام، لا أنَّ المقصود هو الإرادة التشريعية، بمعنى يجب عليهم أن يُطَهَّرُوا أنفسهم؛ وذلك لأنَّ هذا الوجوب لا ينحصر بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله لوضوح أنَّ كلَّ إنسان مكلف بتطهير نفسه، وأنَّ المطهِّر والمزكَّى لنفسه هو المفلح حقيقةً وواقعاً. وأمَّا الإرادة التكوينية فهي التي لا تتخلف عنهم؛ لأنها خُلقت في تكوينهم بخلاف الإرادة التشريعية، فقد يريد الله تبارك وتعالى التطهير بالإرادة التشريعية، لكن ما أكثر الذين لم يمثلوا لأوامر الله تبارك وتعالى.

إذن، فعصمتهم ثابتة، ومتى ما ثبتت عصمتهم لا يصحَّ منهم الكذب؛ لأنَّ المعصوم لا تصدر منه المعصية، والكذب معصية، بل من أكبر المعاصي، ومن المعلوم أنَّهم عليهم السلام قد ادَّعوا الإمامه فادَّعَاؤُهُمْ هذا لا بدَّ وأن يكون صدقاً وحقاً، وعليه فهم معصومون من الرِّجْسِ ومطهَّرون من الدنس، وهم الأئمة الهادون المهديون(١).

وقد يُقال: إنَّ الإرادة التكوينية توجبُ أن يكون ذلك جبراً.

والجواب: إنَّ المعصومين عليهم السلام لهم أهليه اكتسابيه عن طريق أعمالهم، ولهم لياقه ذاتيه ماهويه لهم من قبل الله تبارك وتعالى، يستطيعون من خلالها أن يكونوا أسوأ للناس.

ص: ٤٢٢

١- (١) انظر: عين الحياه: ج ١، ص ١٦٦.

وبتعبير آخر: إنَّ المعصومين - ونتيجة للرعايه الإلهيه وأعمالهم الطاهره - لا يقدمون على المعصيه مع امتلاكهم القدره والاختيار فى إتقانها تماماً، كما لا نرى عاقلاً يرفع جمره من النار ويضعها فى فمه مع أنه غير مُجبر ولا مُكره على الامتناع عن هذا العمل، فهذه الحاله تنبعث من أعماق وجود الإنسان نتيجة المعلومات والأطلاع والمبادئ الفطريه والطبيعيه، من دون أن يكون فى الأمر جبر وإكراه(١).

ثمَّ إنَّ هذه الآيه بالرغم من أنها وردت ضمن الآيات المتعلقه بنساء النبي صلى الله عليه وآله، إلا أنَّ تغيير سياقها - حيث تبدل ضمير الجمع المؤنث إلى ضمير الجمع المذكور - دليل على أنَّ هذه الآيه مختصه بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وعلى وفاطمه والحسن والحسين عليهم السلام، والذاهبون إلى عدم اختصاصها بهم عليهم السلام اعتقدوا أنَّ لها معنىً واسعاً يشمل هؤلاء العظام مع نساء النبي صلى الله عليه وآله ولم يقصروها على نساء النبي صلى الله عليه وآله فحسب. إلا أنَّ الروايات الكثيره التى بين أيدينا هى التى تبين لنا اختصاص هذه الآيه بأهل بيت النبي الخاصين، ولا تشمل نساءه ولا تشمل حتى أقارب النبي صلى الله عليه وآله الذين كانوا فى مسمع ومرأى من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، إلا أنَّ الآيه لا تشملهم، وهناك روايات عديده قد تصل إلى حدِّ التواتر ذُكرت فى مصادر المسلمين قاطبه فى أنَّ الآيه خاصه بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وعلى وفاطمه والحسن والحسين عليهم السلام.

فقد روى الثعلبى عن عائشه أنها عندما سُئلت عن حرب الجمل وتدخّلها فى تلك الحرب المدّمره الطاحنه، قالت بأسفٍ: كان ذلك قضاء الله، وعندما سُئلت عن على عليه السلام قالت: تسألينى عن أحبِّ الناس كان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وزوج أحبِّ الناس كان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، لقد رأيتُ علياً وفاطمه وحسناً وحسيناً عليهم السلام وجمع رسول الله صلى الله عليه وآله بثوب عليهم، ثمَّ قال «اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتى وحامتى، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» قالت: فقلت: يارسول الله أنا من أهلك! قال: «تنحى فإنك إلى خير».

ص: ٢٢٣

وهنا سؤال يُلفت النظر وهو: ماهو الهدف من جمعهم تحت الكساء؟ والجواب هو: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يُريد أن يُحدّد هؤلاء ويعرّفهم تماماً، ويقول: إنّ الآيه أعلاه في حقّ هؤلاء خاصّه؛ لئلا يرى أحدٌ أو يظنّ ظانّاً أنّ المخاطب في هذه الآيه كلّ من تربطه بالنبيّ صلى الله عليه وآله قرابه، وكلّ من يُعدّ جزءاً من أهله، حتّى جاء في بعض الروايات أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بقي ستّه أشهر بعد نزول هذه الآيه يُنادى عند مروره من جنب بيت فاطمه عليها السلام وهو ذاهب إلى صلاه الصبح: «الصلاه يا أهل البيت، إنّما يُريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً». فإنّ تكرار هذا الأمر ستّه أشهر، أو أكثر من ذلك بصوره مستمره إنّما هو لبيان هذه المسأله تماماً وإتماماً للحجّه، كما هو الحال في وضعهم تحت الكساء؛ حتّى لا يبقى مجال للشكّ لدى أيّ شخص بأنّ هذه الآيه نزلت في شأن هؤلاء النفر فقط، خاصّه وأنّ الدار هذه هي الوحيدة التي بقي بأبها مفتوحاً إلى داخل المسجد بعد أن أمر الله نبيه بأنّ تُغلّق جميع أبواب بيوت الآخرين، هي دار فاطمه عليها السلام، ولا شكّ أنّ جماعه من الناس كانوا يسمعون ذلك القول من النبيّ صلى الله عليه وآله حين الصلاه(1).

ومع هذا كلّه اعتدوا على أهل بيت الوحي والعصمه والطهاره بعدما فارق النبيّ صلى الله عليه وآله الدنيا، فجرت عليهم المصائب واحده تلو الأخرى، هجموا على تلك الدار التي كان يوصى بها النبيّ وأحرقوها إلى أن اعتدوا على من فيها.. ومن فيها؟! فيها على المرتضى، فيها فاطمه الزهراء، فيها الحسنان، هؤلاء بعدما فقدوا تلك الشمعه التي كانت تضيء لهم دارهم، في مثل هذه الليله دار أمير المؤمنين عليه السلام - وهي خاليه من فاطمه الزهراء عليها السلام - في الكوفه تضجّ بالعويل والبكاء، أوصى أمير المؤمنين عليه السلام أولاده وشيعته بوصايا عديده، إلى أن اشتدّ عليه الألم، وتزايد ولوج السمّ في جسده الشريف، حتّى نُظر إلى قدميه وقد احمرّتا فكبر على أهل بيته ذلك، ويئسوا منه، ثمّ أصبح ثقيلاً، فدخل الناس، أمرهم ببعض الأوامر، ونهاهم عن بعض المناهي.

ص: ٢٢٤

ثُمَّ عُرِضَ عَلَيْهِ الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ أَوْ يَشْرَبَ، فَظَنَرْنَا - يَقُولُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيهِ - إِلَى شَفْتِيهِ وَهُمَا يَخْتَلِجَانِ بِذِكْرِ اللَّهِ، وَجَعَلَ جَبِينَهُ يَرِشِحُ عِرْقًا وَهُوَ يَمْسَحُهُ.

ثُمَّ نَادَى أَوْلَادَهُ صَغِيرًا وَكَبِيرًا بِأَسْمَائِهِمْ، وَجَعَلَ يُودِّعُهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ أَسْتُودِعُكُمْ اللَّهَ» ثُمَّ نَادَى أَبَا مُحَمَّدَ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ: «أَوْصِيكَ بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ خَيْرًا، فَأَتَمَّا مِنِّي وَأَنَا مِنْكُمْ».

ثُمَّ قَالَ: «وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ يَا رَسُولَ رَبِّي، لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ». وَمَا زَالَ يَشْهَدُ الشَّهَادَتَيْنِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَغَمَّضَ عَيْنَيْهِ، وَمَدَّ رِجْلَيْهِ، وَأَسْبَلَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ صَرَخَتْ زَيْنَبُ (أُمُّ كَلْثُومٍ) وَجَمِيعُ نِسَائِهِ وَعِيَالِهِ، فَعَلِمَ أَهْلُ الْكُوفَةِ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَضَى نَحْبَهُ، فَأَقْبَلَ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ أَفْوَاجًا، وَصَاحُوا صَيْحَةً عَظِيمَةً، ارْتَجَّتْ الْكُوفَةَ بِأَهْلِهَا، وَكَثُرَ الْبُكَاءُ وَالنَّحِيبُ، تَغَيَّرَ الْأُفُقُ وَارْتَجَّتْ الْأَرْضُ، وَسَمِعَ النَّاسُ جَلْبَهُ وَتَسْيِيحًا وَبُكَاءً فِي السَّمَاءِ، فَعَلِمُوا أَنَّهَا أَصْوَاتُ الْمَلَائِكَةِ، وَصَارَ ذَلِكَ الْيَوْمَ كِيَوْمَ مَاتَ فِيهِ الرَّسُولُ (١).

وَكَانَتْ بِيَزِينَبَ عَلَيْهَا السَّلَامُ تَتَّجُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ:

يَجْدَى لَوْتَجِي وَالْوَالِدَةَ أَوْيَاكَ أَوْتَعْصَبُ كُونَ رَاسِ الْوَلِيِّ ابِيْمَنَاكَ

بَلِجَتْ مِنْ يَشُوفُكَ صَاحِبِ الْوَاكِ تَرْدُ رُوحِهِ وَتَكْرَبِيكُمْ أَعْيُونَهُ

تَرَكَبَ نَاكَتَكَ وَرَخِيَ صَرَغَهَا أَوْجِبِ الْوَالِدَةَ الْكَسْرُوا ضَلَعَهَا

ابْنِ عَمِّكَ الْوَيْلَادَةَ جَمَعَهَا يُودِّعُهُمْ أَوْهَمَّهُ يُودِّعُونَهُ

تُونَ زَيْنَبُ وَهِيَ تَنْدُبُ ابْجِدَهَا وَتَسِيلُ الْعَيْنَ مِنْ شَدِّهِ وَجِدَهَا

نُوبُ أَوْنُوبُ بَسْ تَصْفَجُ بِيَدِهَا أَوْتَنَادِي أِهْنَا يَشَائِلُ نَعَشَ أَوْنَهُ

دَرِيضُ خَلِّ نُوْدَعُ رَاعِي الزُّرُودِ أَوْنَنْشَدَهُ اِيْعُودُ يُولَا بَعْدَ مِيْعُودِ

أَوْتَرَاهِي تَكُومُ بَسْ تَخْمَشُ بِالْخُدُودِ وَتَنَادِي رِيْتِ كَلْنَهُ اِنْمُوتِ دُونَهُ

ص: ٤٢٥

أبو حسين ماتم اصيامه اجه العيد وولاده يتامه

ابعيد البله يا حارس الدين يملفه الأرامل والمساكين

من بعدك يبونه اوجوهنا وين يا عيد الكشر عالمسلمين

حملوا أمير المؤمنين عليه السلام إلى مثواه الأخير - بأبي هو وأمي - هذا وزينب تنظر إلى ذلك الموقف العظيم وكأني بها:

مدري اشلون شالوا صعب المراس حسن واحسين ومحمد اوعباس

زينب واجفه اوصاحت يهالناس نعشمن هالنعش هالجاي ليه

نعشمن هالنعش هالشايينه اشوفن كل إخوتي حافينه

كالوا هذا حيدر چاتلينه بچت ويلي او هوت فوگك الوطيه

ريته ايشوفه حيدر اياحال يوم اللي مشت من فوگك الجمال

وأبو السجاد ظل مرمي على الرمال وهيه امحيره بين آل أميه

يرمي حشاها جمره من فيها(١) تدعو فتحترق القلوب كأنما

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أي منقلب ينقلبون

والعاقبة للمتقين

ص: ٤٢٦

## المحاضره الخامسه والثلاثون: فضائل أهل البيت عليهم السلام

ص: ٤٢٧





مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الزَّمَانُ عَتَابًا وَمَقْرَعٌ مَنِّي لَهُ أَعْتَابًا

دَهْرٌ تَعَامَى فِي هُدَاهُ كَأَنَّهُ أَصْحَابُ أَحْمَدَ أَشْرَكُوا مُذْ غَابَا

نَكَصُوا عَلَى الْأَعْقَابِ بَعْدَ مَمَاتِهِ سَيَّرُونَ فِي هَذَا النُّكُوصِ عَقَابَا

سَلُّ عَنْهُمْ الْقُرْآنَ يَشْهَدُ فِيهِمْ إِنْ كُنْتَ لَمْ تَفْقَهُ لَذَاكَ خَطَابَا

فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا خُصْمًا وَلَا بَدْرًا وَلَا أَحَدًا وَلَا الْأَحْزَابَا

وَبِخَيْرٍ مَن رَاحَ يَرْفُلُ بِاللُّوَا مَن قَدَّ مَرَحَبَ سَيْفِهِ وَأَصَابَا

وَمَنْ اشْتَرَى إِلَّاهَ نَفْسَ مُحَمَّدٍ فِي نَفْسِهِ لَمَّا دُعِيَ فَأَجَابَا

مَنْ فِي الصَّلَاةِ يَرَى الصَّلَاتَ فَرِيضَهُ مَن نَالَ خَاتَمَهُ الشَّرِيفُ جَوَابَا

مَنْ بَابُ حَطَّةٍ غَيْرِ حَيْدَرِهِ وَمَنْ لِمَدِينِهِ الْمُخْتَارِ كَانَ الْبَابَا

وَعَجِبْتُ مَمَّنْ أَخْرَوْا مَقْدَامَهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّ وَقَدَّمُوا الْأَذْنَابَا

نَسَبُوا لَهُ هَجْرًا لِحَذْفِ كِتَابِهِ فَكَأَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ كِتَابَا

مَا كَانَ يَنْطَلِقُ عَنْ هَوَاهُ وَإِنَّمَا وَحْيٌ تَلَقَّاهُ النَّبِيُّ خَطَابَا

وَأَمْضُ مَا يَدْمَى الْفُؤَادَ مِنَ الْأَسَى وَيَذِيْبُ مِنَ صَمِّ الصَّخُورِ صَلَابَا

لَمَّا عَلَى بَيْتِ النَّبِيِّهْ أَجْلَبُوا ظُلْمًا كَأَنَّ لَهُمْ بِذَاكَ طِلَابَا

يَا بَابَ فَاطِمَ لَا طُرِقَتْ بِخَيْفِهِ وَيَدُ الْهُدَى سَدَلْتُ عَلَيْكَ حِجَابَا

أَوْ لَسْتَ أَنْتَ بِكُلِّ آنٍ مَهْبِطِ الْأَمْلَاكِ فَيْكَ تُقْبَلُ الْأَعْتَابَا

أَوْهَاءٌ عَلَيْكَ أَمَا اسْتَطَعْتَ تَصَدَّهُمْ لَمَّا أَتَاكَ بَنُو الضَّلَالِ غَضَابَا

نَفْسِي فِدَاكَ أَمَا عَلِمْتَ بِفَاطِمٍ وَقَفْتَ وَرَاكَ تَوْبِخُ الْأَصْحَابَا

أَوْ مَا رَقَقْتَ لَضَلْعِهَا لَمَّا انْحَنَى كَسْرًا وَعَنهُ تَزَجُّرُ الْخَطَابَا

أَوْ مَا دَرَى الْمَسْمَارُ حِينَ أَصَابَهَا مِنْ قِبَلِهَا قَلْبَ النَّبِيِّ أَصَابَا



عتبي على الأعتاب فيها محسنٌ مُلقَى وما انهالت عليه تُراباً(١)

\*\*\*

يا باب فاطم أم الأطياب السدلت عليك إيد الهدى إحجاب

موش إنته لبكلّ حين يا باب أملاك السما إتقبل الأعتاب

منك اوظن كاصدك ماخاب إلک شان بيه ياباب تنهاب

بيت أرد انشدك واسمع اجواب اعليک اشجره او مترد الأصحاب

الکصدوک حين المصطفى غاب او كفروا برّبهم مثل الأحزاب

واتجسروا على الطهر الذناب او كسروا ضلعها كسر ماطاب

او محسن سگط من های الأسباب وظن مادره المسمار من صاب

صدرها لعد کلب النبى صاب

ص: ٤٣٠

١- (١) القصيده للشاعر الشيخ مُحَمَّد حسن سميسم رحمه الله، قال عنه في أدب الطف - ج ٩، ص ٩١ - ص ٩٤ -: «أسره آل سميسم، اشتهرت بهذا اللقب؛ لأنّ جدها سميسم بن خميس بن نصار بن حافظ لهم الزعامه في بنى لام بن مفرج بن سلطان بن نصير أمير بنى لام، حيث نرح من الشام حدود سنه ٩٠٢ هـ وأسس مشيخه بنى لام في لواء العماره (ميسان) فأعقب حافظ وهو أعقب ولدین: نصار ونصر وفيهما زعامه بنى لام. وفي أسره آل سميسم - اليوم - علماء وأدباء وحقوقيون. وكان المترجم له علم الأسره وعنوانها؛ لِمَا يتحلّى به من فضل وأدب وسخاء، مضافاً إلى ديانتته وزهادته، وطيب سيرته وحسن سيرته، يتحلّى بإباء وشمم، ويعتزّ بقوميته وعروبته لا عن عصبية... ولد سنه ١٢٧٩ هـ، كما ترجم له الخاقاني في شعراء الغرى، وذكر جمله من نثره ونظمه. وافاه الأجل في ٢٥ جمادى الأولى سنه ١٣٤٣ هـ، وكان لنعيه رثه أسف على عارفيه، وأبّنه جماعه من الشعراء منهم الخطيب الشيخ محمد على اليعقوبى بقصيده عامره كان مطلعها: أيعرب قد فقدت أبا الجواد فلا للجود أنت ولا الجياد وللمترجم له قصيده في الزهراء فاطمه بنت النبى صلى الله عليهما وسلّم جاء في أولها: من مبلغ عنى الزمان عتاباً ومقرّع منى له أبواباً لا زلت أرددها فى المحافل الفاطميه. تغمده الله برحماته وأسكنه فسيح جناته».

لبست الحزن طول العُمَر يَلْبَاب ذَهيل او مابگتلى أفكار يلباب

أنشدك وين محسن سگط يلباب يوم العصورا الزهره الزجيه

\*\*\*

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأبى ذرٍّ رحمه الله: «واعلم يا أبا ذرٍّ، أن الله عزَّ وجلَّ جعل أهل بيتي في أمتي كسفينه نوح، من ركبها نجا، ومن رغب عنها غرق، ومثل باب حطه في بني إسرائيل، من دخله كان آمناً» (١).

وصيه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله رواها الشيخ أبو علي الطبرسي رحمه الله في كتاب مكارم الأخلاق مسنداً (٢)، ورواها أيضاً العالم الكامل الشيخ ورام بن أبي فراس في مجموعته الأخلاقية المسماة (مجموعه ورام) أو (تنبيه الخواطر ونزهه النواظر) (٣)، ووردت مقاطع منها في طيات بعض الكتب المطولة والمختصرة (٤)، وعُلقت عليها عدّه تعليقات، وشُرحت بأفضل ما شُرحت به وبقلم خبير نحير الأ- وهو حبر الشيعة العلامة الشيخ المجلسي رحمه الله، صاحب الموسوعه القيمه بحار الأنوار، وطُبعت - بعد ترجمتها من الفارسيه إلى العربيه - بمجلدين (٥).

يقول الراوى: دخلت على أبى ذرٍّ جُنْدُب بن جُناده رضى الله عنه، فحدّثنى أبو ذرٍّ قال: دخلت ذات يوم في صدر نهاره على رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده، فلم أر في المسجد أحداً من التّياس إلا رسول الله وعلى إلى جانبه، فاغتمتُ خلوه المسجد، فقلت: يا رسول الله،

ص: ٤٣١

١- (١) من وصيه النبي صلى الله عليه وآله لأبى ذرٍّ رحمه الله، راجع عين الحياه: ج ١، ص ٢١٨.

٢- (٢) مكارم الأخلاق: ص ٤٥٨ - ص ٤٧١.

٣- (٣) تنبيه الخواطر: ج ٢، ص ٥١ - ص ٦٨.

٤- (٤) انظر: بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٧٣ - ص ٩١، ح ٣.

٥- (٥) اسم هذا الشرح عين الحياه طبعه جماعه المدرّسين بقم المقدّسه.

بأبي أنت وأمي، أوصني بوصيه ينفعني الله بها. فقال: «نعم وأكرم بك يا أبا ذر، أنت منا أهل البيت، وإني موصيك بوصيه فاحفظها، فإنها وصيه جامع له لطرق الخير وسبله، فإنك إن حفظتها كان لك بها كفلان...». وبدأ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأول ما بدأ به - بأبي هو وأمي - أن أوصى أبا ذر بالعبوديه، قال له: «يا أبا ذر، اعبد الله كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك».

ثم بدأ بذكر وصايا عديده في فضل التوحيد والصلاه وأمر أخرى، إلى أن يصل الدور ليوصي النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته بالتمسك بأهل البيت عليهم السلام فقال صلى الله عليه وآله وأهل بيته: «إن الله عز وجل جعل أهل بيتي في أمتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن رغب عنها غرق»، هذا هو المقطع الأول من الوصيه.

والمقطع الثاني: «ومثل باب حطه في بني إسرائيل، من دخله كان آمناً».

أما المقطع الأول: فشبّه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته بسفينة نوح، فما هو الوجه في ذلك التشبيه، وما هي العلاقة بين أهل البيت عليهم السلام وسفينة نوح (على نبينا وآله وعليه السلام)؟

الجواب: إن العلاقة بين أهل بيت العصمه والطهاره عليهم السلام وسفينة نوح عليه السلام وثيقه للغاية؛ إذ الطوفان المستوعب لجميع سطح الأرض لا يفرق بينه وبين الطوفان العقائدي الخاطيء، والنجاه غير موقوفه على سفينه من الخشب والحديد، والخلص من كل طوفان بحسبه، فالطوفان الذي حصل بالماء يمكن النجاه منه بالركوب في سفينه من خشب وحديد، وأما الخلاص من العقاب الأخرى والخلص من الضلال، بل النجاه الحقيقي لا تتحقق إلا بالركوب في سفينه النجاه، فما أحسن أن تكون هذه السفينه ديناً يُقوّم السلوك! ويهب الحياه الطيبه، ويقاوم الأمواج والأفكار الانحرافيه، ويوصل أتباعه إلى ساحل النجاه، وعلى هذا الأساس وردت روايات كثيره عن النبي صلى الله عليه وآله في مصادر المسلمين تعبّر عن أهل بيته - وهم الأئمه الطاهرون وحمله الإسلام - بأنهم (سفينه النجاه).

يقول حنش بن المغيرة: وأبو ذرٍّ أخذ بحلقه باب الكعبه، وهو يقول: أنا أبو ذرٍّ الغفاري، من لم يعرفني فأنا جُنْدَبُ صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا»، وفي الوصيه التي افتتحنا بها المحاضرة: (ومن رغب عنها غرق). فهذا الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله يُبيِّن بصراحه: أنه حين يطغى الطوفان الفكري والعقائدي والاجتماعي في المجتمع الإسلامي، فإنَّ طريق النجاه الوحيد هو الالتجاء إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام دون المذاهب التي اصطنعتها السلطات التي لا-علاقه لها بأهل البيت عليهم السلام لا-من قريب ولا من بعيد(١).

فسفينة نوح لم تكن سفينه عاديه، ولم تنته بسهولة مع وسائل ذلك الزمان وآلاته؛ إذ كانت سفينه كبيره تحمل بالإضافة إلى المؤمنين الصيادين زوجين اثنين من كلِّ نوع من الحيوانات، وتحمل متاعاً وطعاماً كثيراً، يكفي للمدَّة التي يعيشها المؤمنون والحيوانات في السفينه حال الطوفان، ومثل هذه السفينه بهذا الحجم وقدره الاستيعاب لم يسبق لها مثل في ذلك الزمان، فهذه السفينه ستجرى في بحر بسعه العالم، وينبغي أن تمر سالمه عبر أمواج كالجبال فلا تتحطم بها(٢).

وهكذا أهل البيت عليهم السلام فسفینتهم واسعاً جداً، وستجرى إلى يوم البعث والنشور في بحر هو العالم، ولا بُدَّ أن تبقى سالمه مهما كلف الأمر؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى متمَّ نوره ولو كره الكافرون والمعاندون والمنحرفون وجميع تيارات العالم، بل أكثر من ذلك أنَّ سفينه نوح، النجاهُ فيها نجاهٌ من الموت وسفينة أهل البيت عليهم السلام النجاهُ فيها من الموت الروحي والعقائدي إلى الحياه الخالده الأبدية، فهم عليهم السلام كسفينة نوح من جهه النجاه، إلاَّ أنَّ هناك فرقاً شاسعاً بين النجاتين وبين السفينتين.

ص: ٤٣٣

١- (١) انظر: تفسير الأمثال: ج ٦، ص ٥٤١، مع تصرّف في العبارة.

٢- (٢) تفسير الأمثال: ج ٦، ص ٥٢٩.

ومن هنا فيمكن تلخيص وجه الشبه بين سفينة نوح وبين سفينة نجاه أهل البيت عليهم السلام بأمور:

الأول: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا (على نبينا وآله وعليه السلام) كان - عندما يصنع السفينة - موضع استهزاء من القوم، والسخرية به وبأصحابه، وذلك ما يُشير إليه قوله تعالى: (وَ يَصْنَعُ الْفُلْكَ وَ كَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ) ١، وكذا في سفينة نجاه أهل البيت عليهم السلام، ففي الزمان الغابر إلى يومنا هذا يستهزئ من ليس من شيعتهم بهم وبشيعتهم، فهذا وجه شبه بين سفينة نوح (على نبينا وآله وعليه السلام) وسفينة أهل البيت عليهم السلام.

الثاني: التهديد بالعذاب والسخط الإلهي لكل من لم يركب سفينة نوح، وهكذا التهديد بالعذاب والسخط الإلهي لكل من لم يعتقد بسفينة أهل البيت عليهم السلام، ولم يركب معهم ويسير على نهجهم وطريقتهم، فكما أن الله تبارك وتعالى ابتلى المعاندين الذين لم يركبوا مع نوح عليه السلام في سفينته بالطوفان، فكذلك سوف يُعذب الله تبارك وتعالى المعاندين الذين لم يهتدوا بهدى أهل البيت عليهم السلام.

الثالث: أَنَّ سَفِينَةَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَرَتْ فِيهِمْ فِي مَوْجٍ شَبَّهَ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُ كَالْجِبَالِ لِعَظَمَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: (وَ هِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ) ٢.

وكذا الاعتصام والركوب في سفينة أهل البيت عليهم السلام، فهي تجرى في أمواج كالجبال من الزخارف والاعتقادات الباطلة إلى ما شابهه، ذلك فلا يستغربن أحد المهالك والمزالق التي يتعرّض إليها، وهو موالٍ لأهل بيت العصمة والطهارة.

الرابع: إِنَّ مَنْ لَمْ يَرْكَبْ فِي سَفِينَةِ نُوحٍ - كَابْنِهِ مَثَلًا وَغَيْرِهِ - لَا يَنْفَعُهُ لَاجِبٌ وَلَا شَيْءٌ

آخر، فمصيره إلى الهلاك والعذاب الأخرى حتى ولو كان من ذريه نفس صاحب الرساله والدعوه.

قال تعالى - على لسان ابن نوح عليه السلام عندما قال له: (يا بُنَيَّ اِرْكَبْ مَعَنَا) ١ :- (قَالَ سَأْوَىٰ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ) ، قال نوح عليه السلام: (قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ) ٢ .

وهكذا من لم يتمسك بأهل البيت عليهم السلام ولم يركب سفينتهم، لا تنفعه جبال رضوى، ولا عقائد أهل نجد، أو غير ذلك، فالنجاه من الطوفان بالركوب في سفينة نوح عليه السلام، والنجاه من الضلال في الدنيا والعذاب في الآخرة في ركوب سفينة أهل البيت عليهم السلام.

الخامس: إنَّ الشفاعة لا تنفع العاصين الذين لم يركبوا في سفينة نوح عليه السلام ولو كان من ذريه الداعي والمرسل، وإنما الشفاعة تنفع العاصين الذين تمسكوا بنوح وركبوا في سفينته، فهم حيث لم يكونوا معصومين كانت الشفاعة لهم ولأمثالهم من المؤمنين العاصين - إن كانوا قد عصوا - وأما أمثال ابن نوح نفسه فلا تنفعه الشفاعة؛ لأنه لم يتمسك بأبيه عليه السلام.

قال تعالى: (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَشْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) ٣/ .

وهناك تأملات أخرى تركناها للاختصار.

هذا كله في المقطع الأول من الوصيه، وهو تشبيه أهل البيت عليهم السلام بسفينة نوح عليه السلام.

وأما المقطع الثاني من الوصيه: وهو التشبيه بكونهم عليهم السلام ك (باب حطه) في بنى



إسرائيل، فقد أشار إليه القرآن الكريم في سورة البقره، حيث قال تعالى: (وَ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) ١، وفي الروايه معنى حطّه أى: حطّ عنّا. أى: اغفر لنا(١). ولا نطيل فى هذا المقطع للتشابه بينه وبين المقطع الأول.

ووجه التشابه هو: إنّ النجاه كلّ النجاه فى التمسك بأهل البيت عليهم السلام، فبنو إسرائيل كانت معاصيهم المتراكمه قد ازدادت فأرادوا تكفيرها، وذلك بعد التيه الذى امتدّ بهم ما يقارب أربعين سنه، فأمرهم الله أن يدخلوا باب قريه أريحا، ويقولوا: اللّهُمَّ اغفر لنا، وحطّ عنا ذنوبنا. فدخل بعضهم من غير هذا الباب، وقال بعض غير هذا القول، فقالوا: حنطه بدلاً عن حطّه، فخالفوا فابتلاهم الله تعالى بالطاعون.

ثمّ إنّ هذين التشبيهين البليغين قد تواترا فى أحاديث المسلمين، وهذا يدلّ على وجوب الانقياد والتسليم لأهل البيت عليهم السلام فى كلّ شىء وعدم مخالفتهم، ولكن ابتلى أهل البيت عليهم السلام بالناس.

ومن هنا روى بسند معتبر عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال: «بليه الناس عظيمه، إن دعوناهم لم يجيونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا» (٢) فباب حطّه بنى إسرائيل هو باب قريه أريحا، وأما باب حطّه المسلمين فهو أهل البيت عليهم السلام.

روى عن أبى جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: «نحن باب حطّكم» (٣)، هذا ما سمعته من

ص: ٤٣٦

١- (٢) تفسير البرهان: ج ١، ص ٢٢٩.

٢- (٣) أمالى الشيخ الصدوق: ص ٧٠٧، ح ٤. كنز الفوائد: ص ١٩٧. بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ٩٩، ح ١، عن الأمالى. عين الحياه: ج ١، ص ١١٨.

٣- (٤) تفسير العياشى: ج ١، ص ٤٥، ح ٤٧. تفسير جوامع الجامع: ج ١، ص ١٠٨. تفسير مجمع البيان: ج ١، ص ٢٢٩. تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٨٣، ح ٢١٣. تفسير البرهان: ج ١، ص ٢٣٠. تفسير كنز الدقائق: ج ١، ص ٢٥٤. بحار الأنوار: ج ١٣، ص ١٦٨، وج ٢٣، ص ١٢٢، ح ٢٦، عن تفسير العياشى.

فضائلهم عليهم السلام وهم باب حطه ولا بد وأن يأتيهم كل إنسان ليدخل إليهم، ولكن القوم خلاف ذلك، فبدل أن يدخلوا باب أهل البيت عليهم السلام؛ ليحطوا ذنوبهم جاؤوا بالحطب ووضعوه على دار علي وفاطمه، وهي قاعدة خلف الباب قد نحل جسمها في وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وهي معصبة الرأس، فأقبل عمر حتى ضرب الباب، ثم نادى يا بن أبي طالب افتح الباب. فقالت فاطمه عليها السلام: «يا عمر، ما لنا ولك لا تدعنا وما نحن فيه؟!» قال: افتحى الباب وإلا أحرقناه عليكم. فقالت: «يا عمر، أما تتقى الله عز وجل، تدخل على بيتي وتهجم على داري؟!» فأبى أن ينصرف، ثم دعا عمر بالنار فأضرمها في الباب، فأحرق الباب، ثم دفعه فاستقبلته فاطمه وصاحت: «يا أبتاه يا رسول الله»، فرفع السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها فصرخت، فرفع السوط فضرب به ذراعها(١). رحم الله الشيخ الأصفهاني حيث قال في الأنوار القدسيه:

أُتْضِرْمُ النَّارُ بَبَابِ دَارِهَا وَآيَةُ النَّورِ عَلَى مَنَارِهَا

وَبَابِهَا بَابُ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَبَابِ أَبْوَابِ نَجَاهِ الْأُمَّةِ

مَا اكْتَسَبُوا بِالنَّارِ غَيْرَ الْعَارِ وَمَنْ وَرَائِهِمْ عَذَابُ النَّارِ

مَا أَجْهَلَ الْقَوْمَ فَإِنَّ النَّارَ لَا تُطْفِئُ نَوْرَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا

لَكِنَّ الْأَدْهَى مِنْ هَذَا كُلِّهِ وَالْأَصْعَبُ، وَالْأَمْرُ عَلَى قَلْبِ كُلِّ غَيُورٍ قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَيْضًا:

لَكِنَّ كَسْرَ الضَّلْعِ لَيْسَ يَنْجِبُ إِلَّا بِصِمَامٍ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ

إِذْ رَضُّ تِلْكَ الْأَضْلَعِ الزَّكِيهِ رَزِيهِ مَامَثَلُهَا رَزِيهِ

وَجَاوَزُوا الْحَدَّ بِلَطْمِ الْخَدِّ شُلْتَ يَدُ الطَّغْيَانِ وَالتَّعَدَّى(٢)

فَاسْتَعْبَرْتَ بِأَكْيِهِ مِنْ شِدَّةِ أَلْمِهَا وَعِظَمِ اهْتِظَامِهَا:

ص: ٤٣٧

١- (١) كتاب سليم بن قيس: ص ١٥٠. بحار الأنوار: ج ٢٨، ص ٢٦٩.

٢- (٢) الأنوار القدسيه: ص ٤٢.

عدَمَن أَشْتَجِي هَمِّي أَوِيَاهُوَاللِّي يَشِجِينِي

وَنَه ضَلَعِي أَنْكَسِر بِالْبَابِ يَحِيدِر وَأَنْطَفَتْ عَيْنِي

تَعَالَ أَنْظِر بَدْيِيهِ أَشْصَارِ وَتَبَاوَعِ الْمُتَنِينِي

(بحراني):

يَالَيْتَ عَيْنِكَ شَاهِدَتْنِي وَشَافَتْ أَشْصَارِي يَا وَالِدِي أَمِنْ اخْتَارَكَ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ

هَجَمُوا أَعْلَى وَنَبَتُوا بِالْصَدْرِ مَسْمَارِ وَأَسْيَاطَ قَنْفَذٍ أَثَرَتْ بِمَتُونِي أَرْسُومَ

\*\*\*

بِنْتُ مَنْ؟ أُمُّ مَنْ؟ حَلِيلُهُ مَنْ وَيَلُّ لِمَنْ سَنَ ظَلَمَهَا وَأَذَاهَا

جَرَّعَاهَا مِنْ بَعْدِ وَالِدِهَا الْغَيْظَ مِرَاراً فَبُئِسَ مَا جَرَّعَاهَا

\*\*\*

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

ص: ٤٣٨





إِنْ قِيلَ حَوًّا قَلْتُ فَاطِمٌ فَخَرُّهَا أَوْ قِيلَ مَرِيْمٌ، قَلْتُ: فَاطِمٌ أَفْضَلُ

أَفْهَلُ لِحَوًّا وَالِدٌ كَمُحَمَّدٍ أَمْ هَلْ لِمَرِيْمٍ مِثْلُ فَاطِمٍ أَشْبَلُ

كُلُّ لَهَا عِنْدَ الْوَلَادَةِ حَالَهُ فِيهَا عُقُولٌ أَوْلَى الْبَصَائِرِ تَذْهَلُ

هَذِي لِنَخْلَتِهَا التَّجْتُ فَتَسَاقَطَتْ رُطْبًا جَتِيًّا فَهِيَ مِنْهُ تَأْكُلُ

وَلِدَتْ بَعِيْسِي وَهِيَ غَيْرُ مَرُوْعَةٍ أَنِّي وَحَارِسُهَا السَّرِيُّ الْأَبْسَلُ (١)

وَالِي الْجِدَارِ وَصَفْحَةِ الْبَابِ التَّجْتُ بِنْتُ النَّبِيِّ فَاسْقَطَتْ مَا تَحْمِلُ

سَقَطَتْ وَأَسْقَطَتِ الْجَنِيْنَ وَحَوْلَهَا مِنْ كُلِّ ذِي حَسْبٍ لَثِيْمٌ جَحْفَلُ

هَذَا يُعْنَفُهَا وَذَاكَ يَدْعُهَا وَيَرُدُّهَا هَذَا وَهَذَا يِرْكُلُ

وَأَمَامَهَا أَسَدُ الْأَسْوَدِ يَقُوْذُهُ بِالْحَبْلِ قُنْفُذٌ هَلْ كَهَذَا مَعْضَلُ

وَلَسَوْفَ تَأْتِي فِي الْقِيَامَةِ فَاطِمٌ تَشْكُو إِلَى رَبِّ السَّمَاءِ وَتُعْوَلُ

وَلْتَرْفَعَنَّ جَنِيْنَهَا وَحَنِيْنَهَا بِشِكَايِهِ مِنْهَا السَّمَا تَتْرَلُزَلُ (٢)

\*\*\*

ص: ٤٤١

١- (١) المقصود هنا جبرائيل عليه السلام.

٢- (٢) القصيدة للشاعر محسن الحويزي الحائري المعروف بـ (أبو الحب) رحمه الله، قال عنه في أدب الطفّ - ج ٨، ص ٥٦ - ص ٥٧ :- «الشيخ محسن خطيب بارع وشاعر واسع الآفاق خصب الخيال، ولد سنة ١٢٣٥ هـ ونشأ بعنايه أبيه وتربيته، وتحدر من أسرهِ عربيهِ تُعرف بآل أبي الحب، وتمتّ بنسبها إلى قبيله خثعم، وتدرج على نظم الشعر ومحافل الأدب وندوات العلم، ولا سيما ومجالس أبي الشهداء مدارس سياره، وهى من أقوى الوسائل لنشر الأدب وقرض الشعر، فلقد جاء فى يوم الحسين عليه السلام من الشعر والخطب ما يتعدّر على الأدباء والمعنيين بالأدب جمعه أو الإحاطه به، وشاعرنا الشيخ محسن نظم فأجاد، وأكثر من النوح والبكاء على سيد الشهداء عليه السلام، وصوّر بطوله شهداء الطف تصويراً شعرياً لا زالت الأدباء ومجالس العلماء تترشفه وتستعيده وتذوقه... توفى ليله الإثنين ٢٠ ذى القعدة عام ١٣٠٥ هـ، ودفن فى الروضه الحسينيه المقدسه إلى جوار مرقد السيد إبراهيم المجاب».

(موشح)

يا فارس بدر وحنين وبيوم الحرب فتاك تصبر يا علىٰ چندوب صبرك عجب الأملاك  
صبرك عجب المخلوك وأملاك السمه كلها وامصيتك ياكزار ما من نبىٰ يحملها  
من جاك الرجس للدار اونيته ابنار يشعلها ما هابك ييو الحسين واته محد اليدناك  
من يدناك يا ابو احسين وأنت الطوعيت الجن لاجن العجب تصبر او تسمع بالزجيه إتون  
بين الباب والحايط عصرها وأسكطت محسن اورض اضلوعها الطاغى اوروعها ولا رعاك  
وكأنىٰ بها رحمه الله:

تصبح إبعوت يافضه تعالىٰ ومن الباب شوفىٰ إشجره ابحالىٰ  
انكسر ضلعىٰ اووگع محسن الغالىٰ يفضه اوبعد صدرىٰ انصاب مسمار  
يفضه اوياج خل زينب تجينىٰ تشوف اشصار وتون إلونينىٰ  
يفضه اوفوگك هذا اصواب عينىٰ هضمنىٰ أكثر من اللىٰ علىٰ صار

\*\*\*

قال تعالىٰ (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ \* ذُرِّيَّهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ١ .

ص: ٤٤٢

الاصطفاء فى اللغة هو: أخذ صفوه الشىء وتخليصه ممّا يُكدره، فهو قريبٌ من معنى الاختيار(١).

تقول الآيه: إنّ الله اختار آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران من بين الناس جميعاً، وهذا الاختيار قد يكون اختياراً تكويئياً، وقد يكون اختياراً تشريعياً، بمعنى أنّ الله قد خلق هؤلاء منذ البدء خلقاً متميّزاً وإن لم يكن فى هذا الامتياز ما يجبرهم على اختيار طريق الحق، بل إنّهم بملء اختيارهم وحرّيه إرادتهم اختاروه، غير أنّ ذلك التميّز أعدّهم للقيام بهدايه البشر، ثمّ على أثر إطاعتهم أوامر الله والتقوى والسعى فى سبيل هدايه الناس نالوا نوعاً من التميّز الاكتسابى الذى امتزج بتميّزهم الذاتى فكانوا من المصطفين.

وتشير الآيه أيضاً إلى أنّ هؤلاء المصطفين كانوا من حيث الإسلام والطهاره والتقوى والجهاد فى سبيل هدايه البشر متشابهين، كمثّل نسخِ عدّه من كتاب واحدٍ يقتبس كلٌّ من الآخر؛ ولذا قالت الآيه بعضها من بعض(٢).

وهنا يُطرح سؤال وهو: ما هو الوجه فى اصطفاء من ذكر فى الآيه وهم: (آدمَ وَنوحاً وَآلَ إبراهيمَ وَآلَ عمرانَ) أو ليس الأنبياء جميعهم قد اصطفاهم الله تبارك وتعالى، فما هو الوجه؟ أو قل: ما هى العله فى ذكر هذه الثله العظيمه من هؤلاء عليهم السلام؟

ويمكن الجواب عن هذا السؤال بأن يُقال: إنّ الآيه ليست بصدد ذكر جميع الذين اصطفاهم الله، بل تُعدّد بعضاً منهم، فإذا لم يكن بعض الأنبياء من بين هؤلاء، فلا يعنى ذلك أنّهم ليسوا مصطفين.

ثمّ إنّ (آل إبراهيم) يشمل موسى بن عمران ونبيّ الإسلام والمصطفين من أهله أيضاً؛ لأنّهم جميعاً من (آل إبراهيم)، وفى نفس الوقت لا يعنى ذلك اصطفاء آل إبراهيم

ص: ٤٤٣

١- (١) تفسير الميزان: ج ٣، ص ١٦٤.

٢- (٢) تفسير الأمثال: ج ٢، ص ٤٧١ - ص ٤٧٢.



بجميعهم؛ إذ يُحتمل أن يكون بينهم حتى من الكفار، إنما المقصود هو (بعض) من آل إبراهيم وآل عمران(١).

ثم إن هؤلاء قد تميّز كلُّ منهم بخصوصيات لم يوجد بعضها في سائر الأنبياء عليهم السلام، فأما آدم فقد اصطفى على العالمين بأنه أوّل خليفه من هذا النوع الإنساني جعله الله في الأرض، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) ٢، وأوّل من فتح به باب التوبه، قال تعالى: (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى) ٣/ وأوّل من شرّع له الدين، قال تعالى: (فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) ٤، فهذه أمورٌ لا يُشاركه فيها غيره، ويالها من منقبه له عليه السلام!

وأما نوح عليه السلام فهو أوّل الخمسه أولى العزم، صاحب الكتاب والشريعة، كما أنه الأب الثاني لهذا النوع، وقد سلّم الله تعالى عليه في العالمين، إذ قال تعالى: (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ \* وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ \* سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ) ٥.

ثم ذكر سبحانه وتعالى آل إبراهيم وآل عمران من هؤلاء المُصطفين، والآل خاصّه الشيء، وأما آل إبراهيم، فالظاهر منه أنهم الطيّبون من ذريته كإسحاق وإسرائيل والأنبياء من بنى إسرائيل وإسماعيل والظاهرين من ذريته، وسيدهم مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله والملحقون بهم في مقامات الولايه، إلا أن ذكر آل عمران مع آل إبراهيم يدلّ على أنه لم يستعمل على تلك السعه.

فالمراد بآل إبراهيم هم الطاهرون من ذريته من طريق إسماعيل، والآيه ليست في مقام

ص: ٤٤٤

١- (١) تفسير الأمثل: ج ٢، ص ٤٧٣ - ص ٤٧٤.

الحصر، فلا تنافى بين عدم تعرُّضها لاصطفاء نفس إبراهيم واصطفاء موسى وسائر الأنبياء الطاهرين من ذريته من طريق إسحاق، وبين ما تُثبتها آيات كثيرة من مناقبهم وسمو شأنهم وعلو مقامهم؛ فإن إثبات الشيء لا يستلزم نفي ما عداه.

وأما آل عمران، فالظاهر أنَّ المراد بعمران أبو مريم، كما يُشعر به تعقيب هاتين الآيتين بالآيات التي تذكر قصه امرأه عمران، ومريم ابنة عمران، وقد تكرر ذكر عمران أبي مريم باسمه في القرآن الكريم، ولم يرد ذكر عمران أبي موسى حتّى في موضع واحد يتعيّن فيه كونه هو المراد بعينه، وهذا يؤيد كون المراد بعمران في الآية أبا مريم عليها السلام؛ وعلى هذا فالمراد بآل عمران هو مريم وعيسى عليهما السلام، أو هما وزوجه عمران.

(ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ) فيه دلالة على أنّ كلّ بعض فرع منها يتبدى وينتهى من البعض الآخر وإليه، ولازمه كون المجموع تشابه الأجزاء لا يفترق البعض من البعض في أوصافه وحالاته، وإذا كان الكلام في اصطفائهم أفاد ذلك أنّهم ذريته لا يفترقون في صفات الفضيله التي اصطفاهم الله لأجلها على العالمين، إذ لا جُزاف ولا لَعِب في الأفعال الإلهية، ومنها الاصطفاء الذي هو منشأ خيرات هامّة في العالم.

ثمّ قالت الآية: (وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ، أى سميع بأقوالهم الدالّة على باطن ضمائرهم، عليم بباطن ضمائرهم وما في قلوبهم؛ فالجملة بمنزلة التعليل لاصطفائهم، كما أنّ قوله: (ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ) ، بمنزلة التعليل لشمول موهبه الاصطفاء لهؤلاء الجماعة.

فالمحصّل من الكلام: إنّ الله اصطفى هؤلاء على العالمين، وإنّما سرى الاصطفاء إلى جميعهم؛ لأنّهم ذريته متشابهة الأفراد، بعضهم يرجع إلى البعض في تسليم القلوب وثبات القول بالحقّ، وإنّما أنعم عليهم بالاصطفاء على العالمين؛ لأنّه سميع عليم، يسمع أقوالهم و يعلم ما في قلوبهم(1).

ص: ٤٤٥

ولعلّ معنى (أَنَّ الله سميعٌ عليمٌ): أَنَّهُ تعالى سميعٌ عليمٌ بأقوال النَّاسِ، فيصطفى مَنْ له المصلحة في اصطفاؤه(١).

ثُمَّ إِنَّهُ ورد في الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام عن النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قال في وصيه له لأَمير المؤمنين عليه السلام: «يا عليّ، إِنَّ الله عزَّ وجلَّ أشرف على الدنيا فاختراني منها على رجال العالمين، ثُمَّ اطَّلِعَ الثانيه فاخترك على رجال العالمين بعدى، ثُمَّ اطَّلِعَ الثالثه فاختر الأئمّه من ولدك على رجال العالمين بعدك، ثُمَّ اطَّلِعَ الرابعه فاختر فاطمه على نساء العالمين»(٢).

هؤلاء هم ذرية النبيِّ صلى الله عليه وآله، وبهم يُدفع البلاء ويكشف الكرب.

نقل بعض العلماء عن العالم العامل الثقة الجليل آية الله الشيخ العلامة المعروف ب (آقاي علامه) بمدينة بوم الإيرانية، فقال: جاء إلى مدينة يزد جماعه من علماء النصارى - وكان ذلك أيام حُكْم رضا شاه - ليسألوا العلماء والخطباء عن بعض مسائل الإسلام، وكان الغرض الأصلي من ذلك هو إلقاء الشكِّ والشبهه في قلوب النَّاسِ؛ لبيتعدوا عن الإسلام وعلماء الدين، فاختروا إحدى الباحثات العامه لذلك، وتجمّع النَّاس من مختلف الطبقات، واستمرت هذه الحال ثلاثة أيام قال الشيخ: وكنتُ غائباً فأخبرتُ بالموضوع فحضرت، فقال لي بعض العلماء: إِنَّ هؤلاء القوم الغرباء ألقوا الشكَّ في قلوب النَّاسِ، فانظر ماذا تصنع أنت؟

قال الشيخ: فتقدّمتُ - بعد التوكّل على الله تعالى - لأستمع إلى بعض أسئلتهم، فقال لي رئيسهم: أتؤمنون بالمسيح عيسى؟

ص: ٤٤٦

١- (١) انظر: تفسير كنز الدقائق: ج ٢، ص ٦٧.

٢- (٢) الخصال: ص ٢٠٦ - ص ٢٠٧، ح ٢٥. مكارم الأخلاق: ص ٤٤٤. تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٢٢٩، ح ١٠١. ينابيع الموده: ج ٢، ص ٢٧٤، ح ٧٨٣. بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٩٩، ضمن حديث ١١.

قلتُ: نعم نؤمن به نبياً من الأنبياء، وهو الذى بشرَ بنبوه نبينا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وبذلك صرح القرآن.

فقال: أنتم تروون حديثاً عن نبيكم وهو قوله: «علماء أمتي كأنياء بني إسرائيل»، قلتُ: نعم.

فقال: إنَّ أنبياء بني إسرائيل يُحيون الموتى أنفعلون ذلك أنتم؟

قلتُ: إنَّ أنبياء بني إسرائيل لا يفعلون ذلك إلا إذا توقف الاعتقاد بنبوتهم عليه، ويكون ذلك بإذن الله تعالى، ونحن نفعل ذلك بشرط أن تذهب وتأتينا من كلِّ بلدٍ مسيحيٍّ بمندوب وتأتون إلى هنا، وهذه مقبره المسلمين نحييها لكم بمن فيها رجالاً ونساء صغاراً وكباراً.

قال الشيخ: نظرتُ إليهم وهم ينظر بعضهم بوجه بعضٍ فى غاية الدهشه والتعجب، ولم يجدوا سبيلاً غير قبول كلامي.

فقالوا - بعد المشاوره -: نذهبُ إلى الفاتيكان ونعرض عليهم الأمر، ثمَّ انتهت الجلسة وخرجوا من ذلك المكان.

فانهال الناس علىَّ يُقبلون يدي، ويتشكرون منى ويباركون عملي، واجتمع العلماء فسألوني: كيف تستطيع أن تحيي الموتى؟

فقلتُ: إنَّكم غفلتم عن شىء أساسى وهو وجود الإمام المهدي صاحب الزمان عليه السلام، فإنَّ القوم إن جاؤوا إلى هنا فسأفرش عباءتى وسط الطريق وأصلى لربى ركعتين وأتوسل بالحجّه المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهو الذى يأتى ويحيى الموتى بقدره الله عزَّ وجلَّ لا أنا وأمثالي، وشاع الخبر فى كلِّ مكانٍ.

يقول الشيخ: وبعد هذه القضييه بمدّه قصيره وبيننا أنا فى البيت إذ طرق الباب، فذهبتُ بنفسى وفتحتُ الباب، وإذا برجلٍ ومعه امرأه طلب منى أن أسمح له بالدخول؛ لأنَّه يُريدنى لأمرٍ، فدخل، وعندما استقرَّ به المجلس قال: أنا رجلٌ من الزردوشت - وهم

فرقه يعبدون النار - ولست من المسلمين، وهذه المرأة زوجتي وقد سمعت بمحاججتك مع النصارى، وقد جئتُ أطلبُ منك أن تهديني إلى عملٍ أعمله لأرزق به مولوداً، فقد مضى على زواجي عشرون عاماً وأنا من غير ذريه، أتستطيع مساعدتي في ذلك؟ فقلتُ له: نعم، ولكن بشرط أن تنوى نيته صادقه أنت وزوجتك الدخول في دين الإسلام، فقال: نعم أوافق على هذا الشرط، وها أنا نويتُ وكذا قالت الزوجه.

قال الشيخ: فقلتُ له: اذهب إلى خراسان حيث المرقد المقدس للإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، ولا تدخل إلى داخل الحرم، ولكن اطلب حاجتك من خارج الحرم تُقضى بإذن الله تعالى.

قال الشيخ: ذهب الرجل ومزّت مدّه طويله كدت أن أنسى الموضوع، وإذا رجل يأتي ومعه زوجته وطرق الباب فعندما فتحتُ له الباب حيّاني بتحيه الإسلام، فقال: السلام عليكم. فرددتُ عليه السلام، ودخل.

فقال: البشرى يا شيخ، إنّ امرأتى حامل في شهرها الخامس، وأنا منذ الشهر الأول أصبحت مسلماً وكذلك زوجتي، وقد جننا نُجدد إسلامنا على يديك وقد بقيت هذه الأشهر مأنوساً عند الإمام الرضا عليه السلام، حتّى تحرّك الجنين في بطن أمّه، ثمّ تشهدا الشهادتين وأقرأ بالائمه من آل مُحَمَّد صلى الله عليه و آله.

فقلتُ: الحمد لله على قضاء حاجتك وإسلامك، ها أنت قد أصبحت من المسلمين، فسأختار لك إسماً جديداً وهو (عليّ) فقال: حُبّاً وكرامه.

وقلتُ: واخترتُ لجنينكم إسماً وهو (رضا)، وأمّا أنتِ أيتها المرأة المسلمه فأختار لك إسماً وهو (نجمه) باسم أمّ الإمام الرضا عليه السلام، فقلت: ولكنّي أسمع الشيعة في مجالسهم ينوحون ويندبون وينادون: زهراء يا زهراء يا زهراء فأحببتُ هذا الاسم، وأرغبُ أن يكون لي هذا الاسم الشريف.

الله أكبر، اسم فاطمه فى قلب هذه المرأه الطيبه، لكنّ القوم كانوا يعرفون من هى فاطمه؟ ومع هذا آذوها.

أَيُّهَا النَّاسُ بَابُ فَاطِمَةَ بِأَبِي مِثْلَمَا قَدْ غَدَا حِمَاى حِمَاها

أَيُّهَا النَّاسُ فَاحْفَظُونِى فِىهَا تَاهُ فِى الْغَى مَنْ بِسُوءِ أَتَاهَا

حَرَّ قَلْبِى لَهَا عَشِيَّتِهِ وَافْتِ لَأَيُّهَا تَبَثُّ شَكْوَاهَا

لَسْتُ أَدْرِى وَلَيْتَنِى كُنْتُ أَدْرِى أَىَّ حَظِّبٍ تَبَثُّ مِمَّا دَهَاها

أَحَدِثِ النَّارَ الَّتِى أَضْرَمَها بَيْنَا دَارَهَا الْمَشِيدَ ذَرَاهَا

أَمْ حَدِيثِ الْجِنِّ إِذْ أَسْقَطْتَهُ أَمْ نُبُوتِ الْمَسْمَارِ فِى أَحْشَاهَا

وَكَأَنِّى بِهَا تَخَاطَبْتُ أَبَاهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

(نصارى)

گو مگ بيوه مارعونى واخلاف عينك مررونى

وامن البچه اعليک امنعونى اووره الباب لمن هيسونى

للحايط اوليه اعصرونى كسروا اضلوعى اوسگطونى

اوبزه المدينه طلعونى

\*\*\*

أدموا نواظرها ميراثها غضبوا(1) رضوا أضالعتها أجروا مدامعها

\*\*\*

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَىَّ مُتَقَلِّبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

١- (١) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ٤، ص ٦٢.









أيا راكباً مهريه شأت الصبا كأن لها خيط الخيال زمام  
إذا جُزّت في وادي قبا قل بعوله أهاشم هُبوا فالقعود حرام  
لقد حلّ فيكم حادثٌ أيّ حادثٍ هوت فيه للدين الحنيفِ دعامُ  
قضى السبّ ظمآن الفؤادِ وشلوه لبيض المواضي والزّماحِ طعامُ  
وقد قطعت أوداجه بشبا الطبا ورُضت له بالصفانِ عظامُ  
وأعظم خطبٍ زلزل الكونَ شجوه ودكّ الرواسي فهى منه رمامُ  
هجومُ العدى بغياً على حُجبِ أحمدٍ ولم يرع فيها للنبيّ ذمامُ  
فبيننا بنات الوحي في الخدرِ إذ به أحاطت لسلب الطاهراتِ طعامُ  
ففرّت من الأعداءِ حسرى مروعه لها الصون سترٌ والعفاف لثامُ  
تُجيل بطرفٍ للحماء فلا ترى سوى جُثثٍ قد غالهنّ حمامُ (١)

ص: ٤٥٣

١- (١) القصيدة للسيد عباس البغدادي رحمه الله، قال عنه السيد جواد شبر في أدب الطف: ج ٨، ص ٢٤٢ - ص ٢٤٦: «السيد عباس الموسوي البغدادي، ابن علي بن حسين درويش... ابن إبراهيم المُجاب بن محمد العابد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام... كان من خطباء بغداد البارزين بل خطيبها الأول، اشتهر بالفضل والصفّ الاح. وُلد سنة إحدى وسبعين ومائتين بعد الألف هجريه (١٢٧١ هـ) بمدينة بغداد ونشأ فيها، درس النحو والمنطق، وقد سجّل المترجم له مبدأ تدرّجه على الخطابه في كتابه (المآتم لمن رام التعزیه) فقال: كنت في عنفوان الشباب شديد الاشتياق إلى استماع المراثي الحسينيه، وأتطلب المجالس التي تُعد لمصابه، فزوّجني أبي من ابنه معلّمی، وذلك سنة (١٢٨٧ هـ) وبقيت معه ألتقط من نائله ست سنوات، ثم مضى بعدها للحله وفيها قومه وعشيرته، وهم يُعدّون من أشرفها، فمكث فيها سته أشهر، وتوفى فيها سنة ألف ومائتين وثلاث وتسعين (١٢٩٣ هـ)، تغمّده الله برحمته... له قصيده في المجالس الحسينيه ومنها: فيا راكباً مهريه شأت الصبا كأن لها خيط الخيال زمام... لقد قضى السيد عباس عمراً في خدمه المنبر الحسيني واعظاً ومُرشداً ومُحدثاً وناصحاً، ومنابر بغداد تشهد له، ومحافلها تذكّره بكلّ إعزاز وفخر».

ولذا لما سأل أبو حمزة رضى الله عنه الإمام زين العابدين عليه السلام عن سبب حُزنه كَأَنِّي بِهِ يَجِيه:

(موشح)

أُكْبَلُ عَيْنِي شَفْتِ غُومِي أَمْصِرَّعَهُ

أَعْلَهُ التَّرَابُ وَبِالسَّيُوفِ مَوْزَعَهُ وَالْمُصِيبَةَ الْمُنْهَاهَا دَمٌ دَمَعِي يَهْلُ

وَالذَّجْرُهَا أَعْلَى صَعْبٌ مَا هُوَ سَهْلٌ أَرَكُوبُ عَمَّاتِي وَخَوَاتِي أَعْلَهُ الْهَزْلُ

ذَاكَ عِنْدِي مِنْ جِطَلِ غُومِي أَمْرٌ وَالرِّزِيهِ النَّارُهَا تَوْجٌ مَا تَهْيِدُ

أَوَّلَهَا كُلِّ يَوْمِ الْيَمْرِ مَا تَمَّ جَدِيدٌ أَدْخُولُ عَمَّاتِي بَعْدَ مَجْلِسِ يَزِيدِ

أَصْعَبُ الْكَلِّ وَأَنْتَهُ عِنْدَكَ بِيهِ خُبْرُ

\*\*\*

قال تعالى: (وَ إِذِ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) ١ .

موضوع هذه الآية الشريفة - كما هو واضح - هو الشكر، فما هي حقيقته وأقسامه، وكيف نشكر المنعم؟

قال الراغب: «الشُّكْرُ تَصَوُّرُ النِّعْمَةِ وَإِظْهَارُهَا، قِيلَ: وَهُوَ مَقْلُوبٌ عَنِ الْكُشْرِ، أَيْ: الْكُشْفِ، وَيضادُّهُ الْكُفْرُ، وَهُوَ نَسْيَانُ النِّعْمَةِ

وَسْتِرْهَا، وَدَابَّتْهُ شُكُورُهُ مَظْهَرُهُ بِسَمْنِهِ إِسْدَاءٌ صَاحِبِهَا إِلَيْهَا» (١).

ويبغى الكلام في عدّه مقامات:

المقام الأول: أنواع الشُّكْرِ

١ - شُكْرٌ بِالْقَلْبِ: وَهُوَ تَصَوُّرُ النِّعْمَةِ، فَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ

ص: ٤٥٤

أنعم الله عليه بنعمه فعرّفها بقلبه فقد أدّى شكرها»(١).

٢ - شُكْرٌ باللسان: وهو الثناء على المُنعم.

٣ - شُكْرٌ بسائر الجوارح: وهو مكافاه النعمه بقدر استحقاقها، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما كان الله ليفتح على عبدٍ باب الشكر ويغلق عنه باب الزيادة»(٢).

وفى الاحتجاج عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: ولقد قام رسول الله صلى الله عليه وآله عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورّمت قدماه واصّفرَ وجهه، يقوم الليل أجمع حتى عوّب في ذلك، فقال تعالى: (طه \* ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) بل لتسعد به»(٣).

المقام الثانى فى محل الاستدراج:

الاستدراج وهو أنّ العبد كلما جدّد خطيئته جدّد الله عزّ وجلّ له نعمه وأنساه الاستغفار، وأن يأخذه قليلاً قليلاً ولا يباغته.

وأول ثمره من ثمرات الشُّكر تظهر لمنع الاستدراج، ففى الكافى الشّريف عن عُمر بن يزيد، قال: قُلْتُ لأبى عبد الله عليه السلام: «إِنّى سألتُ الله عزّ وجلّ أن يرزُقنى مالاً - فرزقنى، وإِنّى سألتُ الله أن يرزُقنى ولداً فرزقنى ولداً، وسألتُه أن يرزُقنى داراً فرزقنى، وقد خفتُ أن

ص: ٤٥٥

١- (١) الكافى: ج ٢، ص ٩٦، ح ١٥، عنه بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٣٢، ح ١٠.

٢- (٢) نهج البلاغه: ج ٤، ص ١٠٢، رقم ٤٣٥، عنه بحار الأنوار: ج ٦، ص ٣٦، ح ٥٨، وج ٦٨، ص ٢٤، وص ٥٤، وج ٩٠، ص ٣٦٦، ح ١٥.

٣- (٣) الاحتجاج: ج ١، ص ٣٢٦. وأنظر: حليه الأبرار: ج ١، ص ٢٤٥. التفسير الصافى: ج ٣، ص ٢٩٩. تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٣٦٧، ح ١٠، وج ٤، ص ٣١٧. بحار الأنوار: ج ١٧، ص ٢٨٧. وج ٦٨، ص ٢٦. والجميع ما عدا الحليه عن كتاب الاحتجاج.

يكون ذلك استدراجاً، فقال: أما والله مع الحمد فلا» (١).

فالاستدراج إذن لا يحصل مع الشكر والحمد لله تبارك وتعالى.

المقام الثالث: فى أهم أقسام الشكر

من أهم أقسام الشكر هو الشكر لمن أُجريت على يديه النعمة، حتى عُدَّ الشاكر لله تعالى، ولم يشكر من أُجريت النعمة على يديه من الذين لم يشكروا النعمة، كما فى غير روايه، منها:

عن أبى الصيلى الهروى عن الإمام الرضا عليه السلام عن آباءه عن أجداده عن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال صلى الله عليه وآله: «يؤتى بعد يوم القيامة فيوقف بين يدي الله عز وجل فيأمر به إلى النار! فيقول: أى رب، أمرت بى إلى النار وقد قرأت القرآن، فيقول الله: أى عبدى، إنى أنعمت عليك ولم تشكر نعمتى. فيقول: ربى أنعمت على بكذا شكرت بكذا، وأنعمت على بكذا فشكرت بكذا. فلا يزال يحصى النعم ويعدد الشكر، فيقول الله تعالى: صدقت عبدى، إلا أنك لم تشكر من أُجريت لك نعمتى على يديه، وإنى قد آليت على نفسى أن لا أقبل شكر عبدٍ لنعمه أنعمتها عليه حتى يشكر من ساقها من خلقى إليه» (٢).

المقام الرابع: كيفيه شكر المنعم

إن لشكران كل نعمه أنعم بها الله تبارك وتعالى - سواء صارت وأجريت على يد إنسان آخر أم لا - شروطاً ينبغي معرفتها:

ص: ٤٥٦

١- (١) الكافى: ج ٢، ص ٩٧، ح ١٨، عنه تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٣٩٧، ح ٥٩. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٣٢، ح ١٢، عن الكافى.

٢- (٢) أمالى الشيخ الطوسى: ص ٤٥٠. وسائل الشيعه: ج ١٦، ص ٣١٢، ح ١٢. بحار الأنوار: ج ٧، ص ٢٢٣ - ص ٢٢٤، ح ١٤١، عن الأمالى، وج ٦٦، ص ٧٠.

الأول: أن يعرف نِعَمَهُ ولا ينسب إلى ذاته وصفاته ما لا يليقُ به، وكلُّ ما قابل هذا المعنى فهو الكفران، وقد ذمَّ الله تبارك وتعالى في كثير من الآيات الكُفَارَ لكفرانهم بالنعمة، وإنكار وجود منعمهم، وجعل الشريك له (١).

الثاني: أن يعلم هذه النعمة من قبلِ مَنْ جاءت؟ ولا ينسب نِعَمَ الله إلى غيره.

الثالث: أن يُظهر تلك النعمة ويجري ثناء المنعم على اللسان، كما روى بأسانيد معتبره عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «ما أنعم الله على عبدٍ بنعمه صَغُرَتْ أو كَبُرَتْ فقال: الحمدُ لله، إلا أَدَى شُكْرَهَا» (٢).

الرابع: أن يُصِرِّفَ تلك النعمة فيما يُرضى المُنعم، وأن يُؤدِّيَ الحَقَّ الَّذِي جعله الله تعالى في تلك النعمة، فمثلاً: شكر نعمه اللسان التحدُّث بما أوجب الله تعالى والتحدُّث عنه، وحفظه عن المُحرِّمات والمكروهات.

وكذلك شكر العين والأذن واليد والرجل وسائر الأعضاء والجوارح والقوى، وشكر المال صرفه فيما يرضى المنعم، وأداء ما أوجبه فيه، وشكر نعمه العلم بذله إلى طلابه والعمل به، ولا يجعله آله للباطل، وفي كلِّ هذا يُعوِّضه الله وفقاً لما أوعدته.

ومن جُملة شُكْرِ المنعم التَّفكُّر في نِعَمِهِ والإقرار بأنَّها لا تُحصَى، ولو تفكَّر شخصٌ في نعم الله التي تترتَّب على أكلِ كُلِّ لُقْمَةٍ خُبِزٍ من طريقه تحصيلها إلى صيرورتها بهذه الهيئة القابلة للأكل وما يترتَّب عليها بعد الأكل إلى صيرورتها جُزءاً في الجسم، لأذعن باستحاله عدَّ نعم الله، بل لو تفكَّر جيداً لرأى أن كُلَّ نعمه أنعمها الله تعالى إلى غيره تكون نعمه له

ص: ٤٥٧

١- (١) مثل قوله تعالى: (سَلِّ بِنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيْنَهُ وَ مَن يُبَدِّل نِعْمَةَ اللَّهِ مَن بَعْدَ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) البقره: آيه ٢١١. وآيات أخر كثيره بهذا المضمون.

٢- (٢) الكافي: ج ٢، ص ٩٦، ح ١٤، عنه التفسير الصافي: ج ١، ص ٨٣. تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ١٥، ح ٥٨، وج ٢، ص ٥٢٩، ح ٢٢. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٣٢، ح ٩، عن الكافي.

أيضاً؛ لأنَّ الإنسان مدنيّ بالطبع ومُحتاج إلى الآخرين؛ لأنَّ كلَّ نعمه أنعمت على كلِّ شخصٍ من لدن آدم عليه السلام إلى زمان الشُّكر، لها دخلٌ في وجودك وبقائك وكمالك.

فهذا هو التفكر الممدوح والذي أمر به الأئمّه عليهم السلام، وله فوائد جمّه؛ لأنّه يُوجب مزيدَ المعرفة بالمنعم، ويعرّف عجزَ الإنسانِ ونقصه واحتياجه، فيكون باعثاً على العباده ومانعاً عن المحرّمات، ويوجب الرضا بقضاء الله وعدم كفران النعمه، قال تعالى: (وَإِنْ تَعِيدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا) ١، ورؤى عن الإمام الجواد عليه السلام أنّه قال: «دعا سلمانُ رحمه الله أبا ذر إلى منزله، فقدم إليه رغيفين، فأخذ أبو ذر الرغيفين يُقلّبهما، فقال له سلمان: يا أبا ذر لأني شيءٌ تُقلّب هذين الرغيفين؟ قال: خفتُ أن لا يكونا نضجين. فغضب سلمان من ذلك غضباً شديداً، ثمّ قال: ما أجراكَ حيثُ تُقلّب هذين الرغيفين، فوالله، لقد عمل في هذا الخبز الماءُ الذي تحت العرش، وعملت فيه الملائكه حتّى ألقوه إلى الريح، وعملت فيه الريح حتّى ألقته إلى السحاب، وعمل فيه السحاب حتّى أمطره إلى الأرض، وعمل فيه الرعد والملائكه حتّى وضعوه مواضعه، وعملت فيه الأرض والخشب والحديد والبهائم والنار والحطب والملح، وما لا أحصيه أكثر، فكيف لك أن تقوم بهذا الشُّكر؟! فقال أبو ذر: إلى الله أتوب، وأستغفر الله ممّا أحدثتُ، وإليك أعتذر ممّا كرهتُ» (١).

ولذا يكون الإنسان عاجزاً عن أداء الشُّكر لله تعالى.

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: «يا موسى، اشكرني حقَّ شُكري، فقال: ياربِّ، كيف أشُكرك حقَّ شُكرِك؟ وليس من شُكرٍ أشُكرُك به إلاّ وأنت أنعمتَ به عليّ.

ص: ٤٥٨

---

١- (٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥٢٧ - ص ٥٢٨، ح ٦. عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٥٧، ح ٢٠٣، عنه بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ٣٢٠، ح ٨، وج ٦٨، ص ٤٥، ح ٥١.



فقال: يا موسى، شكرتني حقَّ شكري حينَ عَلِمْتَ أَنَّ ذلكَ مِنِّي» (١).

وقد ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام في الصَّحيفه المباركه السَّجَّاديه في دُعائه في الإعراف بالتقصير عن تأديه الشكر قوله: «فأشكركَ عابِدك عاجزٌ عن شُكرِك» (٢).

ويقول أيضاً في مُناجاة الشَّاكرين: «فكيفَ لي بتحصيلِ الشُّكر وشُكري إِيَّاك يفتقرُ إلى شُكرٍ، فكَلِّمًا قُلْتَ: لكَّ الحمدُ وجبَ عليّ لذلكَ أن أقولَ لكَّ الحمدُ» (٣).

وأيضاً كلَّ معصيه هي كفران لنعم غير مُتناهيه من نعم الله تعالى، سواء في أصول الدِّين أم في فروعه، مثلاً: أنَّ وجود نبيِّ آخر الزمان صلي الله عليه وآله وبعثته من أعظم النعم الإلهيه على العباد، فقد جعله الله تعالى وسيله للسَّعاده الأبديّه، وواسطه للنَّعم الدُّنيويّه والأخرويّه، وكذلك أوصياؤه عليهم السلام.

وشكر هذه النعمه الإقرار بعظمتهم وإطاعتهم في الأوامر والنواهي، فإنكارهم أقبح مصاديق الكُفران بنعمه وجودهم، وبعد الإقرار ففي كلِّ ذنبٍ يكون كافراً لهذه النعمه العظيمه، والذنب لا بُدَّ أن يصدر من عضوٍ من الأعضاء، فيكون الكفر بنعمه ذلك العضو.

لكن للأسف لم يُعرف قدر النبيِّ الأكرم صلي الله عليه وآله وقدر أهل بيته عليهم السلام، ولم يُشكروا على النعمه التي أجزاها الله تبارك وتعالى على أيديهم، وقدّموها إلى هذه الأمّه، فجاءت الظلمات ترا على أهل بيت العصمه والطَّهاره.

فعندما توفي النبيِّ الأكرم صلي الله عليه وآله بدأت تظهر قساوه القوم، وظلمهم أخذ ينتشر انتشار

ص: ٤٥٩

١- (١) الكافي: ج ٢، ص ٩٨، ح ٢٧. قصص الأنبياء (الراوندي): ص ١٦٤، ح ١٧٨. قصص الأنبياء (الجزائري): ص ٣٤٦. رياض السالكين: ج ١، ص ٣١٤، وج ٥، ص ٢٣٣. بحار الأنوار: ج ١٣، ص ٣٥١، ح ٤١، وج ٦٨، ص ٣٦، ح ٢٢، عن الكافي.

٢- (٢) الصحيفه السجَّاديه: ص ١٨٤ (دعاؤه في الشكر). المصباح (الكفعمي): ص ٤١٣.

٣- (٣) الصحيفه السجَّاديه (أبطحي): ص ٤١٠ (مناجاة الشَّاكرين). بحار الأنوار: ج ٩١، ص ١٤٦.

النار في الهشيم، فأول حق اغتصبوه هو حق الولاية لأمر المؤمنين عليه السلام الذي ندب به القرآن، ولهجت به السنة المطهرة، وعظمه أهل البيت عليهم السلام.

ومن هنا نجد أن الحوار الصدامي الذي خاضته فاطمة الزهراء عليها السلام ضد أبي بكر، وتحت لافتة (فدك) لم يكن من أجل (فدك)، وهي العزوفه المتقشفه في كل مراحل حياتها، وإنما كانت تُحاول مجابهه الخلافه التي لم تعترف بها من جهه، والدفاع عن قدسيته كمعصومه.

وفي الجانب الآخر نجد أن حرص أبي بكر على مُصادره (فدك) لم يكن حرصاً على فدك بمقدار ما كان حرصاً على صرف الخلافه عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، كما كان لضرب العصمه بدليل مطالبتها بالشهود، رغم أن ذا اليد لا يطالب بالشهود، ورغم أن كل من عصمه الله بنص القرآن لا يطالب بالشهود، فشاهده القرآن وكفى به شاهداً(١).

فعندما ألفت الحجّه على القوم بخطبتها التي بينت فيها ما لّد وطاب، وما اشتمت عليه من المعارف الإلهيه، رجعت بعد ذلك إلى الدار، فلما استقرت بها الدار، قالت لأمر المؤمنين عليه السلام: «يا بن أبي طالب، إشمتمت شمله الجنين، وقعدت حجره الظنين ويلاي في كل شارق، مات العميد ووهن العضد! شكواي إلى أبي! وعدواي إلى ربّي! اللهم أنت أشدّ قوه وحولاً، وأحدّ بأساً وتنكياً».

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا- ويل عليك، الويل لشائتك، نهني عن وجدك يا ابنه الصفوه وبقية النبوه، فما وهنت عن ديني ولا- أخطأت مقدوري، فإن كنت تريدين البلغه فرزقك مضمون، وكفياك مأمون، وما أعد لك خير مما قطع عنك، فاحتسبي الله. فقالت: حسبي الله. وأمست وجلست في دارها حزينة باكياً»(٢):

ص: ٤٦٠

١- (١) إشاره إلى آيه التطهير حيث يقول عز من قائل: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) الأحزاب: آيه ٣٣، وأنظر: مقدمه كتاب كلمه فاطمه الزهراء عليها السلام للسيد حسن الشيرازي رحمه الله.

٢- (٢) انظر: خطبه الزهراء عليهما السلام في المصادر التاليه:

طبت دارها وظلت عليه وجفنها من السهر ما نام ليله  
تروح الكبر أبوها وتشتجيله وهو بكبره وعلى الزهره يتهظم  
من تسمع بذكر النبي الهادي تسمع للمنابر والنوادي  
تغيب الروح من عدها وتنادى يريت وياك ياخذني المحتم

\*\*\*

ظلت تون والوته شجيه يون يمها الحسن وحسين أخيه  
لمن غربت منها المتيه وصت تندفن بليل الأظلم

\*\*\*

وكأني بها تقول: يا أبتاه جرحوا عيني وكسروا قلبي

(بحراني)

ظليت أسبح بالهظم والظلم والجور من فارغت وجهك ووجهك مصدرالنور  
وبعين مجروحه أعيش وضلع مكسور من عصرت الباب أذت بيها عن الكوم  
يا ليت عينك شاهدتني وشافت الصار يا والدي من اختارك الواحد القهار

هجمو على ونبتوا بالصدر مسمار وسياط قنفذ سوت بمتنى الرسوم

لمن تتوجه؟! لأبيها وقد صافح التراب جبينه!

عندها توجهت لزوجها أمير المؤمنين عليه السلام:

(تغريد الحزين)

عدمن أشتكيهمنى وياهو اليشكىنى

وأنا ضلعي انكسر بالباب يحيدر وانظفت عيني

تقول اظهر اشيدى الصادر وتفطن المتينى

فبنى لها أمير المؤمنين عليه السلام بيتاً سماه بيت الأحزان، فقامت تأخذ بيد الحسن والحسين عليهما السلام وتبكي عند قبر والدها، وتشكى ما جرى عليها بعد فراق والدها (١)، وكأني بها:

بويه الكوم بعدك لوعونى إجو للدار بويه ورؤعونى

وره الباب يا بويه اعصرونى وطحت بويه وتجرى منى العين

\*\*\*

والله مدله ييام أبوها بس ما غاب عنها رؤعوها

اجوا للباب ويلي واعصروها

ذكر بعضهم أن أسماء سألت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن شدّه بكائه على فاطمه عليها السلام؟ فقال: «عندما أوصتنى فاطمه أن أغسلها من وراء الثياب، غسلتها فينما أنا أغسلها وإذا

ص: ٤٦٢

نظرت إلى ثيابها قد ارتفعت، ففتشت عن السبب فوجدتُ أحد أضلاعها مكسوره» (١).

الشاعر يتوجه لأمر المؤمنين عليه السلام يُخاطبه يقول له: ضِلِّعٌ واحد هكذا أثر بك وأخذ منك هذا المأخذ يا أمير المؤمنين! فكيف بك لو رأيت تلك الأضلاع المهشومه المكسوره والمرضوضه، وهى أضلاع سيد الشهداء أبى عبد الله؟! آه:

ضلع واحد على رخص دموع العين وظل يجذب الحسره ويصفج ايدين

بالله اشلون لو عاين اضلوع حسين وخيل الكوم ذاك اليوم رضنه

\*\*\*

وبرض ذاك الضلع رُضت أضلع فى طيها سر الإله مصون

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أى مُثقلب ينقلبون

والعاقبه للمتقين

ص: ٤٦٣









يا خليلي خبرانِ بصدقٍ رُبّما يطلبُ النبيه انتباها

من عدى ظلّه وَمَن رَاعَ ظلماً بضعة المصطفى وَمَن أشجاها

من حمى لذه الكرى مُقلتيها وَعَنِ الإرثِ عدوّه نَحَاها

مَن زوى حقّها وَمَن أضرمَ النارَ على بابِ بيتها وَمَن أذكاها

أو ما قال خاتمُ الرّسلِ فيها فاطمُ بضعتي ولاي ولاها

فاطمُ روحى التى بينَ جنبيّ وريحانتي التى أهواها

أيّها النَّاسُ فاحفظونى فيها تاه فى الغى مَن بسوءِ أتاها

حرّ قلبى لها عشيةً وافت لأبيها تبثه شكواها

لستُ أدرى وليتنى كُنتُ أدرى أىّ أمرٍ تبثُ ممّا دهاها

أحديثَ النَّارِ التى أضرموها بفنا دارها المشيد ذراها

أم حديثَ الجنين الذى أسقطته أم نبوت المسمار فى أحشاها(1)

\*\*\*

(بحراني)

بنت النبي ماتت بعلتها خفيه آجر ك الله يا على فى هالرزيه

ظلوا يتامه من بعدها حسن وحسين كل من يگول أمنه البتوله خويه چا وين

نادى على المرتضى واصفك الجفين آجر كم الله يا اولادى فى الزچيه

مكسوره الأضلاع وا حزنى عليها دهري فجعنى بالنبي واليوم بيها

گوموا دعينونى اوجيوا النعش ليها أو ظلّت نواديها مُظلمه هالعشيه

(أبوذيه)

ص: ٤٦٧

١- (١) القصيدة للشاعر الشيخ محمد حسن المُرَاياتي الكاظمي رحمه الله، ولم أعر على ترجمته.

أريد أگعد ونوحن بيك يابيت على الكسروا ضلعها وغصب يابت

يَمَّ حسين تبجى عليج يابت أظنها الى انسبت بالغازريه

\*\*\*

قال تعالى فى محكم كتابه الكريم: (وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ لَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا) ١ .

بعد ما رجع النبى صلى الله عليه و آله إلى المدينه المنوره نزل جبرائيل من عند الرب الجليل بالآيه الكريمه، فانشغل فكر النبى بذى القربى من هم؟ وما حقهم؟ فنزل جبرائيل ثانياً عليه، وقال: «إِنَّ الله سبحانه يأمرک أن تُعطى فداً لفاطمه عليها السلام، فطلب النبى صلى الله عليه و آله ابنته فاطمه عليها السلام وقال: إِنَّ الله تعالى أمرنى أن أدفع إليك فداً. فمنحها وتصرفت هى فيها وأخذت حاصلها، فكانت تُنفقها على المساكين» (١).

أما الرويات التى عندنا فى تفسير هذه الآيه فهى كثيره، روى عدداً منها السيد هاشم البحرانى فى تفسيره البرهان فى ذيل هذه الآيه المباركه، وقد ذكر ما يقارب العشرين روايه وهى بهذا المضمون وإن اختلفت بالألفاظ، وفى بعضها الصحيح من الروايات، وهو كافٍ لنا فى تحقّق الواقعه (٢).

وأما من طريق العامه، فقد ذكر ذلك السيوطى فى الدر المنثور (٣) والحاكم الحسكانى

ص: ٤٤٨

١- (٢) الكافى: ج ١، ص ٥٤٣، ح ٥. فقه القرآن (الراوندى): ج ١، ص ٢٤٨. التفسير الصافى: ج ٣، ص ١٨٦، عن الكافى. تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ١٥٤، ح ١٥٨. غايه المرام: ج ٣، ص ٣٨٤، ح ١. بحار الأنوار: ج ٤٨، ص ١٥٦ - ص ١٥٧، ح ٢٩، عن الكافى.

٢- (٣) تفسير البرهان: ج ٤، ص ٥٥١ - ص ٥٥٥.

٣- (٤) انظر: تفسير الدر المنثور: ج ٤، ص ١٧٧.

فى شواهد التنزيل (١) والمتمقى الهندى فى كنز العمال (٢)، والشىخ سليمان الحنفى فى ينابيع الموده (٣)، وغيرهم.

فكانت فذك فى يد فاطمه عليها السلام، يعمل عليها عمالها، ويأتون بحاصلها فى حياه النبى صلى الله عليه وآله، وهى عليها السلام كانت تتصرف فيها كيفما شاءت، تنفق على نفسها وعيالها وتتصدق منها على الفقراء والمعوزين.

ولكن بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله أرسل أبو بكر جماعه فأخرجوا عمال فاطمه من فذك، وغصبوها وتصرفوا فيها تصرفاً عدوانياً.

فعندما سئل عن ذلك، قال: سمعنا النبى صلى الله عليه وآله قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقه» (٤).

ولكن بغض النظر عن إسناد الحديث ومعارضته لكتاب الله.

أولاً: هل يصدق إنسان بهذا الكلام، بعدما سمعت من هؤلاء بأن فذكاً كانت نحلته وهبه من النبى صلى الله عليه وآله، وهى استلمتها وتصرفت فيها، فهى عليها السلام كانت متصرفه فى فذك حين أخذها أبو بكر، وما كانت إرثاً.

وثانياً: إن الحديث الذى استند إليه أبو بكر مردود وغير مقبول؛ لأنه حديث موضوع، لوجود إشكالات فيه، فإن واضع الحديث عندما وضعه قد غفل عن آيات الموارث التى جاءت فى القرآن الكريم، ولو كان يقول: «أنا لا أورث» لكان له مخلص من

ص: ٤٦٩

١- (١) انظر: شواهد التنزيل: ج ١، ص ٤٣٨ - ص ٤٤١، حديث (٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣).

٢- (٢) انظر: كنز العمال: ج ٣، ص ٧٦٧، ح ٨٦٩٦.

٣- (٣) انظر: ينابيع الموده: ج ١، ص ١٣٨، ص ٣٥٩، ح ١٨ وح ١٩.

٤- (٤) التعجب: ص ١٢٩، وقد كتب الشىخ المفيد رحمه الله رساله فى هذا الحديث وافية، فمن أحب مراجعتها فليراجعها، ففيها الكفايه لمن له أدنى درايه؛ ليدرك أن الحديث من موضوعات السلطه لمنع الزهراء عليهما السلام من فذك، ولم يعرفه ولم يسمعه ولم يروه حتى ذلك اليوم غير أبى بكر.

آيات توريث الأنبياء في القرآن، أمّا على الصّيغه الأولى فتكذيب أبي بكر وردّه أولى من نسبه ما يُخالف القرآن إلى النبيّ صلى الله عليه وآله.

ولذلك احتجت فاطمه الزّهراء عليها السلام في خطبتها التي نُقلت في كثير من كتب المؤرّخين من العامّة والخاصّه، وممن ذكرها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغه (١).

وجاء فيها: «ثمّ أنتم الآن تزعمون أن لا- أرث لي، أفحكم الجاهليه تبغون؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون. إيهاً معاشر المسلمين أبتزُّ إرث أبي.

يا ابن أبي قحافه! أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فرياً.

أفعلى عميدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟! إذ يقول الله جلّ جلاله: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ) (٢)، ويقول فيما اقتص من خبر زكريا: (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا \* يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) ٣/٤

وثالثاً: روى المُحدّثون أنّ علياً جاء إلى أبي بكر وهو في المسجد، وحوله حشدٌ من المهاجرين والأنصار، فقال عليه السلام: «يا أبا بكرٍ، لِمَ منعت فاطمه نحلّتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وقد ملكتها في حياته؟»

فقال أبو بكر: فدك فيء للمسلمين، فإن أقامت شهوداً أنّ رسول الله أنحلها فلها،

ص: ٤٧٠

١- (١) شرح نهج البلاغه: ج ١٦، ص ٢١١.

٢- (٢) النمل: آيه ١٦.

وإلا فلا حقَّ لها فيه.

فقال عليٌّ عليه السلام: «يا أبا بكر، تحكّم فينا بخلاف حُكْمِ الله تعالى!»، قال: لا. قال عليه السلام: «فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه، فادّعيْتُ أنا فيه مَنْ تسأل إليه؟» قال: إياك أسأل.

قال عليه السلام: «فما بال فاطمة سألتها البيّنة منها على ما في يديها، وقد ملكته في حياه رسول الله صلى الله عليه وآله».

فسكت أبو بكر هنيئاً، ثمَّ قال: يا علي، دعنا من كلامك، فإننا لا نقوى على حُجَّتِكَ، فإن أتيت بشهودٍ عدول وإلا فهى فيء للمسلمين، لا حقَّ لك ولا لفاطمه بها.

فقال عليٌّ عليه السلام: «يا أبا بكر، تقرأ كتاب الله!» قال: نعم. قال عليه السلام: «أخبرني عن قول الله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) ١ فيمن نزلت؟ فينا أو في غيرنا؟» قال: بل فيكم! قال عليه السلام: «فلو أنّ شهوداً شهدوا على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بفاحشه - والعياذ بالله - ما كنت صانعاً بها؟»

قال: أقمْتُ عليها الحدَّ كما أقيم على نساء المسلمين.

قال عليه السلام: «كنت - إذاً - عند الله من الكافرين».

قال: ولم؟ قال: «لأنك رددت شهادة الله بطهارتها وقبلت شهاده الناس عليها، كما رددت حُكْمَ الله وحكم رسوله أن جعل لها فدكاً وزعمت أنّها فيء للمسلمين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله البيّنة على المُدّعي واليمين على مَنْ ادّعى عليه».

فدمدم النَّاسُ وأنكروا على أبي بكر، وقالوا: صدق - والله - عليٌّ (١).

ص: ٤٧١

---

١- (٢) الاحتجاج: ج ١، ص ١٢٢ - ص ١٢٣. تفسير القمى: ج ٢، ص ١٥٥ - ص ١٥٧. تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ١٨٦ - ص ١٨٧، ح ٧١. غايه المرام: ج ٥، ص ٣٤٨ - ص ٣٤٩. بحار الأنوار: ج ٢٩، ص ١٢٨ - ص ١٣٠، عن الاحتجاج.

رابعاً: إننا نعلم بأن الإمام علياً عليه السلام هو عيبه علم رسول الله صلى الله عليه وآله وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله - كما نقله علماء الفريقين - «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، وأنا دار الحكمة وعليّ بابها، ومن أراد العلم والحكمة فليأت الباب» (١).

والحديث النبوي الآخر الذي اشتهر أيضاً بين المُحدّثين من الفريقين قوله صلى الله عليه وآله: «عليّ أفضاكم» (٢) فكيف يمكن أن يُبيّن النبي صلى الله عليه وآله حكماً خاصاً في الإرث، وقاضى دينه، ومنجز عداوته، وباب علمه لا يعلم ذلك؟ وخصوصاً الحكم الذي يكون في شأن فاطمه وهي زوجة أمير المؤمنين عليه السلام وهو وصيّ رسول الله!؟

خامساً: نسأل إذا كان الحكم كذلك بأنّ صاحب اليد يُطالب بالبيّنه، والمُدّعى يطلب الشهود، فلماذا لا يسرى هذا الحكم إلى جميع المسلمين، مع أنّ أبا بكر بنفسه قبل ادّعاء جابر بن عبد الله الأنصاري ولم يطلب منه البيّنه، مع أنّ جابر بن عبد الله الأنصاري - مع تقديرنا له واحترامنا لمواقفه - ليس إلّا صحابي، لم ينزل فيه القرآن ولم يُطهره تعالى من الرّجس. ولكن أبو بكر يرّد فاطمه وعلياً عليهما السلام، ولا يقبل كلامهما في حقّ ثابت كثبوت الشمس في رابعه النهار.

ص: ٤٧٢

١- (١) انظر هذين الحديثين في المصادر التالية: المستدرک علی الصحیحین: ج ٣، ص ١٢٦ - ص ١٢٧. المعجم الكبير: ج ١١، ص ٥٥. الاستيعاب: ج ٣، ص ١١٠٢. الفايق في غريب الحديث: ج ٢، ص ١٦. شرح نهج البلاغه: ج ٧، ص ٢١٩. الجامع الصغير: ج ١، ص ٤١٥، ح ٢٧٠٥. تحفه الأهودي: ج ١٠، ص ١٥٥، والحديث مستفيض عندنا.

٢- (٢) المسائل الصاغانية: ص ١٠٩. الخصال: ص ٥٥١. عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٨٠. الإيضاح: ص ٢٣٠. شرح الأخبار: ج ٢، ص ٣٣٣. الفصول المختارة: ص ١٣٥. الاحتجاج: ج ١، ص ١٧٥. شرح نهج البلاغه: ج ١، ص ١٨، وقال: «وقد روت العامة والخاصه قوله صلى الله عليه وآله أفضاكم علي» ومثله في إشاره السبق: ص ٥٤. دعائم الإسلام: ج ١، ص ٩٢. المواقف: ج ٣، ص ٦٢٧. كشف الخفاء: ج ١، ص ١٦٢، ح ٤٨٩. الانصاف فيما تضمنه الكشّاف: ج ٢، ص ٢٧٢. أحكام القرآن: ج ٤، ص ٤٣. تفسير القرطبي: ج ١٥، ص ١٦٢. الوافي بالوفيات: ج ٢١، ص ١٧٩، وغيره الكثير.

وسادساً: لو كان هذا الحديث الّذى رواه أبو بكر صحيحاً سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله، فلماذا لم يحكم فى سائر ممتلكات النبى صلى الله عليه وآله بحكم فذك ولم يضمها إلى بيت المال لعامة المسلمين، أو يجعلها صدقات يتمتع بها المساكين، ولكن نرى أنه ترك حجره فاطمه لها، وحجرات زوجات الرسول لكل واحدٍ منهنّ الإرث من باب حجرتها.

وسابعاً: إذا كان أبو بكر يؤمن بما يقول، ويعتقد بالحديث الّذى رواه «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقه» فلماذا ردّ فذك - بعد أيام - على فاطمه وكتب لها كتاباً فى ذلك، إلا أنّ عمر أخذ منها الكتاب ومزّقه ومنعها من التصريف فى فذك، كما رواه فى السيرة الحلبيّة (١) وابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغ (٢)، ولماذا عمر بنفسه الّذى بصق فى كتاب فاطمه عليها السلام ومزّقه أرجع فذكاً أيضاً على أولاد فاطمه عليها السلام، كما فى كتاب معجم البلدان لياقوت الحموى (٣).

وثامناً وأخيراً: نسأل ما هو المبرر لأبى بكر فى أن يعتدى على أمير المؤمنين ويسبّه، إذا كان له مسوغ فى ردّ شهادته، فما هو المسوغ فى سبّه وشتمه وإيدائه؟!

نقل ابن أبى الحديد فى شرح النهج عن أبى بكر الجوهري بإسناده إلى جعفر بن محمد بن عماره، قال: فلما سمع أبو بكر خطبتها شقّ عليه مقاتلتها، فصعد المنبر، وقال: «أيها الناس، ما هذه الرعة إلى كلّ قاله؟ أين كانت هذه الأمانى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ألا- من سجع فليقل، ومن شهد فليتكلم، إنّما هو ثعالب شهيد ذنبه، مربّ لكلّ فتنه، هو الّذى يقول: كروها جذعه بعد ما هرمت، يستعينون بالضعفاء، ويستنصرون بالنساء، كأُمّ طحال أحبّ أهلها إليها البغى...!!».

ص: ٤٧٣

- 
- ١- (١) انظر: السيرة الحلبيّة: ج ٣، ص ٤٨٨
  - ٢- (٢) انظر: شرح نهج البلاغ: ج ١٦، ص ٢٣٤ - ص ٢٣٥ «إلا أنّه ناقش فى ثبوت القضيّة» فراجع كلامه ترى ما فيه من استبعاد محض بلا دليل ولا حجّة.
  - ٣- (٣) انظر: معجم البلدان: ج ٤، ص ٢٣٨ - ص ٢٤٠.



ثُمَّ إِنَّ ابْنَ أَبِي الْحَدِيدِ يَسْتَعْرَبُ مِنْ جَوَابِ أَبِي بَكْرٍ، يَقُولُ: قَرَأْتُ هَذَا الْكَلَامَ عَلَى النَّقِيبِ أَبِي يَحْيَى، جَعْفَرِ بْنِ أَبِي زَيْدِ الْبَصْرِيِّ، وَقُلْتُ لَهُ: بَمَنْ يُعْرَضُ؟ فَقَالَ: بِلِ يُصْرَحَ، قُلْتُ: لَوْ صرَّحَ لَمْ أَسْأَلْكَ. فَضَحِكَ وَقَالَ: بَعْلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قُلْتُ: هَذَا الْكَلَامُ كُلُّهُ لِعَلِيِّ يَقُولُهُ؟! قَالَ: نَعَمْ، إِنَّهُ الْمَلِكُ يَا بُنَيَّ! قُلْتُ: فَمَا مَقَالَهُ الْأَنْصَارُ؟ قَالَ: هَتَفُوا بِذِكْرِ عَلِيِّ، فَخَافَ مِنْ اضْطِرَابِ الْأَمِيرِ عَلَيْهِمْ...

ثُمَّ قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ غَرِيبِهِ، فَقَالَ: أَمَّا الرَّعِي - بِالتَّخْفِيفِ - أَيُّ: الْأَسْتِمَاعِ وَالْإِصْغَاءِ، وَالْقَالَه: الْقَوْلُ، وَثَعَالَه: اسْمُ الثَّعْلَبِ، عَلَّمٌ مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ. وَشَهِيدُهُ ذَنْبُهُ أَيُّ: لَا شَاهِدَ لَهُ عَلَى مَا يَدَّعَى إِلَّا بَعْضُهُ وَجِزءٌ مِنْهُ. وَأُمُّ طَحَالٍ: امْرَأَةٌ بَغِيٌّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فَيَقَالُ: أَزْنَى مِنْ أُمِّ طَحَالٍ!! (١)

لا- أدرى كيف تسنى لأبى بكرٍ أن يتكلم بهذا الكلام البذى؟ وكيف سمحت له نفسه أن يعبر بذلك التعبير السيئ، ويؤذى فاطمه ويغضبها، وقد سمع قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «فاطمه بضعه منى من أغضبها أغضبني» (٢)، وهل بذلك يجاب احتجاج علي عليه السلام؟ بشتمه وسبه؟ أم بالاستدلال له بحكم الله وبالعقل والمنطق؟!

ولكن كما قال الشاعر:

وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذى فيه ينضح (٣)

ص: ٤٧٤

١- (١) شرح نهج البلاغه: ج ١٦، ص ٢١٤ - ص ٢١٥، عنه بحار الأنوار: ج ٢٩، ص ٣٢٥ - ص ٣٢٦، ح ١٠. سفينة النجاه: ج ١، ص ٣٤٤.

٢- (٢) صحيح البخارى: ج ٤، ص ٢١٠. فضائل الصحابه: ص ٧٨.

٣- (٣) من قصيده رائعه للحيص بيص ولها قصه ظريفه، انظر: الوافى بالوفيات: ج ١٥، ص ١٠٤. الفصول المهمه فى معرفه الأئمه: ج ٢، ص ٨٤٢، وجاء فى ترجمته فى هامش المصدر المذكور أنه: أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن صيفى التميمى، المتوفى فى بغداد سنه (٥٧٤هـ) ففیه شافعى جدلى غلب عليه الشعر فُشهر به. ولُقّب بالحيص بيص لأنه رأى قوماً فى اضطرابٍ من شىء بلغهم فقال: ما بال القوم فى حيص بيص، أى فى شدّه وضيق.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم» (١). وقد روى كثير من أعلام العامه ومحدثيهم أن النبي صلى الله عليه وآله قال في عليّ وفاطمة: «من آذاهما فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله» (٢). «ومن سب عليّاً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله» (٣).

وليتهم اکتفوا بالسب فقط، بل وصل الأمر بهم إلى أن يمدّوا أيديهم إلى وجه فاطمه الزهراء عليها السلام فيضربوها، ويكسروا ضلعها، فرجعت إلى أبيها محمّره العين، مسوده المتن، ناحله الجسم، منهده الركن.

رضوا سليله أحمد بالباب حتى أنبتوا في صدرها مسمارها

عصروا ابنه الهادي الأمين وأسقطوا منها الجنين وأخرجوا كثرها

والعبد سود متنها فاستنصرت أسفاً فليتك تسمع إستنصارها

فقضت وآثار السياط بمتنها ياليت عينك عاينت آثارها (٤)

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أيّ منقلب ينقلبون

والعاقبة للمتقين

ص: ٤٧٥

- 
- ١- (١) بناء مقاله الفاطمية: ص ١٨٠. وأنظر: المعجم الكبير: ج ٥، ص ١٨٤. نظم درر السمطين: ص ٣٣٢. الاصابه: ج ٨، ص ٢٦٦. تاريخ مدينه دمشق: ج ١٣، ص ٢١٨. (والمصادر ما عدا الأول فيها تقديم وتأخير)
  - ٢- (٢) انظر: بحار الأنوار: ج ٣٩، ص ٣٣٢. تفسير البرهان: ج ٦، ص ٣١٤، ح ٦. نهج الأعيان: ص ٦٢. الفصول المختاره: ص ٨٨. التعجب: ص ١٣٥. الملاحم والفتن: ص ٢٤٣.
  - ٣- (٣) أمالي الشيخ الصدوق: ص ١٥٧، ح ٢. عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٧٢، ح ٣٠٨. المستدرک على الصحيحين: ج ٣، ص ١٢١. الجامع الصغير: ج ٢، ص ٦٠٨، ح ٨٧٣٦. كنز العمال: ج ١١، ص ٥٧٣. المناقب: ص ١٣٧، وغيره الكثير.
  - ٤- (٤) هذه الأبيات من قصيده رائعه للمرحوم السيد على التّرك. انظر: مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ٤، ص ٧٢.



## المحاضره التاسعه والثلاثون: شذرات من حياه العقيله زينب عليها السلام

ص: ٤٧٧



اليومُ يومٌ حُزنُه لا يذهبُ ماتتْ بهِ أُمُّ المصائبِ (زينبُ)

ماتتْ ونازُ الوجدِ بينَ ضلوعِها ممّا جرى في الغاضريه تلَهَبُ

قد أوصلتْ أياَمَها بأنينِها وحنينِها ودموعُها لا تَنْضَبُ

ما انفك زُوءُ الطّفِ يأكلُ قلبَها ذاكُ الصبورُ لدى الخطوبِ (الطيبُ)

قلْبُ تحمّلَ من صُروفِ زمانِه ما منه يَدبُلُ خيفَه يتهيَّبُ

رأتِ الأحبّه والحُسينَ لجنبِهمِ ثاوٍ وكُلُّ بالدماءِ مُخضَّبُ

فمشتُ وسائقُ ظعنِها شمراً الخنا وإذا بكْتُ وجداً تُسبُّ وتُضربُ

وقضتْ زمانَ الأسرِ من بلدٍ إلى بلدٍ تُؤنَّبُ في الخصومِ وتخطبُ

قد أوضحتْ بخطابِها عمّا خفى للناسِ من فضلٍ لها فتعجبوا

لِمَ لا تكونِ أميرةً بخطابِها وأميرٌ كلُّ المؤمنينَ لها أبُ

بقيتِ ببحرِ الحُزنِ تسبخُ والأسى بعد الحُسينِ وللمتيه تطلبُ

حتّى انتهتْ منها الحياهُ وقلبها سفرٌ كبيرٌ بالشجونِ ومكتبُ

ماتت وما ماتت عقيلُهُ هاشمٍ فلها الوجودُ من المهيمِنِ موهبُ

وهي التي إن غيّتْ في لحدِها فلها مواقفُ شمسُها لا تغربُ (١)

\*\*\*

زينب بعد يوم الطف ما بطلت بواجبها لمن ذبل منها العود او عمت كربلاء اعليها

ص: ٤٧٩

---

١- (١) القصيده لأستاذنا الأديب الشيخ مُحمّد سعيد المنصوري رحمه الله، وقد تقدّمت ترجمته في المحاضرهِ الرابعهِ من هذا الكتاب فراجع.

من رَدَّتْ لعد يثرب ما هودت حسرتها ظلت بس تون وتنوح ذبيح الطاهره اخوتها

وحتى الصخر والجلمود يتفجر إلوئتها

مصيبتها تهد الحيل \* اوماتها نهار اوليل \* او من تذكر هجوم الخيل

عليها تهيج الذكرى \* اهموم الجامنه بيها

\*\*\*

قال الإمام زين العابدين عليه السلام لعمتة زينب عليها السلام: «أنت بحمد الله عالمة غير معلمة وفهمه غير مفهمه» (١).

السيدة زينب عليها السلام عقيله بنى هاشم، وصريخه عبد المطلب، وحفيده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ابنه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وابنه فاطمه الزهراء البتول (صلوات الله عليها) زينب الكبرى غنية عن التعريف، كالشمس في رابعه النهار.

وإذا استطل الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً (٢).

ولدت الحوراء زينب عليه السلام في الخامس من جمادى الأولى في السنة الخامسة من الهجرة النبوية على مهاجرها آلاف التحية والثناء، وذلك في المدينة المنورة.

ومن ألقابها الصديقه الصغرى، العقيله، عقيله بنى هاشم، عقيله الطالبين والعقيله هي: المرأه الكريمة على قومها العزيزه فى بيتها.

ومن ألقابها أيضاً، العارفة، العالمه، الفاضله، الكامله، عابده آل عليّ.

زوجها عبد الله بن جعفر الطيار الملقب بالجواد، ويكنى بأبى مُحَمَّد، وأشهر كناه أبو

ص: ٤٨٠

١- (١) أمالى الشيخ المفيد: ص ٣٢٣. الاحتجاج: ج ٢، ص ٣١، عنه بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٦٤.

٢- (٢) كنز الفوائد: ص ١٢٩، نسبه إلى ابن وكيع الشاعر مع تغيير يسير فى البيت، وفى كتاب المراجعات: ص ٣١٤، نسبه إلى المتنبى، والثانى أظهر.

جعفر، وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية، فهو كريم الأصل جواد اليد.

نزل في يوم من الأيام إلى خيمه أعرابيه، وكانت عندها دجاجه وقد أمسى عندها، فذبحتها وجاءت بها إليه، وقالت: يا بن جعفر، هذه دجاجه كنت أطعمها من قوتي وألمسها في آناء الليل، فكأنما ألمس بنتاً نزلت من كبدي، فنذرت لها أن أدفنها في أكرم بقعه، فلم أجد تلك البقعه المباركه إلا بطنك، فأردت أن أدفنها فيه، فضحك عبد الله بن جعفر وأمر لها بخمسمائه درهم(١).

ولدت العقيله زينب الكبرى لعبد الله بن جعفر الطيار علياً وعوناً الأكبر وعباساً، وأمّ كلثوم.

أما عون فقد استشهد مع خاله الحسين في كربلاء يوم الطفّ، قُتل في جملة آل أبي طالب(٢).

ولما ولدت الحوراء زينب عليها السلام استبشر بها أبوها الإمام عليّ عليه السلام وأخذها من أمها السيدة فاطمه الزهراء عليها السلام إذ قالت: «سمّ هذه المولوده»، فقال: «ما كنتُ لأسبق أباك رسولَ الله صلى الله عليه و آله» وكان في سفر له، وأجرى عليها مراسيم الإسلام في المولود، فقد أذن في أذنها اليمنى وأقام في اليسرى.

ولما جاء النبي صلى الله عليه و آله احتضنها، وسأل الإمام علياً عليه السلام عن اسمها، قال: «ما كنتُ لأسبقك يا رسول الله»، فقال صلى الله عليه و آله: «ما كنتُ لأسبق ربّي تعالي»، فهبط الأمين جبرائيل يقرأ على النبي السلام من الله الجليل العلام، وقال له: «سمّ هذه المولوده زينب، فقد اختار الله سبحانه لها هذا الاسم».

ثم أخبره بما يجرى عليها من المصائب، فبكى النبي صلى الله عليه و آله، وقال: «من بكى على مصاب

ص: ٤٨١

١- (١) التحصيل في أيام التعطيل: ص ٢٤٤.

٢- (٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام (أبو مخنف): ص ١٦٥ - ص ١٦٧. مقاتل الطالبين: ص ٦٠.



هذه البنت كان كَمَن بكى على أخويها الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام» (١).

هكذا يُشير النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى ثواب الباكي على العقيله زينب بنت أمير المؤمنين سلام الله عليه.

نسبها من خير الأنساب وزوجها من خير الأزواج، فجدها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأبوها أمير المؤمنين عليه السلام وأُمها فاطمة الزهراء عليها السلام وإخوتها الحسن والحسين عليهما السلام.

وإذا ضمنا إلى ذلك كله علمها وفضلها وورعها وعبادتها وتقواها وعمق معرفتها بالله تعالى كان لشرفها شرفٌ خاصٌّ لا يبلغ كنهه العادون، ولا يحصيه المُحصون إلا مَنْ كان من أهل بيت العصمة والطهارة.

ومِمَّا زاد في شرفها أنّ الخمسة الطاهرين أهل الكساء كانوا يحبونها حباً جمّاً، ويكفيك معرفه في عفتها ما رواه يحيى المازني قال: جاورت أمير المؤمنين علياً عليه السلام في المدينة المنورة مدّة مديده وبالقرب من البيت الذي تسكنه ابنته السيده زينب، فلا والله، ما رأيت لها شخصاً ولا سمعت لها صوتاً، وكان إذا أرادت الخروج لزياره جدها تخرج ليلاً، الحسن عن يمينها والحسين عن شمالها، وأمير المؤمنين عليه السلام أمامها، فإذا قربت من القبر الشريف، سبقها أمير المؤمنين عليه السلام فأحمد ضوء القناديل، فسأله الإمام الحسن عليه السلام مرّه عن ذلك، فقال: «أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أُختك زينب» (٢). وجاء في بعض الأخبار، أنّ الإمام الحسين عليه السلام إذا زارته أخته زينب يقوم لها إجلالاً ويجلسها في مكانه (٣).

وقد شاركت أمها الزهراء عليها السلام في هذه المرتبه عندما كان يقوم رسول الله صلى الله عليه وآله حينما

ص: ٤٨٢

١- (١) وفيات الأئمه: ص ٤٣١.

٢- (٢) وفيات الأئمه: ص ٤٣٦.

٣- (٣) انظر: المصدر نفسه.

تدخل فاطمه يُجلسها في مكانه، وفي بعض الأخبار يقبلها ويُجلسها في مكانه(١).

ومن هنا سميت الحوراء زينب عليها السلام بالصدّيقه الصغرى؛ لاقترانها بعدّه صفات من صفات أمّها فاطمه الزهراء عليها السلام، حيث كانت أمّها الصدّيقه الكبرى.

وأما علمها ومعرفتها بالله تبارك وتعالى فهي المتربّيه في مدينه العلم النبويّ، المعتكفه بعده ببابها العلويّ، المتغذّيه بلبانه من أمّها الصدّيقه الطاهره عليها السلام، وقد طوت عمراً من الدّهر بين الإمامين السيّطين، فهي من عيبه علم آل مُحمّد صلى الله عليه وآله، وفضائلهم التي اعترف بها عدوّهم الألدّ يزيد الطاغية بقوله في الإمام السجاد عليه السلام: «إنّه من أهل بيت زوّوا العلم زقاً»(٢).

ويكفيها في المقام كلمه الإمام السجاد عليه السلام التي افتتحنا بها كلامنا حيث قال: «أنتِ بحمدِ الله عالمه غير معلّمه وفهمه غير مُفهمه»، معنى ذلك أنّ علمك من الله وفهمك كذلك. فالإمام عليه السلام يريد أن يشير إلى أنّ مادّه علمها من سنخ ما مُنح رجالات بيتها الرفيع أفيض عليها إلهاماً.

ولا شكّ أنّ الدّى يخلص لله أربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمه من قلبه على لسانه(٣)، فكيف بالحوراء زينب التي أخلصت لله في كلّ أطوار عمرها وأدواره، فما ظنّك بالمتفجر من قلبها عليها السلام!؟

وروى أنّها في طفولتها كانت جالسه في حجر أبيها - وهو عليه السلام يلاطفها بالكلام - فقال لها: «يا بئتي قولي: واحد». فقالت: «واحد». فقال لها: «قولي اثنين». فسكتت، فقال لها: «تكلمي يا قرّه عيني». فقالت عليها السلام: «يا أبتاه، ما أطيق أن أقول اثنين بلسان أجريته

ص: ٤٨٣

١- (١) انظر: السنن الكبرى: ج ٥، ص ٣٩٢. الأدب المفرد: ص ٢٠٢.

٢- (٢) بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٨.

٣- (٣) انظر: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٧٤، ح ٣٢١.

بالواحد». فضمّها عليها السلام إلى صدره وقبلها بين عينيها(١).

وإنّ زينب عليها السلام - في روايه أُخرى - قالت لأبيها: «أتحبنا يا أبتاه؟» فقال عليه السلام: «وكيف لا أحبكم وأنتم ثمره فؤادى!»  
فقال عليها السلام: «يا أبتاه، إنّ الحبّ لله تعالى والشفقه لنا»(٢).

وإذا تأمل المتأمل هذا الكلام رأى فيه علماً جمّاً، فإذا عرف صدوره من طفله كزينب عليها السلام يوم ذاك بانت له منزلتها في العلم والمعرفة(٣).

وأما مشاطرتها لمصائب أخيها الحسين عليه السلام فهي بيت القصيد، وهي أبرز معلّم من معالم حياه الحوراء زينب عليها السلام، حتّى أنّها تحمّلت ما يضعف عن حمله الرجال.

ورحم الله الشاعر حيث يقول:

ولو أنّ النساء كمن ذكرنا لفضلت النساء على الرجال

فما التأنيت لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخرٌ للهلال

فلا- مبالغه في أنّ نقول: إنّ الحوراء زينب كانت شريكه أخيها الحسين في نهضته، ومشاطره له في جهوده التي بذلها في سبيل تحقيق أمّيته، ولولا- الإمام زين العابدين عليه السلام والحوراء زينب عليها السلام؛ لذهبت جهود الإمام الحسين عليه السلام أدراج الرياح، حيث يجعله يزيد وأتباعه - وهم أتباع معاويه - خارجيّاً خرج على سلطان المسلمين، وإذا بصوت الإمام زين العابدين عليه السلام وصوت الحوراء زينب عليها السلام يجلجل في ذلك الجو الصاخب، ويدوّى في مجلس يزيد الحاشد بجماهير الوفود والمتفرجين والمهتئين له في عيده عيد الظفر، فألقى الإمام زين العابدين عليه السلام خطبته التي فضح بها يزيد، وكذلك صنعت الحوراء زينب عليها السلام.

وقد يعترض البعض قائلاً: أليس في زين العابدين عليه السلام كفايه لإتمام مهمّه الحسين

ص: ٤٨٤

١- (١) شجره طوبى: ج ٢، ص ٣٩٢.

٢- (٢) المصدر نفسه.

٣- (٣) انظر: العقيله زينب والفواطم: ص ٣ - ص ٣٠.

والقيام بها عن حمل زينب معه فضلاً عن غيرها من النساء، مع أنه إمام زمانها وحجّه عصرها، وأين قوّه إرادته الإمام من المأمومين؟!

وهذا الاعتراض مردود بالآتي:

أولاً: بالنقض برسول الله صلى الله عليه وآله فإن الله قد زوّده - لِمَا أراد إرساله - من القوّه البشريه فضلاً عن الإلهيه بما يستطيع أن يقابل بها الجيوش وحده، فلماذا يدعو الناس أن يجيروه من أيدي الأعداء والاعتداء ليلبّغ رسالته السماويه؟ ولماذا يدعو لنصرته المستضعفين من النساء والصبيان؟!

وثانياً: فإنّ زينب قد قامت بأعمال كثيره ليس من شأن الإمام زين العابدين عليه السلام القيام بها إلا من باب المعجزه، وقد شاء الله أن يسير دينه في الخلق سيراً طبيعياً.

ومن الأمور التي قامت بها الحوراء زينب عليها السلام على نحو الاختصار لا الحصر:

١ - لقد ألقى الإمام الحسين عليه السلام على عاتقها مسؤوليه حفظ عياله وأطفاله، وما كانت تنهض بهذا العبء الثقيل، وهي في مثل تلك الحاله لو لم يستجب الله دعاءه لها بأن يربط على قلبها بالصبر حينما ناءت بهذا الحمل الثقيل، فأخبر عنها حجّه عصرها الإمام زين العابدين عليه السلام أنه عاد قلبها بعد مصرع الحسين كزبر الحديد، وبهذا الصبر كافحت تلك الخطوب وثبتت لتلك الأهوال، ولم تخرقواها أمام تلك الفوادم، ولم تتزلزل جبال حلمها بهاتيكم العواصف، ولم تتحرّك قيد شعره لتلك القواصف.

بأبي التي ورثت مصائب أمها فغدت تُقابلها بصبر أبيها

لم تله عن جمع العيال وحفظهم بفراق إخوتها وفقد بنيتها

٢ - ما جاء في كثير من الأخبار أنّ الحوراء زينب عليها السلام قامت مقام أخيها في ترويج أحكام الشريعة، وكانت الكهف الذي يأوى إليه الكثير من المسلمين والشيعة في الملمات، وأنها حملت الكثير من وصايا أخيها الحسين، حتّى أدتها إلى خليفته زين العابدين، وأنها

كانت الحجّة الظاهره والقائمه مقام إمام زمانها وحجّه عصرها السجاد عليه السلام.

٣ - وكانت مع هذه الشواغل التي تفتّ الصخر الأصمّ؛ من حمايه الأطفال واليتامى، وتسليه الثواكل، إلى غير ذلك، تنوب عن أخيها الحسين عليه السلام في وفاده وفوده وهم الكثره الهائله من الناس ومنهم من له عاده سنويه.

وفى يوم من الأيام طرق أحدهم الباب، وعرفت زينب أنّه أحد الوفود لأخيها الحسين الذين يقدون عليه فى كلّ عام مرّه، دفعت له من وراء الباب قلاده، وقالت له: خذها وانصرف إلى أهلك فإنّ صاحب المنزل غائب. قال: أنتظره أياماً، قالت: ما يعود، قال: فأسبوعاً، قالت: ما يعود. وأخذ كلما زاد فى آجال الانتظار والوعود أجابته زينب - بحرقه وشجى مضاعف قائلة: ما يعود، حتّى انتهى الأمر به من الأسابيع إلى الأشهر المتعدده ووصل إلى العام، وهو فى تلك المراجعات يضع على جرح فؤاده جرحاً ويذّر عليها بكثرة إلحاحه ملحاً، ولم يكن ذكياً ليعرف المعنى الذى ترمى إليه، بل كان حريصاً أشدّ الحرص على حضور مولاه والمثول بين يديه؛ لئيسرّح طرف ناظره برياض قسماته، ويتمتّع بسماع حديثه الشهى، إلى أن انتهى بها الجواب أنّه لا يعود ولو بعد عام، أحسّ قلبه بالكرب والبلاء، ولم يكن خياله ليحدّثه بأنّ تلك الكف الكريمة يأكلها التراب والبلاء، وكأنّه كان نائماً فاستيقظ، فسألها بلهفه التطلّع وحرقة السؤال. قال لها: إذن قولى: مات مولاي الحسين؟

قالت له: ويحك، ويحك أيها الوافد، إنّ الأمر فوق ما تظنّ، والخطب أجل وأعظم ممّا تتصوّر، فهل تستطيع أن تسمع جوابها لك «عظّم الله أجرك بمولاك الحسين فقد قُتل فى كربلاء عطشاناً غريباً، وقُتل معه أهل بيته ولم يرجع إلى أوطانهم إلا نساؤهم الأيامى وأطفالهم اليتامى»<sup>(١)</sup>.

ص: ٤٨٦

١- (١) انظر: سياسه الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ١٠٦ - ص ١١٥.

بقيت الحوراء زينب عليها السلام على هذه الحالة محزونه مكروبه إلى أن أخذ الزمان بها وبزوجها عبد الله أن يزورا الشّام، وفي الطريق نظرت الحوراء زينب عليها السلام إلى شجره، التفتت إلى ابن عمّها قالت له: أترى هذه الشجره وهى مختنقه بعبرتها؟ قال لها: بلى، قالت له: هذه الشجره قد علّقوا عليها رأس الحسين عليه السلام، دارت بها الذكريات وذكّرت تلك الساعات التى طاف بها القوم فى تلك الديار، وما كان يغمرها عندها من الآلام والأحزان.

فطلبت من زوجها أن يستقرّ بها عند هذه الشجره، فاستجاب ابن عمّها لها، آه آه:

من وصلت لأراضى الشّام اوشافت عينها الشجره

التفتت صوب ابن عمّها وگامت تجذب الحسره

گالت حط ظعنه اهنا ولا يمشى بعد منّا

بگت املازمه الشجره المظلومه ثلث تيام

تگوم اوتگعد ابهمها المنها عانت الآلام

اورابع يوم بس أصبح گضت أمّ الحزن بالشّام

ماتت والگلب دامى الفكّد الميمر السّامى

\*\*\*

بالشّام ريت الشّام مهجوم ماتت عزيزه حيدر اليوم

ابجفن اليسح اوبگلب مالوم أمّ المصايب وأمّ الهموم

\*\*\*

(بحرانى)

يا آل هاشم ما تجون ابسود الأعلام ماتت عقليتكم غريبه ابلده الشّام

ص: ٤٨٧

من عُكَبَ وقعهُ كربلاً ظلَّتْ حزينه اتحنَّ اعلى حنتها جميع أهل المدينه

او تصدع المرمر من تصيح احسين وينه اووين النفل عبّاس والأكبر وجسام

راحت ليالى السعد وياهم والأفراح اوصيوان عزنه الجان يا ويلي هوهُ اوطاح

ابكلى اجروح ايفور دمها اشلون أرتاح جرح السيوف ايهون عنها وجرح السهام(1)

\*\*\*

هاجَ وَجدى لزينب إذ عراها فادح في الطّفوفِ هدّ قواها

\*\*\*

إنّا لله وإنا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أيّ منقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين

ص: ٤٨٨

---

١- (١) من دروس أستاذنا الشيخ محمد سعيد المنصوري رحمه الله مع تصريف يسير.

## المحاضره الأربعون: شذرات من حياه السيده فاطمه المعصومه عليها السلام

ص: ٤٨٩





لهفَ نفسى لبنتِ (موسى) سقاها الدهرُ كأساً فزادَ منه بلاها

فارقَتْ والدًا شفيقاً عطوفاً حاربتُ عينها عليه كراها

أودعتهُ قعرَ السجونِ اناسٌ أنكرتُ ربَّها الذى قد براها

وإلى أن قضى سميماً فراحَتْ تَثكلُ الناسَ فى شديدِ بُكاها

وأتى بعدهُ فراقُ أخيها حينَ فى مروٍ أسكنتهُ عداها

كلُّ يومٍ يمرُّ كانَ عليها مثلُ عامٍ فأسرعتُ فى سراها

أقبلتُ تقطعُ الطريقَ اشتياقاً لأخيها الرضا وحامى حماها

ثمَّ لما بها الطَّعينهُ وافتُ أرضَ قمٍّ وذاك كانَ منهاها

قامَ (موسى) (١) لها بحُسنِ صنيعٍ إذْ ولاءُ الرضا أخيها ولاها

نزلتُ بيتَه فقامَ بما اسطاعَ منُ خدمهٍ لها أسداها

ما مضتُ غيرَ برههٍ من زمانٍ فاعتراها من الأسى ما اعتراها

وإلى جانبه سقامُ أذابَ الجسمَ منها وثقلهُ اظناها

فقضتُ نحبها غريبه دارٍ بعدما قطعَ الفراقُ حشاها

أطبقتُ جفنها إلى الموتِ لكنْ ما رأَتْ والدَ الجوادِ أخاها (٢)

\*\*\*

من شوگها إتعت لخواها اووصلت بلد قم اوأجوها

أهل المودّه إيتلگوها لاجن بعد مدّه افگدوها

اوبلگبر لمن شيعوها ذكروا امصاب اللى اعصروها

بالباب وامصاب السبوها وللشام مسبيّه خذوها

١- (١) موسى بن خزرج الأشعري، هو كبير قومه في قم حينذاك.

٢- (٢) القصيده لأستاذنا الخطيب الشيخ محمد سعيد المنصوري رحمه الله، وقد تقدّمت ترجمته في المحاضره الرابعه.

قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَمًا وَهُوَ مَكَّةَ، وَإِنَّ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَرَمًا وَهُوَ الْمَدِينَةُ، وَإِنَّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَرَمًا وَهُوَ الْكَوْفَةُ، وَإِنَّ لَنَا حَرَمًا وَهُوَ بَلْدَةُ قُمْ. وَسُتَدْفَنُ فِيهَا امْرَأَةٌ مِنْ أَوْلَادِي تُسَمَّى فَاطِمَةَ، فَمَنْ زَارَهَا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»، قال الراوى: وكان هذا الكلام منه قبل أن يُولد الكاظم عليه السلام (١).

فاطمه المعصومه عليها السلام، هذه السيده الجليله والامراه النبيله، ذات المقام الشامخ، والمنزله العاليه عند أهل بيت العصمه والطهاره عليهم السلام، أفضل بنات الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، على ما وصل إلى أيدي العلماء (٢) من حيث على زيارتها، وتعريف بمقامها الشامخ، حتى وصل الأمر إلى أن الزائر لها وجبت له الجنة (٣).

وهي فاطمه بنت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، المعروفه بالمعصومه عليها السلام وهي قره عين أهل قم، وملاذ الناس ومعاذهم، تُشَدُّ إليها الرحال في كل سنه، بل في كل يوم من الأماكن البعيده لاقتباس الفيض، واكتساب الأجر في زيارتها عليها السلام.

ولدت فاطمه المعصومه عليها السلام في الأول من شهر ذى القعدة سنه (١٧٣ هـ)، فسُيِّرَ بها الإمام الكاظم عليه السلام سيروراً عظيماً، وانتقلت الفرحه والبهجته التي لا تقل عن فرحه الأب إلى أمها نجمه التي تلطف عليها البارى عز وجل بالمولود الثانى بعد خمس وعشرين سنه من ولاده إمامنا الرضا عليه السلام، حيث كانت ولادته عليه السلام فى شهر ذى القعدة من سنه ١٤٨ هـ. ق، وقد سُيِّرَتْ (نجمه) به سروراً لا مثيل له، والآن وبعد مضى تلك السنين المديده من الله تعالى عليها وعلى الإمام الكاظم عليه السلام بمولوده تكون أختاً للإمام الرضا عليه السلام.

ولأجل العلاقة الخاصه بين الإمام الكاظم عليه السلام وجدته فاطمه الزهراء عليها السلام سُمي

ص: ٤٩٢

١- (١) بحار الأنوار: ج ٥٧، ص ٢١٦ - ص ٢١٧، ح ٤١. سفينه البحار: ج ٧، ص ٣٥٨ - ص ٣٥٩.

٢- (٢) منتهى الآمال: ج ٢، ص ٣٧٨.

٣- (٣) كامل الزيارات: ص ٥٦٣، باب ١٠٦، ح ٢٠١.

الإمام عليه السلام ابنته الجديدة (فاطمه) تيمناً بفاطمه الزهراء (روحي فداها)، وهذا ديدن الأئمة عليهم السلام، ولعلك لا تجد إماماً إلا وقد سُمي واحده أو اثنتين من بناته بفاطمه، وهذا ناشىء من علاقه الحميمه بين الأئمة عليهم السلام وأمهم الصديقه الكبرى فاطمه الزهراء عليها السلام.

ولفرط تقوى هذه السيده الجليله وصلاحها عُرِفَت فيما بعد ب (المعصومه)، واقتدت بأبيها فى العصمه عن الرجس من كل إثم ولم.

ولهذا الاسم (فاطمه) عند أهل البيت عليهم السلام شجاهُ الخاص بما يحمل ويحكى من ذكريات حلوه ومرّه تعرّضت لها الصديقه فاطمه الزهراء، هذه الصديقه الكبرى، حتّى أنّهم عليهم السلام كانوا إذا سمّوا واحده من بناتهم بفاطمه حظيت بمكانه خاصّه من الإحترام والتقدير، لعلّها لا تدنو إليها منزله وتقدير سائر بناتهم عليهم السلام، والسيدة المعصومه عليها السلام لم تكن مستثناه من تلك العاده الحسنه والطريقه الصائبه عند أهل البيت عليهم السلام، فإنّها عليها السلام حظيت من أبيها بتربيّه خاصّه، ورعايه صالحه لا نظير لها(١).

عاشت السيده المعصومه فى كنف والديها الكريمين - الإمام الكاظم عليه السلام ونجمه رضى الله عنها - تكتسب منهما الفضائل والمكارم؛ إذ كان أبوها إماماً معصوماً، وليس له فى الفضائل والتقى من نظير، وأمها نجمه أيضاً من النساء الصالحات المؤمنات اللواتى تعلّمن فى مدرسه أهل البيت عليهم السلام، وبالخصوص فى مدرسه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وبالخصوص عند زوجه الإمام الصّادق عليه السلام، أمّ الإمام الكاظم عليه السلام، والتى اختارها الإمام الباقر عليه السلام، والتى كان يُعبّر عنها الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: «حميده مصفّاه من الأذناس كسيبكه الذهب ما زالت الأملاك تحرسها...»(٢).

ص: ٤٩٣

١- (١) نظره إلى حياه السيده فاطمه المعصومه عليهما السلام: ص ٧.

٢- (٢) الكافي: ج ١، ص ٤٧٧، ح ٢. مناقب آل أبى طالب: ج ١، ص ٢٢٨. بحار الأنوار: ج ٤٨، ص ٦، ح ٧، عن الكافي.

وهذه المرأه المصفاه هي أمّ الإمام الكاظم عليه السلام، وهي التي أشارت عليه عليه السلام أن يتزوج ب (نجمه).

فكانت السیده المعصومه عليها السلام تستفيد كل يوم من والدها وأخيها المعصومين عليهما السلام وأمها التقيه الصالحه العالمه، بحيث نالت المقام الرفيع والمنزله العاليه من العلم والمعرفه والفضيله وصارت عارفه بالكثير من العلوم والمسائل الإسلاميه فى أيام صباها.

ومن هذه الدلائل ما حدث فى أحد تلك الأيام حيث أتى جمع من الشيعة إلى المدينه؛ لكي يعرضوا بعض أسئلتهم الدينيه على إمامهم آنذاك، وهو الإمام الكاظم عليه السلام حتى يأخذوا العلم من معدنه وأصله، إلا أن الحظ لم يُحالفهم، حيث إن الإمام الكاظم عليه السلام وابنه الإمام الرضا عليه السلام كانا فى سفرٍ ولم يكونا حاضرين فى المدينه، فاغتمّ الجمع الصالح من شيعة أهل البيت عليهم السلام؛ لأنهم لم يعثروا على ضالّتهم المنشوده حيث لم يجدوا حجّه الله، ومن يقدر على جواب مسائلهم.

فاضطّروا للتفكير جدّاً بالرجوع إلى بلدهم، وعندما عرفت السیده المعصومه عليها السلام حُزن هؤلاء نفر من الشيعة أخذت منهم أسئلتهم التي كانت عندهم مكتوبه وأجابت عنها برقتها، وعندئذٍ تبدّل حُزن الجماعه بفرحٍ شديدٍ ورجعوا - بعد ما ظفروا على أجوبهٍ لمسائلهم - فرحين ومسرورين إلى بلادهم وديارهم، وفى الطريق التقوا بالإمام الكاظم عليه السلام خارج المدينه وحدّثوه بما جرى عليهم من أجوبه ابنته المعصومه عليها السلام لمسائلهم، وبعد ما رأى الإمام الكاظم عليه السلام جواب ابنته على تلك المسائل أثنى عليها بعباره مختصره، وهي: «فداها أبوها» (1)، ولكن هذه العبارة مع اختصارها تحمل أسراراً كثيره؛ إذ كيف يقولها الإمام عليه السلام لولا أنه رأى أنها تستحق ذلك، وهذه من تعابير النبى الأكرم صلى الله عليه وآله بحقّ الزهراء عليها السلام.

ص: ٤٩٤

---

١- (١) نظره إلى حياه السیده فاطمه المعصومه عليهما السلام: ص ٩.

لكن بعد هذا العزّ وتلك المنزله - ولقاعده أنّ الدنيا صفوها لا يدوم لأحد - فقدت أباه الإمام الكاظم عليه السلام، وانتقلت الإمامه إلى ابنه الإمام الرضا عليه السلام، الذي كان في الخامسة والثلاثين من عُمره الشريف، وكان عليه السلام - بالإضافة إلى إمامته الإلهيه وهديّاته الأُمّيه الإسلاميه - الوصيّ الوحيد لأبيه الكاظم عليه السلام الذي يتولّى مسؤوليه أبناء الإمام الكاظم عليه السلام إخوانه وأخواته، ومنهم السيّد الجليله فاطمه المعصومه عليها السلام وكانت تُحبّ الإمام الرضا عليه السلام حبّاً خاصّاً، ولَمّا حمّله المأمون إلى خراسان(١) قسراً ليسلمه ولايه العهد - والتي كانت مؤامره على أهل بيت العصمه والطهاره عليها السلام غير خفيه عليهم ولا على خواصّهم - اشتدّ شوقها إلى أخيها الإمام الرضا عليه السلام؛ فخرجت في أثره، وذلك في سنة (٢٠١ هـ)، كما حدّث بذلك العلّامه المجلسي رحمه الله، وكانت قد قطعت تلك المفاوز والصحارى، ووجه أخيها الإمام الرضا عليه السلام يتراءى لها ممّا أدّى بها إلى مواصلة المسير لبصيص الأمل هذا.

فلَمّا وصلت إلى (ساوه) وهى قريه من قرى قم، مرضت فسألّت كم بينى وبين قم؟ قالوا: عشره فراسخ(٢)، فأمرت خادمها فذهب بها إلى قم، ولَمّا وصل الخبر إلى آل سعدٍ أنّ فاطمه بنت موسى بن جعفر تنزل فى بلده قم، اتّفقوا وخرجوا وكلّ منهم يطلب نزولها عنده فى داره، فخرج من بينهم موسى بن خزرج وأخذ بزمام الناقه - ناقته - وجرّها إلى قم وأنزلها فى داره، وكانوا مسرورين لدخول السيده فاطمه عليها السلام دارهم.

وكان موسى بن خزرج ذا يُسرٍ وبيتٍ وسيع، وأنزل السيده فى داره، وتكفّل بضيافتها ومرافقتها، واستشعر موسى بن خزرج فرط السعاده بخدمته لضيوف الإمام الرضا عليه السلام القادمين من المدينه، وهياً لهم كلّ ما يحتاجونه.

ص: ٤٩٥

١- (١) وذلك فى سنة ٢٠٠ للهجره.

٢- (٢) والفرسخ بمقدار (٥/٥) كيلو متراً تقريباً عند الفقهاء (قُدس سرهم).

وَاتَّخَذَتِ السَّيِّدَةَ فَاطِمَةَ الْمَعْصُومَةَ عَلَيْهَا السَّلَامَ مَعْبِداً لَهَا فِي مَنْزِلِ مُوسَى بْنِ خَزْرَجٍ؛ لَكِي تَبْتَهِلَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَعْبُدَهُ وَتَتَّجِيهَ وَتَشْكُوَ إِلَيْهِ أَلَامَهَا وَتَسْتَعِينَهُ عَلَيَّ مَا أَلَمَ بِهَا.

وهذا المعبد باقٍ وموجود إلى الآن ويسمى ب (بيت النور)(١).

الى أن مرضت بنت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مرضاً شديداً حتى أفلق مُرافقيها وأهالي قم كثيراً مع أنهم لم يخلوا عليها بشيءٍ من العلاج، إلا أنَّ حالها يزداد سوءاً، يوماً بعد يوم؛ لأنَّ المرض قد تجذَّر في بدنِها الشريف، وفي العاشر من ربيع الثاني سنة (٢٠١ هـ) توفيت السيدة المعصومة عليها السلام دون أن ترى أخاها، وما زالت دمعها عينها لفراق أخيها مغرورقة في الأحداق بعد أن أحاطها الدهر بمصائبه من كلِّ جانبٍ. أُفجع أهلُ قم بتلك المصيبة، وفي غايه الحزن لوفاتها أقاموا العزاء عليها، وأمر موسى بن خزرج بتغسيلها وتكفينها ثمَّ صَلَّى عليها موسى بن خزرج في حشدٍ كبير من شيعه أهل البيت عليهم السلام في قم المقدَّسه، ولكن اختلفوا بالذي ينزلها في قبرها ويدفنها.

تبادل الحاضرون الرأي وأخيراً اتَّفَقوا أن يوكلوا هذا العمل إلى شيخٍ كبير صالح اسمه (قادر)، وأرسلوا شخصاً لإحضاره، ولكنَّ مشيئه الله كانت غير ذلك، فلم يجدوا هذا الرجل الصالح، فبينما هم كذلك وإذا بفارس مُلثمٍ أقبل إلى الجنازه، فتولَّى إنزالها في القبر، ثمَّ أهال التراب عليها وعاد من حيث أتى ولا أحدٌ يدري مَنْ هو(٢).

صار الهم عليها من البجه ويد

وبعض من الوسف ظل يصفج الإيدشريفه او كاصده إلخيها امن ابعيد

اوبأرض قم كزبت منها المتيهوينه اللي يُوصل ليه الأخبار

ابها لساعه اويگله بالجره اوصارهُمَّه ابهل حجي اولن شعت أنوار

يم جثمانها اوونه شجيه

ص: ٤٩٦

١- (١) نظره إلى حياه السيدة فاطمه المعصومه عليهما السلام: ص ٢٥.

٢- (٢) شجره طوبى: ج ١، ص ٢٣، (مع اختلاف يسير). ومجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ٣، ص ٢٦٧.



نعم، لقد ماتت السيده فاطمه المعصومه عليها السلام غريبه، ولكن شاء الله أن يكون لها قبرٌ شامخ يومه آلاف الناس كل يوم، ولكن أسفى على فاطمه الزهراء عليها السلام التى ماتت بين أهلها وأصحاب أبيها، وليس لها قبر معروف يقصده الزائرون!!

(أبوذيه)

عكب عزها عليها الدهر ينصاب فجعتها اوخله دمع العين ينصاب

اهى بتمن او منها الضلع ينصاب او حماها مكيد ابجل الوصيه

\*\*\*

ولأى الأمور تُدفنُ سرّاً بضعه المصطفى ويُعفى ثراها

بنتُ من أمٍّ من حليله من ويلٌ لمن سنّ ظلمها وآذاها

\*\*\*

إنّا لله وإنا إليه راجعون

وسيعلم الذين ظلموا آل محمدٍ أىُّ مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبه للمتقين

تمّ الكتابُ بعونِ الله الملك الوهاب

بقلم المذنب كاظم البهادلى

ص: ٤٩٧



القرآن الكريم، كتاب الله تبارك وتعالى.

نهج البلاغه، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام المستشهد سنة (٤٠ هـ)، تحقيق الشيخ محمد عبده، دار المعرفه، بيروت - لبنان.

الصّحيفه السّجّاديه، الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام المستشهد سنة (٩٤ هـ)، المطبعه والناشر جماعه المدرّسين، قم المقدّسه.

- حرف الألف -

١ - إِبصار العين في أنصار الحسين، الشيخ محمّد السماوي (ت ١٣٧٠ هـ) تحقيق الشيخ محمد جعفر الطبسي، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٣٧٧ ش، منشورات حرس الثورة الإسلامية.

٢ - الآحاد والمثاني، الضحّاك (ت ٢٨٧ هـ) تحقيق باسم فيصل أحمد الجوابره، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، منشورات درّ الدرايه للطباعه والنشر والتوزيع، السعوديه - الرياض.

٣ - الاحتجاج، الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) تحقيق وتعليق السيّد باقر الخرسان، منشورات دار النعمان للطباعه والنشر، النجف الأشرف، سنة ١٣٨٦ هـ.

٤ - أحكام القرآن، الجصاص (ت ٣٧٠ هـ) تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، منشورات دار الكتب العلميه، بيروت - لبنان.

٥ - الأخبار الطوال، أبو حنيفة، أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢ هـ) تحقيق عبد المنعم عامر، الدكتور جمال الدين الشّيال، الطبعة الأولى ١٩٦٠ م، منشورات دار إحياء الكتب العربي، منشورات الشريف الرضي.

٦ - الاختصاص، الشيخ المفيد، محمد بن النعمان البغدادي (ت ٤١٣ هـ) تحقيق علي أكبر الغفاري، انتشارات جماعه المدرّسين في الحوزه العلميه، قم المقدّسه.

٧ - الأخلاق الحسينيه، جعفر البياتي (معاصر) الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ، منشورات أنوار الهدى.

٨ - الأخلاق والآداب الإسلامية، هيئه محمد الأمين، الطبعة الثانية، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، مكتبه الأمين، قم - إيران.

٩ - الإخوان، ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ) تحقيق محمد عبد الرحمن طوالبه، بإشراف نجم عبد الرحمن خلف، انتشارات دار الاعتصام.

١٠ - أدب الطف، السيد جواد شبر، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، دار المرتضى، بيروت - لبنان.

١١ - الأدب المفرد، البخارى، محمد بن إسماعيل، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، منشورات مؤسسه الكتب الثقافيه، بيروت - لبنان.

١٢ - الإرشاد، الشيخ المفيد، محمد بن النعمان البغدادي (ت ٤١٣ هـ) تحقيق ونشر مؤسسه آل البيت عليهم السلام قم المقدسه، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.

١٣ - أسباب النزول (الواحدى) أبو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى، (ت ٤٦٨ هـ) مؤسسه الحلبي للنشر والتوزيع - القاهره.

١٤ - الاستبصار، الشيخ الطوسى، (ت ٤٦٠ هـ) تحقيق وتعليق السيد حسن الموسوى الخرسان، الطبعة الرابعه ١٣٦٣ هـ ش، منشورات دار الكتب الإسلاميه، طهران.

١٥ - الاستيعاب، ابن عبد البرّ (ت ٤٦٣ هـ) تحقيق على محمد اليمامى، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ، منشورات دار الجيل، بيروت - لبنان.

١٦ - أسد الغابه، ابن الأثير، (ت ٦٣٠ هـ) منشورات دار الكتاب العربى، بيروت - لبنان.

١٧ - الأسرار الفاطميه، الشيخ محمّد فاضل المسعودى (معاصر) الطبعة الثانيه ١٤٢٠ هـ، منشورات مؤسسه الزائر فى الروضه المقدسه للسيد فاطمه المعصومه عليها السلام، قم المقدسه.

١٨ - الاعتقادات، الشيخ الصدوق، محمد بن بابويه القمى (ت ٣٨١ هـ) نشر وتحقيق غلام رضا المازندراني، المطبعه العلميه، قم المقدسه ١٤١٢ هـ.

١٩ - إعلام الورى، الفضل بن الحسن الطبرسى (ت ٥٤٨ هـ) تحقيق ونشر مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسه.

٢٠ - أعيان الشيعه، السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ) تحقيق السيد حسن الأمين منشورات دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٢١ - أعيان الشيعه، السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ) تحقيق السيد حسن الأمين منشورات دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٢٢ - إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ) تحقيق محمّد جواد القيومي، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي.

٢٣ - إكسير المحبّه، مجهوله.

٢٤ - أمالي الشيخ الصدوق، محمّد بن عليّ بن بابويه القميّ، (ت ٣٨١ هـ) الناشر مؤسسه البعثه، الطبعة

ص: ٥٠٠

الأولى ١٤١٧ هـ، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسه البعثه، قم المقدسه.

٢٥ - أمالي الشيخ الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ، تحقيق مؤسسه البعثه، منشورات دار الثقافه.

٢٦ - أمالي الشيخ المفيد، محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ) تحقيق حسين الاستادومي، علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانيه ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، منشورات دار المفيد، بيروت - لبنان.

٢٧ - الإمامه والسياسه، ابن قُتَيْبَه الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق طه محمد الزيني، منشورات مؤسسه الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع.

٢٨ - الانصاف فيما تضمنه الكشّاف، ابن المنير الأسكندري (ت ٦٨٣ هـ) منشورات مكتبه ومطبعه مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٢٩ - أنوار البدرين، الشيخ عليّ البحراني (١٣٤٠ هـ) تحقيق محمد عليّ الطبسي، سنه الطبع ١٣٧٧ هـ في مطبعه النعمان، النجف الأشرف.

٣٠ - الأنوار القدسيه، الشيخ محمد حسين الأصفهاني (ت ١٣٢٠ هـ) تحقيق الشيخ عليّ النهاوندي، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، مؤسسه المعارف الإسلاميه، قم - إيران.

٣١ - آيات منتخبه، السيد مهدي الخطيب الهنداوي (ت ١٤٢٧ هـ)، مطبعه ستاره، قم المقدسه، الناشر المؤلف رحمه الله.

٣٢ - إيضاح الفوائد، فخر المحققين، محمد بن الحسن بن المطهر الحلّي (ت ٧٧١ هـ) تحقيق وتعليق السيد حسين الموسوي الكرمانی، الشيخ عليّ پناه الأشتهاردی، الشيخ عبد الرحيم البروجردی، الطبعة الأولى ١٣٨٧ هـ، المطبعه العلميه، قم المقدسه.

- حرف الباء -

٣٣ - بحار الأنوار، العلامة المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١ هـ) الطبعة الثانيه المصححه سنه ١٤٠٣ هـ، مؤسسه الوفاء، بيروت - لبنان.

٣٤ - البدايه والنهايه، الحافظ أبو الفداء ابن كثير دمشقي (ت ٧٧٤ هـ) الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٣٥ - البدايه والنهايه، الحافظ أبو الفداء ابن كثير دمشقي، (ت ٧٧٤ هـ) الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٦ - بشاره المصطفى، محمد بن عليّ الطبري الإمامي (ت ٥٢٥ هـ) تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ، منشورات مؤسسه النشر الإسلامی، جماعه المدرسين، قم المقدسه.

٣٧ - بصائر الدرجات، الشيخ محمد بن الحسن الصفار، (ت ٢٩٠هـ) تحقيق ميرزا محسن كوچه باغي،

ص: ٥٠١

الطبعة ١٣٦٢ هـ ش ١٤٠٤ هـ ق منشورات مؤسسه الأعلمی، طهران.

٣٨ - بغیه الباحث، الحارث بن أبی سلمه (ت ٢٨٢ هـ) تحقیق مسعد عبد الحمید محمّد السعدنی، منشورات دار الطلائع للنشر والتوزیع والتصویر، القاهره.

٣٩ - بلاغات النساء، أبو الفضل ابن طاهر، المعروف بابن طیفور (ت ٣٨٠ هـ)، منشورات مکتبه بصیرتی، قم المقدّسه.

٤٠ - بناء مقاله الفاطمیه، السید ابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ) تحقیق السید علی العدنانی الغریفی، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، منشورات مؤسسه آل البيت علیهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسه.

- حرف التاء -

٤١ - تاج العروس، محمد مرتضی الزبیدی (ت ١٢٠٥ هـ) الناشر مکتبه الحياه، بیروت - لبنان.

٤٢ - تاریخ الإسلام، الذهبی، (ت ٧٤٨ هـ) تحقیق د. عمر عبد السلام تدمری، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م. منشورات دار الكتاب العربی، بیروت - لبنان.

٤٣ - تاریخ الطبری، ابن جریر الطبری (ت ٣١٠ هـ) تحقیق نخبه من العلماء، منشورات مؤسسه الأعلمی، بیروت - لبنان.

٤٤ - تاریخ مدینه دمشق، ابن عساکر، (ت ٥٧١ هـ) تحقیق علی شیری، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ، دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان، منشورات محمّد علی بیضون.

٤٥ - تحریر الأحکام، العلامه الحلّی (ت ٧٢٦ هـ) تحقیق الشیخ إبراهیم البهادری، إشراف الشیخ جعفر السبحانی، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ، منشورات الإمام الصادق علیه السلام، قم المقدّسه.

٤٦ - التحصیل فی أيام التعطیل، السید علی نقی الطبسی، مجهوله.

٤٧ - تحف العقول، ابن شعبه الحرّانی، المتوفی فی القرن الرابع، تحقیق علی أكبر الغفاری، الطبعة الثانيه ١٣٦٣ ش، ١٤٠٤ هـ، منشورات جماعه المدرّسین، قم المقدّسه.

٤٨ - تحفه الأحمدي، المبارکفوری، (ت ١٢٨٢ هـ) الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، منشورات دار الکتب العلمیه، بیروت - لبنان.

٤٩ - التحفه السنیه، السید عبد الله الجزائری (١١٨٠ هـ) مخطوط.

٥٠ - تذکره الفقهاء، العلامه الحلّی (ت ٧٢٦ هـ) تحقیق ونشر مؤسسه آل البيت علیهم السلام الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ، قم المقدّسه.



٥١ - تذكرة الموضوعات، الفتى، محمد طاهر بن على الهندى (ت ٩٨٦ هـ) مجهوله.

٥٢ - ترتيب إصلاح المنطق، ابن السكيت الأهوازى (ت ٢٤٤ هـ) تحقيق الشيخ محمد حسن بكائى، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ، منشورات مجمع البحوث الإسلاميه، مشهد المقدسه - إيران.

ص: ٥٠٢

- ٥٣ - ترجمه الإمام الحسين (ابن عساكر)، ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودى، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، مؤسسه المحمودى للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
- ٥٤ - ترجمه الإمام الحسين (طبقات ابن سعد)، ابن سعد (ت ٢٣٠ هـ) تحقيق السيد عبد العزيز الطباطبائي، الطبعة الأولى، منشورات الهدف للإعلام والنشر.
- ٥٥ - التعجب، أبو الفتح الكراچكى (ت ٤٤٩ هـ) تحقيق فارس حسون كريم، مجهوله.
- ٥٦ - تفسير أبي السعود، أبو السعود، (ت ٩٥١ هـ)، طباعه ونشر دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان.
- ٥٧ - تفسير أبي حمزه الثمالى، أبو حمزه الثمالى، ثابت بن دينار (ت ١٤٨ هـ) تحقيق عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، الشيخ محمد هادى معرفه الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ، منشورات الهدى، قم المقدسه.
- ٥٨ - تفسير الإمام العسكرى عليه السلام، المنسوب للإمام العسكرى عليه السلام (ت ٢٦٠ هـ) الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ تحقيق ونشر مدرسه الإمام المهدي عليه السلام قم المقدسه.
- ٥٩ - تفسير الأمثل، الشيخ مكارم الشيرازى، معاصر، طبعه جديده منقحه مع إضافات.
- ٦٠ - تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسى (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق مجموعه من المحققين، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، منشورات دار الكتب العلميه، بيروت - لبنان.
- ٦١ - تفسير البرهان، السيد هاشم البحرانى (ت ١١٠٧ هـ) الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ، منشورات مؤسسه الأعلمى، بيروت - لبنان.
- ٦٢ - تفسير البيضاوى، البيضاوى (ت ٦٨٢ هـ) منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ٦٣ - تفسير التبيان، الشيخ الطوسى، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى، (ت ٤٦٠ هـ) تحقيق أحمد حبيب قصير العاملى، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ، مكتب الإعلام الإسلامى.
- ٦٤ - تفسير الثعلبى، الثعلبى (ت ٤٢٧ هـ) تحقيق الإمام أبى محمد بن عاشور، مراجعه وتدقيق الأستاذ نظير الساعدى، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان.
- ٦٥ - التفسير الصافى، محسن الفيض الكاشانى، (ت ١٠٩١ هـ) تحقيق الشيخ حسين الأعلمى الطبعة الثالثة ١٤١٦ هـ، مطبعه مؤسسه الهدى، قم المقدسه، منشورات مكتبه الصدر، طهران - إيران.
- ٦٦ - تفسير العياشى، أبو النصر، محمّد بن مسعود بن عياش السيلمى، السمرقندى (ت ٣٢٠ هـ) تحقيق الحاج هاشم الرسولى المحلاتى، المكتبه العلميه الإسلاميه طهران.

٦٧ - تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ) تحقيق أحمد بن العليم البردوني، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٦٨ - تفسير القمّي، عليّ بن إبراهيم القمّي، (ت ٣٢٩ هـ) تصحيح وتعليق وتقديم السيد طيّب الموسوي

ص: ٥٠٣

الجزائري، مطبعة النجف الأشرف ١٣٨٧ هـ، منشورات مكتبة الهدى.

٦٩ - التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، الطبعة الثالثة، المطبعة البهية المصرية.

٧٠ - تفسير الكشاف، الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) سنة الطبع ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م منشورات شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباب الحلبي وأولاده بمصر.

٧١ - تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، منشورات جماعه المدرسين في الحوزه العلميّه - قم المقدسه.

٧٢ - تفسير فرات الكوفي، أبو القاسم، فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (ت ٣٥٢ هـ) تحقيق محمّد الكاظم، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ، وزاره الثقافه والإرشاد الإسلامى.

٧٣ - تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهدى (ت ١١٢٥ هـ) تحقيق مجتبى العراقى، منشورات مؤسسه النشر الإسلامى، جماعه المدرسين، ١٤٠٧ هـ، قم المقدسه.

٧٤ - تفسير مجمع البيان، أمين الإسلام الطبرسى (ت ٥٦٠ هـ) تحقيق لجنة من العلماء، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، مؤسسه الأعلمى للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٧٥ - تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد على العروسى الحويزى (ت ١١١٢ هـ) تحقيق السيد هاشم الرسولى المحلاتى، الطبعة الرابعه ١٤١٢ هـ، مؤسسه إسماعيليان، قم المقدسه.

٧٦ - تنبيه الخواطر (مجموعه ورام)، أبو الحسين، ورام بن أبى فراس المالكى الأشرى (ت ٦٠٥ هـ)، منشورات مكتبة الفقيه، قم - إيران.

٧٧ - تنزيل الآيات على الشواهد من الآيات، محبّ الدين الأفندى (ت ١٠١٦ هـ)، منشورات مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده.

٧٨ - تنزيه الأنبياء، السيد المرتضى علم الهدى (ت ٤٣٦ هـ)، الطبعة الثانيه ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، منشورات دار الأضواء، بيروت - لبنان.

٧٩ - تهذيب الأحكام، الطوسى، محمد بن الحسن، (ت ٤٦٠ هـ)، المطبعة خورشيد، الطبعة الرابعه ١٣٦٥ ش، دار الكتب الإسلاميه.

٨٠ - تهذيب التهذيب، شهاب الدين، ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٨١ - تهذيب الكمال، جمال الدين المزي (ت ٧٤٢ هـ) تحقيق الدكتور بشّار عوّاد معروف، الطبعة الرابعه ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م،

مؤسسه الرساله، بيروت - لبنان.

٨٢- التوحيد، الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (٣٨١ هـ)، تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني، سنة الطبع ١٣٨٧ هـ من منشورات جماعه المدرسين، قم المقدسه.

ص: ٥٠٤

- حرف الثاء -

٨٣ - ثمرات الأعواد، السيد على بن الحسين الهاشمي النجفي (ت ١٣٩٦ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ، منشورات المكتبة الحيدريّة، قم المقدّسه.

٨٤ - ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، (ت ٣٨١ هـ) المطبعة أمير، قم، الطبعة الثانية ١٣٦٨ ش، منشورات الشريف الرضي.

- حرف الجيم -

٨٥ - جامع أحاديث الشيعة، السيد حسين البروجردي (ت ١٣٨٣ هـ)، المطبعة العلمية ١٣٩٩ هـ، قم المقدّسه.

٨٦ - جامع السعادات، محمد مهدي النراقي (ت ١٢٠٩ هـ) تحقيق وتعليق السيد محمد كلانتر، تقديم الشيخ محمد رضا المظفر، الطبعة الرابعة، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.

٨٨ - الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

٨٩ - جامع المقاصد، المحقق الكركي (ت ٩٤٠ هـ)، تحقيق ونشر مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ، قم المقدّسه.

٩٠ - الجمل، الشيخ المفيد، محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ)، مكتبة الداوري، قم - إيران.

٩١ - جواهر المطالب، محمد بن أحمد الدمشقي الشافعي (ت ٨٧١ هـ)، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، منشورات مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّه، قم المقدّسه.

- حرف الحاء -

٩٢ - الحدائق الناضرة، الشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦ هـ)، منشورات مؤسسه النشر الإسلامي التابعه لجماعه المدرّسين، قم المقدّسه.

٩٣ - حقيقه علم آل محمد وجهاته، السيد عاشور (معاصر) مجهوله.

٩٤ - حليه الأبرار، السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧)، تحقيق الشيخ غلام الرضا البروجردي، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ، منشورات مؤسسه المعارف الإسلاميّه، قم المقدّسه.

- حرف الخاء -

٩٥ - الخرائج والجرائح، قُطب الدين الراوندي، (ت ٥٧٣ هـ) تحقيق ونشر مؤسسه الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسه.

٩٦ - خزانه الأدب، البغدادى (ت ١٠٩٣ هـ) تحقيق محمد نبى طريفى، إميل بديع يعقوب، الطبعة الأولى

ص: ٥٠٥

١٩٩٨ م، منشورات دار الكتب العلميّه، بيروت - لبنان.

٩٧ - الخصال، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) تصحيح وتعليق على أكبر الغفاري، منشورات جماعه المدرّسين في الحوزه العلميّه، ١٤٠٣ هـ، قم المقدّسه.

٩٨ - خصائص الأئمّه، الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ)، تحقيق محمد هادي الأميني منشورات مجمع البحوث الإسلاميّه. الأستانه الرضويه المقدّسه، مشهد - إيران.

٩٩ - الخصائص العباسيه، الحاج محمد إبراهيم الكلباسي، الطبعة الأولى ١٣٧٨ ش - ١٤٢٠ هـ، انتشارات المكتبه الحيدريه، قم المقدّسه.

١٠٠ - خصائص الوحي المبين، ابن البطريق، يحيى بن الحسن الأسدي (ت ٦٠٠ هـ)، تحقيق الشيخ مالك المحمودي، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ منشورات دار القرآن.

- حرف الدال -

١٠١ - الدرّ النضيد، السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ)، الطبعة الأولى ١٣٧٨ ش منشورات الشريف الرضي، قم المقدّسه.

١٠٢ - الدرّ النظيم، ابن حاتم العاملي (ت ٦٦٤ هـ)، مؤسسه النشر الإسلامي التابعه لجماعه المدرّسين، قم المقدّسه.

١٠٣ - الدرجات الرفيعه، السيد علي خان المدني (ت ١١٢٠ هـ)، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات مكتبه بصيرتي، ١٣٩٧ هـ، قم المقدّسه.

١٠٤ - الدرّ الواقيه، السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، تحقيق ونشر مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسه، سنه ١٤١٤ هـ.

١٠٥ - دعائم الإسلام، القاضي النعمان المصري (ت ٣٦٣ هـ)، تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي، منشورات دار المعارف القاهره ١٩٦٣ م.

١٠٦ - دلائل الإمامه، الشيخ الطبري الإمامي المتوفّي أوائل القرن الرابع الهجري، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ، مؤسسه البعثه، قم المقدّسه.

١٠٨ - ديوان دعبل الخزاعي، دعبل بن علي الخزاعي (ت ٢٤٦ هـ) الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، مؤسسه الأعلمي، بيروت - لبنان.

١٠٩ - ديوان سيد رضا الهندي، السيد رضا الموسوي الهندي (ت ١٣٦٢ هـ)، تحقيق السيد موسى الموسوي، مراجعه وتعليق السيد عبد الصاحب الموسوي، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، منشورات دار الأضواء، بيروت - لبنان.



١١٠ - ديوان مفاتيح الدموع، الشيخ محمد سعيد المنصوري (ت ١٤٢٨ هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ،

ص: ٥٠٦

الناشر ولده المرحوم عبد الحسين المنصوري.

١١١ - ديوان ميراث المنبر، الشيخ محمد سعيد المنصوري (ت ١٤٢٨ هـ)، طبع ونشر دار المنصوري، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.

- حرف الذال -

١١٢ - ذوب النضار، ابن نما الحلّي (ت ٦٤٥ هـ)، تحقيق فارس حسّون كريم، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ، مؤسسه النشر الإسلامي، جماعه المدرّسين، قم المقدّسه.

- حرف الراء -

١١٣ - رسائل الشهيد الثاني، الشيخ زين الدين الجبجي العاملي (ت ٩٦٦ هـ)، الطبعة الحجرية، منشورات مكتبه بصيرتي، قم المقدّسه.

١١٤ - الركب الحسيني، مجموعه (معاصره) الطبعة الثانيه ١٤٢٥ هـ، إعداد ونشر مركز الدراسات الإسلاميه ممثليه الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلاميه، قم المقدّسه.

١١٥ - روضه الواعظين، محمّد بن الفتّال النيسابوري، (ت ٥٠٨ هـ)، تحقيق السيد محمد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم المقدّسه.

١١٦ - رياض السالكين، السيد علي خان المدني الشيرازي (ت ١١٢٠ هـ)، تحقيق السيد محسن الحسيني الأميني، الطبعة الرابعه ١٤١٥ هـ، منشورات مؤسسه النشر الإسلاميه، قم المقدّسه.

١١٧ - رياض المدح والثناء، الشيخ حسين علي آل الشيخ سليمان البلادي البحراني، تصحيح وتعليق حسن عبد الأمير، انتشارات المكتبه الحيدريّه، قم المقدّسه، الطبعة الرابعه ١٤٢٦ هـ.

- حرف الزاي -

١١٨ - زهر الربيع، السيد نعمه الله الجزائري (ت ١١١٢ هـ) مجهوله.

- حرف السين -

١١٩ - سر السلسله العلويه، أبو نصر البخاري (ت ٣٤١ هـ)، تحقيق السيد محمّد صادق بحر العلوم الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٣٧١ ش، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدّسه.

١٢٠ - سفير الحسين مسلم بن عقيل عليه السلام، العلامه الشيخ عبد الواحد المظفر الطبعة الثالثه ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م، مطبعه الآداب في النجف الأشرف.

١٢١ - سفينه البحار، الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩ هـ) مطبعه دار الأسوه، الطبعه الثانيه ١٤١٦ هـ، قم المقدسه.

١٢٢ - سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣ هـ)، تحقيق وترقيم وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، منشورات دار الفكر للطباعه والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

ص: ٥٠٧

١٢٣ - سنن أبي داوود، أبو داوود، ابن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ)، تحقيق سعيد محمّد اللّحام، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، منشورات دار الفكر.

١٢٤ - سنن الترمذى، الترمذى (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق وتصحيح عبد الوهّاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

١٢٥ - السنن الكبرى، النسائي (ت ٣٠٣ هـ)، تحقيق عبد الغفّار سليمان البغدادي، سيد كسروى حسن، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ، دار الكتب العلميه، بيروت - لبنان.

١٢٧ - سنن النبى، العلّامه الطباطبائى، محمد حسين (ت ١٤٠٢ هـ)، تحقيق الشيخ محمّد هادى الفقهى، ١٤١٩ هـ، منشورات مؤسسه النشر الإسلامى.

١٢٨ - سياسه الحسين، الشيخ عبد العظيم الربيعى (ت ١٣٩٩ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ، منشورات المكتبه الحيدرّيه، قم المقدّسه.

١٢٩ - سير أعلام النبلاء، الذهبى (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق العرقسوسى، ثامون صاغر جى، الطبعة التاسعه ١٤١٣ هـ، منشورات الرساله، بيروت - لبنان.

١٣٠ - سيره الأئمّه، الشيخ مهدي البيشوائى (معاصر) تعريب حسين الواسطى، طباعه ونشر مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام، تقديم الشيخ جعفر السبحانى.

١٣١ - السيره الحلبيه، الحلبي (ت ١٠٤٤ هـ) منشورات دار المعرفه ١٤٠٠ هـ، بيروت - لبنان.

١٣٢ - السيره النبويه (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٧٤٧ هـ)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، منشورات دار المعرفه للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٧٦ م، بيروت - لبنان.

- حرف الشين -

١٣٣ - الشافى فى الإمامه، السيد مرتضى علم الهدى (ت ٤٣٦ هـ) الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ، منشورات مؤسسه إسماعيليان، قم المقدّسه.

١٣٤ - شجره طوبى، الشيخ محمد مهدي الحائرى (ت ١٣٦٩ هـ)، الطبعة الخامسه ١٣٨٥ هـ، منشورات المكتبه الحيدرّيه ومطبعته، النجف الأشرف.

١٣٥ - شرح إحقاق الحقّ، السيد المرعشى، (ت ١٤١١ هـ) تصحيح السيد إبراهيم الميانجى، منشورات مكتبه المرعشى النجفى، قم المقدّسه.

١٣٦ - شرح أصول الكافى، المولى محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١ هـ).

١٣٧ - شرح الأخبار، النعمان بن مُحمَّد التميمي، (ت ٣٦٣هـ)، تحقيق السيد محمد الحسيني الجاللي، مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرّسين بقم المشرفه.

١٣٨ - شرح التجريد، العلامة الحلّي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق الشيخ حسن زاده آملی، الطبعة السابعة

ص: ٥٠٨

١٤١٧ هـ، منشورات مؤسسه النشر الإسلامى، قم المقدسه.

١٣٩ - شرح الرضى على الكافيه، رضى الدين الاسترآبادى (ت ٦٨٦ هـ)، تحقيق يوسف حسن عمر، منشورات مؤسسه الصادق ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م - طهران.

١٤٠ - الشرح الكبير، عبد الرحمن بن قدامه (ت ٦٨٢ هـ) الطبعه الجديده بالأوفست، منشورات دار الكتاب العربى للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

١٤١ - شرح رساله الحقوق، السيد حسن القبانجى (١) منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.

١٤٢ - شرح مائه كلمه لأمير المؤمنين عليه السلام، كمال الدين، ميثم بن على البحرانى (ت ٦٧٩ هـ)، تحقيق مير جلال الدين الحسينى الأرموى المحدث، منشورات جماعه المدرسين فى الحوزه العلميه، قم المقدسه.

١٤٣ - شرح نهج البلاغه، ابن أبى الحديد المعتزلى (ت ٦٥٦ هـ)، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المرعى النجفى، إنتشارات دار إحياء الكتب العربيه.

١٤٤ - الشعائر الحسينيه بين الأصاله والتجديد، محاضرات الشيخ محمد السند، بقلم السيد رياض الموسوى، الطبعه الأولى، منشورات دار الغدير ١٤٢٤ هـ، قم المقدسه.

١٤٥ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضى أبو الفضل عياض اليحصبى (ت ٥٤٤ هـ)، دار الفكر ١٤٠٩-١٩٨٨ م، بيروت - لبنان.

- حرف الصاد -

١٤٦ - صحيح ابن حبان، ابن حبان (ت ٣٥٤ هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعه الثانيه ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، منشورات مؤسسه الرساله.

١٤٧ - صحيح ابن خزيمه، أبو بكر، محمد بن إسحاق بن خزيمه (ت ٢١١ هـ)، تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمى، الطبعه الثانيه ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، منشورات المكتب الإسلامى.

١٤٨ - صحيح البخارى، البخارى، (ت ٢٥٦ هـ)، دار الفكر للطباعه والنشر والتوزيع سنه ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

١٤٩ - صحيح مسلم، مسلم النيسابورى (ت ٢٦١ هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان.

- حرف الطاء -

١٥٠ - الطرائف فى معرفه مذاهب الطوائف، السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، الطبعه الأولى ١٣٩٩ هـ، المطبعه خيام، قم المقدسه.

---

١- (١) اعتقل السيد رحمه الله في الإنتفاضة الشعبانيه سنه ١٩٩١ م، وقيل إنه استشهد بعد فتره وجيزه.

- ١٥١ - عدّه الداعي، أحمد بن فهد الحلّي (ت ٨٤١هـ)، تحقيق أحمد الموحدى القمّي، منشورات مكتبه الوجداني، قم المقدّسه.
- ١٥٢ - العروه الوثقى، السيد محمد كاظم اليزدى (ت ١٣٣٧هـ) تحقيق ونشر مؤسسه النشر الإسلامى، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، قم المقدّسه.
- ١٥٣ - العقليه زينب والفواطم، الحاج حسين الشاكرى (ت ١٤٣٠هـ)، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م منشورات المؤسسه الإسلاميه للتبليغ والإرشاد، قم المقدّسه.
- ١٥٤ - علل الترمذى، محمّد بن سوره (ت ٢٧٩هـ)، الطبعة الثانيه ١٤٠٣هـ، طباعه ونشر دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ١٥٥ - علل الشرائع، الشيخ الصدوق، محمد بن على بن بابويه القمّي (ت ٣٨١هـ)، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبه الحيدريه ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، النجف الأشرف.
- ١٥٦ - عمدہ الطالب، جمال الدين، أحمد بن على المعروف بابن عنبه (ت ٨٢٨هـ)، تحقيق محمد حسن آل الطالقانى، الطبعة الثانيه ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م منشورات المطبعه الحيدريه، النجف الأشرف.
- ١٥٧ - عمدہ القارئ، العيني، (ت ٨٥٥هـ)، مطبعه ونشر دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان.
- ١٥٨ - العمده، ابن البطريق، يحيى بن الحسن الأسدى (ت ٦٠٠هـ)، منشورات مؤسسه النشر الإسلامى ١٤٠٧هـ، جماعه المدرّسين، قم المقدّسه.
- ١٥٩ - العوالم، الشيخ عبد الله البحرانى (ت ١١٣٠هـ)، تحقيق مدرسه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، قم المقدّسه.
- ١٦٠ - عوالى اللثالى، ابن أبى جمهور الإحسائى (ت ٨٨٠هـ)، تحقيق آقا مجتبى العراقى، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٦١ - عين الحياه، العلامة المجلسى، محمّد باقر (ت ١١١١هـ)، ترجمه وتحقيق السيّد هاشم الميلانى، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ منشورات مؤسسه النشر الإسلامى، قم المقدّسه.
- ١٦٢ - العين، الفراهيدى، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ)، تحقيق الدكتور مهدي المخزومى، الدكتور إبراهيم السامرائى، الطبعة الثانيه ١٤٠٩هـ، مؤسسه دار الهجره.
- ١٦٣ - عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق الشيخ حسين الأعلمى، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ منشورات مؤسسه الأعلمى، بيروت - لبنان.



١٦٤ - عيون الحكم والمواعظ، على بن محمد الكليني الواسطي، المتوفى في القرن السادس الهجري، تحقيق الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، الطبعة الأولى منشورات دار الحديث.

ص: ٥١٠

١٦٥ - عيون المعجزات، الشيخ حسين بن عبد الوهّاب، المتوفّى في القرن الخامس هجرى، تاريخ النشر ١٣٦٩ هـ، المطبعه الحيدريه، النجف الأشرف.

- حرف الغين -

١٦٦ - الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفى (ت ٢٨٣ هـ)، تحقيق السيد جلال الدين الحسينى الأرموى المحدث.

١٦٧ - غايه المرام، السيد هاشم البحرانى (ت ١١٠٧ هـ)، تحقيق السيد عاشور.

١٦٨ - الغدير، الشيخ عبد الحسين الأمينى (ت ١٣٩٢ هـ)، الطبعة الرابعة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م، منشورات دار الكتاب العربى، بيروت - لبنان.

١٦٩ - غرر الحكم، الشيخ أبو الفتح عبد الواحد بن محمّد بن عبد الواحد الآمدى الإمامى (ت ٥١٠ هـ) مجهوله.

- حرف الفاء -

١٧٠ - الفايق فى غريب الحديث، جار الله الزمخشري، (ت ٥٣٨ هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، منشورات دار الكتب العلميه، بيروت - لبنان.

١٧١ - فتح البارى، ابن حجر، شهاب الدين العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ)، الطبعة الثانية، طباعه ونشر دار المعرفه، بيروت - لبنان.

١٧٢ - فرج المهموم، السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، منشورات الشريف الرضى، سنه الطبع ١٣٦٣ ش، قم المقدسه.

١٧٣ - فرحه الغرى، السيد عبد الكريم بن طاووس الحسينى، (ت ٦٩٣ هـ)، تحقيق السيد تحسين آل شبيب الموسوى، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ، مركز الغدير للدراسات الإسلاميه.

١٧٤ - الفصول المختاره، الشيخ المفيد، محمد بن النعمان العكبى البغدادى (ت ٤١٣ هـ) الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ، تحقيق السيد على مير شريفى، منشورات دار المفيد.

١٧٥ - الفصول المهمه فى أصول الأئمه، الحرّ العاملى، (ت ١١٠٤ هـ)، تحقيق وإشراف محمّد القائنى، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ، منشورات مؤسسه معارف إسلامى إمام رضا عليه السلام.

١٧٦ - الفصول المهمه فى معرفه الأئمه، ابن الصبّاغ المالكى (ت ٨٥٥ هـ)، تحقيق الشيخ سامى الغيرى، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ، منشورات دار الحديث للطباعه والنشر.

١٧٧ - فضائل الشيعة، الشيخ الصدوق، محمد بن على بن بابويه القمى (ت ٣٨١ هـ)، منشورات كانون عابدى، طهران - إيران.

١٧٨ - فضائل الصحابه، النسائى، أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ)، دار الكتب العلميه،



بيروت - لبنان.

١٧٩ - فقه الإمام جعفر الصادق، الشيخ محمد جواد مغنیه (ت ١٣٠٨ هـ)، الطبعة الرابعة ١٤٠٢ هـ، دار الجواد، منشورات دار التعارف، بيروت - لبنان.

١٨٠ - فقه القرآن (الراوندى) قطب الدين، سعيد بن هبه الله الراوندى (ت ٥٧٣ هـ)، تحقيق السيد أحمد الحسينى، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ، منشورات مكتبة المرعشى النجفى، قم المقدسه.

١٨١ - فهرست منتجب الدين، الشيخ منتجب الدين ابن بابويه، (ت ٥٨٥ هـ)، تحقيق السيد جلال الدين محدث الأرموى، منشورات مكتبة المرعشى النجفى، قم المقدسه.

- حرف القاف -

١٨٢ - القاموس المحيط، الفيروز آبادى (ت ٨١٧ هـ) مجهوله.

١٨٣ - قرب الإسناد، الحميرى، القمى (ت ٣٠٠ هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ، تحقيق ونشر مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسه.

١٨٤ - قصص الأنبياء (الجزائرى)، السيد نعمه الله الجزائرى (ت ١١١٢ هـ)، منشورات الشريف الرضى، قم المقدسه.

١٨٥ - قصص الأنبياء (الراوندى)، قطب الدين، سعيد بن هبه الله الراوندى (ت ٥٧٣ هـ)، تحقيق غلام رضا عرفانيان، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٣٧٦ ش، منشورات الهادى.

- حرف الكاف -

١٨٦ - الكافى، الكلينى، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ) تصحيح وتعليق على أكبر الغفارى، الطبعة الخامسة (١٣٦٣ ش)، الناشر دار الكتب الإسلاميه، طهران - إيران.

١٨٧ - كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، (ت ٣٦٧ هـ)، تحقيق الشيخ جواد القيومى الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ، جماعه المدرسين، منشورات مؤسسه الفقاهه.

١٨٨ - الكامل فى التاريخ، ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، منشورات دار صادر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.

١٨٩ - الكامل، ابن عدب الجرحانى (ت ٣٦٥ هـ)، تحقيق يحيى مختار عزاوى، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.

١٩٠ - كتاب الزهد، الحسين بن سعيد الكوفى، المتوفى فى القرن الثالث الهجرى، تحقيق ميرزا غلام رضا عرفانيان، المطبعة

العلميه، ١٣٩٩ هـ، قم المقدسه.

١٩١ - كتاب الفتوح، ابن أعمم الكوفي، (ت ٣١٤ هـ) تحقيق عليّ شيرى، الطبعة الأولى سنه ١٤١١ هـ طباعه ونشر دار الأضواء، بيروت - لبنان.

ص: ٥١٢

- ١٩٢ - كتاب سليم بن قيس، أبو صادق، سليم بن قيس الهلالي (ت ٥٧٦هـ)، تحقيق محمد باقر الأنصاري، غير مؤرّخه.
- ١٩٣ - كشف الخفاء، العجلوني، إسماعيل بن محمّد (ت ١١٦٢هـ) الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، منشورات دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان.
- ١٩٤ - كفاية الأثر، الخزّاز القمّي (ت ٤٠٠هـ) تحقيق السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، المطبعة خيام، منشورات بيدار - قم المقدّسه.
- ١٩٥ - الكلمه الغزّاء في تفضيل الزهراء، السيد عبد الحسين شرف الدين (ت ١٣٣٧هـ)، مطبوعه في دار النعمان في النجف الأشرف في ذيل الفصول المهمّه في تأليف الأئمّه له رحمه الله.
- ١٩٦ - كمال الدين وتمام النعمه، الشّيخ الصّيدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق علي أكبر الغفاري منشورات مؤسسه النشر الإسلامي، جماعه المدرسين، قم المقدّسه.
- ١٩٧ - كنز الفوائد، أبو الفتح الكراجكي (ت ٤٤٩هـ)، الطبعة الثانيه ١٣٦٩ ش، منشورات المكتبه الحيدريه، قم المقدّسه.
- ١٩٨ - كيمياء المحبّه، سيره رجب علي الخياط بقلم الشّيخ محمد الريشهري (معاصر) مجهوله.
- حرف اللام -
- ١٩٩ - لسان العرب، ابن منظور (ت ٥٧١١هـ) ١٤٠٥ هـ، نشر أدب الحوزه قم المقدّسه.
- ٢٠٠ - اللهوف، السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ، منشورات أنوار الهدى، قم المقدّسه.
- ٢٠١ - لواعج الأشجان، السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ)، مطبوعه العرفان صيدا ١٣٣١ هـ، منشورات مكتبه بصيرتي، قم المقدّسه.
- حرف الميم -
- ٢٠٢ - مثير الأحزان، ابن نما الحلّي، (ت ٦٤٥هـ)، المطبوعه الحيدريه ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م، النجف الأشرف.
- ٢٠٣ - مجمع البحرين، الشّيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، تحقيق السيد أحمد الحسيني، الطبعة الثانيه ١٤٠٨ هـ، مكتبه نشر الثقافه الإسلاميه.
- ٢٠٤ - مجمع الزوائد، الهيثمي، (ت ٨٠٧هـ) دار الكتب العلميّه، سنه ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، بيروت - لبنان.
- ٢٠٥ - مجمع الشعراء، كامل سليمان الجبوري، منشورات محمّد عليّ بيضون الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ، دار الكتب العلميّه، بيروت - لبنان.

٢٠٦ - مجمع الفائده والبرهان، المقدّس الأردبيلى (ت ٩٩٣هـ)، تحقيق مجتبى العراقى، الشيخ على پناه

ص: ٥١٣

الاشتهاردى، حسين اليزدى، منشورات جماعه المدرسين، قم المقدسه.

٢٠٧ - مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام، الشيخ محمد الهنداوى، معاصر، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ، إنتشارات المكتبه الحيدريه.

٢٠٨ - المجموع، محى الدين النووى (ت ٦٧٦ هـ)، منشورات دار الفكر.

٢٠٩ - مجموعه رسائل، الشيخ لطف الصافى الكلپايگانى، معاصر، مجهوله.

٢١٠ - مجموعه ورام (تنبيه الخواطر ونزهه النواظر)، أبو الحسن ورام بن أبى فراس المالكى الأشرى، (ت ٦٠٥ هـ)، منشورات مكتبه الفقيه، قم المقدسه.

٢١١ - المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقى (ت ٢٤٧ هـ)، تحقيق وتعليق السيد جلال الدين الحسينى (المحدث)، الناشر دار الكتب الإسلاميه ١٣٧٠ هـ، طهران.

٢١٢ - محاضرات فى الإلهيات، الشيخ جعفر السبحانى، معاصر، مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام قم المقدسه.

٢١٣ - المحجّه البيضاء، الملا محسن الفيض الكاشانى (ت ١٠٩١ هـ) منشورات جماعه المدرسين، قم المقدسه.

٢١٣ - المحلّى، ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) منشورات دار الفكر.

٢١٤ - الإمامه والتبصره، ابن بابويه القمى والد الشيخ الصدوق، (ت ٣٢٩ هـ)، تحقيق ونشر مدرسه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم المقدسه.

٢١٤ - مدينه المعاجز، السيد هاشم البحرانى (ت ١١٠٧ هـ)، تحقيق الشيخ عزه الله الهمدانى، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ، منشورات مؤسسه المعارف الإسلاميه، قم المقدسه.

٢١٥ - مرآه العقول، العلامة المجلسى (ت ١١١١ هـ) مجهوله.

٢١٦ - المزار (ابن المشهدى)، الشيخ محمد بن المشهدى (ت ٦١٠ هـ)، تحقيق جواد القيومى الأصفهانى الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ، منشورات القيوم، قم المقدسه.

٢١٧ - المزار (الشيخ المفيد)، محمد بن النعمان المفيد، (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق السيد محمد باقر الأبطحى، الطبعة الثانيه ١٤١٤ هـ، منشورات دار المفيد، بيروت - لبنان.

٢١٨ - مسارّ الشيعه، الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق الشيخ مهدى نجف، الطبعة الثانيه ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، منشورات دار المفيد، بيروت - لبنان.



- ٢١٩ - مستدرک الوسائل، الميرزا النوری، (ت ١٣٢٠ هـ)، تحقیق ونشر مؤسسه آل البيت عليهم السلام، بیروت - لبنان.
- ٢٠٢ - المستدرک علی الصحیحین، الحاکم النیسابوری، (ت ٤٠٥ هـ)، تحقیق وإشراف یوسف عبد الرحمن المرعشلی.

- ٢٢١ - مستطرفات السرائر، ابن إدريس الحلّي (ت ٥٩٨هـ)، تحقيق ونشر لجنة التحقيق في مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرّسين، الطبعة الثانيه ١٤١١هـ، قم المقدّسه.
- ٢٢٢ - مستند الشيعة، المولى أحمد النراقى (ت ١٢٤٤هـ)، تحقيق ونشر مؤسسه آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، مشهد المقدّسه.
- ٢٢٣ - مسكّن الفؤاد، الشهيد الثانى (المستشهد سنه ٩٦٦هـ)، تحقيق ونشر مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث الطبعة الأولى، قم المقدّسه.
- ٢٢٤ - مسند ابن راهويه، إسحاق ابن راهويه (ت ٢٣٨هـ) تحقيق الدكتور عبد الغفور عبد الحقّ حسين برد البلوسى، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، مكتبه الإيمان، المدينه المنوره.
- ٢٢٥ - مسند أحمد، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) دار صادر، بيروت - لبنان.
- ٢٢٦ - مسند الشهاب، ابن سلامه، (ت ٤٥٤هـ)، تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، منشورات مؤسسه الرساله، بيروت - لبنان.
- ٢٢٧ - مسند زيد بن علىّ، زيد بن علىّ عليهما السلام (ت ١٢٢هـ)، منشورات دار مكتبه الحياه، بيروت - لبنان.
- ٢٢٨ - مشكاه الأنوار، على الطبرسى، تحقيق مهدى هوشمند، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، منشورات دار الحديث.
- ٢٢٩ - المصباح (الكفعمى)، الشيخ تقى الدين إبراهيم، الكفعمى (ت ٩٠٥هـ) الطبعة الثالثه ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، منشورات مؤسسه الأعلمى، بيروت - لبنان.
- ٢٣٠ - مصباح المتهجّد، الشيخ الطوسى (ت ٤٦٠هـ) الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م منشورات مؤسسه فقه الشيعة، بيروت - لبنان.
- ٢٣١ - المصنّف، ابن أبى شيبه الكوفى (ت ٢٣٥هـ) تحقيق سعيد اللحام، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ٢٣٢ - معارج الوصول إلى معرفه فضل آل الرسول، الزرندى الشافعى (ت ٧٥٠هـ)، تحقيق ماجد بن أحمد العطيه.
- ٢٣٣ - معالى السبطين، الشيخ محمد مهدى الحائرى (ت ١٣٦٩هـ)، منشورات المكتبه الحيدريه والشريف الرضى، قم المقدّسه.
- ٢٣٤ - معانى الأخبار، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) تصحيح وتعليق علىّ أكبر الغفارى، مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرّسين بقم المقدّسه ١٣٧٩هـ..

٢٣٥ - المعجم الأوسط، الحافظ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق ونشر قسم التحقيق بدار الحرمين  
١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

ص: ٥١٥

- ٢٣٦ - معجم البلدان، ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ٢٣٧ - المعجم الكبير، الطبراني، (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق وتخريج حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، منشورات دار إحياء التراث العربي، تحقيق السيد أحمد الحسيني.
- ٢٣٨ - معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣هـ)، الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، طبعه منقحه ومزيده.
- ٢٣٩ - معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي ١٤٠٤هـ.
- ٢٤٠ - معدن الجواهر، أبو الفتح بن علي الكراچكي (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق السيد أحمد الحسيني، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ.
- ٢٤١ - مغنى اللبيب، ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ١٤٠٤هـ، قم المقدسه.
- ٢٤٢ - المغنى، ابن قدامه، عبد الله (ت ٦٢٠هـ)، منشورات دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- ٢٤٣ - مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ)، منشورات مؤسسه الأعلمی للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- ٢٤٤ - مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، منشورات دفتر نشر الكتاب.
- ٢٤٥ - مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، منشورات المكتب الحيدريه ومطبعتها، النجف الأشرف.
- ٢٤٦ - مقتل الإمام الحسين (أبو مخنف)، لوط بن يحيى، أبو مخنف الأزدي (ت ١٥٧هـ) تحقيق حسين الغفاري، المطبعة العلميه، قم المقدسه.
- ٢٤٧ - مقتل الحسين (المقرّم) العلامة السيد عبد الرزاق المقرّم (ت ١٣٩١هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٣٧٢ش، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسه.
- ٢٤٨ - المقنعه، الشيخ المفيد، محمد بن النعمان البغدادي العكبري (ت ٤١٣هـ)، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ مؤسسه النشر الإسلامي، جماعه المدرسين، قم المقدسه.
- ٢٤٩ - مكارم الأخلاق، الطبرسي، الحسن بن الفضل (ت ٥٤٨هـ)، الطبعة السادسة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسه.
- ٢٥٠ - مكارم الأخلاق (ابن أبي الدنيا)، ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، تحقيق مجدي السيد إبراهيم،



- ٢٥١ - مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسي، (ت ٥٤٨هـ) الطبعة السادسة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م منشورات الشريف الرضى.
- ٢٥٢ - الملاحم والفتن، السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ منشورات صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف.
- ٢٥٣ - من أخلاق الإمام الحسين، عبد العظيم المهتدى البحراني (معاصر)، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، انتشارات الشريف الرضى، قم المقدسه.
- ٢٥٤ - من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق على أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، منشورات مؤسسه جماعه المدرسين، قم المقدسه.
- ٢٥٥ - المناقب (مناقب الخوارزمي)، الموفق الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ) تحقيق الشيخ مالك محمودي، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ، مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرسين، قم المقدسه.
- ٢٥٦ - مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ) تحقيق لجنه من أساتذه النجف الأشرف سنه الطبع ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م، المطبعه الحيدريه، النجف الأشرف.
- ٢٥٧ - مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي من أعلام القرن الثالث، تحقيق الشيخ محمد باقر محمودي، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ مجمع إحياء الثقافه الإسلاميه، قم المقدسه.
- ٢٥٨ - المنتخب، الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، الطبعة الثالثه ١٤٢٢ هـ، منشورات الشريف الرضى، قم المقدسه.
- ٢٥٩ - منتهى الآمال، الشيخ عباس القمى (ت ١٣٥٩هـ)، ترجمه السيد هاشم الميلاني، منشورات مؤسسه النشر الإسلامى، جماعه المدرسين، قم المقدسه.
- ٢٦٠ - منتهى المطلب، العلامة الحلّى، الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ) تحقيق قسم الفقه فى مجمع البحوث الإسلاميه، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ، منشورات مجمع البحوث الإسلاميه، مشهد المقدسه.
- ٢٦١ - منهاج الصالحين، السيد أبو القاسم الخوئى (١٤١٣هـ)، الطبعة الثانيه والعشرون ١٤١٠ هـ، منشورات مدينه العلم آيه الله الخوئى، قم المقدسه.
- ٢٦٢ - مواقف الشيعة، الأحمدي الميانجى، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ، مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرسين، قم المقدسه.
- ٢٦٣ - المواقف، الأيجى (ت ٧٥٦هـ) تحقيق عبد الرحمن عميره، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، منشورات دار الجيل، بيروت

- لبنان.

٢٦٤ - موسوعه كلمات الإمام الحسين، لجنة الحديث فى معهد باقر العلوم عليه السلام، الطبعه الثالثه ١٤١٦ هـ -

ص: ٥١٧

- حرف النون -

٢٦٥ - النزاع والتخاصم، تقى الدين، أحمد بن على المقرئى (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق السيد على عاشور.

٢٦٦ - نزه الناظر وتنبيه خاطر، الحلوانى، الحسين بن محمد بن الحسن المتوفى فى القرن الخامس الهجرى، تحقيق ونشر مؤسسه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ، قم المقدسه.

٢٦٧ - نزه الناظر، الحلوانى، المتوفى فى القرن الخامس الهجرى، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ، تحقيق ونشر مدرسه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم المقدسه.

٢٦٨ - النصاريات الكبرى، الشيخ محمد بن نصار، منشورات المكتبة الحيدريه، قم المقدسه.

٢٦٩ - نظره إلى حياه السيدة فاطمه المعصومه عليها السلام، انتشارات السيده المعصومه عليها السلام، قم المقدسه، بدون تاريخ.

٢٧٠ - نظم درر السمطين، جمال الدين الزرندي الحنفى (ت ٧٥٠هـ)، الطبعة الأولى ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م.

٢٧١ - نهايه المرام، السيد محمد العاملى (ت ١٠٠٩هـ)، تحقيق آغا مجتبى العراقى، على پناه الاشتهااردى، آقا حسين اليزدى، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ، منشورات جماعه المدرسين، قم المقدسه.

٢٧٢ - النهايه فى غريب الحديث، ابن الأثير، (ت ٦٠٦هـ) تحقيق طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناجى، الطبعة الرابعه ١٣٦٤ ش، منشورات مؤسسه إسماعيليان، قم المقدسه.

٢٧٣ - نهج الإيمان، ابن جبر، زين الدين، على بن يوسف بن جبر من أعلام القرن السابع الهجرى، تحقيق السيد أحمد الحسينى، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ، منشورات مجمع الإمام الهادى عجل الله تعالى فرجه الشريف، مشهد المقدسه.

٢٧٤ - نهج السعاده، الشيخ المحمودى، معاصر، مؤسسه الأعلمى للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٢٧٥ - نوادر المعجزات، الشيخ الطبرى الإمامى المتوفى فى القرن الرابع الهجرى الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ، تحقيق ونشر مؤسسه الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسه.

- حرف الهاء -

٢٧٦ - الهدايه الكبرى، الحسين بن حمدان الخصيبى (ت ٣٣٤هـ)، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ، منشورات المكتبة الحيدريه، قم المقدسه.

- حرف الواو -



٢٧٧ - الوافي بالوفيات، الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، منشورات دار إحياء التراث ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، بيروت - لبنان.

٢٧٨ - وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث،

ص: ٥١٨

الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ، المطبعة مهر، قم المقدّسه.

٢٧٩ - وقعه صفّين، ابن مزاحم المنقري (ت ٢١٢ هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية ١٣٨٢ هـ، منشورات المؤسسه العربيه للطبع والنشر والتوزيع، القاهره.

- حرف الياء -

٢٨٠ - يتيمة الدهر، الثعالبي، أبو منصور عبد الملك (ت ٤٢٩ هـ)، تحقيق الدكتور مفيد محمّد قميحه، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، منشورات دار الكتب العلميه، بيروت - لبنان.

٢٨١ - ينابيع المعاجز، السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧ هـ)، المطبعة العلميه، قم المقدّسه.

٢٨٢ - ينابيع المودّه، القندوزي (ت ١٢٩٤ هـ) تحقيق السيد علي جمال أشرف، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ، منشورات دار الأُسوه للطباعه والنشر.

ص: ٥١٩



تسلسل المحاضره.... موضوع المجلس.... مطلع القصيده فى المجلس.... شاعر القصيده.... التعريج والمصيبه.... ص

الأولى.... تعظيم الشعائر.... أطل علينا بالخطوب محرم.... مجهول.... ندبه الزهراء عليها السلام الإمام صاحب الزمان عليه السلام.... ١٥

الثانية.... ثواب الباكين على الحسين عليه السلام.... أخذ بالبكاء فقد أتاك محرم.... الشيخ كاظم سبتي رحمه الله.... السيد الحميرى عند الإمام الصادق عليه السلام.... ٢٩

الثالثة.... نكث العهد.... يا وقعه الطّف كم أوقدت فى كبدى.... الشيخ عبد الحسين الأعسم رحمه الله.... وداع الإمام الحسين عليه السلام لقبر جده صلى الله عليه وآله.... ٤١

الرابعة.... مكارم الأخلاق.... هذه دارهم تهيج شجونى.... الشيخ محمد سعيد المنصورى رحمه الله.... تظلم الزهراء عليها السلام وسط المحشر.... ٥٣

الخامسة.... علم الإمام عليه السلام.... كم يا هلال محرم تُشجينا.... السيد جعفر الحلى رحمه الله.... وداع الإمام الحسين عليه السلام لقبر جده صلى الله عليه وآله.... ٦٥

السادسة.... بين كربلاء والكعبه.... إن كنت محزوناً فمالك ترقد.... مجهول.... خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء.... ٧٧

السابعة.... من مواظب سيّد الشهداء عليه السلام.... أسبلت دمّ العين بالعبّرات.... المرحوم دعبل الخزاعى.... بين زينب والإمام الحسين عليه السلام.... ٨٩

الثامنة.... الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.... رحلوا وما رحلوا أهيل ودادى.... السيد مهدي الأعرجى رحمه الله.... زينب بين الأمس واليوم.... ١٠١

التاسعة.... أقسام العباده.... ولقد وقفتُ فما وقفن مدامعى.... السيد رضا الهندى.... زينب تندب أخاها عليه السلام.... ١١٣

العاشره.... السفير مسلم بن عقيل عليه السلام.... حَكَمَ الإله بما جرى فى مُسلم.... السيد صالح الحلى رحمه الله.... شهاده مسلم عليه السلام.... ١٢٥

الحادي عشره.... معطيات آيه المودّه.... عين جُودى لمسلم بن عقيل.... السيد مهدي بحر العلوم رحمه الله.... بين مسلم وأولاده عليهم السلام.... ١٤١

الثانيه عشره.... كيفيه اختيار الصديق.... كيف تصحو بما تقول اللواحي.... السيد رضا الهندي رحمه الله.... مجيء حبيب بن مظاهر لنصره الحسين عليه السلام.... ١٥٣

الثالثه عشره.... حدود الصداقه.... لله آل الله تسرع بالشري.... السيد صالح القزويني رحمه الله.... يوم الأصحاب عليهم السلام.... ١٦٣

الرابعه عشره.... الصديقون والشهداء.... ما السيفُ ما رمحُ لولا خفقهُ العلم.... مجهول.... شهادة أبي الفضل العباس عليه السلام.... ١٧٧

الخامسه عشره.... الشفاعة.... عبست وجوه القوم خوف الموت.... السيد جعفر الحلّي رحمه الله.... شهادة أبي الفضل العباس عليه السلام.... ١٩١

السادسه عشره.... تأديب الأولاد.... يا دوحه المجد من فخر ومن مضرٍ.... السيد صالح الحلّي رحمه الله.... شهادة القاسم عليه السلام.... ٢٠٣

السابعه عشره.... التفقه في الدين.... قسم الإله الرزء بين أعظم.... مجهول.... شهادة القاسم عليه السلام.... ٢١٧

الثامنه عشره.... حقّ الأب.... يا تيراً فيه تجلى ظلمه الغسق.... السيد صالح الحلّي رحمه الله.... شهادة علي الأكبر عليه السلام.... ٢٢٩

التاسعه عشره.... حقّ الولد.... بشبه المصطفى جاؤوا قتيلاً.... الشيخ محمد سعيد المنصوري.... شهادة علي الأكبر عليه السلام.... ٢٤٣

العشرون.... إقامه الصلاه.... هم فتيه خطبوا العلى بسيفهم.... السيد جعفر الحلّي رحمه الله.... شهادة عبد الله الرضيع عليه السلام.... ٢٥٥

الحادي والعشرون.... علاج ترك الذنوب والمعاصي.... الله أئ دم في كربلاء سفكا.... السيد جعفر الحلّي رحمه الله.... حرق الخيام واستغاثة السیده زينب عليها السلام.... ٢٦٥

الثانيه والعشرون.... معطيات آيه المباهله.... يا ابن النبي المصطفى ووصيّه.... الشيخ عبد الحسين الأعسم رحمه الله.... ما بعد حرق الخيام.... ٢٧٧

الثالثه والعشرون.... العفو.... لعمرى لقد سار الزمان بأهله.... الشيخ عبد العظيم الربيعي.... استغاثة السيد زينب بأبي الفضل عليه

الرابعه والعشرون.... مَنْ هُمْ أَوْلُوا الْأَمْرِ.... قَفْ بِالطَّفُوفِ وَجَدَ بَفِيضِ الْأَدْمَعِ.... الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ شَرِيفِ بْنِ فَلَاحِ الْكَازِمِيِّ....  
جواد الإمام الحسين عليه السلام.... ٢٩٩

الخامسة والعشرون... الحقّ والباطل.... أبا حسنٍ تغضى وتلتذ بالكرى.... الشيخ حسون الحلّى رحمه الله.... السبايا إلى الكوفه....  
٣١٤

السادسة والعشرون... التوكّل.... أو ما أتاك حديث وقعه كربلا.... الشيخ مُحمّد رضا الأزرى.... السبايا إلى الشام.... ٣٢٦

السابعة والعشرون... الرجاء والخوف.... حُرْم السبّط من فرات مُباح.... السيد رضا الهندى رحمه الله.... الإمام زين العابدين  
والمنهال.... ٣٣٧

الثامنة والعشرون... كبائر الذنوب وصغائرهما.... أبا صالح يا مدرّك الثار كم ترى.... الشيخ محمد تقى الجواهرى.... شهاده رقيه  
عليها السلام.... ٣٤٧

التاسعة والعشرون... الرساله السماويه.... يابن النبى لنا ببابك وقفه.... المرحوم محمد تهاى المصرى.... أيام السبى.... ٣٥٧

الثلاثون... علامات المؤمن.... قم جدّد الحزن فى العشرين من صفر.... السيد هاشم السترى البحرانى.... يوم الأربعاء ورجوع  
السبايا.... ٣٧١

الحادية والثلاثون... المصائب من آثار الأعمال.... كلّما تعذلان زدت نحيباً.... السيد صالح الحلّى رحمه الله.... الإمام السجاد مع  
أبى حمزه الشمالى.... ٣٨٣

الثانية والثلاثون... الشجاعه.... أدرك تراتك أيّها الموتور.... السيد جعفر الحلّى رحمه الله.... يوم جرح الإمام أمير المؤمنين عليه  
السلام.... ٣٩٥

الثالثة والثلاثون... آيه الولايه.... لبس الإسلام أبراد السواد.... السيد جعفر الحلّى رحمه الله.... يوم توديع الإمام أهله وعياله....  
٤٠٩

الرابعة والثلاثون... آيه التطهير.... ألا من هدّ ركن المسلمينا.... مجهول.... شهاده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.... ٤١٩

الخامسة والثلاثون... فضائل أهل البيت عليهم السلام.... مَنْ مُبلغ عنى الزمان عتاباً.... الشيخ محمد حسن سميسم.... الهجوم على  
دار فاطمه عليها السلام.... ٤٢٩

السادسة والثلاثون... الاصطفاء.... إن قيل حوّا قلت فاطم فخرها.... الشيخ محسن أبو الحَب رحمه الله.... سقوط الجنين.... ٤٤١

السابعة والثلاثون... الشكر.... أيا راكباً مهرية شأت الصبا.... السيد عباس البغدادى رحمه الله.... شهاده فاطمه عليها السلام....  
٤٥٣

الثامن والثلاثون.... معطيات آيه القربى.... يا خليلي خيران بصدق.... الشيخ محمد حسن المراياتي الكاظمي.... مصائب فاطمه عليها السلام.... ٤٦٧

التاسع والثلاثون.... شذرات من حياه العقيله زينب عليها السلام.... اليوم يومٌ حزنه لا يذهب.... الشيخ محمد سعيد المنصوري رحمه الله.... وفاه السيد زينب عليها السلام.... ٤٧٩

الأربعون.... شذرات من حياه السيده فاطمه المعصومه عليها السلام.... لهف نفسي لبنت موسى شجاها.... الشيخ محمد سعيد المنصوري رحمه الله.... وفاه السيده المعصومه عليها السلام.... ٤٩١

ص: ٥٢٤



سرشناسه: بهادلى، احمد كاظم

عنوان و نام پديد آور: معين الخطباء: محاضرات فى العقيدة والاخلاق / تاليف كاظم البهادلى

مشخصات نشر: كربلاى معلى - عراق

ناشر: العتبه الحسينيه المقدسه، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ١٤٣٥

مشخصات ظاهري: ٣: ج

يادداشت: عربى.

يادداشت: كتابنامه.

عنوان ديگر: محاضرات فى العقيدة والاخلاق.

موضوع: خاندان نبوت -- فضائل

موضوع: Muhammad, Prophet, d. ٦٣٢ -- Family -- Virtues

موضوع: چهارده معصوم -- فضائل -- مقاله ها و خطابه ها

موضوع: Fourteen Innocents of Shiite -- Virtues -- \*Addresses, essays, lectures

شناسه افزوده: مركز الدراسات التخصصية فى النهضة الحسينية. قسم الشؤون الفكرية فى العتبه الحسينيه المقدسه

ص: ١



بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٣

معين الخطباء

محاضرات فى العقيدة والأخلاق

الجزء الثانى

تأليف

الشيخ كاظم البهادلى

المطبعة

الصنوبر

الإخراج والمتابعه الفنيه

على حسين مطر

اصدار

مركز الدراسات التخصصيه

فى النهضه الحسينيه

رحمه الله رحمه الله رحمه الله. markazadersat.net

info@markazadersat.net

ص: ٤

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٥



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكرمنا بسيد أنبيائه وأشرف

أصفيائه محمد، والنجباء من عترته وأوصيائه، حجج الله

فى أرضه وسمائه، صلوات الله عليه وعليهم ما استنارت

بحبهم قلوب أحبائه، وانشرحت بولائهم صدور أوليائه.

وبعد، هذا هو الجزء الثانى من كتابى (مُعِين الخطباء).

ص:٧









يا قتيلاً أصبحت دارُ العُلى بعده قفري وربُّ الجود مَحلاً

ما حسبنا أن نرى من بعده للثقى معنًى وللجود محلاً

لا خطت بعدك فرسانٌ ولا جرد الشجعان يومَ الزوعِ نصلاً

ما نعتك الخلقُ لكن قد نعت فيك إحساناً ومعروفاً وبذلاً

بأبي المقتول عطشاناً وفي كفه بحر يروى الخلق جملاً

بأبي العارى ثلاثاً بالعرى ولقد كان لأهل الأرض ظلاً

وإذا عاينت أهليه ترى نُوباً فيها رزايا الخلق تُسلى

من أسيرٍ وسدته البزل حلساً وقليلٍ وسدته البيدُ رملاً

وبنفسى من غدت نادبه جدها والدمعُ في الخد استهلاً

جدّ لو تنظرنا إذ قَرَبوا نحونا للسير أنقاضاً وهزلاً

لرأت عيناك خطباً فادحاً جلّ أن يلقى له الناظرُ مثلاً(١)

ص: ١١

---

١- (١) القصيدة للحاج هاشم الكعبي رحمه الله، قال عنه في أدب الطفّ (ج ٦، ص ٢١٨ - ص ٢١٩): «الحاج هاشم بن الحاج حردان الكعبي الدورقي. ولد ونشأ في (الدورق) - مسكن عشائر كعب في الأهواز - ثم سكن كربلاء والنجف، توفي سنة ١٢٣١ هـ. الكعبي نسبه إلى قبيلة كعب العربيّة التي تسكن الأهواز ونواحيها، من فحول الشعراء وفي طليعتهم، ونظم في رثاء أهل البيت عليهم السلام فأكثر وأبدع وأجاد، واحتج وبرهن وأحسن وأتقن، وكل شعره من الطبقة الممتازة. تحفظ الخطباء شعره وترويه في مجالس العزاء وتشنف به الأسماع. له ديوان أكثره في الأئمة عليهم السلام... وشعره يعاد ويكرر في محافل سيد الشهداء، ويحفظه المثات من رجال المنبر الحسيني، وهو مقبول مستملح، بل نجد الكثير يطلب تلاوته وتكراره وكأن عليه مسحة قبول، وهذا ديوانه الذي يضم بين دفتيه عشرين قصيدة حسنيه أو أكثر، لقد طبع وأعيدت طبعاته والطلب يتزايد عليه، فهذه رائحته التي عدد فيها مواقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام البطولية تهتر لها القلوب وتدفع بالجناء ليكونوا شجعاناً، وتنهض بهمهمم ليصبحوا فرساناً، وهي تزيد على ١٥٠ بيتاً».

هذا لسان حال العقيله زينب عليها السلام مع جدّها الرسول صلى الله عليه و آله. أمّا لسان حال الموالين مع بعضهم البعض فى مثل هذه الليله كما يصفه الشاعر:

(بحرانى)

إلبس اثياب السود واهمل دمه العين هلّ الهلال البيه راح ابكربله احسين  
هلّ الهلال وبيه مرتسمه الحمره من دم أبو السّجاد يوم اقطعوا نحره  
اگصد الماتم بالبكى اوساعد الزهره او كثر يهل ترجه الشفاعه اهنالك الونين  
هل يوم يحضر ماتم المظلوم جدّه يسمع الناعى لونه اويجى الفگده  
ويصبح آينى البگه معفور خدّه فوك التراب وچبدته امن العطش نصّين  
يحسين ما تبرد الجمره ابصبّ الدموع ليل اونهار أنحب او گلبى اعليک موجوع  
يحسين خيل الررضت صدرک والضلوع رضّت اضلوعى ريت دونك بالميادين

\*\*\*

ص: ١٢

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ (١).

عرّف العلماء التوبه بأنّها: الرجوع من الذنب القولى والفعلى، أو هى ترك المعاصى فى الحال، والعزم على تركها مستقبلاً، وتدارك ما سبق من التقصير. وهى ضدّ الإصرار (٢).

وتورّط الإنسان فى معصيه الله تبارك وتعالى نوع من أنواع الضعف؛ لأنّ الذنب دليل الضعف والقصور، فمثلاً شخصان يعيشان فى جَوْ واحدٍ، وهما أخوان من أب وأمّ، ويعيشان فى بيتٍ واحدٍ، ولكنّ أحدهما يعانى من الضعف فيتورّط فى المعصيه؛ لأنّ إيمانه ضعيف، والآخر عنده مناعه تجاه المعصيه وإيمانه قوى فلا يتورّط بها.

ومن يُذنب فإنّ له أحد موقفين: موقف الإصرار وتكرار الذنب، وموقف آخر هو موقف العوده والتوبه. قد يذنب الإنسان يوماً، ولكنه يعود وينتزع نفسه من مخالف المعصيه.

ومن هنا كان على الإنسان اتّخاذ الموقف الثانى، وهو موقف العوده والتوبه والندم والاستغفار، وهكذا يصنع كلّما أذنب، حتّى لو تكررت منه المعصيه، عليه أن يعود ويستغفر، ويسأل الله تبارك وتعالى العون والمساعده على اجتناب المعاصى.

روى أنّه قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله: يا رسول الله إنى أذنبت، فقال:

«استغفر الله. فقال: إنى أتوب ثمّ أعود. فقال: كلّما أذنبت استغفر الله. فقال: إذن، تكثّر ذنوبى، فقال: عفو الله أكثر، فلا تزال تتوب حتّى يكون الشيطان هو المدحور» (٣).

ولكن على الإنسان المؤمن أن لا يؤخّر التوبه؛ فإنّ تأخير التوبه اغترار كما روى عن

ص: ١٣

١- (١) التحريم: آيه ٨.

٢- (٢) الأخلاق والآداب الإسلاميه: ص ٢٦٨.

٣- (٣) وسائل الشيعه: ج ١٦، ص ٨١، باب تجديد التوبه، ح ٥.

صديق العتره الطاهره صلوات الله عليهم أجمعين(١).

ثم لو تأملنا في الآيه نجدها تأمر الذين آمنوا، حيث قالت: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ...

فهل هذا الأمر محمولٌ على وجوب التوبه، أم محمولٌ على استحبابها وندبها؟

الجواب: إنَّ التوبه واجبه بالإجماع بين المسلمين، وهى واجبه سواء كانت من الذنوب الكبيره أم من الذنوب الصغيره، بلا فرق فى ذلك.

ويمكن الاستدلال على وجوبها بما يأتى:

أولاً: الدليل القرآنى، وهو عبارته عن مجموعه من الآيات الشريفه، كقوله تعالى: وَ تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢)، وقوله تبارك وتعالى: وَ أَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ (٣)، مضافاً للآيه التى صدرنا بها المحاضرته.

ثانياً: الدليل الروائى، فقد روى عن إمامنا الرضا عليه السلام أنه قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه و آله اعترفوا بنعم الله، وتوبوا إلى الله من جميع ذنوبكم...»(٤).

ثالثاً: الدليل العقلى، وهو ما ذكر فى عدّه كتب، منها: الباب الحادى عشر، حيث قال الشارح: «أو هى [التوبه] واجبه لوجوب الندم إجماعاً على كل قبيح وإخلال بواجب... لكونها دافعه للضرر، ودفع الضرر - وإن كان مظنوناً - واجب، فيندم على القبيح...»(٥). وعليه فالإجماع مع الأدله الشرعيه والعقليه قائمٌ على وجوب التوبه(٦).

ص: ١٤

١- (١) انظر: كنز الفوائد: ص ١٩٥.

٢- (٢) النور: آيه ٣١.

٣- (٣) هود: آيه ٣.

٤- (٤) بحار الأنوار: ج ٤٨، ص ١٥٣.

٥- (٥) شرح الباب الحادى عشر: ص ٩٣.

٦- (٦) فى رحاب التوبه: ص ٤١ - ص ٤٥.

ثم الآيه قالت: (نصوحاً)، فما معنى نصوح؟

وردت هذه الكلمه فى التفاسير، وكانت مورد بحث واهتمام المفسرين، والذى كادوا أن يتفقوا عليه هو أن المراد من التوبه النصوح: التوبه بإخلاص.

وأما كيف أن الإنسان يحصل على التوبه النصوح؟ أى كيف يُحقّق هذا الأمر وهو التوبه النصوح؟ فهذا هو المهم وهذا هو المطلوب.

ولعلّ ذلك يتحقق بما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام فى نهج البلاغه أن قائلاً قال بحضرته عليه السلام: استغفر الله، فقال له:

«ثكلتك أمك! أتدرى ما الاستغفار؟ إنَّ الاستغفار درجه العليين، وهو اسم واقع على سته معانٍ، أولها: الندم على ما مضى. الثانى: العزم على ترك العود إليه أبداً. والثالث: أن تؤدّى إلى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى الله سبحانه أملس ليس عليك تبعه. الرابع: أن تعمد إلى كلّ فريضه عليك ضيّعتها فتؤدّى حقّها. والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذى نبت على السحت، فتذيبه بالأحزان حتّى تلتصق الجلد بالعظم وينشأ بينها لحم جديد. والسادس: أن تذيب الجسم ألم الطاعه كما أذقتة حلاوه المعصيه؛ فعند ذلك تقول استغفر الله»(١).

فيتّضح من خلال هذا الحديث الشريف الوارد عن أمير المؤمنين عليه السلام شروط التوبه النصوح، فإذا حقّقها الإنسان بإخلاص، فقد أذى وامتلأ الأمر بوجود التوبه النصوح وعُدّ تائباً نصوحاً، وإلا فلا. ويمكن تفصيل الشروط المتقدّمه كالتالى:

أولها: الندم على ما مضى، كما عبّر الإمام زين العابدين عليه السلام فى مناجاته:

«إلهى إن كان الندم على الذنب توبه، فإنّى وعزتك من النادمين»(٢).

ثانيها: العزم على ترك العود إليه أبداً، بأن يتعهد أن لا يعود إلى ما ارتكبه سابقاً.

ص: ١٥

١- (١) نهج البلاغه - قصار الحكم -: الرقم ٤١٢.

٢- (٢) الصحيفه السجديه (مناجاه التائبين): ص ٤٠٢.

وثالثها: أن يؤدي إلى المخلوقين حقوقهم بأن لا- يترك حقاً من حقوق الناس عليه، سواء كانت ماليه أم غيرها من غيبه أو غير ذلك حتى يأتي يوم القيامة أملس ليس عليه تبعه للآخرين.

ورابعها: أن يعمد إلى كل فريضه عليه ضيعها فيؤدى حقها، من صلاه أو صوم أو حج، إلى غير ذلك مما في ذمته.

وخامسها: أن يعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فيذيه بالأحزان، بأن يسهر ليله ويظماً في نهاره إلى أن يذيب ذلك اللحم الذي نشأ على لقمه الحرام.

وسادسها: أن يذيق الجسم ألم الطاعه كما أذاقه حلاوه المعصيه. فالإنسان المذنب كما استأنس بالمعصيه وحلاوتها سابقاً يأتي الآن ليذيق الجسم والروح آلام الطاعات، بأن يتعب نفسه في العبادات والطاعات والصبر عليها.

فإذا تمت هذه الشروط الست عندئذ يتمكن الإنسان أن يقول: أستغفر الله، ويكون قد حقق التوبه التي أرادها الله تبارك وتعالى.

فإذا حقق الإنسان ذلك سوف تترتب ثمرات ونتائج مهمه، أشارت الآية المباركه إلى بعضها، وتركت البعض الآخر لتشير إليه آياتٍ أخرى، بالإضافة إلى الأحاديث الواردة عن المعصومين عليهم السلام.

وأما الثمرات المترتبة على التوبه النصح في هذه الآية، فهي:

الأولى: تكفير السيئات؛ إذ قالت الآية: عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم....

الثانيه: دخول الجنات، حيث صرحت الآية: (ارجعوا فارجعوا هو أركى لكم).

وهناك ثمرات ونتائج أخرى قد تناولتها بعض الآيات الكريمة والروايات الشريفه.

منها: تبديل السيئات بالحسنات، أشارت إليه الآية المباركه: إلامن تاب و آمن



وَعَمَلٌ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۱.

ومنها: حُبُّ الله لهم؛ إذ قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ (١).

ومنها: نزول الرحمة على التائب، وقد أشار إلى ذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«التوبه تستنزل الرحمة» (٢).

ومنها: طهاره القلب، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«التوبه تطهر القلوب، وتغسل الذنوب» (٣). إلى غير ذلك من الثمرات والنتائج الدنيويه والأخروييه.

ولا فرق حينئذٍ بين أن يتوب الإنسان قبل سنه من موته، وبين توبته حينما تظهر علامات الموت؛ لِمَا ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال:

«مَنْ تاب إلى الله قبل موته بسنه تاب الله عليه، ثُمَّ قال: أَلَا وَسَنَهُ كَثِيرٌ، مَنْ تاب إلى الله قبل موته بشهر تاب الله عليه، وقال: شهر كثير، مَنْ تاب إلى الله قبل موته بجمعه تاب الله عليه، قال: وجمعه كثير، مَنْ تاب إلى الله قبل موته بيوم تاب الله عليه، قال: ويوم كثير، مَنْ تاب إلى الله قبل موته بساعه تاب الله عليه، ثُمَّ قال: وساعه كثير، مَنْ تاب إلى الله قبل أن يغرغر بالموت تاب الله عليه» (٤).

المهم أَنَّ الإنسان يخلص في توبته إلى الله تبارك وتعالى، ويخرج من الدنيا وهو نادم على ما عمله من أعمال لم تُرضِ الله تبارك وتعالى.

ومصداق التائب توبهً نصحاً، النادم قبل أن تغرغر روحه بالموت، الحرّ بن يزيد الرياحي يوم جمع جمع بالحسين عليه السلام في ألف فارسٍ ليحبسه عن الرجوع، حينما استقبلهم الإمام الحسين عليه السلام، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

«إِنَّهَا مَعَذْرَةٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَيْكُمْ،

ص: ١٧

١- (٢) البقره: آيه ٢٢٢.

٢- (٣) عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٣. مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ١٢٩.

٣- (٤) مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ١٢٩.

٤- (٥) الكافي: ج ٢، ص ٤٤٠، ح ٢، وفيه: (قبل أن يعاين الموت).

وإني لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقدمت بها عليّ رشيكم: أن أقدم علينا فإنّ ليس لنا إمام، ولعلّ الله يجمعنا بك على الهدى. فإنّ كنتم على ذلك فقد جئتكم، فأعطوني ما أطمئنّ به من عهودكم ومواثيقكم».

فقال الحرّ: ما أدري ما هذه الكتب التي تذكرها؟ فأمر الحسينُ عقبه بن سمعان، فأخرج خرجين مملوءين كُتُباً، وهي كُتب أهل الكوفة تشكو للحسين ظلم يزيد، ويدعونه للقدوم عليهم ليكون إمامهم.

ولم يقتنع الحرّ بكلّ هذا الكلام، وصمّم على قطع المسير على أبي عبد الله عليه السلام، إلى أن وصل يوم عاشوراء، ورأى القوم مُصرّين على قتال الحسين عليه السلام، حينئذٍ قال لعمر بن سعد: أمقاتل أنت هذا الرجل؟ قال: إي والله، قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس، وتطيح الأيدي. فأخذ الحرّ يقول: إني أخير نفسي بين الجنّة والنار، فوالله، لا أختار على الجنّة شيئاً، ولو قُطعت وحُرّقت، ثمّ ضرب فرسه، فلحق بالحسين، وجاز على عسكر ابن سعد واضعاً يده على رأسه، وهو يقول: اللهمّ إليك أنبتُ فتب عليّ، فقد أرعبت قلوب أوليائك، وأولاد نبيّك، ثمّ قال للحسين عليه السلام: جعلت فداك أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسأيرتك في الطريق، وجعجت بك في هذا المكان، وما ظننت أنّ القوم يردّون عليك ما عرضته عليهم، وأنا تائب إلى الله ممّا صنعت، فهل ترى لي من توبه؟ فقال له الحسين عليه السلام: «نعم يتوب الله عليك»<sup>(١)</sup>.

وعندما رمى ابن سعد سهماً نحو مخيم الحسين عليه السلام وصاح: اشهدوا ليّ عند الأمير إنني أول من رمى أصحابه كلّهم، فلم يبق من أصحاب الحسين أحد إلاّ أصابه سهمٌ من سهامهم، فقال الحسين عليه السلام لأصحابه:

«قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بدّ منه، فإنّ هذه السهام رُسل القوم إليكم... فقال له الحرّ: يا بن رسول الله، كنت أول خارج

ص: ١٨

عليك فأذن لي لأكون أول قتيل بين يديك، وأول من يصفح جدك غداً»(١).

فأذن له الحسين عليه السلام، فتقدم وهو يقول:

إني أنا الحرّ ومأوى الضيفِ أضرب في أعناقكم بالسيفِ

عن خيرٍ من حلّ بأرض الخيفِ

فقاتل قتالاً شديداً حتى قتل أكثر من أربعين فارساً وراجلاً، وبعدهما عُقِر فرسه، بقي يُقاتل راجلاً، فحملت عليه الرجاله وتكاثروا عليه حتى قتلوه، فاحتمله أصحابُ الحسين ووضعوه بين يديه، فجعل الحسين يمسح وجهه ويقول: «أنت الحرّ كما سمتك أمك، وأنت الحرّ في الدنيا والآخرة»(٢).

هُوه او جاه او وكف يمه المشكر وشافه اعلى الثره مرمى امعفر

مسح وجهه وگله أنت صدگ حرّ ورد المركزه والدمع منشور

لكن لو سألتني عن بُعد قبر الحرّ عن سائر الشهداء، لأجبتك: إنّ السبب في ذلك أنّ الحرّ لم يُقطع رأسه كما قُطعت رؤوس أصحاب الحسين عليه السلام، بل حملته عشيرته عندما أمر ابن سعد بفصل الرؤوس عن الأجساد، قامت بنو رباح وقالت: والله، لا يُقطع رأسُ زعيمنا وأيدينا على قوائم سيوفنا، فقال ابن سعد: احملوا جسد شيخكم، فحملته عشيرته ودفنوه في هذا المكان.

هذا وزينب واقفه تنظر إلى الحرّ وقد حملته عشيرته، والحسين عليه السلام مُلقى على وجه الأرض، وكأني بها تنادي: وا حسينا، وا غريبا»(٣).

ص: ١٩

١- (١) بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣.

٢- (٢) ثمرات الأعواد: ج ١، ص ١٨٤ - ص ١٨٨.

٣- (٣) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ١، ص ١٢٥ - ص ١٢٧.

العشيره شالته ابجر الظهيره الكلّ منهم عليه شالته الغيره

بس ظلوا الماعدهم عشيره ضحايه بالشمس من غير تغسيل

والله العشيره اشلون تنفع منها يطيح اعليه تفرع

اوحالاً على الروس ايتشيع وانه اخوتى وين المشعشع

كلّ منهم اعلى الثرى موزع جسمه وچتل حتّى الرضّ ع

وبلا دفن خلوهم اجمع

(أبوذيه)

يحادى لا تسج بالظعن بيداي دليلى الفگد أبو السجّاد بيداي

ريّض خل اغسل احسين بيداي وادفنه لا يظل جسمه رميه

\*\*\*

ليس الغريب غريب الأهل والوطن بل الغريبُ غريب الغسلِ والكفنِ

\*\*\*

إنّا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّه إلاّ بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ أَيْ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبه للمتقين.

ص: ٢٠





لست أنساءً مفرداً بين جمعٍ أبرزوا فيه كامنَ الأحقادِ  
يحطّمُ الجيشَ رابطَ الجأشِ حتى صبغَ الأرضَ من دماءِ الأعادي  
لم يزلُ يحصدُ الروؤسَ بعضبٍ أبداً للدماءِ في الحربِ صادى  
وإذا بالنداءِ عَجَلُ فلبى وهوى للسجودِ فوقَ الوهادِ  
عجباً للسماءِ لم تهوِ حزناً فوقَ وجهِ البسيطِ بعد العمادِ  
عجباً للمهادِ كيف استقرّتِ ونظامِ الوجودِ تحتِ العوادِ  
عجباً للنجومِ كيف استتارتِ لم تغبِ بعد نورها الوقادِ  
حيثُ لولا وجودُهُ لأهيلتِ ولساختُ وبرقعتِ بسوادِ  
ومثيرُ الأشجانِ رزءُ الأيامِ مُدّ وعت بالصهيلِ صوتِ الجوادِ  
برزتِ للقاءِ تعثرُ في الذّيلِ ودامى الدموعُ شبه الغوادِ  
فراأتِ سرجه خليئاً فنادتِ تلكِ وا والدى وذى واعمادِ  
وغدتِ وُلهاً بغيرِ شعورٍ نحو مثوى بقيتهِ الأمجادِ  
فراأتِ فى الصعيدِ مُلقى حماها هشمتِ صدره خيولُ الأعادي  
فدعتِ والعيونِ عبرى وفى القلبِ لهيبٌ من الأسى ذو اتقادِ  
أجمى الضايعاتِ بعدكِ ضِعنا فى يدِ النائباتِ حسرى بوادِ  
أو ما تنظرُ الفواطمَ فى الأسرِ وسترِ الوجوهِ منها الأيادِ  
تُكَلِّما ترى لها من كفيلٍ حُسراً بين عُصبه الإلحادِ  
ثمّ تدعو فما ترى من مجيبٍ لنداها غيرَ الصدى فى الوادِ (١)

ص: ٢٣

١٨٨): «الشيخ عبد الحسين بن الشيخ أحمد بن شكر النجفي بن الشيخ أحمد بن الحسن بن محمد بن شكر الجبأوى النجفي.  
توفى بطهران سنة ١٢٨٥، وكان والده الشيخ أحمد من العلماء



تصيح بصوتها يحسين وينك جاو بنى وصد لى ابعينك

يخويه ذاب گلبى من وينك يخويه ما هو گلبى صخر مرمر

\*\*\*

ناداها ابضعيف الصوت يختى مهو حچيچ كسر گلبى اسكتى

ينور العين خلينى ابمهجتى أعالجها ترى گلبى تمرمر

\*\*\*

يخويه يابس امن العطش چبدى يخويه والترابه احرگت زندى

يخويه والشمس حرگت خدى دفيلى بطرف ثوبچ عن الحر

\*\*\*

قال تعالى: وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ (١).

التقوى معناها: أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك (٢). أو بمعنى آخر: هى الخشية والخوف من الله عز وجل، فهى أيضاً اتقاء ما يجزئ الإنسان إلى النار من خلال امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، والتحلّى عن كل رذيله، والتحلّى بكل فضيله.

ص: ٢٤

١- (١) النساء: آيه ١٣١.

٢- (٢) انظر: بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٢٨٥، حيث فسرها الإمام الصادق عليه السلام بهذا المضمون.

ومن هنا جعل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الكف عن المحارم ثمره الدين، وذلك عندما قال صلى الله عليه وآله:

«جاءني جبرئيل، وقال: يا أحمد، إن مثل هذا الدين كمثل شجره ثابتة، الإيمان أصلها، والصلاه عروقه، والزكاه ماؤها، والصوم سعتها، وحسن الخلق ورقها، والكف عن المحارم ثمرها، فلا تكمل الشجره إلا بالثمر، كذلك الإيمان لا يكمل إلا بالكف عن المحارم»<sup>(١)</sup>.

وروى أن رجلاً استوصى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال صلى الله عليه وآله:

«... وقد أجمع الله ما يتوصى به المتواصون من الأولين والآخرين في خصله واحده وهي التقوى، قال الله عز وجل: وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ،

وفيه جماع كل عباده صالحه، وبه وصيل من وصيل إلى الدرجات العلى، والرتبه القصوى، وبه عاش من عاش بالحياه الطيبه والأنس الدائم، قال الله عز وجل: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهْرٍ \* فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ»<sup>(٢)</sup>.

ثم إن المراد بالآيه أن الأمر بتقوى الله شريعته عامه لجميع الأمم لم يلحقها نسخ ولا- تبديل، بل هو وصيه الله في الأولين والآخرين<sup>(٣)</sup>.

فالوصيه بتقوى الله أمر ضروري بحيث أكدت الآيه أن اليهود والنصارى وكل من كان له كتاب سماوى قبل المسلمين قد طلب منهم جميعاً - كما طلب منكم أيها المسلمون - مراعاة التقوى.

فهذه الآيه على غرار بعض الآيات الأخرى التي تشير إلى ثبوت بعض الأحكام في الشرائع السابقه، كما في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ

ص: ٢٥

١- (١) بحار الأنوار: ج ٦، ص ١٠٩.

٢- (٢) تفسير البرهان: ج ٢، ص ٣٣٩.

٣- (٣) التفسير الكبير: ج ١١، ص ٧٠.

وللتقوى درجات متعدده تختلف باختلاف قوه الإنسان وضعفه، فنجد البعض من الناس له من التقوى ما يؤدى به إلى الاجتناب عن كل ما يلزم منه ويؤدى بصاحبه إلى الفساد، وتجد البعض منهم يجتنب عن كل شبهه؛ لاحتمال وجود الفساد فيها.

والبعض الآخر يترك ما لا بأس به مخافه ما به بأس.

وتجد البعض منهم يملك من مراتب التقوى الدرجات العليا، فيجتنب عن كل ما ليس لله تبارك وتعالى.

والله سبحانه وتعالى يعطى من الأجر على قدر مرتبه التقوى عند الإنسان، فالتقوى التى يمتلكها بعض العلماء كالشيخ مرتضى الأنصارى رحمه الله - صاحب المصنّفات الدقيقه التى ربّت مئات العلماء، بل عشرات المئات - هى من النوع العالى، بل العالى جداً.

فى أحد الأيام جاءه رجلٌ وقال له: شيخنا، لقد رأيت البارحة فى المنام عجباً! قال له الشيخ: ما رأيت؟

قال الرجل: لقد رأيت الشيطان وعلى رأسه قلنسوه ملونه بألوانٍ مختلفه، ورأيتُ بيده حبالاً غليظَةً، وحبالاً دقيقه، وسلاسل من حديد طويله وقصيره، ورأيت سلسلهً طويله مقطّعه فى سبع مواضع منها، فتقدّمت إليه، وقلت له: ما هذه الألوان التى تحملها معك؟ وما هذه الحبال والسلاسل التى بيدك؟

قال الشيطان: هذه هى مصائدى التى أصيد بها الناس، وأجرّهم بها إلى المهالك؛ فإنسان يأتينى باللون الأحمر، وآخر باللون الأخضر، وثالث باللون الأزرق، ورابع لا أتمكن أن أجرّه بالألوان، فأجرّه بالحبال الدقيقه، وآخرون بالحبال الغليظه، وآخرون من الزهاد والعُباد والعلماء بالسلاسل القصيره والطويله.

ص: ٢٤

قال الرجل: فقلت له: فما هو اللون الذي تجلبني به؟ وأين الجبل الذي تسحبني بسببه؟

فقال الشيطان: إنك وأمثالك لا تحتاجون إلى جبال، ولا إلى ألوان، وإنما أجلبكم بإشارته خفيه.

فسأله الرجل قائلاً: وما هذه السلسلة المقطّعة في مواضع متعددة منها؟

قال الشيطان: إنّها سلسلة الشيخ مرتضى، فإنّي قد جذبته ليله البارحة سبع مرات بهذه السلسلة، وهي أغلظ سلاسل وأطولها، وفي كلّ مرهٍ يقطع الشيخ السلسلة تقطيعاً، ويصرعني وينفلت من حباتي، والآن أنا آيس منه، ومتحير ماذا أصنع معه؟!

فلَمّا انتهى ذلك الرجل من نقل منامه إلى الشيخ، تبسّم الشيخ وقال: الحمد لله ربّ العالمين. ثمّ قال الشيخ: نعم، لقد كان من قصّتي البارحة: أنّ زوجتي أخذها الطلق وألم المخاض والولادة، ولم يكن عندنا في البيت شيءٌ يُكتفى به لأجل هذا الأمر، ففكرت ماذا أصنع في أمرها؟

فتذكّرت بأنّ هناك أمانه كانت لأحد الناس قد أودعها عندي، ويمكنني التصرف فيها بالفحوى - فإنه وإن لم يصرح لي بالإذن في التصرف فيها إذناً صريحاً، لكنّ ظاهر حاله أنّه يأذن لي إذناً فحوائياً بالتصرف فيها - ثمّ إرجاعها بعد الوسع إلى مكانها، ومن جهة ثانية كنت مضطراً إلى الاستفادة منها.

وعلى ذلك عزمت على التصرف في المال وقمت لأخذه حتّى أتصرف فيه، لكنّي رجعت وقلت: لعلّ الله يُيسّر الولادة بدون حاجه إلى التصرف في هذا المال، ثمّ بعد مدّة عاودتني الفكرة من جديد، فعزمت ثانية على التصرف في المال، لكنّي رجعت أيضاً دون أن آخذ المال، وفي مرّة ثالثة عاودتني الفكرة وعزمت من جديد على أخذ المال والتصرف فيه، لكنّي رجعت للمرّة الثالثة وانصرفت عن عزمي، وهكذا تردّدت إلى سبع مرات.

ثمَّ عَزَمَتْ أُخِيرًا عَلَى غَضِّ النَّظَرِ عَنِ الْمَالِ وَالْإِنْصِرَافِ عَنِ التَّصَرُّفِ فِيهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْفَجْرِ سَهَّلَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى الْمَرْأَةِ أَمْرَ الْوِلَادَةِ، فَوَلَدَتْ بِسَلَامِهِ وَعَافِيهِ مِنْ دُونَ حَاجَةِ إِلَى أَنْ آخِذًا مِنَ الْمَالِ شَيْئًا.

فهذا نوع من أنواع التقوى، لكن من أعلى مراتبها وأنواعها، وهو ترك ما لا بأس به خوفًا من الانجرار إلى ما به البأس، ولذا ترى أنَّ الباري عَزَّ وَجَلَّ رَبَّ تَتَأَجَّجُ عَلَى التَّقْوَى، مِنْهَا:

أولاً: المخرج والرزق من دون احتساب، قال تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ (١)).

ثانياً: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجْعَلُ لِلْإِنْسَانِ الْمَتَّقِي فُرْقَانًا؛ إِذْ قَالَ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا (٢)، والفرقان على ما جاء في كلام المفسرين هو الشيء الذي يفصل بين الحقِّ والباطل (٣).

ثالثاً: العزَّ والهيبة حسبما جاء في كلام مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال:

«مَنْ أَرَادَ عِزًّا بِلَا عَشِيرَةٍ، وَهَيْبَةً بِلَا سُلْطَانٍ، فَلْيَخْرُجْ مِنْ ذَلِكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ إِلَى عِزِّ طَاعَتِهِ» (٤).

رابعاً: تعليم الله للمتقين وإلهامه لهم، قال تعالى: وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ (٥).

خامساً: إتيان الله لصاحبها الرحمة والنور، قال تبارك وتعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنَ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ (٦).

ص: ٢٨

١- (١) الطلاق: آية ٢ - آية ٣.

٢- (٢) الأنفال: آية ٢٩.

٣- (٣) انظر: تفسير الأمثال: ج ٥، ص ٤٠٥.

٤- (٤) ورد بألفاظ أخرى. انظر: خصائص الأئمة: ص ٩٩. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ١٣٩. وغيرهما.

٥- (٥) البقرة: آية ٢٨٢.

٦- (٦) الحديد: آية ٢٨.

والعلم فى الآيه المتقدمه فى المورد الرابع هو نفسه النور فى هذه الآيه. وأما الشرط فنفسه، وهو التقوى.

والناس المتقون لا يختلف عندهم الحال سواء فى السراء أم الضراء؛ لذا لما صار الظهر من يوم عاشوراء، ولم يبق من أصحاب الحسين عليه السلام إلا القليل وبقية أهل بيته، التفت إليه ذلك العبد الصالح (أبو ثمامه الصيداوى) المتقى المحب لله ولرسوله ولإمامه، انظر ماذا يريد فى التفاتته هذه، قال: يا بن رسول الله، إن العدو قد اقترب منك، وإنك لا تقتل حتى تقتل دونك، وأحِبُّ أن أصلى معك هذه الصلاه، وقد دنا وقتها، فرفع الحسين طرفه نحو السماء ونظر إلى الشمس وقد زالت، فقال عليه السلام: ذكرت الصلاه جعلك الله من المصلين الذاكرين. نعم، هذا أول وقتها، فاسألوهم أن يكفوا عنا حتى نصلى، فرفض العدو.

وصاح الشمر (لعنه الله عليه): يا حسين، إنها لا تقبل. فقال له حبيب: أزعمت لا تقبل صلاه ابن رسول الله، وتقبل صلاتك؟! فوقف الحسين عليه السلام يُصلّى صلاه الظهر بعد أن وقف رجلاً من أصحابه أمامه، مواجهين للعدو؛ ليدروا السهام عنه، لأن العدو ما كف عن رشق الحسين بالسهام، فوقف سعيد بن عبد الله الحنفى (رضوان الله عليه) أمام الحسين عليه السلام يتلقى السهام بصدرة وبنحره إلى أن صلى الحسين عليه السلام، فلما فرغ عليه السلام من الصلاه سقط سعيد بن عبد الله إلى الأرض، وفيه ثلاثه عشر سهماً، وهو وجود بنفسه، فقال للحسين عليه السلام: سيدى أوفيتُ يابن رسول الله؟! فقال الإمام الحسين عليه السلام: نعم أنت أمامى فى الجئه، إقرأ جدى رسول الله عنى السلام، وقل له: إنى تركت الحسين وحيداً فريداً.

قد صلى الإمام الحسين عليه السلام صلاه الخوف بأهل بيته وبمن بقى من أصحابه، ولكن هل صلى صلاه المغرب والعشاء؟ نعم صلاها فى أول وقتها، وطالت صلاته، ولكن على وجه الأرض، خده على وساده التراب.

اختلف العسكر فى حاله الحسين هل هو حى أم ميت؟ لأنه لا حراك فيه، فيخافون أن يدنوا منه، فصاح عمر بن سعد (لعنه الله): إذا أردتم أن تعرفوا حال الحسين هل هو

حتى أم ميت فاهجموا على نساءه وعباله؛ لأنه إذا سمع صراخ الأطفال لا يتمالك نفسه، فهجم الجيش نحو مخيم الحسين، خرجت زينب عليهما السلام وقفت على التل وصاحت: نور عيني يا حسين، يا بن أُمِّي يا حسين، عزيزي يا حسين، إن كنت حيًّا فأدركنا، فهذه الخيل قد هجمت علينا، وإن كنت ميتاً فأمرك وأمرنا إلى الله.

ما هي إلا ساعات وإذا بها تنظر إلى رأس أخيها الحسين عليه السلام على رمحٍ طويل، صاحت وا أخاه وا حسيناها.

لَمَنْ شافته صفغت بديها وشغت ثوبها ويلي عليها

ما تنلام من شافت وليها فوك الرمح راسه ايلوح بالبر

سالت عينها بدموعها عليه وشالت راسها وتلفتت ليه

خفك ويلي كلبها وأومت عليه وصاحت باجيه إبعصوت المذعر

يشايل راس حامينه وولينه ريض خلى تودعه اسكينه

ليش إحسين ساكت عن ونيه كلى تعب يوجرحه تخدر

يا شيايل نعش المات مظلوم عله الشاطي وعن الماي محروم

تحوم كلوبنا فوك النعش حوم أخوى الطاح مثل النجم من خر

(تغريد الحزين)

إنعمت عيني ولا شوفك ذبيح ويجري دم نحرک

وأصحابك وأهل بيتك ضحاياه مطرّحه إبکترک

عساها اتعكرت هلخيل ولا داست على صدرک

بعد الذبح يا خويه داسوك ولا راعوا لعد جدك ولا بوك

چنت ذخرى وتحت الخيل خلوك

فلو علمت تلك الخيول كأهلها بأن الذي تحت السنايك أحمد

عليهم كما ثاروا بها وتمردوا لثارت على فرسانها وتمردت

\*\*\*

إننا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أي منقلب ينقلبون

والعاقبة للمتقين.

ص: ٣١





## المحاضره الثالثه: الاستغفار وآثاره

اشاره

ص: ٣٣



لم أنس زينب بعد الخدرِ حاسرةً تُبدي النياحةَ أَلحاناً فألحاناً  
مسجورة القلبِ إلا أنْ أعينها كالمُعصراتِ تصبُّ الدمعَ عقيانا  
تدعو أباهَا أميرَ المؤمنين أَلَا يا والدى حكمت فينا رعاينا  
وغاب عَنَّا المُحامى والكفيلُ فَمَن يحمى حمانا وَمَن يؤوى يتامانا  
إن عسعسَ الليلُ وارى بذلَ أوجُهنا وإن تنفَّسَ وجهُ الصُّبحِ أبدانا  
ندعو فلا أحدٌ يصبو لدعوتنا وإن شكونا فلا يُصغى لشكوانا  
قُم يا علِيُّ فما هذا القعودُ وما عهدى تغضُّ على الأتذاء أجبانا  
وتتنى تاره تدعو عشيرتها من شبيهه الحمدِ أشياخاً وشُبانا  
قُوموا غضاباً من الأجداتِ وانتدبوا واستنقذوا من يد البلوى بقايانا  
ويل الفراتِ أباد اللهُ غامرَه وردَّ وارده بالرغمِ لهفانا  
لم يُطفِ حَرَّ غليلِ السبطِ باردُهُ حتَّى قضى فى سبيلِ الله عَطشانَا  
لم يُذبح الكبشُ حتَّى يُروَ من ظمأً ويُذبح ابنُ رسولِ الله ضمَّاناً(١)

\*\*\*

يجدى گوم شوف احسين مذبوح على الشاطى وعلى التربان مطروح  
يجدى من الطبر ما بگت بيه روح يجدى من العطش كلبه تفظر  
يجدى الرمح بفاده تثنه يجدى بالوجه للسيف رنه  
يجدى الخيل صدره ررضته ولا مفصل بجسمه عيب مهشوم

ص: ٣٥

١- (١) القصيده لشاعر أهل البيت عليهم السلام الحاج محمّد على آل كَمونه، كما جاء فى رياض المدح والثناء (ص ٦٤٨ - ص ٦٤٩) قال عنه الزركلى: «محمد على بن محمد بن عيسى الأسدى الحائرى، من آل كَمونه: شاعر، من أعيان كربلاء، وبها

وفاته. جمع شعره بعض حفدته فى ديوان كبير سمّاه (اللاكى المكنونه فى منظومات ابن كمونه) وتلف هذا الديوان، فجمع محمد السماوى ما بقى من نظمه متفرقاً فى (ديوان - ط) صغير [كانت وفاته سنة ١٢٨٢ هـ -] «الأعلام: ج ٦، ص ٢٩٩.

قال تعالى: فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً (١١) وَ يُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً (١).

«نستفيد من الآيات المختلفه فى القرآن، ومنها الآيات التى هى محل بحثنا، أن الإيمان والعدالة سبب لعمران المجتمعات، والكفر والظلم والخطايا سبب للدمار، نقرأ فى الآيه (٩٦) من سورة الأعراف: وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ ، وفى الآيه (٤١) من سورة الروم نقرأ: ظَهَرَ الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ، وفى الآيه (٣٠) من سورة الشورى: وَ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ، وفى الآيه (٦٦) من سورة المائدة: وَ لَوْ أَنَّهْمُ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهْم مِنْ رَبِّهْم لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ . وآيات أخرى من هذا القبيل.

هذه الرابطة ليست رابطة معنويه فحسب، بل هناك رابطة مادّيه واضحه فى هذا المجال أيضاً...

والحقيقه أن الحرمان فى هذا العالم سببه العقوبات على الذنوب، وفى الوقت الذى يتوب فيه الإنسان ويتخذ طريق الطهاره والتقوى، يصرف الله تعالى عنه هذه العقوبات» (٢).

إذن هناك رابطة وثيقه بين الذنوب وآثارها من جهه، وبين الأعمال الصالحه وآثارها من جهه أخرى.

ولو رجعنا إلى قصه هذه الآيات الثلاث فى سورة نوح عليه السلام، نجد أنها جاءت بعد دعوات وإنذارات كثيره تحدّثت عنها السوره المباركه المسّماه باسم نبي الله نوح عليه السلام وبشّى

ص: ٣٦

١- (١) نوح: آيه ١٠ - آيه ١٢.

٢- (٢) تفسير الأمثل: ج ١٩، ص ٥٥ - ص ٥٧.

أنواع الإبلاغ وأساليبه، حتى وصل بهم المقام أن يضعوا أصابعهم في آذانهم؛ كي لا يسمعوا الحقيقة التي لا تندمج مع أهوائهم، كان صبره عليه السلام عجباً، وأعجب ما فيه رأفته، همته واستقامته الفريده كانتا رأس ماله في السير ومواصلة طريق الدعوه إلى دين الحق.

والأعجب من ذلك أنه عليه السلام طيله دعوته التي دامت (٩٥٠) عاماً لم يؤمن به إلا ثمانون شخصاً، ولو قسمنا هذه المده على عدد الأنفار يتضح لنا أن مده هدايته لكل فرد دامت اثنتي عشره سنه تقريباً!!(١).

«يستمر نوح عليه السلام في تبليغه المؤثر لقومه المعاندين العصاه، ويعتمد هذه المره على عامل الترغيب والتشجيع، ويوعدهم بانفتاح أبواب الرحمه الإلهيه من كل جهه إذا ما تابوا من الشرك والخطايا، فيقول: فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً»٢.

والآيات الشريفه المباركه جاءت لتحل مشاكل تعرّض لها قوم نوح عليه السلام بسبب عصيانهم وجحودهم الحق ومخالفته، بل روى أن ذلك الأمر منه عليه السلام إنما جاء بعد أن حبس الله عنهم المطر، وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنه(٢)، عندها جاء الأمر بحل هذه المصائب والبلاءات عن طريق الاستغفار والتوبه إلى الله عز وجل.

ولو لاحظنا جانباً آخر من حياه الأنبياء عليهم السلام نجد أن هذا الأمر قد تكرّر مع نبي الله هود عليه السلام، حيث عصوه وعبدوا الأصنام، وابتلاهم الله عز وجل، إذ يقول: وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ(٣).

ص: ٣٧

١- (١) انظر: تفسير الأمثل: ج ١٩، ص ٥١.

٢- (٣) انظر: التفسير الأصفى: ج ٢، ص ١٣٥٧. بحار الأنوار: ج ٨٨، ص ٢٩١.

٣- (٤) هود: آيه ٥٢.

ولكى نعلم بهذه النعم المترتبة والمتفرعه على الاستغفار كان من اللازم علينا التعرف على حقيقه الاستغفار لكي نعمل به؛ لأن العمل فرع العلم، فما هو الاستغفار، وما هي حقيقته؟

أما الاستغفار فهو: «طلب من الله بالقلب واللسان، مثل اللهم اغفر لنا، وعدم الإصرار يكون كناية عن التوبه»<sup>(١)</sup>.

وقد يُفترق بين الاستغفار والتوبه ب - «أنَّ الاستغفار طلب المغفره بالدعاء والتوبه أو غيرهما من الطاعه، والتوبه الندم على الخطيئه مع العزم على ترك المعاوذه، فلا يجوز الاستغفار على الإصرار؛ لأنَّه مسلبه لله ما ليس من حُكمه ومشيئته ما لا تفعله»<sup>(٢)</sup>.

وقد جعل البعض بين توبه العبد، وهي انقطاع العبد إليه بالكليه، وبين طلب المغفره بوناً بعيداً<sup>(٣)</sup>، وهو غريب! ووجه الغرابه فيه: أن طلب المغفره مقدّمه موصله إلى انقطاع العبد بالكليه إلى الله عزّ وجلّ، وهو التوبه بحسب ما ذكره.

وأما الاستغفار بحسب ما حدّه لنا أهل بيت العصمه والطّهاره عليهم السلام، الذين لا يزداد على كلامهم، ولا يتّم من نقصٍ إن حدّوا ووصفوا، فبيئته ما جاء على لسان مولى المتّقين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال - لقائلٍ قال بحضرته: استغفر الله -: «ثكلتك أمك أتدرى ما الاستغفار؟ الاستغفار درجه العليين، وهو اسم واقع على سته معانٍ:

أولها: الندم على ما مضى. والثانى: العزم على ترك العود إليه أبداً. والثالث: أن تؤدّى إلى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى الله أملس ليس عليك تبعه. والرابع: أن تعمد إلى كلّ

ص: ٣٨

١- (١) زبده البيان: ص ٣٣٠.

٢- (٢) الفروق اللغويه: ص ٤٨.

٣- (٣) انظر: شرح الرضى على الكافيه: ج ٤، ص ٣٨٩.



فريضه عليك ضيعتها فتؤدى حقها. والخامس: أن تعتمد إلى اللحم الذى نبت على السحت، فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم، وينشأ بينهما لحم جديد. والسادس: أن تذيب الجسم ألم الطاعه كما أذقتة حلاوه المعصيه، فعند ذلك تقول: أستغفر الله»(١).

وهذه الكلمه الشريفه صارت هى الأصل الذى تؤخذ عنه حقيقه الاستغفار والتوبه، حتى أن ابن أبي الحديد فى شرحه على النهج بعد ذكره لهذه الكلمه قال: «وينبغى أن نذكر فى هذا الموضوع كلاماً مختصراً ممياً يقوله أصحابنا فى التوبه، فإن كلام أمير المؤمنين هو الأصل الذى أخذ منه أصحابنا مقالتهم، والذى يقولونه فى التوبه فقد أتى على جوامعه عليه السلام فى هذا الفصل على اختصاره»(٢).

فلكى نحصل على حقيقه الاستغفار علينا أن نَحَقِّقَ هذه المعانى الستّه، وهى وإن كانت فى غايه الوضوح إلا أنها ليست سهله الإمتثال، بل تحتاج إلى عزمه شديده، وإراده أكيدة، ولعل ما فى دعاء كميل رحمه الله يشترك مع هذه المعانى لتحقق التوبه النصوح، إذ يقول الدعاء:

«وقد أتيتك يا إلهى بعد تقصيرى وإسرافى على نفسى، معتذراً نادماً، منكسراً مستقيلاً، مستغفراً منيباً، مقرراً مُدْعِناً معترفاً، لا أجدُ مفرّاً ممّا كان منّى، ولا مفرعاً أتوجّه إليه فى أمرى...»(٣).

## آثار الاستغفار

### إشارة

ثمّ إنّه إذا تحقّق الاستغفار بشروطه المتقدّمه، ومعانيه الستّه الآنفه الذكر، فستحصل الآثار المترتبه عليه، وهى آثار مهمّه يُبدل من أجلها كُفْلَ غَالٍ ونفيس، وهى ستّه أيضاً، وهذه من نعم الله تبارك وتعالى التى تفضّل بها على خلقه، بأن يُضاعف لهم فى أفعالهم كما

ص: ٣٩

١- (١) نهج البلاغه: ج ٤، ص ٩٧ - ص ٩٨، رقم ٤١٧.

٢- (٢) شرح نهج البلاغه: ج ٢٠، ص ٥٦.

٣- (٣) مصباح المتهدّج: ص ٨٤٦.

يُضَاعَفُ الْحَسَنَاتِ، حَيْثُ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا (١).

## الأثر الأول: غفران الذنوب

بمعنى أن المستغفر يحصل على أوضح أثر من آثار عمله، وهو ما سِيلَخ من نفس العمل، وهو غفران الذنوب والمعاصي، كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ (٢).

فالآية رتبت على التوبة تكفير السيئات، ثم دخول الجنات، وهذا أمر طبيعي، فكل فعل يصدر لا بد من تحقق أقرب آثاره إليه، وأقرب آثاره إليه شموله إلى نفس الفعل الصادر، كما هو معلوم بالوجدان.

والملفت للنظر أنه تبارك وتعالى لم يقل: «إنه غفاراً»، بل قال: «إنه كان غفاراً»؛ لأنه كان غفاراً في حق كل من استغفره، كأنه يقول: لا تظنوا أن غفاريته إنما حدثت الآن، بل هو أبداً هكذا كان، فكان هذا هو حرفته وصنعتة (٣).

وعبرت الآية ب - (غفاراً)، ولم تعبر ب - (غافراً، أو غفوراً) لمزيد العناية في كثرة المغفرة، وغفار من غفر، والغفر هو التغطية، ومنه قولهم: غفرت المتاع أي: جعلته في الوعاء (٤).

ويؤيد هذا المعنى اللغوي الروايات الشريفة في باب التوبة من الذنوب والاستغفار.

ففي الكافي الشريف، عن معاوية بن وهب، قال:

«سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا تاب العبد توبةً نصوحاً أحبه الله فستر عليه. فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: يُنسى ملكيه

ص: ٤٠

١- (١) الأنعام: آية ١٦٠.

٢- (٢) التحريم: آية ٨.

٣- (٣) انظر: تفسير الرازي: ج ٣٠، ص ١٣٧.

٤- (٤) انظر: الصحاح: ج ٢، ص ٧٧.

ما كانا يكتبان عليه، ويوحى [الله] إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض: أن أكتفى عليه ذنوبه، فليق الله عز وجل حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب»(١).

ولا معنى للستر عليه إذا لم يكن تغطيه لذنوبه حتى يصير التائب والمستغفر لا ذنب عليه، كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«والتائب من الذنب كمن لا ذنب له»(٢).

هذا هو الأثر الأول للإستغفار، وهو غفران الذنوب، وهو أثر معنوي، بخلاف الخمس البواقي الآتية.

### الأثر الثاني: كثره الأمطار

الأثر الثاني من آثار الاستغفار (كثره المطر) فلا- يغفر لكم ذنوبكم وحسب، بل يرسل السماء عليكم مدراراً، وهي من صيغ المبالغة أيضاً، فيفيض عليكم بأمدار الرحمة، كما ينسكب الحليب من صدر الأم؛ ولذا لم تقل الآية: ينزل عليكم المطر أو الماء، كما في قوله تعالى وَ تَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَّتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٣)، وإنما عبرت الآية ب- (يرسل السماء)؛ فالسَّمَاءُ تكاد أن تهبط من شدته هطول الأمطار، وبما أنها أمطار رحمة وليست نعمة؛ فلذا لا تُسبب خراباً وأضراراً، بل تبعث على الإعمار والبركة والحياه(٤).

من هنا ذكر العلماء في مسأله صلاه الاستسقاء المتابعه فى الدعاء والاستغفار.

قال المحقق الحلّي رحمه الله: «يبالغ فى الدعاء و الاستغفار، ويُعاودون إن تأخرت الإجابة، أمّا تأكيد الاستغفار؛ فلقوله تعالى: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ

ص: ٤١

١- (١) الكافي: ج ٢، ص ٤٣٦، ح ١٢.

٢- (٢) وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٧٥، ح ١٤.

٣- (٣) الحجج: آية ٥.

٤- (٤) انظر: تفسير الأمل: ج ١٩، ص ٥٤.

عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا»<sup>١</sup>.

والأمطار الغزيرة هنا أمطار رحمه وبركه، كما يدلّ عليه قوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ»<sup>(١)</sup>، فواحدة من بركات السماء التي ينزلها عزّ وجلّ عندما يؤمن أهل القرى ويتقوا هي أمطار الرحمه<sup>(٢)</sup>.

فمن علل الجدوبه وقله الأمطار بكثرة الذنوب والمعاصي، يرى أنّ الاستغفار يرفعها ويزيلها، ويثبت ما هو ضدها، وهو الخصب، ونزول المطر الكثير النافع.

### الأثر الثالث: المدّ المالي

والأثر الثالث المترتب على الاستغفار هو المدّ المالي الذي ارتفع وانقطع، أو ضعف بسبب الذنوب والمعاصي، فإنّه يعود مرّه أخرى إليكم بعد أن تتابعوا الاستغفار والتوبه، فمن ضاقت عليه معيشته أو قُدرَ عليه رزقه فعليه بكثرة الاستغفار، فعن نصر بن زياد، قال:

«كُنْتُ عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ - يَعْنِي الْإِمَامَ الصِّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَتَاهُ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ، قَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، حَدَّثَنِي فَقَالَ: يَا سَفِيَانُ. إِذَا اسْتَبْطَأْتَ الرِّزْقَ فَأَكْثَرَ مِنَ اسْتِغْفَارِ»<sup>(٣)</sup>.

فلاحظ كيف ترتّب على التوبه «إيتاء الفضل في الآخرة، وناسب كلّ جوابٍ لِمَا وقع جواب له؛ لأنّ الاستغفار من الذنوب أوّل حال الراجع إلى الله، فناسب أن يرتّب عليه حال الدنيا، والتوبه هي المنجيه من النار، والتي تُدخل الجنّه»<sup>(٤)</sup>.

ص: ٤٢

١- (٢) الأعراف: آيه ٩٦.

٢- (٣) انظر: تفسير الميزان: ج ٨ ص ٢٠١.

٣- (٤) الفرج بعد الشده: ج ١، ص ٢٨.

٤- (٥) تفسير البحر المحيط: ج ٥، ص ٢٠٢.

والأثر الرابع المترتب على الاستغفار، المد بالبنين، وهو أثر لا يقل أهميته من المد المالى، إن لم يكن أهم، كما نرى فى حياتنا اليومية الكثير من الناس ممن لهم الاستعداد فى أن يبدلوا كل ما عندهم من أموال فى سبيل أن تكون لهم ذريه، مع أن المال والبنين كليهما زينه الحياه الدنيا، كما قال تعالى: ( الْمَالُ وَ الْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (١) ) لكننا نسمع من هنا وهناك الكثير حول هذا الموضوع، (لا قيمه للمال إذا لم يكن عندك عيال) وهذا مما ابتلى به البارى عز وجل عباده، حيث يقول جلّت أسماؤه: لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَ إِنَاثًا وَ يَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٢). وهذه الآيه الشريفه تعبير واضح عن هذا المصير، حتى وردت روايات كثيره عن سؤال بعض المؤمنين للإمام المعصوم عليه السلام فى تعليمهم ما يمكنهم من الحصول على الذريه، وسأقل هنا شواهد على الثلاثه الأخيره، أعنى: الجدوبه، والفقر، وعدم البنين.

فقد روى أن رجلاً أتى الإمام الحسن عليه السلام فشكا إليه الجدوبه، فقال الحسن عليه السلام: «استغفر الله»، وأتاه آخر فشكا إليه الفقر، فقال له: «استغفر الله»، وأتاه آخر فقال له: ادع الله أن يرزقنى ابناً، فقال له: «استغفر الله»، فقلنا له: أتاك رجال يشكون أبواباً، ويسألون أنواعاً، فأمرتهم كلهم بالاستغفار؟ فقال: «ما قلت ذلك من ذات نفسى، إنما اعتبرت فيه قول الله: فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُزِيلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً (١١) وَ يُمِدِدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ يَبِينُ وَ يَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَ يَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَاراً (٣) (٤)».

ص: ٤٣

١- (١) الكهف: آيه ٤٦.

٢- (٢) الشورى: آيه ٤٩ - آيه ٥٠.

٣- (٣) نوح: آيه ١٠ - آيه ١٢.

٤- (٤) وسائل الشيعه: ج ٧، ص ١٧٨.

وهذان الأثران من الآثار المترتبة على الاستغفار لاحقاً في الدار الآخرة، وبمعنى آخر: إنَّ رحمه الله تبارك وتعالى المترتبة على الاستغفار تعدت محيط الحياه الدنيا؛ لنتقل إلى سعادتين أُخريين تنتظران المستغفرين، وهما سعادة الجنات والأنهار، بمعنى دخول الجنَّة، وليست الجنَّة بأدنى مراتبها - مع أنَّها أفضل من الدنيا بما لا يُعدُّ ولا يُحصى - بل الجنَّات المشتمله على الأنهار، وأى جنَّات هذه التي قسَّمتها هذه الأنهار!! وأى حدائقٍ هذه التي جُعلت فيها الأنهار لتزيدها بهاءً وحُسناً!!.

فلا شكَّ أنَّها حدائق ذات بهجه، إلاَّ أنَّها ليست حدائق دنيويه، كما قال تعالى: **وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حِجَابًا ذَاتَ بَهْجَةٍ (١)**، بل هي حدائق أُخروييه.

ومن تلك الأنهار التي يتنعم بها المؤمنون يومَ القيامة في الجنَّة نهر الفرات (٢)، ولعلَّه لأجل أن يتذكَّر المؤمنون وهم في الجنَّة تلك المصيبة التي جرت على أبي عبد الله عليه السلام على شاطئ الفرات.

ينقل شيخنا المنصوري رحمه الله:

إنَّ الله تعالى فتح باباً للزهراء عليها السلام يوم عاشوراء، وهي في مكانها المعدَّ لها بعد الوفاء لتنعم به، فتح لها باباً لمشاهده ولدها الحسين عليه السلام فرأته صريعاً يتلظى عطشاً، قعدت به كثره الجراح من الحركة، وكان أملها أن يُداوى أو يُسقى ماءً، ولكن لما أقبل الشمر ومكَّن السيف من نحره، لم تطق النظر إليه، ولكن توجَّهت إلى مَنْ معها من الحور العين، وكأني بها عليها السلام تخاطبُ الحورَ العين:

ياحورِ گوموا زینوا جنَّه الفردوس باچر تجی لیکم جنايز ما لها روس

ص: ٤٤

١- (١) النمل: آیه ٦٠.

٢- (٢) انظر: مستدرک الوسائل: ج ١٧، ص ٢٥، ح ٢. بحار الأنوار: ج ٥٧، ص ٤١، ح ٦.

منهم جنازه الصدر منها ابخيل مديوس جنازه حبيب الله انذبح بالغازيه

ثمّ تلتفت إلى الأمين جبرئيل عليه السلام:

جبريل وين أجسادهم دلينى بيها گلها يزهره اشلون بيك تشاهديها

گلها بلايه روس واحزنى عليها ظلت وزينب والحرم راحت سييه (1)

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أيّ منقلبٍ ينقلبون

والعاقبه للمتقين.

ص: ٤٥

---

١- (١) انظر: ميراث المنبر: ص ١٥٩. والأبيات لشاعر أهل البيت عليهم السلام ابن فايز رحمه الله، كما أشار إليه شيخنا المنصوري رحمه الله في هامش كتابه القيم (ميراث المنبر).





## المحاضره الرابعه: عداوه الشيطان لبنى آدم

اشاره

ص: ٤٧



أحلماً وكادت تموتُ السننُ لِطولِ انتظارِك يا بنَ الحَسَنِ  
وأوشكَ دينُ أبيكَ النَّبِيِّ يُمحي ويَرجعُ دينُ الوثنِ  
وهذى رعاياك تَشكو إِلَيْكَ ما نالها مِن عَظيمِ المَحَنِ  
تناديك مُعلنه بالنحيبِ إِلَيْكَ ومُبديه للشَّجَنِ  
فمذ عمنا الجورُ واستحكما بأموالنا واستباحوا الوطن  
شَخَصنا إِلَيْكَ بأبصارنا شخوصَ الغريقِ لِمَرِّ السفنِ  
أتنسى مصائبَ آبائِك التي هَدَّ مَما دَهاها الرُّكن  
مصائبَ النَّبِيِّ وغصبَ الوصيِّ وذبحَ الحَسينِ وسَمَّ الحَسَنِ  
ولكنَّ لا مثلَ يومِ الطفوفِ في يومِ نائبهِ في الزَّمنِ  
غداه قضى السُّبُطُ في فتيهِ مصابيحِ نورٍ إذا الليلُ جَن  
تفانوا عَطاشي فليتَ الفراتِ لِمَا نالَهُم ماؤُهُ قد أجن  
وأعظمُ ما نالكم حادثٌ لَهُ الدمعُ ينهلُ غيثاً هَتَن  
هُجومُ العدوِّ على رَحِلكم وسلَبُ العَقائِلِ ابرادِهِن  
تدافعُ بالساعدينِ السَّيِّاطِ وتَسْتَرُ وَجهاً بفضلِ الرُّدُنِ (١)

ص: ٤٩

---

١- (١) القصيدة لشاعر أهل البيت عليهم السلام السيد محمد القزويني رحمه الله، قال عنه في من لا يحضره الخطيب: «السيد محمد السيد مهدي القزويني، ولد في الحلة سنة ١٢٦٢ هـ -، وتوفي فيها سنة ١٣٣٥ هـ - ودفن في النجف الأشرف، نال درجة الاجتهاد وكان زعيماً دينياً في الحلة، له أعمال جليله في التريبيه والإصلاح، وله آثار علميه في الفقه والأدب». من لا يحضره الخطيب: ج ١، ص ٣٨٦.

طَبُوا لِلخِيَامِ وَفَرَّهَدُوا وَعَزِيزَاتِ النَّبُوَّةِ سَلْبُوهَا

اَوْجَمَ طِفْلُهُ النَّبِيَّهْمَ رَوَّعُوا اَوْفَرْتَ مِنْ خِيَمِهَا اتْحَوْمُ وَاتَدُورُ

عَكَبَ مَا فَرَّهَدُوا ذِيحِ الصَّوَاوِينِ شَبُّوا نَارَهُمْ بِخِيَامِ الْحُسَيْنِ

اَوَطَّلَعَتْ هَايِمَهُ ذِيحِ النَّسَاوِينِ يَتَامَاهَا تَعَثَّرَ بَيْنَ الصَّخُورِ

قال تعالى: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١).

من الشَّيْطَانِ الإِلَهِيَّةِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا سَيِّئَةٌ الْإِبْتِلَاءِ وَالْإِمْتِحَانِ، وَهِيَ سَيِّئَةٌ عَامَّةٌ أَكِيدَةٌ، وَقَدْ أَشَارَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى عَمُومِيَّةِ هَذِهِ الشَّيْئَةِ فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: أَلْحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣).

وهذه السَّيِّئَةُ لَا تَتَخَلَّفُ مِنْ جِيلٍ إِلَى آخَرَ، وَإِنْ كَانَتْ تَخْتَلِفُ فِي صُورِهَا وَأَشْكَالِهَا، فَتَتَصَوَّرُ تَارَةً بِالْفَقْرِ، وَأُخْرَى بِالشَّكِّ، وَثَالِثَةً بِالْوَسْوَسَةِ، وَهَكَذَا.

وخيرُ شَاهِدٍ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَ لَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَ نَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٤).

وَمِنَ الْفِتَنِ وَالْإِبْتِلَاءَاتِ: الْأَمْوَالُ وَالزُّوْجَةُ وَالْأَوْلَادُ، وَقَدْ يَصِلُ الْأَمْرُ إِلَى حَدِّ أَنْ تَصْبِحَ الزُّوْجَةُ وَالْأَوْلَادُ هُمُ الْعَدُوُّ الَّذِي يَصُدُّ عَنِ اللَّهِ وَذَكَرَهُ.

ص: ٥٠

١- (١) فاطر: آية ٦.

٢- (٢) العنكبوت: آية ٢ - آية ٣.

٣- (٣) الأعراف: آية ١٣٠.

قال تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ (١) ).

ومن أشد الأعداء - مع ابتلاءات الدنيا وعقوباتها، والنفس والأولاد والزوجه - إبليس (عليه اللعنه).

ورحم الله القائل:

«ابليسُ والدُّنيا ونفسى والهوى كيفَ الخلاصُ وكلُّهم أعدائى» (٢)

هذا العدو الذى أقسم لأبينا آدم وأمنا حواء بأعظم الأقسام ولم يكن صادقاً، كما حكاه لنا القرآن الكريم، حيث يقول تبارك وتعالى: وَ قَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ٣ فهو (لعنه الله) مع القسم والتأكيد بالنصيحه يخادع ويمكر، فكيف معنا نحن البشر، الذين تعهد بأن لا يتركنا طرفه عين، وأقسم بعزه الله أن يغويننا؟! كما حكى القرآن الكريم ذلك على لسانه.

قال تعالى: قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ٤.

وهذا تحذير رهيب وإشارة خطيرة؛ إذ مع النصيحة يخدع ويمكر، فكيف نتصور حالنا مع الأقسام المغلظه بالإغواء والخديعه، فلا شك سيكون الأمر أخطر وأمر!!

والنتيجه هى عذاب السعير، كما فى الآيه التى افتتحنا بها الكلام، وهكذا فى قوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٣).

فهو (لعنه الله) بعد أن تم طرده من ساحه القدس والجلال، طلب من الله أن ينظره

ص: ٥١

١- (١) التغابن: آيه ١٤.

٢- (٢) الفتوحات المكيه: ج ١، ص ٢٧٨. ولم ينسبه لأحد.

٣- (٥) الحج: آيه ٤.

إلى يوم القيامة.

قال تعالى: فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صِلَالٍ مِنْ حَمِيمٍ مَسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَخَرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (١).

وبعد هذا الخسران الذى أصاب إبليس، وخيبة الأمل التى تعرّض لها، اتّخذ طريقاً للإغواء والمخادعة لبنى البشر، كما حكى لنا القرآن الكريم كلّ ذلك، حيث يقول: قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَأَنْبِتُهُمْ مِنْ بُيُوتِهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ أَخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (٢).

ولكن مع شديد الأسف، هذا الشيطان الرجيم صار عند الإنسان من أقرب أصدقائه الحميمين، لا يبارحنا نحن البشر وقد اتّخذناه بدلاً عن الهدايه والاستقامه، فاستبدلنا الذى هو أدنى بالذى هو خير.

قال تعالى: أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٣).

### إبليس عدو ولا كالأعداء

هذا العدو يختلف عن باقى الأعداء؛ لأنّ المُحتملات فى كلّ الأعداء ثلاثه:

إمّا أن تتغلّب عليه، أو يتغلّب عليك، أو تكون هناك هدنه أو صلح، بخلاف عدونا

ص: ٥٢

١- (١) الحجر: آيه ٣٠ - آيه ٣٨.

٢- (٢) الأعراف: آيه ١٦ - آيه ١٨.

٣- (٣) الكهف: آيه ٥٠.

إبليس، فالموجود احتمالان اثنان لا ثالث لهما، وهما: إما أن يستسلم على أيدينا ونتغلب عليه، أو نستسلم على يديه ويتغلب علينا، ولا يوجد احتمال الهدنه؛ بعد أن سمعنا أقسامه المغلظة بالغوايه المستمره لنا.

من هنا سُئل رسول الله عندما ذكر أنّ لكلّ إنسانٍ شيطان، فقيل له: وأنت يا رسول الله ألك شيطان؟

فقال صلى الله عليه و آله:

«إنّ الله أعاننى على شيطان حتى أسلم على يدي»(١).

وباستسلام إبليس وعدم قدرته على غوايتنا نكون أفضل من الملائكة، وإلا فنحن والبهائم على حدّ سواء، فالمسألة جدّ خطيره.

فقد روى عن عبد الله بن سنان، قال: سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليها السلام، فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال:

«قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوه، وركّب في البهائم شهوه بلا عقل، وركّب في بنى آدم كليهما، فمّن غلب عقله فهو خيرٌ من الملائكة، ومّن غلبت شهوته عقله فهو شرٌّ من البهائم»(٢).

### طُرق الشيطان وخطواته

والشيطان له طُرقه الخاصه به وبأبالسته، وهى المُعبّر عنها بالخطوات، التى نهانا الله تبارك وتعالى عن إتباعها، كما صرّح بذلك القرآن الكريم، حيث يقول: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ وَ مَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ ما زَكى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَ لَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّى مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣) ،

ص: ٥٣

١- (١) مناقب آل ابى طالب: ج ١، ص ١٩٧.

٢- (٢) علل الشرائع: ج ١، ص ٥، ح ١.

٣- (٣) النور: آيه ٢١.

و (الخطوات) جمع (خطوه) وهى المرحلة التى يقطعها الشيطان للوصول إلى هدفه، وهو التغرير بالناس. وعبارته لا تتبعوا خطوات الشيطان، تكررّت خمس مرات فى القرآن الكريم، وكانت فى موضعين بشأن الاستفاده من الأطمعه والرّزق الإلهى، وهى تحذير من استهلاك هذه النعم الإلهيه فى غير موضعها، وحثّ على الاستفاده منها على طريق العبوديه والطاعه، لا الفساد والطغيان فى الأرض؛ للنهى عن إتباع خطوات الشيطان فى استثمار مواهب الطبيعه، توضحه آيات أخرى تنهى أيضاً عن الإفساد فى استثمار ما وهبه الله للناس، كقوله تعالى: **كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَ لَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١)**، وكقوله سبحانه: **كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ لَا تَطْغَوْا فِيهِ (٢)**، هذه المواهب والإمكانات ينبغى أن تكون طاقه دافعه نحو الطاعه، لا وسيله لارتكاب الذنوب، وعبارته **إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** تكررّت فى القرآن الكريم عدّه مرات بعد الحديث عن الشيطان؛ كى تحفّز الإنسان، وتجعله متأهباً لمُجابهه هذا العدو اللدود الظاهر، والآيه التاليه تؤكد على عدااء الشيطان، وعلى هدفه المتمثّل فى شقاء الإنسان، وتقول: **إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَ الْفَحْشَاءِ وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.**

ومنهج الشيطان يتلخّص فى ثلاثه أبعاد هى:

(السوء، والفحشاء، والتقوّل على الله) الفحشاء من (الفُحش)، وهو كلّ عمل خارج عن حدّ الاعتدال، ويشمل كلّ المنكرات والقبائح المبطّنه والعننيه، واستعمال هذه المفرده حالياً بمعنى الأعمال المنافيه للعهه هو من قبيل استعمال اللفظ الكلى فى بعض مصاديقه (٣).

ص: ٥٤

١- (١) البقره: آيه ٦٠.

٢- (٢) طه: آيه ٨١.

٣- (٣) انظر: تفسير الأمثل: ج ١، ص ٤٧٤ - ص ٤٧٦.



فأسلوب الشيطان هو التدرّج في أخذ الإنسان إلى الهاوية، فيبدأ معه رويداً رويداً إلى أن يرميه في الهاوية، وفي وادٍ سحيقٍ نسأل الله العونَ والهدايةَ والتبته من الغفله.

ويمكن تلخيص دعوته إلى السعير بعدّه مصاديق، نذكر منها:

١ - زرع الفتن والبغضاء والعداوة بين الناس، وإشعال نار الحقد والعداء بين بنى البشر، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في عدّه آيات:

منها: قوله تعالى: إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ (١).

وقوله تعالى: وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ (٢).

وقوله تعالى: مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي (٣)، وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«يقول إبليس لجنوده: ألقوا بينهم الحسد والبغى، فإنهما يعدلان عند الله الشرك» (٤).

٢ - تزيين العمل القبيح لصاحبه، وهذا من أشدّ الأخطار على الإنسان حذرنا منه القرآن الكريم: فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَ لَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٥).

٣ - الوعود والأمنيات الكاذبه والمخادعه الباطله التي يفضحها لنا البارى عزّ وجلّ؛ إذ يقول: يِعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَ مَا يِعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً (٦).

ومن هنا يُسئل إمامنا الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: وَ الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ

ص: ٥٥

١- (١) المائدة: آيه ٩١.

٢- (٢) الإسراء: آيه ٥٣.

٣- (٣) يوسف: آيه ١٠٠.

٤- (٤) الكافي: ج ٢، ص ٣٢٧، ح ٢.

٥- (٥) الأنعام: آيه ٤٣.

٦- (٦) النساء: آيه ١٢٠.

ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١) ، فيقول:

«لَمَّا نزلت هذه الآية صعد إبليس جبلاً بمكة يُقال له ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه. فقالوا: يا سيدنا، لِمَ دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية، فَمَن لها؟ فقام عفريت من الشياطين، فقال: أنا لها بكذا وكذا. قال: لست لها، فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال: لست لها. فقال الوسواس الخناس: أنا لها، قال: بماذا؟ قال: أعدهم وأمنهم حتى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار، فقال: أنت لها، فوكله بها إلى يوم القيامة» (٢).

وهذا هو الذي حصل مع أخوه يُوسُف عليه السلام بعينه كما قصَّ لنا القرآن الكريم ذلك، حيث يقول: أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٣).

ولكن الذي يقتل نبياً أو وصياً أو ولياً هل يوفق للتوبة؟!!

ونفس هذا المعنى تكرر مع ابن سعدٍ - لعنه الله - حيث غرته الأمانى ووسوس له الشيطان بأنه إذا قتل الإمام الحسين عليه السلام سوف يتوب بعد ذلك، عندما عرضت عليه إماره الرى كان فى البدء متردداً فى الخروج، ثم ذهب إلى منزله وأخذ يمشى فى فناء الدار وينشد:

فوالله ما أدرى وإنى لصادقٌ أفكرٌ فى أمرى على خطيرين

أتركُ ملكَ الرى والرئى مُنيتى أم أصبحُ مأثوماً بقتلِ حسين

حُسينُ ابنُ عمى والحوادثُ جمَّةٌ ولكن لى فى الرى قره عينى

يقولون إنَّ الله خالقُ جنِّه و نارٍ وتعذيبٍ وغلٌّ يدين

ص: ٥٦

١- (١) آل عمران: آية ١٣٥.

٢- (٢) أمالى الشيخ الصدوق: ص ٥٥١، ح ٥.

٣- (٣) يوسف: آية ٩.

فإن صدقوا مما يقولون إننى أتوبُ إلى الرَّحمنِ من سنتينِ

وإن كذبوا فزنا بدنيا عظيمه ومُلكٍ عقيمٍ دائمٍ الحَجَلينِ (١)

وهذا اللعين هو أولُ مَنْ رَمَى مُخَيَّمِ الحُسينِ ومُعسكرِهِ مُفتخرًا بذلك.

يقولُ ابنُ أَعثم الكوفى: «وتقدّمَ عُمَرُ بنُ سعدٍ حتّى وقفَ قبالة الحُسينِ على فرسٍ له، فاستخرج سهماً فوضعه فى كبد القوس، ثمّ قال: أيّها النَّاس! اشهدوا لى عند الأميرِ عُبيدِ الله بن زيادِ أنّى أولُ مَنْ رَمَى بسهمٍ إلى عسكرِ الحُسينِ بنِ على! قال: فوقع السهم بين يدي الحُسينِ، فتنحّى عنه راجعاً إلى ورائه، وأقبلت السهامُ كأنّها المطر، فقال الحُسينُ لأصحابه:

أيها الناس، هذه رسلُ القومِ إليكم، فقوموا إلى الموت الذى لا بدّ منه» (٢).

هذا مبدأ أعماله وأما خاتمه الأعمال التى قام بها ابنُ سعدٍ - لعنه الله - فهى أدهى وأمرّ!!

ماذا صنع؟ الأمرُ شديدٌ، وسماعُهُ مُحرقٌ للقلوبِ، ومُقرّحٌ للجفونِ، فاستعد لسماعه لتشارِك الزهراءِ فى لوعتها ومُصابها.

«نعم نادى ابنُ سعدٍ - لعنه الله -: هلمّوا ودُوسوا صدرَ الحُسينِ.

ثمّ أمرَ النَّبىُّ صلى الله عليه وآله بحمزه أن تمدّ عليه برقته، وهو فى القبرِ وكانت قصيرةً وكانوا إذا خمروا بها رأسه بدت رجلاه، وخمروا بها رجله انكشف وجهه فبكى المسلمون، وقالوا: يا رسول الله، عمّ رسول الله يُقتل فلا يوجد له ثوب؟ فقال: بلى. فلما دفن القتلى انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة، وخرجت نساء المدينة؛ لأنّ إبليس صاح ألا قد قُتل محمد، فخرجن النساء باكيات صارخات، فأخبرن بأنّ النَّبىَّ صلى الله عليه وآله حتّى ولم يصبه شيء فحلفن أن لا يرجعن إلى خدورهن حتى يرين رسول الله صلى الله عليه وآله، وهن واقفات حتى دخل رسول الله،

ص: ٥٧

١- (١) اللهوف: ص ١٩٣.

٢- (٢) كتاب الفتوح: ج ٥، ص ١٠١.

فلما رأينه ولولن وبكين، ثم دخلن خدورهن، وإلى هذا أشار بشير بن جذلم في قوله: يا أهل يثرب لا مقام لكم بها.

يعنى لو كنتم صادقين فى دعواكم أن لا تُسكن بيوتنا حتى نرى النبىَّ فيحقّ الآن أن لا تسكنوا المدينة؛ لأنّ الحُسينَ عليه السلام قد قُتل. فمَرَّ النبىُّ صلى الله عليه وآله ببعض بيوتات الأنصار، فسمع بكاء النوائح على قتلاهن، فترقرقت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وبكى، ثمّ قال: لكن حمزه لا- بواكى له اليوم. فلما سمعه سعد بن معاذ قال: لا تبكين امرأه حميمها حتى تأتي فاطمه فتسعدّها فى البكاء على حمزه. فاجتمعن النساء عند فاطمه وهن يسعدنّها على حمزه، ومن أسعد فاطمه فى البكاء على الحسين؟! أسعدّها ألف نبى، وألف صدّيق، وألف شهيد، وألف ألف من الكروبيين، وهم يسعدونها فى البكاء على الحسين عليه السلام. ولمّا لم يكن لحمزه نوائح ناحت عليه نساء المهاجرين، والحسين كانت له نوائح، لكن إن دمعت من إحداهن عين قرع رأسها بالرمح»(١).

وكانتى بها عليهما السلام تخاطب أخاها أبا عبد الله عليه السلام:

بس ما غبت وكفيت يحسين عن كربلا صرته مضعين

خذونى يسيره وتدمع العين ومدرى وجوه الكوم لا وين

للكوفه يو للشام ناوين والدرب تدرى يريد إله اثنين

أنصار يو أخوه المبينين ولوياى ما غير النساوين

أبارى الظعن ماليش تمكين عاد أرضه والله يريحنى البين

دليلى بجور سيف الدهرينشاف ولى ناظر يكت ما بعد ينشاف

زينب طولها الماچان ينشاف يسيره تروح لولاد الدعيه

ص: ٥٨

وأعظم ما يشجى الغيور دخولها إلى مجلس ما بارح اللهو والخمرا

يقارعها فيه يزيد مسبه ويصرف عنها وجهه معرضاً كبرا

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أي منقلب ينقلبون

والعاقبه للمتقين.

ص: ٥٩









إِنْ كَانَ عِنْدَكَ عِبْرَةٌ تُجْرِيهَا فَاَنْزِلْ بِأَرْضِ الطِّفِّ كَيْ نُسْقِيهَا

فَعَسَى نَبْلُ بِهَا مُضَاجِعَ صَفْوِهِ مَا بَلَّتِ الْأَكْبَادُ مِنْ جَارِيهَا

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى مَنَازِلِ عَصْمِهِ نَقْلُ النُّبُوِّ كَانَ أُلْقِيَ فِيهَا

فَبَكَيْتُ حَتَّى خَلَّتْهَا سَتُّجِيْنِي بُبْكَائِهَا حُزْنًا عَلَى أَهْلِهَا

وَذَكَرْتُ إِذْ وَقَفْتُ عَقِيْلَهُ حَيْدِرٍ مَذْهُوْلَهُ تُصْغِي لَصَوْتِ أَخِيهَا

بِأَبِي الَّتِي وَرِثَتْ مَصَائِبَ أُمِّهَا وَغَدَتْ تُقَابِلُهَا بِصَبْرِ أَبِيهَا

لَمْ تَلَّهُ عَنِ جَمْعِ الْعِيَالِ وَحَفْظِهِمْ بِفِرَاقِ إِخْوَتِهَا وَفَقْدِ بَنِيهَا

لَمْ أَنْسَ إِذْ هَتَكُوا حَمَاهَا فَانْتَنَتْ تَدْعُو تَشْكُو لَوَاعِجِهَا إِلَى حَامِيهَا

فَتَحْتَرِقُ الْقُلُوبُ كَأَنَّمَا يَرْمِي حَشَاهَا جَمْرُهُ مِنْ فِيهَا

هَذِي نَسَاؤُكَ مَنْ يَكُونُ إِذَا سَرَتْ فِي الْأَسْرِ سَائِقُهَا وَمَنْ حَادِيهَا

أَيْسُوقُهَا زَجْرٌ بِضَرْبٍ مُتَوَزِّنِهَا وَالشَّمْرُ يَحْدُوهَا بِسَبِّ أَبِيهَا(١)

ص: ٦٣

---

١- (١) الأبيات للسيد رضا الهندي رحمه الله. قال عنه السيد جواد شبر رحمه الله في أدب الطف (ج ٩، ص ٢٤٢ - ص ٢٥٥): «السيد رضا الهندي شيخ الأدب في العراق، والعالم الجليل المؤرخ، والباحث الشهير، وهو ابن السيد محمد ابن السيد هاشم الموسوي الهندي. ولد رحمه الله في الثامن من شهر ذي القعدة سنة (١٢٩٠ هـ -)، وهاجر إلى سامراء بهجره أبيه سنة (١٢٩٨ هـ -) حين اجتاحت النجف وباء الطاعون، وكان خامس إخوته الستة، ومكث يواصل دروسه في سامراء، وكان موضع عنايه من آيه الله المجدد الشيرازي لذكائه وسرعه البديهة وسعه الأطلاع، وفي النجف واصل جهوده العلمية على أساطين العلم حتى نال درجه الاجتهاد... مؤلفاته: الميزان العادل بين الحق والباطل في الرد على الكتائبين (مطبوع) وبلغه الراحل في الأخلاق والمعتقدات، والواقى في شرح الكافي في العروض والقوافي، سبكه المسجد في التأريخ بأبجد (وقد فُقد)، وشرح غايه الإيجاز في الفقه. أما الرائعه التي ختم بها حياته وطلب أن تكون معه في قبره، فهي هذه القطعه الوعظيه: أرى عمري مؤذناً بالذهابتمراً لياليه مرّ السحاب وتفجأني بيض أيامهفتسلخ مني سواد الشباب

وكأني بها عليها السلام:

ودعتك الله يا عيوني يردون عنك ياخذوني

زجر وخوله اليباروني نخيت إخوتي وما جاوبوني

يهل الحميه ما تجوني من إيد الأعدى تخلصوني

\*\*\*

يحادى لا تسج بالضعن بيداي وگلبى الفگد أبو السجاد بيداي

ريض خل أغسل حسين بيداي ودفنه لا يضل جسمه رميه

\*\*\*

قال تعالى: وَ قَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠) وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَ كَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَ نَصِيرًا ١.

هناك جمله من المخلوقات تشتكى إلى الله يوم القيامة، وتطالب بالحقوق والمظلوميات التي أصابتها وتعرضت لها.

وأفضل هذه المخلوقات وأكملها الإنسان، الذي فضله الله عز وجل على جميع المخلوقات، حيث يقول: وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ (١).

ص: ٦٤

١- (٢) الإسراء: آية ٧٠.

وأفضل بنى آدم بما فيهم جميع الأنبياء والرسل هو النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله.

وشهادة الرسول صلى الله عليه وآله حقيقه قرآنيه، لا- يمكن انكارها؛ للتصريح بها فى غير واحده من الآيات، حيث يقول عز وجل: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (١).

وقال تعالى: وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٢).

وقال تبارك وتعالى: وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ (٣).

«وقول الرسول صلى الله عليه وآله هذا، وشكواه هذه، مستمران إلى هذا اليوم من فئه عظيمه من المسلمين، يشكو بين يدى الله أنهم دفنوا القرآن بيد النسيان، القرآن الذى هو رمز الحياه، ووسيله النجاه، القرآن الذى هو سبب الانتصار والحركه والتفوق» (٤).

وقد يسأل سائل ويقول: كيف يشكو رسول الله صلى الله عليه وآله قومه ويشهد ضدهم، وفيهم من أهل القرآن والدين الكثير؟

والجواب: «إن هذه الشكوى والشهادة لا- تعم جميع أمة النبي صلى الله عليه وآله، وإنما البعض. كيف! وفيهم أولياء القرآن، ورجال لا تلهيم تجاره ولا يبيع عن ذكر الله» (٥).

وممّا لا- إشكال فيه أن المراد بالرسول هنا هو شخص النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله بقربنه ذكر القرآن، وعبر عنه بالرسول تسجيلاً لرسالته، وإرغاماً لأولئك القادحين فى رسالته وكتابه... وهذا القول ممّا يقوله الرسول يوم القيامه لربه على طريق البت والشكوى،

ص: ٦٥

١- (١) النساء: آيه ٤١.

٢- (٢) النحل: آيه ٨٤.

٣- (٣) الزمر: آيه ٦٩.

٤- (٤) انظر: الأقسام فى القرآن الكريم: ص ٥٣ - ص ٥٤.

٥- (٥) تفسير الميزان: ج ١، ص ٢٩٧.

وعلى هذا فالتعبير بالماضى بعنايه تحقق الموضوع، والمراد بالقوم عامه العرب، بل عامه الأئمه لكن بلحاظ الكفره والعصاه منهم، فليس الأمر فيهم على حد سواء (١).

ومن طريف القول ما وقع من النزاع بين رجلين من أمه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في ذلك، والأول هو معاويه بن أبى سفيان، حيث كان يفتخر بأنه من قريش، حيث يقول أمام الرجل الثانى - وهو رجل من الأنصار -: «فصل الله قريشاً بثلاث:

١ - وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢)، ونحن الأقربون.

٢ - وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ (٣)، ونحن قومه.

٣ - وَ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (٤).

فقال الرجل الأنصارى: على رسيلك يا معاويه، قال الله: وَ كَذَّبَ بِهٖ قَوْمُكَ (٥) وأنت من قومه، و إذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٦) وأنت من قومه، و إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٧) وأنت من قومه، فهذه ثلاث بثلاث، ولو زدتنا لزدناك. فأفحمه (٨).

نعود إلى أصل البحث، وهو اتخاذ القرآن مهجوراً؛ حتى نعرف ما هو الهجر الذى يسبب الشكوى؛ لكى نجتنبه ولا نكون ممن يتصف به.

ص: ٦٦

١- (١) انظر: تفسير الميزان: ج ١٥، ص ٢٠٥.

٢- (٢) الشعراء: آيه ٢١٤.

٣- (٣) الزخرف: آيه ٤٤.

٤- (٤) الإيلاف: آيه ١.

٥- (٥) الأنعام: آيه ٦٦.

٦- (٦) الزخرف: آيه ٥٧.

٧- (٧) الفرقان: آيه ٣٠.

٨- (٨) الصراط المستقيم: ج ٣، ص ٤٩.

## الهَجْر لغة:

الهَجْر فى اللغة: هو قول الخنا والإفحاش فى المنطق (١)، أو قول غير الحق، مثل قول المريض (٢) أو الهذيان (٣).

وعليه نزل بعض المُفسِّرين تفسير الآيه المباركه، حيث قال:

«واختلف أهل التأويل فى معنى اتّخاذهم القرآن مهجوراً، فقال بعضهم: كان اتّخاذهم ذلك هجراً قولهم فيه السىء من القول، وزعمهم أنّه سحر، وأنّه شِعْر» (٤).

وفى تفسير الثعلبى قال:

«... وقال الآخرون: هو من الهجران، أى: أعرضوا عنه وتركوه، فلم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه» (٥).

ومن هنا نعرف

«أنّ هذا الهجر لا- يكون إلّا- بعد وصل، فالمشركون لم يأتوا إلى القرآن، ولم يدخلوا فى ظلّه؛ ليهجروه بعد ذلك، بل هو فى بعض أمّه محمّد صلى الله عليه وآله» (٦).

هذا ما وقفت عليه من كلمات أهل اللغة.

## الهَجْر اصطلاحاً

### إشاره

وأما الهَجْر اصطلاحاً، فيمكن أن يتحقّق فى الخارج بأحد الأنحاء التاليه:

### النحو الأول: عدم قراءته

قد يكون أوضح مصداق لهَجْر القرآن الكريم هو عدم التلاوه والقراءه له، وهذا صريح فى روايات أهل البيت عليهم السلام، فقد روى عن الإمام أبى الحسن الرضا عليه السلام أنّه قال:

ص: ٦٧

١- (١) انظر: كتاب العين: ج ٣، ص ٣٨٧. الصحاح: ج ٢، ص ٨٥١.

٢- (٢) لسان العرب: ج ٥، ص ٢٥٣.

٣- (٣) مجمع البحرين: ج ٤، ص ٤٠٦.

٤- (٤) تفسير جامع البيان: ج ١٩، ص ١٣.

٥- (٥) تفسير الثعلبي: ج ٧، ص ١٣٢.

٦- (٦) الإمامه تلك الحقيقه القرآنيه: ص ٣٠٧.

«أمر الناس بالقراءة في الصلاة؛ لئلا يكون القرآن مهجوراً وضيعاً، وليكون محفوظاً مدروساً»<sup>(١)</sup>.

وهذا هَجْرٌ للقرآن باللسان، فقد يكون قلب الإنسان متعلقاً بالقرآن الكريم لكنّه لم يتعاهده ولم يقرأه؛ لانشغاله بأمور دنيوية أو معاشيه واجبه أو مستحبه.

ولذا قسّم الراغب الأصفهاني الهَجْرَ إلى هَجْرِ القلب، وهَجْرِ بالقلب واللسان<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا ورد الحثُّ الأكيد، والثواب الجزيل على تلاوه القرآن الكريم وتعاهده؛ لكي لا تحصل القطيعة بين العبد وبين دستوره الأساس القرآن الكريم.

ففي الكافي الشريف عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال:

«القرآن عهد الله إلى خلقه، فقد ينبغي للمسلم أن ينظر في عهده، وأن يقرأ منه كُلَّ يوم خمسين آية»<sup>(٣)</sup>.

وفيه أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَنْ قرأ عشر آيات في ليله لم يُكتب من الغافلين، ومَنْ قرأ خمسين آية كُتِبَ من الذاكرين، ومَنْ قرأ مائة آية كُتِبَ من القانتين، ومَنْ قرأ مائتي آية كُتِبَ من الخاشعين، ومَنْ قرأ ثلاث مائة آية كُتِبَ من الفائزين، ومَنْ قرأ خمسمائة آية كُتِبَ من المجتهدين، ومَنْ قرأ ألف آية كُتِبَ له قنطار من تير؛ القنطار خمسة عشر ألف مثقال من ذهب، والمثقال أربعة وعشرون قيراطاً أصغرهما مثل جبل أحد، وأكبرهما ما بين السماء إلى الأرض»<sup>(٤)</sup>.

### النحو الثاني: عدم التدبّر فيه

ومن مصاديق هَجْرِ القرآن الكريم عدم التدبّر في معانيه، وعدم التأمل في مضامينه، فقد لا يكون العبد متّصفاً بالنحو الأول من الهَجْر - عدم التلاوه - بل كان يُكثر من القراءة

ص: ٦٨

١- (١) علل الشرائع: ج ١، ص ٢٦. عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١١٣.

٢- (٢) انظر: مفردات غريب القرآن: ص ٥٣٦.

٣- (٣) الكافي: ج ٢، ص ٦٠٩، ح ١.

٤- (٤) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٦١٢، ح ٥.

له، لكنّها قراءه غير متدبّره، بل قراءه عابره لا تزيد على لقلقه اللسان.

وقد ذمّ الله عزّ وجلّ أقواماً لم يتدبّروا القرآن، حيث يقول تبارك وتعالى: **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ١.

وعن النبيّ صلى الله عليه و آله أنه لما نزلت بعض الآيات، قال:

«ويلٌ لمن لا كها بين فكّيه، ولم يتأمل فيها» (١).

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«ألا لا خير في قراءه لا تدبّر فيها» (٢).

بل ورد في الأدعيه المرويّه عن أهل البيت عليهم السلام الدعاء برفع الغشاوه عن البصر والقلب؛ لأجل فهم الآيات المباركه، والتدبّر في معانيها، والتأمل في مضامينها.

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه كان إذا قرأ القرآن يأخذ المصحف ويقول:

«... اللهم أتى أشهد أنّ هذا كتابك المنزل من عندك، على رسولك محمّد بن عبد الله... ولا تطبع عند قراءتي على قلبي، ولا على سمعي، ولا تجعل على بصري غشاوه، ولا تجعل قراءتي قراءه لا تدبّر فيها، بل اجعلني أتدبّر آياته وأحكامه، آخذاً بشرائع دينك» (٣).

وقال بعض الأكابر: «... وأمّا من وقّفه الله تعالى لتلاوته بتفكّر وتدبّر وتفهم لمعانيه واستنباط لأحكامه، فلا مريه أنّ تلاوته وإن قلت أفضل من ختمات» (٤).

ولا يخفى أنّ الثمره من هذا الحثّ الأكيد، والطلب الشديد على التدبّر في التلاوه مرجعها إلى القارئ نفسه أولاً، فهو المستفيد الأول من هذه القراءه التي تدبّر فيها، فكم من عاصٍ اهتدى بآيه، وكم من قاطع طريق اهتدى بتدبّر في استماعه لقارئٍ لآيه من

ص: ٦٩

١- (٢) تفسير مجمع البيان: ج ٢، ص ٤٧٠. التفسير الأصفي: ج ١، ص ١٨٨.

٢- (٣) مشكاه الأنوار: ص ٢٤٢.

٣- (٤) مكارم الأخلاق: ص ٣٤٣.

٤- (٥) شرح أصول الكافي: ج ١١، ص ٤٤.



القرآن الكريم. حتى روى أن رجلاً - وهو الفضيل بن عياض - كان يقطع الطريق، وأنه عشق جاريته وارتقى جداراً لها، فسمع تالياً يتلو ألم يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ (١) فتاب ورجع، فورد مكة وجاور بها الحرم ومات بها سنة ١٨٧ هـ - (٢).

فلو لم يكن قد تأمل في هذه الآيه التي تطلب الرجوع إلى الله عز وجل، والخشوع أمام عظمته وجبروته؛ لما اهتدى ولما تاب، بل مضت الآيه كغيرها من آلاف الآيات التي قرأت وسمعت في آناء الليل وأطراف النهار.

وقد ضرب أهل البيت عليهم السلام أروع أمثله التدبر في القرآن الكريم، فعن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«لو أردت أن أختم في أقل من ثلاث لختمت، ولكن ما مررت بآيه قط إلا فكرت فيها، وفي أي شيء أنزلت، وفي أي وقت، فلذا كصرت أختمه في ثلاث» (٣).

### النحو الثالث: عدم التطبيق وترك العمل بالمضمون

النحو الثالث من أنحاء الهجر هو عدم العمل بالمضمون، فقد يكون العبد كثير التلاوه والتدبر، لكن ما إن ينتهي من تلاوته وتدبره تنتهي عنده حاله التفاعل مع المضمون الذي تدبر فيه، فلا ينزله إلى الواقع الخارجى ولا يعمل بمضمونه.

فمثلاً نجد قارئاً للقرآن الكريم يقرأه على أحسن وجه، ويتدبر جيداً في قوله تعالى: هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون (٤)، ويتدبر فيها جيداً، ويعلم أن القرآن لا يفوته شيء لا صغير ولا كبير، حيث يقول عز من قائل: وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا

ص: ٧٠

١- (١) الحديد: آيه ١٦.

٢- (٢) حاشيه رد المختار: ج ١، ص ٦٢.

٣- (٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٤٦٩.

٤- (٤) الجاثية: آيه ٢٩.

أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (١) لکنه فی التطبيق الخارجی تارة یسخر من هذا، وأخری یکذب علی ذاک، فیملی علی حافظیه کتاباً مملوءاً بالذنوب والمعاصی.

وهذا النحو من الأنحاء الثلاثة هو أكثر ما يقع به الناس، بل أكثر ما يتورط به أهل الدراية والفهم، فلأسف الشديد تجد الكثير من هؤلاء ممن ينطبق عليه عبارته (يعرف ويحرف) فلعلك لا تجده يفارق القرآن الكريم وتلاوته، ولا يفارق التدبر فيه وفي مضامينه العاليه، لکنه ما إن ينتهي حتى تجده يرتكب عين ما قرأه، وعين ما تدبر فيه، وهذه مصيبه عظمی، ورزیه کبری، سواء كانت المخالفه علی مستوى العقائد أم علی مستوى الأحكام والآداب، فهو یقرأ قول تعالی: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٢)، وبصوت حسن، ويتأمل فيها ويتدبرها جيداً، لكن عندما يريد أن يصل إلى العمل بمضمونها تراه يتردد؛ لأنها لا توافق معتقده ومزاجه المر، ونفسه الخبيثه.

وفي نفس السياق هناك آیه أخرى، وهی قوله تعالی: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا

وقد ورد قريب من هذا المعنى في قوله تبارك وتعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ٣.

والمعنى الإجمالى للآیه الشريفه هو التسليه لقلب رسول الله صلى الله عليه وآله «أى: كما جعلنا هؤلاء المجرمين عدوًّا لك، كذلك جعلنا لكل نبيٍّ عدوًّا منهم، أى: هذه من سنتنا الجارية في الأنبياء وأممهم، فلا يسؤنك ما تلقى من عداوتهم، ولا يشقن عليك ذلك، ففيه تسليه للنبي صلى الله عليه وآله... ومعنى جعل العدو من المجرمين: أن الله جازاهم على معاصيهم بالختم على

ص: ٧١

١- (١) الكهف: آیه ٤٩.

٢- (٢) الأحزاب: آیه ٣٣.

قلوبهم، فعاندوا الحقّ وأبغضوا الداعى إليه، وهو النبىُّ، فلعداوتهم نسبه إليه تعالى بالمجازاه، وقوله: وَ كَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَ نَصِيرًا معناه - على ما يعطيه السياق - لا يهولنك أمر عنادهم وعداوتهم، ولا تخافنهم على اهتداء الناس، ونفوذ دينك فيهم وبينهم، فحسبك ربك كفى به هاديًا، يهدى من استحق من الناس الهدايه واستعد له... فظهر أنّ صدر الآيه مسوق لتسلي النبىِّ صلى الله عليه وآله، وذيله للاستغناء عن المجرمين من قومه»(١).

ولذا لم تنته العداوه بشخص النبىِّ الأكرم صلى الله عليه وآله، بل تتبعت كل من له صله وثيقه به صلى الله عليه وآله من أهل بيته الأطهار عليهم السلام؛ بيت على وفاطمه عليها السلام، فكان القوم أبناء القوم، بالأمس كان العدو للرسول الأكرم هو أبو جهل، وأبو لهب، وأبو سفيان، واليوم معاويه، ومروان، ويزيد، وأضرابهم.

ومن هنا نرى أنّ معاويه لما قدّم المدينة صعد المنبر، فخطب ونال من على عليه السلام، فقام الحسن، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«... إن الله لم يبعث نبياً إلا جعل له عدوًّا من المجرمين، قال الله وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ

فأنا ابن علىّ وأنت ابن صخر، وأمك هند وأمى فاطمه، وجدتك قتيله وجدتى خديجه، فلعن الله الأمتنا حسباً، وأخملنا ذكراً، وأعظمنا كفراً، وأشدنا نفاقاً».

فصاح أهل المسجد: آمين، آمين، فقطع معاويه خطبته ودخل منزله(٢).

واستمرت عداوه المجرمين، وشياطين الجنّ والإنس تأجج نار العداوه والبغضاء، حتى تجلّت بأبشع صورها، وأشدّ مظاهرها على جسد أبى عبد الله الحسين عليه السلام، يعنى على جسد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّه جدّ الحسين وهو القائل:

«حُسينٌ منى وأنا من حسين»(٣)، فقتلت

ص: ٧٢

١- (١) تفسير الميزان: ج ١٥، ص ٢٠٥ - ص ٢٠٦.

٢- (٢) كشف الغمّه: ج ٢، ص ١٩٦.

٣- (٣) كامل الزيارات: ص ١١٦ - ص ١١٧.

ذريه رسول الله بأيدي أعداء الله وأعداء رسوله، والأدهى من ذلك أنهم يقتلون أولاد الأنبياء، ويتكلمون بكلام الصديقين، كما قالها ابن عفيف الأزدي أمام عبيد الله بن زياد في الكوفة (١)، بل يتكلمون بكلام الله عز وجل، وهو ما أمر به تبارك وتعالى من تكبير وتهليل.

وكما يقول الشاعر:

ويُكبرون بأن قُتلتَ وإنما قتلوا بكَّ التكبيرِ والتهليلِ (٢)

بل قتلوا القرآن ونحروه وضيّعوه، ولذا تقرأ في زياره الإمام الحسين عليه السلام المطلقه:

«... فقتلتَ مظلوماً، وأصبح رسولُ الله صلى الله عليه وآله بكَّ موتوراً، وأصبح كتابُ الله من أجلكَ مهجوراً» (٣).

نعم، أصبح كتاب الله مهجوراً بكلِّ أنحاء الهجر الثلاثة؛ فلم يقرأوا الحسين ولم يتدبروه، ولم يعملوا بمضمونه ومداليه التي تخرجهم من الظلمات إلى النور، فوالله لحظهم أخطأوا، وعن ثواب الله زاغوا، وعن جوار محمد صلى الله عليه وآله تباعدوا (٤).

وساعد الله قلب أمه فاطمه الزهراء عليها السلام، كأتى بها تناديه:

منى حاضره يحسين يبنى يمن ريت ذباحك ذبحنى

اسعدنى على ابنى يالتحبنى صوابه تره بكلى وشعبنى

ونسانى الضلع وسواد منى

ص: ٧٣

١- (١) انظر: جواهر المطالب: ج ٢، ص ٢٩٣.

٢- (٢) كتاب التعجب: ص ١١٧.

٣- (٣) المقنعه: ص ٤٩٠.

٤- (٤) اقتباس من قول الإمام الصادق عليه السلام. انظر: كامل الزيارات: ص ٤٩٣.

أنا الوالده والكلب لهفان وأدورّ عزه ابني وين ما چان  
أويلى على ابني المات عطشان ولعبت عليه الخيل ميدان

\*\*\*

ص: ٧٤

وأما الموالي فينادى:

ما هو لأجل الثواب ابجيت واجره لا جن نار بصميم الكلب وجره

إمصاب حسين أبد ما صار وجره فرض كل يوم ننصبه عزبه

اليمة تنصب بعاشور عشره على الدااست ضلوعه خيول عشره

ولا تنسه الشبجت على الراس عشره تنادى حسين خويه الحكك على

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّد أَيُّ مُنْقَلِبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبه للمتقين.

ص: ٧٥



## المحاضره السادسه: التوسل حقيقه قرآنيه

اشاره

ص: ٧٧





دُمَّ يَا حُسَيْنُ مَدَى الزَّمَانِ مُخَلِّدًا نَوْرًا وَصَوْتٌ هِدَايَهُ لَنْ يُخْمَدَا

هَذَا طَرِيقُكَ وَهُوَ سَيْفٌ قَاطِعٌ فِيهِ نُحْطَمُ مِنْ عَلَيْهِ تَمْرَدَا

يَا سَيِّدَ الْأَحْرَارِ يَا رَمَزَ الْإِبَاءِ لَوْلَاكَ مَا وَجَدَ الزَّمَانُ مَوْحَدَا

شَيْدَتَ دِينَ مُحَمَّدٍ وَأَقَمَّتَهُ لَمَّا سَلَلَتْ عَلَى الضَّلَالِ مُهْنَدَا

وَبَدَلَتْ مَا مَلَكَتْ يَدَاكَ لِنَصْرِهِ حَتَّى اسْتَوَى رَعَمَ الْعَدُوِّ مُشِيدَا

تَاللَّهِ لَا نَسَاكَ يَا ابْنَ الْمُصْطَفَى فَوْقَ الصَّعِيدِ مُبْضَعًا وَمُجْرَدَا

رَضُوا بِجُرْدِهِمْ قِرَاكَ وَأَضْرَمُوا نَارًا بِأَخْبِيهِ الْمَكَارِمِ وَالنَّدَى

فَقَتَلُوكَ ضَمَانًا كَأَنْ لَمْ يَعْلَمُوا قَتَلُوا بِقَتْلِكَ فِي الطُّفُوفِ مُحَمَّدَا

وَسَبُوا إِلَيْكَ كِرَائِمًا سَبَى الْإِمَامَ لِلشَّامِ فِي رَكْبٍ بِهِ الْحَادَى حِدَا

وَلِمَجْلِسِ الطَّاغِي جُلْبِنِ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَ يَا جَدَّاهُ مَا بَيْنَ الْعَدَا(١)

ص: ٧٩

١- (١) القصيدة لأستاذنا الخطيب البارع المرحوم الشيخ محمد سعيد المنصوري رحمه الله، وهو الخطيب الكبير، محمد سعيد بن الشيخ موسى المنصوري، ولد في النجف الأشرف عام ١٣٥٠ هـ - ق (في حدود ١٩٣١ م)، درس المقدمات والسطوح في مسقط رأسه النجف الأشرف، ثم هاجر إلى إيران في حدود الستينيات، وسكن مدينة عبادان، وبقي ينتقل بينها وبين البصرة، وبقيه محافظات العراق إلى زمان مجيء زمرة البعثيين المجرمه، ثم انتقل إلى مدينة قم المقدّسه في سنة ١٩٨٠ م، تتلمذ على يد مجموعه من فطاحل الخطابه أمثال أستاذه المرحوم السيد محمد سعيد العدناني الغريفي. لأستاذنا المنصوري حسّ شعري رائع، وخطابه حسيني فريده، ونعمه حنين نادره، وعبرات وآهات تبكي صمّ الصخور قبل رقائق القلوب. انتقل إلى رحمه الله وإلى جوار من أحبهم وندبهم وورثاهم، وبكى عليهم ليلاً ونهاراً إلى جوار رسول الله وآله الأطهار إن شاء الله تعالى، وذلك يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى عام ١٤٢٨ هـ -، فشيّع تشييعاً مهيباً من قبل العلماء وطلاب العلم وطلابه، ودفن في مثواه الأخير جنب ولده الخطيب المرحوم الشيخ عبد الحسين المنصوري الذي سبقه إلى القضاء؛ فتركه بحسره شديده وألمٍ لطالما قرأته على صفحات محياه، وذلك في قم المقدّسه في مقبره (باغ بهشت).

طبيت والديوان والناس متجمعه من كل الأجناس

يهود ونصارى وكفر وأرجاس من شاهدوني مهبطه الراس

صاحوا يا زينب وبن عباس

\*\*\*

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١).

القرآن الكريم دستور متكامل، وكتاب هداية، يأخذ كل قارئ له بما يستوعبه عقله، ويحيط به فهمه، ففيه العبارة، ولديه الإشارة، وفي طياته اللطائف، وفي أعماقه الحقائق.

فقد يدرك البعض منه الأكثر، وقد يدرك القليل منه الكثير، ولكن يحيط بفهمه من كان عدلاً وترجماناً له، وهم من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا (٢)، فإنه لا يمسه إلا المطهرون (٣)، ولا يصل إلى حقائقه وفهمه المذنبون والمغفلون والظالمون، بل العلم والحفظ لا يؤتاه عاصي، كما في آداب المتعلمين (٤).

ص: ٨٠

١- (١) المائدة: آية ٣٥.

٢- (٢) انظر: الأحزاب: آية ٣٣.

٣- (٣) انظر: الواقعة: آية ٧٩.

٤- (٤) انظر: منه المريد: ص ٢٢٤.

ومن هنا روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«كتاب الله عزّ وجلّ على أربعة أشياء: على العباره، والإشارة، واللطائف، والحقائق، فالعباره للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء»<sup>(١)</sup>.

وقد اشتملت هذه الآيه المباركه على أكثر هذه الأشياء الأربعة، التي أشار إليها الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام.

والخطاب في هذه الآيه موجّه للمؤمنين: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...، وأمرهم أن يتَّقوه ويجتنبوا معاصيه، ويتَّبعوا إليه الوسيله ويجاهدوا في سبيله لأجل الفلاح، فالآيه مشتمله على أوامر ثلاثه: (التقوى، وابتغاء الوسيله، والجهاد في سبيله) وبما أنّ كلّ واحدٍ من هذه الثلاث تحتاج إلى بحثٍ مفصّل، سأقتصر في حديثي هنا على واحد فقط، مع الإشارة إلى إرتباطها بالاثنتين، والواحد هو الوسيله والتوسّل وابتغاؤها الذي أمرنا به القرآن الكريم.

### الوسيله نُغَه

قال الجوهري:

«الوسيله ما يُتَقَرَّب به إلى الغير، والجمع الوصيل والوسائل، والتوسّل واحد، يُقال: وسل فلان إلى ربّه وسيلهً، وتوسّل إليه بوسيله، أى: تقَرَّب إليه بعمل»<sup>(٢)</sup>.

وفى لسان العرب: «الوسيله: المنزله عند الله، والوسيله الدرجه، والوسيله القربه، وسل فلان إلى الله وسيلهً إذا عمل عملاً تقَرَّب به إليه، والواصل الراغب إلى الله»<sup>(٣)</sup>.

فالوسيله تشبه الذريعه إلاّ أنّه يوجد بينهما فرق.

ص: ٨١

١- (١) بحار الأنوار: ج ٨٩، ص ١٠٣، ح ٨١.

٢- (٢) الصحاح: ج ٥، ص ١٨٤١.

٣- (٣) لسان العرب: ج ١١، ص ٧٢٤.

قال فى الفروق اللغويه:

«الفرق بين الوسيله والذريعه: أنّ الوسيله عند أهل اللغة هى القربه، وأصلها من قولك: سألت أسأل، أى: طلبت، وهما يتساولان أى: يطلبان القربه التى ينبغى أن يُطلب مثلها، وتقول: توسّلت إليه بكذا، فتجعل كذا طريقاً إلى بغيتك عنده، والذريعه إلى الشىء هى الطريقه إليه، ولهذا يُقال: جعلت كذا ذريعه إلى كذا، فتجعل الذريعه هى الطريقه نفسها، وليست الوسيله هى الطريقه، فالفرق بينهما بين»(١).

وكلام أهل اللغة لا يخرج عن هذا المعنى فى بيان الوسيله، وما ذكرته خلاصه ما يمكن أن يقال فى الوسيله لَعَه.

### الوسيله اصطلاحاً

وأما الوسيله عند المفسّرين فى الآيه المباركه - بعد اتفاقهم على أنه شىء يُتوصل به إلى الله عزّ وجلّ - فقد وقع الخلاف فى بيانها على أقوال:

القول الأول: أنّ المقصود من الوسيله فى الآيه المباركه محل البحث، وفى الآيه الأخرى التى وردت فيها هذه المفرده، وهى قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيله أيهم أقرب و يرجون رحمته و يخافون عذابه (٢) هو القربه، ولعل هذا مشهور مفسّرى الجمهور، كالطبرى (٣) والسمرقندى (٤) والسمعانى (٥) وصاحب زاد المسير (٦) فى أحد قوليه، والحاكم فى المستدرک (٧).

ص: ٨٢

١- (١) الفروق اللغويه: ص ٥٧٢.

٢- (٢) الإسراء: آيه ٥٧.

٣- (٣) انظر: جامع البيان: ج ٦، ص ٣٠٨.

٤- (٤) انظر: تفسير السمرقندى: ج ١، ص ٤١١.

٥- (٥) انظر: تفسير السمعانى: ج ١، ص ٤١١.

٦- (٦) انظر: زاد المسير: ج ٢، ص ٢٧٢.

٧- (٧) انظر: المستدرک على الصحيحين: ج ٢، ص ٣١٢.

والذى يؤاخذ على هؤلاء أنهم لم يفسيروا الماء - بعد الجهد - إلا بالماء؛ فإنهم لم يزيدوا على بيان الوسيله شيئاً، فما هذه القربه التى يُتقَرَّب بها إليه عز وجل، فهل هى الصلاه، أم الصوم، أم ماذا؟

وعلى سبيل المثال، فالطبرى قال ما نصّه:

«واطلبوا القربه إليه بالعمل بما يرضيه»<sup>(١)</sup>، ولعلّه يقصد كلّ ما يرضيه، وحينئذٍ يكون قوله كالقول الثانى الآتى.

القول الثانى: أنّ المقصود بالوسيله الوارده فى القرآن الكريم، هو: كلّ شىء يُتوسَّل به إلى الله من قرابه أو صنيعه أو غير ذلك، كما نصّ عليه النسفى فى تفسيره<sup>(٢)</sup>.

والأمر حينئذٍ يكون واضحاً من دون حاجه للإكثار من ذكر المصاديق، فعلى هذا القول كلّ ما يمكن التقرب به إلى الله عز وجل، من صلاه، أو صيام، أو تقوى، أو ترك غيبه، أو إحسان وما شاكل ذلك، فهو من الوسيله التى أمر بها الله عز وجل.

قال الراغب الأصفهانى: «وحيقّه الوسيله إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعباده، وتحزى مكارم الشريعة، وهى كالقربه، والوسائل الراغب إلى الله تعالى»<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عربى فى تفسيره: اتَّقُوا اللَّهَ بالتزكّيه، وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ بالتحليه، وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ بمحو الصفات والفناء بالذات لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ من ظهور بقايا الصفات والذات<sup>(٤)</sup>.

القول الثالث: شخصُ النبى الأكرم صلى الله عليه وآله أو الإمام المعصوم عليه السلام، وقد دلّت على ذلك روايات من الفريقين.

ص: ٨٣

١- (١) جامع البيان: ج ٦، ص ٣٠٨.

٢- (٢) انظر: تفسير النسفى: ج ١، ص ٢٨١.

٣- (٣) مفردات غريب القرآن: ص ٥٢٤.

٤- (٤) تفسير ابن عربى: ج ١، ص ٢٠١.

منها: ما ذكره في الإنصاف، قال: «قال الإمام أحمد للمروزي: يتوسَّل بالنبِيِّ صلى الله عليه وآله في دعائه، وجزم به في المستوعب وغيره، وجعله الشيخ تقي الدين كمسأله اليمين به، قال: والتوسَّل بالإيمان به، وطاعته ومحبتته، والصلاه والسلام، وبدعائه وشفاعته، ونحوه، ممَّا هو من فعله أو أفعال العباد المأمور بها في حقِّه، مشروع اجماعاً، وهو من الوسيله المأمور بها في قوله تعالى: اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ۝١»

ومنها: ما في العهود المحمديَّة، عن عائشه، قالت: «مفتاح قضاء الحاجه الهديه بين يديها، فإذا حمدنا الله تعالى رضى عنَّا، وإذا صلينا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم شفَع لنا عند الله في قضاء تلك الحاجه، وقد قال تعالى: اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ»

وتأمل بيوت الحُكَّام [والكلام لصاحب العهود المحمديه] تجدها لا بدَّ لك فيها من الواسطه الذي له قرب عند الحُكَّام، وإدلال عليه؛ ليمشى لك في قضاء حاجتك، ولو أنك طلبت الوصول إليه بلا واسطه لم تصل إلى ذلك.

وإيضاح ذلك: أنَّ مَنْ كان قريباً من الملك، فهو أعرف بالألفاظ التي يخاطب بها الملك، وأعرف بوقت قضاء الحوائج، ففي سؤالنا للوسائط سلوكك للأدب معهم، وسرعه لقضاء حوائجنا، ومن أين لأمثالنا أن يعرف أدب خطاب الله عزَّ وجلَّ. إذا سألت الله حاجه فاسأله بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقولوا: اللَّهُمَّ إنا نسألك بحقِّ محمد أن تفعل لنا كذا وكذا، فإنَّ الله ملكاً يبلغ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقول له: إنَّ فلانا سأل الله تعالى بحقِّك في حاجه كذا وكذا، فيسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربه في قضاء تلك الحاجه فيجاب؛ لأنَّ دعاءه صلى الله عليه وآله وسلم لا يُردُّ. قال: وكذلك القول في سؤالكم الله تعالى بأوليائه، فإنَّ الملك يبلغهم فيشفعون له في

قضاء تلك الحاجه»(١).

ومنها: ما فى مجمع البيان عنه صلى الله عليه وآله أنه قال:

«سلوا الله الوسيله، فإنها درجه فى الجنة لا ينالها إلا عبد واحد، وأرجو أن أكون أنا هو»(٢).

ومنها: ما أخرجه البخارى من أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقوا بالعباس بن عبد المطلب، فقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا صلى الله عليه وآله وسلم فتسقيننا، وإننا نتوسل إليك بعم نينا فاسقنا. قال: فيسقون» وعلق عليه ابن حجر فى فتح البارى قائلاً: «ويستفاد من قصه العباس استحباب الإستشفاع بأهل الخير والصلاح، وأهل بيت النبوه»(٣).

وروى الشيخ الصيّدوق رحمه الله عن الإمام الباقر عليه السلام روايه تنهى عن سؤال الحاجه من المخالفين، وقد علل الإمام عليه السلام ذلك بقوله:

«لا تسألوهم الحوائج؛ فتكونوا لهم الوسيله إلى رسول الله يوم القيامة»(٤).

وأما الروايات الوارده فى خصوص طرفنا فى معنى الوسيله، وأنها الإمام المعصوم عليه السلام، فهى كثيرة، ووردت بألسن متعدده.

منها: ما عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«نحن الوسيله إلى الله»(٥).

منها: ما ورد بلسان أمير المؤمنين عليه السلام

«أنا وسيلته»(٦).

ومنها ما ورد فى بعض الأدعية والزيارات، كما فى قوله عليه السلام:

«وجعلتهم الوسيله إلى رضوانك»(٧)، أو

«وجعلتهم الذرائع إليك، والوسيله إلى

ص: ٨٥

١- (١) العهود المحمديه: ص ٢٨٠.

٢- (٢) مجمع البيان: ج ٣، ص ٣٢٦ - ص ٣٢٧.

٣- (٣) فتح البارى: ج ٢، ص ٤١٣.

٤- (٤) علل الشرائع: ج ٢، ص ٥٦٤، ح ٢.



٥- (٥) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٣.

٦- (٦) مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ٢٧٣.

٧- (٧) مكيال المكارم: ج ١، ص ٣٢٦.

رضوانك» (١) كما في دعاء الندبه.

وفي دعاء الإمام السّجاد عليه السلام في عرفه:

«وجعلتُهم الوسيله إليك، والمسلك إلى جنتك» (٢).

ولنعّم ما قال الشاعر:

آل النبي ذريعتي وهم إليه وسيلتي

أرجو بأن أعطى غداً بيد اليمين صحيفتي (٣)

ورحم الله السيّد الحميري حيث يقول:

وإذا الرجال توسلوا بوسيله فوسيلتي حبي لآل محمد (٤)

ويكفيك إذعاناً بذلك مراجعه سبب نزول قوله تعالى: وَ آخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَ آخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)، فالمرؤى عن المعصوم عليه السلام أنّها نزلت في أبي لبابه بن عبد المنذر، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لَمَّا حاصر بنى قريظه، قالوا له: ابعث إلينا أبا لبابه نستشيره في أمرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبا لبابه، أتت حلفاءك ومواليك» فأتاهم، فقالوا له: يا أبا لبابه، ما ترى ننزل على حكم محمّد؟ فقال: أنزلوا واعلموا أنّ حكمه فيكم هو الذبح! وأشار إلى حلقه، ثمّ ندم على ذلك، فقال: خنتُ الله ورسوله، ونزل من حصنهم، ولم يرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ومزّ إلى المسجد، وشدّ في عنقه حبلاً، ثمّ شدّه إلى الإسطوانة التي تُسمّى إسطوانة التوبه، وقال: لا

ص: ٨٤

١- (١) بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ١٠٥.

٢- (٢) إقبال الأعمال: ج ٢، ص ٩١.

٣- (٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ٣.

٤- (٤) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٩٩.

٥- (٥) التوبه: آيه ١٠٢.

أحلّه حتى أموت، أو يتوب الله عليّ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «أما لو أتانا لاستغرفنا الله له، فأما إذا قصد إلى الله ربه فالله أولى به». وكان أبو لبابه يصوم النهار ويأكل بالليل ما يمسك به رمقه، فكانت ابنته تأتيه بعشائه، وتحله عند قضاء الحاجة، فلما كان بعد ذلك ورسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمه، نزلت توبته، فقال: «يا أم سلمه، قد تاب الله على أبي لبابه»، فقالت: يا رسول الله، أفأؤذنه بذلك؟ فقال: لتفعلن، فأخرجت رأسها من الحجره، فقالت: يا أبا لبابه، أبشر! قد تاب الله عليك، فقال: الحمد لله، فوثب المسلمون ليحلّوه، فقال: لا والله، حتى يحلّني رسول الله، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «يا أبا لبابه، قد تاب الله عليك توبه لو ولدت من أمك يومك هذا لكفاك»<sup>(١)</sup>.

هذا؛ لأنّ أبا لبابه لم يقتل نبياً، ولا حجّه من حجج الله، وإلا لما قبلت توبته؛ لما روى في الكافي الشريف:

«... فأما ما يجب فيه النار فرجل يقصد لرجل مؤمن من أولياء الله فيقتله على دينه متعمداً، فقد وجبت فيه النار حتماً وليس له إلى التوبه سبيلٌ، ومثل ذلك من قتل نبياً من أنبياء الله عزّ وجل، أو حجّه من حجج الله على دينه، أو ما يقرب من هذه المنازل فليس له توبه...»<sup>(٢)</sup>.

والذين تكاثروا على الإمام الحسين عليه السلام فقتلوه، لم يكتفوا بقتله فحسب، بل مثلوا بجسده الطاهر، وسبوا عياله من بلد إلى بلد، وكأني بالهوراء زينب عليها السلام تنادي أمها فاطمه عليها السلام:

يا فاطمه يمّ الميامين يلجبرج خفي ما يندرّه وين

أخبرج بالجره والصار بحسين ظل علثره من غير تكفين

وعباس البطل مگطوع الايديّن واتسلّبت كلّ النساوين

ص: ٨٧

١- (١) انظر: تفسير القمي: ج ١، ص ٣٠٣ - ص ٣٠٤.

٢- (٢) الكافي: ج ٧، ص ٢٧٧.

وأنا ادخلت يَمّه الدواوين

\*\*\*

إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وسيعلم الذين ظلموا آلَ مُحَمَّدٍ أَيُّ مَنقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبه للمتقين.

ص: ٨٨





حكّم المتيه في البريه جارى ما هذه الدنيا بدارِ قرارِ  
بينا يرى الإنسان فيها مُخبِراً حتّى يرى خبراً من الأخبارِ  
طُبعتْ على كَدَرٍ وأنت تُريدُها صفواً من الأقداءِ والأكدارِ  
ومكلفُ الأيامِ ضدَّ طباعِها متطلبٌ في الماءِ جذوةِ نارِ  
وإذا رجوتَ المستحيلَ فإنّما تبنى الرجاءَ على شفيرِ هارِ  
فالعيشُ نومٌ والمتيهُ يقظهُ والمرءُ بينهما خيالٌ سارِ  
والنفسُ إنْ رضيتْ بذلك أو أبّتْ منقادهً بأزمه الأقدارِ  
إيّاك أن تغتَرَّ بالدهرِ الذى أودى بآلِ المُصطفى الأبرارِ  
نُحرتَ نحوزهم بعرضه كربلا عطشاً وماءِ النهرِ فيها جارى  
أبكيهم تحت العجاجِ وبينهم ثاوٍ شبيههُ المُصطفى المُختارِ  
لم أنسهُ والسبُطُ جاثٍ حولهُ يدعو بدمعِ هاطلٍ مدرارِ  
يا كوكباً ما كان أقصرَ عُمره وكذا تكونُ كواكبُ الأسحارِ  
عجل الخسوفُ عليه قبلَ أوانه فطواه قبلَ مظنه الإبدارِ  
فكأنّ قلبى قبره وكأنّه فى طيّه سرٌّ من الأسرارِ  
جاورتُ أعدائى وجاور ربّه شتان بينَ جواره وجوارِ (١)

ص: ٩١

١- (١) القصيده لأبى الحسن التهامى رحمه الله، قال عنه الزركلى فى الأعلام: (ج ٤، ص ٣٢٧). وابن خلكان فى وفيات الأعيان: (ج ٣، ص ٣٧٨ - ص ٤٧١): «هو على بن محمد بن فهد أبو الحسن التهامى الشاعر، مولده ومنشؤه باليمن وطراً على الشام وسافر منها إلى العراق وإلى الجبل، ولقى الصاحب بن عباد وقرأ عليه، وتقلّد الخطاب بالرملة وتزوج بها، وكانت نفسه تحدّثه بمعالى الأمور، وكان يكتّم نسبه فيقول تارة: إنّه من الطالبين، وتاره من غيرهم، ولا يتظاهر بشيء من الأمرين، نسخ شعر البحتري... اعتقل بخزانه البنود بالقاهره لأربع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٤١٦ هـ، ثمّ إنّه

(أبوزيه)

شافه والنبيل نابت على راح گعد عنده وصفك راح على راح

وگام وصاح يا زينب على راح يختي أظلمت الدنيا على

\*\*\*

قال تعالى: وَ لَنْبَلُوكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَ الْمَآئِئِيسِ وَ الثَّمَرَاتِ وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ

ص: ٩٢



مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّهَدُونَ (١).

## الصبر

### إشاره

هو حبس النفس عما تُحب وترك الجزع عندما تكره. وهو أيضاً تحمّل الإنسان لحاله حدثت له تستدعى فيه التحمّل والهدوء، ومعالجه الأمور بتعقّل ولو طال مدّة هذه الحالة.

مثل تحمّل المريض لمرضه، وصاحب المصيبة لمصيبته، وأيضاً تحمّل الإنسان لترك الذنوب، وتحمّل البقاء على شكر الله عند حصول النعمة، والاستمرار في طاعته وعدم معصيته.

والصبر من فروع الرضا بقضاء الله وقدره، وهو من الإيمان بمنزله الرأس من الجسد، وضده الجزع الذى هو عدم الصبر على البلاء.

وقد قُسم الصبرُ إلى أقسامٍ وأنواعٍ منها:

### ١ - الصبر على الطاعة

بمعنى أن يتحمّل المداومه التى تحتاجها الطاعة، فترى البعض من الناس ليس عنده القدره على تحمّل ركعتى صلاه الصبح، بل أكثر من ذلك، البعض لا يستطيع أن يتحمّل الزمان الذى يستغرقه الأذان أو تستغرقه الإقامة.

حُكى أنّ أحد الولاه - ولعله معاويه بن يزيد بن معاويه - سمع أحد الرعيه يدعو عليه بالهلاك، ويقول: اللّهُمَّ خَلِّصْنَا مِنْهُ. فخرج هذا الوالى، وقال له: علام أنت تدعو علىّ وأنا لم يكن لى معكم إلا بعض الأيام، فما لكم قد مللتمونى!؟

قال الرّجل: أيها الوالى! إننى أبتدأ بالأذان وأشرع حتّى إذا بلغت وسطه مللتُ

ص: ٩٣

فهذا نموذج من الناس تراهم ليس لهم القابليه على تحمّل أبسط الأمور، وهذه الحاله تعترى الكثير من بنى البشر.

فالصبر على المداومه على الطاعه - بالحقيقه - هو صبر على النعمه التى أنعم الله بها على الإنسان؛ بأن يصبر على الشكر لصاحب النعمه، وهو الله فيسير فى طريق الإستقامه، فيصبر على الطاعه كما يصبر على أن لا يعصى خالقه، ويستمر فى العباده والصلاه لوقتها وصوم شهر رمضان وغير ذلك، وهو بتوفيق الله تعالى والمداومه يصبح يسيراً، وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنّا وجدنا الصّبر على طاعه الله أيسر من الصّبر على عذابه»(٢).

## ٢ - الصبر على عدم معصيه الله

بأن يصبر أن لا يغتاب، ولا يكذب، ولا يتكبر، ولا يرتكب المحرّمات، وغيرها، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«اصبروا على عملٍ لا غنى لكم عن ثوابه، واصبروا على عملٍ لا طاقه لكم على عقابه»(٣).

وهذا النوع من الصبر من الأنواع التى تحتاج إلى المجاهده والرياضه النفسيه العالیه، حتّى قيل: إنّ الصبر على عدم المعصيه أفضل من كلّ مراتب الصبر(٤).

## ٣ - الصبر على البلاء والمصائب

وهذا هو محل الكلام، فكلّ إنسان يُعاني من هذه الأمور، فإنّ أراد الراحة فى الدنيا والثواب فى الآخره، فعليه أن يصبر ويسلم أمره إلى الله، ويتوكّل عليه ويرضى بقضاء الله

ص: ٩٤

١- (١) (١) لم أعر على مصدرها، وإن كنت قرأتها من قبل فى كتاب طرائف، لم يحضرني اسمه.

٢- (٢) مستدرک الوسائل: ج ١١، ص ٢٦١، ح ٧.

٣- (٣) أمالى الصدوق: ص ١٧٠، ضمن الحديث الخامس.

٤- (٤) الأربعون حديثاً: ص ٢٥١.

وقدره، ويحاول أن يعالج البلاء بتعقل وهدوء.

فعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«الْجَنَّةُ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ وَالصَّبْرُ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمَكَارِهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَجَهَنَّمَ مَحْفُوفَةٌ بِاللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، فَمَنْ أَعْطَى نَفْسَهُ لَذَّتَهَا وَشَهْوَتَهَا دَخَلَ النَّارَ»(١).

ولوتأملنا في الآيات التي افتتحنا بها المحاضر، نلاحظ عدده امتحانات وبأشكال مختلفه، فتارةً يكون الامتحان عن طريق الخوف، وأخرى عن طريق الجوع، وثالثه عن طريق النقص في الأموال والأنفس من خلال الموت وما شاكله، فالآيه تعرّضت للاختبار الإلهي العام، ولمظاهره المختلفه، باعتباره سنّه كونه لا تقبل التغيير، وكما كان الانتصار في هذه الاختبارات لا يتحقّق إلا في ظل الثبات والمقاومه، قالت الآيه بعد ذلك: (وبشّر الصابرين)، فالصابرون هم الذين يستطيعون أن يخرجوا منتصرين من هذه الامتحانات لا غيرهم.

ثمّ الآيه التي بعدها تعرّف الصابرين، وتقول: الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فالإقرار التام بالعبوديه المطلقة لله يعلمنا أن لا نحزن على ما فاتنا؛ لأنّه سبحانه مالكننا ومالك جميع ما لدينا من مواهب، إن شاء منحنا إياها، وإن استوجبت المصلحه أخذها سلّبتنا منّا، وفي المنحه والمحنه مصلحه لنا.

والالتفات المستمر إلى حقيقه عودتنا إلى الله سبحانه وتعالى، يشعرنا بزوال هذه الحياه، وبأنّ نقص المواهب الماديه وتوفرها عرض زائل، ووسيله لارتقاء الإنسان إلى سيلم تكامله، فاستشعار العبوديه والعوده في عبارته (إنا لله وإنا إليه راجعون) له الأثر الكبير في تعميق روح المقاومه والاستقامه والصبر في النفس(٢).

ص: ٩٥

١- (١) الكافي: ج ٢، ص ٨٩ - ص ٩٠، ح ٧.

٢- (٢) روى عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنه قال: «إِنَّ قَوْلَنَا: إنا لله، إقرارٌ على أنفسنا بالملك، وقولنا: إنا إليه

ومن الواضح أنّ المقصود من قول هذه العبارة ليس ترديدها باللسان فقط، بل استشعار هذه الحقيقة، والالتفات إلى ما تنطوي عليه من توحيد وإيمان (١).

وقد يسأل سائل: لماذا هذا الاختبار الإلهي وبأشكاله المختلفة؟ من عادتنا نحن البشر أن نختبر الأفراد؛ لنفهم ما نجهله عنهم، فهل الله سبحانه وتعالى بحاجة إلى مثل هذا الاختبار لعباده، وهو العالم بكلّ الخفايا والأسرار؟! وهل هناك شيء خفي عنه سبحانه وتعالى حتى يظهر له من خلال ذلك؟!

والجواب: إنّ مفهوم الاختبار الإلهي يختلف عن الاختبار البشري؛ لأنّ اختبارات البشر بعضهم للبعض الآخر غايتها - كما ذكر آنفاً - لرفع الإبهام والجهل، وأمّا الاختبار الإلهي فالأمر فيه ليس كذلك، بل المقصود منه التربيته.

فالاختبار الإلهي يشبه عمل مزارع خبير، ينثر البذور الصالحة في الأرض الصالحة؛ كي تستفيد هذه البذور من مواهب الطبيعة، وتبدأ بالنمو، ثمّ تصارع هذه البذور كلّ المشاكل والصعاب بالتدرّج، وتقاوم الحوادث المختلفة كالرياح العاتية، والبرد الشديد، والحرّ اللّافح؛ لتخرج بعد ذلك نبتة مزهرة أو شجرة مثمرة، تستطيع أن تواصل حياتها أمام الصعاب.

وهذا هو سرّ الاختبارات الإلهية، فقد قال سبحانه وتعالى: **وَلِيَّبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيَّمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَ اللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢)**، فمع أنّه تبارك وتعالى عليم بذات الصدور، ولا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض، وما تسقط من ورقه ولا حبه في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلّا وهو تعالى مطلع عليه

ص: ٩٤

١- (١) تفسير الأمثال: ج ١، ص ٤٤٠ - ص ٤٤٢. (بتصرّف).

٢- (٢) آل عمران: آية ١٥٤.

وحاضر لديه، إلا أنه يتلى عباده لا ليفهم ويطلع، بل ليربى ويروض.

ومن هنا يقول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغه مبيناً سبب الاختبارات الإلهيه

«... وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم، ولكن لتظهر الأفعال التي بها يُستحقُّ الثواب والعقاب»<sup>(١)</sup>، أي أن الصفات الكامنه لا يمكن أن تكون وحدها معياراً للثواب والعقاب، فلا بد أن تظهر من خلال أعمال الإنسان، والله يختبر عباده؛ ليتجلى ما يضمرونه في أعمالهم، ولكي تنتقل قابلياتهم من القوه إلى الفعل، وبذلك يستحقون الثواب أو العقاب.

فإذا صبر الإنسان على ما ابتلاه به الله تبارك وتعالى من خوف، أو جوع، أو نقص في الثمرات، أو الأنفس، أو غير ذلك، أعطى الصبر نتائج؛ لأن لكل زرع ثمراً، ولكل فعل ردّ فعل.

وأول نتائج الصبر هذا هو ما ذكرته الآيه الأخيره من الآيات التي صدرنا بها المحاضره، وهي قوله تعالى: **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**، هذه الصلوات والرحمه تجعل هؤلاء على بصيره من أمرهم، في مسيرتهم الحياتيه المحفوفه بالمزلق والأخطار؛ لذلك تقول الآيه: **وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**<sup>(٢)</sup>.

والنتيجه الثانيه المترتبه على الصبر هي: الراحة في دار الدنيا، والثواب العظيم في الآخره.

والنتيجه الثالثه هي: حبّ الله تبارك وتعالى للصابرين، حيث قال تعالى: **وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**<sup>٣</sup>.

والنتيجه الرابعه هي: كون الله تبارك وتعالى معهم، إذ قال تعالى: **وَاللَّهُ يُحِبُّ**

ص: ٩٧

١- (١) نهج البلاغه: ج ٤، ص ٦٤٥، الحكمه رقم ٩٣.

٢- (٢) انظر: تفسير الأمثل: ج ١، ص ٤٤١.

والنتيجة الخامسة هي: التحية والسلام من الله عز وجل، قال تعالى: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ٢.

وهذا فيض من غيظ، وقطره من بحر متلاطم، من النتائج المترتبة على التمسك بالصبر، وإلا فالآيات عديده، والروايات كثيرة وكثيره جداً في الصبر وأجره وما أعدّه الله للصابرين، ممّا قد يخرج عن حدّ الإحصاء.

لقد روى أنّ نبيّ الله عيسى عليه السلام: «مَرَّ بِرَجُلٍ أَعْمَى وَأَبْرَصٍ وَمَقْعَدٍ، مَضْرُوبِ الْجَنِينِ بِالْفَالِجِ، قَدْ تَنَاثَرَ لَحْمُهُ مِنَ الْجَذَامِ، وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَى بِهِ كَثِيرًا مِنْ خَلْقِهِ. فَقَالَ لَهُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا هَذَا، وَأَيُّ شَيْءٍ مِنَ الْبَلَاءِ تَرَاهُ مَصْرُوفًا عَنْكَ؟ فَقَالَ: يَا رُوحَ اللَّهِ، أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ مَا جَعَلَ فِي قَلْبِي مِنْ مَعْرِفَتِهِ، فَقَالَ: صَدَقْتَ، هَاتِ يَدَكَ. فَنَاولَهُ يَدَهُ، فَإِذَا هُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَفْضَلُهُمْ هَيْئَةً، قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ مَا كَانَ بِهِ» (١).

هذا الرجل الذي سمعتم حكايته كان يحمد الله على معرفته به، ولكن من المقطوع به أنّه لم يُصب كما أصاب الدهر أبا عبد الله الحسين عليه السلام، صاحب المصيبة والرزية العظمى، حيث ورد عنه عليه السلام أنّه قال بعد أن تفاقم الخطب أمامه في كربلاء، واستشهد أصحابه وأهل بيته:

«هُوَ عَلَيٌّ مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بَعِينُ اللَّهِ» (٢).

ما أعظمكم يا آلٍ مُحَيِّدٍ! انظروا ما يقول: بأبي وأمي: إنّ الذي خَفَّفَ عَلَيَّ هذه المصائب، وهذه الرزايا والمحن كونها في منظر الله تبارك وتعالى، فهو يعلم بها، ويحتسبها

١- (٣) مُسَكَّنُ الْفُؤَادِ: ص ٨٧. بحار الأنوار: ج ٧٩، ص ١٥٣ - ص ١٥٤.

٢- (٤) اللهوف: ص ٦٩، عنه البحار: ج ٤٥، ص ٤٦.

عنده ليوم لا ريب فيه.

ولكن يقول كما يقول جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله:

«العين تدمع، والقلب يحزن... وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون» (١)، وكذلك: وإنا بفراقك يا عليّ الأكبر لمحزونون، وخاصّةً أنّه أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً بالنبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، فالحسين يوم عاشوراء - بالحقيقه - فقد النظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا ما يعظّم الخطب.

ولذا قالوا: إنّ أبا عبد الله الحسين عليه السلام صار في حاله احتضار عند مصرع ولده عليّ الأكبر، زينب تعلم بأنّه إذا بقى الحسين عند مصرع ولده عليّ واضعاً خده على خده سوف تفارق روحه الدنيا، فأرادت زينب عليها السلام أن تحافظ على حياه أخيها الحسين، وأن تشغله عن مصيبه ولده؛ لذا خرجت من الخيمه تنادى وا عليها وا نورَ بصراه وا ثمره فؤاداه، لما سمع الحسين صوت زينب قام إليها قائلاً: أخيه زينب ارجعي إلى الخيمه، لا تُشمتي بنا الأعداء، فرجعت عليها السلام، ولكن لما جىء به إلى الخيمه أقبلت حتّى رمت بنفسها على جسده، وهى تنادى: وا عليها.

هوت فوگه تحب خده وتشمه وغدت تصبغ وجهها إبيض دمّه

عسه إبعيد البله تكله يعمه عله التربان نايم ليش بالحزّ

بعد ذلك جاءت إليه أمّه ليلي - بعدما أتوا به إلى المخيم - وقعت عليه، احتضنته، وهى تشمه وتضمّه، وأحاطت به عمّاته وأخواته بيكينه ويندبنه، وكذلك حضر والده الحسين عليه السلام، وكأني به يخاطب ولده الأكبر عليه السلام:

ص: ٩٩

یبویه ایشلون ما تبجی الزجیه او گطع بینی الدهر وصلک علی

یبویه جدک اوجدتک هیه أعتنوا بینی یعزونی علی فگدک

یبویه یا لفجعنی ابفگدک البین یا روحی اوچدتی اوشوفت العین

اشحال أمک الظلت بالصواوین تهل اعیونها وتربی اعله دربک

\*\*\*

أما أمه لیلی فکأنی بها تخاطبه:

گلبی ایبا سبب بینی وداعی تصد عنی اولا تسمع وداعی

أنا ما أطلب بحگی وداعی گلی اوداعه الله اوهای هیه

\*\*\*

یا کوکباً ما کان أقصر عمره وكذا تكون كواكب الأسحار

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلیّ العظیم،

وسیعلم الذین ظلموا آل مُحَمَّدٍ أیُّ مُنْقَلَبٍ ینقلبون

والعاقبه للمتقین.

ص: ۱۰۰







خَانَ الزَّمَانَ بِنَا فَشْتَنَّا كَمَا خَانَتْ بَنُو صَخْرٍ بِيَعِهِ (مُسْلِم)

لَمْ أَنْسَهُ بَيْنَ الْعِدَى وَجَبِينُهُ كَالْبَدْرِ فِي لَيْلِ الْعَجَاجِ الْمَظْلَمِ

أَفْدِيهِ مِنْ بَطْلٍ مَهِيْبٍ إِنْ سَطَا لَفَّ الْجُمُوعَ مُؤَخَّرًا بِمَقْدَمِ

شَهْمٍ دَعَتْهُ إِلَى الْبَسَالَةِ هَاشِمٌ وَالشَّبْلُ لِلْأَسَدِ الْمَجْرَبِ يَنْتَمِي

حَتَّى إِذَا مَا أَتَخَنُوهُ بِالضُّ بِأَضْرَبًا وَفِي وَسْطِ الْحَفِيرَةِ قَدْ رُمِيَ

جَاءُوا إِلَى ابْنِ زِيَادٍ فِيهِ فَمُذِّ رَأَى لِلْقَصْرِ قَدْ وَافَاهُ غَيْرُ مُسْلِمِ

قَالَ اصْعَدُوا لِلْقَصْرِ وَارْمُوا جَسَمَهُ وَمَنْ الْوَرِيدِينَ اخْضَبُوهُ بِالْدَمِ

صَعَدُوا بِهِ لِلْقَصْرِ وَهُوَ مَكْبَلٌ تَجْرِي دِمَاؤُهُ مِنَ الْجَوَارِحِ وَالْفَمِ

قَتَلُوهُ ظَامٍ لَمْ يَبْلُ فَوَادَهُ أَفْدِيَهُ مِنْ ظَامِ الْحَشَا مُتَضَرِّمِ

دَفَعُوهُ مِنْ أَعْلَى الطَّمَارِ إِلَى الثَّرَى فَتَكَسَّرَتْ مِنْهُ حَنَائِيا الْأَعْظَمِ (١)

\*\*\*

ص: ١٠٣

١- (١) القصيدة للسيد مهدي الأعرجي رحمه الله، قال عنه السيد جواد شبر رحمه الله في أدب الطف (ج ٩: ص ١٩٣ - ص ١٩٨): «السيد مهدي الأعرجي ابن السيد راضي ابن السيد حسين ابن السيد علي الحسيني الأعرجي البغدادي، ولد السيد مهدي في النجف الأشرف سنة ١٣٢٢ هـ - ق، درس فن الخطابه على خاله الخطيب الشهير الشيخ قاسم الحلبي، زاول نظم الشعر وعمره أربعة عشر سنه، وأول قصيده نظمها هي قصيده في رثاء الإمام الحسن السبط عليه السلام: قضى الزكى فنوحوا يا محبيه وأبكو عليه فذى الأملاك تبكيه درس العربية والعروض على العلامة الكبير شيخ الأدب السيد رضا الهندي رحمه الله، توفي السيد مهدي سنة ١٣٥٩ هـ - ق غريقاً بشط الفرات في الحلة يوم الخامس من شهر رجب، جمع ديوانه شقيقه الخطيب السيد حبيب، وللسيد الأعرجي ظرافه وخفه روح بالرغم من الجهمه التي لا تفارق محيَّاه، فلا تكاد تفوته النادره والنكته، وأما ولاؤه لأهل البيت وتفانيه في حُبهم فهو من ألمع ميزاته، ولا زلت أتمثله في المآتم الحسينيه يجهش بالبكاء، وقد أفنى عمره في خدمه المنبر الحسيني».

يمسلم وين ذاك اليوم عباس يجيئك بشيمته ومفرع الراس

اويشوفك يوم صابك نذل الأرجاس وهويت من الكصر فوك الوطيه

يمسلم وين ذاك اليوم عمك يجيئك إيعاينك غارج إيدمك

وحيد ومحد من الناس يمك غريب إبهل البلد مالك تجيه

(أبوزيه)

عدوك چيف يا مسلم تجاره ابجل جسمك يشدونه تجاره

لمصابك دمع عيني تجاره اوعليك الروح يا مسلم شجيه

\*\*\*

قال تعالى: وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (١).

إنّ الغايه من خلق السماوات والأرضين وجميع المخلوقات، هي العباده والخضوع للخالق العظيم بتيّه خالصه عن طريق معرفته عزّ وجلّ.

ومن أهمّ الأسئلة التي تختلج في صدر كلّ إنسان: لِمَ خُلِقْنَا؟! وما الهدفُ من خلق الناس، والمجىء إلى هذه الدنيا؟!

لا- شكّ أنّ كلّ فردٍ عاقلٍ وحكيم حين يقوم بعمل ما فإنّما يهدف من وراء عمله إلى هدف معيّن، فكيف بالله تعالى، وهو الحكيم العليم الذي لا ينبغي قياسه بأيّ شيءٍ، ما هو هدفه من خلق الإنسان؟!

فهل كان يشعر بنقصٍ - أعوذ بالله - فارتفع ذلك النقص بخلق الإنسان؟!

أو كان محتاجاً - نستجير به تعالى - إلى شيء فارتفع الاحتياج بخلقنا؟!

وعليه فلا بدّ لله تبارك وتعالى من هدف؛ لأنّه سيّد العقلاء ولا يخلق شيئاً عن عبث،

ص: ١٠٤

فلا بدّ من هدف لله تبارك وتعالى وراء خلقه للإنسان.

وبحكم كونه تبارك وتعالى يمثل الكمال المطلق، وليس هناك من شيء يزيد أو ينقصه، لزم أن يكون الهدف عائداً للإنسان نفسه.

## فما هو الهدف إذن ؟

الهدف هو ما صرّحت به الآيه المباركه، وهو العبوديه، عبوديه الإنسان الناقص للكمال المطلق، عباده المحدود للامحدود.

إلاّ- أننا لو تأملنا في بعض الآيات القرآنيه الأخرى، لرأينا أنّها تشير إلى أهداف أخرى، ففي بعضها يصرّح القرآن الكريم بأنّ الهدف من الخلق هو الامتحان.

كما جاء في قوله تعالى: **وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ اذْجِعُوا فَارْجِعُوا هُؤَآ**.

وفي آيه أخرى نجد أنّ الهدف من خلق الإنسان هو حتّى يعلم بقدره الله تبارك وتعالى وعلمه عزّ وجلّ.

كما في قوله تعالى: **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَتَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (١)**.

وآيه ثالثة تشير إلى أنّ الهدف من الخلق هو الرحمه - رحمه الله - . قال تبارك وتعالى: **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (٢)**.

وأما الآيه التي هي محل البحث فهي - كما ذكرنا - صريحه بأنّ الهدف من خلق الله تبارك وتعالى للإنسان هو العباده، بل إنّها تحصر علّه وسبب الخلق في العباده، فما هو الوجه

ص: ١٠٥

١- (٢) الطلاق: آيه ١٢.

٢- (٣) هود: آيه ١١٨ - آيه ١١٩.

فى الحصر؁ ونحن نجد الآيات الأخرى تذكر أسباباً أخرى هى السبب فى الخلق؁ وخاصه الآيه الثالثه فهى صريحه جداً فى تعيين سبب الخلق؁ حيث قال تعالى: وَ لَدِلكَ خَلَقَهُمْ.

ولو تأملنا قليلاً- فى مفهوم هذه الآيات وما شابهها نرى أنه لا- تضاد ولا اختلاف بينها؁ ففى الحقيقه بعضها تشير إلى هدف مُقدّمى؁ وبعضها إلى هدف متوسط؁ وبعضها إلى هدف نهائى؁ وبعضها إلى النتيجه.

فالهدف الأصل هو (العبوديه)؁ وهو ما أشير إليه فى الآيه التى هى محل البحث؁ أمّا العلم والامتحان وأمثالهما فهى أهداف ضمن مسير العبوديه لله؁ ورحمه الله الواسعه نتيجه العبوديه لله تبارك وتعالى.

وهكذا يظهر لنا بكلّ وضوح أننا خُلقنا لعباده الله تبارك وتعالى؁ لكنّ المهم أن نعرف ما هى حقيقه هذه العباده؟!!

فهل المراد منها أداء المراسم أو المناسك اليوميّه وأمثالها من صوم وصلاه إلى غير ذلك؟ أو هى حقيقه وراء هذه الأمور وإن كانت المناسك كلّها واجده للأهميّه؟!!

وللإجابة على هذا السؤال ينبغى معرفه معنى كلمه (العبد) و (العبوديه) وتحليلها؁ فالعبد لغهً: هو الإنسان المتعلّق بمولاه وصاحبه من قرنه إلى قدمه؁ وإرادته تابعه لإرادته؁ وما يطلبه ويبتغيه تبع لطلب سيده وابتغائه؁ فلا يملك فى قبالة شيئاً؁ وليس له أن يُقصر فى طاعته(١).

وهذا مفهوم عام يشمل حتّى العبيد مع مواليهم العرفيين؛ ولذا يُذكر أنّ عبداً شاهد مولاه مهموماً؁ فقال هذا العبد - وكان مؤدّباً وعاقلاً - لمولاه: لماذا أنت مهموم؟

قال المولى: إنّى مديون والتفكير فى الديون سلبنى الراحه؁ فقال الغلام: حسناً؁ خذنى إلى سوق الرقيق؁ وأعرضنى للبيع وبشمنى سدد ديونك.

ص: ١٠٦

---

١- (١) انظر: تفسير الأمثل: ج ١٧؁ ص ١٣٢ - ص ١٣٤.

قال: إِنَّ لَدَى قَرُوضاً كَثِيرَةً وَثَمَنَكَ لَا يَكْفِي لِعُشْرِ قَرُوضِي.

قال الغلام: سَعَرَنِي بِنَفْسِ الْمَقْدَارِ الَّذِي أَنْتَ مَدِينٌ بِهِ.

قال المولى: إِنَّهُمْ لَا يَشْتَرُونَكَ بِهَذَا السَّعْرِ، قَالَ الْغَلَامُ: قَلَّ لِلزَّبَائِنِ إِنَّ هَذَا الْغَلَامَ لَدَيْهِ صَفْهُ حَسَنَةٌ جَدًّا وَارْتِفَاعُ سَعْرِهِ نَاجِمٌ عَنِ حَيَازَتِهِ تِلْكَ الصَّفْهُ، وَهِيَ أَنَّهُ يَعْرِفُ جَيِّدًا أُسْلُوبَ الْعَبُودِيَّةِ.

جاء المولى بالغلام - ولم يفهم مقصود الغلام جيداً - إلى سوق الرقيق، وسعّره بسعرٍ يعادل عشرة أضعاف سعره الطبيعي، مثلاً إذا كان السعر المتعارف لهذا الغلام عشرة آلاف دينار كان يقول إنني أبيع هذا الغلام بمئة ألف دينار. وكان كل من يسمع ذلك يضحك، إلى أن سأله إنسان عاقل عن سبب ارتفاع سعر الغلام.

قال المولى: إِنَّ ارْتِفَاعَ سَعْرِ الْغَلَامِ يَرْجِعُ إِلَى أَنَّهُ يَعْرِفُ طَرِيقَهُ الْعَبُودِيَّةَ جَيِّدًا.

قال الرجل: إذا كان كما تقول فقيمتُهُ أكثر من ذلك، إنني اشتري هذا الغلام بشرط هذه الصفه، وإذا لم أجدها فيه يحق لي فسخ المعامله.

وخلاصه الأمر: دفع هذا الرجل المبلغ وهو مئة ألف دينار، وأخذ الغلام للبيت، ومن أجل أن يعلم معرفه الغلام طريقه العبوديه أمر بضربه بالسوط، والغلام لا يبكي ولا يتأوه، ولا يسأل عن سبب ضربه بالسوط!

أمر الرجل بترك الغلام، ثم قال له: ألم تكن تشعر بالألم؟ قال: نعم، قال: ألم تكن تعلم أنك تضرب بدون سبب؟ قال الغلام: نعم، قال الرجل: إذن لماذا لم تحتج على ذلك؟

قال الغلام: أنا عبد وأنت مولى، ولا يليق أن يسأل العبد عن سبب تصرفات مولاه، فالعبد يجب أن يكون مطيعاً لمولاه مئة بالمئه، إذا أنعمت علي فأنا مطيع لك، وإذا ضربتني بالسوط أنا مطيع لك (1)، وهذا هو معنى العبد والعبودية، فهي تعني منتهى الخضوع والتسليم للمعبود.

ص: ١٠٧

والمعبود الوحيد الذى له حق العباده على الآخرين هو الذى بذل منتهى الإنعام والإكرام، وليس ذلك سوى الله سبحانه وتعالى.  
ثم إنَّ العباده على أقسام، فمنها: عباده المحييين والملتذيين والعارفين إلى غير ذلك من أنواع العباده التى تختلف باختلاف درجات القرب من المولى عزَّ وجلَّ، ومن هنا قسّم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العباده إلى أقسام ثلاثة، قال عليه السلام:  
«إنَّ قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادته التجار، وإنَّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادته العبيد، وإنَّ قوماً عبدوه شكراً فتلك عبادته الأحرار»(١).

وللعباده عدّه شروط مذكوره فى محلها، أهمها:

- ١ - النيه الخالصه لله: فليس الهدف من العباده إرضاء الناس أو الحصول على مكسب دنيوى، بل يعبد الله قربه إلى الله.
- ٢ - حضور القلب: فبدون حضور القلب تعتبر العباده ناقصه، والطريق إلى إكمالها هو الإتيان بالنوافل، كما أشارت إليه بعض الروايات الشريفه(٢).
- ٣ - العلم: فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: «لا خير فى عبادته لا فقه فيها»(٣).
- ٤ - الصلاه على محمّد وآل محمّد: فقد ورد أنّ الدعاء محجوب حتّى يصلّى العبد على محمّد وآل محمّد(٤).

ومن هنا قال الشافعى:

يا أهل بيت رسول الله حُبُّكُمْ فَرَضٌ مِنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ  
كَفَاكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْقَدْرِ أَنْكُمْ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ (٥)

ص: ١٠٨

- 
- ١- (١) نهج البلاغه: ج ٤، ص ٥٣.
  - ٢- (٢) انظر: وسائل الشيعة: ج ٤، ص ٥٣، باب عدد الفرائض اليوميه، ح ٢٢.
  - ٣- (٣) مشكاه الأنوار: ص ٢٤٢.
  - ٤- (٤) انظر: الكافى: ج ٢، ص ٤٩١، باب الصلاه على النبى وآله صلى الله عليه وآله، ح ١.
  - ٥- (٥) إعانه الطالبين: ج ١، ص ٢٠٠.



٥ - اليقين: فعن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال: «لا عبادة إلا بيقين»<sup>(١)</sup>.

فإذا جاء الإنسان بهذه الشروط توقع من الله عزّ وجلّ حينئذٍ الثمار المترتبة على العبادة، وأهم هذه الثمرات الفوز بالآخرة والحياه السعيده المطمئنه الأبدية، وغيرها من الثمرات الدنيويه والأخرويّه. وأعبّد عباد الله الأنبياء والأوصياء، ثمّ الأمثل فالأمثل.

وإذا أردنا أن نتعلّم العباده وحقيقتها وكنهها، فلا بدّ أن نراجع سيره أهل البيت عليهم السلام وأولادهم والذين نشأوا في بيوتهم وترّبوا في كنفهم.

كانوا يقضون أيامهم بالعباده، أمّا الليل فصافّون أقدامهم تالين لآيات القرآن، وأمّا النهار فصائمون حُلما أبرار.

ومن هذه البيوت، ومن هؤلاء الذين تغدّوا من ثدى الإمامه وعاشوا في كنفها، مسلم بن عقيل بن أبى طالب عليه السلام، كان في بيت طوعه، وقبيل الفجر جاءت إليه بماء ليتوضأ به قائلة: يا مولاي ما رأيتك رقدت البارحه - حيث قضى تلك الليله قائماً وقاعداً، راکعاً وساجداً - فقال لها: اعلمى أنّى رقدت رقدته فرأيت في منامى عمى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول: الوحي الوحي، العجل العجل، وما أظن إلاّ أنّه آخر أيامى من الدنيا.

فتوضأ وصلّى صلاه الفجر، وكان مشغولاً بدعائه إذ سمع وقع حوافر الخيول وأصوات الرجال، فعرف أنّه قد أتى إليه، فعجّل في دعائه، ثمّ لبس لامه حربه، وقال: يا نفس، اخرجى إلى الموت الذى ليس له محيص.

فقالته المرأة: سيدى أراك تتأهب للموت! قال: نعم، لا بدّ لى من الموت وأنتِ قد أدّيتِ ما عليك من البرّ والإحسان، وأخذتِ نصيبك من شفاعه رسول الله صلى الله عليه وآله، فاقتحموا عليه الدار وهم ثلاثمائه، وقيل: سبعون فارساً وراجلاً، فخاف مسلم أن يحرقوا عليه الدار، فخرج وشدّ عليهم حتّى أخرجهم من الدار، ثمّ عادوا إليه، فحمل عليهم وهو

ص: ١٠٩

يقاتلهم ويقول:

هو الموتُ فاصنعْ ويكُ ما أنتَ صانعُ فأنتَ بكأسِ الموتِ لا شكَّ جارِعُ

فصبراً لأمر الله جلَّ جلاله فحكم قضاء الله في الخلق واقِع

حتى قتل منهم واحداً وأربعين رجلاً، وكان من قوته أنه يأخذ الرجل بيده فيرمي به فوق البيوت، وعندما أكثر القتل فيهم، طلب قائد الجيش محمد بن الأشعث النجده من عبيد الله بن زياد قائلاً: أدركني بالخيل والرجال، فأنفذ إليه ابن زياد يقول: شككتك أمك وعدموك قومك. رجل واحد يقتل هذه المقتله العظيمه! فكيف لو أرسلتكَ إلى مَنْ هو أشدُّ بأساً؟ - يعني الحسين عليه السلام - فأرسل إليه ابن الأشعث يقول: تظنُّ أنك أرسلتني إلى بقالٍ من بقالى الكوفه؟ أو إلى جرمقان(1) من جرامقه الحيره؟ وإنما وجهتني إلى بطل همام، وشجاع ضرغام، من آل خير الأنام. فأرسل إليه بالعساكر وقال: إعطه الأمان فإنك لا تقدر عليه إلا به.

وقد أثنى مسلم بالجراح لأنهم احتوشوه من كلِّ جانبٍ ومكان؛ ففرقه ترميه من أعالي السطوح بالنار والحجاره، أخرى بالسيوف، وثالثه بالرماح، ورابعه بالسهام، وكان قد اشتبك مسلم عليه السلام مع بكر بن حرمان فضربه بكر على فمه الطاهر فقطع شفته العليا، فقال له ابن الأشعث: لك الأمان يا مسلم لا تقتل نفسك، فقال: أيّ أمانٍ للصدره الفجره؟ وأقبل يقاتلهم وهو يقول:

أقسمت لا أقتل إلا حُرّاً وإن رأيتُ الموتَ شيئاً نكراً

كلُّ إمري يوماً مُلاقٍ شراً أخاف أن أُخدَع أو اغرأ

ص: ١١٠

---

١- (١) الجرمقان: واحده جرموق، وهو ما يُلبس فوق الخفِّ، والجرامقه: قومٌ بالموصل أصلهم من العجم. انظر: مختار الصحاح:

وكان قد أثنى بالجراح حتى عجز عن القتال، فأسند ظهره إلى جنب جدار فضربوه بالسهام والأحجار، فقال: مالكم ترمونني بالأحجار كما تُرمي الكفار؟ وأنا من أهل بيت النبي المختار: ألا ترعون رسول الله في عترته؟

قال السيد ابن طاووس رحمه الله: «... وتكاثروا عليه بعد أن أثنى بالجراح، فطعنه رجل من خلفه فخرّ إلى الأرض، فأخذ أسيراً» (١).

وقيل: قد حفروا له حفيره فوقع فيها أثناء القتال. هذا وكانت طوعه واقفه وهي تخاطب القوم بلسان الحال:

(بحراني)

ظلت تناديهم يهل كوفان أرحموه هذا ابن أخو الكرار حيدر لا تسحبوه

خلوه يمشى براحتة كلبه شعبتوه خافوا من الله مالكم مذهب ولا دين

صاحت يمسلم يا عظمها خجلتي بيك شبيدي وأنه حرمة وضعيفه مگدر أحميك

لو يتركونك چنت أفت گلبی وداویک إنچان اسلمت من كيدهم سلم على احسين

گلهها يطوعه اليوم ما تحصل سلامه أوصيچ چان ابهل البلد طبو يتامه

ص: ١١١

گولی تره مسلم ییلغکم سلامه واجرچ علی الله والنبی سید الکونین

أركبوه علی بغله، وأخذوه إلى ابن زياد، فجعل يبكي، فقال له عبيد بن العباس: إنَّ مَنْ يطلب مثلَ الذي تطلب إذا نزل به مثل ما نزل بك لم يبكِ.

قال: والله، ما لنفسی بكیت ولكن أبكى لأهلی المقبلین، أبكى للحسين وآل الحسين عليه السلام.

(نعی مجارید)

وين الذي يوصل إبهالحين لرض المدينة ويخبر إحسين

مسلم وحيد أوماله إمعين ودارت عليه الكوم صوبين

چتفوه أوظل يدير بالعين

(نصاری)

يمسلم ريت لن هاشم زلمها تجي أويخفج علی راسك علمها

لاچن حيف ما واحد علمها وحيد أنت وغريب أدير العيون(1)

\*\*\*

إن كنت تحزنُ لأدكار قتيلٍ فاحزن لذكرى مُسلمِ بنِ عقيلٍ

\*\*\*

إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ ينقلبون

والعاقبه للمتقين.

ص: ۱۱۲





أناعى قتلى الطفِّ لازلت ناعياً تهيج على طول الليالى البواكيا  
أعد ذكرهم فى كربلاء إنَّ ذكرهم طوى جزعاً طىَّ السَّجَل فؤاديا  
ودع مقلتى تحمرُّ بعد ايضاضها بعد رزايا تركُّ الدمع داميا  
ستسى الكرى عيني كأنَّ جفونها حلفن بمن تنعاه أن لا تلاقيا  
وتعطى الدموع المستهلات حَقَّها محاجرُ تبكى بالعوادى غواديا  
وأعضاء مجدٍ ما توزعت الضبا بتوزيعها إلا الندى والمعاليا  
لئن فرقتها آل حربٍ فلم تكن لتجمع حتى الحشر إلا المخازيا  
ومما يُزيل القلب عن مستقره ويترك زناد الغيظ للحشر واريا  
وقوف بنات الوحي عند طليقها بحالٍ بها يُشجين حتى الأعدايا(١)

ص: ١١٥

١- (١) القصيدة لشاعر أهل البيت عليهم السلام السيد حيدر الحلبي، قال عنه السيد جواد شبر رحمه الله فى أدب الطف (ج ٨ ص ٨ - ص ١٤): «ولد السيد حيدر فى الحلة، وينتهى نسبه إلى الإمام أبى عبد الله الحسين عليه السلام، كان مولده (١٥) شعبان سنة ١٢٤٦ هـ - الموافق سنة (١٨٣٠ م)، وقبل أن يكمل عامه الثانى من عمره فقد والده فعاش يتيماً، وتولّى تربيته عمه السيد مهدي... كان شاعراً مجيداً من أشهر شعراء العراق أديباً ناثراً جيد الخط، نظم فأكثر ولا سيما فى رثاء الحسين عليه السلام... وقال عنه الزركلى فى (الأعلام): السيد حيدر شاعر أهل البيت فى العراق أديب إمامى شعره حسن، وكان مترفعاً عن المدح والاستجداء، موصوفاً بالسخاء، له ديوان شعر سماه (الدرّ اليتيم)، وأشهر شعره حولياته فى رثاء الحسين عليه السلام... ولا تظنَّ أن إبداعه يقتصر على مراثى أهل البيت، فإنَّ شعره فى شتى النواحي مزدان بالإبداع مرصوص الجوانب كالسلاسل الذهبية... ومن آثاره الأديبية: (كتاب دمية القصر فى شعراء العصر) وغيرها. توفى السيد حيدر فى مسقط رأسه - الحلة - عشية الأربعاء، فى الليلة التاسعة من ربيع الثانى، وعمره ٥٩ سنة، ودفن فى النجف الأشرف فى الجهة الشماليه من الصحن الحيدرى».

من طيّبت وشافت الديوان مشحون من كلّ بلد وامجان

ما بيهم الينغر وعوان كلّهم لأهل هالبيت عدوان

ويزيد على تخت المملك سلطان متنومس وبالنصر فرحان

وكام يتنشد على النسوان كصده اعرف زينب الخوان

من شافها عليها الحزن بان تشمت وسب داحى البيبان

حنّت وسال الدمع وديان

\*\*\*

قال تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ١.

لقد بُعث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى مجتمع تسوده عادات كثيرة نابعه من صميم الجاهلية، وتحكمه ثقافات متنوّعة، وأطياف متعدّدة، وألوان يتلوّن بها بحسب المصالح والمفاسد، وليس هذا الأمر على مستوى المجتمع بما هو مجموعه من الأفراد، بل الأمر أساساً كان منعكساً على الفرد بما هو فرد، حتّى على مستوى العقيدة، فضلاً عن المستوى العبادى.

وما هذه الآيه الشريفه إلا بيان موجز عن هذه الحالات التى كانت متأصلة فى هذا المجتمع، فجاءت لتبيّن لنا هذه الحالة، وتحذّرنا فى نفس الوقت من التورّط فيها والتعاطى معها.

وقد ذكر الواحدى أنّها نزلت فى أعراب كانوا يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة مهاجرين من باديتهم، وكان أحدهم إذا قدم المدينة فإن صحّ وعاش معافى بها، ونتجت فرسه مُهراً حسناً، وولدت امرأته غلاماً، وكثر ماله وماشيته، آمن به واطمأنّ، وقال: ما أصبت منذ دخلت فى دينى هذا إلا خيراً، وإن أصابه وجع المدينة، وولدت امرأته جاريه،



وأجهضت دوابه، وذهب ماله، وتأخرت عنه الصّيدقه، أتاه الشيطان، فقال: والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شراً، فينقلب عن دينه، فأنزل الله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ۱.

فمن أجل هكذا أناس من أهل المصالح العباديه، أمكن تقسيم المجتمع في كل زمانٍ ومكانٍ إلى مجموعاتٍ ثلاثه:

### المجموعه الأولى: المتّقون

وهم الذين تقبلوا الإسلام في جميع أبعاده، وفي السراء والضراء.

### المجموعه الثانيه: الكافرون

ويقعون في النقطه المقابله للمتّقين، ويعترفون بكفرهم، ولا يابون أن يظهرُوا عداؤهم للإسلام في القول والعمل.

### المجموعه الثالثه: المنافقون

#### إشاره

ولهم وجهان، فهم مسلمون ظاهراً أمام المسلمين، وكفّار أمام أعداء الدين، وشخصيتهم الأصلية هي الكفر طبعاً وإن تظاهروا بالإسلام.

وهذه المجموعه الثالثه تضرّ بالإسلام أكثر من المجموعه الثانيه؛ ولذا نرى أنّ القرآن يقابلهم بشدهٍ أكثر من الكفّار(١).

وأكثر هذه المجموعه والمجموعه الثانيه كانوا يعبدون الله على حرفٍ، كما وصفتهم الآيه محل البحث، فهي وما بعدها تتحدّث عن هذه المجموعه، وهم ضعاف الإيمان، الذين لم يدخل الإيمان إلى قلوبهم، وكان على طرف اللسان فقط، وقلوبهم لم تر بصيص

ص: ١١٧

---

١- (٢) انظر: تفسير الأمثل: ج ١، ص ٧٥.

الإيمان إلا الشيء القليل، حيث كانت هذه المجموعه تعيش على هامش الإيمان والإسلام لا فى عمقه، لأنَّ أحد معانى الحرف - كما سيأتى - هو حافه الجبل أو حافه الأشياء الأخرى، والذى يقف على الحافه لا يمكنه أن يستقر. فهو قلق فى موقفه هذا، يمكن أن يقع بهزّه خفيفه، وهكذا ضعاف الإيمان الذين يفقدون إيمانهم بأدنى سبب.

إنهم يطمثون إذا ضحكت لهم الدنيا وغمرتهم بخيراتها، ويعتبرون ذلك دليلاً على أحقيته الإسلام، إلا أنهم يتغيرون بسرعه، ويتجهون إلى الكفر إن امتحنوا بالمشاكل والقلق والفقر، فالدين لديهم وسيله للحصول على ما يبتغون فى هذه الدنيا، فإن تم ما يبغيه كان الدين حقاً، وإلا فلا(١).

وهؤلاء وأمثالهم تجد الدين عندهم أشبه ما يكون بالمتاع الذى يُشترى ويُباع؛ لذا روى عن أبى سعيد الخدرى أنه قال: «أسلم رجلٌ من اليهود فذهب بصره وماله وولده وتشاءم بالإسلام، فأتى النبىّ صلى الله عليه [وآله] وسلم فقال: أفلنى، فقال: إن الإسلام لا يُقال، فقال: إنى لم أصب فى دينى هذا خيراً، أذهب بصرى ومالى وولدى، فقال: يا يهودى، إن الإسلام يسبك الرجال كما تسبك النارُ خبث الحديد والفضه والذهب، قال: ونزلت وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ۚ ٢.

### ما هو الحرف؟

لأجل أن لا نفع فى عباده الحرف يلزمنا التعرّف على ماهية الحرف وحقيقته.

ففى الصّيحاح: «على حرف، قالوا: على وجهٍ واحدٍ، وهو أن يعبده على السراء دون الضراء، والحرف الناقه الضامره الصلبيه شبّهت بحرف الجبل... وكان الأصمعى يقول

ص: ١١٨

---

١- (١) انظر: المصدر نفسه: ج ١٠، ص ٢٩٥ - ص ٢٩٦.

الحَرْف: الناقه المهزله»(١)، وقريب منه ما قاله ابن فارس(٢).

وفى لسان العرب: «على حَرْفٍ أَى: على شكٍّ، فهو على حرفٍ من دينه غير متوسّط فيه ولا متمكّن، فلَمَّا كان وسط الشىء أفضله وأعدله جاز أن يقع صفه، وذلك فى مثل قوله تعالى وتقدّس: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا، أَى عدلاً»(٣).

وقال الراغب الأصفهانى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْتِيدُ اللَّهُ عَلَى حَرْفٍ: مُفسر ذلك بقوله بعده فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ الْآيَةِ، وفى معناه: مُدْبِئِينَ بَيْنَ ذَلِكَ، وانحرف عن كذا وتحرف واحترف، والإحتراف طلب حرفه للمكسب، والحرفه حالته التى يلزمها فى ذلك نحو القعدة والجلسه، والمحارف المحروم الذى خلا به الخير، وتحريف الشىء إمالتة، كتحريف القلم، وتحريف الكلام أن تجعله على حرفٍ من الإحتمال يمكن حمله على الوجهين، قال عزّ وجلّ: يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ - مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ - وَ قَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ.

والحرف ما فيه حراره ولدع كأنه محرف عن الحلاوه والحراره، وطعام حريف.

«نزل القرآن على سبعة أحرف»(٤).

«وقيل: الحرف، الشرط، أَى: ومن الناس من يعبد الله على شرطٍ، والشرط هو قوله: (فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ أَى: خير دنيوى من رخاء وعافيه وخصب وكثره مال... إِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أَى شىء يفتتن به من مكروه يصيبه فى أهله أو ماله أو نفسه انقلبت على وجهه أَى: ارتدّ ورجع إلى الوجه الذى كان عليه من الكفر...»(٥).

ص: ١١٩

١- (١) الصحاح: ج ٤، ص ١٣٤٢.

٢- (٢) انظر: معجم مقاييس اللغه: ج ٢، ص ٤٢.

٣- (٣) لسان العرب: ج ٧، ص ٤٢٨.

٤- (٤) مفردات غريب القرآن: ص ١١٤.

٥- (٥) فتح القدير: ج ٣، ص ٤٤٠.

والخلاصه: المقصود من الحرف في الآيه أحد معانٍ ثلاثه:

الأول: الوجه الواحد، كأن يعبد تبارك وتعالى في حاله السَّراء دون الضراء.

الثاني: الشكّ، فهو يعبد الله تبارك وتعالى وهو على شكّ في دينه.

الثالث: الشرط، يعبد الله بشرط السَّراء دون الضراء مثلاً. ويمكن أن يكون هناك وجه آخر في تفسير الحرف، أو وجوه لم تُعرض لها؛ لرجوعها إلى ما ذكرناه، مثل الضعف في العباده، والذي أشار إليه بعض العلماء (١).

### ما هو السبب في عباده الحرف؟

لقد تعرّفنا على معنى الحرف والعباده الحرفيه المضطربه، أو قل: عباده المصالح والشكّ والشروط، والآخ نريد أن نُعالج المشكله، ولا ريب أنّ علاج هكذا مشكله يستدعي أولاً: بيان السبب فيها، فما هو السبب لهكذا عباده حرفيه؟

السبب المهم في هكذا عباده يعود إلى نفس السبب الذي جاء به للعباده، فإن كان السبب قوياً صار خروجه منها صعباً، والعكس بالعكس أيضاً.

قال المازندراني رحمه الله: «لأنه كان داخلاً فيه بغير علم ولا يقين، فلذلك صار خروجه بغير علم ولا يقين، وقد قال العالم عليه السلام:

مَنْ دخل في الإيمان بعلم، ثبت فيه ونفعه إيمانه، ومَنْ دخل فيه بغير علم خرج منه كما دخل فيه. وقال عليه السلام: مَنْ أخذ دينه من كتاب الله وسنه نبيه صلى الله عليه وآله زالت الجبال قبل أن يزول، ومَنْ أخذ دينه من أفواه الرجال ردّته الرجال. وقال عليه السلام: مَنْ لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكبّ الفتن» (٢).

وقال الرازي: «(على حَرْف) أي: على طرفٍ من الدين لا في وسطه وقلبه، وهذا مثلاً؛ لكونهم على قلقٍ واضطرابٍ في دينهم لا على سكونٍ [و] طمأنينه، كالذي يكون على

ص: ١٢٠

١- (١) انظر: تفسير الثعلبي: ج ٧، ص ١٠. بحار الأنوار: ج ٩، ص ١٢٧.

٢- (٢) شرح أصول الكافي: ج ١، ص ٥٢.

طرفٍ من العسكر، فإن أحسَّ بغنيمه قرَّ واطمأنَّ، وإلا فرَّ وطار على وجهه؛ لأنَّ الثبات في الدين إنما يكون لو كان الغرض منه إصابه الحقَّ وطاعه الله والخوف من عقابه، فأما إذا كان غرضه الخير المعجَّل، فإنه يُظهر الدين عند السَّراء، ويرجع عنه عند الضراء، فلا يكون إلا منافقاً مذموماً، وهو مثل قوله تعالى: مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ»<sup>١</sup>.

إذن السبب في عباده الحرف يعود إلى ضعف الإيمان بالله تعالى، وضعف السبب الذي أوصله إلى الله عزَّ وجلَّ، فإن كان السبب قوياً صار الخروج من ربه هذا الإيمان صعباً جداً.

فمن هنا تبين السبب وبه يتبين العلاج، وهو أن يقوى الإنسان عقيدته بالله تبارك وتعالى عن طريق أخذه للمعارف الإلهية من منشأها الأصلي وطريقها الصحيح الذي يربط هذا الخلق بالحقِّ جلَّ وعلا.

فبعض الناس يريدون الدين - وللأسف - كما يشتهون وكما يحلو لهم.

قال السيّد ابن طاووس رحمه الله: «فإنَّ المستخير على غير ثقته ويقين بالاستخارات، بل إن جاءت كما يريد عمل بها، وإن جاءت بخلاف ما يريد توقّف عنها، ونفر منها، وقدح في الروايات، ما يؤمّنه أن يدخُلَ تحت عموم تهديد ووعيد سُلطان العالمين في قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ»<sup>٢</sup>.

والحاصل: إنّه لا يدخل في الدين متمكناً مستقراً<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ الطوسي: «وكلّ ذلك من عدم البصيره»<sup>(٢)</sup>.

فهؤلاء جعلوا عبادتهم كصفتهم في سوق تجاره، فإن أصابه خير في دنياه اطمأنَّ،

ص: ١٢١

---

١- (٣) انظر: حاشيه رفيع الدين النائيني على أصول الكافي: ص ٣٧.

٢- (٤) التبيان: ج ٧، ص ٢٩٦.

وقال: إنّ ديننا فيه الخير، فها هو يجلب النفع، ويدرّ الضرر، وينمي الزرع، ويكفل الرّوَّاج، وإن أصابته فتنة وابتلاء لم يتماسك له، انقلب على وجهه خاسراً الدنيا والآخرة(١).

ثمّ قالت الآية: فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ.

### ما المقصود من الخير والفتنة في الآية الشريفة؟

المقصود من الخير في الآية الشريفة هو ما تقدّمت الإشارة إليه في سبب نزول الآية المباركة.

فالمروى عن أبي جعفر عليه السلام فيه، قال:

«فإن أصابه خير، يعنى عافيه في نفسه وولده اطمأنّ به، ورضى به، وإن أصابته فتنة، يعنى بلاء في جسده أو ماله تطير وكره المقام على الإقرار بالنبى صلى الله عليه و آله فرجع إلى الوقوف والشك، فنصب العداوة لله ولرسوله، والجحود بالنبى وما جاء به»(٢).

فالخير هنا: الصّحّة في الجسم والسعة في المعيشة كما فسّره العيني في العمدة، وبخلافه الفتنة، فهي البلاء في الجسم والضيق في العيش(٣).

وقال البعض: الفتنة هي العذاب أو المصيبة(٤).

وقد تسائل الفخر الرازى قائلاً: «كيف قال: إنّ أصابته فتنة انقلب على وجهه؟

وأجاب: مثل هذا كثير في اللغة؛ لأنّ النعمة بلاء وابتلاء لقوله من أبصارهم ويحفظن فوجهنّ ولا يبدين زينتهنّ إلا، ولكن إنّما يُطلق اسمُ البلاء على ما يشتمل على الطبع، والمنافق

ص: ١٢٢

١- (١) انظر: الشفاء الروحي: ص ٩٦.

٢- (٢) الكافي: ج ٢، ص ٤١٣ - ص ٤١٤، ح ١.

٣- (٣) انظر: عمده القارئ: ج ١٩، ص ٦٩.

٤- (٤) انظر: معاني القرآن (النحاس): ج ٤، ص ٣٨٣.

ليس عنده الخير إلا الخير الدنيوي، وليس عنده شر إلا الشرّ الدنيوي؛ لأنه لا دين له، فلذلك وردت الآية على ما يعتقدون، وإن كان الخير كله فتنه، لكن أكثر ما يُستعمل فيما يشتد ويثقل»(١).

وقال ابن زنين: «هو المنافق، إن رأى في الإسلام رخاءً وطمأنينه طابت نفسه بما يُصيب من ذلك الرّخاء وقال: أنا منكم وأنا معكم، وإذا رأى في الإسلام شدّه، أو بليته لم يصبر على مصيبتها، وانقلب على وجهه كافراً وترك ما كان عليه»(٢).

### الخُسران المبين

ثمّ إنّ هذا المتلوّن والمضطرب في عبادته إن أصابته الفتنة انقلب إلى وجهه الحقيقي وهو الكفر، وبهذا الانقلاب عبرت الآية بأنّه خسر الدنيا والآخرة، وهو الخسران المبين.

فانقلب على وجهه وارتدّ، ورجع إلى وجهه الذي كان عليه من الكفر، والخُسرانُ المُبين الضلال الظاهر(٣).

أمّا خسارته في الدنيا؛ لأنّه يخسر فيها العزّه والكرامه، وإصابته الغنيمه، وأهليته الشهاده، والإمامه والقضاء، ولا يبقى ماله ودمه مصوناً.

وأما في الآخرة فيفوته الثواب الدائم، ويحصل له العقاب الدائم، وذلك ذلك هو الخُسرانُ المُبين ٤.

وبعبارة مُختصره: يخسر الجنّه وتحصل له النار(٤).

وأما أنّه ظاهر واضح «فلأنّه لا خسران أعظم وأظهر منه؛ لأنّ الخسران إمّا بفوات

ص: ١٢٣

١- (١) تفسير الرازي: ج ٢٣، ص ١٣ - ص ١٤.

٢- (٢) تفسير ابن زنين: ج ٣، ص ١٧٣.

٣- (٣) انظر: عمده القارئ: ج ١٩، ص ٦٩.

٤- (٤) انظر: تفسير التبيان: ج ٧، ص ٢٩٧.

المرغوبات الدنيوية، أو بفوات المثوبات الأخروية، أو بفواتهما جمعياً، وهذا أظهر وأبين من الأولين»(١).

«فخسر دنياه التي كان يحبها، فخرج منها، ثم أفضى إلى الآخرة وليس له فيها شيء»(٢).

وقد روى في معنى قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ، عن ابن مردويه: «بأسانيده عن سويد بن غفله أنه قال: كنت مع أبي موسى على شاطئ الفرات، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ اخْتَلَفُوا فَلَمْ يَزَلِ الْاِخْتِلَافُ بَيْنَهُمْ، حَتَّى بَعَثُوا حَكَمِينَ ضَالِّينَ، ضَلَّ مَنْ اتَّبَعَهُمَا. فقلت: أعيذك بالله أن تكون أحدهما، قال: فخلع قميصه، فقال:

بِرَأْيِي اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا بَرَأْنِي مِنْ قَمِيصِي. ولما جرى ليله الهرير صاحوا يا معاوية! هلكت العرب، فقال معاوية: يا عمرو نفرت أو نستأمن؟ قال: نرفع المصاحف على الرماح ونقرأ أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، فَإِنْ قَبِلُوا حُكْمَ الْقُرْآنِ رَفَعْنَا الْحَرْبَ وَرَافَعْنَا بِهِمْ إِلَى أَجَلٍ، وَإِنْ أَبَى بَعْضُهُمْ إِلَّا الْقِتَالَ فَلَلْنَا شُوكْتَهُمْ، وَتَقَعَ بَيْنَهُمُ الْفَرْقَةُ وَأَمَرَ بِالنِّدَاءِ...»(٣).

الكثير من الناس إيمانهم هكذا، مجرد لقلقه لسان، لا ثبات له في الجنان أبداً.

ومن العجيب أن يوصف بهذا الوصف سيّد شباب أهل الجنّة أبو عبد الله الحسين عليه السلام من قبل أعداء الله، حيث كان يقول عليه السلام:

«أَوْ لَمْ يَبْلُغْكُمْ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِي وَأَخِي: هَذَا سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟! فَإِنْ صَدَّقْتُمُونِي بِمَا أَقُولُ وَهُوَ الْحَقُّ، وَاللَّهُ مَا تَعَمَّدَتْ كَذِباً مِنْذُ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ يَمُقْتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ، وَإِنْ كَذَبْتُمُونِي فَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ لَوْ سَأَلْتُمُوهُ

ص: ١٢٤

١- (١) شرح أصول الكافي: ج ١٠، ص ١٣٠.

٢- (٢) تفسير مقاتل: ج ٢، ص ٣٧٨.

٣- (٣) مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ٣٦٣ - ص ٣٦٤.



عن ذلك أخبركم، سلو جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري و... و.. أما في هذا حاجزٌ لكم عن سفك دمي؟!؟

فقال له شمر بن ذى الجوشن: هو يعبد الله على حرفٍ إن كان يدرى.

فقال له حبيب بن مظاهر: والله، إنى لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنك صادق ما تدرى ما يقول، قد طبع الله على قلبك»(١).

نعم، لقد طبع الله على قلوب هؤلاء بحيث أصبح عندهم قتال ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه من أعظم القربات

قست القلوبُ فلم تمل لهدايه تبت لها تيك القلوب القاسيه

ومن ثمَّ رَوَّعوا الأطفال وعطشواهم، بل أماتوهم خوفاً وعطشاً وجوعاً؛ لذا لما جمعت السيده زينب عليها السلام الأطفال والعيال في مكان واحدٍ افتقدت يتيمتين، فذهبت تفتش عنهما، فوجدتهما في حفيره وقد ماتتا من العطش، والحادثه المؤلمه، وهناك حَفَرَتَا حَفْرَةً رَجَاءُ أَنْ يَظْهَرَ لِهَما المَاءُ ليرتويا منه، فماتتا من العطش بعد أن وضعت إحداهما يدها على رقبه الثانيه، ولفظتا نفسيهما، وقفت الحوراء زينب عليها السلام على مصرع الطفلتين - ساعد الله قلبها - تأكدت من وفاتهما نادت: أُخِيَه، أم كلثوم، إلیّ إلیّ. فأقبلت مسرعه، فقالت: ما الذى جرى؟ قالت: كما ترين، وأشارت إلى الطفلتين، وبعد إخراجهما من الحفيره حملت السيده زينب بين يديها طفله، وأم كلثوم الأخرى. هذا والقوم مشرفون يرون بأمّ أعينهم ما جرى، فأقبلوا إلى ابن سعد، وقالوا: إمّا أن تأذن لنا بسقى الأطفال وإلاّ سقيناهم دون إذنك، فخشى من العاقبه، قال: اسقوهم. فهبّ إلى الفرات منهم أربعون رجلاً، ملثوا القرب وأقبلوا بها والماء يتقاطر منهم، فلما شاهد الأطفال القرب وقد توجه بها القوم إليهم هربوا، والقوم من خلفهم، فصاحوا: يا أطفال الحسين، والله ما جئنا لنضربكم ولا

ص: ١٢٥

لنسلبكم، وإنما جئنا لننقذ حياتكم، جئنا بالماء فقفوا واشربوا.

قالوا: نحن ما هربنا من الضرب، ولا من السلب، ولا نهرب حتى من القتل بعد أن قُتل الحسين، ولكن هربنا من الماء!!

قالوا: لماذا؟! كان الماء مُحَرَّمًا فَحَلَّه لَكُمْ الْآنَ الْأَمِيرُ، فَضَجَّ الْأَطْفَالُ بِبِكَائِهِمْ وَكَأَنِّي بِهِمْ:

اشلون الماي لينه تحللونه وگبل ساعه على أينا اتحرّمونه

گظه وللعلگمی شابح إعيونه وذئی اثنين ماتن من هالبنات

أقبل القوم إلى زينب، قائلين لها: زينب، اشربي الماء لعلّ الأطفال يشربون إذا شربتي [كأني بها]:

تلتفت إلى أخيها الحسين وهو على رمضاء كربلاء:

من مرّت الناگه على جسمك حثيت اظل يحسين يّمك

انعاك وبنحرك اشّمك لكن أخاف أحجى وهظمك

يابن أُمّی بس ابهای أعلمك خذاني ابضرب السوط خصمك(١)

\*\*\*

إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبه للمتقين.

ص: ١٢٤





أبا صالحٍ يأمدرِكُ الثَّارِ كم تُرى وغيضُكٍ وارٍ غيرَ أنكَ كاظمُه  
وهل يَمُلِكُ الموتورُ صبراً وحوْلَه يروُحُ ويغدو آمنَ السربِ غارُمُه  
أتنسى أبايَ العظيمِ فى الطفِّ مُفرداً تناهَبُه سُمُرُ الرّدى وصوارُمُه  
أتنساهُ فوقَ الثُّربِ منقطِرَ الحشا تحومُ عليه للوداعِ فواطُمُه  
وربَّ رضيعٍ أَرْضَعْتَهُ قسِيَهُمْ من النَّبْلِ ثدياً دُرَّةُ الثَّرِّ فاطُمُه  
فلهفى له مُذْ طَوَّقَ السَّهْمُ جِيدَهُ كما زينتهُ قبلَ ذاكِ تمانُمُه  
ولهفى له لَمَّا أَحَسَّ بحرَّه وناغاهُ من طيرِ المنيه حائُمُه  
هفا لعناقِ السبِطِ مُبتَسِمَ اللُّما وداعاً وهل غيرُ العناقِ يلائُمُه  
ولهفى على أُمِّ الرضيعِ وَقَدْ دَجى عليها الدَّجى والدوْحُ ناحَتْ حمائمُه  
بنى أفيقُ من سكره الموتِ وارتضع بثديكٍ علَّ القلبَ يهدأ هائمٌ (١)

(تغريد الحزين)

الرباب اتصيح يا زينب عبد الله أريدنه

وليدي وحن عليه گلبى وأريد الساعه أرضعنه

تكلها بعد مايرضع صاحت بس أشمنه

وأعالج سهم البنجره إن چان أكدر على جرّه

أجره واجذب الحسره ونت ويلي اوطاحت

او هيته امغيره الحاله

ص: ١٢٩

١- (١) القصيده للمرحوم الشيخ محمد تقى الجواهرى رحمه الله، قال عنه فى من لا يحضره الخطيب (ج ١، ص ٣٣٢): «الشيخ محمد تقى الجواهرى، فقيهٌ وشاعرٌ، يمتاز بخلق عالٍ وتواضع جَمٍّ، ولد فى النجف الأشرف سنة ١٣٤٠ هـ -، أبوه الشيخ عبد

الرسول وإرث علوم آل الجواهرى، عرف بالعلم والتقوى منذ حدائه سنّه.

تلوج اوتون يم زينب اونوب اعله الزمان اتلوم

واتكول اشلون عبد الله عن صدرى صبح مفظوم

عليه شوفته بعدت ما شفته من امس لليوم

اشلون اگدر اعوفنه وامشى او لا اودعنه

رجواى انگطع منه بس كصدى اريد الساع

اشوفه وأنظر الحاله

\*\*\*

قال تعالى: وَ عِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (١).

الميزان والضابطه عندنا نحن البشر فى إضافه الصفات الحسنه أو سلبها عن الآخرين، هى الحب والبغض لهم، فنصف زيدا بأنه من نواه المجتمع، وأنه من الأخيار إذا أحبيناه، ولم نبغضه، وإلا فهو من أرذل خلق الله، هذا هو الشائع المعروف، وهذا لا ينافى أن تكون هناك حالات أخرى عند البعض لها ضابطها الخاص أسلوبها المعين.

لو نظرنا إلى المجتمع البشرى ولاسيما الإسلامى، لوجدنا هناك شخصيات خرجت من الدنيا وقد سلبت صفاتها ووضعت لآخرين، وهناك صفات حسنه ووصف بها اناس إذا رجعنا الى تاريخهم وجدناه أسود لا صله له بالخير، لا من قريب ولا من بعيد.

وهناك أناس تسلطوا على رقاب الآخرين، وأخذوا الأوصاف الحسنه والأسماء المثيره ووضعوها لأنفسهم، كما تجد ذلك صريحاً فى أسماء والقاب بنى العباس، مثل: المتوكل على الله، المعتصم بالله، المعتمد على الله، وغيرها الكثير.

ومن طريف القول أن أحداً جاء لجحا مستاءً أنه ليس له من هذه الأسماء والألقاب،

ص: ١٣٠

فأراد من جُحا أن يختار له اسماً مُناسباً من هذه الأسماء والألقاب، فقال له جُحا: لا يناسبك إلا أعوذ بالله.

والواقع أنه كذلك، فالكلُّ أعوذ بالله، لكن اتَّخذوا لهم ألقاباً وأسماءً تُلقت النظر؛ بُغية التغطية على جرائمهم وأفعالهم.

وهذا القرآن يذكر لنا عين ما نُريدُ قوله، ففرعون الذى عرفته البشريه يصف نبيَّ الله موسى بأنه مُفسدٌ، وصاحبُ بدعهٍ يجب أن يُقتل، فقال تعالى: وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (١).

وهذا هو ديدن الطغاه وأسلوبهم فى كلِّ عصر، كيل التَّهم للآخرين، والافتراء عليهم؛ حتى يقطعوا صله الناس بهم ويسقطوهم فى أعين مَنْ يعتبرونهم القدوه لهم.

والعجيب أن طغيان هؤلاء يصل أحياناً إلى مرتبه لا يروا فيها سوى أنفسهم، وأن قوام الكون بهم، ولولاهم لفسدت الحياه ومَن عليها، ويُنزلون أنفسهم منزله الله تبارك وتعالى، بل يُصرِّحون بذلك أحياناً، كما فعل ذلك فرعون وحكاه لنا القرآن الكريم، حيث يقول: وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أُطْعَمُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢).

كم هو عجيبٌ هذا الإنسان كيف يضع نفسه بدل جبار السماوات والأرض؟!

والخلاصه: وصف الإنسان للآخر أو لنفسه، على غير القياس أو القاعده الواقعيه التى يصف بها الله تبارك وتعالى الأشياء.

## وصف الله تبارك وتعالى:

### إشاره

إذا وصف الله تبارك وتعالى أحداً فإنه يصفه بوصفه اللائق به، سواء كان هذا

ص: ١٣١

١- (١) غافر: آيه ٢٦.

٢- (٢) القصص: آيه ٣٨.



الوصف ذمياً أم مدحاً؛ لأنَّ من صفاته الثابتة له تبارك وتعالى الواقعيَّة والصدق، كما في قصصه التي يقصِّها على الأنبياء والمرسلين، وهذا نحو منها.

فهو تبارك وتعالى ليس عنده ما عندنا نحن البشر من المِداهنه أو التملق، بل هو الحقُّ تبارك وتعالى، ولعلَّ ما نقوله يثبت بمجرد التأمل في هذه الآيات المباركات التي بيِّن فيها هذا المعنى في أحبِّ الخلق عليه النبيُّ الخاتم مُحمَّدٍ صلى الله عليه وآله حيث يقول: ( وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (١) ).

وكان سبب نزول هذه الآيات الشريفه هو تكذيب البعض لرسول الله عندما أخبرهم بأنَّ عليّاً خليفته من بعده، فاتهموه أنه كذب على الله، وأنه وصف ابن عمّه بغير ما يريد الله تبارك وتعالى.

فقد روى معاوية بن عمّار عن الإمام الصادق عليه السلام في خير: «لَمَّا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيَّْ مَوْلَاهُ. قَالَ الْعَدُو: لا- والله، ما أمره بهذا، وما هو إلا- شيء يتقوله، فأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ إِلَى قَوْلِهِ: عَلَيَّ الْكَافِرِينَ يَعْنِي مُحَمَّدًا...» (٢).

والخلاصه: أوصافه تبارك وتعالى هي الحقُّ، فعندما يصف فرعونَ بهذا الوصف: وَ إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُشْرَفِينَ ٣، يعنى: هو كذلك واقعا، ولم يكن هناك أى شكٍ أو شبهه.

وكذلك عند ما يصف نبيّه موسى عليه السلام حيث يقول: وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا.٤

ص: ١٣٢

١- (١) الحاقه: آيه ٤٤ - آيه ٤٧.

٢- (٢) مناقب آل أبي طالب: ج ٢، ص ٢٣٨.

وعندما يصف النبي الخاتم مُحمّداً صلى الله عليه وآله يقول عنه: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ١ ، فالأمر كذلك وصفاً وواقعاً.

ومن الأوصاف القرآنية، التي جاءت لتبين لنا طائفته خاصه اتّصفوا بأوصاف تليق بهم، وهي واقعته وصادقه كذلك - كما ذكرناه آنفاً - هذه الآيه الشريفة التي تتحدّث عن عباد الرحمان، والذي يريد أن يكون من هؤلاء العباد عليه أن يتّصف بهذه الصفات التي ذكرتها الآيه الشريفة، والتي هي بمثابة أوسمه على الصدور، وتيجان على الرؤوس.

### الصفه الأولى: عباد الرحمان

تبيّن هذه الآيات - الآيه محل البحث وما بعدها - اثنتي عشرة صفه من صفات المؤمنين الخاصه، حيث يرتبط بعضها بالجوانب الإعتقاديّه، فمنها أخلاقي، ومنها ما هو اجتماعي، بعضٌ منها يتعلّق بالفرد، وبعضٌ آخر بالجماعه، وهي أولاً وآخراً مجموعه من أعلى القيم الإنسانيّه، يقول تعالى: وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ٢ ، وأول هذه الصفات أنّهم (عباد الله) ويالها من مرتبه عظيمه أن يكون الإنسان قد اتّصف بهذه الصفه: عبد الله! ونحن نذكر كلّ يوم: أَنْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وقد أمرنا أن نُقدّم الشهاده بالعبوديه على الشهاده بالرساله، وهذا إن دلّ فإنّه يدلُّ على عِظَمِ هذه الصفه المُضافه له تبارك وتعالى.

وقد وصف الله جلّت قُدرته أنبياءه بهذه الصفه، حيث يقول: وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (١).

ص: ١٣٣

وهذا هو المعنى الذى اختاره رسول الله صلى الله عليه وآله عندما خيّر بينه وبين غيره، ففى الكافى الشريف عن مُحَمَّد بن مسلم قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يذكر أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله ملك، فقال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخَيِّرُكَ أَنْ تَكُونَ عَبْدًا رَسُولًا متواضعًا، أو ملكًا رسولًا، قال: فنظر إلى جبرئيل وأومأ بيده أن تواضع، فقال: عبدًا متواضعًا، رسولًا، فقال الرسول مع أنه لا ينقُصُكَ ممَّا عند ربِّكَ شيئًا، قال: ومعه مفاتيح خزائن الأرض» (١).

وكذا كان وصف عيسى بن مريم عليه السلام عندما عرّف نفسه للمُرجفين بأُمّه الصديقه، حيث يحكى لنا ذلك القرآن الكريم: يَا أُخْتِ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأً سَوْءٍ وَ مَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَ جَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَ أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١).

وهو الوصف نفسه الذى فقأ أمير المؤمنين به عين البلاغه، كما روى ذلك الشعبى، حيث قال: «تكلّم أمير المؤمنين عليه السلام بتسع كلمات ارتجلهن ارتجالاً، فقأن عيون البلاغه وأيتمن جواهر الحكمه، وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحدٍ منهن، ثلاث منها فى المُنَاجاه، وثلاث منها فى الحكمه، وثلاث منها فى الأدب، فأما اللاتى فى المُنَاجاه، فقال: إلهى كفى لى عزّاً أن أكون لك عبداً وكفى لى فخراً أن تكون لى ربّاً أنت كما أحب فاجعلنى كما تُحب» (٣).

وهى نفس الصفه التى أنكرتها جاريه بشر الحافى، كما روى العلامة الحلى رحمه الله حيث قال: «وعلى يده (الإمام الكاظم) عليه السلام تاب بشر الحافى؛ لأنه عليه السلام اجتاز على داره ببغداد، فسمع الملاهى وأصوات الغناء والقصب تخرج من تلك الدار، فخرجت جاريه ويدها

ص: ١٣٤

١- (١) الكافى: ج ٢، ص ١٢٢، ح ٥.

٢- (٢) مريم: آيه ٢٨ - آيه ٣١.

٣- (٣) الخصال: ص ٤٢٠، ح ١٤.

قمامه البقل، فرمت بها فى الدرب، فقال لها: يا جاريه، صاحب هذه الدار حُرٌّ أم عبدٌ؟ فقالت: بل حُرٌّ. فقال: صدقتِ، لو كان عبداً خاف من مولاه! فلما دخلت قال مولاها - وهو على مائده السكر - ما أبطأك علينا؟ فقالت: حدّثنى رجلاً بكذا وكذا، فخرج حافياً حتى لقيَ مولانا الكاظم عليه السلام، فتاب على يده» (١).

فالصفه الأولى - إذن - العبوديه لله وكفى بها من صفه، وكفى العباد فخراً حيث يتّصفون بها.

### الصفه الثانيه: التواضع

وثانى هذه الصفات بعد صفه عباد الرحمن تأتي صفه نفى الكبر والغرور والتعالى، الذى يبدو فى جميع أعمال الإنسان حتى فى طريقه المشى؛ لأنّ الملكات الأخلاقية تظهر نفسها فى حنايا أعمال وأقوال وحركات الإنسان، بحيث يصبح من الممكن جداً تشخيص بعض أخلاقه بدقه من كيفيه مشيته. نعم، إنهم متواضعون، والتواضع مفتاح الإيمان، فى حين يعتبر الغرور والكبر مفتاح الكفر، لقد رأينا بأّم أعيننا فى الحياه اليوميه، وقرأنا مراراً فى آيات القرآن: أنّ المتكبرين المغرورين لم يكونوا مستعدّين حتى ليصغوا إلى كلام القاده الإلهيين، وكانوا يتلقّون الحقائق بالسخرية، ولم تتجاوز رؤيتهم أبعد من أطراف أنوفهم، ترى أيمكن أن يجتمع الإيمان فى هذه الحال مع الكبر؟! (٢).

وبالجملة فاعلم أنّ التواضع مفتاح كلّ خير، والتكبر مفتاح كلّ شرٍّ؛ لأنّه يمنع صاحبه من تحصيل الفضائل، وتجنّب الرذائل، ولتفصيل الكلام فى ذلك مقام آخر.

والتواضع أمرٌ إضافى، تتعدّد أقسامه بحسب ما يُضاف إليه، كالتواضع لله تعالى ولأنبيائه ولأوليائه، والتواضع للمشايخ، والتواضع للوالدين، وللمعلّم، وللمتعلّم،

ص: ١٣٥

١- (١) منهاج الكرامه: ص ٥٩.

٢- (٢) انظر: تفسير الأمثال: ج ١١، ص ٣٠٥.

وللمؤمنين، وللشرفاء، وللعلماء، والتواضع في المسكن، وفي المجلس، والمطعم والمشرب، والملبس، والمنكح، والمشى، والكلام، إلى غير ذلك من الأقسام، ولكل من هذه الأقسام فوائد عظام، يوجب ذكرها الإطناب في الكلام والخروج عما هو المقصود في هذا المقام (١).

والهون - كما في المفردات - «الهوان على وجهين: أحدهما تدلل الإنسان في نفسه لما لا يلحق به غضاؤه فيمدح به، نحو قوله: وَ عِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا، ونحو ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله: المؤمن هين لئين. الثاني: أن يكون من جهه متسلط مستخف به فيذم به» (٢).

وبعبارة مختصرة: الذين يمشون على الأرض متواضعين لله عز وجل، ومتواضعين للناس غير مستكبرين، والتواضع لله يكمن في إطاعه وأوامره والتدلل في عبادته، فيرفعه الله عز وجل، فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ» (٣).

وعن النبي صلى الله عليه وآله:

«ثلاثة لا يزيد الله بهن إلا خيراً: التواضع لا يزيد الله به إلا ارتفاعاً، وذلل النفس لا يزيد الله به إلا عزاً، والتعفف لا يزيد الله به إلا غناً» (٤).

وهذه الصفة هي التي رفع الله بها بعض عباده المتتصفين بها، وأذل آخرين بتركها والتلبس بلباس التكبر الذي نهى الله عن ارتدائه، ففي الحديث القدسي إن الله يقول: «الكبرياء رداي فمن نازعني رداي قصمته» (٥).

وهذا الذي حصل لإبليس (لعنه الله)، حيث طرده الله من الجنة بالتكبر والتمرد على أوامر الله تبارك وتعالى، قال تعالى مبيناً قصته: إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١)

ص: ١٣٦

١- (١) انظر: مكيال المكارم: ج ١، ص ٤١٢.

٢- (٢) مفردات غريب القرآن: ص ٥٤٧.

٣- (٣) الكافي: ج ٢، ص ١٢٢، ح ٣.

٤- (٤) عدّه الداعي: ص ١٦٦.

٥- (٥) المستدرک علی الصحیحین: ج ١، ص ٦١.

فَإِذَا سَـوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَـجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَـجِيمٌ (٧٧) وَ إِنْ عَلَيْنِكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَ الْحَقُّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥).

ويقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد هذا المضمون القرآني:

«اعترضته الحميّه، فافتخر على آدم بخلقه، وتعصّب عليه لأصله، فعدو الله إمام المتعصّبين، وسلف المستكبرين، الذي وضع أساس العصبيّه، ونازع الله رداء الجبريه. وأدرع لباس التعرّز، وخلع قناع التذلل، ألا ترون كيف صغّره الله بتكبره، ووضع به ترفّعه، فجعله في الدنيا مدحوراً، وأعدّ له في الآخره سعيراً، ولو أراد الله أن يخلق آدم من نور يخطف الأبصار ضياءؤه، ويبهر العقول رواؤ(٢)، وطيب يأخذ الأنفاس عرفه لفعل، ولو فعل، لظلت له الأعناق خاضعه، ولخفت البلوى فيه على الملائكه، ولكنّ الله سبحانه يبتلى خلقه ببعض ما يجهلون أصله تمييزاً بالاختبار لهم ونفياً للاستكبار عنهم، وإبعاداً للخيلاء منهم، فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذا أحبط عمله الطويل وجهده الجهد، وكان قد عبد الله سنّه آلاف سنه لا يُدرى أمّن سنى الدنيا أم سنى الآخره عن كبر ساعه واحده، فمّن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيه؟ كلا، ما كان الله سبحانه ليُدخل الجنّه بشراً بأمر أخرج به منها ملكاً، إنّ حكمه في أهل السماء وأهل الأرض لواحد، وما بين الله وبين أحد من خلقه هواده في إباحه حمى حرّمه على العالمين، فاحذروا عباد الله أن يعديكم بدائه، وأن يستفزّكم بندائه، وأن

ص: ١٣٧

١- (١) ص: آيه ٧١ - آيه ٨٥.

٢- (٢) الرواء: - بضم ففتح - حسن المنظر.

يجلب عليكم بخيله ورجله...»(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: أن يا موسى أتدرى لِمَ اصطفتك بكلامي دونَ خَلقي؟ قال: يا ربِّ ولمَ ذاك؟ قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: أن يا موسى إنني قلبتُ عبادي ظهراً لبطنٍ فلم أجد فيهم أحداً أذل لي نفساً منك، يا موسى إنك إذا صليت وضعت خدك على التراب. أو قال: على الأرض»(٢).

هذا كله في التواضع لله عز وجل، وأما التواضع للناس وعباد الله فيكفيك ما قصه لنا القرآن الكريم في موعظه لقمان لابنه، حيث يقول: وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَلَا تَتَّبِعْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرْحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ(٣).

وفي صفه المؤمنين يقول تبارك وتعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ(٤).

كما أن الله تبارك وتعالى يأمر خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله بقوله تعالى: وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ٥ ، وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر الناس تواضعاً، كما جاء في وصفه صلى الله عليه وآله: «ويردف خلفه عبده أو غيره، ويركب ما أمكنه من فرس أو بغله أو حمار، ويركب الحمار بلا سرج وعليه العذار، ويمشي راجلاً وحافياً بلا رداء ولا عمامه ولا قلنسوه، ويشيع الجناز ويعود المرضى في أقصى المدينة، يجالس الفقراء ويواكل المساكين ويناولهم بيده، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم، يصل

ص: ١٣٨

١- (١) نهج البلاغه: ج ٢، ص ١٣٨ - ص ١٣٩، خطبه ١٩٢ (القاصعه).

٢- (٢) الكافي: ج ٢، ص ١٢٣، ح ٧.

٣- (٣) لقمان: آية ١٣ وآية ١٨.

٤- (٤) المائدة: آية ٥٤.

ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على غيرهم إلا بما أمر الله، ولا يجفوا على أحد، يقبل معذره المعتذر إليه»(١).

## علامات المتواضعين:

للمتواضعين علامات يُعرفون بها قد ذكرها لنا الأئمة عليهم السلام، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«ثلاث هنَّ رأس التواضع، أن يبدأ بالسلام من لقيه، ويرضى بالدون من شرف المجلس، ويكره الرياء والسمعه»(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إنَّ من التواضع أن يرضى الرجل بالمجلس دون المجالس، وأن يُسلم على من يلقى، وأن يترك المراء وإن كان محققاً، ولا يُحبُّ أن يُحمد على التقوى»(٣).

الصفة الثالثة: اللامبالاه المقترنه بالعزّه، وليست الناشئه من الضعف، هذه هي الصفة الثالثة التي أشارت اليها الآيه المباركه في قوله تعالى: وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا.

فالسّلام دليل عدم المقابله بالمثل حيال الجهله، وليس السّلام هنا بمعنى التحيه التي هي علامه المحيّه والرابطه للصدقه والإخلاص، يقول الله تبارك وتعالى: وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ(٤).

هذا هو رد نبى الله إبراهيم الخليل عليه السلام كما أشار إليه قوله تعالى: قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا(٥).

ص: ١٣٩

١- (١) مناقب آل ابى طالب: ج ١، ص ١٢٧.

٢- (٢) كنز العمال: ج ٣، ص ٧٠١، ح ٨٥٠٦.

٣- (٣) الخصال: ص ٣٨١، ح ٩.

٤- (٤) القصص: آيه ٥٥.

٥- (٥) مريم: آيه ٤٧.



وذهب العلامة الطباطبائي رحمه الله في بيان ذلك إلى القول: «أى إذا خاطبهم الجاهلون خطاباً ناشئاً عن جهلهم ممّا يكرهون أن يخاطبوا به أو يثقل عليهم، كما يستفاد من تعلق الفعل بالوصف، أجابوهم بما هو سالم من القول، وقالوا لهم قولاً سلاماً خالياً عن اللغو والإثم، قال تعالى: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا (٢٥) إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا الواقعه: ٢٦، ويرجع إلى عدم مقابلتهم الجاهل بالجهل. وهذه - كما قيل - صفه نهارهم إذا انتشروا فى الناس، وأما صفه ليلهم فهى التى تصفها الآيه التاليه قوله تعالى: وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا» ١.

ومن طريف الرؤيا ما ذكره فى المناقب حيث قال: «كان إبراهيم بن المهدي شديد الانحراف عن أمير المؤمنين عليه السلام، فحدثت المأمون يوماً، قال: رأيتُ علياً فى النوم فمشيت معه حتى جئنا قنطرةً، فذهب يتقدمنى لعبورها، فأمسكته وقلتُ له: إنما أنت رجلٌ تدعى هذا الأمر بأمره، ونحن أحقُّ به منك، فما رأيتُه بليغاً فى الجواب، قال: وأى شئٍ قال: لك؟ قال: ما زادنى على أن قال: سلاماً سلاماً. فقال المأمون: قد والله، أجابك أبلغ جواب، قال: كيف؟ قال: عرفك أنك جاهلٌ لا تُجاب، قال الله عز وجل: وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا» ٢.

وللسلام مظاهرٌ وتجلياتٌ يظهر بها، مثل الصبر والحلم وسعه الصدر، خصوصاً إذا كان الإنسان مُتصدِّياً وقائداً، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «آله الرئاسه سعه الصدر» (١)، وكم هو صعب أن يعفو الإنسان عمّن ظلمه، ويُقابله بالإحسان بعد مقابلته له بالإساءه، قال تعالى: وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ

ص: ١٤٠

وَ بَيَّنَّهُ عَدَاوَهُ كَأَنَّهُ وَلِيُّ حَمِيمٍ (٣٤) وَ مَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ مَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ «(١).

وهذا الخلق هو الذى قابل به رسول الله صلى الله عليه وآله أهل مكة عند الفتح، كما رواها لنا التاريخ ورواه أهل الحديث، قال العلامة المجلسى رحمه الله: «وسعى أبو سفيان إلى رسول الله عليه وآله، وأخذ غرزه فقبله، وقال: بأبى أنت وأُمى، أما تسمع ما يقول سعد؟ إنه يقول:

اليوم يوم الملحمة اليوم تُسى الحُرمة

فقال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام

: أدركه فخذ الرايه منه، وكن أنت الذى يدخل بها، وأدخلها إدخالاً رفيقاً. فأخذها علي عليه السلام وأدخلها كما أمر، ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله مكة، دخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنون أن السيف لا يُرفع عنهم، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله ووقف قائماً على باب الكعبة، فقال:

لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل مالٍ ومأثره ودم يُدعى تحت قدمي هاتين إلا سدانه الكعبة، وسقايه الحاج، فإنهما مردودتان إلى أهليهما، ألا إن مكة مُحَرَّمَةٌ بتحريم الله، لم تحل لأحدٍ كان قبلى، ولم تحل لى إلا ساعه من نهار، وهى مُحَرَّمَةٌ إلى أن تقوم الساعة، لا يختلى خلاها، ولا يقطع شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تحلُّ لقطتها إلا لمنشد. ثم قال: ألا- لبس جيران النبى كُنتم، لقد كذبتكم وطردتم وأخرجتم وأذيتكم، ثم ما رضيتم حتى جئتمونى فى بلادى تقاتلونى، اذهبوا فأنتم الطلقاء»(٢).

فكأن هذه العبارة صارت علماً لهؤلاء من ذلك اليوم، ويُقال لأبى سفيان ومعاوية وغيرهم من قريش: الطلقاء، يعنى طلقاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وإلى هذا أشارت الحوراء زينب عليهما السلام فى خطبتها فى مجلس يزيد بقولها عليهما السلام: أمِن العدل يا بن الطلقاء - يعنى يا يزيد -

ص: ١٤١

١- (١) فصلت: آيه ٣٤ - آيه ٣٦.

٢- (٢) بحار الأنوار: ج ١، ص ١٠٦.

أتعرف من أنت ومن أبوك وجدك؟ أو تدرى ما صنع جدى مع جدك وأبيك فى يوم فتح مكة حين مكّنه الله من رقابهم وسلّطه عليهم وأخذهم أسراء؟ فكلّ ما أراد أن يفعل بهم كان له أن يفعل، ومع ذلك عفى عنهم وأطلقهم، وقال اذهبوا فأنتم الطلقاء، يا يزيد، فهذا جزاؤه! بأن قتلت حسيناً وقتلت أصحابه وأهل بيته وسيّت نساءه وعياله وأطفاله من بلد إلى بلد! (١) وهو نفس الإستغراب والتعجب الذى نقله لنا ابن خلكان فى وفيات الأعيان، حيث يقول: «وقال الشيخ نصر الله بن مجلى مشارف الصنّاعه بالمخزن وكان من ثقات أهل السنّه: رأيت فى المنام على بن أبى طالب رضى الله عنه، فقلت له: يا أمير المؤمنين فتتحون مكة فتقولون من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ثم يتّم على ولدك الحسين يوم الطّف ما تمّ! فقال: أما سمعت آيات ابن الصيفى فى هذا؟ فقلت: لا. فقال: اسمعها منه. ثم استيقظت فبادرت إلى دار حيص بيص، فخرج إلىّ فذكرت له الرؤيا فشهِق وأجهش بالبكاء وحلف بالله إن كانت خرجت من فمى أو خطى إلى أحد، وإن كنت نظمتها إلا فى ليلتى هذه، ثم أنشدنى:

ملكنا فكان العفو منا سجيّه فلما ملكتم سال بالدم أبطح

وحللتكم قتل الأسارى وطالما غدونا على الأسرى نعف ونصفح

فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكلّ إناء بالذى فيه ينضح» (٢)

نعم، ماترك الطلقاء شيئاً إلا وفعلوه، حتى الطفل الرضيع، جاءت الحوراء زينب عليهما السلام لأخيها الحسين عليه السلام وهى تحمل بيدها ولده الرضيع، فقالت له: «يا أخى، إن ولدك عبد الله ما ذاق الماء منذ ثلاثه أيام، فاطلب له من القوم شربه تسقيه. فأخذه ومضى به إلى القوم، وقال: يا قوم، لقد قتلتكم أصحابى وبنى عمى وإخوتى وولدى، وقد بقى هذا

ص: ١٤٢

١- (١) شجره طوبى: ج ٢، ص ٣٠٣.

٢- (٢) وفيات الأعيان: ج ٢، ص ٣٦٥.

الطفل، وهو ابنُ ستِه أشهر، يشتكى من الظمّ، فاسقوه شربهً من الماء.

فبينما هو يخاطبهم إذ أتاه سهم فوق في نحر الطفل فقتله... يقول الحسين عليه السلام: اللهم إنك شاهدٌ على هؤلاء القوم الملاعين، إنهم قد عمدوا أن لا يبقوا من ذرية رسولك صلى الله عليه و آله. وهو يبكي بكاءً شديداً<sup>(١)</sup>

وكانني بأمة الرباب تواسى أباه الحسين عليه السلام بكائها:

ميامن للحرز ن نصب ونبى رمانى حرمله اسهمه ونبى

الطفل عاده يفطمونه ونبى انظم ياناس بسهام المنيه

ورضيعه بدم الورى - - د مخضب فاطلب رضيعه

\*\*\*

إنّا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أيّ منقلبٍ ينقلبون

والعاقبه للمتقين

ص: ١٤٣

---

١- (١) ينابيع الموده: ج ٣، ص ٧٩.







حامى الظعينة أين منه ربيعه أم أين من عليا أبيه مكدم

ما راعهم إلا تقحّم ضيغم غضبان يعجم لفظه ويدمدّم

صبغ الخيول برمحه حتى غدت سيان أشقر لونها والأدهم

عرف المواعظ لا تفيد بمعشر صموا عن النبأ العظيم كما عموا

فانصاع يحطب بالجماجم والكلا فالسيف ينثر والمثقف ينظم

وهوى بجنب العلقمي فليته للشاربين به يداف العلقم

ومشى لمصرعه الحسين وطرفه بين الخيام وبينه متقسّم

ألفاه محجوب الجمال كأنه بدر بمنحطم الوشيج ملثم

فأكب منحنياً عليه ودمعه صبغ البسيط كأنما هو عندم

قد رام يلممه فلم ير موضعاً لم يدمه عض السلاح فيلثم

نادى وقد ملأ البوادي صيحة صم الصخور لهولها تتألم

أخى من يحمى بنات محمد إن صرن يسترحن من لا يرحم

هونت يا بن أبي مصارع فتيتي والجرح يسكنه الذي هو ألم

هذا حسامك من يذب به العدى ولوأك هذا من به يتقدم (١)

ص: ١٤٧

١- (١) القصيدة للسيد جعفر الحلبي رحمه الله، انظر رياض المدح والثناء: ص ٢٤٣، قال عنه السيد جواد شبر رحمه الله في أدب الطف: (ج ٨، ص ٩٩ - ص ١١٠): «السيد جعفر كمال الدين الحلبي النجفي. عُرفت هذه الأسره بالانتماء الى الجدد السادس لصاحب هذه الترجمة، وهو السيد كمال الدين بن منصور، فهو جد الأسره الكماليه المنتشره في الحله وضواحيها والنجف والكوفه، وقد كتب عنها مفضيلاً الخطيب اليعقوبي في (البابليات)، كما أقام الشواهد على شاعريته وسرعه البديهة عنده، وديوانه أصدق شاهد على سمو شعوره، وكان من حقه أن يطلق اسم (سحر بابل وسجع البلابل) على ديوانه قبل أن يجمع، والذي جمعه أخوه السيد هاشم بعد وفاه الشاعر. توفي فجأه في شعبان لسبع بقين من سنة ١٣١٥ هـ -، ودفن في وادي السلام بالنجف الأشرف عند قبر والده على مقربة من مقام الإمام المهدي... نشأ السيد جعفر فاستطرف قدر حاجته من مبادئ النحو والصرف والمنطق





ناده احسين يعباس هذا لواك ظل يندب ومهرک بالحرب ينعاك

إنكسر ظهري ولا أگدر لفرگاك

ص: ١٤٨

وافراگک ییو فاضل علی یصعب یعباس حسّ احسین یمّک

یبچی و خلط دمعہ بفیض دمّک و حایر ییو فاضل ابلّمک

وسکنه تسلی الطفل باسمک تگلّه ساعه ویجیب المای عمّک

یخویه ایست سکنه من المای تجی یمی ذلیلّه وتوگف احذای

یخویه من العطش رادت تجی اویای تگلکک وین وعدک یلمشکر

ص: ۱۴۹

قال تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ (١).

## الإشارة:

هو أرفع درجات الجود والسخاء، وهو أن وجود الإنسان بما لديه من مالٍ، أو نفسٍ، أو غيرهما ممّا هو نفيس؛ ليقدم غيره عليه.

روى الثعلبي - وهو من مفسري العامّة المعروفين - في تفسيره: أنّ النبي صلى الله عليه وآله لما أراد الهجرة إلى المدينة خلف عليّ بن أبي طالب بمكة؛ لقضاء ديونه وأداء الودائع التي كانت عنده، وأمره ليله خروجه من الدار وقد أحاط المشركون بها بأن ينام على فراشه، وقال له: أتشح ببرد الحضرمي الأخضر، ونم على فراشي، وإنه لا يصل منهم إليك مكروه إن شاء الله تعالى. ففعل ذلك عليّ فأوحى الله تعالى إلى جبرائيل وميكائيل: إنّي آخيتُ بينكما، وجعلتُ عمراً أحداً أطول من الآخر، فأيكما يؤثّر صاحبه بالحياه؟ فاختر كلاهما الحياه، فأوحى الله تعالى إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمّد، فبات علي فراشه يُفدّيه بنفسه ويؤثره بالحياه؟! انزلا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه.

فتزلا فكان جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، وجبرائيل يُنادي: بخ بخ، من مثلك يا علي، يباهي الله تبارك وتعالى بك الملائكة، فأنزل الله على رسوله وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي (هذه الآية (٢)).

## ولهذا سُميت هذه الليلة التاريخيه بليله المبيت.

ويقول أبو جعفر الإسكافي: إنّ حديث الفراش قد ثبت بالتواتر، فلا يجحده إلاّ

ص: ١٥٠

١- (١) البقره: آيه ٢٠٧.

٢- (٢) انظر: تفسير الثعلبي: ج ٢، ص ١٢٦.

مجنونٌ وغيرُ مخالطٍ لأهلِ المله (١).

هذا نوع من أنواع الإيثار، والذي يُعتبر من أهم أنواع الإيثار؛ لأنه إيثار بأعزّ شيء وهو النفس، وكان مصداقه في الآية الشريفه أمير المؤمنين عليه السلام.

والجود بالنفس أقصى غايه الجود (٢).

وهناك نوع آخر من الإيثار، وهو نوع مهم لا تقل أهميته عن سابقه، وهو ما أكد عليه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وعمل به الأنصار مع المهاجرين، حتى نزلت فيهم آيه، بل آيات.

قال عزّ من قائل: وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْزُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ (٣).

يقول ابن عباس: «إنّ الرسول صلى الله عليه وآله بين للأنصار - يوم الانتصار على يهود بنى النضير - إذا كنتم ترومون المشاركة في حصه المهاجرين من الغنائم فشاطروهم بتقسيم أموالكم وبيوتكم، وإذا أردتم أن تبقى بيوتكم وأموالكم لكم فلا شيء لكم من هذه الغنائم.

فقال الأنصار: علام نقاسم بيوتنا وأموالنا معهم؟ نقدّم المهاجرين علينا ولا نطمع بشيء من الغنائم. فنزلت هذه الآية تعظّم هذه الروح العاليه (٤).

نعود للآيه، فهي بالرغم من أنّها تتعلّق - كما ذكرنا آنفاً - بحادثه هجره النبي صلى الله عليه وآله وتضحيه الإمام على عليه السلام ومبيته على فراشه صلى الله عليه وآله، ولكن مفهومها ومحتواها الكلى عامّ وشامل، وفي الحقيقه إنّها تقع في النقطه المقابله للآيات السابقه عليها (٥)، التي تتحدّث عن

ص: ١٥١

١- (١) انظر: تفسير الأمثل: ج ٢، ص ٧٢ - ص ٧٣.

٢- (٢) انظر: تفسير مجمع البيان: ج ٢، ص ٣٥.

٣- (٣) الحشر: آيه ٩.

٤- (٤) تفسير الأمثل: ج ١٨، ص ١٩٤.

٥- (٥) وهى قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ \* وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ). البقره: آيه ٢٠٤ - آيه ٢٠٦.

المنافقين الذين يحاولون أن يحققوا لأنفسهم في المجتمع عزّة وكرامهً عن طريق النفاق، ويتظاهرون بالإيمان بأقوالهم، بينما أعمالهم ليس فيها سوى الإفساد في الأرض، وإهلاك الحرث والنسل.

أمّا الطائفة الثانية الذين يشرون أنفسهم، فتعاملهم مع الله وحده، حيث يُقدّمون أرواحهم رخيصةً في سبيله ولا يبغون سوى رضاه، ولا يطلبون عزّةً ولا رفعةً إلاّ بالله، وتضحيات هؤلاء تصلح أمر الدين والدنيا، ويستقيم بها شأن الحقّ والحقيقه، وتصفو ببركتها حياه الإنسان وتثمر شجره الإسلام.

وممّا يلفت النظر: أنّ البائع هو الإنسان والمشتري هو الله تعالى، والبضاعة هي النفس، وثمرتها رضوان الله تعالى، في حين نرى في موارد أخرى أنّ ثمن مثل هذه المعاملات هو الجنّة الخالده والنجاه من النار، من قبيل قوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ (١)**.

هذه الآيه وحين الإلتفات إلى سبب النزول المذكور آنفاً نجدها تقدّم أعظم الفضائل للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وإن كانت فضائله قد تجاوزت الحصر والعدّ، ولكنّ هذه الفضيله كانت في صدر الإسلام من الوضوح بمكان، دعت معاويه العدو اللدود للإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يرشى (سمره بن جندب) بأربعمائه ألف درهم؛ كى يروى حديثاً مختلفاً يثبت فيه فضيله هذه الآيه لعبد الرحمن بن ملجم، وقد اختلق هذا المنافق الجاني هذه الفريه (٢)، ولكنّ أحداً لم يقبل منه حديثه المجعول.

وهناك نوع ثالث من الإيثار، وهو الإيثار بالطعام والشراب، وهو كسابقه؛ الإيثار بالنفس والإيثار بالأموال ونحوه، وكان من أبرز مصاديق هذا الإيثار، بل المعلّم له هو

ص: ١٥٢

١- (١) التوبه: آيه ١١١.

٢- (٢) انظر: شرح نهج البلاغه: ج ٤، ص ٧٣.

النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

ولذا روى الثعلبي، وغيره من المفسرين: «إنَّ الحسن والحسين عليهما السلام مرضا فعادهما جدَّهما رسول الله صلى الله عليه وآله، وعادهما عامه العرب، فقالوا: يا أبا الحسن، لوندرت لولديك نذراً، فقال عليه السلام: إنَّ برئ ولدای ممَّا بهما صمت ثلاثة أيام شكراً لله تعالى. وقالت فاطمه: مثل ذلك، وقالت جاريتها فضه: إن برئ سيِّدای ممَّا بهما صمت ثلاثة أيام شكراً لله تعالى عزَّ وجلَّ. فألبسا العافيه، وليس عند آل محمّد صلى الله عليه وآله لا قليل ولا كثير، فأجر على عليه السلام نفسه ليله إلى الصبح يسقى نخلاً بشيء من شعير وأتى به إلى المنزل، فقسمته فاطمه عليها السلام إلى ثلاثة، فطحنت ثلثاً، وخبزت منه خمسه أفراص، لكل واحد منهم قرص، وصلى أمير المؤمنين عليه السلام صلاة المغرب مع رسول الله، ثمَّ أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه، فجاء مسكين فوقف بالباب، وقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمّد، مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنّة، فسمعه على عليه السلام فقال: أطعموه حصّتي. قالت فاطمه عليها السلام: كذلك، والباقون كذلك فأطعموه الطعام، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلاّ الماء القراح. فلمّا كان اليوم الثاني طحنت فاطمه عليها السلام ثلثاً آخر وخبزته، وأتى أمير المؤمنين عليه السلام من صلاة المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وآله فوضع الطعام بين يديه، قال: فجاء يتيم من أيتام المهاجرين، وقال: استشهد والدى يوم العقبة، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنّة، فسمعه على فاطمه عليهما السلام والباقون، فأطعموه ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا إلاّ الماء القراح. فلمّا كان اليوم الثالث قامت فاطمه عليها السلام إلى الثلث الباقي وطحنته وخبزته، وصلى على عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله، ثمَّ أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه، فجاء أسير فوقف بالباب، وقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمّد، تأسرونا ولا تطعمونا أطعمكم الله من موائد الجنّة، فأنى أسير محمد صلى الله عليه وآله، فسمعه على عليه السلام فأثره وآثروه معه، فمكثوا ثلاثة أيام لباليها لم يذوقوا إلا الماء القراح، فلمّا كان اليوم الرابع، وقد وفوا بنذرهم أخذ على عليه السلام

الحسن بيده اليمنى والحسين بيده اليسرى وأقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع، فلما بصر بهم النبي صلى الله عليه وآله قال:

يا أبا الحسن، ما أشدّ ما يسوؤنى ما أرى بكم، انطلق بنا إلى ابنتى فاطمه. فانطلقوا إليها وهى فى محرابها تصلى وقد لصق بطنها بظهرها من شدّة الجوع، فلما رآها النبي صلى الله عليه وآله قال:

وا غوثاه، أهل بيت محمّد يموتون جوعاً! فهبط جبرائيل عليه السلام وقال: خذ يا محمّد، هناك الله فى أهل بيتك. قال: وما آخذ يا جبرائيل؟ قال: هل أتى على الإنسان، إلى آخر السوره»(١).

وقد جُمع الإيثار بأنواعه المتقدّمة بالنفس وبالمال والطعام والشراب، أقول: جمع كُمل ذلك ابنُ أمير المؤمنين عليه السلام، أبو الفضل العباس عليه السلام الذى كان يلازم الحسين مثل الخادم الملازم لسيده، ويتمنى أن يقوم بخدمه للحسين عليه السلام، يقول الشيخ الكاشى رحمه الله: كان أبو الفضل عليه السلام جالساً فى مجلس فيه أمير المؤمنين عليه السلام فعطش الحسين عليه السلام، فطلب من قنبر أن يأتية بالماء، فقام العباس عليه السلام مسرعاً - وكان صبيّاً آنذاك - إلى أمّه أمّ البنين عليه السلام منادياً: أمّاه! إنّ أخى الحسين عطشان، وقد طلب الماء من قنبر، وأحبّ أن أوصل إليه الماء قبل قنبر، قامت أمّ البنين ملأت ركوةً ووضعتها على رأس العباس، جاء العباس والإناء على رأسه والماء يراق على كتفيه.

لما رآه أمير المؤمنين عليه السلام صاح:

«إيه يا عبّاس، هذا يوم تحمل الماء إلى أخيك فيراق الماء على كتفيك، ويوم آخر تحمل الماء إلى أخيك فيراق من رأسك على كتفيك»(٢).

نعم تناثر من رأسه على كتفيه على أثر ذلك العمود؛ لأنّ العباس وقف متحيراً لا يدرى ما يصنع، يده اليمنى مقطوعه، ويده اليسرى مقطوعه، الماء أريق على وجه الأرض، لحظات حرجه مرّت على العباس، لا يدرى ما يفعل يستمرّ فى سيره نحو الخيام؟ حينها

ص: ١٥٤

١- (١) انظر: تفسير الثعالبي: ج ١٠، ص ٩٩ - ص ١٠١. كشف الغمّة: ج ١، ص ٣٠٧ - ص ٣١٠.

٢- (٢) الطريق إلى منبر الحسين عليه السلام: ص ١٨٩ - ص ١٩٠.



كيف يواجه سُكينه وهي واقفه بانتظاره؟ وقد وعدّها بالماء، والماء قد أريق، يُقاتل كيف يقاتل وقد قطعت يداه؟

بينما هو في تلك الحال، جاء لعين من القوم، قال له: يا عباس أين شجاعتك؟ أين بسالتك؟ فقال له العباس عليه السلام: يا هذا جئتني الآن ويداي مقطوعتان، فقال له اللعين: يا عباس، إن كانت يداك مقطوعتين فيدای سالمتان، آجر كم الله! فضربه بعمود من حديد على أُمِّ رأسه ففلق هامته، ووقع من على ظهر فرسه منادياً: أ أخى يا أبا عبدالله، ادر كنى(١).

أيس وكف عاف العمر من ساسه رايد مماته ولا غدر نوماسه

ضربوا ابعامود الضغايين راسه طاح ونخه سيد شباب الجنه

حين الوصل لحسين صوت إعميده جاه وكف عنده ونده لعضيده

شيفيدنى ومنك كطعت الظنه عباس عكبك للعمر ما ريده

سمع حسه الحسين وركب وارزم وعدى إعله الخيل وطلعها إمن المخيم

ردّ يمه وشافه سابح إبدم تخوصر فوك راسه والدمع خر

لما صيرع العباس صار الحسين عليه السلام بين أمرين، أولاً: نداء العباس (أخى يا أبا عبد الله، ادر كنى)، ثانياً: الجيش زحف على مخيم الحسين؛ لأنه بمجرد أن سقط العباس زحف جيش العدو إلى مخيم الحسين، كأنهم استضعفوا جانب الحسين بمصرع أبى الفضل العباس فلا يدرى أيدفع الجيش عن المخيم، أم يلبى نداء العباس؟!

أخيراً رأى دفع العدو عن الخيام أولى، فحمل على الجيش وأبعدهم وهو يقول: إلى أين تفرون وقد قتلتم أخى؟ ولما أبعده الجيش عن الخيام توجه نحو مصرع أبى الفضل العباس، وأراد الحسين حمله ولكن العباس أبى، وهذا الإيثار الثانى، فالأول: كان فى

ص: ١٥٥

شرب الماء قبل الحسين عندما ملك المشرعه، والثالث: أنه كلما أراد الحسين عليه السلام وضع رأس أبي الفضل عليه السلام في حجره لم يرض أبو الفضل، قال له الحسين: أخي يا أبا الفضل، مالي كلما جعلت رأسك في حجرى أخذته ومرّغته في الأرض؟! قال أبو الفضل عليه السلام: أخي، إن جعلت رأسى في حجرك فمن الذى يجعل رأسك في حجره. لا حظوا الإيثار، الله أكبر!!

صاح احسين يا خويه يا عباس يا نور العين يا تاجى عله الراس

خويه أنت الدرع والسيف والطاس اشلون اتروح وأنا أبكى امحير

جواب أبى الفضل العباس عليه السلام بلسان الحال:

يگله احسين يا زهره اخيامى يا خويه نخلت سکنه عظامى

درخصنى أريد الحگك عمامى أريد الثار گلبى دم إيفور

وكأئى بأخته العقيله عليها السلام تناديه:

يعباس يا نور العيون رحى عنك سئيه ويه الطعون

واللى سبونه ما يرحمون طول الدرب بينه يضربون

وسياطهم تلعب على متون خواتك يبو الغيره يمزبون

\*\*\*

او تشتكى العطش الفواطم عنده وبصدرٍ صعده الفرات المفعم

\*\*\*

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ أئى مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبه للمتقين.





طمعت أن تسومَه القومُ ضيمًا وأبى الله والحِسامُ الصنيعُ

كيف يلوى على الدينه جيدًا لسوى الله مالواه الخضوعُ

فأبى أن يعيشَ الاعزيرًا أو تجلّى الكفاحُ وهو صريعُ

زوّج السيفَ بالنفوسِ ولكن مهرها الموتُ والخضابُ النجيعُ

بأبى كالتأ على الطفِ خدرًا هو فى شفره الحُسامِ منيعُ

قطعوا بعده عُراه ويا حبل وريد الإسلام أنت القطيعُ

قوّضى يا خيامَ عليا نزارٍ فلقد قوّض العمادُ الرفيعُ

واملئى العين يا أميه نومًا فحسينٌ على الصّعيدِ صريعُ

وسروا فى كرائمِ الوحى أسرى وعداك ابن أمها التقرُّعُ

فترفقُ بها فما هى إلا ناضرٌ دامعٌ وقلبٌ مروّعُ (١)

\*\*\*

عكَب الخدرِ ذاكِ ودلالى أمشى بيسرِ يحسينِ تالى

وراسك يشيلونه اگبالى يا محتى ومحنه أطفالى

\*\*\*

مشينه على الهزل ومچتفينه اوخذونه بها اليسرِ غصبنِ عليه

اويآكم نضل لو يحصل بدينه لمن يحسين يلفينه المحتم

ص: ١٥٩

---

١- (١) الأبيات من قصيده للسيد حيدر الحلى رحمه الله، كما فى ديوانه: ج ١، ص ٣٦، وقد تقدّمت ترجمته فى المحاضرهِ التاسعهِ.

(أبوذيه)

يخويه تعلم بحالى ودارى بگيت أرى يتاماكم ودارى

سميه دورها تزهى ودارى عگبكم يخوتى ظلت خليه

\*\*\*

عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«أربع مَنْ كُنَّ فِيهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ: مَنْ آوَى الْيَتِيمَ، وَرَحِمَ الضَّعِيفَ، وَأَشْفَقَ عَلَى وَالِدَيْهِ، وَرَفَقَ بِمَمْلُوكِهِ» (١).

### الرَّحْمَةُ:

هى مبعث الخيرات، ومعدن الفضائل؛ فبالرحمة تتجمع الصِّلَات، وتتوحد البشريه، بها يبزر الولد أباه، وبها يصل المرء قريبه، وبها يألف الزوجان أحدهما الآخر، وبها يكفل اليتيم، ويشبع الجائع، ويكسى العريان، ويهتم حتى بالحيوان.

والرحمة شعورٌ طيب، به يُشارك الإنسان الآخرين آلامهم، مُحاولاً أن يُخفف عنهم وطأتها، وينسيهم أثقالها.

### رحمة الله عز وجل لمخلوقاته:

فعن الإمام الكاظم عليه السلام قال:

«... ما ظنك بالرؤوف الرحيم الذى يتودد إلى مَنْ يؤذيه بأوليائه، فكيف بمن يؤذى فيه، وما ظنك بالتوَّاب الرحيم الذى يتوب على مَنْ يعاديه، فكيف بمن يترضاه ويختار عداوه الخلق فيه» (٢).

ولذا روى أن إبليس يطمع فى رحمة الله عز وجل يوم القيامة.

فقد حكى أن نبى الله موسى (على نبينا وآله وعليه السلام) التقى بإبليس (لعنه الله)

ص: ١٦٠

١- (١) الخصال: ص ٢٢٣، باب الأربعة.

٢- (٢) تحف العقول: ص ٣٩٩.

فدار بينهما حديث، ثم قال نبي الله موسى عليه السلام: سترى ماذا سيحل بك غداً؟!

قال إبليس: وأنت أيضاً سترى ماذا سأفعل غداً؟!

قال موسى: وما أنت فاعل؟

قال إبليس: أطلب الله بوعده، واحتج بقوله: وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ (١) وأنا شيء، فوجب أن تتسع لي رحمته، وإذا كنت أنا لا شيء فاللا شيء لا يحاسب ولا يعاقب.

قال موسى عليه السلام:

«إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ تَتَّبِعُ لِمَنْ فِيهِ الْأَهْلِيَّةُ وَالْقَابِلِيَّةُ لَهَا، وَأَنْتَ بَعِيدٌ عَنْهَا كُلَّ الْبَعْدِ» (١).

ولذا نرى أن رحمته الله وإن كانت واسعة يطمع فيها حتى إبليس، لكن الذي ليس أهلاً لها وليس فيه القابلية على استلامها فلا تشملها، فهي قريبة من مستحقيها، ولذا قال تبارك وتعالى: إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ٣.

### موجبات الرّحمة ؟

هناك عدّة أمور تسبب الرّحمة الإلهية، بحيث إنّ الإنسان لو فعلها صار محلاً لرحمة الله تبارك وتعالى، أو قل: موجبات لنزول الرّحمة، ومنها:

١ - الطاعة: فعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

«تعرضوا لرحمة الله بما أمركم من طاعته» (٢).

٢ - الذكر: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال

: «بذكر الله تستنزل الرّحمة» (٣).

٣ - إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة للرسول صلى الله عليه وآله، قال تعالى: وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ

ص: ١٦١

١- (٢) آيات منتخبة من القرآن الكريم: آية ١١.

٢- (٤) تنبيه الخواطر: ج ٢، ص ١٢٠.

٣- (٥) عيون الحكم والمواعظ: ص ١٨٨.

وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرُّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١).

٤ - رحمه خلق الله ورحمه النفس: فعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

«الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة، إرحم من في الأرض يرحمك من في السماء» (٢).

٥ - معرفه الإنسان نفسه: فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«رَحِمَ اللهُ امرءاً عرف قدره ولم يتعدَّ طوره» (٣).

### موانع الرَّحْمَةِ ؟

#### إشاره

١ - رحمه من لا يرحم: فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«رحمه من لا يرحم تمنع الرحمة» (٤).

٢ - منع الرحمة: فعنه عليه السلام أنه قال:

«من لم يرحم الناس منعه الله رحمته» (٥).

### الأمر الأول: رحمه الأيتام

رُوى أنه كان النبي صلى الله عليه وآله يتكفلُ يتيماً، وكان كُلمًا يجلس على طعامه يحضره ويأكل معه، فلما مضى زمان مات اليتيم فلم يأكل النبي في الليله طعاماً، وكان يتأسف على فوته، فقال له أصحابه: كم تُحزن قلبك بفوته وحرمانك منه؟! نحن سنأتيك ببيتيمٍ آخر فتكفله، قال صلى الله عليه وآله:

«هذا اليتيم كان سيء الخلق، وأنا كنتُ تحمّلتُ سوءَ أخلاقه، فلا يحصل لى من غيره ما يحصل من الفيض» (٦).

وهكذا تكون مسألة اليتيم من المسائل التي اهتمَّ بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لأجل إهتمام

ص: ١٦٢

١- (١) النور: آيه ٥٦

٢- (٢) بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ١٦٧.

٣- (٣) عيون الحكم والمواعظ: ص ٢٦١.



٤- (٤) المصدر نفسه: ص ٢٧٠.

٥- (٥) المصدر نفسه: ص ٤٢٨.

٦- (٦) انظر: الأخلاق والآداب الإسلاميه: ص ١٨٤.

البارى عز وجل، حتى أنه تبارك وتعالى جعل أكل مال اليتيم أكلاً للنار، حيث قال عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا (١).

وقد يغفر الله تبارك وتعالى للإنسان ذنوباً كبيرة؛ لأجل اهتمامه بالأيتام،

فقد حدثت بعض الثقات أن رجلاً من المنهمكين فى الفساد مات فى نواحى البصره، فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته؛ لتنفّر الطباع منه، فاستأجرت من حمل الجنازه إلى المصلى فما صلى عليه أحد، فحمل إلى الصحراء للدفن، وكان على جبل قريب من الموضع زاهد مشهور، فرأوه كالمنتظر للجنازه، فقصدوا ليصلى عليها، فانتشر الخبر فى البلد أن فلاناً الزاهد نزل ليصلى على فلان، فخرج أهل البلد فصلوا معه عليها، وتعجب الناس من صلاه الزاهد، وقيل له فى ذلك، فقال: رأيت فى المنام من أمرنى أن انزل إلى الموضع الفلانى ترى فيه جنازه ليس معها أحد إلا امرأه فصلت عليها فإنه مغفور له، فازداد تعجب الناس من ذلك، فاستدعى الزاهد امرأه الميت وسألها عن حاله، فقالت: كان طول نهاره مشغلاً بشرب الخمر، فقال: هل تعرفين له شيئاً من أعمال الخير؟

فقلت: نعم، ثلاثه: الأول: كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح، فيبدل ثيابه ويتوضأ ويصلى الصبح.

الثانى: أنه كان لا يخلو بيته من يتيم أو يتيمين، وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده.

الثالث: أنه كان يفيق من سكره فى أثناء الليل فيبكي، ويقول: يا رب أى زاويه من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث (٢).

ص: ١٤٣

١- (١) النساء: آيه ١٠

٢- (٢) الأخلاق والآداب الإسلاميه: ص ١٨٤.

ومن هنا كان إيواء اليتيم يشكّل ركناً من الأركان الأربعة التي يبنى الله تبارك وتعالى بها بيتاً في الجنّة للعبد الذي يتّصف بها، كما تقدّم في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام.

### الأمر الثاني: رحمه الضعيف

وهي لا تختصّ بالإنسان، بل تشمل حتى الحيوان؛ فرحمه الله تبارك وتعالى عامّة وشامله لجميع المخلوقات: وَرَحِمَتِي وَسَمِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۗ ١، ولكن أهمّ شيء أن يرحم الإنسان أخاه الإنسان، ويهتمّ به، خاصّة إذا كان ضعيفاً من الناحية البدنية والمادية، بل وحتى المعنوية.

فإذا رحم الإنسان أخاه الإنسان المسلم سوف ينزل الله تبارك وتعالى رحمته عليهما.

وقد يصل الإنسان إلى منزله دنيويّه وأخرويّه عاليه بسبب رفقّه بالحيوانات ورحمته للضعيف منها.

نُقل أنّ السلطان المقتدر (سبكتكين) كان صياداً من سيّكان نيشابور، ولم يكن له من متاع الدنيا إلاّ فرس، فركبه يوماً وذهب للصيد كعادته، فرأى ظيياً معه فصيله فقصدتهما، ففرّ الطّبي واصطاد الفصيل، فشده على رديفه ورجع، فلما ذهب قدراً من الطّريق نظر إلى خلفه، فرآى الطّبي يسير خلفه وينظر إليه نظر حسره، فعلم من حاله أنّه يطلب فصيله، ولهذا يمشى خلفه فرّق وأشفق عليه في نفسه، وقال محدثاً نفسه: الصيد وإن كان حلالاً ومباحاً لي، لكنّ التّرحم على هذا الطّبي أولى من هذا الصيد، فوضعه على الأرض فأخذ مع أمه بطريقهما، وكان (السبكتكين) ينظر إليهما فرأى الطّبي قد رجع، وهو ينظر إليه كأنه يدعو له، وفي تلك الليلة رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه وهو يقول له: يا سبكتكين، إنّ الله أعطاك السلطنة والدولة العظمى بشفقتك وترحمك على الطّبي، فيجب عليك أن تراعى ذلك في رعيتك لتدوم دولتك، فما مضى زمان حتى استقر على سرير الملك الكبير(١).

ص: ١٦٤

وهذا هو الركن الثالث والمهم في الحديث، وهو أنَّ الإنسان يشفق على والديه ويرحمهم وينظر إليهم نظره رحيمه، فإنَّ: «رضا الله مع رضا الوالدين، وسخط الله مع سخط الوالدين»(١).

وهما الباب الذي إذا أراد الإنسان أن يرضى الله تبارك وتعالى يرضيه عن طريقهما حتى قرن سبحانه وتعالى عبوديته بالإحسان إليهما، حيث قال عزَّ وجلَّ: وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا (٢).

سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، مَا هَذَا الْإِحْسَانُ؟ فَقَالَ: «الْإِحْسَانُ صِيحْبَتُهُمَا، وَأَنْ لَا تَكْلُفُهُمَا أَنْ يَسْأَلَاكَ شَيْئًا مِمَّا يَحْتَاجَانِ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَا مُسْتَغْنَيْنِ. أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ) ٤.

فمن حقنا أن نعرف ويعرف كلُّ ذى لبٍّ: أنَّ الأب وإن عظم حقه لما يقوم به للولد من بذلٍ في سبيل تنقيفه وتأديبه، فيما ليس بإمكان الأم أن تقوم ببعض منه إلا نادراً هو أقلُّ منها حقاً على الولد، كيف ولماذا؟! لأنها تحمّلت في حملة والمخاض به في (ساعات الطلق) الموصوفه بسكرات الموت، تحمّلت ما لم يستطع الوالد لو كلف تحمّل بعضه، إضافةً إلى ما تحمله الأم للولد من حنانٍ فائق.

هذا أمير المؤمنين عليه السلام ووصيُّ رسولِ ربِّ العالمين يُخاطبُ ولده الحسن الزكيّ عليه السلام مظهراً شدة حبه له: «[بنيّ] وجدتك بعضي، بل وجدتك كلى، حتى كان شيئاً [أو

ص: ١٦٥

١- (١) روضه الواعظين: ص ٣٦٨.

٢- (٢) الإسراء: آية ٢٣.

سهماً] لو أصابك أصابني، ولو أنَّ الموت أتاك أتاني»(١)، يخاطبه بهذا الخطاب والحسن عليه السلام يومها بتمام الصحه وريعان الشباب لم يُصب بشيء، لكن الإمام عليه السلام يصف شفقتة عليه وتألمه لأجله، لو قُدِّر أنه يُصابُ بسهم أو بجرح يقول له الإمام عليه السلام: إنَّ ذلك السهم باللحظه نفسها سيصيني، وما ذلك إلا من شدِّه الحُبِّ والصفاء والولاء الذي بينهما، فصار ما يؤلمه يؤلم الإمام وما يُصيبه يُصيب الإمام عليه السلام.

وقال حُكماء العرب: إصابه السَّهم أخفُّ ألماً من إصابه الهمِّ والغمِّ.

ولذا يقف الإمام الحسين عليه السلام على ابن أخيه القاسم بن الإمام الحسن عليه السلام، وكأنما وقف الإمام على ولده؛ لأنه هو الذي ربَّاه واعتنى به، وكأنني به يخاطبه(٢):

صاح يا جسّام أوعد راسه گعد ويل گلبي ينحب او گلبه انمرد  
بين أخوى العرس چا المن بعد اوهامتك من سيف الأزدي مشرگه  
ثم أخذ عمّه الحسين يناشده:

يعمّي اشگالت من الطبر روحك يجاسم ما تراوینی اجر وحقك  
لون أبكى يعمّي چنت أنوحك بگلب مثل الغضه وبدمع مُحمر

\*\*\*

إن يبكه عمّه حزناً لمصرعه فما بكى قمرٌ إلا على قمرٍ

\*\*\*

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العليّ العظيم

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ أئى مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبه للمتقين

ص: ١٦٦

١- (١) بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ١٩٩.

٢- (٢) من دروس شيخنا الأستاذ محمد سعيد المنصوري رحمه الله، وقد تقدّمت ترجمته في المحاضره السادسه.

## المحاضره الثالثه عشره: القناعه

اشاره

ص: ١٤٧



راحلٌ أنتَ والليالي نُزولٌ ومضّرٌ بكِ البقاء الطويلُ  
 لا شجاعٌ يبقى فيعتقُ ال - بيضٌ ولا أملٌ ولا مأمولُ  
 غايه الناس في الزمان فناء وكذا غايه الغصون الذبولُ  
 إنما المرء للمنيه مخبوء وللطعن تُستجِم الخيولُ  
 عادة للزمان في كل يومٍ تنتىء جيرةً وتبكي طولُ  
 كل باكِ يُبكي عليه وإن طال بقاؤه والثاكل المشكولُ  
 أي يومٍ أدمى المدامع فيه حادثٌ رائعٌ وخطبٌ جليلُ  
 يومٌ عاشور الذي لا أعان الصحبُ فيه ولا أجار القليلُ  
 يا بن بنت النبي ضيّعتِ العهدَ رجالٌ والحافظون قليلُ  
 ما أطاعوا النبي فيك وقد مالت بأرماحها إليك الذحولُ  
 أتراني الذمّاء ولما يرو من مهجه الإمام الغليلُ  
 أتراني أعير وجهي صوناً وعلى وجهه تجول الخيولُ (١)

ص: ١٦٩

١- (١) القصيده للشريف الرضى رحمه الله، قال عنه في أدب الطف: (ج ٢، ص ٢١٦ - ص ٢١٨): «الشريف الرضى ذو الحسين أبو الحسن محمد بن الطاهر ذى المنقبتين أبى أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر عليه السلام، ولد سنة ٣٥٩ هـ - ببغداد، وتوفى سنة ٤٠٦ هـ - فى السادس من المحرم، ودفن بداره فى بغداد، ثم نُقل إلى مشهد الإمام الحسين عليه السلام فى كربلاء. نظم الشعر فى عهد الطفوله ولم يزد عمره على عشر سنين، فأجاد وحلق وحاز قصب السبق بغير منازع، قال عنه صاحب عمده الطالب: كانت له هيبه وجلاله، وفيه ورع وعفّه وتقشّف ومُراعاه للأهل والعشيره، ولّى نقابه الطالبين مراراً وكانت له إماره الحجّ والمظالم، كان يتولّى ذلك نيابه عن أبيه ذى المناقب، ثم تولّى ذلك بعد أبيه مستقلاً، وحجّ بالناس مرات. أمّا مكانته العلميّه: فهو أوحده علماء عصره، وقد قيل: إنّ الرضى أعلم الشعراء لولا المرتضى، والمرضى أشعر العلماء لولا الرضى، وهذه مؤلفاته تعطينا صوره جليه عن براعته، فهذا (حقائق التأويل فى متشابه التنزيل) كما يقول ابن جنى: صنّف الرضى كتاباً فى معانى القرآن الكريم يتعذّر وجود مثله، و (كتاب المجازات النبويه) و (تلخيص البيان عن مجازات القرآن) وغيرها. وهو الذى جمع كلام أمير المؤمنين وأسماء نهج البلاغه...».



من سحكت عليه الخيل طلعت زينب تنادى  
اويلى عليك يا بن أمى ويا روح النبى الهادى  
بعد هاى المصيبه اشلون تبرد جمره أفادى  
عمت عينى يخويه حسين عسه ولا شاهدت عينى

\*\*\*

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال:

«مَنْ قَنَعَ مِنَ اللَّهِ بِالْيَسِيرِ مِنَ الْمَعَاشِ رَضِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِالْيَسِيرِ مِنَ الْعَمَلِ» (١).

### القناعة:

هى الاكتفاء بقدر الحاجة والضروره من المال وغيره من أمور الدنيا، وهى صفة فاضله، ومن أعظم الوسائل للوصول إلى السعاده الأبدية، والقنوع مرتاح البال، متفرغٌ لأمر الدين وسلوك طريق الآخرة (٢).

### فضل القناعة:

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«خمسٌ مَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ لَمْ يَتَهَنَّأْ بِالْعَيْشِ: الصَّحَّةُ، وَالْأَمْنُ، وَالْغِنَى وَالْقَنَاعَةُ وَالْأَنْيَسُ الْمَوْافِقُ» (٣).

قيل لبعض الحكماء: رأيت شيئاً أفضل من الذهب؟ قال: نعم، القناعة. وإلى هذا ينظر قول بعض الحكماء: استغناؤك عن الشيء خيرٌ من استغنائك به.

كان ديوجانس الكلبى من أساطين حكماء اليونان، وكان متقشفاً زاهداً لا يقتنى شيئاً

ص: ١٧٠

١- (١) الكافى: ج ٢، ص ١٣٨، ح ٣.

٢- (٢) انظر: الأخلاق والآداب الإسلاميه: ص ٣٧٩

٣- (٣) مشكاه الأنوار: ص ٢٦٠ - ص ٢٦١.

ولا يأوى إلى منزل، دعاه الإسكندرُ إلى مجلسه فقال للرسول: قل له: إنَّ الذي منعك من المسير إلينا هو الذي منعنا من المسير إليك، منعك إسغناؤك عنَّا بسُلطانك، ومنعني استغنائي عنك بقناعتى (١).

هذه هي القناعة وضدّها الطمع، وهو تمنى ما فى أيدي النَّاس، وأن يحصل على ما عندهم، وبعبارة أُخرى: اشتهاه الشىء والرغبه فيه والحرص عليه، وهو من الرذائل المهلكه (٢).

إلاَّ أنه يُمدح فى بعض الموارد، وهى:

١ - الطمع بعفو ورحمه الله عزَّ وجلَّ.

٢ - الطمع بنعيم الآخرة وسعادتها.

وأما مطلق الطمع فهو مذموم أشدَّ الذمِّ؛ لأنَّه يؤدَّى فى بعض الأحيان إلى قتل الإنسان.

رُوى: «أنَّ المسيح عليه السلام خرج يوماً إلى البريه ومعه ثلاثه من أصحابه، فلما توجَّعوا فى البريه رأوا لَبْنَه من ذهب مطروحه فى الطريق، فقال عيسى عليه السلام: هذا الذى أهلك من البريه مَنْ كان قبلكم، إياكم ومحبَّه هذا، فمضوا عنها فما مضى ساعه حتَّى قال واحد منهم: يا روح الله، ائذن لى فى الرجوع إلى البلد فإنى أجدُّ الألم، فأذن له، فأتى إلى اللَّبْنَه ليأخذها فجلس عندها.

فقال الثانى: يا روح الله، ائذن لى فى الرجوع فأذن له، وكذلك الثالث، فاجتمعوا عند تلك اللَّبْنَه ليأخذوها، فقالوا: نحنُ جِيعاء، فليمض واحد منَّا إلى البلد ليشترى لنا طعاماً حتَّى ندخل البلد، فمضى واحد فأتى إلى السوق واشترى طعاماً فقال فى نفسه: إننى

ص: ١٧١

١- (١) سفينه البحار: ج ٧، ص ٣٧٥.

٢- (٢) انظر: الأخلاق والآداب الإسلاميه: ص ٣٧٧

أجعل فوقه سُمًّا فياً كلان فيموتان، فتبقى تلك اللبنة لى وحدى، فوضع فى الطعام سُمًّا.

وأما الآخرا فتعاقدا على أن يقتلاه ويأخذ اللبنة، فلما جاء بالطعام بادرا إليه وقتلاه وجلسا يأكلان الطعام، فما أكلا قليلاً حتى ماتا فصاروا كلهم أمواتاً حول تلك اللبنة، فلما رجع عيسى عليه السلام مرّ على تلك اللبنة، فرأى أصحابه أمواتاً فعلم أنّ تلك اللبنة هى التى قتلتهم، فدعا الله فأحياهم لأجله، فقال لهم: أما قلتُ لكم: إنّ هذا هو الذى أهلك من كان قبلكم فتركوا اللبنة ومضوا»(١).

## نتائج القناعه:

هناك عدّه نتائج للقناعه منها:

١ - العزّ: فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال

: «ثمره القناعه العزّ»(٢).

٢ - الاكتفاء والرضى بما عنده.

٣ - صلاح النفس: فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«أعوّن شىء على صلاح النفس القناعه»(٣).

٤ - القناعه راحه: فعن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال

: «القنوع راحه الأبدان»(٤).

٥ - سهوله الحساب ويسره يوم القيامة.

## من قصص القناعه:

عن أبى بصير قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«أرسل عثمان إلى أبى ذرّ رضى الله عنه موليين له و معهما مئتا دينار، فقال لهما: انطلقا إلى أبى ذرّ فقولاه: إنّ عثمان يقرئك

ص: ١٧٢

١- (١) زهر الربيع: ص ٤٠٦.

٢- (٢) عيون الحكم والمواعظ: ص ٢٠٨.

٣- (٣) المصدر نفسه: ص ١١٢.

٤-٤) بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٢٨ باب وصايا الحسين عليه السلام.

السلام، ويقول لك: هذه مثلنا دينار فاستعن بها على ما نابك. فقال أبو ذر: هل أعطى أحداً من المسلمين مثل ما أعطاني؟ قال: لا، قال: إنما أنا رجلٌ من المسلمين يسعني ما يسع المسلمين. قال له: إنه يقول: هذا من صلب مالي وبالله الذي لا إله الا هو ماخالطها حرام ولا- بعث بها إليك إلا من حلال. فقال: لا حاجه لي فيها وقد أصبحت يومى هذا وأنا من أغنى الناس. فقال له: عافاك الله وأصلحك، ما نرى فى بيتك قليلاً ولا كثيراً ممّا يُتمتع به، فقال: بلى، تحت هذا الأكاف الذى ترون رغيفاً شعيرٍ قد أتى عليهما أيام، فما أصنع بهذه الدنانير، لا والله حتى يعلم الله أنّى لا أقدر على قليل ولا كثير، وقد أصبحت غتياً بولايه على بن أبى طالب عليه السلام وعترته الهاديين المهديين الراضين المرضيين الذين يهدون بالحقّ وبه يعدلون. وكذلك سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: فإنّه لقبّيحٌ بالشيخ أن يكون كذاباً، فرُذِّها عليه وأعلماءه: إننى لا حاجه لي فيها ولا فيما عنده حتى ألقى الله ربّى فيكون هو الحاكم فيما بينى وبينه»(١).

فهكذا تعلم أبو ذرّ الغفارى من النبى الأكرم صلى الله عليه وآله ومن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، تربى على أن لا يكون عبداً مسترقاً، وإن كلفه ذلك أن يموت وحيداً وغريباً، وكذا تربى وعاش أبو الفضل عليه السلام على أن لا يكون مسترقاً فقد تعلم الصرخه الحسينيه: هيهات ممّا الذله...

ولذا ترى أنّه عليه السلام لمّا جاء إليه الشمر (لعنه الله) ومعه كتاب من ابن زياد فيه الأمان للعباس وإخوته، بحيث لو رضى به العباس وإخوته لحصل الشمر على جائزه من عبيد الله بن زياد (لعنه الله). فصاح الشمر: أين العباس وإخوته؟ وكان العباس وقتئذٍ جالساً بين يدى الحسين عليه السلام، فأطرق برأسه حياءً من الحسين، فصاح الشمر ثانياً وثالثاً، فالتفت الحسين عليه السلام إلى أخيه أبى الفضل العباس عليه السلام قائلاً: أجه يا أخى ولو كان فاسقاً.

ركب أبو الفضل عليه السلام جواده، وأتى نحو الشمر وقال: ما تريد يا بن ذى الجوشن؟

ص: ١٧٣

فقال: يا أبا الفضل هذا كتاب من ابن زياد، يذكر فيه بأنك أنت وإخوتك آمنون وأنت الأمير على هذا الجيش، فلا تعرّض نفسك للقتل! فقال له العباس عليه السلام: لعنك الله ولعن آمانك، أتؤمننا وابن رسول الله لا- أمان له، ويلك، أفيالموت تخوفني؟! وأنا المميت خواض المنايا، أأتترك من خلقني الله لأجله وأدخل في طاعه اللعين وأولاد اللعناء(١).

نعم كيف يترك إمام زمانه وسيده ومولاه، ولذا نراه قد وفي لسيد الشهداء عليه السلام، فقدّم كلّ مايمكن أن يقدمه مأموم لإمام زمانه، إلى أن وقع على رمضاء كربلاء، ونادى: أخى يا حسين أدرك أخاك.

أقبل أبو عبد الله عليه السلام نحو مصرعه، كشف الأعداء عن جسد أبي الفضل العباس عليه السلام.

يقول حميد بن مسلم: لمّا وصل بالقرب من العباس طأطأ رأسه إلى التراب وحمل شيئاً وقبله، نظرنا وإذا هي يمين العباس، بعد ذلك طأطأ رأسه مرّه ثانيه وحمل شيئاً آخر وقبله، وإذا هي شمال العباس عليه السلام، بعد ذلك أخذ شيئاً آخر وقبله، نظرنا وإذا بها عمامه العباس ملطخه بالدماء... وصل إليه أخذ رأسه وضعه في حجره أرجعه أبو الفضل وعفره بالتراب، أرجعه الحسين مرّه ثانيه إلى حجره، أرجعه العباس إلى التراب، وهكذا ثالثه، فالتفت إليه الحسين عليه السلام قائلاً: الوداع الأخير يا بن والدى!

فقال العباس: أخى أبا عبد الله يا بن الزهراء، الآن أنت تأخذ برأسى تضعه في حجرك، ولكن روحى فداك أبا عبد الله من بعدى من الذى يأخذ برأسك؟ من الذى يمسح الدم والتراب عن وجهك؟(٢)

ص: ١٧٤

١- (١) انظر: الإرشاد: ج ٢، ص ٨٩. تاريخ الطبرى: ج ٤، ص ٣١٥. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٩١.

٢- (٢) الطريق إلى منبر الحسين عليه السلام: ص ١٨٣ - ص ١٨٤.

خويه من يغمضلك اعيونك يا هو اللّى يكف يحسين دونك

عله افراگى آشوف انخطف لونك وتضل بعدى يبو سکنه محيّر

يا عباس لمن صدّت العين منى لعد ايديك الاثنين

دمهن يسيل اوشفت چفين فوگ الثرى ناديت صوتين

واحد نواعى اوواحد ونين يعباس صارت طيحتك وين

يعباس آنه اعضيدك احسين مگدر على افراگك يلحنين

وسفه يفرگ بينه البين

(أبوزيه)

چنت عونى ونه بالكون عونك غضيت اللى عليك اوفرت عونك

لچن يا هو من أصبح يصيح عونك يخويه حسين بس أمر على

\*\*\*

ما خلت بعدك أن تشلّ سواعدى وتكف باصرتى وظهرى يُقصم

\*\*\*

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدِ أَيْ مُنْقَلِبٍ يَنْقَلِبُونَ

ص: ۱۷۵









يا مَنْ يلوُمُ على البكاء عيونى دعها تُخَفِّفْ لوعتى وشجونى

مَنْ مُبْلَغُ أُمَّ البنين رسالَه مِنْ والِه بشجونه مرهونِ

لا تسأل الرُّكبان عن أبنائها فى لوعه لفراقهم وحنينِ

أو ما درت بفعالهم يومَ الوغى فى كربلاء وهم أعزُّ بنينِ

فلتأتِ أرضَ الطَّفِ تنظُرْ ولدها ثاوين بين مقطِّعٍ وطعينِ

ومؤسِّدين على الصعيد فديتهم صرعى بلا غُسلٍ ولا تكفينِ

وقضوا ضحايا كالحسين زعيمهم ما بللوا أحشائهم بمعين(1)

ص: ١٧٩

١- (١) القصيدة للشيخ حسن قفطان، قال عنه السيد جواد شبر فى أدب الطف (ج ٧، ص ١٠٥ - ص ١٠٧): «الشيخ حسن بن على بن عبد الحسين بن نجم السعدى الرباحى نسبة إلى آل رباح؛ فخذ من بنى سعد العرب المعروفين بالعراق، قال السيد مهدي القزوينى فى (أنساب القبائل العراقية): بنو سعد بطن من العرب منهم فى الدجيل ومنهم فى كربلاء، الدجيلى الأصل الللمومى المحتد، النجفى المولد والمسكن والمدفن، الشهير بقفطان، ولد فى النجف الأشرف سنة ١١٩٩ هـ -، وتوفى بالنجف سنة ١٢٧٩ هـ - عن عمر يناهز الثمانين، كما فى الطليعه، ودفن فى الصحن الشريف العلوى عند الإيوان الكبير المتصل بمسجد عمران، كان فاضلاً ناسكاً تقياً محباً للأئمة الطاهرين، وأكثر شعره فيهم، درس الفقه على الشيخ على ابن الشيخ الأكبر الشيخ جعفر، حتى نبغ فيه وعدد من الأعلام الأفاضل، واختصَّ أخيراً بصاحب الجواهر، وكان يعدّ من أجلّ تلامذته وأفاضلهم، اتّخذ الوراقه مهنة له، وورث ذلك عنه أبنائه وأحفاده إلاّ أنّه كان يمتاز عنهم باتقان الفقه واللغة والبراعه فيهما، وهذا ما حدا بأستاذه أن يحيل إليه وإلى ولده الشيخ إبراهيم تصحيح الجواهر ومراقبته حتى قيل: إنّه لولاها لما خرجت الجواهر؛ لأنّ خط المؤلف كان ردياً، وقد كتب النسخه الأولى عن خط المؤلف، ثم صارا يحترقان بكتابتها وبيعها على العلماء وطلاب العلم، وأكثر النسخ المخطوطه بخطهما، وهذا دليل على أنّ المترجم كان يعرف ما يكتب، وكان جيد الخط والضبط، ويظهر من ترجمه سيدنا الصدر له أنّه كان جامعاً مشاركاً فى العلوم بأكثر من ذلك، فقد قال فى (التكملة): كان فى مقدمى فقهاء الطائفة مشاركاً فى العلوم فقيهاً أصولياً حكيماً إلهياً؛ وكذلك له التقدّم والبروز فى الأدب وسبك القريض، وله شعر من الطبقة العليا. توفى سنة ١٢٧٥ هـ - كما فى التكملة، أو ٧٧ كما فى (الطليعه)، وقال: ودفن فى الصحن العلوى الشريف عند الإيوان الكبير المتصل بمسجد عمران، وترك آثاراً هامّة، منها: (أمثال القاموس) و (الأضداد) و (طبّ القاموس) ورساله فى الأفعال اللازمه المتعديه فى الواحد. وخلف من الذكور: الشيخ إبراهيم والشيخ أحمد والشيخ حسين والشيخ محمد والشيخ على والشيخ مهدي، وفى (الكرام البرره) أنّ الشيخ حسين توفى فى حياه أبيه حدود

(بحراني)

بالله استعدى للبواحي يَمّ البنين ردوا يتامى وانذبح عبّاس واحسين  
يَمّ البنين اتذبخوا كلّهم على الكاع وحسين ظل امجّرّد ومكسور الأضلاع  
ومخدره حيدر على فرت بلا اقناع ويه الحرم والنار تسعر بالصواوين  
يَمّ البنين الأربعة أنذبخوا ظمايا وظلوا ثلث تيام بالغبره عرايا  
ليتج نظرتي عالنهـر صاحب الرايه مفضوخ راسه إمكطعه إشماله واليمين  
وكأني بها صاحـت:

(قطيفي)

يا ليت عندي من الولد سبعين مولود بالمرجله كلّها مثل عبّ اس وتزود  
تندبح وابن المصطفى لدياره يعود سالم ولا تنظام زينب والخواتين

ص: ١٨٠

عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال:

«يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي، وَلَمْ يَشْكُرْ لِنِعْمَائِي، وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى بَلَائِي، فَلْيَتَّخِذْ رَبًّا سِوَايَ»<sup>(١)</sup>.

الرضا بقضاء الله تبارك وتعالى معناه أن الإنسان يترك الاعتراض والسخط على قضاء الله وقدره.

والرضا بقضاء الله وقدره متعلق بالحب، فإذا حصلت المحبة بين الإنسان وربّه حصل الرضا بالقضاء النازل من المولى عزّ وجلّ؛ لأنّ الحبيب لا يتوقع من حبيبه إلاّ الخير، بل يحمل جميع أفعاله وما يصنع به على أحسنها وأتمّها وأقومها. والرضا بقضاء الله هو أحد أركان الإيمان على ما ورد في بعض الروايات.

منها: ما روى عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه سأل طائفة من أصحابه، فقال:

«ما أنتم؟ فقالوا: مؤمنون. فقال: ما علامه إيمانكم؟ فقالوا: نصبر عند البلاء، ونشكر عند الرخاء، ونرضى بمواقع القضاء. فقال صلى الله عليه وآله: مؤمنون وربّ الكعبة»<sup>(٢)</sup>.

وحكى أنّ أحد الصالحين كان له ولدٌ مريضٌ، فرآه صاحبه في حالة من الحزن والارتباك والخوف على طفله، وشاهده يدخل ويخرج من باب بيته، ويدعو الله عزّ وجلّ أن يشفيه، وبعد ساعاتٍ مضت، رآه وقد خرج من منزله وهو مرتاح، فظنّ أنّ الطفل شُفي فقال له: الحمد لله على شفاء الولد، فقال له الرجل الصّالح: لقد مات الطفل! فتعجّب الرجل وقال له: رأيتك أثناء مرضه وأنت حزين خائف مرتبك، والآن وقد مات أراك مرتاحاً.

فقال له الرجل الصّالح: كان علينا أن ندعو الله عزّ وجلّ أثناء مرضه، وأن نأتى

ص: ١٨١

١- (١) بحار الأنوار: ج ٥، ص ٩٥، ح ١٨.

٢- (٢) مسكن الفؤاد: ص ٧٩.

بالطيب والدواء، ولكن الطفل قد مات وقد رضينا بقضاء الله وقدره(١).

ثم إنّه لا شك أنّ هناك أموراً تساعد الإنسان على الرضا بقضاء الله وقدره. وأول هذه الأمور هو المعرفة والعلم، فالإنسان الذي يعلم أنّ الله عادل وحكيم، ولا يقدر لعبده إلا ما هو خير له، لا يسخط على أمر الله عزّ وجلّ، فالطفل حينما يهرب من الطيب لا يعلم أنّ هذا الطيب سوف يعالجه، وذلك لمصلحته، وكذلك الجاهل بقدره الله وعظمته وحكمته يغضب ويسخط إذا ما أصابه قضاء الله.

فمن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إنّ أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عزّ وجلّ»(٢).

إذن، المعرفة والعلم هما الأمران اللذان يُساعدان الإنسان على الوصول إلى الدرجات العاليه، ويجعلانه يرضى بقضاء الله وقدره.

ومن ثمّ أنّ هناك أموراً حتميه لا مجال لتغييرها.

فالموت - مثلاً - قضاءٌ محتمّ، ولا مدخل فيه للإرادة الإنسانيه، فينبغي للإنسان أن يُسلم للإرادة الإلهيه، وفوق التسليم أن يرضى بقضاء الله وقدره، ولا يغضب لذلك.

نعم، بعض الأمور تحتاج إلى السعى مثل ذهاب الإنسان المريض إلى الطيب، وطلب الرزق، وغير ذلك، أمّا نفس الموت، فماذا يصنع له الإنسان وقد قال تعالى: فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ(٣).

لكن في كلّ الأحوال الواجب علينا هو الرضا بقضاء الله وقدره؛ ولذا ترى النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله عندما توفى ابنه إبراهيم عليه السلام حزن وبكى، وروى عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «العين

ص: ١٨٢

١- (١) الأخلاق والآداب الإسلاميه: ص ٤٧١ - ص ٤٧٣.

٢- (٢) الكافي: ج ٢، ص ٦٠ باب الرضا بالقضاء، ح ٢.

٣- (٣) الأعراف: آيه ٣٤.

تدمع، والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يُرضى ربنا»(١).

وكيف لا؟ وقد قال تعالى عنه: **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ٢**. فمن هنا ينبغي لنا نحن المسلمين الاقتداء بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

وإذا رضى الإنسان بقضاء الله وقدره وصبر على ما ابتلاه به المولى عزّ وجلّ، سوف يشعر حينئذٍ بالثمرات التي يلمسها بيده، ويحسها بقلبه، ويحصل على تلك النتائج الباهره بصوره ملموسه وظاهره.

وأول هذه النتائج وأهمها الراحة، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من رضى بما قُسم له استراح بدنه»(٢).

ومنها: ذهاب الحزن، فلم يحزن على ما فاتته، ويكون قريباً من الله تبارك وتعالى.

إلى غير ذلك من النتائج العاليه التي يلمسها الإنسان فى الحياه الدنيا.

وأما ما أعدّه الله تبارك وتعالى له فى الآخرة فهو الجَنَّةُ بإذنه عزّ وجلّ.

ومن عجب قصص الرضا بقضاء الله وقدره، ما رواه ذو النون المصرى، حيث قال: دخلت المقبره فرأيت امرأةً شابّةً جالسهً، وبين يديها قبور أربعه، وهى تنشد هذه الآيات:

صبرتُ وكان الصبر خير مطيئهٍ وهل جزع يجدى تراه فأجزعُ

صبرت على ما لو تحمّل بعضه جبال برضوى أصبحت تتصدعُ

فسالت دموع العين ثمّ رددتها إلى ناظرى والعين فى القلب تدمع

فقلت: ما الذى نزل بك، وما شأنك؟

قالت: أعجب شأن، أصبحت ولى بنون ثلاثه ولى زوج عطوف، وأمسيت وقد

ص: ١٨٣

١- (١) مسكن الفؤاد: ص ٩٣.

٢- (٢) الخصال: ص ٦٣٢.

فارقتهم جميعاً، أفتتهم أيدي الزمان.

قلت: وكيف ذلك؟

قالت: إنَّ بعلي قام إلى شاهٍ لنا في البيت فذبحها، وكان لي ابنان صغيران جعلنا ينظران إلى ما فعل أبوهما، فلما خرج أبوهما قال أحدهما للآخر: هَلُمَّ يا أخي حتَّى أذبحك كما ذبح أبوك الشاه، فقال: نعم، قام إليه وأخذ السكين وذبحه، وأنا كنت مشغولة ببعض الأمور، فلمَّا أتيتُ إذا به يخور في دمه، ويتمرغ فيه، فصحت به ويلك ما صنعت بأخيك، ذبحته، أفٍ لك! فارتعد واضطرب، وخاف وهرب إلى الصحراء، فدخل أبوهما ووقف على الأمر ثمَّ خرج إلى الصحراء يطلب ابنه، وإذا هو بذئبٍ قد وثب على الغلام ومزقه، وتناول لحمه، وبقي بعض أعضائه، فحمله أبوه ليدفنه، فبينما هو يسير أصابه عطشٌ شديد، وقد اشتدَّ حُزنه على ولديه، فسقط ومات، فبينما أنا باكية حزينة على ولدي المذبوح، إذا أخبرت وأنبتُ بموت زوجي وولدي الآخر، فخرجت لأستبين الخبر وإذا هو كما قالوا، ولما رجعت إلى الدار إذا بولدٍ آخر لي، وهو طفل صغير قد أقبل إلى القدر وهو على النار فوق في القدر ونضج ومات، وهذه قبورهم، وأنا أصبر على ذلك؛ لأنِّي أعلم أنَّ الصبر أحجى وأجمل.

ذُكرني حال هذه المرأة الصالحة الصابرة حال أمِّ البنين، كانت تأتي إلى البقيع، وتصنع أربعة قبور رمزيه، وبين يديها يتيمان لقمر بني هاشم العباس بن علي عليه السلام، وهما عبد الله والفضل، وتندب بنيتها أشجى ندبه وترثيهم (١).

ولذا لما رجعت عائله الحسين عليه السلام إلى المدينة قالت زينب عليها السلام: لا أريد أحداً يدخل عليَّ إلاَّ من فقدت لها عزيزاً في كربلاء. وجلست في منزلها، وجعلت جاريتها على الباب، وإذا بالباب تُطرق، فقالت الجارية: من على الباب؟ فإنَّ سيدتي زينب لا تُريد أحداً يدخل

ص: ١٨٤



عليها إلا من فقدت لها عزيزاً في كربلاء.

فقلت لها: قولي لسيدتك: إني شريكُها في هذا العزاء، وأريد أن أدخل عليها وأساعدُها، فأني مثلها في المصاب، فلما أخبرت الجارية زينب. قالت: سليفها من هي حتى تكون مثلي في المصاب، ثم قالت: إن صدق ظني فإنها أم البنين، فرجعت الجارية وقالت لها: سيدتي تقول من أنت التي مثلها في المصاب؟

قالت: أنا الثاكلة!! قالت: أوضح لي من تكونين؟ قالت: أو ما عرفيني، أنا أم البنين، قالت الجارية: لقد صدقت سيدتي في ظنّها، وإنك والله كما تقولين أم المصيبة العظمى والفاجعه الكبرى:

صاحت صوت آيا فكّد الأطياب والله إشموحشه يا دور الأحباب

إهناك اوسمعن الصرخه على الباب أنا أم عباس جيتج لا تفترين

ثم فتحت لها الباب، فلما دخلت استقبلتها زينب، واعتنقتها وقالت:

عظم الله لك الأجر في أولادك الأربعة.

فأجابتها أم البنين: وأنت عظم الله لك الأجر في الحسين عليه السلام(١).

بجت زينب اونادت تلكنها بالله اوي اى گومن ساعدنها

هاى أم البنين الراح منها صنايد أربه او بالحرب نفلين

بجت زينب اوصاحت آيخزنى اولفتها أم البنين ابضلع محنى

تصيح ابصوت آيخسين يبنى هاى امصيبتك بجت الدارين

. اشلون أم البنين اصياح صاحت اهنا يخسين يبنى روحى راحت

تلكنها الحرم عجت او ناحت زينب بالعزه كسرت الصوين

ص: ١٨٥

---

١- (١) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ٢، ص ١٩٦ - ص ١٩٧.

(أبوزيه)

على الأولاد زیدی النوح یمهم ابفرد ساعه الدهر بالطبک یمهم

أحب أكصد وجاور كون یمهم أجاورهم لما اتجینی المنیه

(تخمیس)

یا میتاً ترك الألباب حائرة تناوشته سهام البغی رامیه

وأعظم الخطب فی الإسلام داهیه عار تجول علیه الخیل عادیه

حاكت له الريح ظافی مثرر وردا

\*\*\*

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العلیّ العظیم،

وسیعلم الذین ظلموا آل مُحَمَّدٍ أیّ مُنقلبٍ ینقلبون

والعاقبه للمتقین.

ص: ۱۸۶





ماتَ التَّصَبُّرُ فِي انتِظَارِكَ أَيُّهَا الْمُحِبِّي الشَّرِيعَةِ  
فَانْهَضُ فَمَا أَبْقَى التَّحَمُّلُ غَيْرَ أَحْشَاءٍ جَزْوَعِهِ  
كَمْ ذَا الْقُ عَوْدُ وَدِينُكُمْ هُدِمَتْ قَوَاعِدُهُ الرَّفِيعَةِ  
تَنْعَى الْفُرُوعُ أَصُولَهُ وَأَصُولُهُ تَنْعَى فُرُوعَهُ  
مَاذَا يَهْيِجُكَ إِنْ صَبَرْتَ لَوْعَةِ الطَّفِّ الْفَظِيعَةِ  
أَتَرَى تَجِيءُ فَجِيعَةٌ بِأَمْضٍ مِنْ تِلْكَ الْفَجِيعَةِ  
حَيْثُ الْحَسِينُ عَلَى الثَّرَى خَيْلُ الْعَدَى طَحْنَتْ ضُلُوعَهُ  
فَتَلَّتُهُ آلُ أُمِيهِ ظَامٍ إِلَى جَنْبِ الشَّرِيعَةِ  
وَرَضِيعُهُ بَدَمِ الْوَرِيدِ مُخْضَبٌ فَاطْلَبُ رَضِيعِهِ  
مَا هَزَّ اضْلَعَكُمْ حِدَاءُ الْقَوْمِ بِالْعَيْسِ الظَّلِيعَةِ (١)

\*\*\*

(نصارى)

مشينه اعله الهزل وامچتفينه اوخذونه ابها اليسر غصباً عليه

اوياكم نضل لو يحصل بدينه لمن يحسين يلفينه المحتم

ص: ١٨٩

---

١- (١) الأبيات من قصيده رائعه للسيد حيدر الحلبي رحمه الله يرثي بها جدّه الإمام الحسين عليه السلام ويستنهض الحجّه المهدى المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف. انظر: ديوانه: ج ١، ص ٣٧، وقد تقدّمت ترجمته في المحاضره التاسعه.

مشت فوك الظعن والحرم تنحب او عليها أسياط شمر اوزجر تلعب

حتّه الظعن للكوفه تكرب لا بن زياد لمبشر تجدم

(فايزي)

من غال للكوفه العقيله اميسره اتروح فوك الجمال الظالعه أو بين العده اتروح

اتعابن الروس إخوانها جدامها اتلوح فوك الرماح ابديره الكوفه ادخلوها

وكأني بزيب تخاطب حامل الرأس:

يشايل راس حامينه اوولينه ريض خلى اتودعه إسكينه

ليش حسين ساچت عن ونينه گلي تعب يو جرحه تخدر

\*\*\*

(أبوزيه)

حرت ما بين هالنسوه والأيتام او بگينه أيسر ما عدنه وليتام

لون عباس يبرالى والأيتام ما واحد كفو يجسر على

\*\*\*

ص: ١٩٠

قال تعالى: وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (١).

بُرِّ الوالدين هو الإحسان إليهما، وهو من أفضل القربات إلى الله عزَّ وجلَّ.

وضده عقوق الوالدين، وهو الإساءة إليهما.

وكلا الأمرين يتحقق بالأعم من القول أو الفعل، بل أحياناً نجد أنّ الإيذاء باللسان أقوى تأثيراً من الإيذاء بالفعل الخارجى؛ فقد تكون كلمه تصدر من الإنسان أشدَّ من جرح السيوف.

قال الشاعر واصفاً ذلك:

جراحاتُ السنانِ لها التثامُ ولا يلتامُ ما جرحَ اللسانُ (٢)

وهذا الموضوع - بُرِّ الوالدين وعقوقهما - من الموضوعات التي اهتمَّ بها الباري عزَّ وجلَّ اهتماماً منقطع النظير، حتَّى أنه تبارك وتعالى قرن برِّ الوالدين والإحسان إليهما بالتوحيد، وكأنَّه عزَّ وجلَّ يريد أن يقول للمجتمع: إنّ درجه برِّ الوالدين درجه بالغه الأهميه، تكاد تصل إلى درجه الإيمان بى.

ولذا، تجد أنّ أربع آيات في الكتاب العزيز قرنت برِّ الوالدين بالتوحيد.

الآيه الأولى: في سورة البقره آيه ٨٣، حيث قال تبارك وتعالى: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا....

والآيه الثانيه: في سورة الأنعام آيه ١٥١، حيث قال عزَّ وجلَّ: قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا....

والآيه الثالثه: في سورة النساء حيث قال عزَّ من قائل في آيه ٣٦ من السوره المذكوره:

ص: ١٩١

١- (١) الإسراء: آيه ٢٣.

٢- (٢) فيض القدير: ج ٦، ص ١٧٩، ونسبه للسيد المرتضى رحمه الله.

وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا....

بالإضافة إلى الآية المذكورة في صدر المحاضرة والتي هي محل البحث.

فهذه الآيات قرنت بين الإيمان بالله تبارك وتعالى وبين بَرِّ الوالدين.

وأما الآيات التي حُتَّت على بَرِّ الوالدين بصوره عامه من غير القرن بالتوحيد فهي كثيرة، منها في سورة لقمان آيه ١٥، ومنها في سورة الأحقاف آيه ١٥٠، وغيرها. وهذا كله ترغيب وحثٌّ مؤكَّد من القرآن الكريم.

وأما ما ورد في الحثِّ على بَرِّ الوالدين والتجنُّب عن عقوقهما على لسان النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله، وأهل بيته عليهم السلام في أحاديثهم الشريفه فكثير، إذ ورد عنهم عليهم السلام:

«إذا كان يوم القيامة كشف غطاء من أغطيه الجنه فوجد ريحها من كانت له روح من مسيره خمسمائه عام إلا صنفٌ واحدٌ، قلت: من هم؟ قال العاق لوالديه»(١).

ولهذا أكد الحق سبحانه وتعالى على فضيه الإحسان لهما، فتراه جلت عظمته تارة يوصي، وتارة ينذر، وأخرى ينهى حفظاً لعباده من العقوق وعاقبته السيئه، ألا ترى أنه أمر بذلك بعد نهيه عن عباده سواه، وهذا نفسه دليل واضح على ما لهذا الأمر من قيمه راجحه عنده تعالى، هذا والمصلحه في كلا الأمرين ترجع للعبد لا إلى المعبود سبحانه وتعالى، وهكذا الإحسان للأبوين أو لغيرهم تعود الفائدة الكبرى منه للمحسن، وهذا القرآن وهذه حكمته ناطقه بذلك معبِّره عمياً هنالك، يقول عز وجل: إِنَّ أَحْسَنَكُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا (٢).

فإحسان الولد لأبويه وبرُّهما إنّما يرجع إليه سواء كان عاجلاً في دار الدنيا أم آجلاً في

ص: ١٩٢

١- (١) الكافي: ج ٢، ص ٣٤٨، ح ٣.

٢- (٢) من دروس شيخنا الأستاذ محمد سعيد المنصوري رحمه الله، والآيه ٧ من سورة الإسراء.



دار الآخرة التي هي الحياة الأبدية: إِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ (١).

لذا روى عن ابن عباس رضى الله عنه: أنه كان في بنى إسرائيل رجل صالح له ابنٌ طفل وكان له عِجله، فأتى بها إلى غيضة (مزرعه) وقال: اللَّهُمَّ إِنِّي استودعك هذه العجلة لأبني حتى يكبر، ومات الرجل فشبت العجلة في الغيضة وصارت عواناً (متوسطه السن)، وكانت تهرب من كلِّ مَنْ رامها، فلما كبر الصبي كان باراً بوالدته، وكان يقسم الليله ثلاثاً ثلاثاً، يصلى ثلاثاً وينام ثلاثاً، ويجلس عند رأس أمه ثلاثاً، فإذا أصبح انطلق واحتطب على ظهره، ويأتى السوق فيبيعه بما شاء، ثمَّ يتصدَّق بثلثه، ويأكل ثلثه، ويعطى والدته ثلثاً.

فقالت له أمه يوماً: إِنَّ أباك ورثك عِجله وذهب بها إلى غيضة كذا واستودعها، فانطلق إليها وادعُ إليه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق أن يردها عليك، وإنَّ من علامتها أنك إذا نظرت إليها يُخيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت تسمى المذهبه لحسنها وصفرتها وصفاء لونها، فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها، وقال: أعزم عليكِ بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه، فقبض على عنقها وقادها، فتكلّمت البقره بإذن الله تعالى، وقالت: أيتها الفتى البارّ بوالدته اركبني فإنَّ ذلك أهون عليك، فقال الفتى: إِنَّ أُمِّي لم تأمرني بذلك، ولكن قالت: خذ بعنقها، قالت البقره: بإله إسرائيل بنى إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علىَّ أبداً، فانطلق فإنك لو ركبتني أمرت الجبل أن يقتلع من أصله وينطلق معك لفعل؛ لبرك بوالدتك. فسار الفتى بها فاستقبله عدو الله إبليس في صورته راع، فقال: أيتها الفتى إنى رجل من رعاه البقره اشتقت إلى أهلى، فأخذت ثوراً من ثيرانى فحملت عليه زادى ومتاعى حتى إذا بلغت شطر الطريق ذهبت لأقضى حاجتى فقد أوسط الجبل وما قدرت عليه، وإنى

ص: ١٩٣

أخشى على نفسى الهلكه، فإن رأيت أن تحملنى على بقرتك وتنجينى من الموت، وأعطيك أجرها بقرتين مثل بقرتك، فلم يفعل الفتى، وقال: اذهب فتوكل على الله، ولو علم منك اليقين لبغتك بلا زاد ولا راحله، فقال إبليس: إن شئت فبعنيها بحكمك وإن شئت فاحملني عليها وأعطيك عشره مثلها، فقال الفتى: إن أمى لم تأمرنى بذلك، فبينما الفتى كذلك إذا طار طائر بين يدي البقره فهربت البقره فى الفلاه وغاب الراعى، فدعا الفتى باسم إله إبراهيم فرجعت البقره إليه، فقالت: أيها الفتى البارّ بوالدته لا- تمرّ إلى الطائر الذى طار؛ فإنه إبليس عدو الله اختلسنى، أما أنه لو ركبنى لما قدرت عليه أبداً، فلما دعوت إله إبراهيم جاء ملك فانتزعنى من يد إبليس وردنى إليك ببرك بأمك وطاعتك لها.

فجاء الفتى إلى أمه، فقالت له: إنك فقير لا مال لك، ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل، فانطلق فبع هذه البقره وخذ ثمنها، قال لأمه: بكم أبيعها؟ قالت: بثلاثه دنانير ولا تبعها بغير رضاي ومشورتى، وكان ثمن البقره فى ذلك الوقت ثلاثه دنانير، فانطلق الفتى إلى السوق، فعقبه الله سبحانه ملكاً ليرى خلقه وقدرته؛ ليختبر الفتى كيف برّه بوالدته وكان الله به خبيراً، فقال له الملك: بكم تبيع هذه البقره؟ قال: بثلاثه دنانير واشترط عليك رضاء أمى فقال له الملك: ستّه دنانير ولا تستأمر أمك. فقال له الفتى: لو أعطيتنى وزنها ذهباً لم آخذه إلا- برضاء أمى. فردّها إلى أمه وأخبرها بالثمن، فقالت: ارجع فبعها بسته دنانير على رضائتى فانطلق بالبقره إلى السوق، فأتى الملك، فقال: أستامرت والدتك؟ فقال الفتى: نعم، إنّه أمرتنى أن لا أنقصها عن سته دنانير على أن أستأمرها، قال له الملك: تأتى أعطيك اثنى عشر على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع إلى أمه وأخبرها بذلك، فقالت: إن ذلك الرجل الذى يأتيك هو ملك من الملائكه يأتيك فى صوره آدمى؛ ليجرّبك، فإذا أتاك فقل له: أتأمر أن نبيع هذه البقره أم لا؟ ففعل ذلك، فقال الملك: اذهب إلى أمك وقل لها: امسكى هذه البقره، فإن موسى يشتريها منك لقتيل يقتل فى بنى إسرائيل فلا تبيعوها إلا بملء جلودها دنانير، فأمسكوا تلك البقره، وقد أراد الله تعالى من بنى

إسرائيل ذبح البقره بعينها، مكافأه على بَرّه بوالدته فضلاً منه ورحمه، فطلبوها فوجدوها عند الفتى، فاشتروها بملء مسكها -  
جلدها - ذهباً(١).

هذا نموذج بسيط زائل فى الحياه الدنيا لمن بَرَّ بوالدته، وأمّا ما أعدَّ الله له فى الآخرة فلا يعلمه إلا هو عزَّ وجلَّ.

والآيه التى افتتحنا بها المحاضره جامعه مانعه، قالت: وَ قَضَى رُبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ أَوَّلَ مَا حَكَمْتَ بِهِ وَأَلَزَمْتَ وَفَصَلْتَ وَوَضَعْتَ الْحَدَّ وَالنَّهْيَ فِي أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أمر منه عزَّ وجلَّ بأن لا نعبد إلا إياه جلَّ جلاله، ونخلص العباده له عزَّ وجلَّ؛ لأنها أوجب الواجبات، كما أن معصيته وهو الشرك بالله سبحانه أكبر الكبائر الموبقه، وإلى الشرك تعود جميع المعاصى بحسب التحليل، ولعظم هذا الأمر قدّمه البارى عزَّ وجلَّ على جميع الأحكام الخطيره شأنًا، كعقوق الوالدين ومنع حقوقهما، والتبذير، وقتل الأولاد، والزنا، وقتل النفس المحترمه، إلى غير ذلك. ثمَّ انتقلت الآيه - بعد الأمر بالتوحيد - إلى حكم آخر يأتى بالمرتبته الثانيه من الأهميه بعد التوحيد لله تبارك وتعالى، وهو وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، بمعنى وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، وقضى ربك بأن تحسنوا بالوالدين إحسانًا، والإحسان يقابل الإساءه كما هو معلوم، وهذا بعد التوحيد لله الذى هو من أوجب الواجبات، كما أن عقوقهما من أكبر الكبائر، كما وردت الإشاره إلى ذلك فى عدّه مواضع من كلامه تبارك وتعالى.

ثمَّ انتقلت الآيه إلى أمر آخر، وحقيقه أخرى، حيث قالت: إِيمًا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (بلوغ الكبر) يعنى بلوغ كبر السن، و (أفّ) كلمه تفيده الضجر والإنزجار(٢) وقد ورد عن

ص: ١٩٥

١- (١) بحار الأنوار: ج ١٣، ص ٢٧٥. قصص الأنبياء، الجزائرى: ص ٣٢٦.

٢- (٢) تفسير الميزان: ج ١٣، ص ٧٩ - ص ٨٠.

الإمام الرضا عليه السلام عن أبيه عن جدّه أبي عبد الله عليه السلام، قال:

«لو علم الله كلمه أوجز في ترك عقوق الوالدين من (أفٍ) لأتى بها» وفي روايه أُخرى، قال:

«أدنى العقوق (أفٍ) ولو عَلِمَ الله شيئاً أيسر وأهون منه لنهى عنه»(١).

وتخصيص حاله الكبر بالذكر؛ لكونها أشقّ الحالات التي تمرّ على الوالدين فيحسّان فيها بالحاجه إلى إعانه الأولاد لهما، وقيامهم بواجبات حياتهما التي يعجزان عن القيام بها، وذلك من آمال الوالدين التي يأملانها من الأولاد حين يقومان بحضانتهم وتربيتهم في حال الصغر، وفي وقت لا قدره لهم على شيء من لوازم الحياه وواجباتها. فالآيه تدلّ على وجوب إكramهما ورعايه الأدب التام في معاشرتهما ومحاورتهما في جميع الأوقات، وخاصّه في وقت تشتدّ حاجتهما إلى ذلك، وهو وقت بلوغ الكبر من أحدهما أو كليهما(٢).

هذا كلّه في بّر الوالدين في حياتهما.

وأما بعد وفاتهما وانتقالهما إلى الدار الآخرة فهناك عدّه طرق لبّرهما،

منها: أن يصلى صلاه بّر الوالدين، وهي ركعتان يقرأ في الركعه الأولى - بعد سوره الحمد - عشر مرات «رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب»، وفي الركعه الثانيه - بعد الحمد أيضاً - عشر مرات: «رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات»، ويقول بعد التسليم والانتهاه من صلاته عشر مرات: «رب ارحمهما كما ربياني صغيراً»(٣)، وأن يتصدّق عنهما وأن يقضى ما فاتهما من صلاه وصيام، وما عليهما من ديون، ويحجّ عنهما ويزور المراقد الشريفه، ويدعو لهما في صلاه الليل وصلاه الفريضة، فإن فعل ذلك فقد فتح لنفسه أبواب الرحمه والسعاده في النشأتين وتتمت أعماله

ص: ١٩٦

١- (١) تفسير البرهان: ج ٣، ص ٥١٨، ح ١٢ وح ١٣.

٢- (٢) انظر: تفسير الميزان: ج ١٣، ص ٨٠.

٣- (٣) انظر: مكارم الأخلاق: ص ٣٣٤. بحار الأنوار: ج ٨٨، ص ٢٢٠ - ص ٢٢١.

بحسن العاقبه وذلك منتهى الغايه، ويتعهد بزياره قبورهم، يدعو لهم، يرضيهم بأيه حالٍ من الأحوال، وإلا إذا انتقل الإنسان من هذه الدنيا إلى الحياه الأخرويه، الله يعلم ماذا سيجرى عليه هناك؛ ولذا يُروى: أنه كان رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً في أحد الأيام في المسجد، وفُجأه هبط عليه جبرئيل الأمين وقال له: السلام عليك يا رسول الله، انقل أقدامك الشريفه إلى المقبره، لكي تتبرك القبور بتراب أقدامك، ولكي يشم حيسو هذه القبور الضيقه المظلمه نسيم رحمتك الذي سيهب عليهم بقدمك عليهم، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله مع طائفه من أصحابه، ويمموا وجوههم نحو المقبره، وكان أصحابه يحيطون به عن يمينه وعن شماله، وفي الأثناء وصل أمير المؤمنين عليه السلام إلى هناك وسأل الرسول صلى الله عليه وآله عن نيتهم في هذا المسير، فقال له: نريد أن نذهب إلى مقبره البقيع، وعندما وصلوا إلى هناك تداعى إلى أسمع الرسول صلى الله عليه وآله صوت شخص يستغيث ويقول: الأمان يا رسول الله، فانتبه سيد الرسل إلى هذا الصوت وقال: يا صاحب القبر، أخبرني عن سبب عذابك؟

فأجابه: يا شفيع المذنبين وقدوه المؤمنين، إن سخط والدتي على سبب لي هذا العذاب؛ لأنني أذيتها في حياتي، الأمان الأمان يا رسول الله، فأمر الرسول صلى الله عليه وآله بلالاً أن ينادى في المدينه على الناس بأن يجتمعوا فنادى بلال بصوت جهورى: يا أيها الناس، اجتمعوا على قبور الآباء والأمهات والأقرباء بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله، وعندما سمعوا نداء بلال هبوا مسرعين إلى المقبره، فغصت المقبره بالناس، ومن بين الحضور كانت عجوزٌ محدودبه الظهر تتوكأ على عصاها، جاءت ووقفت بالقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله فسلمت عليه وقبلت التراب بين يديه وقالت: يا رسول الله ما الخبر؟

فقال: أيتها العجوز هذا ولدك؟

فأجابت: نعم يا رسول الله.

فقال لها صلى الله عليه وآله: إن ولدك الآن في محنه وعذاب، اغفري له وارضى عنه. فقالت العجوز: يا رسول الله، لا أغفر له ولا أَرْضِي عنه أبداً!!

ص: ١٩٧

قالت: لقد غذيته من لبنى، وعاش فى كنفى، وتحملت من أجله الصعاب، فلما كبر واشتد عوده فبدلاً من أن يحسن لى أخذ يتلذذ بأذيتى وعذابى.

فقال لها رسول الله صلى الله عليه و آله اعطى عليه وارحميه لينجو من عذابه، ورفع رسول الله صلى الله عليه و آله يديه بالدعاء وقال: إلهى بحق الخمسه من آل الكساء أسمع هذه الأم صوت استغاثه ولدها؛ كى يرق قلبها عليه وتعطف عليه وتغفر له، عندها أمر العجوز بأن تضع أذنها على قبر ولدها وتسمع صوت ولدها يئن بألم وحسره، فلم تتمالك عن البكاء وقالت: يا سيد المرسلين وشفيع المذنبين، إنه يستغيث، ويقول: فوقى نار وتحتى نار وعن يمينى نار وعن شمالى نار وبين يديّ نار، الأمان الأمان الأمان!!!

عندها رق قلب العجوز بسبب سماعها استغاثه ولدها وقالت: إلهى لقد عفوت عن تقصير ولدى، فألبسه الله سبحانه وتعالى لباس رحمته وعفا عنه فوراً، فنادى الولد: أيتها الوالده عفا الله عنك كما عفوت عنى(١).

هكذا كان أثر دعاء الوالده لولدها، ولذا ترى أنّ الإمام الحسين عليه السلام يوصى أمّ على الأكبر بقوله: ليلى ادعى لولدك، إنى سمعت جدى رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

«دعاء الأم مستجاب بحق ولدها»، وبالفعل دخلت ليلى إلى الفسطاط، نشرت شعرها، رفعت يديها إلى السماء قائلة: إلهى بغربه أبى عبد الله، إلهى بعطش أبى عبد الله، يا رادّ يوسف إلى يعقوب، أردد إلئى ولدى على. ما هى إلا لحظات وإذا بعلى الأكبر يرجع سالماً، واستجاب الله دعاء ليلى بحق ولدها، ولكن المصيبة الكبرى عندما وقع القضاء، وشاء الله أن تراه على رمضاء كربلاء مقطع إرباً إرباً(٢).

١- (١) الأخلاق والآداب الإسلاميه: ص ١٢٣ - ص ١٢٤.

٢- (٢) انظر: مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ١، ص ٣٩٣ - ص ٣٩٤.

وكأني بأمة ليلي تخاطبه:

ردتك ذخر ليام شيبى يوسفه إنكقطع منك نصيبى

(مجاريد)

فجيده يا على بينى فجيده بعیده شوفتك صارت بعیده

المد ایده عليك انشلت ایده او شرابه لا هنه ولا طاب له الزاد

\*\*\*

يا على بينى النوب ذليت والموت ياخذنى تمنيت

عمود الوسط يا شایل البيت بينى بعد عندى اشخّلت

(أبوزيه)

ردتك ما ردت دنيه ولا مال تحضرنى لو وگع حملى ولا مال

ياكبر خابت إظنونى والأمال عند الضيغ بينى إكطعت بى

\*\*\*

رجوتك يا على تعيش بعدى وتوسد جثى رمس اللخود

\*\*\*

إنّا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ أَىُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبه للمتقين.

ص: ١٩٩









البدارَ البدارَ آل نزار قد فُنِيتُم ما بينَ بيضِ الشُّفارِ  
سوّموا الخيلَ واطلقوها عراباً واطركوها تشق بيد القفارِ  
وابعثوها ضُوابحاً فأُمِّي وسمت أنفَ مجدِكم بالصُّغارِ  
لا تلد هاشميهُ علويّاً إن تركتم أميّه بقرارِ  
أنزارَ نضوا برود التهاني فحسينُ على البسيطة عارى  
لا تمدّوا لكم عن الشّمس ظلّاً إنّ في الشّمس مهجّة المختارِ  
لا تذوقوا المعينَ واقضوا ظمأيا بعدَ ظامِ قضى بحدّ الغرارِ  
حقّ أن لا تكفّنوا هاشمياً بعدما كفّن الحسينَ الذارى  
لا تشقّوا لآلِ فهِرٍ قبوراً فابنُ طه مُلقى بلا إقبارِ  
طأطئوا الرُّؤوسَ إنّ رأسَ حسينٍ رفعوه فوق القنا الخطارِ(١)

\*\*\*

فعندما رأت العقيله زينب عليها السلام رؤوس إخوتها وأولادها وأولاد عمومتها على القنا، تذكّرت عزّها وتوجّهت نحو كافلها  
أبى الفضل العباس.

(بحراني)

صاحت دخيلك يالمكّطع بالشريعه جاها النده ردى ترى اچفوفى كطيعه  
للخيم ردى لليتامى يالوديعة تدرين بيه امكطعه ايمنى واليسار

ص: ٢٠٣

---

١- (١) القصيده للشّيح عبد الحسين شكر رحمه الله، وقد تقدّمت ترجمته فى المحاضرته الثانيه.

امطبر ومن جوفى انزفت كل هاءى الدموم روى العلى الأكبر يزىنب بلچن يگوم

أيست منه اوباليتامى ردت تحوم اتنخى اومن كثر النواخى گلبها طار

\*\*\*

صاحت صوت ياعباس وينك گوم اوجرد الماضى بيمينك

وخلها تصد واتشوف عينك آيا حمانا الفاگدينك

\*\*\*

قال تعالى: وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسْأَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١).

لقد دعا الإسلام إلى الألفة والمحبة بين جميع الناس، وأوصاهم أن يتعارفوا ويتآلفوا، وأكد على ذلك، وشدد عليه فى حقّ القرابه المعبر عنها بالرحم، التى أوصى الله بصلتها، ونهى عن قطيعتها، وحدّر الأرحام من التدابر والتقاطع.

وليس معنى ذلك أن تصبح القرابه صنماً يتحكّم بعواطف الناس وعقائدها، وتتحوّل الأرحام إلى آلهه تجرف فى طريقها كلّ عدلٍ وحقّ، ويتحوّل على أساسها الباطل إلى حقّ والحقّ إلى باطل... بل معناها أن يكون بين الأرحام تواصلٌ وتعاطفٌ وتوادّ فى الله ومن أجل الله، فتتحول هذه الصله إلى طهر ونزاهه، يجتمع فيها الأرحام على طاعه الله وتقواه، ولا يفصمها ولا يزلزلها حادث عابر، أو قضيه تافهه، ومن هنا كان للأرحام حقوق أشدّ وأقوى من حقوق سائر المسلمين، يحسن بنا أن نمّر عليها ونتدبرها(٢).

ص: ٢٠٤

١- (١) النساء: آيه ١.

٢- (٢) الأخلاق والآداب الإسلاميه: ص ٨٤٧.

فقد ابتدأت الآيه المباركه بالأمر بالتقوى، قائلة: (واتقوا الله)، وذلك لأهميّه التقوى ودورها فى بناء قاعده المجتمع الصالح، الأمر الذى اقتضى أن تذكر مجدداً فى نهايه الآيه محل البحث، وأن يدعو سبحانه الناس إلى التزام التقوى، غايه الأمر أنه تعالى أضاف إليها جملة أخرى؛ إذ قال: وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ .

بمعنى: اتقوا الله العظيم، الذى تذكرون اسمه عندما تطلبون حقوقكم وحوائجكم فيما بينكم.

إن ذكر هذا الموضوع هنا يدلّ أولاً على الأهميّه الفائقه التى يُعطيها القرآن الكريم لمسأله الرحم ووشيجه القربى إلى درجه أنه يذكر اسم الأرحام بعد ذكر اسم الله سبحانه، وفيه إشاره - ثانياً - إلى الأمر الذى ذكر فى مطلع الآيه، وهو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً، وهو أنكم جميعاً من أب واحدٍ وأمٍّ واحد، وهذا يعنى: أن جميع أبناء آدم أقرباء وأرحام، وهذا الارتباط والترابط يستوجب أن يتحاب الجميع، ويتوادوا دون تفریق أو تمييز بين فردٍ وآخر، وقبيله وأخرى، تماماً كما يتحاب أفراد القبيله الواحده(١).

### مَن هم الأرحام ؟

الأرحام مفهومٌ يُعيّنه العرف(٢)، والقدر المتيقّن منه الآباء والأبناء والإخوه والأعمام والأخوال وأولادهم المُباشرون، وهؤلاء أمرنا الله بصلّتهم وفرض علينا التعاون معهم

ص: ٢٠٥

١- (١) انظر: تفسير الأمثل: ج ٣، ص ٨١ - ص ٨٢.

٢- (٢) قال الشهيد الثانى رحمه الله فى مسالك الإفهام (ج ٦، ص ٢٣٢): «لا إشكال فى صحّه الوصيه للقرباه؛ لما فيه من الجمع بين الصدقه وصله الرحم، ولكن اختلف الأصحاب فى أنّ القرباه من هم؟ لعدم النصّ الوارد فى تحقيقه. والأكثر على ما اختاره المصنّف من رده إلى العرف؛ لأنّه المحكم فى مثل ذلك حيث لا- معين له من الشارع، وهو دال على أنّ المراد به المعروفون بنسبه عاده، سواء فى ذلك الوارث وغيره».

ونحفظهم ونرعاهم.

رَوَى عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ قَالَ:

«أَوَّلُ نَاطِقٍ مِنَ الْجَوَارِحِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّحِمُ، تَقُولُ: يَا رَبِّ مَنْ وَصَلَنِي فِي الدُّنْيَا فَصَلَّ الْيَوْمَ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَمَنْ قَطَعَنِي فِي الدُّنْيَا فَأَقْطَعِ الْيَوْمَ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ» (١).

### آثار قطيعه الرحم:

وإنَّ من الذنوب الكبيّره والجرائم العظيمة أن يقطع الإنسان رحمه وينصب له العدا، ويقف في وجهه شاهراً لسانه مُعلنًا غضبه، إنَّ قطيعه الرحم من الكبائر، وهى لا تجوز بأى شكل من الأشكال فى قاموس المسلمين.

وقد يترتب على قطع الرحم آثار سيئة وعقوبات جسيمة، وعذاب من الله شديد، وإليك بعض آثار قطيعه الرحم:

١ - إنَّها تدخل النار، وتُغضب العزيز الجبار؛ فإنَّ الله توعد عليها بعذاب أليم لمن قطع رحمه.

فعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

«أخبرنى جبرائيل أنّ ريح الجنّة توجد من مسيره ألف عام مايجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان» (٢).

٢ - من آثارها أن تتحوّل الأموال إلى أيدي الأشرار.

فعن الإمام الباقر عليه السلام:

«إذا قُطعت الأرحام جُعِلت الأموال فى أيدي الأشرار» (٣).

٣ - قطيعه الرحم من الذنوب التى تُعجّل الفناء، فى خطبه لأمير المؤمنين عليه السلام يقول:

«أعوذ بالله من الذنوب التى تُعجّل الفناء... فقام إليه عبد الله بن الكواء الشكرى، فقال :

ص: ٢٠٦

١- (١) الكافي: ج ٢، ص ١٥١، ح ٨.

٢- (٢) الكافي: ج ٢، ص ٣٤٩، ح ٦.

٣- (٣) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٣٤٨، ح ٦.

يا أمير المؤمنين، أو يكون ذنوب تُعَجِّلُ الفناء؟ فقال: نعم - ويلك - قطيعه الرحم»(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«الذنوب التي تُعَجِّلُ الفناء قطيعه الرحم»(٢).

٤ - قطيعه الرحم سببٌ لحلول النقم، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«حلول النقم في قطيعه الرحم»(٣).

٥ - قاطع الرحم لا تنزل عليه الرحمه ولا على الذين معه، كما ورد مروياً عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال:

«إنَّ الرحمه لا تنزل على قومٍ فيهم قاطع رحم»(٤).

٦ - قاطع الرحم لا تنزل عليه الملائكه ولا على القوم الذي هو فيهم، كما ورد بنفس المضمون المتقدم:

«إنَّ الملائكه لا تنزل على قومٍ فيهم قاطع رحم»(٥).

٧ - تعجيل العقوبه الدنيويه، فعن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال:

«ما من ذنبٍ أجدر من أن يعجِّلَ اللهُ تعالى لصاحبه العقوبه في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من قطيعه الرحم والخيانه والكذب»(٦).

هذا كله في آثار قطيعه الرحم، وفي المقابل هناك آثار إيجابيه كثيره وعظيمه لصله الرحم، جدير بكلِّ إنسانٍ عاقل أن يتدبَّرها، ويكتبها ويبحث عنها، ويوفرّها لنفسه، خصوصاً وأنها في متناول يده، وتحت سُلْطانه، ممَّا يجعل حججه ومعاذيره غير مقبوله على الإطلاق.

ص: ٢٠٧

١- (١) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٣٤٧ - ص ٣٤٨، ح ٧.

٢- (٢) علل الشرائع: ج ٢، ص ٥٨٤، ح ٢٧.

٣- (٣) عيون الحكم والمواعظ: ص ٢٣٤.

٤- (٤) مستدرک الوسائل: ج ٩، ص ١٠٧، ح ٢.

٥- (٥) مجمع الزوائد: ج ٨، ص ١٥١.

٦- (٦) المصدر نفسه: ج ٨، ص ١٥١ - ص ١٥٢.

من أبرز هذه الآثار:

١ - طاعه الله عزَّ وجلَّ امتثالاً لأمره، وهذا المعنى هو غاية مطمح أنظار المؤمنين؛ فإنَّهم يبحثون عن رضاه باستمرار، ويعتبر ذلك من أهمِّ عوامل إدخال السرور عليهم، والراحه لنفوسهم.

٢ - صلته الرحم تزيد في العُمر، فعن أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً أحد أصحابه واسمه نوف:

«يا نوف، صلِّ رحمك يزيد الله عُمرَكَ» (١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«إنَّ الرجل ليصل رحمه، وقد بقي من عُمره ثلاث سنين فيصيرها الله عزَّ وجلَّ ثلاثين سنة، ويقطعها وقد بقي من عُمره ثلاثون سنة فيصيرها الله ثلاث سنين. ثُمَّ تلا: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» (٢).

٣ - صلته الرحم تهوّن سكرات الموت، وكذا شدائده، وتقى من ميته السوء؛ فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُخَفَّفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، فليكن لقربته وصولاً وبوالديه باراً، فإذا كان كذلك، هوّن الله عليه سكرات الموت، ولم يُصبه في حياته فقرٌ أبداً» (٣).

وعن إمامنا الهادي عليه السلام:

«فيما كلم الله تعالى به موسى عليه السلام: قال موسى: فما جزاء مَنْ وصل رحمه؟ قال: ياموسى، انسىء له أجله، وأهوّن عليه سكرات الموت» (٤).

وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

: «صلته الرحم تهوّن الحساب، وتقى ميته السوء» (٥).

ص: ٢٠٨

١- (١) أمالي الصدوق: ص ٢٧٨، ح ٩.

٢- (٢) بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ١٦٣، ح ١. والآية ٣٩ من سورة الرعد.

٣- (٣) أمالي الصدوق: ص ٤٣٢، ح ٢٤.

٤- (٤) المصدر نفسه: ص ٢٧٦، ح ١.

٥- (٥) أمالي الطوسي: ص ٤٨١، ح ١٨.



٤ - صله الرحم تنفى الفقر، وتجلب الخير، كما روى عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«صله الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر»<sup>(١)</sup>.

٥ - صله الرحم تزيد في الرزق، فعن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَبْسُطَ اللَّهُ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَجَلِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»<sup>(٢)</sup>.

وغيرها من الآثار المخفية على الكثير من الناس.

### أقل ما يتحقق به صله الرحم

لو أعوز الإنسان المال، ولم يسعفه ذات يده أن يبسطها إلى أرحامه، ويمدهم بما أعطاه الله من فضله، فلا يبخل عليهم بما تقدر عليه من زياريهم، أو التردد عليهم، ولا أقل من السلام عليهم؛ فإن صلتهم بهذا المقدار القليل يطيب قلوبهم، ويرقق مشاعرهم، ويزرع الحب والثقة في نفوسهم، وهذا المقدار ينمو ويربو ويعطى أفضل الثمار.

فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال:

«صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِسَلَامٍ»<sup>(٣)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالتَّسْلِيمِ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا»<sup>٤</sup>.

### أفضل صور صله الرحم

وأفضل صله الرحم وأعظمها فيما لو كان أحد الأرحام قاطعاً لها؛ فإن صلتها لوجه الله حينئذ ستكون خالصة لوجه الله، صافية من جميع شوائب الرياء والتعصب.

فإن في حاله الرضا والوفاق تتدخل المصالح والمنافع والقرباء، ولكن إذا كان رحمك

ص: ٢٠٩

١- (١) قرب الإسناد: ص ٧٦، ح ٢٤٤.

٢- (٢) الخصال: ص ٣٢، ح ١١٢.

٣- (٣) تحف العقول: ص ٥٧.

قاطعاً لك تستطيع أن تصله، وبعملك هذا تخرجه عن عدائه؛ لتضمه إلى جانبك في حُبِّ ورضى... بل الإسلام يفرض عليك عدم مقاطعه أرحامك، وإن كادوك ونصبوا لك العداوه، وحاولوا الإضرار بك.

فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام:

«إِنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَهْلَ بَيْتِي أَبُوًّا إِلَّا تَوَثُّبًا عَلَيَّ وَقَطِيعَةً لِي، فَأَرْفُضُهُمْ؟

فَقَالَ: إِذَا يَرْفُضُكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا.

قال: فكيف أصنع؟

قال: تصل مَنْ قطعك، وتعطى مَنْ حرمك، وتعفو عمن ظلمك، فإنك إذا فعلت ذلك كان لك من الله عز وجل ظهير» (١).

ومن هنا كان الرحم الكاشح وهو المعادي، هو المصداق الأفضل للصدقه وللوصل؛ لعله يرق قلبه؛ ولذا ترى سيد الشهداء عليه السلام يأمر أخاه أبا الفضل العباس عليه السلام أن يجيب الشمر وهو عدو الله، قال له: أخى يا أبا الفضل، أجه وإن كان فاسقاً. ولكن الشمر صاح بأعلى صوته - بعد ما وعظهم أبو الفضل العباس عليه السلام - يا بن أبى تراب لو كان وجه الأرض كله ماءً، وهو تحت أيدينا لما أسقيناكم منه قطره! فرجع العباس إلى أخيه يخبره بجواب القوم، فسمع الأطفال يتصارخون وينادون: العطش العطش.

أو تشتكى العطش الفواطم عنده وبصدر سعده الفرات المفعم

فركب جواده ومعه اللواء، وأخذ القربة، وقصد الفرات، فأحاط به أربعة الآف، ممن كانوا موكلين بالفرات، ورموه بالنبال، فكشفهم وقتل منهم جماعه.

وثنى أبو الفضل الفوارس نكصاً فرأوا أشد ثباتهم أن يهزموا

ما كثر ذو بأسٍ له متقدماً إلا وفرَّ ورأسه المتقدِّم

ص: ٢١٠

حتّى وصل إلى المشرعه، ركز لواءه ونزل إلى الماء، فلمّا أحسّ ببرد الماء وقد كظّه العطش، اعترف عُرفهً ليشرب، لكنه تذكّر عطش الحسين عليه السلام، فرمى الماء من يده، وقال: لا والله، لا أشربُ وأخى الحسين عطشان، ثمّ جعل يقول:

يا نفسُ من بعدِ الحسينِ هونى وبعده لا كنتِ أن تكونى

هذا حسينٌ وارِدُ المنونِ وتشرين بارد المَعين

\*\*\*

غرفِ غرفه إيمينه اوراد يشرب و كلبه إمن العطش نيران يلهب

ذكر جبده عضيده والدمع صب ذبه أوعلى كالمى يحرم

اشلون أشرب ورد ريان عنك وخوى احسين ورده إنمنع منك

ينهر العلكمى عكبه عسّكك وردك لاهنه ويصير علكم

اشلون أشرب وخوى احسين عطشان وسكنه والحرم وأطفال رضعان

وظن كلب العليل التهب نيران يريت الماي بعده لا حله اوامر

فهذا موقف أبى الفضل العباس عليه السلام لأخيه أبى عبد الله الحسين عليه السلام، وأمّا موقف أبى عبد الله عندما رآه على نهر العلقمى نادى: «الآن إنكسر ظهري».

(فايزى)

ظهري انكسر يا خويه وانت اللى كسرتة مانى أخوك اشلون أخوك اليوم عفته

انتة التجيب الماي وانتة الكافل انتة اتخلى العقيله بلا ولى بين آل أميه

ص: ٢١١

اشلون أردن للخيم والخيم ظلمه عباس خويه نومتك علكاع هظمه

ماين طفل اليرتجيك وبين حرمة كلسا تگول اسا يجيب المای ليه (1)

\*\*\*

عباسُ تسمعُ زينباً تدعوك من لي ياحمى إذا العدى نهروني

\*\*\*

إنّا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ ينقلبون

والعاقبه للمتقين.

ص: ٢١٢

---

١- (١) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ١، ص ١٣٧ - ص ١٤٢.





عِشْ فِي زَمَانِكَ مَا اسْتَطَعْتَ نَبِيلاً وَاتْرُكْ حَدِيثَكَ لِلرَّوَاهِ جَمِيلاً

وَلِعَزَّكَ اسْتَرْخِصْ حَيَاتَكَ إِنَّهُ أَعْلَى وَإِلَّا غَادِرْتُكَ ذَلِيلاً

تَعْطَى الْحَيَاةُ قِيَادَهَا لَكَ كُلَّمَا صَيَّرْتَهَا لِلْمَكْرُمَاتِ ذُلُولاً

الْعُزُّ مَقْيَاسُ الْحَيَاةِ وَضَلٌّ مَنْ قَدْ عَدَّ مَقْيَاسَ الْحَيَاةِ الطُّوْلَ

قُلْ كَيْفَ عَاشَ وَلَا تَقُلْ كَمْ عَاشَ مَنْ جَعَلَ الْحَيَاةَ إِلَى عُلَاهِ سَبِيلاً

لَاغُرُو إِنْ طَوَّتِ الْمَتِيَّةُ مَا جَدًّا كَثُرَتْ مَحَاسِنُهُ وَعَاشَ قَلِيلاً

مَا كَانَ لِلْأَحْرَارِ إِلَّا قَدْوَةٌ بَطُلٌ تَوْسَدُ فِي الطُّفُوفِ قَتِيلاً

بِعَثْتِهِ أَسْفَارُ الْحَقَائِقِ آيَةً لَا تَقْبَلُ التَّفْسِيرَ وَالتَّأْوِيلَ

يَدْوَى صِدَاها فِي الْمَسَامِعِ زَاجِراً مَنْ عَلَّ ضَيْماً وَاسْتَكَانَ خُمُولاً

لَا زَالَ يَقْرُؤُهَا الزَّمَانُ مُعْظِماً فِي شَأْنِهَا وَيَزِيدُهَا تَرْتِيلاً(١)

\*\*\*

ص: ٢١٥

١- (١) القصيدة للشاعر الحاج عبد الحسين الأزري رحمه الله، قال عنه السيد جواد شبر رحمه الله في كتابه القيم أدب الطف (ج ١٠، ص ٧٩): «الحاج عبد الحسين الأزري من شعراء العراق اللامعين، حرّ التفكير والعقيدة ومن أوائل دعاة التحرير، وقد أصدر في العهد العثماني جريده ببغداد، كانت من أوائل الجرائد إن لم تكن أول جريده طالبت بحقوق العرب وحرّيتهم، وقد نفاه الأتراك وحبس في الأنضول... ولد الحاج عبد الحسين في بغداد سنة ١٢٩٨ هـ -، وترعرع في زمن كثرت فيه الانتفاضات على النظم السياسيّة وعلى العادات والتقاليد الباليّة، من أجل ذلك نشأ وهو ثورة أديبه اجتماعية... وكان الشاعر يتقن الإفرنسيّة، فكان محلّقاً في خياله ومبدعاً في أسلوبه القصصي. من آثاره: (بطل الحلة) روايه عصرية، (البوران) روايه عصرية، (قصر التاج)، (ديوان شعر). توفي رحمه الله في بغداد يوم الأحد ٢١ ربيع الثاني ١٣٧٤ هـ -، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف بتشجيع مهيب، فدفن في وادي السلام، ونعته الصحف العراقيه والعريه، ورثاه عارفوه وأبنوه».

سیدی:

فلیت أکفًا حاربتک تقطعتُ وأرجلٌ بغيٍ جاوبتک جُذامٌ

إنَّها الأکفُّ الأثیمه، والأرجلُ التي سعت إلى أعظم جريمه، أبکت عين رسول الله وأمیر المؤمنین علیهما السلام، وترکت أمَّک الزهراء علیها السلام تقیم مأتَمها إلى جنب جسدک الطاهر ليله الحادی عشر، وهی تلثم نحرک وتطالِبُک بحقوق الأمومه.

تکلک یا عزیز الروح یا سبَّاح کلبی ویاظیا بالعين أمَّک لاح

بینی ما تکلّی وین راسک راح آیحسین یومک بیس أوصفنه

\*\*\*

مانی أمَّک وجیت أطلب إبحک إربای یمای العين یلی ما شربت المای

أنه الکسروا ضلعها گوم واحچی اویای ولهانه إعلی صوتک وارد أسمعنه

إشکثر بینی اتعبت برباک أنه اولولیت یاشمعه إعیونی اویاعمود البيت

بینی امن المدينه الکربله اتعنیت دسولفلی علیک إشصار یمچنه

اگعد شوف جدک گاعد اگبالک ینادی احسین بینی اشصایر ابحالک

بینی من کطع یمناک وشمالک اوصدرک لیش بینی الخیل رضنه

یّمه إبیاذنب چتلتک هالعدوان بینی اولیش جسمک عالترب عریان

یم شاطی الفرات اوتنذیح عطشان أرید أعرّف اعلیمن تنحرم منه

بینی وهای جیتی انشوفک إیباحال اویاهو اللی بیاری البگه امن الأطفال

اوحمل زینب دکلّی اعلی الجمل لومال یاهو اللی یعدله اولیه یتدنه

\*\*\*



عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «اللَّهُمَّ بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحججه، إما ظاهراً مشهوراً وإما خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيئاته» (١).

هذا المقطع من كلام أمير المؤمنين عليه السلام سيد البلغاء والمتكلمين الذى كلامه أمير الكلام؛ بل كل شىء فيه أمير، وهو الذى فقاً عيون البلاغه، وأيتم جواهر الحكمة، كما عبّر الشعبي، حيث قال: «تكلم أمير المؤمنين عليه السلام بتسع كلمات أرتجلهن ارتجالاً فقأن عيون البلاغه، وأيتم جواهر الحكمة، وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحد منهن، ثلاث منها فى المناجاة، وثلاث منها فى الحكمة، وثلاث منها فى الأدب، فأما اللاتى فى المناجاة فقال: إلهى كفى لى عزاً أن أكون لك عبداً، وكفى لى فخراً أن تكون لى رباً، أنت كما أحب فاجعلنى كما تحب. وأما اللاتى فى الحكمة فقال: قيمه كل امرئ ما يحسنه، وما هلك امرء عرف قدره، والمرء مخبوء تحت لسانه. وأما اللاتى فى الأدب فقال: أمن على من شئت تكن أميره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عن شئت تكن نظيره» (٢).

وهذا المقطع من كلامه الشريف كان من ضمن الحكم التى وجهها لكميل بن زياد النخعى، وهى من الحكم الجامعه لمحاسن الكلام، وقد خرج بكميل نحو الجبانة، أى: المقبره، ثم أصر به، أى: أخذه نحو الصحراء، فلما وصلا تنفس الصعداء، ثم قال: «يا كميل، إن هذه القلوب أوعيه فخيرها أوعاها، فاحفظ عنى ما أقول لك».

وبدأ يتدرج معه فى الحديث، إلى أن وصل به المقام إلى بيان ضروره وجود الإمام، فى قوله: «اللَّهُمَّ بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحججه، إما ظاهراً مشهوراً وإما خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيئاته».

قال ابن أبى الحديد فى شرح النهج: «كيلا يخلو الزمان ممن هو مهيمن لله تعالى

ص: ٢١٧

١- (١) نهج البلاغه: قسم الحكم، الرقم: ١٤٧

٢- (٢) الخصال: ص ٤٢٠، ح ١٤، عنه بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٤٠٠، ح ٢٣.

ومسيطر عليهم؛ وهذا يكاد يكون تصريحاً بمذهب الإمامية، إلا أنّ أصحابنا يحملونه على أنّ المراد به الأبدال العُذِين وردت الأخبار النبوية عنهم؛ أنّهم في الأرض سائحون»(١)، وهذا صرف لكلام أمير المؤمنين عليه السلام عن ظاهره بلا قرينه حاله، أو مقالته، فلا يُعنى به، ولا يُلتفت إليه.

فكلّ إنسان عاقل يفهم من كلام الأمير عليه السلام حاجه الأُمّة إلى الإمام؛ إذ التعليل الذي ذكره الإمام عليه السلام لا يناسب إلاّ ذلك.

وذلك عند قوله «لثلاث- تبطل حجج الله وبيناته»، فهو يناسب أن يكون هناك مَنْ يكون قوله حجّة لله تعالى، وليس هناك مَنْ يكون قوله حجّة على الناس إلاّ حجج الله، ومَنْ جعلوه هم، فمن هنا اتّضح أنّ المقصود هو الإمام عليه السلام.

أضف إلى ذلك ما ورد في نصوص عديده عن الأئمّة عليهم السلام بأنّهم حجّة الله على العباد، كما ورد في كتاب الكافي الشريف روايات وروايات بهذا الخصوص في كتاب الحجّة منه والذي يأتي بعد كتاب التوحيد مباشرة.

ومن هذه الروايات ما روى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الحجّة لا تقوم لله عزّ وجلّ على خلقه إلاّ بإمام حتّى يُعرف»(٢).

#### الإمامه عند الشيعة:

إنّ الإمامه عند الشيعة تختلف في حقيقتها وجوهرها عمّا لدى أهل السنّة، فهي عندنا إمرة إلهية، وإستمرار لوظائف النّبى والنبوه، سوى تحيّل الوحي الإلهي، ومقتضى هذا اتّصاف الإمام بالشروط المشترطه في النّبى، وعلى هذا سوف ينحصر طريق ثبوت الإمامه بتنصيب من الله، وتنصيب من النّبى الأكرم صلى الله عليه وآله، أو الإمام السابق.

ص: ٢١٨

١- (١) شرح نهج البلاغه: ج ١٨، ص ١٦٣.

٢- (٢) الكافي: ج ١، ص ١٧٧، كتاب الحجّة، ح ٢.

أما عند غير الشيعة فهي لا تخضع إلى ميزان، بل ليس لها ميزان، فتارةً يعتمدون على تعيين السابق لللاحق، وأخرى على الشورى، وثالثة على السيف، إلى غير ذلك. وهي ليست عندهم من الأصول الاعتقادية، أما عندنا فهي أصل من الأصول الاعتقادية.

## الأدلة على هذا الأصل

الدليل الأول: الآيات والروايات

إنَّ النبيَّ الأكرم صلى الله عليه وآله لم تكن مهمته مقتصره على تلقى الوحي الإلهي وتبليغه إلى الناس، بل كان يقوم بعده أمور: منها: تفسيره للكتاب العزيز، وشرح مقاصده، وكشف أسرارهِ، وهذا ما بيَّنه قوله سبحانه وتعالى: **وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ (١)**.

ومنها: بيان أحكام الموضوعات التي تحدث في زمن دعوته صلى الله عليه وآله.

ومنها: دفع الشبهات، والجواب عن التساؤلات العويصة المريبه التي كان يثيرها أعداء الإسلام من يهود ونصارى.

ومنها: أنه صلى الله عليه وآله كان يصون الدين من التحريف والدرس، ويراقب ما أخذه عنه المسلمون من أصول وفروع، حتى لا تزل فيه أقدامهم.

هذه جملة من الأمور التي مارسها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أيام حياته الشريفة، ومن المعلوم أن رحلته ستخلف فراغاً هائلاً في الوظائف المتقدِّمه.

فلا بُدَّ من وجود من يسدُّ هذا الفراغ الهائل؛ لأنَّ الأُمَّة تحتاج إلى من يراقبها، ويوضح لها، ويأخذ بها إلى الطريق المستقيم في كلِّ زمانٍ وفي كلِّ مكانٍ.

وإلا كيف يترك الله تبارك وتعالى هذه الأُمَّة بلا شخص يرشدها، ويفسّر لها، ويرد

ص: ٢١٩

الشبهات التي تعرض لها، أو التساؤلات التي تتلقاها.

خصوصاً إذا علمنا أن الأمة لم تصل إلى مقام العصمة في زمن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حتى تعرف مصلحتها أو ما تحتاج إليه، فكيف بها بعده صلى الله عليه وآله؟!

وعليه فلا يمكن أن يكون هذا الفراغ الهائل دون أن يوجد من يشغله، فلا بُدَّ - إذن - من وجود من يستودعه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كمثل ما تلقاه من المعارف والأحكام، وأن تكون هذه الشخصية شخصيه مثاليه، لها كفاءه وقدره على تقبيل هذه المعارف والأحكام وتحملها.

الدليل الثاني: الأمة الإسلامية ومثلث الخطر المحقق بها

إن الدولة الإسلامية التي أسسها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كانت محاصرةً حال وفاته صلى الله عليه وآله من جهتي الشمال والشرق بأكبر إمبراطوريتين عرفهما تاريخ تلك الفترة، وكانتا على جانب كبير من القوه والبأس، وهما: الروم والفرس، الروم من الشمال، والفرس من الشرق.

ويكفي في بيان خطوره إمبراطوريه الفرس، ما كتبه ملكها إلى عامله باليمن - وذلك بعد أن وصلت إليه رساله النبي صلى الله عليه وآله تدعوه إلى الإسلام وقام بتمزيقها - : «ابعث إلى هذا الرجل بالحجاز، رجلين من عندك جلدَيْنِ فليأتيا نِيَّيْ به» (١).

هذه هي الأخطار الخارجيه التي تواجهها الأمة الإسلامية، وأمياً من الداخل، فقد كان الإسلام والمسلمون يعانون من وطأه مؤامرات المنافقين الذين كانوا يشكّلون جبهه عدوانيه داخلية، حتى أنّ الباري عزَّ وجلَّ أنزل فيهم سورة خاصه.

إذن، عدوان خارجيان، وعدو داخلي، فالمثلث تامٌّ، ومن المحتمل جداً أن يتحد هذا المثلث، ليزلزل ما بناه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فما هي الوظيفة مع وجود هذا الخطر العظيم؟

ص: ٢٢٠

هل الوظيفة هي تنصيب قائدٍ عارفٍ حكيمٍ له القدرة على قياده الأُمَّة ووظائفها حتّى يجتمع المسلمون تحت رايته، ويكونوا صَفًا واحداً في مُقابل ذاك الخطر؟

أو أنّ الوظيفة والمصلحة العامّة تقتضى تفويض الأمر إلى الأُمَّة حتّى يختاروا لأنفسهم أميراً، مع ما يحكيه لنا التاريخ من سيطره الروح القبليه عليهم؟<sup>(١)</sup>

والجواب هو: إنّ القائد العارف البصير هو مَنْ يعتنى بالأوضاع الاجتماعيه لأُمَّته، ويلاحظ الظروف المحيطه بها، ويرسم على ضوئها ما يراه صالحاً لمستقبلها، وعليه فلا بدّ من تعيين القائد والمدبّر، لا دفع الأمر إلى الأُمَّة، ومتى عرفت الأُمَّة مصلحتها؟!

الدليل الثالث: نصب الإمام لطفٍ إلهي

والدليل الثالث والمهم في المقام هو ما سلكه السيد المرتضى رحمه الله في الاستدلال حيث قال: إنّ نصب الإمام لطف من الله على العباد، واللطف واجبٌ على الله تعالى لما تقتضيه حكمته؛ وذلك لأنّ اللطف ما يُقرب إلى الطاعة ويُبعد عن المعصيه، ولو بالإعداد وبالضروره أنّ نصب الإمام كذلك؛ لما به من بيان المعارف والأحكام الإلهيه، وحفظ الشريعه من الزيادة والنقصان، وتنفيذ الأحكام، ورفع الظلم والفساد ونحوها.

وأما كونه واجباً عليه تعالى؛ فلائذ ترك اللطف من الله سبحانه وتعالى إخلالٌ بغرضه ومطلوبه، وهو طاعه العباد له، وترك معصيته، فيجب نصبه لئلا يُخلَّ بغرضه<sup>(٢)</sup>.

ولذا استدلّ أصحاب الإئمه عليهم السلام بأدله قويه لبيان أهميته الإمام، منها هذه الروايه الشريفه: روى عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن إبراهيم عن يونس بن يعقوب، قال: كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعه من أصحابه، منهم حمران بن أعين، ومحمد بن النعمان، وهشام بن سالم، والطيار، وجماعه فيهم هشام بن الحكم - وهوشاب - فقال أبو عبد

ص: ٢٢١

١- (١) الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ١٤٥. وأنظر: الإلهيات: ص ٣٦١.

٢- (٢) نقلنا ذلك من كتاب الإلهيات للشيخ جعفر السبحاني: ص ٣٥٧ - ص ٣٦٤.

الله عليه السلام: «يا هشام، ألا- تخبرني كيف صنعت بعمر بن عبيد، وكيف سألته؟ فقال هشام: يا بن رسول الله، إنني أجلك وأستحييك، ولا يعمل لساني بين يديك، فقال أبو عبد الله: إذا أمرتكم بشيء فافعلوا.

قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصره، فعظم ذلك عليّ، فخرجتُ إليه ودخلتُ البصره يوم الجمعة، فأتيْتُ مسجد البصره، فإذا أنا بحلقه كبيره فيها عمرو بن عبيد وعليه شمله سوداء متزّره بها من صوفٍ، وشمله مرتدٍ بها، والناس يسألونه، فاستفرجتُ الناس، فأفرجوا لي، ثمّ قعدتُ في آخر القوم على ركبتيّ، ثمّ قلتُ: أيُّها العالم، إنني رجلٌ غريبٌ، تأذن لي في مسأله؟ فقال لي: نعم. فقلتُ له: ألك عينٌ؟ فقال: يا بنيّ أيّ شيء هذا من السؤال؟ وشيء تراه كيف تسأل عنه؟ فقلتُ هكذا مسألتى، فقال: يا بني سل وإن كانت مسألتك حمقاء، قلتُ: أجبنى فيها، قال لي: سل.

قلتُ: ألك عينٌ؟ قال: نعم، قلتُ: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص، قلتُ: فلك أنفٌ؟ قال: نعم، قلتُ: فما تصنع به؟ قال: أشمُّ به الرائحه، قلتُ: ألك فمٌ؟ قال: نعم، قلتُ: فما تصنع به؟ قال: أذوقُ به الطعام، قلتُ: فلك أذنٌ؟ قال: نعم، قلتُ: فما تصنع بها؟ قال: أسمعُ بها الصوت، قلتُ: ألك قلبٌ؟ قال: نعم، قلتُ: فما تصنع به؟ قال: أميّزُ به كلّما ورد على هذه الجوارح والحواس.

قلتُ: أو ليس في هذه الجوارح غنيٌّ عن القلب؟ فقال: لا، قلتُ: وكيف ذلك وهي صحيحه سليمه. قال: يا بنيّ، إنَّ الجوارح إذا شكّت في شيءٍ شمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته، ردتّه إلى القلب، فيستيقن اليقين ويُبطل الشكّ.

قال هشام: فقلتُ له: فإنّما أقام الله القلب لشكّ الجوارح؟ قال: نعم، قلتُ: لا يبدُّ من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم، فقلتُ له: يا أبا مروان، فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً يصحّح لها الصحيح ويثبّث به ما شكّ فيه، ويترك هذا الخلق

كَلِّهِمْ فِي حَيْرَتِهِمْ وَشَكِّهِمْ وَاجْتِلَاهُمْ لَا - يَقِيمُ لَهُمْ إِمَامًا يَرُدُّونَ إِلَيْهِ شَكَّهُمْ وَحَيْرَتَهُمْ، وَيَقِيمُ لَكَ إِمَامًا لَجْوَارِحِكَ تَرُدُّ إِلَيْهِ حَيْرَتَكَ وَشَكَّكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا.

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى فَقَالَ لِي: أَنْتَ هُشَامُ بْنُ الْحَكَمِ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: أَمِنْ جُلَسَائِهِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَنْ أَيْنَ أَنْتَ؟، قَالَ: قُلْتُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَالَ: فَأَنْتَ إِذَا هُوَ، ثُمَّ ضَمَّنِي إِلَيْهِ، وَأَقْعَدَنِي فِي مَجْلِسِهِ وَزَالَ عَنِ مَجْلِسِهِ وَمَا نَطَقَ حَتَّى قُتِمَتْ.

قَالَ: فَضَحِكَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ: يَا هُشَامُ، مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا؟ قُلْتُ: شَيْءٌ أَخَذْتَهُ مِنْكَ وَأَلْفْتَهُ، فَقَالَ: هَذَا وَاللَّهِ، مَكْتُوبٌ فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى<sup>(١)</sup>.

فَهَكَذَا هُوَ حَالُ الْإِمَامِ الْمَعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِمِثَابَةِ قَلْبِ الْإِنْسَانِ، فَالْعَالَمُ بِلَا إِمَامٍ كَالْإِنْسَانِ بِلَا قَلْبٍ، وَكَيْفَ يَعِيشُ الْإِنْسَانُ إِذَا كَانَ بِلَا قَلْبٍ أَوْ تَعَرَّضَ قَلْبُهُ لَجِرْحٍ أَوْ عَارِضٍ مَعِينٍ، بَلْ كَيْفَ نَتَصَوَّرُ إِنْسَانًا يَخْتَرِقُ قَلْبَهُ سَهْمٌ مِثْلَ لَهْ ثَلَاثِ شُعَبٍ.

قَالَ أَرْبَابُ الْمُقَاتِلِ: كَانَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ عِنْدَمَا بَرَزَ إِلَى الْقِتَالِ:

أَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ آلَيْتُ أَنْ لَا أَنْتَنِي

أَحْمَى عِيَالَتِي أَبِي أَمْضَى عَلَى دِينِ النَّبِيِّ

وَأَخَذَ يَضْرِبُ فِيهِمْ يَمِينًا وَشِمَالًا، حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا.

فَلَمَّا نَظَرَ الشَّمْرَ إِلَى ذَلِكَ أَقْبَلَ إِلَى عَمْرِ بْنِ سَعْدٍ، وَقَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ يَفْنِينَا عَنْ آخِرِنَا مَبَارَزَةً، قَالَ: كَيْفَ نَصْنَعُ بِهِ؟

قَالَ: نَفْتَرِقُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَافْتَرِقُوا عَلَيْهِ: فَرَقَهُ تَرْمِيهِ بِالْنبالِ وَالسَّهَامِ وَالْحِجَارِ، وَفَرَقَهُ يَطْعَنُونَهُ بِالرِّمَاحِ، وَفَرَقَهُ يَضْرِبُونَهُ بِالسَّيُوفِ، حَتَّى أَتَخْنُوهُ بِالْجِرَاحِ، قَالَ فِي اللَّهْوَفِ: حَتَّى أَصَابَتْهُ إِثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ جُرَاحًا، فَوَقَفَ يَسْتَرِيحُ سَاعَةً، وَقَدْ ضَعْفَ عَنِ الْقِتَالِ، فَبَيْنَمَا هُوَ وَاقِفٌ إِذْ أَتَاهُ حَجْرٌ فَوَقَعَ فِي جَبْهَتِهِ، فَسَالَتِ الدَّمَاءُ عَلَى وَجْهِهِ وَلِحْيَتِهِ.

ص: ٢٢٣

١- (١) الكافي: ج ١، ص ١٦٩ - ص ١٧١، كتاب الحجَّة، ح ٣.

فأخذ الثوب ليمسح الدم عن وجهه، إذ أتاه سهمٌ محدّد له ثلاثُ شُعبٍ فوقَ في قلبه(١)، ثُمَّ أخذ السهم وأخرجه من وراء ظهره، فانبعث الدم كالميزاب، فوضع يده تحت الجرح، فلمّا إمتلأت رُمى بها إلى السماء، فما رجع من ذلك الدم قطره، ثُمَّ وضع يده مرّةً أخرى، فلمّا امتلأت دمياً لَطَخَ بها رأسه ولحيته، وقال: «هكذا والله أكونُ حتّى ألقى جدّي محمداً، وأنا مخضوبٌ، وأقول: يارسولَ الله، قتلنى فلان وفلان»(٢).

هذا وزينب عليها السلام تنظر أباها بلا معين ولا مؤازر ولا عشيره بعد ماخرجت مع أهل بيتها:

دنظر للعشيره إشكتر حلوه تحل الموزمه اوتكشف البلوه

أدوا لبو اليمه اشروط الإخوه اوسووا يوم إله للحشر تذكار

الفواطم لو اثلاثه من زلمها عكب احسين كون احضرت يّمها

ولا سلّبوها يتيمه ولا نهب صار چا محد جسر يحر خيمها

أنه اتمنيت هالنهضه انهضوها إلزينب يوم اجوها إيسلّبوها

ابضربها او تلتهب بذيالها النار وإلذيج اليتيمه الروّعوها

(بحراني)

فرت يتيمه امدوهنه امن إخيام الحسين تبجي او تنادي يا خلگك درب الغرى مينين

كلها عدو امن الكوم اسمعى يا حزينه ابعيد الغرى وينچ يهالحرّه اووينه

ص: ٢٢٤

١- (١) اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٧١.

٢- (٢) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ١، ص ٢٥٣ - ص ٢٥٥.



ممشه ثلث تيام چانچ توصلينه واشلون بس وحدچ ابهذا البر تسيرين

گالت أبوى حسين دلىنى بجسمه إيگولون من فوگ الثرى إمخضب إبدمه

إبیا كتر صارت طيخته أرد أصل يمه بلجت يحاچينى امن أنادى ابصوت يحسين

\*\*\*

أحبائى لو غير الحمام أصابكم عتبت ولكن ما على الموت معتب

\*\*\*

إننا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أى منقلب ينقلبون

والعاقبه للمتقين.

ص: ٢٢٥







أروْحَكَ أم روحِ النبوةِ تصعدُ من الأرضِ للفردوسِ والحرورِ سُجْدُ  
ورأسِكَ أم رأسِ الرسولِ على القنابآيه أهلِ الكهفِ راحَ يردُّ  
وصدرُكَ أم مستودعِ العلمِ والحِجى لتحطيمه جيشٌ من الجهلِ يعمدُ  
وشاطرتِ الأرضُ السماءَ بشجوها فواحدةٌ تبكى وأخرى تُعدُّ  
وقد نَصَبَ الوحىُ العزاءَ بيتهِ عليكِ حِداداً والمُعزى مُحَمَّدُ  
يلوح له الثقلانِ ثقلُ مُمزقٍ بسهمٍ وثقلُ بالسيفِ مُقدِّدُ  
فعرتهِ بالسيفِ والسهمِ بعضُها شهيدٌ وبعضُ بالفلاهِ مُشردُ  
فأى قتيلاً أصلتِ الشمسُ جسمه ومشهدُها من أصلهِ مُتولدُ  
وأى ذبيحِ داستِ الخيلِ صدره وفُرسانها من ذكره تتجمدُ  
ألم تكُ تدري أنَّ روحَ مُحَمَّدٍ كُفِرَ أَنه فى سبطه مُتجسِّدُ  
فلو علمتِ تلكَ الخيولُ كأهلها بأنَّ الذى تحتَ السنابكِ أحمدُ  
لثارتُ على فُرسانها وتمردتِ عليهم كما ثاروا بها وتمردوا  
وأعظمُ ما يُشجى الغيورَ حرائرُ تُضامُ وحاميتها الكفيلُ مُقيدُ  
فمن مؤثِقٍ يشكو التشدُّدَ من يدِ وموثقه تبكى فتلطمها اليدُ  
كأنَّ رسولَ الله قال لقومه خذوا وتركم من عترتى وتشددوا(١)

\*\*\*

ص: ٢٢٩

١- (١) القصيدة للسيد صالح بن السيد مهدي بحر العلوم، قال عنه السيد داخل حسن فى من لا يحضره الخطيب (ج ١، ص ٢٢٤): «شاعر الشعب، ينتمى لأسره صاحب الكرامات بحر العلوم، ولد سنة ١٣٢٨ هـ - فى النجف الأشرف، له ديوان شعر طبع منه جزءان [توفى فى العقد الأخير من القرن العشرين]».

طَبُّوا لِلخِيَامِ وَفَرَّهَدُوهَا وَعَزِيزَاتِ النَّبُوَّةِ سَلْبُوهَا

وَجَمَّ طِفْلُهُ إِلَيْهِمْ رَوَّعُوهَا أَوْفَرَّتْ مِنْ خَيْمِهَا تَحُومٌ وَأَتَدُورُ

\*\*\*

عَكَبَ مَا فَرَّهَدُوا ذِيحَ الصَّوَاوِينِ شَبُّوا نَارَهُمْ بِخِيَامِ الْحُسَيْنِ

أَوَطَّلَتْ هَايِمَهُ ذِيحَ النَّسَاوِينِ يَتَامَاهَا أَتَعَثَّرَ بَيْنَ الصَّخُورِ

\*\*\*

وَ الْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (١).

### القَسَمُ ومعناه:

لقد احتلَّ القَسَمُ في القرآن الكريم مجالاً واسعاً، فصارت مواردهُ مثيرة للاهتمام، فما هو القَسَمُ إذن؟

«القَسَمُ: هو اليمين، ويُجمع على أقسام، والفعل أُقْسِمَ» (٢).

وفي الصحاح: «أقسمت: حلفت، وأصله من القسامه، وهي الأيمان تقسّم على الأولياء في الدم» (٣).

وفي الفروق اللغوية: «الفرق بين القسم والحلف: أنَّ القَسَمَ أبلغ من الحلف؛ لأنَّ معنى قولنا (أقسم بالله) أنه صار ذا قسمٍ بالله، والقسم النصيب، والمراد: أنَّ الذي أقسم

ص: ٢٣٠

١- (١) العصر: آية ١ - آية ٣.

٢- (٢) كتاب العين: ج ٥، ص ٨٦.

٣- (٣) الصحاح: ج ٥، ص ٢٠١٠.

عليه من المال وغيره قد أحرزه ودفع عنه الخصم بالله، والحلف من قولك سيف حليف أي: قاطع ماضٍ فإذا قلت: حلف بالله فكأنك قلت قطع المخاصمه بالله، فالأول أبلغ؛ لأنه يتضمّن معنى الآخر مع دفع الخصم، ففيه معنيان، وقولنا: حلف يفيد معنى واحد، وهو قطع المخاصمه فقط...»(١).

### أركان القسم:

إنّ القسم من الأمور ذات الإضافة، وهو فعلٌ فاعلٍ مُختار له إضافة إلى أمور أربعة: أ. الحالف، ب. ما يحلف به، ج. ما يحلف عليه، د. الغايه من القسم.

أمّا الأول: فالحلف عبارته عن فعل الفاعل المختار، فلا يصدر إلاّ منه سواء أكان واجباً، كالله سبحانه، أم ممكناً، كالإنسان وغيره.

وأمّا الثاني (ما يحلف به) فإنّ لكلّ قوم أموراً مقدّسه يحلفون بها، وأمّا القرآن الكريم فقد حلف سبحانه بأمر تجاوز عددها الأربعين مُقسماً به.

وأمّا الثالث (ما يحلف عليه) والمراد هو جواب القسم الذي يُراد منه التأكيد عليه وتثبيتته وتحقيقه، وهذا ما يقال القصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده.

وثمّه ركن رابع، وهو الغايه المتوخّاه من القسم، فنقول: إنّ الغايه إمّا هي تحقيق الخبر ودعوه المخاطب إلى الإيمان والإذعان به، كما هو الغالب، أو إلفات النظر إلى عظمه المُقسّم به، وما يكمن فيه من أسرار ورموز، أو لبيان قداسته وكرامته، ومن خلال هذا البيان، يتّضح الجواب على ما ربما يُقال من أنّ قَسِيْمه سبحانه إن كان لأجل المؤمن فهو يصدّقه بلا حلف، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيد، فيكون هذا القَسْم لغواً.

والجواب: إنّ إيمان المؤمن بصدق إخباره سبحانه لا ينافي تأكيده بالحلف، مضافاً إلى ما عرفت من أنّ حلفه سبحانه بشيء إشارة إلى كرامته وقداسته، أو إلى عظمته وما يكمن

ص: ٢٣١

فيه من أسرار ورموز(١).

### القسم فى سورة العصر:

لم يُقسم البارى عزّ وجلّ فى كلّ القرآن الكريم بالعصر إلاّ- فى هذه السورة المباركة، التى لخصت جميع المعارف القرآنيه وجمعت شتات مقاصد القرآن فى أوجز بيان، كما عبّر عنها صاحب التفسير العظيم الميزان(٢).

وعلى ضوء ما تقدّم فى أركان القسم يأتى الكلام فى تطبيقها على هذه السورة المباركة: فالمقسم هو الله تبارك وتعالى، والمقسم به هو العصر، وجواب القسم هو كون الإنسان فى خسر، والغايه هى تأكيد الجواب.

ولا شكّ - بحسب ما ذكرنا - أنّ الشىء الذى يقسم به لا بدّ أن يكون من الأمور المهمّه المقدّسه حتّى يثبت الجواب والغايه.

### ما هو العصر:

الأقوال والتفسير فى ذلك مختلفه قد تصل إلى السبعه، أذكر بعضها، وهى: أنّ العصر الذى أقسم به البارى عزّ وجلّ هو:

١ - عصر النبى صلى الله عليه و آله.

٢ - أنّه الدهر.

٣ - وقت العصر.

٤ - صلاه العصر.

٥ - عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام(٣)، ولكلّ قولٍ يوجد قائل وناصر له. والأشياء

ص: ٢٣٢

١- (١) انظر: الأقسام فى القرآن الكريم: ص ١٠ - ص ١٣.

٢- (٢) انظر: تفسير الميزان: ج ٢٠، ص ٣٥٥.

٣- (٣) انظر هذه الأقوال فى: تفسير جوامع الجامع: ج ٣، ص ٨٣٧. تفسير الرازى: ج ٣٢، ص ٨٤ - ص ٨٧. التفسير الأصفى: ج

٢، ص ١٤٧٤. تفسير الميزان: ج ٢٠، ص ٣٥٥.



المذكوره كَلِّها مهمّه ومقدّسه، وتستحقّ أن يُقسم بها لإثبات جواب القسم الآتى بعد القسم، وهو: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، وقد تسأل وتقول: من أين نشأت أهميّه هذه الأشياء المذكوره حتّى أقسم بها البارى عزّ وجلّ؟

والجواب:

أمّا الأول: وهو عصر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله؛ «فلكونه عصر طلوع الإسلام على المجتمع البشرى، وظهور الحقّ على الباطل»(١).

أو «لأنّ المنهج ذا المواد الأربعة فى ذيل هذه السوره: [الإيمان، وعمل الصالحات، والتواصى بالحقّ، والتواصى بالصبر] نزل فى هذا العصر»(٢).

ويؤيّد عظمه هذا العصر خطبه الزهراء عليها السلام، حيث تقول: «وكنتم على شفا حفرة من النار، مُدقه الشارب، ونهزه الطامع، وقبسه العجلان، وموطى الأقدام، تشربون الطرق وتقتاتون القدّ، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله»(٣).

أو كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وأنتم معشر العرب على شرّ دين وفى شر دار متنخون، بين حجاره خشن، وحيات صم، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب، وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبه، والآثام بكم معصوبه»(٤).

فهكذا عصر يشعّ على ظلمه العصر الذى سبقه فينورها، يستحقّ أن يُقسم به، ويُذكر آناء الليل وأطراف النهار.

وأمّا الثانى: وهو الدهر؛ «لما فيه من عجائب الحوادث الدالّه على القدره الربوبيه وغير

ص: ٢٣٣

١- (١) تفسير الميزان: ج ٢٠، ص ٣٥٥.

٢- (٢) تفسير الأمل: ج ٢٠، ص ٤٣٥.

٣- (٣) الاحتجاج: ج ١، ص ١٣٦ - ص ١٣٧.

٤- (٤) نهج البلاغه: ج ١، ص ٦٦.

ذلك» (١)، أو «لأنّ فيه عبره لأولى الأبصار» (٢)، أو «لما في مروره من أصناف العجائب» (٣).

وأما الثالث: وقت العصر «الطرف الأخير من النهار؛ لما فيه من الدلالة على التدبير الربوبي، بإدبار النهار وإقبال الليل وذهاب سلطان الشمس» (٤)، أو «أنّ هذا الوقت معظم... فكما أقسم في حقّ الربيع بالضحي فكذا أقسم في حقّ الخاسر بالعصر؛ وذلك لأنّه أقسم بالضحي في حقّ الربيع وبشّر الرسول أنّ أمره إلى الإقبال، وهاهنا في حقّ الخاسر توعدّه أنّ أمره إلى الإدبار» (٥).

وأما الرابع: وهو صلاة العصر، وذلك «أنّه تعالى أقسم بصلاة العصر؛ لفضلها بدليل قوله وَ الصَّلَاةِ الوُسْطَى... [و] التكليف في أدائها أشقّ؛ لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار، واشتغالهم بمعاشهم... [و] أنّ صلاة العصر بها يحصل ختم طاعات النهار، فهي كالتوبة بها يُختم الأعمال، فكما تجب الوصية بالتوبة كذا بصلاة العصر؛ لأنّ الأمور بخواتيمها، فأقسم بهذه الصلاة تفخيماً لشأنها، وزيادة توصية المكلف على أدائها، وإشارته منه أنّك إن أديتها على وجهها عاد خسرانك ربحاً» (٦).

وأما الخامس: وهو عصر ظهور الإمام صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

فعن المفضّل بن عمر قال: سألت الصادق جعفر بن محمّد عليها السلام عن قول الله عزّ وجلّ وَ العَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ قال عليه السلام: «العصرُ عصر خروج القائم» (٧).

ص: ٢٣٤

١- (١) تفسير الميزان: ج ٢٠، ص ٣٥٦.

٢- (٢) تفسير جوامع الجامع: ج ٣، ص ٨٣٧.

٣- (٣) تفسير البحر المحيط: ج ٨، ص ٥٠٨.

٤- (٤) تفسير الميزان: ج ٢٠، ص ٣٥٥ - ص ٣٥٦.

٥- (٥) تفسير الرازي: ج ٣٢، ص ٨٦.

٦- (٦) المصدر نفسه.

٧- (٧) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٦٥٦، ح ١. عنه بحار الأنوار: ج ٢٤، ص ٢١٤، ح ١.

وقد يقال: ما هو الشيء المقدّس في هذا العصر حتّى يُقسَمَ به البارى عزّ وجلّ؟

والجواب: إنّ عصر يشبه عصر رسول الله صلى الله عليه وآله في رجوع الناس إلى صلب الدين وصحيحه، بعد هذا البعد والفراق لأئمة الدين وهداته، ويكفى تصديقاً بعظمه هذا العصر ما ورد عن إمامنا الصادق عليه السلام في حديث حول سيرته عند قيامه عجل الله تعالى فرجه الشريف قال: «... ولا يترك بدعه إلا أزالها، ولا سنّه إلا أقامها»<sup>(١)</sup>.

فتصل الناس في ذلك العصر إلى الكمال الذى ليس بعده كمال يرجى في هذه النشأة.

وأنّه عجل الله تعالى فرجه الشريف يسير فيهم بسنّه رسول الله صلى الله عليه وآله، ويعمل فيهم بعلمه... إذا قام القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف دعى الناس إلى الإسلام جديداً، وهداهم إلى أمرٍ قد دثر، وضلّ عنه الجمهور<sup>(٢)</sup>.

والخلاصه: إنّ الله تبارك وتعالى أقسم بأحد هذه المقمّدسات الخمسه وبذلك «تتضح... عظمه آيات القرآن وسعه مفاهيمها، فكلّمه واحده تتحمّل من المعانى العميقة ما يجعلها صالحه لكلّ هذه التفاسير المتنوّعه»<sup>(٣)</sup>.

### جواب القسم في السوره المباركه:

وبعد معرفتنا بالأراء في تفسير ما أقسم به البارى عزّ وجلّ يأتي الدور الآن للتعرف على جواب هذا القسم، فما هو الجواب المراد تأكّيده لنا؟

الجواب بالغ الأهميّة، والإخبار به نتيجة صعبه القبول، وهو: إنّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ.

قال الراغب الإصفهاني: «خسر: الخسر والخسران انتقاص رأس المال، وينسب ذلك إلى الإنسان، فيقال: خسر فلان، وإلى الفعل، فيقال: خسرت تجارتك، قال تعالى: (تِلْكَ إِذًا

ص: ٢٣٥

١- (١) الإرشاد: ج ٢، ص ٣٨٥.

٢- (٢) انظر: المستجد من الإرشاد: ص ٢٦٧.

٣- (٣) تفسير الأمثل: ج ٢٠، ص ٤٣٥.

كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ، ويستعمل ذلك في المقتنيات الخارجة، كالمال والجاه في الدنيا، وهو الأكثر، وفي المقتنيات النفسية كالصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب، وهو الذى جعله الله تعالى الخسران المبين... وكل خسران ذكره الله تعالى فى القرآن، فهو على هذا المعنى الأخير، دون الخسران المتعلق بالمقتنيات الدنيوية والتجارات البشرية»(١).

ثم إن المراد بالإنسان هنا جنسه(٢)، فيكون المعنى كل إنسان فى خسر «والإنسان إذا لم يستعمل نفسه وعمره فيما يوجب له الربح الدائم، فهو فى خسران؛ لأنه عمل فى إهلاك نفسه وعمره، وهما أكبر رأس ماله»(٣).

وفى التفسير الصافى: «لفى خسران فى مساعيهم، وصرف أعمارهم فى مطالبهم»(٤).

«يخسر هذا الإنسان ثروته الوجودية شاء أم أبى، تمرُّ الساعات والأيام والأشهر والأعوام من عمر الإنسان بسرعه، تضعف قواه الماديّة والمعنوية، تتناقص قدرته باستمرار. نعم، إنه كشخص عنده ثروه عظيمه، وهذه الثروه يؤخذ منها كل يوم شىء باستمرار رغم إرادته، هذه طبيعه الحياه الدنيويه طبيعه الخسران المستمر، القلب له قدره معينه على الضربان، وحين تنفذ هذه القدره يتوقف القلب تلقائياً دون علّه من عيب أو مرض، هذا إذا لم يكن توقف الضربان نتيجة مرض»(٥)، فهو أشبه ما يكون بذلك الرجل بائع الثلج الذى يصيح ويقول: ارحموا من يذوب رأس ماله، حتى قال البعض تعلّمت معنى الخسران من بائع الثلج(٦).

ص: ٢٣٦

١- (١) مفردات غريب القرآن: ص ١٤٧.

٢- (٢) انظر: تفسير الميزان: ج ٢٠، ص ٣٥٦.

٣- (٣) زاد المسير: ج ٨، ص ٣٠٤.

٤- (٤) التفسير الصافى: ج ٧، ص ٥٤٩.

٥- (٥) تفسير الأمثل: ج ٢٠، ص ٤٣٥.

٦- (٦) انظر: تفسير الرازى: ج ٣٢، ص ٨٥.

وقال الشيخ الطوسي: «إنَّ الإنسان لفي خسر جواب القسم، وفيه إخبار من الله أنَّ الإنسان يعني الكافر (لفي خسر) أي: لفي نقصان بارتكاب المعاصي وكفره بالله، والخسر هلاك رأس المال للإنسان، وبارتكاب المعاصي في هلاك نفسه خسران، وهو أكبر من رأسه ماله»(١).

والخلاصه: كُلُّ الناس في هذه الدنيا في خسر، فتكون الآيه والقول المنسوب لرسول الله صلى الله عليه وآله وهو: «الناس كلهم هلكي إلاَّ العالمون، والعالمون كلهم هلكي إلاَّ العاملون والعاملون كلهم هلكي إلاَّ المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم»(٢).

يحملان مفهوماً واحداً.

### الإستثناء في السوره المباركه:

بعد تأكيد الجواب بالقسم وبأدوات أخرى من قبيل (إنَّ) المفيدة للتأكيد، و (اللام) كذلك، جاء الدور الآن لتفريغ هذه الكربه وتضييق دائره الخسران، وتوسيع دائره الربح، فاستثنت السوره المباركه أربعة طوائف حيث قالت: **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**، فلنتعرف على هذه الطوائف الأربعة؛ حتى نسعى جاهدين لنكون منهم إن شاء الله تعالى.

الطائفة الأولى: الَّذِينَ آمَنُوا، هذه هي الطائفة الأولى، والتي تمثّل العنوان المستثنى من الخسران الذي أقسم عليه البارئ عزّ وجلّ وأكّده.

وفي أضواء البيان: «هذا هو المستثنى من الإنسان المتقدّم، ممّا دلّ على العموم كما

ص: ٢٣٧

١- (١) التبيان: ج ١٠: ص ٤٠٥.

٢- (٢) ذكره في جامع السعادات: ج ١، ص ٢٢٠ تحت جملة: «ومن هنا يظهر سرّ قوله» ولكن في هامش جامع السعادات قال محقق الكتاب: «جاء نصّ هذه العبارة في مجموعه ورام ص ٣٢٠ عن النبي صلى الله عليه وآله مرسلًا» أقول: ولم أعر عليه في المجموعه المذكوره لاختلاف نسختي، ولعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً.

قدّمنا، والإيمان لغه التصديق وشرعاً الاعتقاد الجازم بأركان الإيمان»(١).

وقال السيد العلامة: «المستثنون هم الأفراد المتلبسون بالإيمان والأعمال الصالحة، فهم آمنون من الخسر؛ وذلك أنّ كتاب الله يبيّن أنّ للإنسان حياةً خالدّةً مؤبّده لا تنقطع بالموت، وإنّما الموت انتقال من دار إلى دار... ويبيّن أنّ شطراً من هذه الحياة وهي الحياة الدنيا حياة امتحانيه... وقد سمى الله تعالى ما سيلقاه الإنسان في الآخرة جزاءً وأجرًا في آيات كثيرة، ويبيّن بذلك كلّ أنّ الحياة رأس مال للإنسان يكسب به ما يعيش به في حياته الآخرة، فإن اتّبع الحقّ في العقد والعمل فقد ربحت تجارتها، وبورك في مكسبه، وأمن الشر في مستقبله، وإن اتّبع الباطل وأعرض عن الإيمان والعمل الصالح فقد خسرت تجارتها، وحرّم الخير في عقبها، وهو قوله تعالى: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ .

والمراد بالإيمان الإيمان بالله، ومن الإيمان بالله الإيمان بجميع رسله والإيمان باليوم الآخر، فقد نصّ تعالى فيمن لم يؤمن ببعض رسله أو باليوم الآخر أنّه غير مؤمن»(٢).

الطائفه الثانيه: وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وهذه هي الطائفه الثانيه: استثناء من جمله الناس الذين خسروا في هذه الحياة الدنيا.

ولكن ما هو عمل الصالحات؟ هل هو أداء الفرائض(٣)، أو مواساه الإخوان(٤)، أو أنّه الموافق لكتاب الله وعمله صاحبه خالصاً لوجه الله، وكونه صادراً من مؤمن بالله(٥) أو أنّه

ص: ٢٣٨

١- (١) أضواء البيان: ج ٩، ص ٩٣.

٢- (٢) تفسير الميزان: ج ٢٠، ص ٣٥٦ - ص ٣٥٧.

٣- (٣) انظر: تأويل الآيات: ج ٢، ص ٨٥٤.

٤- (٤) انظر: غايه المرام: ج ٤، ص ١٤٧.

٥- (٥) انظر: أضواء البيان: ج ٩، ص ٩٤.

والظاهر أنّ بيان الأعمال الصالحة في هذا الإستثناء ينطبق على ما ذكر هنا، فأداء الفرائض، ومواساة الإخوان، والعمل بالطاعات وما شاكل ذلك، كلّها من الأعمال الصالحة، ولكن هذا من باب ذكر المصاديق، فهو إذن كلّ الأعمال الصالحة.

قال في الميزان: «التلبس بجميع الأعمال الصالحة» (٢)، ولا أظن أنّ الأعمال الصالحة تحتاج إلى بيان أكثر بعد ما ذكر في كتاب الله وسنّه رسول الله صلى الله عليه وآله.

فكلّ ما أمر به كتاب الله وسنّه رسوله صلى الله عليه وآله هو من الصالحات سواء بلغ رتبة الوجوب أم الاستحباب، ومصاديق هذه الكبرى كثيرة لا تُعدّ ولا تحصى؛ لذا لم أعثر على مفسّر عدّها أو أحصاها.

الطائفة الثالثة: وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ هذه هي الطائفة الثالثة المستثناة من الخسر، وهم من تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ.

«قال بعضهم: التواصى بالحق هو المقام مع الحق، والقيام بأوامره على حدود الاستقامة» (٣).

وقال الفيض الكاشاني: «بالثابت الذي لا يصحّ إنكاره من اعتقاد أو عمل» (٤).

وهذا أيضاً من باب ذكر الكبرى التي لها مصاديق كثيرة، فمن التواصى بالحقّ التواصى بجميع أصول الدين وفروعه، ومنه التواصى بالإهتمام بالعمل على طبق الفروع، مثل أداء الفرائض، والمواظبة عليها، ومنه بزّ الوالدين، وغيرها الكثير.

فمن هنا يرد هذا التساؤل وهو: أليس أنّ التواصى بالحقّ داخل في وَعَمِلُوا

ص: ٢٣٩

١- (١) انظر: التبيان: ج ١٠، ص ٤٠٥.

٢- (٢) تفسير الميزان: ج ٢٠، ص ٣٥٧.

٣- (٣) نقله عنه في تفسير السلمى: ج ٢، ص ٤١٩.

٤- (٤) التفسير الصافي: ج ٧، ص ٥٤٩.

الصَّالِحَاتِ ، فعَلَامٌ ذُكِرَ مَرَّةً أُخْرَى، وكذا التواصي بالصبر!؟

والجواب: نعم، هو داخل فيه، لكنّه ذُكِرَ مَرَّةً أُخْرَى للتأكيد.

قال العلامة الطّباطبائي: «ثمّ التواصي بالحقّ من العمل الصّالح، فذكره بعد العمل الصّالح، من قبيل ذكر الخاص بعد العام؛ اهتماماً بأمره، كما أنّ التواصي بالصبر من التواصي بالحقّ، وذكره بعده من ذكر الخاص بعد العام؛ اهتماماً بأمره، ويؤكد تكرار ذكر التواصي، حيث قال: وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ولم يقل: وتواصوا بالحقّ والصّبر»(١).

وفى أضواء البيان: «وقيل: إنّ التواصي: أن يوصى بعضهم بعضاً بالحقّ. وقيل: الحقّ كلّ ما كان ضد الباطل، فيشمل عمل الطاعات وترك المعاصي... وقيل الحقّ هو القرآن؛ لشموله كلّ أمر وكلّ نهى وكلّ خير»(٢).

وعلى القيل الأخير - الحقّ هو القرآن - لماذا يستغرب البعض من تفسير الآية بأوضح مصاديق الحقّ والالتزام به، ألا وهو أمير المؤمنين عليه السلام، كما في تأويل هذه الآيات الشريفه والمرويه عن الأئمة الأطهار عليهم السلام، أو مطلق الإمامه والولاية(٣) بعد تواتر الحديث عن المصطفى صلى الله عليه وآله: «علّيّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»(٤).

وقد ورد بألفاظ أخرى، والحديث متواتر معنّى، بل روى الحاكم النيسابوري عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ هو أبو جهل بن هشام إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ قال: هم عليّ وشيعته»(٥).

ص: ٢٤٠

١- (١) تفسير الميزان: ج ٢٠، ص ٣٥٧.

٢- (٢) أضواء البيان: ص ٩٤.

٣- (٣) انظر: تأويل الآيات: ج ٢، ص ٨٥٤. شواهد التنزيل: ج ٢، ص ٤٨٢.

٤- (٤) المستدرک علی الصحیحین: ج ٣، ص ١٢٤. المعجم الأوسط: ج ٥، ص ١٣٥. الجامع الصغير: ج ٢، ص ١٧٧، ح ٥٥٩٤.

کنز العمال: ج ١١، ص ٦٠٣، ح ٣٢٩١٢.

٥- (٥) شواهد التنزيل: ج ٢، ص ٤٨٢.



الطائفة الرابعة: والطائفة الرابعة المستثناة من الخسر هم من توأصى بالصبر بعد التوأصى بالحق، سواء كان التوأصى بالصبر من مصاديق التوأصى بالحق أم من مصاديق العمل الصالح، فهو من عطف الخاص بعد العام، ولو ذكر بعده وتوأسوا بالصوم لكان عطف الصوم على الصبر من باب عطف الخاص بعد العام أيضاً؛ لأن الصوم من مصاديق الصبر إن لم يكن هو الصبر بعينه، كما فى اطلاقاء بعض الآيات الشريفه كقوله تعالى: **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ (١)**، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «يعنى بالصبر الصوم» (٢).

وذهب بعض المفسرين إلى كون المقصود بالصبر هنا هو: الصبر على تحمّل المشاق فى طاعة الله، والصبر عن معصيته (٣).

لكن حملها على الجميع لا ضير فيه بعد إطلاق الكلام؛ ولذا قال العلامة الطباطبائي رحمه الله: «وقد أطلق الصبر، فالمراد به أعم من الصبر على طاعة الله والصبر عن معصيته... والصبر عند النوائب التى تصيبه بقضاء من الله وقدر» (٤).

وفى بعض التفاسير عن أئمة الهدى عليهم السلام: وصوا ذراريهم ومن خلفوا من بعدهم بالولاية وبالصبر عليها (٥)، وفى بعضها الآخر على بن أبى طالب (٦). أو العتره (٧).

لكن هل المسلمون فعلاً عملوا بوصيه القرآن ووصيه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بمواصله العتره وعدم مقاطعتهم، أو عملوا بعكس ما أوصاهم القرآن والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله؟!

ص: ٢٤١

١- (١) البقره: آيه ٤٥.

٢- (٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٧٦، ح ١٧٧٦.

٣- (٣) التبيان: ج ١٠، ص ٤٠٥. تفسير آلوسى: ج ٣٠، ص ٢٢٩. جوامع الجامع: ج ٣، ص ٨٣٨. تفسير البحر المحيط: ج ٨، ص ٥٠٤.

٤- (٤) تفسير الميزان: ج ٢٠، ص ٣٥٧.

٥- (٥) انظر: بحار الأنوار: ج ٢٤، ص ٢١٥، ح ٤، تأويل الآيات: ج ٢، ص ٨٥٤.

٦- (٦) انظر: غايه المرام: ج ٤، ص ١٤٧، ح ٢.

٧- (٧) التفسير الصافى: ج ٧، ص ٥٥٠.

يجيبنا على هذا السؤال سليل العتره الطاهره عليهم السلام وزين عابدها الإمام السَّيِّدِ جاد عليه السلام في خطبته حيث قال فيها: «... قُتِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَعَتْرَتُهُ، وَسُبِّي نَسَاؤُهُ وَصَبِيَّتُهُ وَدَارُوا بِرَأْسِهِ فِي الْبُلْدَانِ مِنْ فَوْقِ عَامِلِ السَّنَانِ، وَهَذِهِ الرِّزِيَّةُ الَّتِي لَا مِثْلَهَا رِزِيَّةٌ، أُيِّهَا النَّاسُ أَصْبَحْنَا مَطْرُودِينَ مَشْرَدِينَ، مَذُودِينَ شَاسِعِينَ عَنِ الْأَمْصَارِ، كَأَنَّا أَوْلَادُ تَرْكٍ وَكَابِلٍ، مِنْ غَيْرِ جَرْمٍ أَجْرَمْنَا، وَلَا مَكْرُوهٍ ارْتَكَبْنَاهُ، وَلَا ثَلْمَةٍ فِي الْإِسْلَامِ ثَلَمْنَاهَا، مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوْلِيِّينَ، إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ، وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ فِي قِتَالِنَا، كَمَا تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ فِي الْوَصَايَةِ بِنَا، لَمَا زَادُوا عَلَيَّ مَا فَعَلُوا بِنَا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ...»(١).

بلى والله...

كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لِقَوْمِهِ خذُوا وَتَرَكَمُ مِنْ عَتْرَتِي وَتَشَدَّدُوا

ولذا كانت تنظر الحوراء زينب عليهما السلام إلى الأشلاء المقطّعه على رمضاء كربلاء، وكأني بها تنادى:

خويه اشلون أسوى وهاي الطعون بس انودعك ساعه ويرحلون

وما ندرى ابغزمهم وين يردون عدوان وكره بين مظهرين

ناداها العدو بسچ من النوح المن تشتجين حسين مذبوح

تشوفينه جسد علگاع مطروح دگومی الناگتچ محنه مجيمين

\*\*\*

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبه للمتقين.

ص: ٢٤٢

اشاره

ص: ٢٤٣



سلامٌ على الحوراء ما بقى الدهرُ وما أشرقت شمسٌ وما طلعَ البدرُ  
سلامٌ على القلبِ الكبيرِ وصبرِهِ بما قد جرت حُزناً له الأدمعُ الحُمُرُ  
جرى ما جرى فى كربلاء وعينُها ترى ما جرى ممّا يذوب له الصخرُ  
لقد أبصرتُ جسمَ الحُسينِ موزعاً فجاءت بصبرٍ دون مفهومه الصبرُ  
رأته ونادت يا ابن أُمى ووالدى لك القتلُ مكتوباً ولى كُتبَ الأسرُ  
أخى إن فى قلبى أسى لا أُطيقُهُ وقد ضاق منى فى تحمله الصدرُ  
على عزيزٍ أن أسير مع العدى وتبقى بوادى الطُف يصهرُك الحرُ  
أخى إن سرى جسمى فقلبى بكربلا مقيماً إلى أن ينقضى منى العمرُ  
أخى كلُّ زُرءٍ غير زُرئِكَ هينٌ وما بسواه اشتدّ واعصوب الأمرُ  
أخى أنت عن جدّى وأُمى وعن أبى وعن أخى المسموم سلوى ولى ذخُرُ  
متى شاهدت عيناى وجهك شاهدتُ وجوههم الغرّا وكان بك اليسرُ  
ومُد غبت عنى غاب عنى جميعهم ففقدك كسرٌ ليس يرجى له جبرٌ(١)

\*\*\*

أنه زينب اليعجون عنى سليت المصايب ما سلنى

مصايب حسين الدوهنى نزلن على عيونى وعمنى

ص: ٢٤٥

---

١- (١) القصيدة لشاعر أهل البيت عليهم السلام السيد رضا الهندى رحمه الله، وقد تقدّمت ترجمته فى المحاضرة الخامسة.

قال تعالى: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبَكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١).

لقد وصف الله تبارك وتعالى نفسه بصفاتة اللانقته به ومن صفاته الجماليه أنه حليمٌ تباركت أسماؤه، وأنه يُمهّل عباده ولكن لا يُهمّلهم حتّى ولو عصوه، فيصبر عليهم، بل هو الصبور تبارك وتعالى، ولكن بعد أن يرى أنّ هؤلاء العباد لا يريدون إصلاح أنفسهم، ولا- يغيّرون ما فيها، يرفع عنهم فيضه، قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ (٢)، ولو رجعنا إلى الواقع لرأينا ذلك بوضوح، فهذه الآيه تُحدّثنا عن حصول القسوه فى قلوب أقوامٍ بعد مرور زمان من الحلم الإلهي والفيض والنعيم.

وهؤلاء القوم هم بنو إسرائيل، والآيه المباركه جاءت «بعد قصّه البقره التى ذبحها بنو إسرائيل وكانوا يُجادلون موسى عليه السلام بغيه التخلّص من ذبحها، ولكن قاموا بذبحها وما كادوا يفعلون، وكان ذبح البقره؛ لأجل تحديد هويه القاتل الذى قام بقتل ابن عمّه غيله، وأتهم بقتله شخصاً آخر من بنى إسرائيل، فصاروا يتدارؤون ويدفعون عن أنفسهم هذه التهمه، فرجعوا فى أمره إلى موسى عليه السلام وشاء الله أن يُظهر حقيقه الأمر بنحو مُعجزٍ، فقال لهم موسى عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً فَلَمَّا ذَبَحُوهَا - بعد محاولات طويله - أمر سبحانه أن يضربوا المقتول ببعض البقره حتّى يحيى المقتول ويُعيّن هويه القاتل، قال سبحانه: فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِنَعْتِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَ يُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، ومع رؤيه هذه المعجزه الكبرى التى كان من المفروض أن تزيد فى إيمانهم وانصياعهم لنيهم موسى عليه السلام لكن - وللأسف - قست قلوبهم بنحو يحكى سبحانه شدّه تلك القسوه

ص: ٢٤٤

١- (١) البقره: آيه ٧٤.

٢- (٢) الرعد: آيه ١١.

ويقول: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً (١).

## قسوة القلوب وأسبابها:

القسوة في اللغة: الغلظة، وقست غلظت ويبست (٢)، وأصلها: الصلابه في كل شيء، ومن المجاز قسا الدرهم يقسوا قسواً، زاف أى: رداً فهو قسى (٣). وبالتأمل في الآيه الشريفه نرى أنها جاءت في مقام ذمّ بنى إسرائيل على هذه القسوة وتشبيهه قلوبهم بالحجاره، ثمّ الإعتذار للحجاره، وهذا دليل على أنّ لهم الدور الكبير في عروض هذه القسوة على قلوبهم، وإلاّ لم يصح ذمهم على قسوتهم، قال تعالى: فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ (٤)، فالآيه المباركه تُعلّل القسوة بسبب نقضهم الميثاق؛ «ولأجل ذلك جعل سبحانه قلوبهم قاسيه لا يتأثرون بوعد الأنبياء وإنذارهم، ولا يكثرثون من تحريف الدين وغيره، والآيتان - الآيه محل البحث وهذه الآيه - تعبران عن دور العبد في مصيره، وأنه سبحانه غبّ فعل العبد، يعاقبهم بلعنهم، وجعل قلوبهم قاسيه، وله نسبتان إلى العبد وإلى الله» (٥).

إذن قسوة القلوب ناشئه من أفعال العبد نفسه، ومن هنا صار لزاماً علينا أن نتعرّف على أسباب القسوة بحسب ما روى في ذلك:

فقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

«يا على، ثلاث يقسين القلب: إستماع اللهو، وطلب الصيد، وإتيان باب السلطان» (٦).

ص: ٢٤٧

١- (١) الأمثال في القرآن الكريم: ص ٩٥ - ص ٩٦.

٢- (٢) انظر: لسان العرب: ج ١٥، ص ١٨١.

٣- (٣) انظر: تاج العروس: ج ٢٠، ص ٧٨.

٤- (٤) المائدة: آيه ١٣.

٥- (٥) لب الأثر في الجبر والقدر: ص ٢٥٢ - ص ٢٥٣.

٦- (٦) روضه الواعظين: ص ٤١٤.

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:

«قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «لَمَتَان: لَمَمَهُ (١) من الشيطان، ولَمَمَهُ من الملك، فَلَمَمَهُ الملك الرِّقَّةَ والفهم، ولَمَمَهُ الشيطان السهو والقسوه» (٢).

وفي الكافي الشريف في مناجاه موسى عليه السلام:

«يا موسى، لا تطول في الدنيا أملك فيقسو قلبك، والقاسى القلب متى بعيد» (٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«أنهاكم أن تطرحوا التراب على ذوى الأرحام؛ فإن ذلك يورث القسوه، ومن قسا قلبه بعد من ربه عز وجل» (٤).

وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال:

«لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله؛ فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوه للقلب، وأن أبعد الناس من الله القلب القاسى» (٥).

وعن إمامنا الصادق عليه السلام أنه قال:

«وليس شيء أضرَّ لقلب المؤمن من كثرة الأكل، وهى مورثه لشيئين: قسوه القلب، وهيجان الشهوه» (٦).

وروى عن نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال:

«قسوه القلب من جفوه العيون، وجفوه العيون من كثرة الذنوب، وكثرة الذنوب من حُبِّ الدنيا، وحُبِّ الدنيا رأس كل خطيئه» (٧).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«ما جفت الدموع إلا لقسوه القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب» (٨).

ص: ٢٤٨

١- (١) اللّمه: الهّمه والخطره تقع فى القلب. النهايه: ج ٤، ص ٢٧٣.

٢- (٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٣٠، ح ٣.

٣- (٣) الكافي: ج ٢، ص ٣٢٩، ح ١.

٤- (٤) علل الشرائع: ج ١، ص ٣٠٤ - ص ٣٠٥، ح ١.

٥- (٥) وسائل الشيعه: ج ١٢، ص ١٩٤، ح ١٩، عن أمالى الشيخ الطوسى: ص ٣، ح ١.

٦- (٦) مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ٩٤، ح ٨.



٧-٧) مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ٩٦، ح ١٣.

٨-٨) علل الشرائع: ج ١، ص ٨١، ح ١.

وخلصه هذه النصوص الشريفه أنّ موجبات قساوه القلب عدّه أمور:

الأول: استماع اللهو، ويمكن أن يقصد به الغناء، أو مطلق ما يشغل من هوى أو طرب(١)، أو هو لعب لا يعقب نفعاً، وسمي لهواً؛ لأنه يشغل عمّا يعنى من قولهم: ألها في الشيء أى: شغلنى، كما فسرهُ أبو هلال العسكري(٢).

الثانى: طلب الصيد، والمقصود به صيد اللهو الذى هو محرّم عند المشهور، ودخوله فى سفر المعصيه كما صرح به السيد الخوئى رحمه الله(٣).

الثالث: إتيان باب السلطان، ويطلق على الحاكم الجائر، كما روى ذلك فى فقه الرضا عليه السلام «وإذا فزعت من سلطان أو غيره فقل: حسبى الله...»(٤).

الرابع: طول الأمل فى الدنيا.

الخامس: طرح التراب على الأرحام عند الدفن.

السادس: كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى.

السابع: كثرة الأكل.

الثامن: كثرة الذنوب، وهى تجمع الكثير من الأسباب المتقدّمه.

هذه بعض أسباب وموجبات قسوه القلب، ويبقى ما هو المطلوب منا إزاءها؟!!

مِمّا لا شكّ فيه أن تجنّب هذه الموارد يؤثّر تأثيراً إيجابياً فى ارتفاع قسوه القلب، ولا نقول أنّه العلاج، بل هو الوقايه، وهى خير من العلاج، كما اشتهر عند الأطباء ذلك، وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

«ترك الذنب أهون من طلب التوبه»(٥).

ص: ٢٤٩

١- (١) انظر: كتاب العين: ج ٤، ص ٨٧.

٢- (٢) انظر: الفروق اللغويه: ص ٤٦٩.

٣- (٣) انظر: كتاب الصلاه: ج ٨، ص ١١٧.

٤- (٤) فقه الرضا: ص ٣٩٣، ح ١١٢.

٥- (٥) نهج البلاغه: ج ٤، ص ٤٢، رقم ١٧٠.

وأما ما يوجب رقه القلب، فقد روى:

«أنَّ بعض أنبياء بنى إسرائيل شكوا إلى الله تعالى قسوه القلب وقله الدمعه، فأوحى الله إليه أن كُلِّ العَدَس، فأكل العَدَس، فرق قلبه وكثرت دمعته»<sup>(١)</sup>.

ومن العلاج أيضاً مسح رأس اليتيم، فقد روى عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال:

«مَنْ أنكر منكم قساوه قلبه فليُدن يتيماً فيلاطفه وليمسح رأسه، يلين قلبه بإذن الله عزَّ وجلَّ، فإنَّ لليتيم حقاً»<sup>(٢)</sup>.

### قلوبٌ تشبه الحجاره:

ثمَّ تنتقل الآية الشريفه لتعرِّفنا على حقيقه تلك القلوب القاسيه، وعلى مدى تلك القسوه وشدتها.

فيأتي الجواب المفزع بأنَّ قساوه تلك القلوب بلغت الذروه، فهي كالحجاره أو أشدَّ قسوه، أى: لا- تنقص قسوتها عن قسوه الحجاره.

وقد يسأل سائل عن معنى (أو) هنا، وظاهرها يفيد الشكَّ الذى لا يجوز عليه؟

وقد أجاب العلماء عن ذلك بوجه:

الوجه الأول: أن تكون للإيابه، كقولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين، فيكون معنى الآية: إن شَبَّهْتُمْ قلوبهم بالحجاره أصبتم، وإن شَبَّهْتُمُوهَا بما هو أشدَّ أصبتم، وإن شَبَّهْتُمُوهَا بالجميع فكذلك.

الوجه الثانى: أن تكون (أو) للتفصيل، فيكون معنى الآية: أنَّ بعضهم قلوبهم كالحجاره، وبعضهم أشدَّ منها.

الوجه الثالث: أن تكون (أو) هنا مبهمه بالنسبه للمخاطب، وإن كان الله تعالى عالماً

ص: ٢٥٠

١- (١) المحاسن: ج ٢، ص ٥٠٤، ح ٦٣٩.

٢- (٢) وسائل الشيعه: ج ٣، ص ٢٨٦، ح ٣.

بذلك، فيكون معنى الآية: إنَّ قلوبهم كأحد هذين لا- يخرج عنهما، كقولهم: أكلت بسرّه أو تمره، وهو يعلم ما أكل على التفصيل، إلّا أنّه أبهمه على المخاطب، وكذلك الآية؛ لأنَّ الغرض فيها أن يخبر تعالى عن شدّه قسوه قلوبهم، وأنّها ممّا لا تنشئ لوعظ ولا تصغى لحقّ، فسواء كانت في القسوه كالحجاره أم أشدّ منها، فقد تمّ ما أريد إليه من الغرض في وصفها وذمّها.

الوجه الرابع: أن تكون بمعنى بل، كقوله تعالى: وَ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١)، وتكون فائده هذا أنّ قلوب هؤلاء في بعض الأحوال مع القسوه والعدول عن تصوّر الحقّ والتفكير فيه ربما لانت بعض اللين، وفي حال أخرى تكون في نهايه البعد عن الحقّ وكادت تصغى إلى الحقّ، فتكون في هذه الحال كالحجاره التي ربما لانت، وفي حالٍ أخرى ربما تكون في نهايه البعد عن الحقّ والنفور عنه، فتكون في هذه الحال أشدّ قسوه من الحجاره (٢).

وقد أضاف الشيخ الطوسي وجهين آخرين يمكن رجوعهما إلى ما ذكر (٣).

### الحجاره ألبن من قلوب بني إسرائيل:

ثم نجد أنّ القرآن الكريم عذر الحجاره، ولم يعذر قلوب بني إسرائيل القاسيه، وعلل ذلك بأمر ثلاثه:

الأمر الأول: وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ أَى: تفجر الأنهار من الحجاره كالعيون الجاريه من الجبال الصخريه (٤)، وقوبل فيه بين الحجاره والماء؛ لكون

ص: ٢٥١

١- (١) الصافات: آيه ١٤٧.

٢- (٢) انظر: أمالي السيد المرتضى: ج ٣، ص ١٤٢ - ص ١٤٩ نقلناه باختصار وتصرف يسير.

٣- (٣) التبيان: ج ١، ص ٣٠٦ - ص ٣٠٧.

٤- (٤) الأمثال في القرآن الكريم: ص ٩٦ - ص ٩٧.

الحجاره يضرب بها المثل فى الصلاه، ككون الماء يضرب به المثل فى اللين، فهذه الحجاره على كمال صلاحيتها يتفجر منها الأنهار على لين مائها، وتشقق فيخرج منها الماء على لينة وصلاحيتها، ولا يصدر من قلوبهم حال يلائم الحق، ولا قول حق يلائم الكمال الواقع (١).

فأعذر الحجاره وعاب قلوبهم بقساوتها حين لم تلن بذكر الله ولا بالمواعظ، وقيل: أراد به حجراً مخصوصاً، وهو حجر موسى عليه السلام الذى كان تخرج منه العيون (٢).

وبالفعل بعض الحجاره ينبع منها الماء؛ لذا روى: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله اجتاز بحجر ينبع منه ماء كثير، فتعجب من ذلك، فسأل الله انطاقه، فقال له: لم يخرج منك الماء الكثير مع صغرك؟! فقال: من بكاء حزن، حيث سمعت بقولك: ناراً وقودها الناس و الحجاره (٣)، وأخاف أن أكون من تلك الحجاره. فأجابه الله وبشره النبى بذلك، ثم تركه ومضى، ثم عاد إليه وبعد وقت رآه ينبع كما كان، فقال: ألم يأمنك الله؟ فقال: فذلك بكاء الحزن وهذا بكاء السرور» (٤).

الأمر الثانى: إنَّ مِنْهَا لَمَّا يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ «كالعيون الحادته عند الزلازل المستتبعه للإنشقاق والانفجار المتعقب لجريان الأنهار» (٥).

وفى تفسير القرطبي: «قال مجاهد: ما تردى حجر من رأس جبل، ولا تفجر نهر من حجر، ولا خرج منه ماء، إلا من خشية الله، نزل بذلك القرآن الكريم. ومثله عن ابن عباس وجريح» (٦).

ص: ٢٥٢

١- (١) انظر: تفسير الميزان: ج ١، ص ٢٠٣.

٢- (٢) نسبه السمرقندى فى تفسيره إلى القيل. انظر: تفسير السمرقندى: ج ١، ص ٩٢.

٣- (٣) التحريم: آيه ٦.

٤- (٤) انظر: الخرائج والجرائح: ج ١، ص ١٦٩، ح ٢٥٩، عنه بحار الأنوار: ج ٨، ص ٢٩٧، ح ٥٠.

٥- (٥) الأمثال فى القرآن الكريم: ص ٩٧.

٦- (٦) تفسير القرطبي: ج ١، ص ٤٦٥.

وهذا معناه أن: «لا امتناع عند الحجارة مما يحدث فيها من أمره وإن كانت قاسية، بل هي متصرفه على مراده لا يعدم شيء مما قدر فيها، وبنو إسرائيل مع كثره نعمه عليهم، وكثره ما أراهم من الآيات يمتنعون عن طاعته، ولا- تلين قلوبهم لمعرفة حق، بل تقسو وتمتنع من ذلك»(١).

الأمر الثالث: إِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ .

والأمر الأخير الذى تمتاز به الحجارة على تلك القلوب القاسية أنها تهبط من خشية الله، وهذا أروع مدح لها، وأعلى ذم لها تيك القلوب القاسية. وهبوط هذه الحجارة كما يحصل من الجبال العاليه إلى الأودية المنخفضه من خشية الله، ولا مانع من أن يكون للهبوط عله طبيعیه كالصواعق التى تهبط بها الصخور، وعله معنويه كشف عنها الوحي وهى: الهبوط من خشية الله.

وعلى ضوء ذلك فالحجارة على الرغم من صلابتها تتأثر طبقاً للعوامل السالفه الذكر، وأما قلوب بنى إسرائيل فهى صلبه لا تنفعل أمام وحيه سبحانه وبيان رسوله، فلا تفرغ نفوسهم، ولا تخشع لأمره ونهيه.

ومن عجيب الأمر أن بنى إسرائيل رأوا بأأم أعينهم ليونه الحجارة، حيث استسقى موسى لقومه، فأمر بأن يضرب بعصاه الحجر، فلما ضربه انفجرت منه اثنتا عشره عيناً بعدد الأسباط.

ثم إن ظاهر الآيه نسبه الشعور إلى الحجارة، حيث إنها تهبط من خشية الله، وهذه حقيقه علميه كشف عنها الوحي وإن لم يصل إليها الإنسان بأدواته الحسيه(٢)، فقال تعالى:

ص: ٢٥٣

١- (١) التبيان: ج ١، ص ٣١١.

٢- (٢) انظر: الأمثال فى القرآن الكريم: ص ٩٧.

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ (١).

قال العلامة الطباطبائي رحمه الله: «وبالجمله فقولہ: «وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ بَيَانٌ ثَانٍ لِكُونَ قُلُوبِهِمْ أَقْسَى مِنَ الْحِجَارِهِ، فَإِنَّ الْحِجَارِهِ تَخْشَى اللَّهَ تَعَالَى، فَتَهْبِطُ مِنْ خَشْيَتِهِ، وَقُلُوبُهُمْ لَا تَخْشَى اللَّهَ تَعَالَى وَلَا تَهَابُهُ» (٢).

وهذا صريح قوله سبحانه: لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ (٣).

وقال الفخر الرازي: «أى: ومن الحجارة ما ينزل وما ينشق ويترايل بعضه عن بعض عند الزلازل؛ من أجل ما يريد الله بذلك من خشية عباد له، وفزعهم إليه بالدعاء والتوبه» (٤).

فيكون معنى هذا الأمر: «من الحجارة ما يشقق فيقطر منه الماء، وقلوبكم لا يجيء منها الكثير من الخير ولا القليل، ومن الحجارة إن أقسم عليها باسم الله تهبط، وليس في قلوبكم شيء منه، فقالوا: يا مُحَمَّدٍ: زعمت أن الحجارة ألين من قلوبنا وهذه الجبال بحضرتنا، فاستشهدها على تصديقك فإن نطقت بتصديقك فأنت المحق، فخرجوا إلى أوعر جبل، فقالوا: استشهده. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

أسألك بجاه مُحَمَّدٍ وآله الطيبين الذين بذكر أسمائهم خفف الله العرش على كواهل ثمانيه من ملائكته بعد أن لم يقدرُوا على تحريكه. فتحرك الجبل وفاض الماء، ونادى أشهد أنك رسول رب العالمين، وأن هؤلاء اليهود كما وصفت أقسى من الحجارة...» (٥).

ص: ٢٥٤

١- (١) الإسراء: آية ٤٤.

٢- (٢) تفسير الميزان: ج ١، ص ٢٠٣.

٣- (٣) الحشر: آية ٢١.

٤- (٤) تفسير الرازي: ج ٣، ص ١٣١.

٥- (٥) قصص الأنبياء (الراوندي): ص ٢٨٨. الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٥١٩ - ص ٥٢١.

وهناك روايات عديدة يطول المقام بذكرها في حديث الأحجار والأشجار مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد روى عنه صلى الله عليه وآله أنه قال:

«إِنَّ حَجْرًا كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ»(١).

ثم ختمت الآية هذا التشبيه الرائع والتقريع اللاذع بقوله تعالى: وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ فالمعنى: «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِالْمُرْصَادِ لَهُؤُلَاءِ الْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ، وَحَافِظِ لِأَعْمَالِهِمْ مَحْصِي لَهَا، فَهُوَ يُجَازِيهِمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا، وَفِي هَذَا وَعِيدٍ لَهُمْ وَتَخْوِيفٍ كَبِيرٍ لِيَنْزَجِرُوا»(٢).

«وَالْغَفْلَةُ عَنِ الشَّيْءِ تَرَكَهُ عَلَى وَجْهِ السُّهُوِّ وَالنِّسْيَانِ، فَأَخْبَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ غَافِلٌ عَنِ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ وَلَا سَاءَ عِنْدَهَا»(٣).

ولذا نجد رسول الله صلى الله عليه وآله كلما بالغ في إكرام هؤلاء القوم القاسية قلوبهم والإحسان إليهم بالغوا في إيذاء عترته، والإساءة إليهم، وهضمهم وسبهم، وشتمهم، وقتلهم وحبسهم وتشريدهم ونفيهم في البلدان، حتى قال الشاعر واصفًا قلوبهم تلك:

قست القلوب فلم تمل لهديته تبا لها تيك القلوب القاسية(٤)

وبالفعل كانت قلوب القوم في معركة الطف كالحجارة، أو أشد قسوة، لم تنتفع بالمواعظ، بل كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم كلما وعظهم سيد الشهداء عليه السلام، فتحوّلت قلوبهم كما قال تعالى: قُلُوبُنَا غُلْفٌ ٥، أى: عليها غشاوه وأغطيه لا- تفقه ما تقول(٥).

ص: ٢٥٥

١- (١) تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٩١، ح ٢٤٧.

٢- (٢) تفسير الرازي: ج ٣، ص ١٣٣. والآية في سورة مريم: آية ٦٤.

٣- (٣) التبيان: ج ١، ص ٣١٢.

٤- (٤) من قصيده رائعه للشيخ عبد الحسين الأعسم رحمه الله مطلعها: قد أوهنت جلدى الديار الخاليه...

٥- (٥) انظر: التبيان: ج ٣، ص ٣٨٠.



فالحسين عليه السلام يخطب والأشعث بن قيس يقول: نحن لا- ندرى ما تقول، ولكن انزل على حكم بنى عمّيك؛ فإنّهم لا يرونك إلا ما تحب.

فقال له الحسين: لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفترّ فرار العبيد. ثمّ قال: ألا وإنّ الدعى ابن الدعى قد ركز بين اثنتين؛ بين السلّه والذلّه، وهيهات ممّا الذلّه(١).

\*\*\*

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ أئى مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبه للمتقين.

ص: ٢٥٦

---

١- (١) انظر: الإرشاد: ج ٢، ص ٩٨. اللهوف: ص ٥٩.

## المحاضره العشرون: الدعاء سلاح المؤمن

اشاره

ص: ٢٥٧



مدارسُ آياتِ خلت من تلاوهٍ ومنزلٍ وحيٍّ مَقْفُرِ العَرَصَاتِ  
لآلِ رسولِ اللهِ بالخيفِ من منى وبالبیتِ والتعريفِ والجمراتِ  
ديارُ عليٍّ والحسينِ وجعفرٍ وحمزةَ والسَّجَادِ ذِي الثَّفَنَاتِ  
ديارُ عفاها جورٌ كلُّ منابذٍ ولم تعفُ للأيامِ والسنواتِ  
أفاطمُ لو خلتِ الحسينَ مجدلاً وقد مات عطشاناً بشطِ فراتِ  
إذن للطمِ الخدَّ فاطمُ عنده وأجريتِ دمعَ العينِ فى الوجناتِ  
أفاطمُ قومی یا ابنه الخیرِ وانْدَبى نجومَ سماواتِ بأرضِ فلاتِ  
قبورٌ بكوفانٍ وأخرى بطيبهٍ وأخرى بفتحِ نالها صلواتی  
قبورٌ بجنبِ النهرِ من أرضِ كربلا مُعَرَّسهم منها بشطِ فراتِ  
توفوا عطاشا بالفراتِ فليتني توفيتُ فيهم قبلَ حينِ وفاتي  
إلى الله أشكو لوعه عند ذكرهم سقتني بكأسِ الثكلِ والفضعاتِ  
سأبكيهم ما حجَّ لله ركبٌ وما ناحَ قمرى على الشجراتِ  
سأبكيهم ما ذرَّ فى الأفقِ شارقٌ ونادى منادِ الخيرِ بالصلواتِ  
ديارُ رسولِ اللهِ أصبحنَ بلقعاً وآلُ زيادٍ تسكنُ الحُجراتِ  
وآلُ زيادٍ فى القصورِ مصونهُ وآلُ رسولِ اللهِ فى الفلواتِ (١)

ص: ٢٥٩

١- (١) الأبيات من قصيده رائعه لشاعر أهل البيت عليهم السلام دعبل الخزاعى رحمه الله «هو دعبل بن على بن زرین بن سليمان الخزاعى، أبو على الشاعر المشهور، يعود نسبه إلى خزاعه إحدى قبائل اليمن الشهيره. ولد سنة ١٤٨ هـ -، أصله من الكوفه، ويقال: إنه من قرقيسا وأقام ببغداد، له كتاب طبقات الشعراء وكتاب الواحد فى مثالب العرب ومناقبها، وله من الشعر الكثير، حتى نقل عنه أنه قال: مكثت نحو ستين سنه ليس من يوم ذرَّ شارقه إلا وأنا أقول فيه شعراً... وقد نظم فى جميع فنون الشعر لكنّه ضاع منه الكثير، ومن الأسباب التى أدت إلى إتلاف ديوانه أو فقده القهر والظلم اللذين لاحقته



قال تعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١).

لقد خلق الله تبارك وتعالى الإنسان وحثه على العبادة والتفكير، وهو غنى عنهما، حيث يقول عز من قائل (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٢ ، وقال: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢) ، وقال جل وعلا: إِنَّ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ (٣).

وبين له طرقاً إليه، وسبلاً يسلكها حال الشدة والرخاء، ليس فيها من العناء لا عين ولا أثر، وغايته تبارك وتعالى: أن يشدنا إليه، وأن يجعلنا دائمين الصلة به.

ومن هذه الطرق والسبل الدعاء، وهو: «السؤال الذي أمر الله عباده في كتابه، وأذن لهم ورغبهم إلى أن يدعوه ويسألوه، حتى أنه عدّ تركهم له اعتداءً منهم إيّاه، وغفلةً من حضره ربوبيته، ووعدهم بالاستجابة وأوعد بالاستكبار عنه» (٤).

«[و] من عجائب علوم الإسلام وحقائق القرآن المبين أنه سبحانه رخص عباده، بل أمرهم أن يكلموه ويسرّوا إليه أسرارهم، وسائر قلوبهم. ووعدهم سبحانه أن يجيبهم ويقبلهم، وينظر إليهم نظرةً كريمة، يجيب بها دعوتهم، ويكشف بها كرتهم، وأمرهم أن يسألوه إجابة دعائهم بكلّ بيان وبكلّ لسان» (٥).

«والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين، وسائر أهل الملل وغيرهم: أن الدعاء من

ص: ٢٤١

١- (١) البقرة: آية ١٨٦.

٢- (٣) النحل: آية ٤٤.

٣- (٤) الزمر: آية ٧.

٤- (٥) الذريعة: ج ٨، ص ١٧٢.

٥- (٦) توحيد الإمامية: ص ١٩١.

أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضارّ، وقد أخبر تعالى عن الكفّار أنّهم إذا مسّهم الضرّ في البحر دعوا الله مخلصين له الدين، وأنّ الإنسان إذا مسّه الضرّ دعاه لجنبه، أو قاعداً أو قائماً، وإجابه الله لدعاء العبد مسلماً، كان أو كافراً، وإعطاؤه سؤاله من جنس رزقه لهم، ونصره لهم، وهو ممّا توجهه الربوبية للعبد مطلقاً» (١).

### سبب نزول الآيه المباركه

تشكّل أسباب النزول قرينهً على فهم الآيه القرآنيه، ولو قرينه ناقصه لكشف الستار عن محتوى الآيه بشكل أكبر، وفي هذه الآيه الشريفه ذكر أكثر المفسّرين في سبب نزولها: أنّ سائلاً سأل النبيّ صلى الله عليه وآله: أقریب ربُّنا فنناجيه، أم بعيدٌ فنناديه؟ فنزلت الآيه: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ... (٢).

وقال المقدّس الأردبيلي رحمه الله: «النداء للبعيد المحتاج إلى رفع الصوت، والمناجاة للقريب الذي لا يحتاج إلى ذلك، والخطاب له صلى الله عليه وآله، والتقدير فقل لهم: إني قريب - وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد، وإطلاعه على أحوالهم - بحال من قرب مكانه منهم، يعنى إذا سألك عبادى - وفي هذه الإضافة تشريف لهم - عن كيفيته أحوالى من جهه القرب والبعده، فقل: إني عليم أعلم دعاءكم، ولو كان في غايه الخفاء، كما يسمع القريب إذا قرّب فمه إلى أذنه يناجيه، بل أقرب من جبل الوريد، فأقبل دعاء الداعي إذا دعاني» (٣).

### أسلوب الآيه وبيانها

للأسلوب القرآنى ما يشعر السامع والقارئ رقه الخطاب وشدّته، بحسب اللحن

ص: ٢٤٢

١- (١) شرح العقيدة الطحاوية: ص ٥١٩.

٢- (٢) انظر: تفسير مجمع البيان: ج ٢، ص ١٨. التبيان: ج ٢، ص ١٢٩. الكشّاف: ج ١، ص ٣٣٧. جامع البيان: ج ٢، ص ٢١٥.

٣- (٣) زبده البيان: ص ١٦٥.

الذى تأتي به الآية الشريفة.

فمثلاً قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ (١).

قال عنه إمامنا الصادق عليه السلام:

«لذَّه ما فى النداء أزالَت تعب العِبادَة والعناء» (٢).

ولذَّه ما فى النداء هى قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، إذ هكذا خطاب من الطبعى أن يُخَفَّفَ آلامَ الصوم وشِدَّتَه، وهكذا قوله تعالى: ( كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ فَهَكَذَا أُسْلُوبٌ وَبَيَانٌ يَخَفِّفُ مِنْ شِدَّةِ الْعِنَاءِ.

وفى حياتنا اليوميه رَقَّه الأُسْلُوبُ وَجَمالِيتَه لهما الأثر الكبير فى مطاوعه الآخريين لك فى الرأى، أو فى إنجاح الحاجه المقصوده.

وكذلك العكس، فنرى القرآن الكريم يستعمل أسلوباً آخر مع الكفار والمنافقين ويزجرهم أشدَّ الزجر، وأمثلة ذلك فى الكتاب العزيز كثيره، منها قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَأُوَاهِمُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٣).

فبالأمل فى هذه الآية نرى أنَّ أسلوبها وبيانها اشتمل على ألفاظ هى بذاتها تحمل ألواناً من الشدَّة مثل: (جاهد، اغلظ، مأواهم جهنم، وبئس المصير).

### الخلاصة:

إنَّ الله عزَّ وجلَّ - كما هو مقتضى حكمته تبارك وتعالى - يستعمل اللفظ بحسب المخاطب وشأنه، بل نفس المخاطب قد يخاطبه تارةً بخطابٍ وأخرى بخطابٍ آخر، وما هذه الآية الشريفة إلاً مثالاً واضحاً على ما ذكرناه؛ لذلك أخذت مأخذاً كبيراً فى أبحاث

ص: ٢٤٣

١- (١) البقرة: آيه ١٨٣.

٢- (٢) فقه القرآن: ج ١، ص ٧٢.

٣- (٣) التوبة: آيه ٧١.



قال العلامة الطباطبائي رحمه الله: «أحسن بيان لما اشتمل عليه من المضمون، وأرق أسلوب وأجمله، فقد وضع أساسه على التكلم وحده دون الغيبة ونحوها، وفيه دلالة على كمال العناية بالأمر، ثم قوله: عبادي. ولم يقل: الناس وما أشبهه يزيد في هذه العناية، ثم حذف الواسطه في الجواب، حيث قال: فإني قريب، ولم يقل: فقل إنه قريب. ثم التأكيد ب - (إن)، ثم الإتيان بالصفه دون الفعل الدال على القرب؛ ليدل على ثبوت القرب ودوامه، ثم الدلالة على تجدد الإجابة واستمرارها؛ حيث أتى بالفعل المضارع الدال عليهما، ثم تقييده الجواب، أعنى قوله: أجيب دعوه الداع. بقوله: إذا دعان، وهذا القيد لا يزيد على قوله: دعوه الداع المقيد به شيئاً، بل هو عينه، وفيه دلالة على أن دعوه الداع مجابه من غير شرط وقيد، كقوله تعالى: اذعوني أشيتجب لكم المؤمن: ٦٠، فهذه سبع نكات في الآية تنبئ بالاهتمام في أمر استجابته الدعاء والعناية بها، مع كون الآية قد كرر فيها - على إيجازها - ضمير المتكلم سبع مرّات، وهي الآية الوحيدة في القرآن على هذا الوصف» (١).

### القرب الإلهي

كيف نتصور قرب الله إلينا وقربنا منه تبارك وتعالى، وهو الذي لا يحده زمان ولا مكان ولا جهة، فهو «الذي لم يسبقه وقت ولم يتقدمه زمان، ولم يتعاوره زياده ولا نقصان، ولم يوصف بأين ولا مكان» (٢).

لذا أجاب علماؤنا الأبرار - قديماً وحديثاً - عن هذا فينبوا القرب الإلهي وحقيقته.

قال الشيخ الطوسي رحمه الله: «قوله: فإني قريب قيل في معناه قولان: أحدهما: إني قريب الإجابة: سريع الإجابة، فجاز ذلك لمشاكله معنى قريب لسريع.

ص: ٢٦٤

١- (١) تفسير الميزان: ج ٢، ص ٣٠ - ص ٣١.

٢- (٢) التبيان: ج ٢، ص ١٣.

الثانى: قريب؛ لأنه يسمع دعاءهم كما يسمعه القريب المسافه منهم، فجاز لفظه قريب، فحسن البيان بها. فأما قريب المسافه، فلا يجوز عليه تعالى؛ لأنه من صفات المحدثات»(١).

وقال العلامة الطباطبائى رحمه الله: «فهو سبحانه الحائل بين الشىء ونفسه، وهو الحائل بين الشىء وبين كل ما يقارنه، من ولدٍ أو زوج أو صديقٍ أو مالٍ أو جاهٍ أو حقٍّ، فهو أقرب إلى خلقه من كل شىء مفروض، فهو سبحانه قريب على الإطلاق، كما قال تعالى: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ الواقعة: ٨٥، وقال تعالى: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ق: ١٦، وقال تعالى: أَنْ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ الأنفال: ٢٤»(٢).

### شروط استجابته الدعاء

لم تتعرض الآيه المباركه لأى شرطٍ فى استجابته الدعاء سوى لشرط

إذا دَعَانِ ، وكما تقدّم عن العلامة الطباطبائى أنّ هذا القيد لا يزيد على قوله دعوه الداع مجابه، بل هو عينه، وقال: «وفيه دلالة على أنّ دعوه الداع مجابه من غير شرط وقيد».

لكن لا- ينكر أحدٌ بأن الكثير من أدعيتنا لا- تُجاب، والذى يُجاب هو القليل، بل لو انعكس الأمر، وقلنا: إنّ أكثر أدعيتنا تُجاب وبعضها لا يُجاب لا يضرُّ بأصل الإشكال، وهو أنّ الآيه تقول: أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ونحن ندعو فلا نرى الإجابته ولو فى بعض أدعيتنا، وأما الآيه الأخرى فهى أصرح، وهى قوله تعالى: اذْعُونى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ٣.

وقد طرَحَ هذا الإشكال على الإمام الصادق عليه السلام من قِبَلِ بعضهم، قال: «آيتان فى

ص: ٢٤٥

١- (١) المصدر نفسه: ج ٢، ١٣٠.

٢- (٢) تفسير الميزان: ج ٢، ص ٣١ - ص ٣٢.

كتاب الله أطلبهما ولا أجدهما. قال عليه السلام: وما هما؟ قلت: قول الله عز وجل: اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ فندعوه فلا نرى إجابته، قال عليه السلام: أفترى الله أخلف وعده؟! قلت: لا، قال: فَلِمَ ذَلِكَ؟! قلت: لا أدري، قال عليه السلام: وَلَكِنِّي أُخْبِرُكَ، مَنْ أطاع الله فيما أمره، ثم دعا من جهه الدعاء أجابه. قلتُ: وما جهه الدعاء؟ قال عليه السلام: تبدأ فتحمد الله، وتذكر نعمه عندك، ثم تشكره، ثم تُصَلِّي على النبي وآله صلى الله عليه وآله، ثم تذكر ذنوبك فتقرّ بها، ثم تستغفر الله منها، فهذه جهه الدعاء...»(١).

إذن الآيه الشريفه مطلقه، ولكن يقيّد هذا الإطلاق بيان معنى الدعاء الحقيقي، أو بعبارة أخرى: «إنتى أجب دعوه الداعي إذا دعاني على الوجه الصحيح، وبالشرط الذي يجب أن يقارن الدعاء»(٢).

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله: «فإن قيل: إذا كان لا-يجيب كلّ من دعاه فما معنى الآيه؟ قلنا: معناه أنّ من دعا على شرائط الحكمه التي قدّمناها واقتضت المصلحه إجابته اجيب لا محاله»(٣).

وقال الشيخ الكفعمي: «إن قلت: نرى كثيراً من الناس يدعون فلا يُجابون فما معنى قوله تعالى أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ؟ قلت: سبب منع الإجابة الإخلال بشرطها من طرف السائل، بأن يكون قد سأله غير مقيد بآداب الدعاء، ولا جامعاً لشرائطه، وإما بأن يكون قد سأل ما لا صلاح فيه، فربما توهم السائل صلاح أمر وفيه فساد، فلو عجل الله إجابته لهلك به، قال سبحانه وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ»(٤).

ص: ٢٦٦

١- (١) الكافي: ج ٢، ص ٤٨٦، ح ٨. وسائل الشيعة: ج ٧، ص ٨١ - ص ٨٢، ح ٧.

٢- (٢) أمالي السيد المرتضى: ج ٣، ص ٥٩.

٣- (٣) التبيان: ج ٢، ص ١٢٩.

وقد مثل بعض المتأخرين للدعاء الذى يعلم الله عزّ وجلّ أنّه لا مصلحه فيه، بالولد الذى يطلب من أبيه الشراب وهو يتصوّر أنّه نافع، ولكنّه فى الواقع سُمّاً، فإنّ إجابته الوالد للولد تقتله، ومنعه عنه يؤذيه(١).

ولذا نقرأ فى دعاء الإفتتاح:

«ولعل الذى أبطأ عنّى هو خير لى؛ لعلمك بعاقبه الأمور، فلم أر مولىّ كريماً أصبر على عبدٍ لثيمٍ منك علىّ يا ربّ»(٢).

وباختصار: إنّ الذى يدعو من دون إستجماعه للشرائط لايسمى داعياً حقيقةً، بل الداعى الحقيقى الذى يُجاب إذا دعا هو من كان جامعاً للشرائط، وحينئذٍ لاحتاج إلى تخصيص وتقييد لإطلاق الآيه، فالآيه تقول: أُجيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ، وهذا لم يدعو وإنما كان لاهياً، والله لا يستجيب دعاءً من قلبٍ لاه(٣).

إذ هناك شرائط لاستجابته الدعاء يمكن تلخيصها بما يلى:

أولاً: البدء بحمدِ الله تبارك وتعالى، والثناء عليه، وذكر نعمه عزّ وجلّ علينا، ثمّ نشكره، وقد أشار إمامنا الصّادقُ عليه السلام فى الروايه المتقدّمه إلى ذلك، وأنّه من جهه الدعاء التى لا بدّ أن نبدأ بها. والملاحظ فى أكثر أدعيه المعصومين عليهم السلام ذلك، ويكفيك أن تراجع بعض أدعيه الصّحيفه السّجديه؛ لتدرك تلك الحقيقه.

ثانياً: الصّلاه على النّبى وآله عليهم السلام، فإنّها من شرائط استجابته الدعاء، كما فى الروايه المتقدّمه أيضاً، وأنّ الدّعاء محجوب حتّى يُصلّى على محمّد وآلِ محمّد، فعن الإمام

ص: ٢٦٧

---

١- (١) مثلّ به الشيخ الملكى التبريزى رحمه الله فى كتابه القيم (المراقبات): ص ١٨٦، تحت عنوان (سرّ عدم استجابته دعاء الأختيار).

٢- (٢) مصباح المتهدج: ص ٥٦٤.

٣- (٣) (٣) فى الكافى الشريف (ج ٢، ص ٤٧٣، ح ٢): «عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): لا يقبل الله عزّ وجلّ دعاء قلب لاهٍ، وكان على عليه السلام يقول: إذا دعا أحدكم للميت فلا يدعو له وقلبه لاهٍ عنه، ولكن ليجتهد له فى الدعاء».

الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ:

«لَا يَزَالُ الدُّعَاءُ مَحْجُوبًا عَنِ السَّمَاءِ حَتَّى يَصَلِيَ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ» (١).

وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ:

«إِيَّاكُمْ إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَسْأَلَ مِنْ رَبِّهِ شَيْئًا مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ حَتَّى يَبْدَأَ بِالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْمَدْحِ لَهُ، وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهَ حَوَائِجَهُ» (٢).

وَيَكْفِيكَ تَصَدِيقًا لِذَلِكَ مَا جَاءَ فِي قِصَّةِ حَمَادِ بْنِ عَيْسَى مَعَ الْإِمَامِ الْكَاطِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْبَصْرَةِ، فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ ادْعُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَنِي دَارًا وَزَوْجَةً وَوَلَدًا وَخَادِمًا، وَالْحَجَّ فِي كُلِّ سَنَةٍ. قَالَ: فَرَفَعَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَارْزُقْ حَمَادَ بْنَ عَيْسَى دَارًا وَزَوْجَةً وَوَلَدًا وَخَادِمًا وَالْحَجَّ خَمْسِينَ سَنَةً».

«قَالَ حَمَادٌ: فَلَمَّا اشْتَرَطَ خَمْسِينَ سَنَةً عَلِمْتُ أَنِّي لَا أَحُجُّ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً».

قَالَ حَمَادٌ: وَقَدْ حَجَّجْتُ ثَمَانِيَةً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَهَذِهِ دَارِي قَدْ رَزَقْتَهَا، وَهَذِهِ زَوْجَتِي وَرَاءَ السِّتْرِ تَسْمَعُ كَلَامِي، وَهَذَا ابْنِي وَهَذِهِ (٣) خَادِمِي، وَقَدْ رَزَقْتُ كُلَّ ذَلِكَ، فَحَجَّ بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ حَجَّتَيْنِ، فَلَمَّا صَارَ فِي مَوْضِعِ الْإِحْرَامِ دَخَلَ يَغْتَسِلُ، فَجَاءَ الْوَادِي فَحَمَلَهُ فَعَرَّقَ، فَمَاتَ رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاهُ قَبْلَ أَنْ يَحُجَّ زِيَادَةَ عَلَى الْخَمْسِينَ، وَقَبْرُهُ بِسَيَّالِهِ» (٤).

ثَالِثًا: «أَنْ يَسْعَى الدَّاعِيَ إِلَى تَطْهِيرِ أَمْوَالِهِ مِنْ كُلِّ غَضَبٍ وَظُلْمٍ، وَأَنْ لَا يَكُونَ طَعَامُهُ مِنْ حَرَامٍ، فَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ:

«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْتَجَابَ دُعَاؤُهُ فَلْيَطْبِطِطْ مَطْعَمَهُ وَمَلْبِسَهُ» (٥).

ص: ٢٤٨

١- (١) الدعوات: ص ٣١.

٢- (٢) الكافي: ج ٢، ص ٤٨٤، ح ١.

٣- (٣) كذا في المصدر.

٤- (٤) قرب الإسناد: ص ٣١٠ - ص ٣١١، ح ١٢١٠. عنه بحار الأنوار: ج ٤٨، ص ٤٧ - ص ٤٨، ح ٣٦.

٥- (٥) تفسير الأمثل: ج ١، ص ٥٣٣.

فبأكله للطعام الحرام، أو غصبه لأموال الآخرين، أو يأتيناه مطلق الذنب والمعصية، يكون قد عرّض نفسه لسخط الله، واستوجب حرمانه، فعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

«إنَّ العبد يسأل الحاجه من حوائج الدنيا فيكون من شأن الله قضاءها إلى أجل قريب، أو وقتٍ بطيء، فيذنب العبد عند ذلك ذنباً، فيقول الله للملك الموكل بحاجته: لا تنجز حاجته واحرمه إيّاها؛ فإنّه تعرّض لسخطي، واستوجب الحرمان منّي» (١).

الرابع: أن يدعو بالمأثور ولا- يخترع دعاءً من عند نفسه، فلأسف نرى الكثير من الناس يدعون بأدعيه مخترعه، مع أن أدعيه القرآن الكريم والنبى العظيم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام كثيره جداً، وفيها أعلى مراتب الأدب، وها هي الصّحيفه السّجديه للإمام زين العابدين عليه السلام فيها كلّ ما يخطر على بال الداعي.

قال السيد على الخراساني: «أليس من الحرّى بنا أن نأخذ أصول الدعاء وفروعه وآدابه وألفاظه من الذى يُجمع المؤرّخون على أنّه كان أعبد أهل زمانه، وأشخصهم، ومن كان له قصب السبق فى هذا المضمّار، لا يجاريه أحد؟! أليس من الحرّى بنا أن نأخذ من ممّن لم يُنقل عن أحدٍ ما نُقل عنه، من عبادته وزهد حقيقيين...؟! كيف لا، وهو الإمام زين العابدين علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب، الرابع من أئمه أهل البيت عليهم السلام وخلفاء النبىّ فى إمامه المسلمين» (٢).

وقد نهى الأئمه عليهم السلام أصحابهم أن يخترعوا دعاءً من عند أنفسهم، فعن عبد الرحيم القصير قال: «دخلتُ على أبى عبد الله عليه السلام فقلت: جعلتُ فداك إنى اخترعت دعاءً، قال: دعنى من اختراعك، إذا نزل بك فافزع إلى رسول الله...» (٣).

ص: ٢٦٩

١- (١) الإختصاص: ص ٣١ - ص ٣٢.

٢- (٢) مقدّمه الحديقه الهلاليه: ص ١٣ - ص ١٤ للشيخ البهائى رحمه الله.

٣- (٣) الكافى: ج ٣، ص ٤٧٦، ح ١.

وقد يخطأ المخترع في اختراعه، فيدعو بما لا يصلحه فيه، أو ما فيه المفسده، كما في حال ذلك الرجل الذي دعا وهو عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَرَاكَ تَتَعَوَّذُ مِنْ مَالِكَ وَوَلَدِكَ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أُنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ،

ولكن قل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُضَلَّاتِ الْفِتَنِ»(١).

فعلى المؤمن أن يلجأ إلى أبواب رحمة الله تبارك وتعالى، ويتعلم منهم كيفية الدعاء، ولذا ترى في أكثر الكتب الفقهية - إن لم تكن كلها - تركيز الفقهاء على كلمه (وأن يدعو بالمأثور)(٢)؛ لأجل الخلاص من هذه المحاذير.

الخامس: العمل والسعى مع الدعاء، فلا ينبغي له أن يتوقع الإجابة من دون عملٍ دؤوب، وإن كانت رحمته تبارك وتعالى واسعة، ففي الكافي الشريف روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

«إِنَّ أَصْنَافًا مِنْ أُمَّتِي لَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ دَعَاؤُهُمْ: رَجُلٌ يَدْعُو عَلَى وَالِدِيهِ، وَرَجُلٌ يَدْعُو عَلَى غَرِيمٍ ذَهَبَ لَهُ بِمَالٍ فَلَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ وَلَمْ يُشْهَدْ عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ يَدْعُو عَلَى امْرَأَتِهِ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَخْلِيَهُ سَبِيلَهَا بِيَدِهِ، وَرَجُلٌ يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ وَيَقُولُ: رَبِّ ارزُقْنِي وَلَا يَخْرُجْ وَلَا يَطْلُبُ الرِّزْقَ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: عَبْدِي! أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ السَّبِيلَ إِلَى الطَّلْبِ وَالضَّرْبِ فِي الْأَرْضِ بِجَوَارِحِ صَحِيحِهِ، فَتَكُونَ قَدْ أَعْذَرْتَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي الطَّلْبِ لِاتِّبَاعِ أَمْرِي؛ وَلَكَيْلَا تَكُونَ كَأَنَّ عَلَى أَهْلِكَ...»(٣).

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال

: «الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر»(٤).

قال الشيخ محمد عبده: «الرامي من قوس بلا وتر يسقط سهمه ولا يصيب، والذي

ص: ٢٧٠

١- (١) وسائل الشيعة: ج ٧، ص ١٣٧، ح ١.

٢- (٢) انظر: شرائع الاسلام: ج ١، ص ١٧٩. تبصره المتعلمين: ص ٥٤ وغيرهما.

٣- (٣) الكافي: ج ٥، ص ٦٧.

٤- (٤) نهج البلاغه: ج ٤، ص ٧٩، رقم ٣٣٧.

يدعو الله ولا يعمل لا يجب الله دُعاءه»(١).

فالوتر بطبيعته حركته يدفع السهم نحو الهدف، وهكذا دور العمل في الدعاء. و «من مجموع شروط الدعاء المذكوره نفهم أنّ الدعاء لا يُغنينا عن التوسل بالعوامل الطبيعيه، بل أكثر من ذلك يدفعنا إلى توفير شروط استجابته الدعاء في أنفسنا، ويحدث بذلك تغييراً كبيراً في حياة الإنسان وتجديداً لمسيرته، وإصلاحاً لنواقصه. أليس من الجهل أن يصف شخص الدعاء بهذا المنظار الإسلامي أنّه مخدّر؟!»(٢).

وهناك شروط أخرى وأركان مهمّة يطول المقام بذكرها، مثل الكون على الطهاره، واستقبال القلب، والإلحاح، وما شاكل ذلك. قال الشيخ الكفعمي رحمه الله: «واعلم أنّ للدعاء أركاناً وأسباباً وأوقاتاً وأجنحةً، فأركانه سنّه: حضور القلب، والرقّه، والإستكانه، والخشوع، وتعلّق القلب بالله وقطعه عن الأسباب، وأسبابه: الصلاه على مُحمّد وآله، وأوقاته: الأسحار، وأجنحته: الصدق، فإذا وافق أركانه قوياً، وإن وافق أسبابه أنجح، وإن وافق أوقاته فاز، وإن وافق أجنحته طار»(٣).

### الاستجابة لله والإيمان به عزّ وجلّ

ثمّ تختم الآيه الشريفه بقوله تعالى: فَلَيْسَ يَتَجَبَّأُوا لِي وَ لِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ «أى: فليجبوني وليصدّقوا رسلي»(٤) ، أو «اقبلوا أنتم أيضاً دعوتي إذا دعوتكم وأمرتكم بالطاعات والدعاء، فاطلبوا واسألوا تضرعاً وخفيه لا بقلب ساه وغير متوجّه

ص: ٢٧١

١- (١) نهج البلاغه: ج ٤، ص ٧٩ الهامش.

٢- (٢) تفسير الأمل: ج ١، ص ٤٣٥.

٣- (٣) المصباح: ص ٧٧٠.

٤- (٤) أمالي السيّد المرتضى: ج ٣، ص ٦٠.



ومتعقل لمعنى ما تقولون، لا جهراً ورياءً، فإن الله لا يحب المعتدين، واطلبوا ولا تستكبروا ولا تتركوا الدعاء استكباراً وتجبّراً، وعدم اعتقاد الإجابة وعدم علمه بالسماع وقدرته على الإجابة، فإن من فعل ذلك يدخل النار مقيماً فيها.. و لِيُؤْمِنُوا بِى أَمْرٌ بِتَحْصِيلِ الْإِيمَانِ، أى: التصديق بجميع ما جاء به الأنبياء لمن لا إيمان له، وبالثبات والاستمرار للمتّصف به، أو التصديق بأنه قادر على الإجابة لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ راجين فى ذلك كلّ الرشد، يعنى إصابه الحق والخير»(١).

فكّل من استجاب لله فى أن يدعو، وآمن به إيماناً حقيقياً، ودعا الله عزّ وجلّ بشروط الدعاء أجابه الله تبارك وتعالى، ولو كان فى أوساط الغيران والجبال، فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«بينما ثلاثة نفر من بنى إسرائيل يسيرون إذ أخذهم المطر فأووا إلى غارٍ فى جبلٍ، فانطبقت عليهم صخره فسدّت الغار، فقالوا: تعالوا! فليسأل الله عزّ وجلّ كلُّ رجلٍ منا بأفضل عمله، فقال أحدهم: اللّهُمَّ إن كنت تعلم أنه كانت لى ابنه عمّ جميله، وكنت أهواها، فدفعت إليها مائه دينار، فلما جلست منها مجلس الرجل من المرأه، قالت: اتق الله يا ابن العم ولا تفض الخاتم إلا بحق، فقامت عنها وتركت لها المائه دينار. اللّهُمَّ إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك خشيه منك وابتغاءً لما عندك فافرج عنّا، فانفرج عنهم ثلث الصخره.

وقال الآخر: اللّهُمَّ إن كنت تعلم أنه كان لى أبوان، شيخان، كبيران، فكنت أغدو عليهما بصبوحيهما، وأروح عليهما بغبوقهما، فغدوت عليهما يوماً فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما، وكرهت أن أنصرف عنهما فيفقدان غداءهما فوقفت حتى استيقظا، فدفعت إليهما غداءهما. اللّهُمَّ إن كنت تعلم أنى إنمّا فعلت ذلك ابتغاء ما عندك، وخشيه منك فافرج عنّا، فانفرج عنهم الثلث الثانى.

ص: ٢٧٢

وقال الثالث: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّي اسْتَأْجَرْتُ أُجِيرًا، فَلَمَّا دَفَعْتَ إِلَيْهِ أُجْرَتَهُ، قَالَ: عَمَلِي أَوْفَى مِنْ هَذَا، وَتَرَكَ لِي أُجْرَتَهُ، وَقَالَ: بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَوْمٌ يُؤْخَذُ لِلْمَظْلُومِ فِيهِ مِنَ الظَّالِمِ وَمُضَى، فَابْتَعْتَ لَهُ بِأُجْرَتِهِ غَنَمًا، فَلَمْ أَزَلْ أُرْعَاهَا وَنَمْتُ حَتَّى تَزَايَدَتْ وَكَثُرَتْ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ مَدَّةٍ مِنَ الدَّهْرِ أَتَانِي، فَقَالَ: يَا هَذَا إِنَّ لِي عِنْدَكَ أُجْرَةً، عَمِلْتَ لَكَ كَذَا وَكَذَا، فِي وَقْتِ كَذَا وَكَذَا، فَقُلْتَ لَهُ: خَذِ الْغَنَمَ فَهِيَ لَكَ، فَقَالَ تَمَنَعْنِي أُجْرَتِي وَتَهَزَأُ بِي؟ فَقُلْتَ: خَذَهَا فَإِنَّهَا لَكَ، فَأَخَذَهَا وَدَعَا لِي. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّي إِنَّمَا فَعَلْتُ هَذَا خَشِيَةً مِنْكَ، وَابْتِغَاءً لِمَا عِنْدَكَ، فَافْرَجْ عَنَّا، فَانْفِرْ عَنْهُمْ بَاقِيَ الصَّخْرَةِ وَخَرِّجُوا يَتِمَاشُونَ» (١).

فهؤلاء النفر إنما فرّج الله عنهم؛ لأنهم دعوا الله بأوثق الوسائل، وتوسّلوا إليه بأحبّ الأعمال، فاستجاب الله دعاءهم، وكذلك كان أدعيه أهل البيت عليهم السلام فإنّهم يتوسّلون إلى الله بأحبّ خلقه إليه، وكذا من سار على نهجهم وتربّى في كنفهم؛ ولذا توسّلت ليلي أمّ علي الأكبر بأحبّ السبل إلى الله تعالى، دخلت إلى خيمتها، رفعت يديها إلى السماء قائلة: إلهي بغربه أبي عبد الله، إلهي بعطش أبي عبد الله، إلهي بوحده أبي عبد الله، يا رادّ يوسف إلى يعقوب، اردّد إليّ ولدي عليّ.

ردت الخيمتها الغريبه تبجي على ابنيها ابريه

وتوسّلت لله بحبيبه بالحسين وشما بيه من مُصبيه

يا رادّ يوسف من مغيبه يعقوب ومسجن نحيبه

أريدك عليّ سالم تجيبه

فاستجاب الله دُعاء ليلي لولدها، ونصر علياً الأكبر على بكر بن غانم، فقتله واحتزّ رأسه، وجاء إلى أبيه الحسين وهو يقول:

ص: ٢٧٣

صيدُ الملوکِ أرانبٍ وِثعالبٍ وإِذا برزتْ فصيدى الأبطالُ

يا أبه هل من جائزه؟ فقال له أبوه الحسين: بُنى على، وأنى جائزه تُريدُ من أبيك؟ فقال: يا أبه، فهل من شربه من ماء سبيل أتقوى بها على الأعداء، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: بُنى على، اصبر قليلاً سيسقيك جدك المصطفى بكأسه الأوفى شربه لا تظماً بعدها أبداً، فرجع على الأكبر يُقاتل حتى قتل تمام المائتين، إلى أن وقع صريعاً، الله أكبر.

وكاننى بالحوراء زينب عليها السلام هوت على ذاك الجسد الطاهر تلثمه تقيلاً:

هوت فوگه تشم خده وتحبه أو تطبگ طبره الراس وتعصبه

او تفتح زيگ ثوبه او تجس گلبه لگت دمه من افاده يفور(1)

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ أى مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبه للمتقين.

ص: ٢٧٤

---

١- (١) انظر: مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ١، ص ٣٩٠ - ص ٤٢٨.

## المحاضره الحاديه والعشرون: أنصار الله عزّ وجلّ

اشاره

ص: ٢٧٥



أرى العُمَرَ في صرفِ الزمانِ يبيدُ ويذهبُ لكن ما نراهُ يعوُدُ  
فكُنْ رَجُلًا إِنْ تَنَصَّ أَثوابُ عيشِهِ رثائًا فَثوبُ الفخرِ مِنْهُ جَدِيدُ  
وَإِيَّاكَ أَنْ تَشْرِيَ الحِياةَ بِذِلَّةٍ هِيَ المَوْتُ والمَوْتُ المُرِيحُ وَجودُ  
لِذاكَ نَضَى ثوبَ الحِياةِ ابْنُ فَاطِمٍ وَخاضَ عُبابَ المَوْتِ وَهُوَ فَرِيدُ  
وَلَيْسَ لَدِيهِ ناصِرٌ غَيْرَ تَيْفٍ وَسبعينَ لَيْثًا ما هُنَاكَ مَزِيدُ  
سَطَتْ وَأنايِبُ الرِماحِ كَأَنَّها أَجامٌ وَهُم تَحْتَ الرِماحِ أُسودُ  
تَرى لَهُمُ عِنْدَ القِراعِ تَباشِرًا كَأَنَّ لَهُمَ الكِريهَةَ عِيدُ  
وَما بَرِحوا عَنِ نُصرِهِ الدِّينِ وَالهُدَى إِلى أَنْ تَفانِيَ جَمعُهُم وَأُيِّدُ (١)

\*\*\*

وقف عليهم أبو عبد الله الحسين عليه السلام كأنني به يخاطبهم:

يَشِبَّانَ بِاللَّهِ لا تَوَنُّونَ بونينكم كَلْبِي تَكْطَعُونَ  
تَهْدُونَ حِيلِي مِنْ تَلُوجُونَ يا ثَمْرَةَ فِوادي مَتَحْجُونَ  
مَدْرِي يَبْعَدُ أَهْلِي شَتْرِيدُونَ بَعْيُونَكُمْ لِي تَدِيرُونَ  
تَشْعَبُونَ كَلْبِي مِنْ تَلُوجُونَ

ص: ٢٧٧

---

١- (١) الأبيات لشاعر أهل البيت السيد سليمان الحلّي، والد الشاعر الكبير السيد حيدر الحلّي رحمهما الله. قال عنه عمر كحاله: «سليمان الحلّي (١٢٢٢-١٢٤٧ هـ - ١٨٠٧-١٨٣١ م) سليمان بن داود بن سليمان الحسيني الحلّي، (أبو حيدر). أديب، نحوي، شاعر. ولد بالحله، وتوفي بها سنة ١٢٤٧ هـ تقريباً، ودفن بالنجف. من آثاره: أرجوزه نظم الجمل وشرحها، حاشيه على الفاكهي سماها الدرر الحليه في إيضاح غوامض العربية، وله شعر». معجم المؤلفين: ج ٤، ص ٢٦٣.

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيْدِنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١).

لقد أرسل الله تبارك وتعالى الأنبياء والمرسلين لهدايه البشر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور؛ ولذا ترى أن بلاغات الأنبياء والمرسلين وصلت إلى منتهى العطف واللين مع أقوامهم، حتى إذا بلغت أرواحهم القدسيه أعلى درجات النصره لله عز وجل، بدأوا يحذرون أقوامهم من العذاب والسخط الذي ينتظرهم إذا ما خالفوا دعواتهم الإلهيه، وهداياتهم الربانيه، وأمثله ذلك كثيره جداً، فقد جاء على لسان نبي الله نوح عليه السلام ما قصه لنا الباري عز وجل: قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧)، ثم يدعو نوح عليه السلام على قومه بعد اليأس من هدايتهم: وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْنَاهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِجْرًا كَفَّارًا (٣).

ولم يختلف الأمر في بقيه الأنبياء والمرسلين عليهم السلام؛ لأن المصدر للإرسال واحد، وهو الباري عز وجل، وأهدافهم واحده، وأخلاقهم وسجاياهم كذلك، إلا ما اقتضت الظروف من أساليب الهدايه والتبشير، وهذا ما يعتبر عنه ب - (تنوع الأدوار والهدف الواحد).

وهذا صريح قوله تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ (٤).

ص: ٢٧٨

١- (١) الصف: آيه ١٤.

٢- (٢) نوح: آيه ٥ - آيه ٧.

٣- (٣) نوح: آيه ٢٦ - آيه ٢٧.

٤- (٤) الحديد: آيه ٢٥.

ولمّا نطالع القصص القرآني ونمرّ بحياه نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام نجد هذا الأسلوب غايه في الوضوح، حيث يقول عزّ وجلّ: وَ لَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَ لِأَيِّنْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٤) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ أَلِيمٍ (١).

وبالعودة إلى الآية الشريفه نجد أنّ الله تبارك وتعالى يطلب من المؤمنين عين ما طلبه نبي الله عيسى عليه السلام لكونه مطلب حقّ، وكأتما البارى عزّ وجلّ أيّد هذه الدعوه المباركه التي أطلقها هذا الرسول العظيم، وهى الدعوه لنصره الله تبارك وتعالى.

ومن هنا ينبغى لنا أن نشير إلى بعض النقاط:

الأولى: «أنه لا- ريب فى عدم حاجه القادر المتعال إلى نصره أحد، فإنه تعالى بوجوب وجوده غنى بالذات، والخلق محتاجون إليه، كما قال تعالى شأنه: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢).

فالمراد بنصرته كما ذكره المفسرون ودلت عليه الأخبار هو نصره دينه، ونصره النبى والأئمة الأطهار، والأولياء الأبرار.

وبعبارة أخرى: كلّ من يكون فى نصرته يكون فى رضا الله تعالى، فنصرته نصره الله. وهذا المطلب فى غايه الوضوح بمكان، لا يحتاج إلى شاهد وبرهان.

الثانية: أنّ المراد بنصرته هو الإقدام والمساعدة فى كلّ أمر علم تعلق غرضه بوقوعه، ولهذا تتفاوت كيفية النصره بحسب تفاوت الأزمان والأحوال والأمكنه» (٣).

ص: ٢٧٩

١- (١) الزخرف: آيه ٦٣ - آيه ٦٥.

٢- (٢) فاطر: آيه ١٥.

٣- (٣) مكيال المكارم: ج ٢، ص ٢٠٦.



الثالثة: لقد جاءت كلمه (أنصار الله) فى القرآن الكريم ثلاث مرات؛ اثنان منها فى الآيه محل البحث، وواحد فى قوله تعالى فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ١.

وورد فى موضع آخر بشاره من الله عزّ وجلّ لمن يقبّ النصره له تبارك وتعالى بنحو الشرط والجزاء، وهو قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١).

ولو أردنا أن نجمع بين هذا الموضع والآيه محل البحث لكان الكلام بهذا النسق الجميل (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ.... إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ....

ولأجل هذا الجزاء المهم لمن ينصر الله عزّ وجلّ، كان حريّاً بكلّ إنسان أن يتعرّف على المراد بهذه النصره زياده على ما تقدّم إجمالاً.

### كيف نكون أنصاراً لله عزّ وجلّ

بعد وضوح ما تقدّم فى النقطة الأولى، وهى: إنّ الله تبارك وتعالى غنى عن العالمين، وكما يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«.. فلم ينصركم من ذلّ... استنصركم وله جنود السماوات والأرض، وهو العزيز الحكيم.. أراد أن يبلوكم أيكم أحسن عملاً» (٢).

إذن ما هذه النصره حتّى نحاول أن نتّصف بها؛ لتكون ممّن يحصل على الجزاء الوافر، وهو نصره الله تبارك وتعالى له؟

هناك عدّه آراء للمفسّرين، أذكر أهمّها:

الرأى الأول: إنّ الكلام فيه حذف للمضاف، والمضاف المحذوف هو إمّا أن يكون

ص: ٢٨٠

١- (٢) محمّد: آيه ٧ - آيه ٨.

٢- (٣) نهج البلاغه: ج ٢، ص ١١٣.

الدين، أو الرسول، أو الوحي، أو الطريق، أو شيء من هذا القبيل، كما عليه جملة من المفسرين (١).

ونصره الدين تكون بإظهار شعائره، ونصره الرسول بمواساته والصبر على ما أصابه، كما صبر هو إذ كَسَبَتْ رُبَاعِيَّتَهُ، وَجُرِحَ وَجْهَهُ، وَقَتْلَ عُمِّهِ، وَأَوْذَى بِضُرُوبٍ مِنَ الْأَذَى، فَوَاسَاكُمْ مَعَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ، فَافْعَلُوا أَنْتُمْ كَذَلِكَ أَيْضاً (٢).

ونصرتنا له تبارك وتعالى بنصره عباده، والقيام بحفظ حدوده، وإعانه عهوده، وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه (٣).

الرأى الثانى: وهناك مَنْ ذهب إلى أَنَّ المقصود بـ (أنصار الله): أَنَّهُمْ أَعَانُوا اللَّهَ عَلَى هَوْلَاءِ الْكُفَّارِ، أَى: مَعَ مَعُونَةِ اللَّهِ، وَأَنْتَهُمْ جُنْدُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، يَتَوَجَّهُونَ إِلَى نَصْرِهِ اللَّهُ (٤).

وعلى هذا يكون هناك فرق بين قول عيسى عليه السلام مَنْ أَنْصَارِي وَقَوْلُهُمْ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ، والفرق هو «أَنَّ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ نَحْنُ الَّذِينَ يَنْصُرُونَ اللَّهَ، وَمَعْنَى مَنْ أَنْصَارِي مِنَ الْأَنْصَارِ الَّذِي يَخْتَصِّصُونَ وَيَكُونُونَ مَعِيَ فِي نَصْرِهِ اللَّهُ» (٥)، فلذا لاحظنا «أَنَّ الْحَوَارِيِّينَ لَمْ يَقُولُوا: نَحْنُ أَنْصَارُكَ، بَلْ لَكِي يُعْرَبُوا عَنْ مَتْنِهِ إِيمَانُهُمْ بِالتَّوْحِيدِ، وَلِيُؤَكِّدُوا إِخْلَاصَهُمْ، وَلَكِي لَا يَشْمُ مِنْ كَلَامِهِمْ أَى رَائِحَةَ لِلشَّرِكِ قَالُوا: نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ نَنْصُرُ دِينَهُ» (٦).

ص: ٢٨١

- 
- ١- (١) انظر: المحرر الوجيز: ج ٥، ص ١١٢. تفسير الرازى: ج ٢٨، ص ٤٨. التفسير الصافى: ج ٦، ص ٤٧٠. التبيان: ج ٤، ص ٣٣٨.
  - ٢- (٢) انظر: تفسير البغوى: ج ٣، ص ٥١٩، وج ٤، ص ٣٣٨.
  - ٣- (٣) انظر: تاج العروس: ج ٧، ص ٥٢٩.
  - ٤- (٤) انظر: التبيان: ج ٢، ص ٤٧٢ - ص ٤٧٣. الكشاف: ج ٤، ص ١٠١.
  - ٥- (٥) الكشاف: ج ٤، ص ١٠١.
  - ٦- (٦) تفسير الأمل: ج ٢، ص ٥١٢.

وخلصه هذين الرأيين هناك مَنْ يُقدَّر حذف مضاف، بحسب ما يستفيدة من القرائن، بأن يكون المضاف المحذوف الدين، أو الرسول (عيسى)، أو السبيل، أو الطريق، أو الوحي، كما ذكرناه في الرأى الأول.

أو لا- يكون هناك مضاف محذوف، بل الكلام يكون على ما هو عليه، وأنَّ النصره لله تبارك وتعالى تكون بتحقيق مطلوبه عزَّ وجلَّ، ومطلوبه في هذه الآيه مثلاً- (قتل الكافرين)، فنصرته بقتلهم، كما يشير إليه ذيل الآيه الشريفه: فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ، فالنصره نصره حقيقته «فالشيطان عدو الله يجتهد في تحقيق الكفر، وغلبه أهل الإيمان، والله يطلب قمع الكفر وإهلاك أهله، وإفناء مَنْ اختار الإشراك بجهله، فَمَنْ حَقَّقَ نصره الله حيث حَقَّقَ مطلوبه...»(١).

### مَنْ هُمُ الْحَوَارِيُّونَ ؟

الحوارى أصله من الحور، وهو شدّه البياض، ولم يستعمل القرآن الكريم هذا اللفظ إلا- في خواص عيسى عليه السلام من أصحابه(٢)، وحوارى الرجل صفوته وخالصته(٣)، وقد كان عددهم اثنى عشر رجلاً، قيل: «سُمُّوا بذلك؛ لأنَّهم كانوا نوارنيين عليهم أثر العباده، أو لنقاء قلوبهم كما ينقى الثوب بالتحوير»(٤).

وقيل: «إنَّهم كانوا قَصَّارين، فمرَّ بهم عيسى عليه السلام، وقال: مَنْ أنصارى إلى الله، أى: مع الله، قالوا: نحن أنصار الله. ويُقال: أنَّه مرَّ بهم وهم يغسلون الثياب، فقال لهم: إيش تصنعون؟ قالوا نُطَهِّرُ أنفسنا من هذه الذنوب، فبايعوه. ويقال: إنَّهم كانوا صيادين فمرَّ

ص: ٢٨٢

١- (١) تفسير الرازى: ج ٢٨، ص ٤٨.

٢- (٢) انظر: تفسير الميزان: ج ٣، ص ٢٠٣.

٣- (٣) انظر: الكشاف: ج ١، ص ٤٣٢.

٤- (٤) تفسير جوامع الجامع: ج ١، ص ٢٩٠.

بهم وقال:

ألا أدلكم على اصطياد أنفع لكم من هذا؟ قالوا: نعم، فقال: تعالوا نصطاد أنفسنا من شرّ إبليس، فبايعوه»(١).

فكأنما عيسى عليه السلام دعاهم بقوله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢).

ويؤيد أنهم كانوا يغسلون الثياب أن الذي يغسل الثياب يسمى بلغة النبط (هوارى)، وهو القصار، فعزبت هذه اللفظه فصارت حوارى(٣).

وروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«.. إن حوارى عيسى عليه السلام كانوا شيعته.. وإن شيعتنا حواريونا، وما كان حوارى عيسى عليه السلام بأطوع له من حواريونا، وإنما قال عيسى عليه السلام للحوارين: من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله، فلا والله، ما نصره من اليهود ولا قاتلوه من دونه، وشيعتنا والله، لم يزالوا منذ قبض الله عزّ ذكره رسوله صلى الله عليه وآله ينصروننا ويقاتلون دوننا ويحرقون ويعذبون ويُشردون في البلدان جزاهم الله عنّا خيراً»(٤).

### حواريو الإسلام وأنصاره

نستطيع أن نقول إن لكل نبي يوجد خواص ومقربون وشيعه، وبالتالي يمكن تسميتهم بحواريه، كما جاء في تصريح الروايه السابقه، وحواريو الإسلام هم أقرب الناس إلى دعوه رسول الله صلى الله عليه وآله وأنصار دينه، فمن دافع عن هذا الدين، وجاهد في سبيل إعلاء كلمته حتى استشهد دونه، أو بقي مدافعاً عنه إلى أن توفاه الله تبارك فهو من

ص: ٢٨٣

١- (١) تفسير السمرقندي: ج ١، ص ٢٤٢.

٢- (٢) الصف: آيه ١٠ - آيه ١١.

٣- (٣) انظر: تفسير الرازي: ج ٨، ص ٦٦.

٤- (٤) الكافي: ج ٨، ص ٢٦٨، ح ٣٩٦، عنه بحار الأنوار: ج ١٤، ص ٢٧٤، ح ٧.

أنصاره؛ ولذا جاء في زیاره قبور شهداء معركة أحد:

«السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَنْصَارَ اللَّهِ وَأَنْصَارَ رَسُولِهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامُ»<sup>(١)</sup>.

وما روى في حقّ شيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«يا على شيعتك شيعة الله، وأنصارك أنصار الله»<sup>(٢)</sup>.

وأوضح من ذلك كلّ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام حيث ورد فيهم في زیاره الشریفه على لسان الإمام الصادق عليه السلام:

«السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَأَحْبَاءَهُ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَصْفِيَاءَ اللَّهِ وَأَوْدَاءَهُ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَنْصَارَ دِينِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَنْصَارَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَنْصَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَنْصَارَ فَاطِمَةَ سَيِّدَةِ نَسَاءِ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَنْصَارَ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَلِيِّ النَّاصِحِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَنْصَارَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ»<sup>(٣)</sup>.

هذه الطائفة هم أنصار الله، وأنصار رسوله، وأنصار أمير المؤمنين، وأنصار الإمام الحسن المجتبي، والحسين شهيد كربلاء، هم حواريو الإسلام وأنعم بهم وأكرم، وهناك حواريو الضلال والكفر والعناد، وهذا ما أشارت إليه الآية المباركة، حيث قسّمت الحواريين إلى طائفتين، حيث يقول عزّ من قائل: فَأَمَنْتُ طَائِفَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتُ طَائِفَةً فَأَيُّدُنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَيْدُوهُمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ.

وفي تفسير هذه الآية المباركة أنّ الطائفة التي كفرت هي التي قتلت شبيه عيسى وصلبته، والأخرى هي التي آمنت وقبلت أن يقتل شبيه عيسى بدلاً عن نبي الله عيسى عليه السلام، فأيدنا الذين آمنوا، وهي التي لم تقتل شبيه عيسى على الطائفة الأخرى،

ص: ٢٨٤

١- (١) بحار الأنوار: ج ٩٧، ص ٢٢١.

٢- (٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٦٧.

٣- (٣) مصباح المتهجد: ص ٧٢٣. إقبال الأعمال: ج ٢، ص ٦٥.

عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ١.

ويقولهم هذا: (نحن أنصار الله) أصابوا الفضل من الله (١)، ويكفيك الجزاء الذى ذكره تعالى إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ٣.

وهكذا كان أصحاب أبى عبد الله الحسين عليه السلام، فطوبى لهم نصرُوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ورحم الله الشاعر حيث يقول:

نصروا ابنَ بنتِ نبيهم طوبى لهم نالوا بنصرته مراتب ساميه

قد جاوزوه ها هنا بقبورهم وقصورهم يوم الجزاء متحاذيه (٢)

وفى كامل الزيارات:

«خرج أمير المؤمنين عليه السلام يسير بالناس حتى إذا كان فى كربلاء على مسيره ميل أو ميلين تقدّم بين أيديهم، حتى صار بمصارع الشهداء، ثم قال: قبض فيها مائتا نبيّ، ومائتا وصى، ومائتا سبط كلهم شهداء باتباعهم، فطاف بها على بغلته خارجاً رجلاه من الركاب، فانشأ يقول: مناخٌ رُكَّابٍ، ومصارعُ شهداء، لا سبّهم من كان قبلهم، ولا يلحقهم من أتى بعدهم» (٣).

وهكذا دافعوا بكلّ غالٍ ونفيس عن دينهم، وقرآنهم، وإمامهم:

ص: ٢٨٥

١- (٢) انظر: تفسير ابن أبى حاتم: ج ٢، ص ٦٦.

٢- (٤) شجره طوبى: ج ٢، ص ٤٢١.

٣- (٥) كامل الزيارات: ص ٤٤٣ - ص ٤٥٤.

كظوا حكّ العليهم دون الخيام ولا خلّوا خوات حسين تنظيم

لمن طاحوا تفايض منهم الهام أو تهاووا مثل مهوى النجم من خرّ

هووا ما بين من كطعوا وريده ووكع راسه وبين الطاحت ايده

أو بين إمسّح ابرميه شديده أوبين الصار للنشاب مكسر

يذكر بعض الخطباء أنّه لما جاء حبيب إلى أبي عبد الله عليه السلام كلمته زينب، وقالت له: عمّ يا حبيب، لا تقصّر في نصره أبي عبد الله الحسين المظلوم الغريب!

قالت له ذلك، ودموعها على خديها، ودموع حبيب على خديها، فلما كان يوم العاشر من محرّم وبدأ القتال وقف أمام خيمتها وهو يقول: آه لوجدك يا زينب، وأنت تُحمّلين على بعير ضالع.

وبرز حبيب للقتال، وكان يقاتل قتال الأبطال، ويضرب في القوم يميناً وشمالاً، والحسين ينظر إليه، وبعد برهه من الزمن يرجع حبيب وقد أدار وجهه ولم يرد أن يرى الحسين عليه السلام وجهه، فاستدار الحسين؛ ليرى ما به، فنظر إليه فرأى دموعه تتحادر على خديها، فقال له الحسين عليه السلام: حبيبي يا حبيب، هل ذكرت الأهل والأوطان؟

فقال: لا، يا أبا عبد الله، ولكن انظر إلى باب الخيمة!

فنظر الحسين إلى باب الخيمة، وإذا بها زينب متشحة بوشاح أمها فاطمة، فانكسر قلب شيخ الأنصار حبيب، ثم قال للإمام الحسين عليه السلام: سيدي يا أبا عبد الله، قل لزينب ترجع إلى الخيمة، فقد كسرت قلبي.

جاء الإمام الحسين عليه السلام لأخته زينب، فقال لها: أختي زينب، ارجعي فقد كسرتي قلب حبيب بوقوفك! ارجعي فهو وأصحابه لا يقصرون.

وبالفعل حتّى الذي يقع فيهم يوصى الآخر بالغريب المظلوم؛ لهذا عندما جاء الإمام الحسين عليه السلام مع حبيب، ووقف عند رأس مسلم بن عوسجه، كان مسلم يوصى حبيب بالحسين عليه السلام.

مسلم بالمعاره حارب وطاح اجه حسين وحيب بصحبته راح  
لگو مسلم طعين الموت بيه لاح وگف يمه حيب يهل العيون

\*\*\*

المنيه لو وجه منها بعيده چا وصيتنى بكل التريده  
حيب تريدى عندى وصيه شييدى حالت على المنيه  
أوصيك بغريب الغاضريه بحسين عنه لا تكصرون

\*\*\*

نصروا ابن بنت نبيهم طوبى لهم نالوا بنصرته مراتب ساميه

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبه للمتقين.

ص: ٢٨٧





## المحاضره الثانيه والعشرون: إحياء الموتى

اشاره

ص: ٢٨٩



فِدَاءٌ لِمُثَوَاكَ مِنْ مَضْجَعٍ تَنْوَرُ بِالْأَبْلَجِ الْأَرْوَعِ  
بِأَعْبَقٍ مِنْ نَفَحَاتِ الْجِنَانِ رَوْحاً وَمِنْ مِسْكِهَا أَضْوَعِ  
وَرَعِيّاً لِيَوْمِكَ يَوْمِ الطُّفُوفِ وَسَقِيّاً لِأَرْضِكَ مِنْ مَضْرَعِ  
وَحُزْناً عَلَيْكَ بِحَبْسِ النُّفُوسِ عَلَى نَهْجِكَ النَّيِّرِ الْمَهْيَعِ  
وَصَوْناً لِمَجْدِكَ مِنْ أَنْ يُدَالَ بِمَا أَنْتَ تَأْبَاهُ مِنْ مُبْدِعِ  
فِيَا أَيُّهَا الْوِتْرُ فِي الْخَالِدِينَ فِدَاءً إِلَى الْآنَ لَمْ يُشْفَعِ  
تَعَالَيْتَ مِنْ مُفْرِعٍ لِلْحُتُوفِ قُبُورِكَ قَبْرُكَ مِنْ مُفْرِعِ  
تَلَوِّذُ الدُّهُورِ فَمِنْ سُجْدٍ عَلَى جَانِبِهِ وَمِنْ رُكْعِ  
شَمَمْتُ ثَرَاكَ فَهَبَّ النَّسِيمُ نَسِيمَ الْكِرَامِ مِنْ بَلْعِ  
وَعَفْرَتُ حَدَى بَحِيثُ اسْتِرَاحٍ خَدُّ تَفَرَّى وَلَمْ يَضْرِعِ  
وَحَيْثُ سَنَابِكُ خَيْلِ الطَّغَاةِ جَالَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَخْشَعِ  
وَطُفْتُ بِقَبْرِكَ طَوْفَ الْخِيَالِ بِصَوْمَعَةِ الْمُلْهَمِ الْمُبْدِعِ  
كَأَنَّ يَدًا مِنْ وَرَاءِ الضَّرِيحِ حَمْرَاءَ مَبْتُورِهِ الْإِصْبَعِ  
تَمُدُّ إِلَى عَالَمٍ بِالْخُنُوعِ وَالظُّيْمِ ذِي شَرْقٍ مَتْرَعٍ (١)

ص: ٢٩١

١- (١) الأبيات من قصيده رائعه للشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري رحمه الله، قال عنه السيد داخل حسن: «ولد الشاعر محمد مهدي الجواهري في حدود سنة ١٩٠٠ م (في النجف الأشرف)، وهو ينتمي إلى أسرٍ علمية عريقة تعرف بأسره آل صاحب الجواهر، وهو من أبرز شعراء العراق بل العرب المعاصرين قاطبة... له ديوان مطبوع في أربع مجلدات، وقصيدته العينية هذه هي من أروع ما قيل في الإمام الحسين عليه السلام، وقد كُتِبَ منها خمسة عشر بيتاً على الباب الذهبي في مشهد الإمام الحسين عليه السلام، ويقول الأستاذ الباحث محمد سعيد الطريحي في كتابه (أجراس كربلاء): إنَّ الجواهري حدّثه عن اعتزازه الكبير بهذه القصيدة، وقال له: إنها زادي إلى الآخرة. توفي الجواهري في دمشق سنة ١٩٩٩ م، ودفن في ضاحية السيده زينب عليها السلام». انظر: من لا يحضره الخطيب: ج ١، ص ٢٢١.

يم كبرك يبو السجاد دوم الدوم نتمنه نطوف او من نطوف انطوف چنه ابروضه الجنه

وعنك من يبعده الزمان انعيش بالونه

وبالزفره او بالحسره اونذب اُمك الزهره

نكلها ابطلعج او كسره نقسم على البارى كون

نوصل كبر أبو اليمه

كبرك كعبه الوقاد بيه امرادنه يحصل نشم طيب التراب اللى اعلى كبرك كبل لا نوصل

ومن نوصل نكول اشلون جسم ابن النبى اتفصل بسيوف اوسمر وبران

\*\*\*

قال تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَ لَكِن لِّيُطَمِّئَنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَهُ مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١).

ليس من المعيب أن الإنسان يسأل حتى يعلم، أو يسأل حتى يتيقن، وإنما المعيب أن يبقى على جهله وشكّه، فلا يرفعهما بالسؤال.

والحال أن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام أمرونا بالسؤال، فعن إمامنا الصادق عليه السلام أنه قال:

«العلم خزائن والمفاتيح السؤال، فاسألوا يرحمكم الله، فإنه يؤجر

ص: ٢٩٢

١- (١) البقره: آيه ٢٦٠.

أربعة: السائل، والمتكلم، والمستمع، والمحَب لهم»(١).

وقد يسأل السائل ويرتفع جهله وشكّه بمجرد الجواب، وقد يُنظر له، وقد تصل حاله إلى المعايين والمشاهد، فيرتفع عنه كُلُّ جهلٍ وشكٍّ بجميع مراتبه؛ لأنّه يرى ما سأل عنه يتحقّق أمام عينيه، أو يحال على مسأله تشبه ما سأل عنها، وهى عنده من اليقينيّات، فتورثه اليقين أيضاً.

وعلى أساس وراثه اليقين الذى لا يتطرّق إليه أى احتمالٍ آخر، ولأجل معرفه الحقيقه جاء سؤال الخليل عليه السلام لرَبّه تبارك وتعالى، وطلب منه المشاهده لعملية إحياء الموتى، إذ قال: أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى.

### السؤال طلباً لليقين

تقدّم قريباً أنّ سؤال إبراهيم الخليل عليه السلام لرَبّه عزّ وجلّ لم يكن ناشئاً من عدم إيمان الخليل، فإحياء الموتى إنّما كان لطلب اليقين، وكان هناك مبررٌ لهذا السؤال.

ففى الكافى الشّريف عن الإمام الصادق عليه السلام فى حديث قال:

«... ثمّ التفت إبراهيم عليه السلام فرأى جيفه على ساحل البحر، نصفها فى الماء ونصفها فى البر، تجىء سباع البحر فتأكل ما فى الماء ثم ترجع، فيشدد بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً، فعند ذلك تعجب إبراهيم عليه السلام ممّا رأى وقال: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ: كيف تخرج ما تناسل، التى أكل بعضها بعضاً؟ قال: أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ: قَالَ بَلَى وَ لَكِنْ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي ، يعنى حتى أرى هذا كما رأيت الأشياء كلها، قال: قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصِرْزُهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً فَقَطِّعْهُنَّ وَاخْلَطْهُنَّ كَمَا اخْتَلَطَتْ هَذِهِ الْجِيفَةُ فِي السَّبَاعِ الَّتِي أَكَلَتْ بَعْضُهَا بَعْضاً، فاخلط ثم اجعل على كل جبلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا تَيْنِكَ

ص: ٢٩٣

١- (١) روضه الواعضين: ص ٧، ورواه فى المجازات النبويه: ص ٢٠٩، عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله.

فلَمَّا دعاهن أجنبه، وكانت الجبال عشرة»(١).

و ذكرت بعض المصادر سبباً آخر لهذا السؤال، وهو أنه لما حاجَّ نمرود في ربه، قال إبراهيم عليه السلام: « رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ ، قال نمرود: أَنَا أُحْيِي وَ أُمِيتُ وموّه على الأغبياء، ودلّس على الضعفاء بإطلاق مَنْ أراد قتله من السجن، وقتل مَنْ برئ من عرضِ الناس، فلَمَّا بهت لقوله تعالى: فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ، طالبه نمرود بإحياء الموتى، فأخذ أربعه من الطير»(٢).

وما سأل عنه إبراهيم عليه السلام بقى شبهه في أذهان الكثير من المعاندين، وإلى زماننا، وفي زمان الأئمة عليهم السلام أخذ الكثير من الزنادقة يصرخون بها في أزقة المدن، وهي ما يعبر عنه بشبهه (الآكل والمأكول).

وخلصتها: أن الإنسان يعود يوم القيامة بهذا الجسد المادي، وتعود روحه أيضاً، فإذا استحال جسد الإنسان إلى تراب وامتصته جذور الأشجار والنباتات، وأصبح ثمراً أكله إنسان آخر، وغدا جزءاً من جسده، أو أن إنساناً أكل لحم إنسان آخر، فإلى أي جسد ستعود هذه الأجزاء المأكولة؟! (٣).

والجواب: «إن الروح لا تستطيع أن تتفاعل تفاعلاً كاملاً إلا مع الجسد الذي تربت وتكاملت معه، لذلك ففي البعث لا بد من حضور الجسد السابق نفسه، لكي تستطيع الروح الاندماج به، وتستأنف نشاطها في عالم أسمى، ولتجني ثمار أعمالها»(٤).

وفي زمان الإمام الصادق عليه السلام روى هشام بن الحكم أنه قال الزنديق للإمام

ص: ٢٩٤

١- (١) الكافي: ج ٨، ص ٣٠٥، ح ٤٧٣.

٢- (٢) الثاقب في المناقب: ص ١٣٧.

٣- (٣) انظر: تفسير الأمثل: ج ٢، ص ٢٨٦.

٤- (٤) تفسير الأمثل: ج ٢، ص ٢٨٨.

الصّادق عليه السلام: «أنتى للروح بالبعث؟! والبدن قد بلى، والأعضاء قد تفرّقت، فعضو فى بلدته تأكلها سباعها، وعضو بأخرى تمزّقه هوامها، وعضو قد صار تُراباً بنى مع الطين حائط! قال: إنّ الذى أنشأه من غير شىء، وصوّره على خير مثالٍ كان سبق إليه قادر أن يعيده كما بدأه. قال أوضح لى ذلك. فأوضح له»(١).

والخلاصه: إنّ سؤال إبراهيم عليه السلام ربّه أن يريه إحياء الموتى إنّما كان لأجل اليقين أو لَمْ تُؤْمِنِ قَالَ بَلَى وَ لَكِنْ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي.

### هل الواقعه على نحو الحقيقه أو المثل ؟

ثمّ إنّّه قد وقع الخلاف بين المفسّرين فى أنّ الأمر بالذبح هل كان على نحو الحقيقه أو مجرد مثال قرّب به للخليل إبراهيم عليه السلام؟ المشهور بين المفسّرين وما دلت عليه الروايات والنقول التاريخيه هو: أنّ هذه الحادثه كانت على نحو الحقيقه، وأنّها وقعت أمام عينى خليل الله إبراهيم عليه السلام.

ولكن البعض من المفسّرين ذهب إلى الرأى الآخر، وأنّه ليس فى هذه الآيه ما يدلّ على أنّ إبراهيم عليه السلام ذبح الطيور، وبعد ذلك عادت إلى الحياه من جديد بأمر الله تعالى، بل أنّ الآيه فى صدد بيان مثال لتوضيح مسأله المعاد، يعنى أنك يا إبراهيم خذ أربعه من الطير، فضمّها إليك حتى تستأنس بك بحيث تجيب دعوتك إذا دعوتها، فإنّ الطيور من أشدّ الحيوانات استعداداً لذلك، ثمّ اجعل كلّ واحدهٍ منهنّ على جبل، ثمّ ادعها، فإنّها تُسرّع إليك، وهذه المسأله اليسيره بالنسبه لك تماثل فى سهولتها ويسرها مسأله إحياء الأموات، وجمع أجزاءها المتناثره بالنسبه إلى الله تعالى.

فعلى هذا يكون أمر الله تعالى لإبراهيم عليه السلام فى الطيور الأربعه لا يعنى أن يقدم إبراهيم

ص: ٢٩٥



على هذا العمل حتماً، بل إنه مجرد بيان مثالٍ وتشبيه، كأن يقول شخص لآخر - لبيان سهوله الأمر عليه -: اشرب هذا القدر من الماء حتى انهى هذا العمل، ويريد بذلك بيان سهولته، لا أن الآخر يجب عليه أن يشرب الماء.

واستدل أنصار النظرية الثانية بكلمه فَصَّرَهُنَّ إِلَيْكَ ، وقالوا: إن هذه الجملة إذا كانت متعدية بحرف (إلى) فتكون بمعنى الأناضول والميل، فعلى هذا يكون مفهوم الجملة: (خذ هذه الطيور وآنسها بك) مضافاً إلى أن الضمائر في (صيرهنَّ) و (منهنَّ) و (ادعهنَّ) كلها تعود إلى الطيور، وهذا لا يكون سليماً إلا إذا أخذنا بهذه النظرية؛ لأنه على التفسير المشهور تعود بعض الضمائر على نفس الطيور، ويعود البعض الآخر منها على أجزاء الطيور، وهذا غير مستساغ في الإستعمال.

الجواب عن هذه النظرية:

أولاً: إن إبراهيم عليه السلام طلب من الله تعالى المشاهدة الحسية للمعاد والبعث؛ لكي يطمئن قلبه، ولا شك أن ضرب المثل والتشبيه وتقريب الصورة لا يجسد مشهداً، ولا يكون مدعاه لتطمين خاطر، فنبئ الله مؤمن بالمعاد عقلاً ومنطقاً، ولكنه كان يريد أن يدرك ذلك عن طريق الحس أيضاً.

وثانياً: لقد كان المقصود أن يشاهد إبراهيم عليه السلام نموذجاً من البعث وعوده الأموات إلى الحياة بعد أن تلاشت أجسادها، وهذا لا يتناسب مع تفسير كلمه (صرهن) ب - (آنسهن) أو (صح بهن) وذلك لقوله تعالى ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً فهذا التعبير قرينه قويه على الرأي المشهور في وقوع الحادثه على نحو الحقيقه لا المثل والتقريب؛ لأن هذا أوضح لإبراهيم عليه السلام أن المعاد يوم القيامة سيكون كذلك على شكلٍ واسعٍ ومقياسٍ كبيرٍ جداً(١).

ص: ٢٩٤

١- (١) انظر: تفسير الأمل: ج ٢، ص ٢٨١ - ص ٢٨٣. ونسبه إلى صاحب تفسير المنار، ونقل عن الرازي أنه قديماً اختاره أبو مسلم.

لقد اختلفت بعض الروايات في مصاديق الطيور الأربعة ما هي؟ ففي بعض الروايات المروية عن إمامنا الرضا عليه السلام أنها كانت «نسراً وطاووساً وبطاً وديكاً»<sup>(١)</sup>.

وبعض التفاسير ذكرت كانت «طاووساً وديكاً وغراباً وحمامه»<sup>(٢)</sup>.

وفي روايه الخصال عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنها كانت: «هدهداً وصرداً وطاووساً وغراباً»<sup>(٣)</sup>. ولعلَّ غيرها ذكر غير ذلك، والملاحظ في هذه التفاسير الثلاثة للطيور أنّ الطاووس كان عنصراً مشتركاً.

فقد تكرر في جميعها، والطاووس عندهم له تفسيره الخاص، فهو علامه الزينه والخيلاء والتكبر والفخر بالنفس والغرور بها، حتّى أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أشار إلى ذلك في خطبه له في وصفه جاء فيها: «... ومن أعجبها خلقاً الطاووس الذي أقامه في أحكم تعديل، ونضد ألوانه في أحسن تنضيد، بجناح أشرح قصبه، وذنب أطال مسحبه. إذا درج إلى الأنتى نشره من طيه، وسما به مطلاً على رأسه كأنه قلع دارى عنجه نؤتية. يخال بألوانه، ويميس بزيفانه. يفضى كإفضاء الديكه، ويؤر بملاقحه أرّ الفحول المغتلمه في الضراب... يمشى مشى المرح المختال، ويتصفح ذنبه وجناحيه فيقهقه ضاحكاً؛ لجمال سرباله وأصايغ وشاحه، فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زقا معولاً بصوت يكاد يبين عن استغاثته، ويشهد بصادق توجّعه؛ لأنّ قوائمه حمش كقوائم الديكه الخلاسيه»<sup>(٤)</sup>.

وقال المازندراني رحمه الله: «فإنّ قتل الطاووس إيماءً إلى ترك الزينه، وقتل الديك: إلى ترك

ص: ٢٩٧

١- (١) عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ١٧٦. التوحيد للشيخ الصدوق: ص ١٣٢، ح ١٤.

٢- (٢) تفسير جوامع الجامع: ج ١، ص ٢٤٠ - ص ٢٤١.

٣- (٣) الخصال: ص ٢٦٤ - ص ٢٦٥، ح ١٤٦.

٤- (٤) نهج البلاغه: ج ٢، ص ٧١ - ص ٧٣. والديك الخلاسي: هو المتولد بين دجاجتين هنديه وفارسيه. انظر: القاموس

المحيط: ج ٢، ص ٢١١، تاج العروس: ج ٨، ص ٢٦٢.

الصولة والشهوه، وقتل الغراب: إلى ترك الخسّه وبعد الأمل، وقتل الحمامه: إلى ترك الترفّع والمسارعه إلى الهوى، فإنّ من أمارت هذه الصفات عن نفسه فقد أحيها بحياه طيبه أبدية»(١).

وكيف كان، فالطيور الأربعة مختلفه، والاختلاف بينها كبير، وجواب فخذ أربعه من الطير، جواب عمّا سأله إبراهيم عليه السلام بقوله: ربّ أرني كيف تُحي الموتى ومن المعلوم وجوب مطابقه الجواب للسؤال، فبلاغه الكلام وحكمه المتكلم يمنعان عن اشتمال الكلام على ما هو لغو زائد لا يترتب على وجوده فائده عائده إلى الغرض المقصود من الكلام، وخاصه القرآن الذي هو خير كلام، ألقاه خير متكلم إلى خير سامع واع، وليست القصه على تلك البساطه التي تتراءى منها في بادي النظر، ولو كان كذلك لتمّ الجواب بإحياء ميت ما كيف كان، ولكان الزائد على ذلك لغواً مستغنى عنه، وليس كذلك، ولقد أخذ فيها قيوداً وخصوصيات زائده على أصل المعنى، فاعتبر في ما أريد إحيائه أن يكون طيراً، وأن يكون حياً، وأن يكون ذا عدد أربعة، وأن يُقتل ويُخلط ويُمزج أجزائها، وأن يُفترق الأجزاء المختلطة أبعاضاً، ثم يوضع كلُّ بعض في مكانٍ بعيد من الآخر، كقله هذا الجبل وذاك الجبل، وأن يكون الإحياء بيد إبراهيم عليه السلام نفس السائل بدعوته إياهنّ، وأن يجتمع الجميع عنده. فهذه كما ترى خصوصيات زائده في القصه، هي لا محاله دخيله في المعنى المقصود إفادته.

وبالجمله فأجابه الله تعالى بأن أمره بأن يأخذ أربعه من الطير، ولعلّ اختيار الطير لكون هذا العمل فيها أسهل وأقل زماناً، فيشاهد حياتها ويرى اختلاف أشخاصها وصورها، ويعرفها معرفه تامه، ثم يقتلها ويخلط أجزائها خلطاً دقيقاً، ثم يجعل ذلك أبعاضاً، وكلّ بعض منها على جبل؛ لتفقد التمييز والتشخص، وتزول المعرفه، ثم يدعوهم

ص: ٢٩٨

يأتيه سعياً... فَخُذْ أَرْبَعَهُ مِنَ الطَّيْرِ إِنَّمَا أَمْرٌ بِذَلِكَ لِيَعْرِفَهَا فَلَا يَشْكُ فِيهَا عِنْدَ إِعَادَةِ الْحَيَاةِ إِلَيْهَا، وَلَا يَنْكُرُهَا، وَلِيَرَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْتِلَافِ وَالتَّمْيِيزِ أَوَّلًا وَزَوَالِهِمَا ثَانِيًا(١).

### ظهور الإعجاز وتجليته لإبراهيم عليه السلام

لا يشك أحد بأن إحياء الميت بعد تقطيعه وخلطه وتقسيمه أمرٌ خارق للعادة ومعجز لا غبار عليه، فكيف تجمعت هذه الأوصال المقطعة والدماء الممزوجة من الجبال، وتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان، وجاء كلُّ بدنٍ حتى انضم إلى رقبته ورأسه التي كانت بين أصابع خليل الله إبراهيم عليه السلام فخلّى إبراهيم عن مناقيرهنّ فطرّن، ثمّ وقفن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحب، وقلن يا نبيّ الله أحييتنا أحياك الله، فقال إبراهيم عليه السلام: بل الله يحيى ويميت وهو على كلِّ شيءٍ قدير، كما جاء ذلك في سؤال المأمون لإمامنا الرضا عليه السلام وجوابه عن هذه الحادثة(٢).

والملفت للنظر أنّ الآيه عبرت ب - اذْعُهُنَّ ، أى: ادع الطيور، يا طاووس، يا فلان، ويا فلان، ويمكن أن يُستفاد ذلك - مضافاً إلى دلاله ضمير (هن) الراجعه إلى الطيور - من قوله: اذْعُهُنَّ ، فإنّ الدعوه لو كانت لأجزاء الطيور دون أنفسها كان الأنسب أن يقال: (ثمّ نادهن)؛ فإنّها كانت على جبالٍ بعيده عن موقفه عليه السلام، واللفظ المستعمل فى البعيد خاصّه هو النداء دون الدعاء، وقوله: يَا تَيْنَكَ سَعِيًّا ، أى يتجسّدنّ واتصفن بالإتيان والإسراع إليك(٣).

«فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: ثُمَّ اذْعُهُنَّ يَا تَيْنَكَ سَعِيًّا ، وهل أمره بدعائهنّ وهنّ أحياء أو أموات؟ وعلى كل حال فدعاؤهنّ قبيح؛ لأن أمر البهائم التي لا تعقل ولا

ص: ٢٩٩

١- (١) انظر: تفسير الميزان: ج ٢، ص ٣٧٤ - ص ٣٧٧.

٢- (٢) انظر: التوحيد، الشيخ الصدوق: ص ١٣٢، ح ١٤.

٣- (٣) انظر: تفسير الميزان: ج ٢، ص ٣٧٧.

تفهم قبيح. وكذلك أمرهن وهن أعضاء متفرقة أظهر في القبح.

قلنا: لم يرد ذلك إلا حال الحياه دون التفريق والتمزق، فأراد بالدعاء الإشاره إلى تلك الطيور، فإن الإنسان قد يشير إلى البهيمة بالمجىء، أو الذهاب فتفهم عنه، ويجوز أن يسمى ذلك دعاء، إما على الحقيقيه، أو على المجاز...»(١).

### استفاده فقيهه

لقد استفيد من هذه الآيه فائده فقيهه مهمه، وهى ما لو نذر الإنسان أن يتصدق بجزء من ماله مثلاً إذا تحقق له الأمر الكذائى، فكم يجب عليه أن يتصدق؟

عُرِضَتْ هذه المسأله على إمامنا الصادق عليه السلام: «ف قيل له: إن رجلاً مات وأوصى إليه بمائه ألف درهم، وأمره أن يُعطى أبا حنيفه منها جزءاً، فسأل عنها جعفر بن محمد عليه السلام وأبو حنيفه حاضر، فقال له جعفر بن محمد عليه السلام: ما تقول يا أبا حنيفه؟ فقال: الربع، فقال لابن أبى ليلى، فقال: الربع، فقال جعفر بن محمد عليه السلام: ومن أين قلت الربع؟ قالوا: لقول الله عز وجل: قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَهُ مِنَ الطَّيْرِ فَصِرْهُنَّ إِيكَكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْأً، فقال أبو عبد الله عليه السلام: هذا قد علمت الطير أربعه، فكم كانت الجبال، إنما الأجزاء للجبال، ليس للطير. فقالوا: ظننا أنها أربعه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ولكن الجبال عشره»(٢).

وقوى صاحب الجواهر رحمه الله العمل بهذا المضمون فى الوصيه المبهمه فى شرحه على الشرائع(٣)، والمسأله مبحوثه مفصلاً فى محلها(٤).

ص: ٣٠٠

١- (١) تنزيه الأنبياء: ص ٥٣.

٢- (٢) وسائل الشيعه: ج ١٩، ص ٣٨٣، ح ٨.

٣- (٣) انظر: جواهر الكلام: ج ٢٨، ص ٣١٩.

٤- (٤) انظر: الحدائق الناضره: ج ٢٢، ص ٤٥٤ وما بعدها.

تقدّم آنفاً أنّ ما حصل من مجيء الطيور الأربعة المقطّعه تسعى مسرعه في طيرانها أو مشيها من ضروب الولاية التكوينية، والذي هو عبارته عن التصرف في الخلق والتكوين، وإحداث ما يُعتبر خارقاً مثل إحياء الميت وإبراء المريض (١).

ومثل هذا الذي قام به إبراهيم الخليل عليه السلام بعينه قام به الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام، ففي الثاقب في المناقب، عن يونس بن ظبيان، قال: «كنا عند أبي عبد الله عليه السلام أنا والمفضل بن عمر، وأبو سلمة السّراج، والحسن بن ثوير بن أبي فاخته، فسألنا أبا عبد الله عليه السلام عن قول إبراهيم عليه السلام: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى - إلى قوله - فَخُذْ أَرْبَعَهُ مِنَ الطَّيْرِ فَصَيِّرْهُنَّ إِلَيْكَ، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أتريدون أن أريكم ما أرى إبراهيم عليه السلام؟ قلنا: نعم. فقال: يا طاووس يا باز، يا غراب، يا ديك. فإذا نحن بطاووس وباز وغراب وديك، ففقطعهنّ، وفرّق لحمهنّ على الجبال، ثمّ دعاهنّ فإذا العظام تتطاير بعضها إلى بعض، واللحم إلى اللحم، والعصب إلى العصب، حتى عادت كما كانت بإذن الله تعالى.

فقال أبو عبد الله عليه السلام:

قد أريتم ما أرى إبراهيم قومته، وقد أعطينا من الكرامه ما أعطى إبراهيم عليه السلام، وهذه كما علمت شاكلكم لتلك، ومعادله لها» (٢).

### ختم الآيه

ثمّ قالت الآيه: « وَاعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ أَى: عزيزٌ لا يفقد شيئاً بزواله عنه، حكيم لا يفعل شيئاً إلاّ من طريقه اللائق به، فيوجد الأجساد بإحضار الأرواح، وإيجادها دون العكس» (٣).

ص: ٣٠١

١- (١) انظر: تفسير الأمثل: ج ٢، ص ٥٠٧.

٢- (٢) الثاقب في المناقب: ص ١٣٩، ح ٣. مدينة المعاجز: ج ٥، ص ٣٩٥، ح ١٦٦.

٣- (٣) تفسير الميزان: ج ٢، ص ٣٧٧.

وأهل البيت عليهم السلام حكمتهم من حكمه خالقهم جلّ وعلا- فيفعلون ما فيه الصلاح ويتركون ما كان الصلاح في تركه أيضاً؛ ولذا صار أوباش الناس يحسدونهم؛ لأنّهم لم يحصلوا على عشره في حياتهم، ولا زله في أفعالهم.

وَرَحِمَ اللهُ الشَّيْخَ عَلَى الشَّفْهِينِي حَيْثُ يَقُولُ فِي قَصِيدَتِهِ اللَّامِيَةِ الرَّائِعَةِ مَخْطَباً بِهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

إِنْ يَحْسُدُوكَ عَلَى عُلاكَ فَإِنَّمَا مَتَسَاوِلُ الدَّرَجَاتِ يَحْسُدُ مَنْ عَلا

إِحْيَاؤُكَ الْمَوْتَى وَنُطْقُكَ مَخْبِراً بِالْغَائِبَاتِ عَذْرَتُ فَيْكَ لِمَنْ غَلا

وَبَرَدُكَ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ بَعْدَمَا أَفْلَتْ وَقَدْ شَهِدْتُ بَرَجْعَتِهَا الْمَلَا(١)

\*\*\*

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

ص: ٣٠٢

## المحاضرہ الثالثہ والعشرون: مقومات الزعامہ الإلهیہ

اشارہ

ص: ۳۰۳





هيهات أن تجفو السهاد جفوني أو أن داعية الأسي تجفوني  
أنى ويوم الطف أضرم فى الحشا جذوات وجد من لظى سجين  
يوم أبو الفضل استفزت بأسه فتياه فاطم من بنى ياسين  
فأغات صبيته الضما بمزاده من ماء مرصود الوشيخ معين  
حتى إذا قطعوا عليه طريقه بسداد جيش بارز وكمين  
ودعته أسرار القضا لشهادته رسمت له فى لوحها المكنون  
حسموا يديه وهامه ضربوه فى عمد الحديد فخر خير طعين  
ومشى إليه السبط ينعاه كسرت الآن ظهري يا أخى ومعيني  
عباس كبح كتيبتي وكنانتي وسرى قومي بل أعز حصوني  
يا ساعدى فى كل معترك به أسطو وسيف حمايتي بيمينى  
لمن اللوى أعطى ومن هو جامع شملى وفى ظنك الزحام يقينى  
عباس تسمع زينبا تدعوك من لى يا حماى إذ العدى نهرونى  
أو لست تسمع ما تقول سكينته عماء يوم الأسر من يحمينى (1)

\*\*\*

(موشح)

اجفوفه مكطوعات والراس انفطر وسال دمع احسين يشبه للمطر  
اوصاح يا خويه الظهر متى انكسر يا بدرنه اشلون غطاك الخسوف  
غبت عنى وأنت لى سور حديد يا صواجع من سمه وذبحها الرعيد  
اشلون اظل عكبك يبو فاضل وحيد أو جمعت كوفانها وصارت أوف  
كله خلىنى ابمجانى وانتحى هذا أمر الله انكتب ما ينمحي

---

١- (١) القصيده للشيخ حسين قفطان رحمه الله، وقد تقدمت ترجمته في المحاضره الرابعه عشره.

ولسان حال زينب عليها السلام:

المصائب من عكب عينك لوئى أوّن ونّت الوادم لوئى

أنا زينب يبو فاضل لوئى عميت أو لا أرى شخصك رميه

\*\*\*

ألف وسفه على العباس ينصاب أو مخ راسه على الچتفين ينصاب

المآتم دوم إله ولحسين يناسب لمن تظهر روايه الهاشميه

\*\*\*

قال تعالى: وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ... (١).

الكثير من الناس يحكمون على الظواهر، ويتعاملون على طبق موازين قد يكون لا أساس لأكثرها، فقد يجعلون ما ليس بعلة عله، وما هو عله نتيجة، وهكذا، بل نرى للواحد منهم أكثر من قاعده وضابطه فى موضوع واحد، وبالْحَقِيقَه هكذا واقع معناه إلغاء القواعد والضوابط من الأساس، ولكن من دون أى إحساس.

وما هذه الآيه المباركه إلا تعبير واضح عن هكذا مجتمعات، فهى جاءت لتبين لنا الضابطه فى الإختيار الإلهى، والزعامه الإلهيه، وتردّ على القواعد والضوابط عند أكثر الناس الذين لا يتحلّون بالعقل المفكر الواع.

ص: ٣٠٦

لقد مرّ زمان على بنى إسرائيل لم يتركوا نبيّاً من الأنبياء، ولا رسولاً من الرسل إلاّ وحاربوه وكذبوه، بل قتلوه، قال تعالى: لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كَلَّمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (١).

ومضت عليهم السنون، وهم على هذا التكذيب والقتل؛ لأنّه لم يأتِ نبيٌّ بما تهوى أنفسهم الشريره، فأصابهم الذلّ والخزي والعار، حتّى صاروا أذله خاسئين على أيدي الفراعنه، قال تعالى: وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٢).

فمرّوا بحاله الذلّ والإستعباد، والقتل والتشريد والتنكيل من قبل الفراعنه، ثمّ أنجاهم الله تبارك وتعالى عن طريق نبيّ الله موسى بن عمران عليه السلام كما قالت الآيه أعلاه، وظلّت فيهم هذه الروحيه - روحيه النصر - بعد رحيل موسى عليه السلام مُدّة من الزمن، إلاّ أنّهم أصبحوا مغرورين بذلك، وأخذوا يُخالفون القوانين إلى أن ضعفوا شيئاً فشيئاً حتّى لم يعودوا قادرين على الدفاع عن أنفسهم، حتّى أمام أنفه أعدائهم، فاستمرّت حالهم على هذا سنوات طويلاً، إلى أن أرسل الله إليهم نبياً اسمه (شموئيل) أو (يوشع) أو (شمعون) على إختلاف الأقوال فى اسمه الشريف؛ لإنقاذهم وهدايتهم فتجمّع حوله اليهود الذين كانوا قد ضاقوا ذرعاً بالظلم، وكانوا يبحثون عن ملجأ يأوون إليه، وطلبوا منه أن يختار لهم قائداً وأميراً؛ لكي يتوحيّدوا تحت لوائه ويحاربوا متّحدين يداً ورأياً؛ لاستعادة عزّتهم الضائعه، مع أن نبي الله كان يخشى الخذلان منهم، ولكنهم باصرارهم جعلوه يقبل

ص: ٣٠٧

١- (١) المائدة: آيه ٧٠.

٢- (٢) الأعراف: آيه ١٤١.

عرضهم عليه وكأنهم شخّصوا دائهم واتّجهوا لمعالجته(١).

مع أنّ الله عزّ وجلّ - كما تقدّم - أنعم عليهم نعماً كثيرة، ومنها التابوت الذى أنزله الله على موسى عليه السلام، فوضعتهُ أمّه فيه وألقتهُ فى اليم، فكان عند بنى إسرائيل يتبرّكون به، فلما حضرت موسى عليه السلام الوفاه وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آيات النبوه، وأودعه يوشع وصيه، فلم يزل التابوت بينهم حتّى استخفّوا به، وكان الصّبيان يلعبون به فى الطرقات، فلم يزل بنو إسرائيل فى عزّه وشرفٍ ما دام التابوت عندهم، فلما عملوا بالمعاصى واستخفّوا بالتابوت رفعه الله عنهم(٢).

إذن ذلهم وخذلانهم وخسرانهم إنّما كان بمخالفه أمر أنبيائهم عليهم السلام بعد أن كان العزّ بين أيديهم ارتفع عنهم بذنوبهم واستخفافهم بالمقدّسات.

### الاعتراض على الاختيار الإلهي

«لَمَّا طَلَبُوا مِنْ نَبِيِّهِمْ أَنْ يُعَيِّنَ لَهُمْ مَلِكًا مِنْهُمْ فَعَيَّنَ لَهُمْ طَالُوتَ، وَكَانَ رِجَالًا مِنْ أَجْنَادِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ فِيهِمْ؛ لِأَنَّ الْمَلِكَ كَانَ فِي سَبْطِ يَهُوذَا، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا مِنْ ذَلِكَ السَّبْطِ؛ فَلِهَذَا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا أَيْ: كَيْفَ يَكُونُ مَلِكًا عَلَيْنَا وَعَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَ لَمْ يُؤْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ أَيْ: ثُمَّ هُوَ مَعَ هَذَا فَقِيرٌ لَا مَالَ لَهُ يَقُومُ بِالْمَلِكِ. وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ كَانَ سَقَاءً. وَقِيلَ: دَبَاغًا، وَهَذَا اعْتِرَاضٌ مِنْهُمْ عَلَى نَبِيِّهِمْ وَتَعَنَّتْ، وَكَانَ الْأَوْلَى بِهِمْ طَاعَهُ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ»(٣).

واعترضهم على نبيهم فى تعيين طالوت ملكاً كان لسببين هما:

الحسب والنسب من جهه، والمال والثروه من جهه أخرى، فجعلوا المقياس ما ليس

ص: ٣٠٨

١- (١) انظر: تفسير الأمل: ج ٢، ص ٢١٦.

٢- (٢) انظر: بحار الأنوار: ج ١٣، ص ٤٣٩ - ص ٤٤٠.

٣- (٣) تفسير ابن كثير: ج ١، ص ٣٠٨.

بمقياس عند السِّماء، وجعلوا ما ليس بعَلِّهِ للإصطفاء عله له، فتحقق الخوف من الخذلان الذى كان يجول فى خاطر نبيهم (شموئيل) وسبب هذا الاعتراض واستبعاد أن يكون طالوت ملكاً عليهم أن النبوه كانت مخصوصه بسبط معين من أسباط بنى إسرائيل، وهو سبط لاوى بن يعقوب - على رأى - ومنه موسى وهارون، وسبط المملكة، سبط يهوذا ومنه داود وسليمان، وأن طالوت ما كان من أحد هذين السبطين، بل كان من ولد بنيامين؛ فلهذا السبب أنكروا كونه ملكاً لهم، وزعموا أنهم أحق بالملك منه، ثم إنهم أكدوا هذه الشبهه بشبهه أخرى، وهى قولهم: **وَلَمْ يُؤْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ وَذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ فَقِيرٌ (١)**.

### طالوت وكيفيه اختياره

«كان طالوت رجلاً طويل القامه، ضخماً، حسن التركيب، متين الأعصاب قوياً، ذكياً، عالماً، مدبراً. ولكنّه مع كل ذلك لم يكن معروفاً، حيث كان يعيش مع أبيه فى قريه على أحد الأنهر، ويرعى ماشيه أبيه، ويشتغل بالزراعه، أضع يوماً بعض ماشيته فى الصحراء، فراح يبحث عنها مع صاحب له بضعه أيام حتى اقتربا من مدينه صوف، قال له صاحبه: لقد اقتربنا من صوف مدينه النبى إسموئيل، فتعال نزوره لعله يدلنا بما له من إتصال بالوحى، وحصانه فى الرأى على ضالتنا. والتقىا بإسموئيل عند دخولهما المدينه، فدلاه على ماشيته، ثم أخبره بأن الله قد اختارك لنجاه بنى إسرائيل، فقبل هذه المهّمه بعد التردد، فأخبر نبى الله إسموئيل بنى إسرائيل بأن الله قد اختار طالوت لقيادتكم فعليكم جميعاً أن تطيعوه، وأن تنهأوا للجهد ومحاربه الأعداء. فاعترضوا بالإعتراض المتقدم بأنه ليس صاحب حسب ونسب، ولا من أصحاب الأموال، فنحن أحق بالقياده منه؛ لكوننا من أصحاب الثروه والمال، وأصحاب النسب والحسب» (٢).

ص: ٣٠٩

١- (١) انظر: تفسير الرازى: ج ٦، ص ١٨٤ - ص ١٨٥.

٢- (٢) تفسير الأمثل: ج ٢، ص ٢١٧ - ص ٢١٨.

بعد إعتراض بنى إسرائيل المتقدم على نبيهم فى اختيار طالوت ملكاً عليهم أجابهم نبي الله بأن هذا الاختيار ليس من عندى، وإنما هو إصطفاء من الله عز وجل. والإصطفاء معناه الاختيار(١). وأصله الصفو.

فلو تأملنا نعرف كيف رد عليهم نبي الله تعلقهم: بأنه لا- ملك إلا- الرجال ولا- رجال إلا- بالمال، وهو فقير لا سعه له ولا مال، وذلك: بأن الركن الأعظم الشديد الحاجه إليه فى الملك والرئاسه هو اصطفاء الله واختياره؛ لعلمه بقبول المحل لا ما ذكره من الثروه والمال والسعه فى الحال، فلما أذنوا بذلك انقطعوا ورضوا برضا الله ورسوله، فانحسنت ماده نزاعهم وتألفت قلوبهم(٢).

مضافاً إلى الإصطفاء الإلهي أن الله عز وجل زاده بسطه فى العلم والجسم «فهذه الآيه موافقه لدلائل العقول التى لا ينكرها إلا من ينكر الضروريات فى أن الأعلم أولى وأحق وأوجب بالتقديم فى الإمامه ممن لا يساويه فى العلم... فلو استوزر الملك رجلاً لا بصيره له بعلم السياسه وتدبير الأحوال لقبح عند العقلاء فعله»(٣).

من هنا صارت الحجة لأمر المؤمنين عليه السلام فى أن يحتج على القوم الذين انقلبوا على أعقابهم بعد أن سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«ما ولت أمة قط أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل يذهب أمرهم سفلاً، حتى يرجعوا إلى ما تركوا»(٤)، فهذه دلت على وجوب تقدم أمير المؤمنين عليه السلام على كافة المسلمين لخلافه الرسول صلى الله عليه وآله وإمامه الأئمة؛ لتقدمه

ص: ٣١٠

١- (١) انظر: مجمع البيان: ج ٢، ص ١٤١.

٢- (٢) انظر: جامع الشتات: ص ١٤.

٣- (٣) نهج الإيمان: ص ٢٨٩.

٤- (٤) الاحتجاج: ج ١، ص ٢١٩.



عليهم في العلم والحكمه، وقصورهم عن منزلته في ذلك(١).

والخلاصه: إنَّ اعتراض بنى إسرائيل كان فى أمرين - كما قدّمنا - الحسب والنسب من جهه، والمال والثروه من جهه أُخرى، وهذان الأمران بحسب اعتقادهم أنّهما من مقومات الزعامه والمُلك، ولكن جاء الجواب الإلهى عن هذا الاعتراض بأمرين كذلك، وهما: الإصطفاء الإلهى، والبسطه فى العلم والجسم، مع أنّ أول الأمرين يكفى لردّ اعتراضهم بأنّ الله عزّ وجلّ اختاره وكفى، قال تعالى: وَ مَا كَانَ لِمُرُؤٍمٍ وَلَا- مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا(٢).

ولكن مع ذلك أجاب نبيّ الله - زياده على الإصطفاء - بأنّه مُستحقّ لهذا المنصب، وهو جدير بالملك؛ لأنّ الملك يتقوّم بأمرين غير ما تظنون، وهما: العلم والقوّه.

قال صاحب الميزان: «وبالجملة الغرض من الملك أن يدبّر صاحبه المجتمع تدبيراً يوصل كلّ فردٍ من أفرادهِ إلى كماله اللائق به، ويدفع كلّ ما يمانع ذلك، والذي يلزم وجوده فى نيل هذا المطلوب أمران: أحدهما: العلم بجميع مصالح حياه الناس ومفاسدها، وثانيهما: القدره الجسميه على إجراء ما يراه من مصالح المملكه، وهما اللذان يشير إليهما قوله تعالى: وَ زَادَهُ بَسِيطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ ، وَأَمَّا سَعَهُ الْمَالِ فَعَدَّهُ مِنْ مَقَوْمَاتِ الْمَلِكِ مِنَ الْجَهْلِ.

ثمّ جمع الجميع تحت حُجّه واحده ذكرها بقوله تعالى: وَ اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكُهُ مَنْ يَشَاءُ ، وهو أنّ الملك لله وحده ليس لأحد فيه نصيب إلّا ما آتاه الله سبحانه منه، وهو مع ذلك لله كما يفيدهِ الإضافه فى قوله تعالى (يؤتى ملكه)، وإذا كان كذلك فله تعالى التصرّف فى ملكه كيف شاء وأراد، ليس لأحدٍ أن يقول: لماذا أو بماذا (أى: أن يستل عن عله التصرّف، لأنّ الله تعالى هو السبب المطلق، ولا عن متمم العليه وأداه الفعل؛ لأنّ الله

ص: ٣١١

١- (١) انظر: الإرشاد: ج ١، ص ١٩٤.

٢- (٢) الأحزاب: آيه ٣٦.

تعالى تام لا يحتاج إلى متمم) فلا ينبغي السؤال عن نقل المُلْك من بيتٍ إلى بيت، أو تقليده أحداً ليس له أسبابه الظاهره من الجمع والمال»(١).

### علامه ملك طالوت

بعد أن تبين أن الله تبارك وتعالى هو الذى اصطفى طالوت واختاره أن يكون ملكاً على بنى إسرائيل، لصفات يراها عز وجل أنها هي الصفات التي يجب أن تكون في القائد والملِك وهي العلم والقوه، لا الحسب والثروه، كما يظن جهال بنى إسرائيل، وبين ذلك نبئهم إسموئيل على أحسن وجه، ولكن الكثير منهم لم يقبل اختيار السِّماء، وتصوّروا أن هذا من عند نفسه، لا من الرب المتعال؛ لذا طمأنهم نبئهم بإتيان الحجّه على أن هذا الاختيار اختيار إلهي، وهو إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سَكِينَةً مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ (٢) إن علامه بركه ملك طالوت عليكم أن يردّ الله عليكم التابوت الذى أخذ منكم(٣).

وقد ذكرنا فيما تقدّم ما هو المحتوى لهذا التابوت، وأنّ عزّة بنى إسرائيل إنّما زالت باستخفافهم بهذا التابوت، والآن يعود إليهم مرّة أخرى كدليل على إصطفاء طالوت للملك إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سَكِينَةً، فهو يحتوى على أشياء من شأنها أن تبعث السكينة في قلوب بنى إسرائيل، فهذا الصندوق بطابعه المعنوى والتاريخى كان أكثر من مجرد لواء لبني إسرائيل وشعار لهم، كان يُمثّل رمز إستقلالهم ووجودهم، وبرؤيته كانوا يسترجعون عظمتهم السابقه؛ لذلك كان الوعد بعودته بشاره عظيمه(٤).

ص: ٣١٢

١- (١) تفسير الميزان: ج ٢، ص ٢٨٧.

٢- (٢) البقره: آيه ٢٤٨.

٣- (٣) انظر: تفسير ابن كثير: ج ١، ص ٢٤٧ - ص ٢٤٨.

٤- (٤) انظر: تفسير الأمثال: ج ٢، ص ٢٢٤.

فإصطفاء طالوت كان لعلمه وشجاعته وقدرته الروحية في إداره الحرب وفنون القتال، وصار هو المَلِك على بنى إسرائيل، وآيه مُلكه السكينة التي يبعثها في قلوب بنى إسرائيل عامَّةً والمقاتلين خاصَّةً؛ لأنَّهم متى ما رأوه ورأوا ذلك اللواء الذي كان يحمله اطمأنت نفوسهم.

وهكذا كان أبو الفضل العباس عليه السلام سكينه في قلب سُكِينه والرباب وزينب (عليهنَّ السلام)، كان عليه السلام سَكِينه وبشاره للأطفال العُطاشى، بل اصطفاه الإمامُ الحُسَيْنُ عليه السلام واختاره من بين كلِّ أهل بيته عليهم السلام ليكون كبش الكتيبه وحامل اللواء؛ لأنَّه يشتمل على صفات الإختيار الإلهي، وهى: العلم والبسطه فى الجسم.

أمَّا العلم فكما يقول إمامنا الصَّادق عليه السلام:

«كان عمُّنا العباس بن على نافذَ البصيره، صلب الإيمان»<sup>(١)</sup>.

وأما القوَّة والبسطه فى الجسم، فقال عنه أبو الفرج الأصفهاني: «وكان العباس رجلاً وسيماً جميلاً، يركب الفرس المطهَّم ورجلاه تخطآن فى الأرض، وكان يقال له: قمر بنى هاشم، وكان لواء الحسين بن على عليه السلام معه يوم قُتل»<sup>(٢)</sup>.

والفرس المطهَّم: هو الفرس السمين والتام من كلِّ شىء<sup>(٣)</sup>.

ولذا يقول الشاعر فيه:

بطلٌ إذا ركبَ المطهَّم خلته جبلاً أشم يخف فيه مُطهَّم

بطلٌ تورث من أبيه شجاعهً فيها أنوف بنى الضلاله تُرغم<sup>(٤)</sup>

ص: ٣١٣

١- (١) عمده الطالب: ص ٣٥٦.

٢- (٢) مقاتل الطالبين: ص ٥٦.

٣- (٣) انظر: القاموس المحيط: ج ٤، ص ١٤٥.

٤- (٤) من قصيده رائعه للسيد جعفر الحلى رحمه الله مطلعها: وجه الصباح على ليل مُظلم وربيع أيامى على مُحرم انظر: رياض المدح والثناء: ص ٢٣٩.

ولذا يصف لنا بعض الشعراء ما نُقل لهم عن حاله أبا عبد الله عليه السلام عندما شاهد أخاه أبا الفضل عليه السلام بوصفٍ يستنزف الدموع من العيون، وكلّ ظنّي أنّ الشاعر لم يتجاوز الحقيقه، ولم يتعدّ الحاله التي كان عليها الحسين عليه السلام حينما قال في وصفه:

بس شاف أخيه على الثره طريح امن بعيد ظل ايگوم ويطيح

اويمه وگف حزنان ويصيح ظهري انكسر ودموعى اتسبح

والفرگتک دلالي اجريح (١)

وأما زينب فحالها بعد كافلها لا يوصف، وكأني بها تقول:

كلمن شافني فوگك الجمل گال اضنچ يحزّه مالچ ارجال

گنله بله سبعين خيال گظينه عزاهم فوگك الجمال

زينب أنه بت خير الأعمال راحوا هلى اوييه الدهر مال (٢)

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العلي العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّد أَيُّ مُنْقَلَبٍ ينقلبون

والعاقبه للمتقين.

ص: ٣١٤

---

١- (١) ميراث المنبر: ص ٢٠٥.

٢- (٢) الأبيات لابن فايز. انظر: ميراث المنبر: ص ١٥٩.





الواثين لِظلمِ آلِ مُحَمَّدٍ ومُحمَّدٍ مُلقَى بِلا تكفينِ  
والقائلينَ لفاطمٍ آذيتنا في طولِ نوحٍ دائمٍ وحينِ  
والقاطعينَ أراكهَ كيما تقييلِ بظلِ أوراقِ لها وغصونِ  
ومجمعى حطبِ على البيتِ الذى لم يجتمع لولاهُ شملُ الدينِ  
والهاجمينَ على البتولِ بيتهَا والمُسقطينَ لها أعزَّ جنينِ  
والقائدينَ إمامهم بنجادهِ والطَّهرُ تدعو خلفهم برنينِ  
خلوا ابنَ عمى أو لأكشفَ للدعا رأسى وأشكو للاله شجونى  
ما كانَ نافهَ صالحٍ وفصيلها بالفضلِ عندَ الله إلا دونى  
ورنتُ إلى القبرِ الشَّريفِ بمُقله عبرى وقلبِ مُكمدٍ محزونِ  
قالتُ وأظفارُ المُصابِ بقلبها غوثاه قلَّ على العداة مُعيني  
أبناءُ هذا السامرئى وعجله تُبعا ومالَ النَّاسُ عن هارونِ  
أى الرزيا أتقى بتجلدى هو فى النوائبِ مُذ حيت قرينى  
فقدى أبى أم غصبَ بعلى حقه أم كسرَ ضلعى أم سقوطَ جنينى  
أم أخذهم إرثى وفاضلَ نحتلى أم جهلهم حقى وقد عرفونى  
قهرُوا يتيملكُ الحُسينَ وصنوه وسألتهم حقى وقد نهرونى(1)

ص: ٣١٧

١- (١) القصيدة لشاعر أهل البيت عليهم السلام الشيخ صالح الكواز الحلبي رحمه الله، قال عنه السيد داخل حسن في كتابه من لا يحضره الخطيب (ج ١، ص ١٨٣): «الشيخ صالح الكواز، عملاق الشعر، ونابغه العصر، هكذا نعته عملاق المنبر الأستاذ السيد جواد شبر. ولد الكواز سنة ١٢٣٣ هـ -، وتوفى ١٢٩٠ هـ -، لقب بالكواز؛ لأنه كان يبيع الكيزان والجرار والأواني الخزفية، وكان معروفاً بالورع والتقوى وعزه النفس. وشعره من معلقات المحافل الحسينية، تهتز له النفوس إعجاباً، ويتترع الدموع حزناً على مصائب أهل البيت عليهم السلام». من لا يحضره الخطيب: ج ١، ص ١٨٣.

قال تعالى: وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١).

لقد أخذت القصة في القرآن الكريم مجالاً واسعاً ومهماً في هداية البشر، وقد تميّزت هذه القصة عن غيرها من القصص بأنها قصص واقعية صادقة لا يتطرق إليها أدنى شك.

قال تعالى: إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ٢، فهو قصصٌ لا- لأجل اللهو والمؤانسه، كما يكتب ذلك الكثير ممن ليس له هدف سامي في الحياه، بل القصة في القرآن الكريم لها أهداف سامية رفيعة، لعل أهمها التفكير، حيث يقول عز وجل: فَأَقْصِصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢)، وإذا كانت القصة في القرآن لها هذا التميز فلا شك أنها ستكون كما قال تبارك وتعالى: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ (٣).

ومن أهم أغراض القصة في القرآن الكريم - مضافاً لما تقدّم - هو بيان أنّ دعوه الأنبياء والمرسلين عليهم السلام واحده، وطرق مجابهة قومهم لهم واستقبالهم متشابهه، وأنّ القوانين والسنن الاجتماعيه التي تتحكّم في تطوّر الدعوه واحده، فالأنبياء يدعون إلى الأدله الواحده، ويأمرون بالعدل والإصلاح، والناس يتمسّكون بالعادات والتقاليد الباليه والحجج الواهيه. ويصرّ على ذلك أصحاب المنافع الشخصيه والأهواء الخاصه بشكل خاص، والطواغيت والجبابره بشكل أخص (٤).

وقد يسأل سائل ويقول: إذا كان الأمر كذلك، وأنّ الدعوه واحده والأساليب

ص: ٣١٨

١- (١) الأعراف: آيه ٧٣.

٢- (٣) الأعراف: آيه ١٧٦.

٣- (٤) يوسف: آيه ٣.

٤- (٥) انظر: علوم القرآن: ص ٣٥٩.



متشابهه، فما هو السبب فى اختلاف الشرائع؟

والجواب: «سبب اختلاف الشرائع اختلاف الأمم فى الإستعداد والقابليه. والدليل على أن الأنبياء متفقون على الإيمان والتوحيد ما جاء أنه صلى الله عليه [ وآله ] وسلم، قال:

الأنبياء أولاد علات، أى: أصل دينهم واحد، وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع شرائعهم؛ لأن العلات الضرائر فأولادهم إخوه من الأب وأمهاتهم مختلفه» (١).

ومن القصص الحق، والتي جاء هدفها بالتفكر فى أحوال من تقدمنا، قصه نبيّ ظلمه قومه، فانتقم الله منهم، كما هو الحال فى جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وهو نبيّ الله صالح عليه السلام مع قومه.

قالت الآية وَ إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، وَهنا أمور:

### الأمر الأول: مَنْ هو ثمود؟

اختلفوا فى ثمود، فنقل عن الجوهرى: ثمود قبيله من العرب الأولى، وهم قوم صالح. وكذلك قال الفراء: سُميت بذلك لِقلِّه مائهمز وقال الزجاج: الثمد الماء القليل الذى لا مادّه له. وقيل: ثمود اسم رجل. وقال عكرمه: هو ثمود بن جابر بن إرم بن سام بن نوح. وقال الكلبي: وكانت هذه القبيله تنزل فى وادى القرى إلى البحر والسواحل وأطراف الشام، وكانت أعمارهم طويله وكانوا يبنون البنيان والمساكن، فتنهدم، فلما طال ذلك عليهم اتّخذوا من الجبال بيوتاً ينحتونها وعملوها على هيئة الدور. ويُقال: كانت منازلهم أولاً بأرض كوش من بلاد عالج، ثم انتقلوا إلى الحجر بين الحجاز والشام إلى وادى القرى، وخالفوا أمر الله وعبدوا غيره، وأفسدوا فى الأرض، فبعث الله إليهم صالحاً

ص: ٣١٩

١- (١) السيره الحلييه: ج ١، ص ١٧٦. ونسبه إلى (قال بعضهم).

نبياً فدعاهم إلى الله تعالى ولم يتبعه منهم إلا قليلٌ يستضعفون(١).

وقد تميّز هؤلاء القوم بطول أعمارهم - كما ذكرنا آنفاً - حتّى أنّ بيوت الطين ما كانت تبقى مدّة أعمارهم؛ فلذا كانوا ينقبون في الجبال البيت، ففي الصيف يسكنون بيوت الطين، ولعله لبرودتها وفي الشتاء يسكنون بيوت الجبل لدفتها(٢).

وقد مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله على ديارهم ومساكنهم، وهو ذاهب إلى تبوك في سنة تسع، ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس على تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود، فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود، فعجنوا منها ونصبوا لها القدور، فأمرهم النبيّ صلى الله عليه وآله فأهرقوا القدور، وعلفوا العجين الإبل، ثمّ ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا، وقال: «إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم»(٣).

### الأمر الثاني: ما هو سرّ التعبير ب - (أخاهم صالحاً)؟

من المعلوم بداهة أنّ نبي الله صالح كان في الجهة الأخرى المقابلة إلى قومه، فهم قوم عتاه مرده كذبوه وآذوه، وهو نبي الله وكفى، فكيف عبّر ب - (أخاهم) (٤)، ومن المعلوم أنّ الأخوة شيء رفيع لا يدانيه شيء آخر، حيث قال البارئ عزّ وجلّ إنّما المؤمنون إخوة ٥؟

ص: ٣٢٠

١- (١) انظر: عمده القارى: ج ١٥، ص ٢٧١.

٢- (٢) انظر: تفسير البغوى: ج ٢، ص ٧٣.

٣- (٣) انظر: تفسير ابن كثير: ج ٢، ص ٢٣٦ - ص ٢٣٧.

٤- (٤) المنصوبه على تقدير (وأرسلنا) مع أنّه لم يذكرها، ولكن ذكر النبيّ والمرسل إليهم يدلّ على ذلك، كما تبّه عليه ابن هشام في المغنى: ج ٢، ص ٤٣٦، واستشهد بنفس الآيه المباركه.

والجواب: إِمَّا لِأَنَّهُ بَشَرٌ مِثْلَهُمْ مِنْ بَنِي آدَمَ يَفْهَمُونَ مِنْهُ، فَهُوَ آكَدَ عَلَيْهِمْ فِي الْحُجَّةِ (١).

ولكن ربيب القرآن أمير المؤمنين عليه السلام عبّر عن ذلك بالنظير، حيث يقول: «فإنّهم صنفان، إمّا أخ لك في الدين، وإمّا نظير لك في الخلق» (٢).

ولا أظنّ أنّ هذا هو سرّ التعبير عنهم بأنّه أخوهم، وحليف القرآن يخالف ذلك.

وإمّا لأنّه من عشيرتهم (٣)، أو لأنّه من حيّهم وقبيلتهم (٤).

ولعلّ الوجهين الأخيرين أظهر وأقوى، كما يؤيّد التاريخ أنّ نبي الله صالح كان من نفس قبيله ثمود وحيّهم، ويؤيد ذلك، بل يدلّ عليه بالصراحة ما رواه العياشي في تفسيره من أنّ رجلاً من أهل الشام جاء إلى الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام فقال: «أنت عليّ بن الحسين؟ قال: نعم. قال أبوك الذي قتل المؤمنين؟

فبكى عليّ بن الحسين، ثمّ مسح عينيه، فقال: ويلك! كيف قطعت عليّ أبي أنّه قتل المؤمنين؟ قال: قوله: إخواننا قد بغوا علينا فقاتلناهم على بغيهم.

فقال: ويلك أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى. قال: فقد قال الله: وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا، وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا، فكانوا إخوانهم في دينهم، أو في عشيرتهم؟ قال له الرجل: لا بل في عشيرتهم. قال: فهؤلاء إخوانهم في عشيرتهم وليسوا إخوانهم في دينهم. قال: فرّجت عنّي فرّج الله عنك» (٥).

وبهذا يتّضح أنّ هذا التعبير (أخاهم) لأجل أنّه من عشيرتهم وحيّهم الذي عاش فيه أكثر من مئة سنة، حيث إنّهُ بعث إليهم وهو ابن ستّة عشر سنة، فلبث فيهم حتّى بلغ مئة

ص: ٣٢١

١- (١) معاني القرآن: ج ٣، ص ٤٧.

٢- (٢) نهج البلاغه: ج ٣، ص ٨٤.

٣- (٣) انظر: معاني القرآن: ج ٣، ص ٤٧.

٤- (٤) انظر: بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٣٦.

٥- (٥) تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٠.

وعشرين سنه، يدعوهم فلا يجيبونه إلى خير، فحاجّهم في آلهتهم وهم سبعون صنماً، وقال: إن شئتم فاسألوني حتى أسأل إلهي فيجيبكم، وإن شئتم سألت آلهتكم فإن أجابتنى خرجت عنكم.

فاستدعوه أن يسأل آلهتهم فسأل إتماماً للحجّه وتوضيحاً لبطالانهم، فلمّا رأوا أنّهم لا يجيبونه.

قال: فاسألوني حتى أدعو إلهي فيجيبكم، فانتدب سبعون رجلاً من كبرائهم وعظمائهم، فقالوا: يا صالح نحن نسألك، فقال: فكلّ هؤلاء يرضون بكم؟

قالوا: نعم، فإن أجابوك أجبتك. قالوا: يا صالح، فإن أجابك إلهك آمنّا بك جميعاً، فسألوا خروج الناقه من الجبل (١).

### الأمر الثالث: الدعوه إلى التوحيد

ذكرنا فيما تقدّم أنّ الهدف الأسمى والمهمه العليا عند جميع الأنبياء والمرسلين هو رفع كلمه التوحيد، والملاحظ هنا هو اعتماد المنهج الذي يدعو جميع الأنبياء والمرسلين إليه، فجميع الرسل يدعون إلى عباده الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢)، وقال: وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اجْتَبُوا الطَّاعُونَ (٣)، فالذي يدعو إليه واحد لا شريك له، ولأجل هذه الدعوه يبذلون كلّ غالٍ ونفيس، ولو كان لله شريك - تعالى عن ذلك علواً كبيراً - لأتانا من يدعو إليه.

وكما قال إمامُ الموحّدين أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه الإمام الحسن عليه السلام ومَن يبلغه

ص: ٣٢٢

١- (١) انظر: مستدرک سفینه البحار: ج ٦، ص ٣١٤.

٢- (٢) الأنبياء: آيه ٢٥.

٣- (٣) انظر: تفسير ابن كثير: ج ٢، ص ٢٣٦ - ص ٢٤٠. والآيه ٣٦ من سوره النحل.

كتابه، قال:

«واعلم يا بُنَيَّ، أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أفعالَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ...»(١).

ثم قالت الآية قَدْ جَاءَ تَكْمٌ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ.

ما لكم تعبدون الأصنام وقد جاء تكم بينه ظاهره جليته، وشاهد على صحه نبوتى، وكانت هذه الجملة جواب لقولهم: (اثنتا بينه) - كما مرّ عليك فى الروايات - تدلّ على صدقك، وأنتك مُرْسَلٌ إلينا، وقوله: (هذه ناقة الله لكم آية تفسير لما أبهم فى قوله: بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ فكَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ: ما الآيه؟

قال: هذه ناقة الله.

وقد يقول قائل: ما هو السرُّ فى إضافتها إلى الله عزّ وجلّ؟

والجواب: قد تكون إضافتها إليه عزّ وجلّ تشریفاً وتخصيماً، نحو (بيت الله) و (روح الله).

أو لكونه خلقها بغير توسط ذكر وأنثى، أو لكونها لا مالك لها إلا الله تعالى(٢).

فالإشارة هذه ناقة الله لكم آية إشاره إلى ناقة بعينها، والسبب فى كونها آية وحجّه من الله على صدق دعوه نبي الله صالح عليه السلام أنهم هم الذين سألوا صالحاً عليه السلام أن يأتيهم بآية، واقترحوا عليه أن تخرج لهم من صخره صماء عيّنوها بأنفسهم، وهى صخره منفردة فى ناحيه الحجر، يُقال لها الكاتبة، فطلبوا منه أن تخرج لهم منها ناقة عشرةا تمخض، فأخذ عليهم صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم الله إلى سؤالهم وأجابهم إلى طلبتهم ليؤمننّ به وليتبعنه، فلما أعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته

ص: ٣٢٣

١- (١) نهج البلاغه: ج ٣، ص ٤٤.

٢- (٢) انظر: تفسير البحر المحيط: ج ٤، ص ٣٣١ - ٣٣٢. مجمع البيان: ج ٤، ص ٢٩١.

ودعا الله عزَّ وجلَّ، فتحرَّكت تلك الصخره، ثم انصدعت عن ناقه جوفاء وبراء، يتحرَّك جنيها بين جنيها، كما سألوا.

فعند ذلك آمن رئيسهم ومن كان معه على أمره، وأراد بقيه أشراف ثمود أن يؤمنوا فصدَّهم رجل يُدعى ذؤاب بن عمرو... وأقامت الناقه وفصيلها بعد ما وضعته بين أظهرهم مدَّة تشرب من بئرها يوماً وتدعه لهم يوماً، وكانوا يشربون لبنها يوم شربها، يحتلبونها فيملاؤن ما شاؤوا من أوعيتهم وأوانيتهم، كما قال تعالى: وَبَيَّنُّهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (١)، وقال قال هذه ناقه لها شربٌ ولكم شربٌ يوم معلوم ٢.

ثم قالت الآيه فمذروها تأكل في أرض الله «لما أضاف الناقه إلى الله أضاف محل رعيها إلى الله؛ إذ الأرض وما أنبت فيها ملكه تعالى لا- ملككم ولا- إنباتكم، في هذا الكلام إشاره إلى أن هذه الناقه نعمه من الله يُنال خيرها من غير مشقّه تكلف علف ولا طعمه، وهو شأن الإبل... كانت الناقه مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء، ترد غباً، وإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها، ثم تفجج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ أوانيتهم فيشربون ويدرخون» (٢).

وفي هذا المقطع «تلويح إلى أن تخليتهم الناقه وشأنها في الأكل والسير في الأرض كانت مما يشق عليهم، فكانوا يتحرَّجون من ذلك، وفي قوله: في أرض الله إيماء إليه، فوضاهم وحدَّتهم أن يمنعوها من إطلاقها ويمسوها بسوء، كالعقر والنحر؛ فإن وبال ذلك عذاب أليم يأخذهم» (٣).

ص: ٣٢٤

١- (١) القمر: آيه ٢٨.

٢- (٣) تفسير البحر المحيط: ج ٤، ص ٣٣٢.

٣- (٤) تفسير الميزان: ج ٨، ص ١٨١.

واللطيف في الآيه أنها نهت عن المسّ بالسوء «وهذا تنبيه بالأدنى على الأعلى، إذا كان قد نهاهم عن مسّها بسوء إكراماً لآيه الله، فنهيه عن نحرها وعقرها ومنعها عن الماء والكلأ أولى وأحرى، والمسّ والأخذ هنا استعاره، وهذا وعيدٌ شديدٌ لمن مسّها بسوء. والعذاب الأليم هو ما حصل إذا عقروها، وما أعدّ لهم في الآخرة» (١).

لكن حسدهم لها وهم يرونها تسرح في بعض تلك الأودية، ترد من فجّ وتصدر من غيره ليسعها؛ لأنها كانت تتصلع من الماء، وكانت على ما ذكر خلقاً هائلاً، ومنظراً رائعاً، إذا مرّت بأنعامهم نفرت منها، فلما طال عليهم واشتدّ تكذيبهم لصالح النبيّ عليه السلام عزموا على قتلها؛ ليستأثروا بالماء كلّ يوم، فيقال إنّهم اتفقوا على قتلها، وأنّ الذئب قتلها طاف عليهم كلّهم أنّهم راضون بقتلها حتى على النساء في خدورهن، وعلى الصبيان، وهو الظاهر من قوله تعالى: فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا (٢)، وقوله سبحانه: وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا (٣)، وقوله عزّ وجل: فَعَقَرُوا النَّاقَةَ (٤)، فأسند ذلك الى مجموع القبيله، فدلّ على رضاهم جميعاً بذلك (٥).

ويقال: إنّ امرأة منهم يُقال لها عنيزه ابنه غنم بن مجلز، وتكنى أمّ عثمان، كانت عجوزاً كافره، وكانت من أشدّ الناس عداوةً لصالح عليه السلام، وكانت لها بنات حسان ومال جزيل، وكان زوجها ذؤاب بن عمرو أحد رؤساء ثمود، ومعها امرأة أخرى ذات حُسن ومال وجمال، كانت تحت رجل مُسلم من ثمود ففارقته، فكانتا تجعلان لمن التزم لهما بقتل الناقة، فدعت إحداهما رجلاً يقال له الحجاب، فعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة فأبى عليها،

ص: ٣٢٥

١- (١) علوم القرآن: ص ٣٥٩.

٢- (٢) الشمس: آيه ١٤.

٣- (٣) الإسراء: آيه ٥٩.

٤- (٤) الأعراف: آيه ٧٧.

٥- (٥) انظر: تفسير ابن كثير: ج ٢، ص ٢٣٨.

فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج فأجابها إلى ذلك، ودعت الأخرى (قدار بن سالف) وكان رجلاً أحمر أزرق قصيراً، يزعمون أنه كان ولد زنيه، وأنه لم يكن من أبيه الذى ينسب إليه، وقالت له: أعطيك أئى بناتى شئت على أن تعقر الناقة، فعند ذلك انطلق (قدار ومصدع) فاستغويا غواه من ثمود، فاتبعهما سبعة نفر، فصاروا تسعه رهط، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: وَ كَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةٌ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١)، وكانوا رؤساء فى قومهم، فاستمالوا القبيلة الكافره بكاملها فطاوعتهم على ذلك، فانطلقوا فرصدوا الناقة حين صدرت من الماء، وقد كمن لها قدار فى أصل صخره على طريقها، وكمن لها مصدع فى أصل أخرى، فمرّت على مصدع فرماها بسهم فاننظم به عضله ساقها.

وخرجت بنت غنم عنيزه وأمرت ابنتها، وكانت من أحسن الناس وجهاً، فسفرت عن وجهها لقدار وزمرته، وشدّ عليها قدار بالسيف فكشف عن عرقوبها، فخرجت ساقطه إلى الأرض، ورغت رغاءً واحدةً تُحدّر سقبتها، ثم طعن فى لبتها فحرها، وانطلق سقبتها، وهو فصيلها حتى أتى جبلاً منيعاً فصعد أعلى صخره فيه، ورغا ثلاث مرات، وأنه دخل فى صخره فغاب فيها، ويقال: إنهم اتبعوه ففقروه مع أمه. فلمّا فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة، وبلغ الخبر صالحاً عليه السلام، فجاءهم وهم مجتمعون، فلمّا رأى الناقة بكى، وقال: تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۚ.

وقال العلامة الجزائرى: «وقد ذكر الله سبحانه قصّتهم فى كتابه المجيد، تعظيماً لمواقعتهم الشنيعه، وتخويفاً لهذه الأمه من أن يرتكبوا مثلها، وقد ارتكبوا ما هو أشنع وأفضع منها.

ص: ٣٢٤



ولهذا صحَّ عنه صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي عليه السلام:

«أشقى الأولين والآخرين من عقر ناقه صالح، ومن ضربك يا علي على قرنك حتى تخضب من دم رأسك لحيتك... ومن أمعن النظر فيه يظهر له شدة انطباقه عليه؛ وذلك أنَّ علياً عليه السلام كان آية الله تعالى أظهرها على يدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

كما قال عليه السلام: وأي آية أعظم مني... أمياً ولادته فكانت في الكعبة التي هي صخره بيت الله، كما خرجت الناقه من الصخره، ولم يتفق ذلك لنبي أو وصي نبي، وكان عليه السلام يميز الناس العلوم والحكم، كما كانت الناقه تميزهم السقيا.

وأما سبب شهادته عليه السلام فكانت قطامه (لعنه الله عليها)، كما كان السبب في عقر الناقه الملعونه الزرقاء، وبعد أن استشهد عليه السلام عمدوا إلى ولده الحسين عليه السلام وقتلوه، كما قتل أولئك فصيل الناقه... فلما عقروا الناقه قالوا لصالح: فَأَتْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ.

قال صالح: تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَعَلَامَةٌ هَلَاكِكُمْ: أَنَّهُ تَصْفَرُّ وَجُوهَكُمْ غَدًا، وَتَحْمُرُّ بَعْدَ غَدٍ، وَتَسْوَدُّ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ نَظَرُوا إِلَى وَجُوهِهِمْ قَدْ اصْفَرَّتْ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي احْمَرَّتْ مِثْلَ الدَّمِ، فَلَمَّا كَانَ الثَّلَاثِ اسْوَدَّتْ وَجُوهَهُمْ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صِيحَةَ جِبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَاحٍ بِهِمْ صِيحَةَ تَقَطَّعَتْ بِهَا قُلُوبُهُمْ، وَخَرَقَتْ مِنْهَا أَسْمَاعُهُمْ، فَمَاتُوا أَجْمَعِينَ فِي طَرْفِهِ عَيْنٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَارًا مِنَ السَّمَاءِ فَأَحْرَقْتَهُمْ»(١).

وليله ضربه الأمام أمير المؤمنين عليه السلام صاح جبرئيل صيحة سمعها كل مستيقظ: هُدِّمَتْ وَاللَّهِ أَرْكَانَ الْهُدَى، وَانْطَمَسَتْ وَاللَّهِ نَجُومَ السَّمَاءِ وَأَعْلَامَ التَّقَى، وَانْفَصَمَتْ وَاللَّهِ الْعُرُوهَ الْوَثْقَى، قُتِلَ ابْنُ عَمِّ الْمِصْطَفَى، قُتِلَ الْوَصِيُّ الْمَجْتَبَى، قُتِلَ عَلِيُّ الْمَرْتَضَى، قُتِلَ - وَاللَّهِ - سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ قَتَلَهُ أَشْقَى الْأَشْقِيَاءِ، فَلَمَّا سَمِعَتْ أُمَّ كَلْثُومُ نَعَى جِبْرِئِيلَ لَطَمَتْ وَجْهَهَا وَخَدَّهَا وَشَقَّتْ جِيْبَهَا وَصَاحَتْ: وَابْنَاهُ، وَاعْلِيَاهُ، وَاعْمَدَاهُ، وَاعْسِدَاهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيَّ

ص: ٣٢٧

أخويها الحسن والحسين (١)، وكأني بالحوراء زينب عليها السلام تندبه:

بالمحراب اويلى طاح أبو حسين اودم راسه يتفايض على العين

يوم طاح أبو الحسينين مجروح ثار اصياح لهل العرش بالنوح

تشوف السم اودم الراس لونين طبره اشلون طبره تشعب الروح (٢)

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبه للمتقين.

ص: ٣٢٨

---

١- (١) انظر: بحار الأنوار: ج ٤٢، ص ٢٨٢.

٢- (٢) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ٤، ص ١١٤.

## المحاضره الخامسه والعشرون: أوهن البيوت

اشاره

ص: ٣٢٩



تأوه قلبى والفؤادُ كئيبٌ وأرقَ نومي فالسهادُ عجبٌ

ومما نفى نومي وشيبَ لآمتى تصاريْفُ أيامٍ لهنَّ حُطوبٌ

فمن مُبلِّغٍ عنى الحُسينَ رسالَةً وإن كرهتها أنفسٌ وقلوبٌ

ذبيحٌ بلا جرمٍ كأنَّ قميصَهُ صبيغٌ بماء الأرجوانِ خضيبٌ

فللسيفِ أحوالٌ وللرِّيحِ رنَّةٌ وللخيلِ من بعد الصهيلِ نحيبٌ

تزلزلتِ الدنيا لآلِ مُحَمَّدٍ وكادت لهم صُممُ الجبالِ تذوبُ

فإن كان ذنبى حُبَّ آلِ مُحَمَّدٍ فذلك ذنبٌ لستُ عنه أتوبُ

هُم شُفَعائى يومَ حَشْرى وموقفى إذا ما بدت للناظرينَ حُطوبٌ (١)

\*\*\*

قال تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْعُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ

ص: ٣٣١

١- (١) القصيدة للإمام الشافعى، كما فى مناقب آل أبى طالب: ج ٣، ص ٢٦٩، جاء فى ترجمته أنه ولد فى شهر رجب من سنة ١٥٠ هـ ٧٦٧ م، أمه فاطمه أم حبيبه الأزدية. أما والده فكان رجلاً حجازياً فقيراً، خرج مهاجراً من مكة إلى الشام، وأقام ب (غزه) و (عسقلان) ببلاد فلسطين، ثم مات بعد ولاده الشافعى بقليل فكفلته أمه. كبر الغلام وبلغ من العمر سنتين، وأصبح قره عين والدته، فرأت أمه أن تحمله إلى مكة المكرمه صوتاً لنسبه من الضياع إذا بقى فى (غزه)، ونزلت بجوار الحرم بحى يقال له (شعب الخيف)، ولمّا ترعرع أرسلته أمه إلى الكُتّاب، ولمّا لم يكن فى طاقه أهله القيام بنفقات تعليمه أهمله المعلم وانصرف عنه. توفى فى ليلة الجمعة الأخيره من شهر رجب سنة ٢٠٤ هـ بعد العشاء الأخيره، من أشهر كتبه كتاب الأم الذى استفدنا هذه الترجمة من مقدمته.

نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (١).

لقد احتلَّ المثل في القرآن الكريم منزلةً كبيرة لا تقل عن مستوى القصص، حتَّى أَلَفَ البعض من العلماء كتاباً في ذلك (٢).

والغايه من هذه الأمثال كاليه من القصصه تماماً، كما هو صريح القرآن الكريم، حيث يقول: وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٣)، وقال تعالى في القصص: فَأَقْصِيصِ الْقَصَصِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤)، إذن الغايه هي التفكر، وهذه الأمثال القرآنيه تختلف من زمان إلى آخر، فمثلاً الأمثله التي ضربها القرآن الكريم في مكه تختلف عن الأمثله المدينيه، وهذا أمر طبيعي، كالإختلاف بين نفس الآيات المكيه والآيات المدينيه، فكلُّ واحدٍ منهما له طبيعته الخاصه ومحتواه الخاص، ومعالجته لداٍ معين، يختلف عن الآخر، فالآيات المكيه كالأمثال المكيه غالباً ما تتحدّث عن أصول الدين، بخلاف الآيات المدينيه والأمثال المدينيه، فهي في الغالب تتحدّث عن فروع الدين وآدابه وما شاكل ذلك؛ لتحقق أسس الإسلام والدعوه إلى التوحيد ونبد عباده الأصنام، فيأتي الدور عن تكميل النفوس وتطهيرها من شوائب الجاهليه. وبما أنَّ سورة العنكبوت سورة مكيه بكلِّ آياتها - بما فيها الآيات محل البحث - نجد أنّها جاءت لتعالج ما ذكرناه من الداء المتمثّل بالشرك وعباده الأصنام واتخاذها أولياء من دون الله.

قال الشيخ السبحاني: «أما الأمثال المكيه، فكانت دائره مدار معالجه الأدواء التي

ص: ٣٣٢

١- (١) العنكبوت: آيه ٤١ - آيه ٤٣.

٢- (٢) مثل كتاب: الأمثال في القرآن لابن قيم الجوزيه (ت ٧٥١ هـ -)، والأمثال في القرآن الكريم للشيخ جعفر السبحاني (دام ظلّه الشريف)، وقد ذكر في مقدمه كتابه المذكور (١٤) كتاباً حول ذلك، حسب التسلسل الزمني.

٣- (٣) الحشر: آيه ٢١.

٤- (٤) الأعراف: آيه ١٧٦.

أبتلى بها المجتمع المكي، لا سيما وأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله كان يجادل المشركين ويسفّه أحلامهم، ويدعوهم إلى الإيمان بالله وحده، وترك عباده غيره، والإيمان باليوم الآخر، ففي خضمِّ هذا الصراع يأتي القرآن بأروع مثل، ويشبه آلهتهم المزعومه التي تمسّكوا بأهدابها بيت العنكبوت، الذي لا يُظهر أدنى مقاومه أمام النسيم الهادي، وقطرات المطر، وهبوب الرياح... وقال: يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسئَلُ بِهِمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ» ١.

## أولياء من دون الله

ليس من القبيح ولا من المذموم في الإسلام أن يتخذَ الرَّجُلُ ولياً، شريطه أن لا يكون ولياً من دون الله؛ ولذا صار من الفرائض موالاه أولياء الله والبراءه من أعداء الله، فأولياء الله أولئك الذين بشرهم القرآن الكريم، حيث يقول: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٢، وهم الذين بذلوا كُلَّ غالٍ ونفيس في سبيل الله، حتّى قدّموا أنفسهم جهاداً في سبيله، ولم يكن الموت عندهم إلاّ- أمنيّه في سبيل الحقِّ وإحقاقه، وإبطال الباطل وإزهاقه، بخلاف الذين يدعون الولايه لله عزّ وجلّ من دون دليل وبرهان، قال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ٣.

وإنّما القبيح والمذموم في منطق القرآن الكريم والإسلام هو اتّخاذ أولياء من دون الله تبارك وتعالى، وهو هنا محلّ الكلام، وهم المقصودون في الآيات المباركه التي افتتحنا بها كلامنا.

وقد «شبه الله سبحانه حال مَنْ اتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُ عِنْدَ الْحَاجَةِ فِي الْوَهْنِ وَالضَّعْفِ بِحَالِ الْعَنْكَبُوتِ الَّذِي يَتَّخِذُ بَيْتًا لِيَأْوِيَ إِلَيْهِ، فَكَمَا أَنَّ بَيْتَ الْعَنْكَبُوتِ فِي غَايَةِ الْوَهْنِ وَالضَّعْفِ، فَكَذَلِكَ حَالُ مَنْ اتَّخَذَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ مِثْلَهُ فِي الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ.

والمثل قول سائر يُشَبِّه به حال الثاني بالأول. و (الاتخاذ) أخذ الشيء على إعداده لنائبه... فلما أخذوا عباده غير الله إعداداً لنائبه كانوا اتَّخَذُوا الْأَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَذَلِكَ فَاسِدٌ؛ لِأَنَّ عِبَادَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَاصِمَةُ مِنَ الْمَكَارِهِ دُونَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ»(١).

ولا ينفَعُهُمْ أَنْ يَعْتَذِرُوا بَعْدَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا هَؤُلَاءَ لِيَقْرَبُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؛ مَا دَامُوا قَدِ عِبَدُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَوْ اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَالْأَمْرُ وَاحِدٌ، قَالَ تَعَالَى: أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالدِّينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۚ.

والخلاصة: هذا مثل ضرب به الله عز وجل لكل من يتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَنْفَعُونَهُ لضعفهم، كما أن بيت العنكبوت لا ينفَعُ وَلَا يَبْقَى(٢)؛ لكونه في غايه الوهن والضعف ولا يجدي نفعاً(٣).

### الإعجاز في هذا التشبيه

«إنَّ الإعجاز العلمي كُلَّ الإعجاز في هذه الآية الكريمة يتجلَّى بأجلى معانيه في لفظه (اتَّخَذْتَ) بصيغته الفعل المؤنَّث، وهي إشارة علميَّة في غايه الروعه والدقه، للدلاله على أنَّ ما يقوم ببناء بيوت العناكب هي الأنثى منه، وأنَّ الذكر من العناكب لا شأن له بذلك، وهذه

ص: ٣٣٤

١- (١) التبيان: ج ٨، ص ٢١١.

٢- (٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم الرازي: ج ٩، ص ٣٠٦٣. معاني القرآن: ج ٥، ص ٢٢٧.

٣- (٤) انظر: مجمع البيان: ج ٨، ص ٢٧.



حقيقه ما كان أحد مطلقاً يفطن إليها وقت نزول القرآن، ولكن لما اشتغل علماء الأحياء حديثاً بدراسه الحشرات ووضعوا في دراستها علماً قائماً بذاته، تبينت لهم حقائق مذهله عن حياه الحشرات، التي تبلغ مئات الآلاف في أنواعها، وأنَّ كلَّ نوع منها يتميَّز بأشكاله وأحجامه، وألوانه، وطبائعه، وغرائزه المميَّزه لكلِّ نوع منها عمَّا سواه... ومن دراسه حياه العناكب لاحظ العلماء أنَّ بيت العنكبوت له شكل هندسى خاص، دقيق الصنع، ومقام فى مكان مختار له فى الزوايا، أو بين غصون الأشجار، وأنَّ كلَّ خيطٍ من الخيوط المبنى منها البيت مكوَّن من أربعة خيوط أدقَّ منه، ويخرج كلُّ خيطٍ من الخيوط الأربعة من قناه خاصه فى جسم العنكبوت، ولا يقتصر بيت العنكبوت على أنه مأوى يسكن فيه، بل هو فى نفس الوقت مصيده تقع فى بعض حبالها اللزجه الحشرات الطائره، مثل الذباب وغيره؛ لتكون فريسه يتغذى عليها، وإنه لمنظر يثير الدهشه حقاً عندما يرى الإنسان هذه الحشره الرقيقه تتحرَّك بأرجلها الدقيقه بسرعه بين خيوط بيتها الواهى لتمسك بفرائسها<sup>(١)</sup>.

قال الدميرى: «العنكبوت: دويبه تنسج فى الهواء، وجمعها عنكب، والذكر عنكب، وكنيته أبو خيثمه وأبو قشعم، والأنثى أم قشعم، ووزنه فعللوت، وهى قصار الأرجل، كبار العيون، للواحد ثمانية أرجل وست عيون، فإذا أراد صيد الذباب لطأ بالأرض، وسكن أطرافه، وجمع نفسه، ثمَّ وثب على الذباب فلا يخطئه..»

قال افلاطون: أحرص الأشياء الذباب، وأقنع الأشياء العنكبوت، فجعل الله رزق أقنع الأشياء فى أحرص الأشياء.

قال الجاحظ: ولَمَدُ العنكبوت أعجب من الفروج الذى يخرج إلى الدنيا كاسباً كاسياً؛ لأنَّ ولد العنكبوت يقوى على النسج ساعه يولد من غير تلقين ولا تعليم، ويبيض ويحضن، وأول ما يولد دوداً صغيراً، ثمَّ يتغيَّر ويصير عنكبوتاً، وتكمل صورته عند ثلاثه

ص: ٣٣٥

أَيَّام... إذا وضع نسج العنكبوت على الجراحات الطرية في ظاهر البدن حفظها بلا ورم، ويقطع سيلان الدم إذا وضع عليه، وإذا دُلكت الفصّه المتغيّره بنسجه جلاها...»(١).

ومما يلفت النظر في هذه الآيات الشريفه هو أن العنكبوت هي التي اتّخذت بيتاً لم يأمرها الله عزّ وجلّ باتّخاذها، ولم يوحّ إليها كما في النحل؛ إذ يقول تبارك اسمه: وَ أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٢)، ولكنّه تبارك وتعالى لم يصف بيتها بالوهن، بخلاف العنكبوت، ولعلّ ذلك راجع إلى أنّ النحل لم يتّخذ بيتاً من عند نفسه، بخلاف العنكبوت، فهي التي اتّخذت بيتاً من الجبال والأشجار ومما يعرّشون، كلّها أمور قد تتخذ العناكب فيها البيوت لكنّه وصف بيتها بالوهن، ولم يصف بيوت النحل بذلك، وهكذا الذي يتّخذ ولياً من نفسه، حاله كحال العنكبوت، بخلاف الذي يتّخذ ولياً بأمر الله ووحيه، يكون حاله حال النحل التي أمرها الله عزّ وجلّ باتّخاذها البيوت، فأتّضح الفرق إذن، وتبيّن لنا الإعجاز القرآني الرائع في هذه الآيات المباركه.

قال الشيخ السبحاني: «إنّ التشبيه يترك تأثيراً بالغاً في النفوس مثل تأثير الدليل والبرهان، فتارةً ينهي عن الغيبه، ويقول: لا تغتب؛ فإنّه يوجب العذاب ويورث العقاب، وأخرى يمثّل عمله بالمثل التالي: وهو أنّ مثل من يغتاب مثل من يأكل لحم الميت؛ لأنّك نلت من هذا الرجل وهو غائب لا يفهم ما تقول ولا يسمع حتى يجيب، فكان نيلك منه كعمل من يأكل لحم الميت، وهو لا يعلم ما يفعل به ولا يقدر على الدفع.

ثمّ إنّ الغرض من تشبيه الآلهه المزيفه بهوام وحشرات الأرض كالبعوض(٣) والذباب والعنكبوت هو الحطّ من شأنها، والإستهزاء بها»(٤).

ص: ٣٣٦

١- (١) حياه الحيوان الكبرى: ج ٣، ص ٢٨٨ - ص ٢٩٢.

٢- (٢) النحل: آيه ٦٨.

٣- (٣) البقره: آيه ٢٦.

٤- (٤) الأمثال في القرآن الكريم: ص ٢١٧ - ص ٢١٨.

كُلٌّ مَنْ يَعْرِفُ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ يَتَبَادَرُ إِلَى ذَهْنِهِ عِنْدَ سَمَاعِ كَلِمَةِ (بَيْت) الْبَيْتِ الْمَعْرُوفِ، حَتَّى أَنَّ الْجَوْهَرِيَّ فِي الصَّحَاحِ، قَالَ: «بَيْتٌ: الْبَيْتُ الْمَعْرُوفُ، وَالْجَمْعُ بِيوت» (١)، وَلِكُونِهِ مَعْرُوفًا لَمْ يَشْرَحْهُ، وَلَمْ يُوَضِّحْهُ.

أَمَّا بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ فَيَخْتَلِفُ حَالُهُ تَمَامًا عَنِ الْبِيوتِ الْمَعْرُوفَةِ.

قال الرازي: «إِنَّ الْبَيْتَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَهُ أُمُورٌ: حَائِطٌ حَائِلٌ، وَسَقْفٌ مَظْلٌ، وَبَابٌ يَغْلُقُ، وَأُمُورٌ يَنْتَفِعُ بِهَا وَيُرْتَفَقُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَا بَدَّ مِنْ أَحَدٍ أَمْرِينَ: إِمَّا حَائِطٌ حَائِلٌ يَمْنَعُ مِنَ الْبَرْدِ، وَإِمَّا سَقْفٌ مَظْلٌ يَدْفَعُ عَنْهُ الْحَرَّ، فَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ مِنْهُمَا شَيْءٌ فَهُوَ كَالْبَيْدَاءِ لَيْسَ بِبَيْتٍ... فَإِنْ لَمْ تَجْتَمِعْ هَذِهِ الْأُمُورُ فَلَا أَقْلَ مِنْ دَفْعِ ضَرِّ أَوْ جَرِّ نَفْعٍ، فَإِنَّ مَنْ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ فَهُوَ وَالْمَعْدُومُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ سَوَاءٌ، فَإِذَا لَمْ يَحْصُلْ لِلْعَنْكَبُوتِ بِاتِّخَاذِ ذَلِكَ الْبَيْتِ مِنْ مَعَانِي الْبَيْتِ شَيْءٌ، كَذَلِكَ الْكَافِرُ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ بِاتِّخَاذِ الْأَوْثَانِ أَوْلِيَاءَ مِنْ مَعَانِي الْأَوْلِيَاءِ شَيْءٌ» (٢).

هذه هي مواصفات ما يسمى بيت العنكبوت «فإنَّ بيتها يفتقد لأدنى مقاومه أمام الظواهر الجوية والطبيعية، فلو هبَّ عليه نسيمٌ هادى لمزق النسيج، ولو سقطت عليه قطره من ماء لتلاشى، ولو وقع على مقربه من نار لاحترق، ولو تراكم عليه الغبار لمزق. هذا هو حال المشبه به، والقرآن يُمثِّلُ حال الآلهة المزيَّفة بهذا المثل الرائع، وهو أنَّها لا تنفع ولا تضر، لا تخلق ولا ترزق، ولا تقدر على استجابته أى طلب، بل حال الآلهة المزيَّفة الكاذبه أسوأ حالاً من بيت العنكبوت، وهو أنَّ العنكبوت تنسج بيتها لتصطاد به الحشرات ولولاه لماتت جوعاً، ولكن الأصنام والأوثان لا توفِّرُ شيئاً للكافر» (٣).

ص: ٣٣٧

١- (١) الصحاح: ج ١، ص ٢٤٤.

٢- (٢) تفسير الرازي: ج ٢٥، ص ٦٧ - ص ٦٨.

٣- (٣) الأمثال في القرآن الكريم: ص ٢١٨.

ثمّ تختم الآية هذا التشبيه بقوله عزّ وجلّ لو كانوا يعلمون «يعنى لو علموا صحّ ما أخبرناهم به ويتحققونه، لكنهم كفّار بذلك، فلا يعلمونه ف - (لو) متعلّقه بقوله (اتخذوا) أى: لو علموا أنّ اتّخاذهم الأولياء كاتّخاذ العنكبوت بيتاً سخيفاً لم يتّخذوهم أولياء، ولا- يجوز أن تكون متعلّقه بقوله: وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ؛ لأنّهم كانوا عالمين بأنّ بيت العنكبوت واهٍ ضعيف» (١) ولكنّهم يجهلون ذلك فيحسبون أنّهم ينفعونهم ويقربونهم إلى الله زلفى» (٢).

### الله يعلم بمن يتولى غيره عزّ وجلّ

وبعد هذا المشهد التمثيلى الرائع، والتشبيه القرآنى البديع بمن اتّخذ من دونه أولياء، يؤكّد الله عزّ وجلّ أنّ من عبد غيره وأشرك به أنّه تعالى يعلم ما هو عليه من الأعمال، ويعلم ما يُشركون به من الأنداد، وسيجزّيهم وصفهم إنّهم حكماء عليم (٣)، فيقول تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ؕ فَهَذَا وَعِيدٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ، ومعناه أنّه يعلم ما يعبد هؤلاء الكفّار وما يتّخذونه من دونه أرباباً، وهو العزيز الذى لا يُغالب فيما يريد، الحكيم فى جميع أفعاله (٤).

«وإذا أمهلهم فليس بسبب العجز والضعف، أو عدم العلم، أو أنّ قدرته محدوده، بل كلّ ذلك من حكمته التى توجب أن يُمنحوا الفرصه الكافيه؛ لتتم الحُججه البالغه عليهم، فيهدى من هو جديرٌ بالهدى» (٥).

ص: ٣٣٨

١- (١) التبيان: ج ٨، ص ٢١١ - ص ٢١٢.

٢- (٢) جامع البيان: ج ٢٠، ص ١٨٧.

٣- (٣) انظر: تفسير ابن كثير: ج ٣، ص ٤٢٤.

٤- (٤) انظر: تفسير مجمع البيان: ج ٨، ص ٢٨.

٥- (٥) تفسير الأمثل: ج ١٢، ص ٣٩٦.

ثمَّ يأتى الدور إلى الآيه الثالثه، وهى قوله تعالى: **وَ تَلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** وهذا جواب لإشكال مقدّر أشكله ويشكله أعداء الإسلام على التشبيهات القرآنيه، وكانوا يقولون: الله الذى خلق السماوات والأرض كيف يضرب الأمثال بالعنكبوت والذباب والحشرات وما شاكلها؟ فيردّ القرآن: **وَ تَلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**.

«إنَّ أهميّه المِثَالِ وِظرافته لا تكمن فى كبره وصغره، بل تظهر أهميته فى انطباق المِثَالِ على المقصود، فقد يكون صغر الشىء الممثل به أكبر نقطه فى قوّته.

قالوا فى ضرب الأمثال: ينبغى عند الكلام عن الأشياء الضعيفه، والتى فيها وهن أن يُمثّل لها فى ما لو اعتمد عليها بيت العنكبوت، فهو أحسن شىء يُنتخب لهذا الوهن وعدم الثبات، فهذا المِثَالِ هو الفصاحه بعينها والبلاغه ذاتها؛ ولذا قيل: إنّه لا يعلم دقائق أمثله القرآن ولا يدر كها إلا العلماء.

فإذن التشبيه بالعنكبوت وبيته الخاوى هو أمرٌ محسوبٌ بدقّه، وإذا ما اختار موجوداً صغيراً للتمثيل به فهو لبيان الحقّ، وإلا فهو خالق أعظم المجرّات والمنظومات الشمسيه وغيرها» (١).

وهذا يعنى أنّه ضرب للناس أمثالاً، وحققتها وما فيها من الفوائد بأسرها لا يدر كها إلا العلماء» (٢).

وفى تفسير القمى: «العالمون يعنى آل محمّد عليهم السلام» (٣) وبعض العامّه فسّير العالمون ب - «الراسخون فى العلم، المدبرون فى الأشياء على ما ينبغى، وعنه (صلى الله عليه وآله) وسلم»

ص: ٣٣٩

١- (١) تفسير الأمثل: ج ١٢، ص ٣٩٧ - ص ٣٩٨.

٢- (٢) انظر: تفسير الرازى: ج ٢٥، ص ٧٠.

٣- (٣) تفسير القمى: ج ٢، ص ١٥٠.

أنه تلا هذه الآية فقال: «العالم من عقل عن الله تعالى، وعمل بطاعته واجتنب سخطه»<sup>(١)</sup>.

لكن من أعظم المصائب أن يكون العالم بين يدي الجهال يشكو إلى الله تعالى، فقد روى عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «ثلاثه يشكون إلى الله تعالى يوم القيامة: عالم بين ظهراى قوم لا يسألونه عن علمه، ومسجد قوم لا يعمرونه بذكر الله والصلاه فيه، ومصحف فى منزل شخص وهو لا ينظره ولا يقرء فيه»<sup>(٢)</sup>، وهذا الذى حصل مع أبى عبد الله الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، يعظهم فلم ينفع، يسألهم ماذا يريدون منه ليس عندهم جواب إلا الأسنه والسهام، ورحم الله السيد رضا الهندى، حيث يصف ذلك المشهد، إذ يقول:

لم أنسه إذ قام فيهم خاطباً فإذا هم لا يملكون خطاباً

يدعو ألسنت أنا ابن بنت نبيكم وملاذكم إن صرف دهر نانا

هل جئت فى دين النبي ببدعه أم كنت فى أحكامه مرتابا

أم لم يوص بنا النبي وأودع ال - - ثقلين فيكم عتره وكتابا

إن لم تدينوا بالمعاد فراجعوا أحسابكم إن كنتم أعرابا

فغدوا حيارى لا يرون لوعظه إلا الأسنه والسهام جواباً<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

إنّا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّد أَى مُنْقَلِبٍ ينقلبون

والعاقبه للمتقين.

ص: ٣٤٠

١- (١) تفسير أبى السعود: ج ٧، ص ٤١.

٢- (٢) عوالى اللئالى: ج ٤، ص ٦٥.

٣- (٣) ديوان السيد رضا الهندى رحمه الله: ص ٤٢.







ولزنيبٍ نوحٍ لفقْدِ شَقِيحِهَا تدعوهُ يابنَ الزَّاكِيَاتِ الرُّكَّعِ

أَحْسِينُ يَا خَيْرَ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا وَقَتِيلَ أَوْلَادِ اللَّئَامِ اللَّكَّعِ

اليوم أصْبَغُ فِي عَزَاكَ مَلَابِسِي سُوداً وَاسْكُبْ هَاطَلَاتِ الْأَدْمَعِ

اليوم ساقونِي بِقَيْدٍ يَا أَخِي وَالضَّرْبُ أَلْمَنِي وَأَطْفَالِي مَعِي

اليوم شَبَّوْا فِي الْمُخْتَمِ نَارَهُمْ وَتَنَاهَبُوا مَا فِيهِ حَتَّى بُرِّعِي

أَنْعَمِ جَوَاباً يَا حُسَيْنُ أَمَا تَرَى شَمَرَ الْخَنَا بِالسُّوْطِ أَلَمْ أَضْلَعِي

فَأَجَابَهَا مِنْ فَوْقِ شَاهِقِهِ الْقَنَا قُضِيَ الْقَضَاءُ بِمَا جَرَى فَاسْتَرْجِعِي

وَتَكْفَلِي حَالَ الْيَتَامَى وَانظُرِي مَا كُنْتُ صَنَعْتُ فِي حِمَاهُمْ فَاصْنَعِي (١)

ص: ٣٤٣

---

١- (١) الأبيات من قصيدته رائعه للشيخ محمد بن شريف بن فلاح الكاظمي، قال عنه السيد جواد شبر رحمه الله في أدب الطف (ج ٦، ص ١٢٤ - ص ١٢٦): «الشيخ محمد شريف بن فلاح الكاظمي نزيل الغري، ولد في الكاظميه ونشأ فيها، ثم هاجر إلى النجف وقرأ العلوم فيها في الربع الأخير من القرن الثاني عشر للهجرة، وكان من المشاهير في العلم والأدب، واللامعين من بين أقرانه، له إطلاع بجمله من العلوم ومن أهل الكرامات الباهرة، معاصراً للشيخ مهدي الفتونى العاملى النجفى المتوفى سنة ١١٨٣ هـ - وللسيد محمد مهدي الطباطبائي المعروف ببحر العلوم، وللشيخ الأكبر الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء، وللشيخ أحمد النحوى، وكان على جانب عظيم من التقى والورع والصلاح، تنسب إليه كرامات الصلحاء الأبرار... وله القصيدة الدالية في مدح أمير المؤمنين عليه السلام، وإنه ألقاها في الحرم أمام القبر الشريف، وسقط عليه القنديل الذهبى المعلق، فأخذ من يده وعلق، فوقع عليه مره ثانيه فأخذه، والقصيدة أولها: أبا حسن ومثلك من ينادى لكشف الضر والهول الشديد توفى رحمه الله سنة ١٢٢٠ هـ.»

نادها من فوگ الرّمح الله یرعاج اصبری یخویه وسلّمی أمرچ إلمولاج  
راسی علی راس الرمح هلرایح ویاج یره العایله ویرعه الیطیحون  
یختی استعدی للهظم والهظم جدّام لازم یودوکم یساره الطّاعی الشّام  
ولهلج تسمعین المسبّه ابمجلس العام واهناک تلکین المرار أنواع وافنون

\*\*\*

قال تعالى: فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤)  
فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١).

یبعث الله تبارک وتعالی الأنبیاء والرّسل لاجل هدايه الناس إلى الخیر والسعادة والقسط، وینزل معهم الکتب السماویة التي لا  
تختلف فی هذه المفاهیم، فالعدالة والقسط وهدایه الناس من أهم هموم الأنبیاء منذ أن خلق الله البشر، وبعث إلیهم الرّسل.

قال تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ٢.

«یبعث الله تعالی الأنبیاء والرسل لیذکروا الناس بالمخزون الفطری الذی وضعه الله فی النفس البشريه عند بدأ الخلق، وهذا  
المخزون هو توحیده تعالی، ويقوم الأنبیاء والرسل علی امتداد عهد البعثه بسوق الناس إلى طریق الهدی بیانهم للناس، ما أنزل  
إلیهم من ربّهم، وبعد أن یقیم رّسل الله الحجّه علی الناس ینسی بعض الناس ما ذکروا به، ويقومون

ص: ٣٤٤

١- (١) الأنعام: آیه ٤٤ - آیه ٤٥.

بأعمال تعارض الفطره ووصايا الله»(١).

«تواصل هذه الآيات توجيه الكلام للضالين والمشركين، ويتخذ القرآن فيها طريقاً آخر لإيقاظهم، وذلك بأن ينقلهم إلى القرون السالفه والأزمان الماضيه، يشرح لهم حال الأمم الضاله والظالمه والمشرکه، ويبين لهم كيف أُتيح لها جميع عوامل التربيه والتهذيب والوعى، غير أنّ جمعاً منهم لم يلقوا بالأى إلى أى من تلك العوامل، ولم يعتبروا بما حاقّ بهم من (بأساء) و (ضراء) و لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبُؤْسِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ أما كان من الأجدر بهؤلاء أن يستيقظوا عندما جاءهم البأس وأحاطت بهم الشدائد؟!«(٢).

## أسباب الغفله والنسيان

تبدأ الآيتان ببيان هذا الشرط وهو فلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ ثُمَّ تَرَتَّبَ عليه الجزاء، وذكرنا بأن المقصود ممَّا ذُكِّرُوا بِهِ هو جميع ما جاء به الأنبياء والمرسلون؛ تنبيهاً لما فى فطرته من توحيد الله تبارك وتعالى «وتركوا ما وعظوا وأمروا به»(٣) «وتركوا العمل بما أمرناهم به على السن رسلنا»(٤)، ويشمل ذلك كل ما أتى على السن الأنبياء والرسل.

ولا ريب أنّ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ممَّا جاء على لسان خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله لتواتر الأحاديث فى ذلك، وقد روى عن الإمام أبى جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ : لَمَّا تَرَكَوا ولاية على عليه السلام، وقد أمروا بها، أَخَذْنَاهُمْ بَعْتَهُ فَاذا هُمْ مُتِلِّسُونَ ٥.

ويعود السبب فى غفله الناس ونسيانهم لِمَا أمرُوا بِهِ إلى أمرين:

ص: ٣٤٥

١- (١) إبتلاءات الأمم: ص ٣٦٤.

٢- (٢) تفسير الأمثال: ج ٤، ص ٢٨٥ - ص ٢٨٦.

٣- (٣) تفسير البغوى: ج ٢، ص ٩٧. تفسير السمرقندى: ج ١، ص ٤٦٩.

٤- (٤) تفسير جامع البيان: ج ٧، ص ٢٥٣.

«الأول: إنهم لكثرة آثامهم وعنادهم فى الشرك زابلت الرحمه قلوبهم، والليونه أرواحهم... وقست قلوبهم.

والثانى: إن الشيطان قد اسلغل عبادتهم وأهواءهم فزين فى نظرهم أعمالهم، فكل قبيح ارتكبه أظهره لهم جميلاً، ولكل خطأ فعلوه جعله فى عيونهم صواباً. وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون»(١).

وبهذا التزيين أصبحوا معجبين بأعمالهم، لا يرون أحداً يصل إلى عبادتهم وكمالهم، فنسوا ما ذكروا به، فجاء الجواب الإلهى الغريب أنه فلى عليهم أبواب كل شىء عقوبه، لا كرامه لهم.

### جزاء الغفله والنسيان

من الطبعى جداً أن يتوقع إنسان من آخر عقوبه فيما لو صدرت منه إساءه بحقه، ومن الطبعى جداً أن يخاف صاحب الذنب من ذنبه الذى ارتكبه بحق سيده ومولاه، وفطره الإنسان تحكم بذلك.

لكن ليس من المألوف ولا من المتوقع فى العاده أن تُقابل الإساءه بالإحسان، وترك الأوامر بزياده النعم، والعصيان بفتح الأبواب كلها!!

ولكن يرتفع هذا الإستغراب عندما نسمع آيات القرآن الكريم تجازى الغفله وترك جميع ما ذكروا به وأمروا أن يأتوا به، تجازيهم بتواتر النعم، وفتح الأبواب، وتجديد كل نعمه عليهم، فيصلير الجزاء غير ما يتوقع من هكذا فعل، فالفعل هو الإساءه، والجزاء هو الإحسان بحسب الظاهر فلما نسوا ما ذكروا به فتحننا عليهم أبواب كل شىء.

ص: ٣٤٦

«نقرأ فى هذه الآيات أنه عندما لم يكن لإبتلائهم بالشدائد تأثير فى توعيتهم، فإن الله يفتح أبواب الخيرات على أمثال هؤلاء الآثمين، فهل هذا ترغيبٌ بعد المعاقبه، أم هو مقدّمه لعقاب أليم؟ أى: هل هذه النعم نعم إستدراجيه، تغمر المتمرّد تدريجياً بالرفاهيه والتنعم والسرور، تغمره بنوع من الغفله، ثمّ يُنتزع منه كلّ شىء دُفعه واحده؟

ثمّ قرائن فى الآيه تؤيد الإحتمال الثانى، ولكن ليس هناك ما يمنع من قبول الإحتمالين، أى أنه ترغيبٌ وتحريضٌ على الإستيقاظ، فإن لم يؤثّر، فمقدّمه لسلب النعمه، ومن ثمّ إنزال العذاب الأليم»(١).

وهذه القرائن واضحه من أسلوب الخطاب، والأخذ بغتته دليل صارف عن الإحتمال الأول. نعم، هو ممكن بحد ذاته، لكن ثبوتاً لا معين له، بل القرائن صارفه عنه، والمهم هنا: هو بيان قوله تعالى: فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ، ومن الواضح أنّ التعبير ب - كُلِّ شَيْءٍ - لا يكون من الشرّ، وإنّما كلّ شىء من الخير والرزق، يعنى أرسلنا عليهم كلّ خيرٍ، أو من الرزق(٢)، ونقلوا من البأساء والضراء إلى الراحة والرخاء وأنواع الآلاء والنعماء. والمقصود أنه تعالى عاملهم بتسليط المكاره والشدائد عليهم تاره، فلم ينتفعوا به، فنقلهم من تلك الحاله إلى ضدها، وهو فتح أبواب الخيرات عليهم، وتسهيل موجبات المسرّات والسعادات لديهم، فلم ينتفعوا به أيضاً.

«وهذا كما يفعله الأب المشفق بولده، يُخاشنه تاره، ويُلاطفه أخرى؛ طلباً لصلاحه: حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا مِنَ الْخَيْرِ وَالنَّعْمِ، لَمْ يَزِيدُوا عَلَى الْفَرَحِ وَالْبَطْرِ مِنْ غَيْرِ إِنْتِدَابٍ لَشَكْرٍ، وَلَا إِقْدَامٍ عَلَى إِعْتَادٍ وَتَوْبِهِ... معناه: فتحنا عليهم أبواب كلّ شىء كان مغلقاً

ص: ٣٤٧

١- (١) تفسير الأمثل: ج ٤، ص ٢٨٨.

٢- (٢) انظر: تفسير السمرقندى: ج ١، ص ٤٦٩.

عنهم من الخير»(١)، «وهذا إستدراجٌ منه تعالى وإملاء لهم»(٢).

### حقيقه الإستدراج

وردت لفظه الإستدراج فى القرآن الكرىم؛ فى سورتى الأعراف والقلم بنفس النص، وهو قوله تعالى: سَسْئَلُكَ تَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ٣، ولم ترد فى موضع آخر بهذا اللفظ. نعم، مضمون الإستدراج ورد فى آيات عديدة، مثل الآيات محل البحث، ومثل قوله تعالى: أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَيْنَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (٣).

وأما فى الروايات الشريفة فقد ورد الإستدراج بلفظه ومعناه كثيراً.

فعن أبى عبد الله عليه السلام قال:

«إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بَعْدَ خَيْرٍ فَأَذْنِبَ ذَنْبًا أَتْبَعَهُ بِنَقْمِهِ وَيَذْكُرُهُ الْاسْتِغْفَارَ، وَإِذَا أَرَادَ بَعْدَ شَرٍّ فَأَذْنِبَ ذَنْبًا أَتْبَعَهُ بِنِعْمِهِ؛ لِيَنْسِيَهُ الْاسْتِغْفَارَ وَيَتِمَادَى بِهَا، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَسْئَلُكَ تَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ

بالنعم عند المعاصى»(٤).

وسئل أبو عبد الله عليه السلام عن الإستدراج، فقال:

«هو العبد يذنب الذنب فيملى له، ويجدد له عندها النعم، فتلهيه عن الاستغفار من الذنوب، فهو مُسْتَدْرِجٌ من حيث لا يعلم»(٥).

وسئل عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: سَسْئَلُكَ تَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ قال:

«هو العبد يذنب الذنب فتجدد له النعمة معه، تلهيه تلك النعمة عن الاستغفار من ذلك الذنب»(٦).

ص: ٣٤٨

١- (١) تفسير الرازى: ج ١٢، ص ٢٢٦.

٢- (٢) تفسير ابن كثير: ج ١، ص ٥٥.

٣- (٣) المؤمنون: آيه ٥٥ - آيه ٥٦.

٤- (٤) الكافى: ج ٢، ص ٤٥٢، ح ١.

٥- (٥) الكافى: ج ٢، ص ٤٥٢، ح ٢.

٦- (٦) المصدر نفسه: ح ٣.

والإستدراج هو الإملاء والإنظار والإمهال، ويطلق على إمهال الله المجرم بعدم الأخذ الحالى عليه... واستدراج الله للعباد: هو إغفال العصاه بالإحسان، وتجديد النعم عليهم عقيب الإساءه(١)، كما بيّنت الآيات والروايات.

ومن هنا نعرف أنّ الإستدراج لا- يكون مع الطاعة لله عزّ وجلّ، وإنّما مع العصيان والتمرد، كما اتّضح بما تقدّم، مضافاً إلى الروايات الشريفه الوارده فى المقام، مثل ما رواه عمر بن يزيد، قال: «قلت لأبى عبدالله عليه السلام: «إنى سألت الله عزّ وجلّ أن يرزقنى مالاً- فرزقنى، وإنى سألت الله أن يرزقنى ولداً فرزقنى ولداً، وسألته أن يرزقنى داراً فرزقنى، وقد خفت أن يكون ذلك إستدراجاً! فقال: أما والله مع الحمد فلا»(٢).

قال العلّامه المجلسى رحمه الله: «وقوله عليه السلام: (إنّ الله لا يفعل بالمؤمن)... فإنه تعالى لو أعطى جميع الدنيا المؤمن لم يكن ذلك على سبيل الإستدراج، بل؛ لأنه علّم أنّه يشكره ويصرفه فى مصارف الخير، ولا يصير ذلك سبباً لنقص قدره عند الله، كما فعل ذلك بسليمان عليه السلام، بخلاف ما إذا فعل ذلك بغير المؤمن، فإنه لإتمام الحُجّه عليه، واستدراجه، فيصير سبباً لشده عذابه...»(٣).

### الأخذ بغتّه وتبيجته

ثمّ تنتقلُ الآيه لبيان حال هؤلاء العصاه بعد اغداقه النعم عليهم، حيث تقول: حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ «لَمَّا فتح الله عليهم أبواب الخيرات ظنّوا أنّ ذلك بإستحقاقهم، فعند ذلك ظهر أنّ قلوبهم قست وماتت، وأنّه لا يرجى لها إنتباه

ص: ٣٤٩

١- (١) انظر: التحفه السنيه (مخطوط): ص ٢٧.

٢- (٢) الكافى: ج ٢، ص ٩٧، ح ١٨.

٣- (٣) بحار الأنوار: ج ٦٤، ص ١٥٢.

بطريق من الطُّرق، فأجابهم الله بالعذاب من حيث لا يشعرون»(١).

«وكان فرحهم فرح بطر، وهو منهى عنه، وذلك مثل فرح قارون بما أصاب من الدنيا»(٢).

والأخذ بغيته يعنى «على غفله فإذا هم مُبلسون أى: آيسون من كل خير»(٣).

وقال البعض: «المبلس: النادم الحزين، أو الساكت المنقطع عن الحجّه»(٤).

وقال الشيخ الطوسى رحمه الله: «قال الزجاج: (المبلس) الشديد الحسره (والبائس) الحزين، وقال البلخى: معنى مبلسون يعنى: أذله خاضعين، وقال الجبائى: معنى (مبلسون) آيسون، وقال الفراء: (المبلس) المنقطع الحجّه... وقال مجاهد: (الإبلاس) السكوت مع اكتتاب»(٥).

والجامع لهذه المعانى وغيرها هو الخسران والإفلاس، وأصله: «الإطراق لحلول نغمه أو زوال نعمه»(٦).

وقال القرطبى: «المبلس: الباهت الحزين، الآيس من الخير، الذى لا يحير جواباً لشده ما نزل به من سوء الحال»(٧).

وتفسير القرطبى ما هو إلا- جمع وترتيب للأقوال فى المقام من دون ترجيح ولا- بيان جامع لها، وهو كافٍ فى المقام؛ لتقارب المعانى، كما هو واضح.

ص: ٣٥٠

١- (١) تفسير الرازى: ج ١٢، ص ٢٢٦.

٢- (٢) تفسير السمعانى: ج ٢، ص ١٠٤.

٣- (٣) تفسير ابن كثير: ج ٢، ص ١٣٧.

٤- (٤) تفسير السمعانى: ج ٢، ص ١٠٤.

٥- (٥) التبيان: ج ٤، ص ١٣٧ - ص ١٣٨.

٦- (٦) تفسير البحر المحيط: ج ٤، ص ١٣٤.

٧- (٧) تفسير القرطبى: ج ٦، ص ٤٢٦.



ثُمَّ يَخْتَمُ هَذَا الْمَشْهَدَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

تقول الآية: وهكذا استؤصلت جذور أولئك الظلمة وانقطع نسلهم (١)، ولم يبق منهم باقية (٢).

ويته الباري عز وجل عن سبب الإستئصال بذكر الوصف الذي هو الظلم، وهو هنا الكفر... ودابر القوم آخرهم الذي يدبرهم (٣).

ثم يقول تبارك وتعالى: وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فما هو الداعي والسبب لهذا الحمد؟

فيه وجوه:

«الوجه الأول: معناه أنه تعالى حمد نفسه على أن قطع دابرهم، واستأصل شأفتهم؛ لأن ذلك كان جارياً مجرى النعمة العظيمة على أولئك الرسل؛ في إزاله شرهم عن أولئك الأنبياء.

الوجه الثاني: أنه تعالى لما علم قسوه قلوبهم لزم أن يُقال: إنه كلما ازدادت مده حياتهم ازدادت أنواع كفرهم ومعاصيهم، فكانوا يستوجبون به مزيد العقاب والعذاب. فكان إفناؤهم وإماتتهم في تلك الحالة موجباً أن لا يصيروا مستوجبين» (٤).

الوجه الثالث: «أنه إيدان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة، وأنه من أجل النعم وأجزل القسم» (٥).

ص: ٣٥١

١- (١) انظر: تفسير الأمثل: ج ٤، ص ٢٨٦ - ص ٢٨٧.

٢- (٢) انظر: تفسير البغوي: ج ٢، ص ٩٧.

٣- (٣) انظر: تفسير البحر المحيط: ج ٤، ص ١٣٤.

٤- (٤) تفسير الرازي: ج ١٢، ص ٢٢٦ - ص ٢٢٧.

٥- (٥) تفسير البحر المحيط: ج ٤، ص ١٣٥، نقله عن الزمخشري.

وفى تفسير القرطبي قال: «قيل: علم إهلاكهم. وقيل: تعليم للمؤمنين كيف يحمدونه، وتضمّنت هذه الآية الحجّج على وجوب ترك الظلم لما يعقب من قطع الدابر، إلى العذاب الدائم مع استحقاق القاطع الحمد من كلّ حامد»<sup>(١)</sup>.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يكثر من تلاوه هاتين الآيتين عند الفراغ من وضوءه، كما روى عن الإمام الهادي عليه السلام أنّه قال:

«إِنَّ قَبْرًا مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَخَلَ عَلَى الْحِجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ، فَقَالَ لَهُ: مَا الَّذِي كُنْتَ تَلِي مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقَالَ: كُنْتُ أَوْضَعُهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا كَانَ يَقُولُ إِذَا فَرَّغَ مِنْ وَضُوئِهِ؟ فَقَالَ: كَانَ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ: فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَعْتَهُ فَاذَا هُمْ مُنْتَلِسُونَ \* فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

فقال الحجّاج: أظنّه كان يتأولها علينا. قال: نعم. فقال: ما أنت صانع إذا ضربت علاوتك؟ قال: إذا أسعد وتشقى، فأمر به»<sup>(٢)</sup>.

وعن الإمام الصادق عليه السلام فى تفسيرها قال:

«أخذ بنى أمية بعته، ويؤخذ بنى العباس جهره»<sup>(٣)</sup>.

وكانت بنت أمير المؤمنين عليه السلام زينب الكبرى عليها السلام تحذّر يزيد من معبّه طغيانه وظلمه وسوقه بنات رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قالت:

«... أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نُساق كما تُساق الأسراء، إنّ بنا هواناً على الله، وبك عليه كرامه، وإنّ ذلك لعظم خطر كعنده، فشمخت بأنفك، ونظرت فى عطفك، جذلان مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوثقه والأمر متّسقه، وحين صفا لك مُلكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى: وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُنْفِلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا

ص: ٣٥٢

١- (١) تفسير القرطبي: ج ٦، ص ٤٢٧.

٢- (٢) اختيار معرفة الرجال: ج ١، ص ٢٨٩ - ص ٩٠، ح ١٣٠.

٣- (٣) تفسير العياشى: ج ١، ص ٣٦٠، ح ٢٤.

نُمَلِي لَهُمْ لِيَزِدُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ.

أَمِنَ الْعَدْلُ يَا ابْنَ الطَّلَقَاءِ تَخْدِيرُكَ حَرَائِكَ وَإِمَائِكَ، وَسَوْقُكَ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَبَايَا قَدْ هَتَكَتْ سِتُورَهُنَّ، وَأَبْدِيَّتَ وَجُوهَهُنَّ...»(١).

بلى والله، ليس ذلك من العدل، ورحم الله شاعر أهل البيت عليهم السلام حيث يقول في تائيته الرائعة التي قرأها أمام أبي الحسن الرضا عليه السلام:

ديارُ رسولِ الله أَصْبَحْنَ بَلْقَعاً وَآلُ زِيَادٍ تَسْكُنُ الْحَجْرَاتِ

وَآلُ زِيَادٍ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةٌ وَآلُ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْقَلَوَاتِ(٢)

وعلى هذا الحال كانت الحوراء زينب عليها السلام تشكو لأُمّها ما لاقاها أثناء السبي:

تعالى يم حسن يُمّه تعالى وشوفى كربلا شسوت بحالى

إخوتى مذبحه وكلّها إگبالى

وكأنتى بالزهراء عليها السلام تردّ على زينب عليها السلام:

أنه يمچ ييمّه مو بعيده من طاح الحسين على الصعيده

ومن راد الشمر يگطع وريده ثلث تيام أنه ساجنه البيده

نوبه انهض وادور اصبع ايده ونوب انهض وادور چف عضيده

تشكو زينب مره أخرى:

بگيت امحيره واصفچ باليدين لا عباس بيرالى ولا حسين

يضربنى امن أبچى وتدمع العين وتبگه عبرتى ابصدري اتكسر

ص: ٣٥٣

١- (١) اللهوف: ص ١٠٥.

٢- (٢) من قصيده رائعه لشاعر أهل البيت عليهم السلام دعبل الخزاعى، كما فى ديوانه: ص ٥٦ - ص ٦٥ ومطلعها: تجاوبن بالأرنان والزفراتنوائح عجم اللفظ والنطقات

إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبه للمتقين.

ص: ٣٥٤





لله ما صنعت فينا يدُ البينِ كم من حشَى أقرحتْ منّا ومن عينِ

ما لى وللبينِ لا أهلاً بطلعتِه كم فرّق البينُ قدماً بين إلفينِ

لا تأمن الدهرَ إنَّ الدهرَ ذو غيرِ وذو لسانينِ فى الدنيا ووجهينِ

أخنى على عتره الهادى فشتتهم فما ترى جامعاً منهم بشخصينِ

كأنما الدهرُ ألا أن يبدهم كعاتبِ ذى عنادٍ أو كذى دَينِ

بعضُ بطيبه مدفونٌ وبعضُهُم بكربلاءَ وبعضُ بالغريرينِ

وأرضُ طوسٍ وسامراءٍ وقد ضمنتُ بغدادُ بدرينِ حلاً وسطَ قبرينِ

يا سادتى ألمن أبكى أسىً ولمن أبكى بجفنينِ من عيني قريحينِ

أبكى على الحسنِ المسمومِ مُضطهداً أم الحسينِ لقيى بين الخميسينِ

أبكى عليه خضيبَ الشيبِ من دمه معقر الخدِّ محزوز الوريدينِ

وزينب فى بناتِ الطهرِ لاطمه والدمعُ فى خدّها قد خدَّ خدّينِ

تدعوه يا واحداً قد كنتُ آمله حتى استبدت به دونى يدُ البينِ (١)

ص: ٣٥٧

---

١- (١) القصيدة لشاعر أهل البيت عليهم السلام ابن حمّاد العبدى، قال عنه العلامة الأمينى فى الغدير (ج ٤، ص ١٨٨ - ص ١٥٥): «أبو الحسن، على بن حمّاد، بن عبيد الله، بن حمّاد العدوى، العبدى، البصرى. كان حماد والدمع المترجم أحد شعراء أهل البيت عليهم السلام، كما ذكره ولده شاعرنا فى شعره بقوله من قصيده: وإن العبد عبدكم علياً كذا حماد عبدكم الأديب رثاكم والدى بالشعر قبلوا أوصانى به أن لا أغيب والمترجم له علم من أعلام الشيعة، وقد من علمائها، ومن صدور شعرائها، ومن حفظه الحديث المعاصرين للشيخ الصدوق ونظرائه، وقد أدركه النجاشى، وقال فى رجاله: قد رأيت. غير أنه يروى عنه كتب أبى أحمد الجلودى البصرى المتوفى سنة ٣٣٢ بواسطه الشيخ أبى عبد الله بن الحسين بن عبيد الله الغضائرى المتوفى سنة ٤١١، فهو من مشايخ هذا الشيخ المعظم الواقعين فى سلسله الإجازات، والمعدودين من مشايخ الرواه، وأساتذه حملة الحديث، وحسبه ذلك دلاله على ثقته وجلالته وتضلعه فى العلم والحديث.

على الجثث مَرّوا بالنساوين أويلاه اوشافنهم مطاعين  
منهم شمال ومنهم ايمين اوعلى الوجه مطروح الحسين  
رادت عليه فخر الخواتين من على الناگه اطيح بالحين  
ناده الولى اوضنوه الطيبين يعمه عليهم من تطيحين  
اشلون يا عمه تركيين وانه عليل وبه تدرين  
ونت ونين المرمر يلين ودعتك الله يا ضوه العين  
زجر يحسين من عگبک محنه إسفر واعداک ما بيهم محنه  
على راس الرمح راسک محنه ابدماه وبس يدير العين لى

\*\*\*

ص: ٣٥٨



قال تعالى: اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهُوَ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُمْضِعًا ثُمَّ يَكُوْنُ حُطَامًا وَ فِي الْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيْدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُوْرِ (١).

قد يكرّر القرآن الكريم فى بعض الأحيان آيةً كاملةً، أو جزءاً آية، أو قصّةً بنحوٍ وآخر، لكن الغرض هو الهداياه، قال تعالى: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ (٢)، فالقرآن الكريم يستعمل الأسلوب الأنفع فى التوصل إلى هداياه البشر.

ومن الآيات التى جاءت بنحو آخر هذه الآيه المباركه، فقد وردت فى سورة النبى الأكرم محمّد صلى الله عليه و آله بالنحو التالى:

قال تعالى: إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهُوَ وَ إِنَّ تُوْمِنُوا وَ تَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَ لَا يَسْتَلِكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣)، إلا أنها اقتصرت على اللعب واللهو، ويمكن أن يكون سبب الإقتصار عليها فى الآيه الشريفه؛ كثره ممارستها من قبل الأغلب، فمن النادر جداً أن يمرّ الإنسان فى زمن الطفوله والصبا من دون لعبٍ ولهو، بل قد يكون ذلك ممّا يشعر بنقص فى طفولته وصباه، أما بقيه الأدوار أعنى: دور الزينه والتفاخر والتكاثر فى الأموال والأولاد فليس من اللازم ذلك، فالكثير من الناس ممّن لعب فى طفولته، ثمّ مرّ بدور اللهو وبشكل واضح، إلا أنه لم يمرّ عليه دور الزينه والتفاخر والتكاثر.

والمهم فى المقام تسليط الضوء على الآيه التى افتتحنا بها الكلام فالآيه الشريفه تتضمن أمرين:

الأمر الأول: ترسيم الحياه الدنيا والمراحل المختلفه التى تمرّ على الإنسان، وهى

ص: ٣٥٩

١- (١) الحديد: آيه ٢٠.

٢- (٢) الإسراء: آيه ٩.

٣- (٣) محمّد: آيه ٣٦.

خمسه: (اللعب، اللهو، الزينه، التفاخر، التكاثر فى الأموال والأولاد).

والأمر الثانى: تشبيه الدنيا - بدايه ونهايه - بالنبات الذى يعجب الزَّرَاعُ طراوته ونضارته، ثمَّ سرعان ما يتحوّل إلى عشب يابس تذروه الرياح، ثمَّ استنتج من هذا التمثيل: أنّ الحياه الدنيا متاع الغرور، أى: وسيله للغرور والمتعه، يَغْتَرُّ بها الذين أخلدوا إلى الأرض، يتصورونها غايه قصوى للحياه، ولكنّها فى نظر المؤمنين قنطره للحياه الأخرى، لا- يغترون بها، بل يتزوّدون منها إلى حياتهم الأخرويه.

إنَّ حياه الإنسان من لدن ولادته إلى نهايه حياته تتشكّل من مراحل خمس:

المرحله الأولى: اللعب، واللعب هو عمل منظوم لغرض خيالى، كلعب الأطفال، وهو مُقارن لحياه الإنسان منذ نعومه أظفاره وطفولته، ويتخذ ألواناً مختلفه حسب تقدّم عمره، وهو أمر محسوس عند الأطفال.

المرحله الثانيه: اللهو، واللهو ما يشغل الإنسان عمّا يهّمه، وهذه المرحله تبتدئ حينما يبلغ ويشتدّ عظمه، فتجد فى نفسه ميلاً ونزوعاً إلى الملاهى وغيرها.

المرحله الثالثه: حُبّ الزينه، والزينه نظير ارتداء الملابس الفاخره، والمراكب البهيّه، والمنازل العاليه، وجنوحه إلى كلّ جمالٍ وحسن.

المرحله الرابعه: التفاخر، إذا تهيئت للإنسان أسباب الزينه، يأخذ حينها بالمفاخره بالأحساب والأنساب، وما تحت يديه من الزينه.

المرحله الخامسه: التكاثر فى الأموال والأولاد، وهذه المرحله هى المرحله الخامسه التى يصل فيها الإنسان إلى مرحله من العُمر، يفكّر فى تكثير الأموال والأولاد، ويشبُّ على ذلك الإحساس.

ثمَّ إنّ تقسيم المراحل التى تمرُّ على الإنسان إلى خمس لا- يعنى - كما ذكرنا - أنّ كلّ هذه المراحل تمرُّ على الإنسان بلا استثناء، بل يعنى أنها تمرُّ عليه على وجه الإجمال، غير أنّ بعض

الناس تتوقف شخصيتهم عند المرحلتين الأوليين إلى آخر عمره، فيكون اللعْبُ واللَهوُ أهَمَّ مائزٍ في سلوكهم، كما أن بعضهم تمرّ عليه المرحلة الثالثة والرابعة، فيحرص على ارتداء الملابس الفاخرة، والتفاخر بما لديه من أسباب (١).

قال الشيخ الأنصاري رحمه الله: «وقد ذكر غير واحدٍ أنّ قوله تعالى إِنَّمَا الْحَيَاءُ الدُّنْيَا... بيانٌ ملاذ الدنيا على ترتيب تدرّجه في العمر، وقد جعلوا لكل واحدٍ منها ثمان سنين» (٢).

ولعلَّ الشَّيخَ الأعظمَ رحمه الله يقصد ما رُوِيَ عن الشَّيخِ البهائي رحمه الله من «أنَّ الخصال الخمس المذكوره في الآيه مرتبه بحسب سنى عمر الإنسان ومراحل حياته، فيتولَّع أولاً باللعب، وهو طفل أو مراهق، ثمَّ إذا بلغ أشدّه اشتغل بالزينة من الملابس الفاخرة، والمراكب البهيه، والمنازل العاليه، وتولَّه للحسن والجمال، ثمَّ إذا اكتمل أخذ بالمفاخره بالأحساب والأنساب، ثمَّ إذا شاب سعى في تكثير المال والولد.

هذا ما يرجع إلى بيان حال الدنيا من حيث المراحل التي تمرّ بها.

والأمر الثاني، أى: التمثيل الذى يجسّد حال الدنيا ويشبّهها بأرضٍ خصبه يُصيبيها مطرٌ غزيرٌ، فتزدهر نباتها على وجه يُعجبُ الزُّرَّاع، ولكن سرعان ما تذهب طراوتها ونقاوتها فيصيبها الإصفرار واليبس، وتذروها الرياح فى كلِّ الأطراف، وتصبح كأنها لم تكن شيئاً مذكوراً، وعند ذلك تتجلّى الحقيقه أمام الإنسان، وأنّه اغترّ بطراوه هذه الروضه، وهكذا حال الدنيا، فيغترّ الإنسان بها ويخلد إليها، ولكن سرعان ما تسفر له عن وجهها، وتكشف عن لثامها.

وعلى أى حالٍ، فالآيه تهدف إلى تحقير الدنيا وتعظيم الآخره» (٣).

ص: ٣٤١

١- (١) انظر: الأمثال فى القرآن الكريم: ص ٢٥٧ - ص ٢٥٩.

٢- (٢) كتاب المكاسب: ج ٢، ص ٤٨.

٣- (٣) الأمثال فى القرآن الكريم: ص ٢٥٩ - ص ٢٦٠.

وقد حَقَّرها رسولُ الله صلى الله عليه وآله، حيث يقول:

«ما لى والدنيا، إنّما متلى ومثل الدنيا، كمثل راكبٍ قام من القيلولة فى ظلِّ شجره فى يوم صائفٍ، ثمّ راح وتركها»(١).

وقال صلى الله عليه وآله:

«والله، ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعة هذه فى أليم، فلينظر بيم ترجع؟!»(٢).

وقال العلامة المجلسى رحمه الله: «واعلم أنّ مجامع الهوى خمسة أمور، وهى ما جمعه الله عزّ وجلّ فى قوله: **أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ.**

والأعيان التى تحصل منها هذه الأمور سبعة، يجمعها قوله تعالى: **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ النَّبِيِّنَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ»**٣.

أحياناً يُحِبُّ الإنسان الدنيا ولكن لا لذاتها، بل؛ لأنّها مُقَدِّمه موصله للآخرة، كما روى عن إمامنا الصّادق عليه السلام أنّ رجلاً قال له: «والله إنّنا لنطلب الدنيا ونحب أن نؤتاها، فقال: تحب أن تصنع بها ماذا؟ قال: أعود بها على نفسى وعيالى، وأصل بها، وأتصدّق بها، وأحجّ وأعتمر. فقال عليه السلام: ليس هذا طلب الدنيا، هذا طلب الآخرة»(٣).

فلذا يوجد فى الآيه الشريفه حاله من التقابل بين الحياه الدنيا والحياه الأخرى، حيث ذكرت الآيه (وفى الآخرة)، وأنّها قسيم لقوله: (إنّما الحياه الدنيا)(٤).

فليست الدنيا عبارته عن الجاه والمال فقط، بل هما حظان من حظوظهما، وإنّما الدنيا

ص: ٣٤٢

١- (١) روضه الواعظين: ص ٤٤٠.

٢- (٢) مسند أحمد: ج ٤، ص ٢٢٩.

٣- (٤) الكافى: ج ٥، ص ٧٢، ح ١٠.

٤- (٥) انظر: فتح البارى: ج ١١، ص ١٩٨.

عبارة عن حالتك قبل الموت، كما أنّ الآخرة عبارة عن حالتك بعد الموت، وكلّما لك فيه حظّ قبل الموت فهو دنياك.

وليعلم الناظر إنّما الدنيا خلقت للمرور منها إلى الآخرة، وإنّها مزرعه الآخرة في حقّ من عرفها، إذ يعرف أنّها من منازل السائرين إلى الله، وهى كرباط بُنى على طريق أُعدّ فيها العلف والزاد وأسباب السفر، فمن تزوّد لآخرتة فاقصر منها على قدر الضرورة من المطعم والملبس والمنكح وسائر الضروريات، فقد حرث وبذر وسيحصد في الآخرة ما زرع، ومن عرّج عليها واشتغل بلذاتها وحظوظها هلك (١).

وذكر شيخ الطائفة الطوسى رحمه الله فى تفسير الآيه المباركه كلاماً جامعاً، حيث قال: «وإنّما زهّدهم فى الدنيا؛ لكونها فانيه، ورغبهم فى الآخرة؛ لكونها باقيه، فمن اختار الفانى على الباقى كان جاهلاً ومنقوصاً. ومعنى الحياه الدنيا لعب ولهو، أى: ذات لعب ولهو؛ لأنّ غالب أمر الناس فى الدنيا اللعب واللهو، وذلك عبث وغرور وانصراف عن الحد الذى يدوم به السرور والحبور.

وقيل: شُبّهت باللعب واللهو لانقطاعها عن صاحبها بسرعه، فالتقدير على هذا إنّما الحياه الدنيا كاللعب واللهو فى سرعه الإنقضاء، والآخرة كالحقيقه فى اللزوم والإمتداد، فإحداهما كالحقيقه، والأخرى كالمخرقه».

ثمّ قال رحمه الله: «اعلموا معاشر العقلاء والمكلّفين أنّما الحياه الدُّنيا يعنى فى هذه الدنيا لعبٌ و لهوٌ؛ لأنّه لا بقاء لذلك ولا دوام، وإنّه يزول عن وشيك، كما يزول اللعب واللهو، و زينهٌ تتزينون بها فى الدنيا، و تفاخُرٌ بينكم يفتخر بعضكم على بعض، و تكاثرٌ فى الأموالِ و الأولادِ أى: كلّ واحد يقول مالى أكثر وأولادى أكثر، ثمّ شَبّه ذلك بأن قال: مثله فى ذلك كمثلِ غَيْثٍ يعنى مطراً أعجب الكفار نباته أى:

ص: ٣٤٣

١- (١) انظر: مجمع البحرين: ج ٢، ص ٦١. ونسبه لبعض العارفين.

أعجب الزُّرَّاع ما نبت بذلك الغيث، فالكفَّار الزُّرَّاع»(١).

ثمَّ تنتقل الآية لتختتم هذا البيان الرائع بحقيقته فيها البشاره والنداره، البشاره للمؤمنين، والنداره للكافرين، حيث تقول: وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ، عذاب شديد لمن اتخذ الحياه الدنيا حياهً أبدية، ومغفره من الله ورضوان لمن اتخذها ممراً لامقراً، وصارت الدنيا عنده كظل يستظل تحته ثمَّ يرحل، أو عاشها كما عاشها الأنبياء والأوصياء، ومن حذا حذوهم، فإذا صارت الدنيا عندهم كذلك فلا يبالون بها، بل ينتظرون الرحيل عنها؛ لأنها متاع المغرور بها.

حينها نعرف قول ذلك الرجل لأبي ذرٍّ: يا أبا ذر ما لنا نكره الموت؟ فقال: «لأنكم عمّرتم الدنيا وأخربتم الآخرة، فتكرهون أن تنقلوا من عمران إلى خراب»، فقال له: فكيف ترى قدومنا على الله؟ فقال: «أتميا المحسن منكم فكالغائب يقدم على أهله، وأما المُسئ منكم فكالآبق يرد على مولاه»، قال: فكيف ترى حالنا عند الله؟ قال: «اعرضوا أعمالكم على الكتاب، إنَّ الله يقول: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ \* وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ» قال: فقال الرجل: فأين رحمه الله؟

قال:

«رحمه الله قريبٌ من المُحسِنين».

قال: أبو عبد الله الصادق عليه السلام:

«وكتب رجل إلى أبي ذر - رضى الله عنه - يا أبا ذر أظرفنى بشيء من العلم، فكتب إليه: العلم كثير، ولكن إن قدرت أن لا تسئ إلى من تحبه فافعل. قال: فقال له الرجل: وهل رأيت أحداً يسئ إلى من يحبه؟ فقال له: نعم، نفسك أحبّ الأنفس إليك، فإذا أنت عصيت الله فقد أسأت إليها»(٢).

وهذا الخبر فيه دلالة صريحه على أن تارك الدنيا وطالب الآخرة لا يكره الموت ولا

ص: ٣٦٤

١- (١) التبيان: ج ٩، ص ٣٠٩، وص ٥٣٠.

٢- (٢) الكافي: ج ٢، ص ٤٥٨، ح ٢٠.

يرضى ببقائه فى الدنيا، بل يريد فراقها شوقاً إلى لقائه عزّ وجلّ، لولا الأجل مكتوب عليه، كما دلّ عليه أيضاً قوله تعالى: قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١)».

أو كما يصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المتّقين، حيث يقول:

«ولولا- الأجل الذى كتب لهم لم تستقرّ أرواحهم فى أجسادهم طرفه عين شوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العقاب. عظم الخالق فى أنفسهم فصغر ما دونه فى أعينهم، فهم والجنه كمن قد رآها فهم فيها مُنعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون» (٢).

إذن المائز الحقيقى بين المتّقين وغيرهم هو شدّه علقهم بالدنيا وعدمها، فالتناسب عكسى، أى: كلّما ازدادت رغبة الإنسان فى الدنيا وتعلّقه فيها ضعف رصيده الأخرى، والعكس بالعكس، وهذا معنى قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنّ الدنيا والآخرة عدوّان متفاوتان، وسيلان مختلفان، فمن أحبّ الدنيا وتولّأها أبغض الآخرة وعادها، وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماش بينهما، كلّما قرب من واحد بعدّ من الآخر، وهم بعدّ ضربتان» (٣).

أما الذى يكون سبيله الحقيقى الذى يشخص ببصره إليه دائماً وأبداً هو الله عزّ وجلّ فلا يبالى حينئذٍ، بل يكون لسان حاله:

تركّ الخلق طراً فى هواكا وأيتمت العيال لكى أراكا

فلو قطعتنى بالحب إرباً لما مال الفؤاد إلى سواكا

ص: ٣٤٥

١- (١) انظر: شرح أصول الكافى: ج ١٠، ص ٢١٤، والآية ٦ من سورة الجمعة.

٢- (٢) نهج البلاغه: ج ٢، ص ١٦١، خطبه المتّقين رقم ١٩٣.

٣- (٣) نهج البلاغه: ج ٤، ص ٢٣، رقم ١٠٣.

وكيف لا تكون هذه ترانيمه العرفانيه، وكلماته الإلهيه، وهو صاحبُ أعظم دُعاءٍ في يومِ عرفه، الذي قال فيه مخاطباً ربَّ العالمين:  
«عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيباً، وخسرت صفقه عبدٍ لم تجعل له من حبك نصيباً»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبه للمتقين.

ص: ٣٦٦

---

١- (١) من أخلاق الإمام الحسين: ص ٢٥٨. انظر: بحار الأنوار: ج ٦٤، ص ١٤٢.







أَيْطِبُ عَيْشِي بَعْدَ وَقَعِهِ كَرْبَلَاءَ وَأَكُونُ فِيمَا أُرْتَدِيهِ أَنْيَقَا

وَأَذُوقُ طَعْمَ الْمَاءِ وَابْنُ مُحَمَّدٍ مَا ذَاقَهُ حَتَّى الْحَمَامَ أُذِيقَا

لَا عَذَرَ لِلشَّيْعِيِّ يَرْقَأُ دَمْعُهُ وَدَمُ الْحُسَيْنِ بِكَرْبَلَاءَ أَرِيقَا

يَا يَوْمَ عَاشُورَاءَ لَقَدْ خَلَفْتَنِي مَا عَشْتُ فِي بَحْرِ الْهَمُومِ غَرِيقَا

فِيكَ أُسْتَبِيحُ حَرِيمَ آلِ مُحَمَّدٍ وَتَمَزَّقْتُ أَسْبَابَهُمْ تَمَزِيقَا

قَتَلُوا الْحُسَيْنَ وَرَوَّعُوا قَلْبَ الْهُدَى ظُلْمًا وَفُرَّقَ شَمْلُهُ تَفْرِيقَا

تَرَكَوهُ عَارٍ بِالْفَلَاهِ وَأَقْبَلُوا نَحْوَ الْمُخَيَّمِ الْهَبُوهُ حَرِيقَا

لَهْفِي لِزَيْنَبَ بَعْدَ فَقْدِ حُمَاتِهَا قَطَعْتُ مَعَ الْخَصْمِ الْمَشُومِ طَرِيقَا(١)

وَكَأَنِّي بِهَا تَخَاطَبُ حَمَاتِهَا، وَهَمَّ مَجْزُورُونَ كَالْأَضَاحِي:

أَنَا امشيت درب الما مشيته وچتال أخيي رافگيته

من جلّت الوالى نخيته شتم والدى وانكر وصيته

ص: ٣٦٩

---

١- (١) الأبيات الأربعة الأولى للشاعر محمّد السوسى ذكرها العلامة المجلسى رحمه الله فى البحار (ج ٤٥، ص ٢٤٥) مع تغيير فى بعض الكلمات، وما بعدها فهى لأستاذنا الشيخ محمّد سعيد المنصورى رحمه الله، ذكرها فى ميراث المنبر: ص ٦٧ الطبعه الحديثه. قال السيد جواد شبر رحمه الله فى أدب الطف (ج ٢، ص ١١٩) مترجماً للشاعر السوسى: «الأمير أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن محمد السوسى، توفى فى حدود سنة ٣٧٠ هـ - ودفن بحلب، كان فاضلاً أديباً كاتباً بحلب، وسافر إلى فارس، ثم عاد إلى محله، ذكره ابن شهر آشوب فى معالم العلماء فى شعراء أهل البيت المجاهدين... والسوسى نسبه إلى السوس كوره بأهواز، فيها قبر دانيال عليه السلام، معرب شوش، وبلد بالمغرب، وبلد آخر بالروم». وأما شيخنا الأستاذ المنصورى رحمه الله فقد تقدّمت ترجمته فى المحاضره السادسه.

ولسان حالها:

بس ما غبت و كفت يحسين عن كبله صرنه مضعين

خذونى يسيره وتدمع العين ومدرى وجوه الكوم لا وين

للكوفه يو للشام ناوين والدرب تدرى يريد له اثنين

أنصار يو أخوه المبينين ولويى ما غير النساوين

أبارى الضعن ماليش تمكين عاد أرضه والله يريحنى البين

\*\*\*

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ (١).

ينقسم الظنّ إلى قسمين، هما:

الظنّ الحسن، و الظنّ السيّء، ولا- شكّ فى أنّ الأول منهما راجح شرعاً وعقلاً ولا- غبار عليه، بل هو من صفات المؤمنين المخلصين، وحسن الظنّ لا- يختصّ بحسن ظنّ الإنسان بإنسانٍ آخر، بل هو يشمل حتّى حُسن الظنّ بالله تبارك وتعالى، حيث روى أنّ الله سبحانه وتعالى يقول:

«أنا عند حُسن ظنّ عبدى المؤمن، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر» (٢).

فمن هنا كان ينبغى لكلّ مؤمنٍ أن لا ييأس من رحمه الله، ولا يظنّ أنّ الله سبحانه لا يرحمه، وأنّه يعذبه، وأنّ ما يُصيبه فى الدنيا من المصائب والأمراض والفقر هو شرٌّ له وعقوبه، بل ينبغى أن يعلم أنّ الله أرحم به من والديه، وما يُصيبه من المصائب هو خير وصلاح وذخيره له فى يوم المعاد. ورأى بعضهم فى المنام صاحباً له على أحسن حال، فقال: بأى شىء نلتَ هذا؟ فقال: بحسنِ ظنّى برّبّى، وما ينال أحدٌ خير الدنيا والآخرة إلاّ بحسن الظنّ بالله تعالى.

ص: ٣٧٠

١- (١) الحجرات: آيه ١٢.

٢- (٢) بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٨٥ - ص ٣٨٦، ح ٤٤.

وكذلك لا يظنُّ السوء بالمسلمين، ويفسِّر كلَّ عملٍ منهم تفسيراً غير صحيح، بل يجب عليه أن يُفسِّر تصرف الناس على أحسن الوجوه، إلا إذا كان متيقناً ومتأكداً من فعل يتطلب منه أن يفسِّره بتفسير واقعي حفاظاً على حقوق الناس (١).

فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال:

«اطلب لأخيك عذراً، فإن لم تجد له عذراً فالتمس له عذراً» (٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك، ولا تظنَّ بكلمه خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً» (٣).

ويجب على الإنسان أن لا يضع نفسه في موضع التهمة، ثمَّ يعترض على الناس حيث يظنون به سوءاً، فمن صدق المُفسدين وجالسهم سوف يُظنَّ به سوءاً، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«ومن عرَّض نفسه للتهمة، فلا يلومنَّ من أساء به الظنَّ» (٤).

في أوَّل الأمر نلفت الانتباه إلى التفريق بين الشكِّ والظنِّ والعلم، فنحن تارة نصف إنساناً ما بأنه شاكُّ، وأخرى بأنه ظانُّ، وثالثه بأنه عالم بالأمر الكذائي، فما هو الفرق وما هو المناط والمبرر لإمكانه وصف الإنسان بأحد هذه الصفات؟

والجواب: إنَّ الشكَّ هو استواء كفتي الاحتمالين إثباتاً ونفيًا، والظنُّ بترجيح كفه أحدهما على الآخر مع بقاء الطريق مفتوحاً للذي خفَّ ميزانه، والعلم تعيين أحدهما مع سدِّ الطريق على الآخر من الأساس.

وقد تظنَّ بإنسان خيراً أو شراً، وقد تكون مُصيباً في ظنِّك أو مخطئاً، ولا بأس عليك إطلاقاً في حسن الظنِّ بأخيك أصبت أو أخطأت، ظهر أثر ذلك في أقوالك أو أفعالك، أو لم يظهر.

ص: ٣٧١

١- (١) الأخلاق والآداب الإسلامية: ص ٤٦٩.

٢- (٢) الخصال: ص ٦٢٢.

٣- (٣) الكافي: ج ٢، ص ٣٦٢، باب التهمة وسوء الظنِّ، ح ٣.

٤- (٤) نهج البلاغه: ج ٤، ص ٤١، ح ١٥٩.

فإذا صدر من الإنسان عمل من الأعمال أو قول من الأقوال يمكن حمله على وجه صحيح، وعلى وجه فاسد، فهل يحمل على الصحه، أو على الفساد، أو يجب التوقف وعدم الحكم بشيء إلا بدليل قاطع؟

ومثال ذلك: أن ترى رجلاً مع امرأه لا تدري هل هي زوجته، أو أجنبيه عنه، أو تسمع كلاماً وأنت لا تدري هل أراد به المتكلم النيل منك، أو لم يرد ذلك، فما هو الحكم حينئذٍ؟

لقد اتفق الفقهاء على وجوب الحمل على الصحه في ذلك وأمثاله.

وهذا مبدأ إنساني بحث؛ لأنه يُكرس كرامه الإنسان، ويؤكد علاقة التعاون والتعاطف بين الناس، ويتعد بهم عما يثير الكراهيه والنفور، وبهذا يتبين أن الإسلام لا يقتصر على العقيدة والعباده، بل إنه يهتم بالإنسانيه وخيرها، ويرسم لها الطرق التي تؤدي بها إلى الحياه المثمره الناجحه.

ثم إن الآيه قالت: (كثيراً من الظنّ) ولم تقل كلّ الظنّ، فما هو السبب في ذلك؟

السبب يرجع إلى أنّ (كلّ) من صيغ العموم، تشمل حسن الظنّ وسوء الظنّ، بخلاف كلمه كثير، فقد تستعمل بمعنى بعض وبمعنى معظم، وهذا هو المراد بكلمه كثير في الآيه، والقصد: هو حصر موضوع الآيه ودلالاتها بسوء الظنّ.

وسوء الظنّ من حيث هو ودون أن يظهر أثره في قول أو فعلٍ ليس بجرم، وصاحبه غير مسؤول عنه؛ لأنّ الإنسان لا حريه له في ظنونه وتصوراتيه، ولكن عليه أن لا يُعَوّل على ظنّ السوء، ويعتبره وكأنّه لم يكن، وإذا عَوّل عليه وظهر أثر ذلك في قول، أو فعل، كان مسؤولاً ومستحقاً للذمّ والعقاب، وهذا هو الظنّ الذي أراده سبحانه بقوله: (إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ).

قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله:

«ثلاثه لا يسلم منها أحدٌ: الطّيره والحسد والظنّ، فإذا تطّيرت فأمّض، وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا ظننت فلا تحقّق»(١).

ص: ٣٧٢

١- (١) ميزان الحكمه: ج ٣، ص ٢٣٥٤، ونسبه إلى العامه.

وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى: اجْتَبَيْتُمَا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ: لا تعولوا عليه ولا تعملوا به (١).

ولذا تجد بعض الناس يرتب الأثر على أدنى احتمال، والبعض الآخر يتوقف ولا يقول شيئاً إلى أن يتضح الأمر، وهناك من يترك ظنه ويحمل عمل الإنسان الآخر على الصحة.

جاء رجلان إلى أحد المراجع، أحدهما يحمل أموالاً إلى هذا المرجع، والآخر جاء ليطلب المساعدة، وبينما هما ينتظران المرجع، سأل الفقير الرجل الآخر عن سبب مجيئه؟ فقال الرجل الآخر: جئت لأعطى هذه الحقوق الشرعية إلى المرجع الديني.

قال الرجل الفقير في نفسه: نعم، أتركه يدخل فإذا دخل هذا الرجل وأعطى الأموال لهذا المرجع أدخل بعده وأشكو حالي له، وأقول إنني فقير ومحتاج.

دخل الرجل صاحب الأموال على المرجع، وبقي الآخر ينتظر خارج الغرفة ولم يعرف ماذا حصل في الداخل.

بعد فتره دخل الرجل الفقير على ذلك المرجع الرباني، وقال له: مولانا أنا رجل محتاج وفقير، وجئت طالباً للمساعدة من الحقوق التي عندكم.

قال المرجع: علم الله أنه ليس عندي من الحقوق لا قليل ولا كثير منها.

تعجب هذا الرجل وقال في نفسه: عجباً، قبل قليل دخل هذا الرجل وهو يحمل حقوقاً شرعية إليه، والآن يقول لي: ليس عندي من الأموال لا قليل ولا كثير!!

بقي هذا الرجل في حيره من أمره، أيكذب الرجل، أم يكذب المرجع، أم نفسه، أم ينتظر إلى أن يتأكد من الأمر لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً، مضت فتره من الزمن على تلك الحادثة، وذات يوم صادف ذلك الرجل الذي كان قد جاء لإعطاء الحقوق، وسأله عن القصة قائلاً له: ألم تقل في اليوم الذي التقينا فيه: بأنك جئت بحقوق شرعية إلى ذلك المرجع؟

ص: ٣٧٣

قال: بلى، قلتُ ذلك، وكنتُ صادقاً.

قال الرجل الفقير: ولكنني دخلت بعدك بفتريهٍ وجيزه وطلبت من المرجع شيئاً يساعدي به، فقال لي: ليس عندي من الأموال والحقوق لا قليل ولا كثير.

قال صاحب الحقوق: صدق المرجع.

قال الفقير: وكيف ذلك؟

قال: لأنني في ذلك الوقت ما أعطيته الأموال؛ لأنني وجدت عنده مجموعه من الضيوف، وما أحببت أن أزاحمه في هذا الوقت، فخرجت ورجعت في يوم آخر وأعطيته الأموال.

فلو لاحظنا هذه القصه وتأملنا فيها قليلاً لعرفنا مدى أهميه التحقق، ومع كل هذا، فإن الرجل الفقير لم يرتب الأثر ولعله لتقواه، ولكن ترى البعض يشهر بالأمر إلى درجه تصل إلى السب والشتم والنيل حتى من العرض، وهذه مشكله الإنسان قديماً وحديثاً، وهناك قصص عديده لو أردنا استعراضها لطلال بنا المقام لكن العاقل المتدين والحرّ تكفيهما الإشارة.

ولا شك أن الظنّ بمثل هؤلاء المتدينين يكون أكثر إشكالاً من غيرهم؛ لأننا نعتبرهم قادة لنا ونرجع إليهم ونجعلهم الأمانة على الدين، والإنسان الذي نجعله أميناً على ديننا من الأولى أن لا- نتهمه في دنيانا، فما قيمه الأموال حتى نتهم فيها من نأخذ منه الأحكام الشرعيه.

ولكن بعض الناس من الفسقه الفجره لا تشملهم هذه الآيه، فلنا أن نظنّ بهم مثل ما ظهر منهم.

فهؤلاء الذين باعوا دينهم للشيطان استغلوا هذا المبدأ الإنساني الذي ذكرناه، وهو الحمل على الصّحّه، وجاءوا به ليبرروا عمل الظالمين والقراصنه.

ص: ٣٧٤



فإنَّ مبدأ الحمل على الصَّحَّة لا ينطبق على أعمال السلب والنهب والاحتيال والتضليل، وما إلى ذلك ممَّا نعلم عِلْمَ اليقين أنَّه من المحرّمات والموبقات، وإنّما ينطبق على ما يُحتمل فيه الصدق والكذب، والصَّحَّة والفساد(١).

فهل يُمكن لأى إنسان عاقل أن يتوقّف بظنّه تجاه بنى أميه وبنى العباس فيما صنعوه بآل البيت.

تَبَّأ لَهُمْ مِنْ أُمَّهِ لَمْ يَحْفَظُوا عَهْدَ النَّبِيِّ بِآلِهِ الْأَمْجَادِ

قد شتتوهم بين مأسورٍ ومقهورٍ ومنحورٍ بسيفٍ عنادٍ

فلم يتركوا منهم أحداً لا كبيراً ولا صغيراً، حتّى الطفل الرضيع، فقد جاءت الحوراء زينب عليها السلام إلى أخيها الحسين عليه السلام تحمل عبد الله الرضيع عليه السلام، ودفعته إليه وهى باكيه، قالت: أختى، خُذ طفلك. قيل: فأجلسه فى حجره يُقبّله، ويقول: بعداً لهؤلاء القوم إذا كان جدُّك المصطفى خَصِيْمَهُمْ. ثُمَّ أتى به نحو القوم يطلب له الماء قائلاً: «يا قوم قد قتلتم إختى، وأولادى، وأنصارى، وما بقى غير هذا الطفل، وهو يتلظى عطشاً من غير ذنب أتاه إليكم، فاسقوه شربه من الماء»، فاختلف العسكر فيما بينهم، منهم مَنْ قال: إذا كان ذنب للكبار فما ذنب هذا الطفل؟ ومنهم مَنْ قال: اقتلوه ولا تبقوا لأهل هذا البيت باقيه.

فلمّا رأى ابن سعد ذلك صاح بحرمله: ويلك يا حرمله، اقطع نزع القوم. قال حرمله: فما أصنع؟ قال: إرمِ الطفلِ بسهمٍ.

قال حرمله (لعنه الله): فرأيت رقبتَه تلمع على عضد أبيه الحسين عليه السلام، فرميت الطفل بسهمى، فذبحته من الوريد إلى الوريد، فلمّا أحسَّ الطفل الرضيع بحراره السهم، أخرج يديه من القمّاط واعتنق أباه، وجعل يرفرف كالطير المذبوح.

فملاً الحسين عليه السلام كَفَّهُ من دمه، ورمى به نحو السماء، قائلاً:

«اللَّهُمَّ لَا يَكُنْ أَهْوَنَ

ص: ٣٧٥

عليك من فضيل ناقة صالح»(١).

تلگه إحسين دم الطفل بيده إشحال اليچتل إبحظنه وليده

سال اوترس جفه من وريده أوذبه للسمه وللگاع ما خر

أويلی من لفت سكنه تنادی بيويه العطش هالفتت أفادی

صدت لن أخوها الطفل غادی يلوح رگبته اودمه يفور

بيويه ذاب چبدي اوچيده أمه دخليني أودعنه وشمه

بيويه ليش ما تسجيه دمه بلچن چبديته تبرد من الحر

يخويه عون من حبك اوشمك يخويه عون من راواك لأمك

لغسلنك يخويه ابفيض دمك اوگبرك بالگلب ياخويه لحفر

وأما حال أمه الرباب:

ردوك بيني ابسهم مفطوم يالرحت عن الماي محروم

بعدك لحرم لذه النوم واصبغ يعكلى سود الهدوم

وابجى عليك ابگلب مالوم

\*\*\*

ورب رضيع أرضعته قسيهم من النبل ثدياً دره الثر فاطمه

\*\*\*

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أيّ منقلب ينقلبون

والعاقبه للمتقين.

١- (١) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ١، ص ٢٠٥ - ص ٢٠٦.





وَلَى الشَّبَابِ وَأَيَّامِ الصَّبَا دُرُوسَتْ وَشَعَلَهُ الشَّيْبُ مِنْهَا مَفْرُقَى التَّهْبَا

وَالدَّهْرُ شَنَّ عَلَيَّ الْيَوْمَ غَارَتَهُ كَأَنَّهَا تَرَّةٌ عِنْدِي لَهُ طَلْبَا

وَلَا مَلَاذَ وَلَا مَلْجَأَ أَلُوذُ بِهِ مِنَ الزَّمَانِ إِذَا طَرَفَ الزَّمَانِ كَبَا

سَوَى إِمَامِ الْهَدَى الْمَهْدَى مُعْتَمَى وَجَنِّهِ أَتَقَى عَنِي بِهَا النُّوبَا

مَنْ يَمَلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا بَعْدَ مَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَيُورِدُنَا تَيَّارَهُ الْعَذْبَا

مَتَى نَرَاهُ وَقَدْ حَفَّتْ بِهِ زُمُرٌ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَالْأَمْلَاكِ وَالنُّقْبَا

يَا ثَائِرًا غَضَّ جَفْنِيهِ عَلَى مَضْضِ هَلَا أَتَاكَ بِأَخْبَارِ الطُّفُوفِ نَبَا

غَدَاهُ حَلَّ أَبُو السَّجَادِ سَاحَتَهَا وَأُسَدَ هَاشِمٍ لِلْهَيْجَا قَدْ انْتَدَبَا

يَأْبَى الدُّنْيَا سَبْطُ الْمَصْطَفَى فَلَذَا عَنِ ذَلِّهِ الْعَيْشِ فِي عَزِّ الْوَعْيِ رَغْبَا

وَبَعْدَ مَا لَفَّ أَوْلَاهُمْ بِآخِرِهِمْ وَسَاقِهِمْ فَسَقَاهُمْ أَكُوسًا عَطْبَا

أَصَابَهُ حَجْرٌ قَدْ شَجَّ جَبْهَتَهُ وَشَيَّبَهُ مِنْ مُحْيَاهُ قَدْ اخْتَضَبَا (١)

ص: ٣٧٩

١- (١) القصيدة للسيد مهدي السيد هادي القزويني رحمه الله، قال عنه في أدب الطف (ج ٩، ص ٣١١ - ص ٣١٢): «السيد مهدي ابن السيد هادي ابن الميرزا صالح ابن العلامة الكبير السيد مهدي الحسيني القزويني الحلبي. علم من الأعلام، وفدٌّ من أفذاذ الأسره القزوينيه، ويطلق عليه لقب الصغير تمييزاً له عن جده الأعلى. ولد في بلده طويريج (الهنديه) عام ١٣٠٧ هـ -، ونشأ فيها منشأ العزِّ والفخار... وبعد ذلك أخذ يتلمى من دروس إخوته الأعلام، فحضر عند أخويه: الباقر والجواد، واستفاد منهما كثيراً، وهاجر إلى بلد جده أمير المؤمنين، فأتم علومه اللسانيه والبيانيه، كما حضر على السيد كاظم اليزدي في الفقه والأصول، كما حضر عند الحجّه الشيخ هادي كاشف الغطاء، وغيرهما من الأساطين، ثم هاجر إلى مسقط رأسه؛ ليسدّ الثغره ويرشد الضال ويهدي المجتمع، وكان على جانب من دماثة الخلق والتواضع، رحب الصدر، يودّ جلسيه أن يطيل معه الجلوس، وأن لا ينتهي المجلس مهما امتدت ساعاته الطوال، حيث كان لطيف المعشر خصب المعلومات، هذا وكانت وفاه المترجم له عشيه الأربعاء ١٣ ربيع الأول من سنه ١٣٦٦ هـ -، وقد شيع إلى مرقده الأخير في مقبره الأسره بالنجف الأشرف، ولم يعقب من الذكور ذريه».

(نصاری)

هوت فوگه أو گلبها علیه طایر هذا حسین إخوی إشلون صایر

بیت الچان مگصد للعشایر طاح الواسطه اوللگاع هوّد

(موشح)

إعله الترب طایح وهو نایم جریح أوظلت إجروحه یویلی دم تسیح

وهو ابهذا الحال لن زینب تصیح گوم یابن الفحل واحمی العایله

هجمت إعلینه تره إخیول العده اوصارت إخیامک یخویه امفرهده

هذا بینه الصار واعلینه السده وابنک السجاد یا خویه إنوله

(أبوذیه)

روحي مازت ساعه وصاحت المثلی منسبت حرّه وصاحت

عله التل أوجب زینب وصاحت انهبوا یحسین خدر الفاطمیه

\*\*\*

قال تعالی: أَمْ یَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلٰی مَا آتَاهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِیْمَ الْکِتَابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْکًا عَظِیْمًا (۱).

الحسد: هو تمنی زوال النعمه عن الآخرین، سواء وصلت تلك النعمه إلى الحسود أم لم تصل إليه، وعلى هذا الأساس تنصب جهود الحسود علی فناء ما لدى الآخرین وزواله عنهم، أو تمنی ذلك.

والحسد مذموم، ویدعو الإنسان إلى الحقد والبغض والکره، وهو من الأمراض

ص: ۳۸۰

العظيمه للقلوب، ولا تداوى أمراض القلب إلا بالعلم والعمل، وذلك بأن تعلم حقيقه الحسد وضرره على الإنسان فى دار الدنيا والآخرة، وإنَّ المحسود لا ضرر عليه، بل يحصل على الثواب نتيجة لذلك.

ويجب أن يعرف الحاسد أن ما عنده وعند غيره هو من قضاء الله وقدره، وأنَّ الحسد لا يورث إلا التآلم والعذاب، والهَمَّ والغَمَّ بلا مقابل، وبلا فائده.

ومن هنا قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد؛ نفس دائم، وقلب هائم، وحزن لازم»<sup>(١)</sup>.

وقال الشاعر:

اصبر على حَسَدِ الحَسودِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ

كالنارِ تَأْكُلُ نَفْسَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

والواقع هو هذا؛ إذ إنَّك تجد الحاسد دائماً متألماً، يتتبع أحوال الناس، مراقباً لهم، وقد قيل: «مَنْ راقب الناس مات هَمًّا»<sup>(٢)</sup>، فتجده دائماً مهموماً مغموماً، هائم القلب، ملازماً للحزن، كما تقدّم فى تعبير أمير المؤمنين عليه السلام.

وهذه الخصلة الخبيثة أورثت الحزن الدائم لكثير من الناس، فهذا هو القرآن الكريم يُصرِّح بأنَّ أول جريمه قتل أرتكبت فى الأرض كان منشؤها الحسد، قال تعالى: وَآتَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ<sup>(٣)</sup>.

ومناشئ هذه الخصلة الذميمة - من الناحية المعنوية - الضعف فى الشخصيه، وعقده

ص: ٣٨١

١- (١) بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٢٥٦.

٢- (٢) شرح نهج البلاغه: ج ٢٠، ص ٢٤٠.

٣- (٣) المائدة: آيه ٢٧.



الحقاره والجهل، وقصر النظر، وقلة الإيمان؛ لأنَّ الحاسد - في الحقيقة - يرى نفسه أعجز وأقل من أن يبلغ ما بلغه المحسود.

هذا، مضافاً إلى أنَّه بعمله هذا يعترض على حكمه الله سبحانه وتعالى واهب جميع النعم، وجميع المواهب، في إعطائه سبحانه لمن تفضّل بها عليه من الناس، ولهذا جاء في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام:

«الحسد: أصله من عمى القلب، والجحود لفضل الله تعالى، وهما جناحان للكفر، وبالحسد وقع ابن آدم في حسره الأبد، وهلك مهلكاً لا ينجو منه أبداً»<sup>(١)</sup>.

وقد حصر بعضهم - كالعلامة المجلسي رحمه الله - أسباب الحسد في سبعة أمور:

الأول: العداوة.

الثاني: التعزُّز، أن يكون من حيث لا يعلم أنَّه يستكبر بالنعمه عليه، وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزّه نفسه.

الثالث: الكبر، أن يكون في طبع الحاسد أن يتكبر على المحسود، ولا ترضى نفسه المتعاليه أن يحصل أحدٌ على نعمه غيره هو!

الرابع: التعجُّب، أن تكون النعمه والمنصب كبيراً، فيعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمه، كما أخبر الله تعالى عن الأمم الماضية، إذ قالوا: قالوا ما أنتم إلا بَشَرٌ مِثْلُنَا <sup>(٢)</sup>، وأمثال ذلك كثير، فتعجبوا من أن يفوزوا برتبة الرساله والوحي والقرب مع أنهم بشر مثلهم فحسدوهم، وهو المراد بالتعجُّب.

الخامس: الخوف، بأن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمه أنعمها الله عزَّ وجلَّ على المحسود، بأن يتوصّل المحسود بها إلى مزاحمته في أغراضه.

ص: ٣٨٢

١- (١) بحار الأنوار: ج ٧٠: ص ٢٥٥. تفسير الأمثل: ج ٣، ص ٢٧٥.

٢- (٢) يس: آيه ١٥.

السادس: حبّ الرئاسه، أن يحب الرئاسه التي تبتنى على الاختصاص بنعمه لا يساوى فيها.

السابع: خبث الطينه، أن لا يكون بسبب من هذه الأسباب، بل لخبث النفس وشحها بالخير على عباد الله (١).

هذه هي أهم مناشئ وأسباب حصول الحسد وصدوره.

فلو صدرت هذه الخصله الخبيثه - لا - سمح الله - فسوف تترتب النتائج السلبيه عليها، وهناك عدّه نتائج وخيمه تترتب على الحسد سواء أكانت راجعه إلى نفس الحاسد من حقد وغير ذلك، أم راجعه إلى المحسود نفسه، أم للمجتمع الذي تقع فيه هذه الجريمه الوقحه، والخصله المذمومه عند الله عزّ وجلّ وعند الناس.

ومن أهمّ هذه النتائج، أنّ الحسود يصرف كلّ أو جيل طاقاته البدنيه والفكريه - التي يجب أن تُصرف في ترشيد الأهداف الاجتماعيه - في هدم وتحطيم ما هو قائم، ولهذا فهو يبّد طاقاته الشخصيه والطاقات الاجتماعيه معاً.

ومن النتائج الخطيره للحسد أيضاً، أنّه يُعدّ الدافع لكثير من الجرائم في هذا العالم، فلو أنّنا درسنا العلل الأصليه التي تقف وراء جرائم القتل والسرقة والعدوان، وما شابه ذلك، لرأينا - بوضوح - أن أكثر هذه العلل تنشأ من الحسد، ولعله لأجل هذا شُبه الحسد بشراره من النار يمكنها أن تهدّد كيان الحاسد، أو المجتمع الذي يعيش في وسطه بالخطر وتعرضه للضرر.

يقول أحد العلماء: إنّ الحسد من أخطر الصفات، ويجب أن يُعتبر من أعدى أعداء السعاده، فيجب أن يجتهد الإنسان لدفعه والتخلص منه.

والملفت للنظر اليوم هو أنّ أكثر المجتمعات أصبحت مملوءه بالأمراض والآلام

ص: ٣٨٣

---

١- (١) الأربعون حديثاً: ص ١٠٨ - ص ١٠٩، ضمن الحديث الخامس. وأنظر: بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٢٤٠.

الجسديه من عصبية وغيرها. ومردُّ الأكثر من هذه الأمراض إلى خبث السريره والحقْد والحسد.

ومن هنا ورد عن طيب النفوس أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«صَحَّه الجسد من قَلَّه الحسد»، و

«العجب لغفله الحسَاد عن سلامه الأجساد»<sup>(١)</sup>.

بل وردت روايات تُصَرِّح بأن الحسد يضرُّ بالحاسد قبل أن يضرَّ بالمحسود، بل ويؤدى إلى القتل والموت تدريجاً، وربما أدى إلى الموت دُفَعَةً، كما حكى ذلك فى التاريخ: أن رجلاً من أهل النعمه ببغداد فى أيام موسى الهادى حسد بعض جيرانه، وسعى عليه بكل ما يمكنه ممّا قدر عليه، فاشترى غلاماً صغيراً فرباه، فلما شبَّ واشتدَّ أمره أمره بأن يقتله على سطح جاره المحسود؛ ليؤخذ جاره به ويُقتل.

حيث إنّه عمد إلى سكين فشحذها ودفعها إليه، وأشهد على نفسه أنه دبره<sup>(٢)</sup> ودفع إليه من صلب ماله ثلاثه آلاف درهم، وقال: إذا فعلت ذلك فخذ فى أى بلاد الله شئت، فعزم الغلام على طاعه المولى بعد التمتع والالتواء، وقوله له: الله الله فى نفسك يا مولاي، وأنت تتلفها للأمر الذى لا يُدرى أىكون أم لا يكون؟! فإن كان لم تر منه ما أملت وأنت ميّت، فلما كان فى آخر ليله من عمره قام فى وجه السحر، وأيقظ الغلام فقام مذعوراً وأعطاه الميديه<sup>(٣)</sup>، فجاء حتى تسور حائط جاره برفق، فاضطجع على سطحه فاستقبل القبله ببدنه، وقال للغلام: ها وعجل، فترك السكين على حلقه، وفرى أوداجه ورجع إلى مضجعه، وخلاه يتشخط فى دمه، فلما أصبح أهله خفى عليهم خبره، فلما كان فى آخر

ص: ٣٨٤

١- (١) نهج البلاغه: ج ٤، ص ٥٠ - ص ٥٥، عنه بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٢٥٦، ح ٢٨. تفسير الأمثل: ج ٣، ص ٢٧٤.

٢- (٢) دبره: بأن قال للعبد: أنت حُر دبر - أى بعد - حياتى.

٣- (٣) الميديه: السكين الكبير.

النهار أصابوه على سطح جاره مقتولاً، فأخذ جاره فحبس، فلما ظهر الحال أمر الهادي بإطلاقه(١).

ومن النتائج المهمه أيضاً - بالإضافة إلى ما تقدّم من الحزن والهَمّ والضرر للنفس وغير ذلك - هو ذهاب حسنات الحاسد إلى المحسود، وغضب الله عليه، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال:

«إياكم والحسد؛ فإنّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام:

«إنّ الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب»(٣).

بل إنّ الحسد هو أصل الكفر، كما ورد ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إياكم أن يحسد بعضكم بعضاً، فإنّ الكفر أصله الحسد»(٤).

ولو تأملنا في معنى الآية التي افتتحنا بها المحاضرة لرأينا أن الآية موجّهة خطابها إلى اليهود بحسب السياق في الآيات التي قبلها، حيث إنّ الكلام في الآيات التي قبلها موجّه إلى اليهود من حيث اتصال الكلام لا من حيث حجيه السياق دائماً.

فالآيات التي قبل هذه الآية موجّهة خطابها إلى النبي الأ-عظم صلى الله عليه وآله أن ينظر إلى اليهود، قال تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَبِيبِ وَالطَّاعُونَ وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا... أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ....

من هنا نجد أنّ بعض المفسرين فسّر (أم) هنا ب - (بل) بمعنى: بل اليهود يحسدون الناس على ما آتاهم الله!!

ومن هنا لا بدّ من معرفه هؤلاء الناس، فمن هم الناس المحسودون؟ قلنا: إنّ الآية

ص: ٣٨٥

١- (١) بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٢٦٠، عنه سفينه البحار: ج ٢، ص ١٧٨.

٢- (٢) الدر المنثور: ج ٢، ص ١٧٣.

٣- (٣) الكافي: ج ٢، ص ٣٠٦، باب الحسد، ح ١.

٤- (٤) تحف العقول: ص ١٣٥.

موجهه خطابها إلى النبي صلى الله عليه وآله بأن ينظر إلى اليهود بأنهم لماذا يتعجبون من إعطاء النبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم ذلك المنصب الجليل، وذلك المقام الرفيع، وقد أعطاكم الله سبحانه وتعالى، وأعطى آل إبراهيم عليه السلام الكتاب السماوى والعلم والحكمه والملك العريض، مثل (ملك موسى وسليمان وداود)، ولكنكم - مع الأسف - أسأتم خلافتهم، ففقدتم تلكم النعم الماديه والمعنويه القيمه بسبب فسوقكم وشروركم: آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا

والمراد من الناس فى قوله: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ - كما أسلفنا - هم رسول الله وأهل بيته عليهم السلام؛ لإطلاق لفظه الناس على جماعه من الناس، وأما إطلاقها على شخص واحد وهو النبي خاصه، فلا يصح، ما لم تكن هناك قرينه على إرادته الواحد فقط. هذا، مضافاً إلى أن كلمه إبراهيم قرينه أخرى على أن المراد من (الناس) هو النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام؛ لأنه يستفاد من قرينه المقابله أننا إذا أعطينا لبني هاشم مثل هذا المقام ومثل هذه المكانه - فلا داعى للعجب - فقد أعطينا آل إبراهيم أيضاً تلك المقامات المعنويه والماديه بسبب أهليتهم وقابليتهم(١).

أضف إلى ذلك كله ما ورد فى الروايات فى تفسير هذه الآيه من طرق الخاصه والعامه(٢) أن المقصود من الناس هم النبي وأهل بيته عليهم السلام.

والمقصود بالملك العظيم الذى أعطاه الله تبارك وتعالى لآل إبراهيم: هو الطاعه لهم ولآل المصطفى عليهم السلام بقرينه المقابله.

وفى بعض الروايات فى قوله تعالى: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ قَالَ: «نحن الناس والله»(٣).

ص: ٣٨٦

١- (١) انظر: تفسير الأمثال: ج ٣، ص ٢٧٢ - ص ٢٧٣. تفسير الميزان: ج ٤، ص ٣٧٦.

٢- (٢) نسبه فى الأمثال إلى الدرّ المنثور وروح المعانى، فلاحظ.

٣- (٣) تفسير البرهان: ج ٢، ص ٢٤٠ - ص ٢٤٦.

ولكن، هلمّ معي وأنظر ماذا صنعوا بهم، يا ليتهم اكتفوا بالحسد بالقلب واللسان، ولكن أبي القوم إلا أن يجزّروهم على رمضاء كربلاء، ومن بعد ذلك سبوا العيال والأطفال، حتّى وصل بهم الأمر إلى سلب النساء.

قالت فاطمه بنت الإمام الحسين عليه السلام: كُنْتُ واقفةً بباب الخيمه، وأنا أنظر إلى أبي وأصحابه مجزّرين كالأضاحي على الرمال، والخيول على أجسادهم تجول، وأنا أفكر فيما يقع علينا بعد أبي من بنى أمّيه، أيقتلوننا، أو يأسروننا؟! فإذا برجل على ظهر جواده، يسوق النساء بكعب رمحه، وهن يلذن بعضهنّ ببعض، وقد أخذ ما عليهنّ من أخمره وأسوره، وهن يصحن: وا جداه وا أبتاه، وا عليها، وا قلّه ناصراه، وا حسيناه، أما من مجير يجيرنا؟ أما من ذائد يذود عنّا؟ (١)

(نصاري)

اشصاير بهلنه أولا لفونه أو بين الأعادي ضيعونه

ننخه اولاهم يسمعونه اويدرون بينه راح أخونه

\*\*\*

يسلبها العدو او يشتم وليها او جاير بالضرب ويلي عليها

تهبّط راسها او تشكّف بديها أو دمعها إيسيل عالوجنات محمر

(نعي مجاريد)

أنه شايطه ونده إبعوتي يسمعونى او يغضون إخوتي

ياريت گبل احسين موتى ولا أشوف العده تنهب إبيوتى

ص: ٣٨٧

١- (١) انظر: بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٦٠.

(أبوذيه)

لا ترفع الشيعة بعد همامات او بنات أهل الوحي امن الخيم همامات

ها حى تصيح احسين همامات لون بيه روح محمّد وصل ليه

\*\*\*

أخى كيف أمشى فى البوادي مضامه وأنت بأسياف الأعادي موزع

\*\*\*

إنّا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أىّ منقلب ينقلبون

والعاقبه للمتقين.

ص: ٣٨٨







إِمَامٌ بَكَتُهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَالسَّمَاءُ وَوَحْشُ الْفَلَائِ وَالطَّيْرُ وَالْبُرُّ وَالْبَحْرُ

وَفِيهِ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ وَقَوْلُهُ صَحِيحٌ صَرِيحٌ لَيْسَ فِي ذَلِكَ تَكْرُرٌ

حَسْبِي بِثَلَاثٍ مَا أَحَاطَ بِمِثْلِهَا وَلِيٌّ فَمَنْ زَيْدٌ هُنَاكَ وَمَنْ عَمْرُو

لَهُ تَرْبَةٌ فِيهَا الشِّفَاءُ وَقَبُّهُ يُجَابُ بِهَا الدَّاعِي إِذَا مَسَّهُ الضَّرُّ

وَذُرِّيَّةٌ دُرِّيَّةٌ مِنْهُ تِسْعَةٌ أَثْمُهُ حَقٌّ لَا ثَمَانٍ وَلَا عَشْرٌ

هُمُ النُّورُ نُورُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ هُمُ التِّينُ وَالزَّيْتُونُ وَالشَّفْعُ وَالْوَتْرُ

وَلَوْلَاهُمْ لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ آدَمًا وَلَا كَانَ زَيْدٌ فِي الْوَجُودِ وَلَا عَمْرُو

أَيُقْتَلُ ضَمَانًا حَسِينٌ بِكَرْبَلَا وَفِي كُلِّ عُضْوٍ مِنْ أَنْامِلِهِ بَحْرٌ

وَوَالِدُهُ السَّاقِي عَلَى الْحَوْضِ فِي غَدِّ وَفَاطِمَةُ مَاءُ الْفَرَاتِ لَهَا مَهْرٌ

يَعَزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَرَاهُ عَلَى الثَّرَى ذَبِيحًا بِلَا دَفْنٍ يُكَفِّنُهُ الْعَفْرُ (١)

ص: ٣٩١

---

١- (١) من الرائي الخالده لابن العرندس الحلبي قدس سره: قال عنه السيد الأمين قدس سره في أعيان الشيعة: «الشيخ صالح بن الوهاب بن العرندس الحلبي المعروف بابن العرندس، توفي في حدود سنة ٨٤٠ هـ - في الحلة ودُفن فيها، وله قبر يُزار ويُتبرك به، كان عالماً فاضلاً مشاركاً في العلوم، تقياً ناسكاً أديباً شاعراً، ومن شعره قوله في رثاء الحسين عليه السلام: طوايا نظامي في الزمان لها نشر يُعطرها من طيب ذكركم نشرٌ أيقتل ظمناً حسينٌ بكر بلا وفي كلِّ عُضْوٍ مِنْ أَنْامِلِهِ بَحْرٌ أعيان الشيعة: ج ٧، ص ٣٧٥. وقال العلامة الأميني قدس سره في الغدير: ج ٧، ص ١٥: «... ومن شعر شيخنا الصالح رائيه اشتهر بين الأصحاب أنها لم تُقرأ في مجلس إلا وحضره الإمام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف...».

ولسان حال الزهراء عليها السلام لما نظرت إلى ولدها كما يصف الشاعر:

(فايزي)

شلتك إبطني سته أشهر يا جنيني وسهرت ليلي اووسديتك عن يميني

تاليها مرمي عله الثرى تنظرك عيني عكب الدلال على التريه إتنام يحسين

يحسين بيني مصرعك كطع كليلي ياريت دونك يذبحوني يا حبيبي

أبروحى فديتك وشربت صافى حليلي اوبرباك يوليدى إسهرت يا كره العين

(أبوذيه)

الحرار من لهيب النار هاجن ولعد جسمك ييو السجاد هاجن

يكللك عليه الليل هاجن واتته إموسد الغبره رميه

وكأني بحرائر الرساله:

يفترن خوات إحسين من خيمه لعد خيمه ينخن وين راحوا وين ما كو بالكفر شيمه

كل خيمه تشب ابنار رذن ضربن الهيمه والسجاد إجو سحبه اودمعه على الوجن ساله

\*\*\*

روى محمد بن مسلم، عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، قال: سمعتهما يقولان:

«إنَّ اللهَ تعالى عَوَّضَ الحُسَيْنَ عليه السلامَ مِنْ قَتْلِهِ: أَنْ جعلَ الإمامهَ في ذُرِّيَّتِهِ، والشفاءَ في تُرْبَتِهِ، وإجابَهَ الدُّعاءِ عندَ قبرِهِ، ولا تُعدُّ أيامُ زائرِهِ جائئاً وراجِعاً من عمرِهِ».

ص: ٣٩٢

قال محمد بن مسلم: فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: هذه الخلال تُنال بالحسين، فما له هو في نفسه؟

قال: «إن الله تعالى ألحقه بالنبي صلى الله عليه وآله فكان معه في درجته ومنزلته»، ثُمَّ تلا أبو عبد الله عليه السلام: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ۗ۱.

الإمام الحسين عليه السلام مُدهشٌ للعقول، محيّرٌ للألباب؛ لكثرة ما صدر منه من معجزات ظاهرات، وكرامات باهرات، من حين الحمل به والولادة وحتى الشهادة وما بعدها.

روى الأوزاعي عن عبد الله بن شداد عن أم الفضل: «أنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله، رأيت الليلة حلمًا منكرًا.

قال: وما رأيت؟ فقالت: إنه شديدٌ، قال: وما هو؟

قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت، ووضعت في حجري.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: خيراً رأيت، تلد فاطمه غلاماً فيكون في حرك، فولدت الحسين عليه السلام، وكان في حجري كما قال صلوات الله عليه وآله.

قالت: دخلت به يوماً على النبي صلى الله عليه وآله فوضعت في حجره، ثُمَّ حانت مني إلتفاته فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله و آله تهرقان بالدموع، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما لك؟

قال: أتاني جبرئيل، فأخبرني: أن أمتي ستقتل ابني هذا، وأتاني بتره من تربه حمراء»(١).

وعن أم سلمة قالت: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج من عندنا ذات ليلة، فغاب عنا طويلاً، ثُمَّ جاءنا وهو أشعث أغبر ويده مضمومه، فقلت له: يا رسول الله، ما لي أراك شعثاً مغبراً؟

فقال: أُسرى بي في هذه الليلة إلى موضع من العراق يُقال له: كربلاء، فأريت فيه

ص: ٣٩٣

مصرع الحسين ابني وجماعه من ولدي وأهل بيتي، فلم أزل ألقط من دمائهم، فها هي في يدي. وبسطها، فقال: خذيه واحتفظي به.

فأخذته فإذا هو شبه تراب أحمر، فوضعت في قاروره وشدت رأسها واحتفظت بها، فلما خرج الحسين عليه السلام متوجهاً نحو العراق، كنت أخرج تلك القاروره في كل يوم وليله، فأشمها وأنظر إليها. ثم أبكى لمصابه، فلما كان يوم العاشر من المحرم - وهو اليوم الذي قُتل فيه - أخرجتها أول النهار وهي بحالها، ثم عدت إليها آخر النهار فإذا هي دم عبيط، فصحت في بيتي، وكظمت غيظي مخافه أن يسمع أعداؤهم بالمدينه فيسرعوا بالشماتة، فلم أزل حافظه للوقت واليوم حتى جاء الناعي ينعاه، فحقق ما رأيت»(١).

وأما معجزاته في يوم عاشوراء، فهي عديده نذكر بعضاً منها:

فمنها: دعاؤه عليه السلام على عدو الله (حويزه) الذي قال للإمام عليه السلام: تعجلت بالنار قبل يوم القيامة، فقال عليه السلام:

اللَّهُمَّ حُرِّهُ إِلَى النَّارِ. فوقع في النار(٢).

ودعا عليه السلام على ذاك الذي قال: يا حسين، لن تذوق الماء حتى ترد الحاميه فتشرب من حميمها، فقال عليه السلام: اللَّهُمَّ اقتله عطشاً، فما زال يشرب حتى فتقت بطنه(٣).

ودعا عليه السلام على ذاك الذي اعترضه في خطابه، فقال عليه السلام:

«اللَّهُمَّ أَرْنَا فِيهِ ذُلًّا بَارِزًا. فمضى لقضاء حاجته، فلسعته عقرب فسقط، وهو يستغيث ويتقلب على حدثه»(٤).

وغيرها من المعجزات الباهره والكرامات التي حيرت العقول، وأذهلت البشر، وكيف لا وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

ص: ٣٩٤

١- (١) إعلام الوري: ج ١، ص ٤٢٩.

٢- (٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٢٧. مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢١٤.

٣- (٣) المصدر نفسه: ج ٤، ص ٣١٢.

٤- (٤) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢١٥. بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٣٠٢.

ويكفيه فخراً (صلوات الله عليه) ما ذكرناه في الحديث الذي افتتحنا به المحاضره أن جعل الله الشفاء في تربته؛ لكثير من الأمراض المستعصية وغيرها. حتى روى عن العلامة السيد نعمه الله الجزائري: أنه كان يُطالع على ضوء القمر؛ لأنه كان لا يمتلك ثمن زيتٍ للسراج لشده فقره، فكان يضعف بصره، فيكتحل بتربه سيد الشهداء عليه السلام فيتضاعف بصره أضعافاً مضاعفةً.

ومن هنا ينبغي الالتفات جيداً إلى الاهتمام بتربه الأئمة، وبالخصوص تربه سيد الشهداء عليه السلام، فقد ظهرت من التربه الشريفه كرامات مشاهده.

قال العلامة المجلسي رحمه الله في البحار: «روى شيخنا الطوسي رحمه الله عن موسى بن عبد العزيز، قال: لقيني يوحنا بن سراقبون النصراني الطبيب فاستوقفني، وقال لي: بحق نبيك ودينك، مَنْ هذا الذي يزور قبره قوم منكم بناحية قصر بن هبيرة؟ مَنْ هو من أصحاب نبيكم؟ قلت: هو ابن بنت نبينا، فما دعاك إلى المسأله عنه؟

فقال: عندي حديث طريف.

قلت: حدثني به، فقال: وجه إليّ خادم الرشيد شابور الكبير في الليل فصرت إليه، فقال: تعال معي، فمضى وأنا معه حتى دخلنا على موسى بن عيسى الهاشمي، فوجدناه زائل العقل متكئاً على وساده، وإذا بين يديه طشت فيها حشو جوفه، فأقبل شابور على خادم موسى، وسأله عن سبب تغير حاله وقال له: ويحك، فأخبره فقال له: أخبرك أنه كان من ساعته جالساً، وحوله ندامؤه، وهو من أصح الناس جسماً، وأطيبهم نفساً، إذ جرى ذكر الحسين بن علي عليه السلام، فقال موسى: إن الرافضه ليغلون فيه حتى أنهم يجعلون تربته دواءً يتداوون به.

فقال لهم رجل من بني هاشم كان حاضراً: قد كانت بي عله غليظه، فتعالجت لها بكلّ علاج، فما نفعني حتى وصف لي كاتب أن آخذ من هذه التربه فأخذتها، فنفعني الله

بها، وزال ما كنت أجده، فسأله موسى: هل بقي منها عندك شيء؟ قال: نعم. فوجه فجىء منها بقطعه، فناولها إياه فأخذها موسى، وأدخلها في دبره استهزاءً بمنّ تداوى بها، واحتقاراً وتصغيراً بالحسين عليه السلام، فما هو إلا أن استغلها دبره حتى صاح النار النار، الطشت فجنّاه بالطشت فأخرج فيها ما ترى فانصرف الندماء، فصار المجلس مأتماً.

فأقبل عليّ شابور وقال: انظر هل لك فيه حيله؟ فدعوت بشمعه، فنظرت فإذا كبده وطحاله وريته وفؤاده خرجت منه في الطشت، فقلت: ما لأحدٍ في هذا صنع إلا أن يكون لعيسى بن مريم الذي يحيى الموتى.

فقال شابور: صدقت، ولكن كن ها هنا في الدار حتى تتبين ما يكون أمره، فبتُّ عندهم وهو بتلك الحالة ما رفع رأسه حتى هلك في وقت السحر، قال الراوى: كان يوحنا يزور قبر الحسين عليه السلام وهو على دينه، ثمّ أسلم بعد هذا وحسن إسلامه»(١).

ومن كراماته ومعجزاته الباهرة عليه السلام إجابته الدعاء عند قبره، حتى أنّ المعصوم نفسه يرسل أصحابه ليدعوا له عند قبره عليه السلام.

قال أبو هاشم الجعفرى صاحب الإمام الهادى عليه السلام: دخلت على أبى الحسن الهادى وهو محموم عليل، فقال: يا أبا هاشم، ابعث رجلاً من موالينا إلى الحائر يدعوا الله لى. فخرجت من عنده، فاستقبلنى على بن بلال فأعلمته ما قال الإمام عليه السلام، وسألته أن يكون هو الرجل الذى يخرج، فقال: السمع والطاعة، ولكننى أقول: إنّه أفضل من الحائر إذا كان بمنزله من فى الحائر، ودعاؤه لنفسه أفضل من دعائى له فى الحائر.

فأعلمته ما قال، فقال لى: قل له:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من البيت والحجر، وكان يطوف بالبيت ويستلم الحجر، وإنّ الله تبارك وتعالى بقاعاً يُحبُّ أن يُدعى فيها فيجيب لمن

ص: ٣٩٦

ونفس زياره الحسين معجزه بعد ذاتها وخاصه زياره عاشوراء، فإن لها أثراً عجبياً في حل المشكلات ودفع البليات.

يُذكر أنه أصيبت مدينه سامراء بالطاعون، فكان يتساقط عشرات الموتى في كل يوم، يقول الشيخ عبد الكريم الحائري: إني كنت عند أستاذي محمد فشاركي، فقَدِمَ الميرزا محمد تقى الشيرازي، وقال: إذا حكمت بحكم تلتزمون به؟

فأجابوا: نعم، فقال: أحكم أن يقرأ الشيعة من اليوم وحتى عشره أيام زياره عاشوراء، ويهدون ثوابها إلى نرجس والده الإمام الحجّه عجل الله تعالى فرجه الشريف.

قام الشيعة بتنفيذ الحكم وبدأوا بزياره عاشوراء فارتفع الوباء ولم يسقط شيعي واحد بعد ذلك.

فزيارته لا تعدّ من العمر، بل أكثر من ذلك، زيارته تهب العمر، ولا يستطيع إنسان أن يحصى معاجزه (صلوات الله عليه).

ومن أجل ذلك بقي ما تم سيد الشهداء، وشاء الله أن يبقى مجلسه عليه السلام خالداً، وينتشر يوماً بعد يوم بشكلٍ أوسع، رغم منع المانعين، وحقن الحاقدين؛ لأنّ الحسين عليه السلام نور الله، ونور الله لا يُطفأ، ولأنّ الحسين عليه السلام كلمه الله، وكلمه الله هي العليا، ولأنّ الحسين عليه السلام يدُ الله، ويدُ الله فوق أيديهم، ولأنّ الحسين عليه السلام، ذكر الله، وذكر الله باقي إنا نحن نزلنا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٢)، وهذا ما أكّده العقيله زينب عليهما السلام في مجلس يزيد (لعنه الله) حيث قالت: «كِد كيدك، واسعى سعيك، وناصر جهدك، فوالله، لا تمت وحيناً ولا تمحو ذكرنا» (٣).

ص: ٣٩٧

١- (١) بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ١١٤ - ص ١١٥، ح ٣٤.

٢- (٢) الحجر: آيه ٩.

٣- (٣) اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٢١٨. بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٥.



هذه المآتم التي كانت وما زالت، لم ولن تنطفئ منذ أن انعقد أول مجلس على سيد الشهداء عليه السلام إلى يومنا هذا، وأول مآتم أقيم على الحسين عليه السلام بعد شهادته - روى فداه - كان لجموع الأنبياء والأولياء عليهم السلام بحضور النبي الأعظم عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام، كما ذكر ذلك الجمال (لعنه الله) الذي جاء لسلب أبي عبد الله عليه السلام، يقول: بينا أنا كذلك، وإذا سحابتان نزلتا على مصرع أبي عبد الله عليه السلام.

السحابة الأولى: مجموعه رجال يقدمهم شخص أزهرى قمرى، أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله.

والسحابة الثانية: مجموعه نساء تقدمهن امرأه عليها ثياب السواد تقوم وتقع، وهى تنادى: أى وا ولداه، وا حسيناه، بنى حسين قتلوك، ومن شرب الماء منعوك، وما عرفوا من أمك ومن أبوك.

أقبلت إلى مصرع ولدها الحسين عليه السلام، عزّ عليها أن تراه مقطّع الأعضاء، الدماء تسيل من نحره الشريف، وقعت عليه تضّمه تشّمه تُقبله، قالت: أبه يا رسول الله، دعنى اخضب وجهى بدم ولدى، فقال لها: بُنيه، اخضبي ونحن نخضب، فالسيده الزهراء عليها السلام أقامت المآتم على عزيزها الحسين عليه السلام، ولكن من الذى قرأ التعزیه فى ذلك المجلس.

أقول: التى قرأت التعزیه ابتئها العقيلة زينب عليها السلام، يقول بعض العلماء: لَمّا خرجت زينب عليها السلام من الخيمة يوم عاشوراء، تمثّل لها رسول الله صلى الله عليه وآله واقفاً على مصرع أبي عبد الله، قابضاً على كريمته المباركة، ودموعه تتحادر على لحيته، ولذا وجهت الخطاب مباشرةً إلى جدّها: يا جدّاه يا رسول الله، صلّى عليك ملائكة السماء، هذا حسينك بالعراء، محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامه والرداء، مرفوع الرأس على القنا، وبناتك سبايا، وإلى الله المشتكى، ثمّ إليك يا رسول الله (١).

ص: ٣٩٨

١- (١) انظر: الطريق إلى منبر الحسين عليه السلام: ص ١١٦ - ص ١٢١.

يهلنا احسينكم رضوا اضلوعه وضا الموت روعه بعد روعه

يجدى گوم شوف احسين مذبوح عله الشاطى وعله التربان مطروح

يجدى ما بگتله امن الطعن روح يجدى گلب أخوى احسين فطر

يجدى مات محد وگف دونه ولا نغار غمضله اعيونه

يعالج بالشمس منخطف لونه ولا واحد ابحلگه ماى گطر

يجدى مات محد مدد ايديه ولا واحد يجدى عدل رجليه

يعالج بالشمس محد وصل ليه يحطله اظلال ياجدى من الحر

يجدى الرمح بفاده تثنه يجدى بالوجه للسيف رنه

يجدى الخيل صدره ررضنه ويجدى بالترب شبيه تعفر

ثُمَّ وَجَّهَتْ التَّعْزِيهَ إِلَى أَبِيهَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

تَعَالَوْا لِنُكْمِ غَسْلُوهُ وَالْجَفْنِ وَيَاكُمْ دَجِيوَهُ

وَجِيوَا كَطْنِ لِلْجِرْحِ نَشْفُوهُ وَعَلَهُ إِجْتَاْفِكُمْ لِحَسِينِ شِيْلُوهُ

يَبُوِيهِ كُومِ شُوفِ إِعْزِيْزِكِ أَحْسِينِ عَلَهُ التَّرْبَانِ مَحْزُوزِ الْوَرِيْدِيْنَ

وَعَبَّاسِ النَّفْلِ مَكْطُوعِ الْيَدِيْنَ وَبَاكِيِ أَقْمَارِنِهِ فُوكِ الْوَطِيْهِ

يَبُوِيهِ كُومِ شُوفِ أَشْلُونِ وَلِيَايِ كُلِّهَا اْمَذْبَحِهِ وَمَا ضَاكَّتِ الْمَايِ

يَبُوِيهِ لُوتَشُوفِ أَشْمَاتِهِ اَعْدَايِ وَتَشُوفِ اِبْنَاتِكِ مَسْلَبِهِ بَهْلَبِرِ

يَبُوِيهِ شَلْسَبِبِ مَا جِيْتِ لِلْسَاعِ تَشُوفِ إِعْزِيْزِكِ عَارِيِ عَلَهُ الْكَعَاعِ

أَرِيْدُنْكَ تَجِيْ لِحَسِينِ فَرَّاعِ وَنَشُوفِ أَغْبَارِ مِيْمُونِكِ اْمِنْ اِيْثُورِ

\*\*\*

يَا لَيْتَ فِي الْأَحْيَاءِ شَخْصَكَ حَاضِرٌ وَحَسِينٌ مَطْرُوحٌ بَعْرَصِهِ كَرِيْلَا

\*\*\*

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

ص: ٤٠٠

القرآن الكريم

- حرف الألف -

١. إبتلاءات الأمم: سعيد أيوب، معاصر، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ -- ١٩٩٥ م، منشورات دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.
٢. الاحتجاج: أبو منصور، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، (ت ٥٤٨ هـ -)، تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخراسان، منشورات مطابع النعمان النجف الأشرف ١٣٨٦ هـ -- ١٩٦٦ م.
٣. الإختصاص: الشيخ المفيد، محمد بن النعمان البغدادي (ت ٤١٣ هـ -) تحقيق: علي أكبر الغفاري، انتشارات جماعه المدرّسين في الحوزه العلميه في قم المقدسه.
٤. الأخلاق والآداب الإسلاميه: هيئه محمد الأمين، مطبعه سيد الشهداء، الطبعة الثانيه، قم المقدسه، ١٤٢١ هـ -.
٥. أدب الطّف: السيد جواد شبر، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، دار المرتضى، بيروت - لبنان.
٦. الأربعون حديثاً: السيد روح الله الموسوي الخميني رحمه الله (ت ١٤٠٩ هـ -)، ترجمه: السيد محمد الغروي، مؤسسه دار الكتاب الإسلامى - قم المقدسه.
٧. الإرشاد: الشيخ المفيد محمد بن النعمان البغدادي (ت ٤١٣ هـ -)، تحقيق ونشر: مؤسسه آل البيت عليهم السلام، قم المقدسه، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ -.
٨. أسباب النزول (الواحدى): أبو الحسن علي بن أحمد الواحدى النيسابورى، (ت ٤٦٨ هـ -)، مؤسسه الحلبي للنشر والتوزيع - القاهره.
٩. أضواء البيان: الشنقيطى (ت ١٣٩٣ هـ -)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر ١٤١٥ هـ -- ١٩٩٥ م، بيروت - لبنان.
١٠. إعانه الطالبين: السيد الكبرى الدمياطى (ت ١٣١٠ هـ -)، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ -.

١١. الأعلام: خير الدين الزركلي (ت ١٤١٠ هـ -)، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٩٨٠ م.
١٢. إعلام الوري: الشيخ الفاضل الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٤٥٨ هـ -)، طبع ونشر وتحقيق: مؤسسه آل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ -.
١٣. إقبال الأعمال: السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ -) تحقيق محمّد جواد القيومي، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ -، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي
١٤. الأقسام في القرآن الكريم: الشيخ جعفر السبحاني، معاصر، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ -، منشورات مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدّسه.
١٥. الإلهيات: الشيخ جعفر السبحاني، تلخيص: على الرباني الكلبايكاني، مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدّسه، طبعه عام ١٤١٨ هـ -.
١٦. الأمالي: شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ -)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميه، مؤسسه البعثه، قم، نشر: دار الثقافه، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ -.
١٧. أمالي السيد المرتضى: الشريف أبو القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين (ت ٤٣٦ هـ -)، صححه وضبط أفاضه وعلّق حواشيه: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٢٥ هـ -- ١٩٠٧ م، منشورات مكتبه آيه الله العظمى المرعشي النجفي قم - إيران ١٤٠٣ هـ.
١٨. الأمالي، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ -)، تحقيق: مؤسسه البعثه - قم المقدّسه، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ -.
١٩. الإمامه تلك الحقيقه القرآنيه: الدكتور زهير بيطار، معاصر، منشورات دار السيره بيروت - لبنان ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٢٠. الإنصاف فيما تضمّنه الكشاف: ابن المنير الاسكندري (ت ٦٨٣ هـ -)، منشورات مكتبه ومطبعه مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
٢١. آيات منتخبه من القرآن الكريم: السيد مهدي الخطيب الهنداوي (ت ١٤٢٧ هـ -)، مطبعه ستاره - قم المقدّسه، الناشر المؤلف رحمه الله.
- حرف الباء -
٢٢. الباب الحاي عشر: العلامه الحلبي الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦ هـ -)، انتشارات المصطفوي - قم المقدّسه.
٢٣. بحار الأنوار: العلامه محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ -)، مطبعه مؤسسه الوفاء - بيروت، الطبعة الثانيه ١٤٠٣ هـ -.



٢٤. تأويل الآيات: السيد شرف الدين على الحسينى الأسترآبادى النجفى (ت ٩٦٥ هـ -)، تحقيق ونشر: مدرسه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بالحوزه العلميه - قم المقدسه، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٣٦٦ هـ ش.

٢٥. تاج العروس: محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ -)، الناشر مكتبه الحياه، بيروت - لبنان.

٢٦. تاريخ الطبرى: محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ -)، تحقيق: نخبه من العلماء، انتشارات مؤسسه الأعلمی، بيروت - لبنان، بدون تاريخ.

٢٧. تبصره المتعلمين: جمال الدين الحسن بن يوسف المطهر، المعروف بالعلامة الحلي (ت ٧٢٦ هـ -)، تحقيق: السيد أحمد الحسينى والشيخ هادى اليوسفى، الطبعة الأولى ١٣٦٨ ش، منشورات فقيه، طهران - إيران.

٢٨. التبيان: الشيخ الطوسى، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى، (ت ٤٦٠ هـ -) تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملی، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ -، مكتب الإعلام الإسلامی.

٢٩. تحف العقول: ابن شعبه الحرّانى (ت القرن الرابع الهجرى)، تحقيق: على أكبر الغفارى، نشر جماعه المدرّسين بقم المقدسه، الطبعة الثانيه ١٤٠٤ هـ -.

٣٠. التحفه السنیه (مخطوط): السيد عبد الله الجزائرى (ت ١١٨٠ هـ -).

٣١. تفسير ابن أبى حاتم: ابن أبى حاتم الرازى (ت ٣٢٧ هـ -) تحقيق: أسعد محمد الطيب، منشورات المكتبه العصریه.

٣٢. تفسير ابن العربى: ابن العربى، (ت ٦٣٨ هـ -)، ضبطه وصححه وقدم له: الشيخ عبد الوارث محمد على، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ -، منشورات دار الكتب العلميه.

٣٣. تفسير ابن زمنين: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن أبى زمنين، (ت ٣٩٩ هـ -)، تحقيق: حسين عكاشه - محمد الكنز، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، منشورات الفاروق الحديثه.

٣٤. تفسير ابن كثير: الحافظ عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى دمشقى (ت ٧٧٤ هـ -)، قدّم له: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلى، دار المعرفه، بيروت - لبنان ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٣٥. تفسير أبى السعود: أبو السعود، (ت ٩٥١ هـ -)، طباعه ونشر: دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان.

٣٦. التفسير الأصفى: المولى محمد محسن الفيض الكاشانى (ت ١٠٩١ هـ -)، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميه، المحققان: محمد حسين درايى ومحمد رضا نعمتى، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ق، ١٣٧٦ ش، منشورات مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامی.

٣٧. تفسير الآلوسی: الآلوسی (ت ١٢٧٠ هـ -)، مجهوله.

ص: ٤٠٣



٣٨. تفسير الأمثل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة أمير المؤمنين عليه السلام، قم المقدّسه، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ -.
٣٩. تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ -)، تحقيق: مجموعه من المحققين، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ -- ٢٠٠١ م، منشورات دار الكتب العلميّه، بيروت - لبنان.
٤٠. تفسير البرهان: السيد هاشم البحراني، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين، نشر مؤسسه الأعلمی - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ -.
٤١. تفسير البغوى: البغوى (ت ٥١٠ هـ -)، تحقيق خالد عبد الرحمن العكّ، مطبعة ونشر دار المعرفه، بيروت - لبنان.
٤٢. تفسير الثعلبي: الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ -) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعه وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ -- ٢٠٠٢ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
٤٣. تفسير السلمى: السلمى، (ت ٤١٢ هـ -)، تحقيق: سيد عمران، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ -- ٢٠٠١ م، منشورات دار الكتب العلميّه، بيروت - لبنان.
٤٤. تفسير السمرقندى: أبو الليث السمرقندى، (ت ٣٨٣ هـ -) تحقيق: الدكتور محمود مطرجى، منشورات دار الفكر.
٤٥. تفسير السمعاني: السمعاني، (ت ٤٨٩ هـ -)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الطبعة الأولى ١٤١٨-١٩٩٧، منشورات دارالوطن، الرياض - السعودية.
٤٦. التفسير الصافي: محسن الفيض الكاشاني، (ت ١٠٩١ هـ -) تحقيق: الشيخ حسين الأعلمی الطبعة الثالثة ١٤١٦ هـ -، مطبعة مؤسسه الهادي، قم المقدّسه، منشورات مكتبه الصدر، طهران - إيران.
٤٧. تفسير العياشي: أبو النضر، محمّد بن مسعود بن عيّاش السّلمى، السمرقندى (ت ٣٢٠ هـ -) تحقيق: الحاج هاشم الرسولی المحلاتى، المكتبه العلميّه الإسلاميه طهران.
٤٨. تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ -) تحقيق: أحمد بن العليم البردونى، منشورات دار إحياء التّراث العربي، بيروت - لبنان.
٤٩. تفسير القمى: على بن إبراهيم القمى، (ت ٣٢٩ هـ -) تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيّب الموسوى الجزائرى، مطبعة النجف الأشرف ١٣٨٧ هـ -، منشورات مكتبه الهدى.
٥٠. تفسير النسفى: النسفى (ت ٥٣٧ هـ -)، مجهوله.
٥١. تفسير جامع البيان: ابن جرير الطبري، (ت ٣١٠ هـ -)، تحقيق وتقديم: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقى جميل العطار، منشورات دار الفكر للطباعه والنشر والتوزيع، بيروت.

٥٢. تفسير مجمع البيان: أمين الإسلام الطبرسي (ت ٥٦٠ هـ -) تحقيق لجنة، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ -،

ص: ٤٠٤

مؤسسه الأعلمی للمطبوعات، بیروت - لبنان.

٥٣. تفسیر مفاتیح الغیب (التفسیر الکبیر): الفخر الرازی (ت ٦٠٦ هـ -)، الطبعة الثالثة بدون تاریخ.

٥٤. تفسیر مقاتل: مقاتل بن سلیمان، (ت ١٥٠ هـ -)، تحقیق: أحمد فريد، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ -- ٢٠٠٣ م، منشورات دار الكتب العلمیه، بیروت - لبنان.

٥٥. تفسیر نور الثقلین: الشیخ عبد علی العروسی الحویزی (ت ١١١٢ هـ -) تحقیق السید هاشم الرسولی المحلاتی، الطبعة الرابعة ١٤١٢ هـ - مؤسسه إسماعیلیان، قم المقدّسه.

٥٦. تنبیہ الخواطر ونزهه النواظر (مجموعه ورام): الأمير الزاهد أبو الحسن ورام بن أبي الفراس الأشتري (ت ٦٠٥ هـ -)، مكتبه الفقيه، قم - ایران.

٥٧. تنزيه الأنبياء: السيد المرتضى علم الهدى (ت ٤٣٦ هـ -)، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ -- ١٩٨٩ م، منشورات دار الأضواء، بیروت - لبنان.

٥٨. توحيد الإمامیه: محمد باقر الملکی، معاصر، تنظیم: محمد البیابانی الأسکوئی، اهتمام علی الملکی المیانجی، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، منشورات وزاره الثقافه والإرشاد الإسلامی - مؤسسه الطباعة والنشر.

٥٩. التوحيد الشيخ الصدوق رحمه الله: الشيخ الصدوق، محمد بن علی بن بابويه القمي (٣٨١ هـ -)، تحقیق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، سنه الطبع ١٣٨٧ هـ - من منشورات جماعه المدرسين، قم المقدّسه.

- حرف الثاء -

٦٠. الثاقب فی المناقب: عماد الدين أبو جعفر محمد بن علی الطوسی، المعروف بابن حمزه، (ت ٥٦٠ هـ -) تحقیق: نبیل رضا علوان، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ -، منشورات مؤسسه أنصاریان، قم المقدّسه.

٦١. ثمرات الأعواد: السيد علی الحسيني الهاشمي النجفي، انتشارات المكتبة الحيدريه - النجف الأشرف، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ -.

- حرف الجيم -

٦٢. جامع السعادات: محمد مهدي النراقي، (ت ١٢٠٩ هـ -) تحقیق وتعليق: السيد محمد کلانتر، تقديم: الشیخ محمد رضا المظفر، الطبعة الرابعة، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.

٦٣. جامع الشتات: محمد إسماعيل بن الحسين المازندراني الخواجوي، (ت ١١٧٣ هـ)، تحقیق: السيد مهدي الرجائي، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ -، منشورات سلسله آثار المحقق الخواجوي.

٦٤. الجامع الصغير: جلال الدين السيوطى (ت ٩١١ هـ -) الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ -- ١٩٨١ م، منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.

٦٥. جوامع الجامع: الفضل بن الحسن الطبرسى (ت ٥٤٨ هـ -)، تحقيق ونشر: مؤسسه النشر الاسلامى

ص: ٤٠٥

التابعه لجماعه المدرسين بقم المشرفه، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

٦٦. جواهر الكلام: الشيخ محمد حسن النجفي (ت ١٢٦٦ هـ -)، تحقيق وتعليق: الشيخ عباس القوجاني، الطبعة الثانية ١٣٦٥ ش، منشورات دار الكتب الإسلامية - طهران.

٦٧. جواهر المطالب:، محمد بن أحمد الدمشقي الشافعي (ت ٨٧١ هـ -) تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ -، منشورات مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدّسه.

- حرف الحاء -

٦٨. حاشيه رد المختار: ابن عابدين (ت ١٢٥٢)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، سنه الطبع: ١٤١٥ هـ -- ١٩٩٥ م منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

٦٩. حاشيه رفيع الدين النائيني على أصول الكافي: رفيع الدين محمد بن حيدر النائيني (ت ١٠٨٢ هـ -) تحقيق: محمد حسين الدرايتي، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ -- ١٣٨٢ هـ - ش، منشورات دار الحديث للطباعة والنشر.

٧٠. الحدائق الناضرة: الشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦ هـ -)، منشورات مؤسسه النشر الإسلامي التابعه لجماعه المدرّسين، قم المقدّسه

٧١. الحديثه الهاليله: محمد بن الحسين العاملي المعروف بالشيخ البهائي، (ت ١٠٣٠ هـ)، تحقيق: السيد علي الخراساني، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ -، منشورات مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم المشرفه.

٧٢. حياه الحيوان الكبرى: كمال الدين، محمد بن موسى الدميري، (ت ١٤٠٥ م) الطبعة الأولى ٢٠٠٧ م، منشورات دار ومكتبه الهلال، بيروت - لبنان.

- حرف الخاء -

٧٣. الخرائج والجرائح: قُطب الدين الراوندي، (ت ٥٧٣ هـ -) تحقيق ونشر: مؤسسه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم المقدّسه.

٧٤. خصائص الأئمة: الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ -)، تحقيق: د. محمد هادي الأمين، نشر: مجمع البحوث الإسلامية في الإستانه الرضويه المقدسه - مشهد المقدسه، طبعه عام ١٤٠٦ هـ -.

٧٥. الخصال: الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ -)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر: جماعه المدرسين - قم المقدّسه، بدون تاريخ.

- حرف الدال -

٧٦. الدر المنثور فى التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطى (ت ٩١١ هـ -)، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٣٦٥ هـ -.

ص: ٤٠٤

٧٧. الدعوات: أبو الحسين، سعيد بن هبة الله المشهور ب - قطب الدين الراوندى (ت ٥٧٣ هـ -)، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ -، منشورات مدرسه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف - قم المقدسه.

٧٨. ديوان دعبل الخزاعي: دعبل بن علي الخزاعي (ت ٢٤٦ هـ -) الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ -- ١٩٩٧ م، مؤسسه الأعلمی، بيروت - لبنان.

٧٩. ديوان ميراث المنبر: الشيخ محمد سعيد المنصوري (ت ١٤٢٨ هـ -)، طبع ونشر: دار المنصوري، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ -.

- حرف الذال -

٨٠. الذريعة: الشيخ آقا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩ هـ -)، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، منشورات دار الأضواء بيروت - لبنان.

- حرف الراء -

٨١. روضه الواعظين: محمد بن الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨ هـ -)، تحقيق: السيد محمد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضى - قم.

٨٢. رياض المدح والرثاء: الشيخ حسين علي سلمان البلادي البحراني، انتشارات المكتبة الحيدريه، النجف الأشرف، الطبعة الرابعه ١٤٢٦ هـ -.

- حرف الزاء -

٨٣. زاد المسير: ابن الجوزي، (ت ٥٩٧ هـ -)، تحقيق محمد بن عبد الرحمن عبد الله، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ -، منشورات دار الفكر للطباعه والنشر والتوزيع.

٨٤. زبده البيان: أحمد بن محمد، الشهير بالمقدّس الأردبيلي، (ت ٩٩٣ هـ -)، حققه وعلّق عليه: محمد الباقر البهبودي، عنيت بنشره المكتبة المرتضويه لإحياء الآثار الجعفريه، طهران - ناصر خسرو.

٨٥. زهر الربيع: السيد نعمه الله الجزائري، المتوفى سنة ١١١٢ هـ -.

- حرف السين -

٨٦. سفينه البحار: الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩ هـ -)، مطبعه دار الأسوه، قم المقدسه، الطبعة الثانيه ١٤١٦ هـ -.

٨٧. السيره الحلبيه: الحلبي، (ت ١٠٤٤ هـ -)، سنة الطبع ١٤٠٠ هـ -، المطبعه بيروت، دار المعرفه منشورات دار المعرفه.

- حرف الشين -

٨٨. شجره طوبى: المحدث الجليل الشيخ محمد مهدي الحائري، منشورات المكتبة الحيدريه، الطبعه الخامسه ١٣٨٥ هـ -.

ص: ٤٠٧



٨٩. شرائع الاسلام: أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن، المشتهر ب - المحقق الحلبي، (ت ٦٧٦ هـ -) مع تعليقات السيد صادق الشيرازي، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ -، انتشارات استقلال، طهران - ناصر خسرو، ١٩٨٣ م - ١٤٠٣ هـ طبع بموافقه مؤسسه الوفاء، مؤسسه الوفاء، بيروت - لبنان.

٩٠. شرح أصول الكافي: المولى محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١ هـ -).

٩١. شرح الرضى على الكافية: رضى الدين الاسترآبادى (ت ٦٨٦ هـ -) تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات مؤسسه الصادق، طهران ١٣٩٥ هـ -- ١٩٧٥ م.

٩٢. شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العزّ الحنفي (ت ٧٩٢ هـ -)، الطبعة الرابعة ١٣٩١ هـ -، منشورات المكتب الإسلامى، بيروت - لبنان.

٩٣. شرح نهج البلاغه: ابن أبي الحديد المعتزلى (ت ٦٥٦ هـ -)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة منشورات المرعشى النجفى، نشر: دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ.

٩٤. الشفاء الروحى: عبد اللطيف البغدادي، معاصر.

٩٥. شواهد التنزيل: عبید الله بن أحمد، المعروف بالحاكم الحسكاني (ت القرن الخامس الهجرى)، تحقيق وتعليق: الشيخ محمد باقر المحمودى، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ -- ١٩٩٠ م، مؤسسه الطبع والنشر التابعه لوزاره الثقافه والإرشاد الإسلامى، مجمع إحياء الثقافه الإسلاميه، طهران - إيران.

- حرف الصاد -

٩٦. الصحاح: إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ -)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م، منشورات دار العلم للملايين، القاهره.

٩٧. الصحيفه السجادية: الإمام زين العابدين عليه السلام (ت ٩٤ هـ -) المطبعة والنشر جماعه المدرسين - قم المقدّسه.

٩٨. الصراط المستقيم: الشيخ زين الدين، أبو محمد على بن يونس العاملى النباطى البياضى، (ت ٨٧٧ هـ -)، صحّحه وحققه وعلّق عليه: محمد الباقى البهردى، عنيت بنشره المكتبه المرتضويه لإحياء الآثار الجعفرية، الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ -.

- حرف الطاء -

٩٩. الطريق إلى منبر الحسين: الخطيب المرحوم الشيخ عبد الوهاب الكاشى، انتشارات الشريف الرضى، قم المقدّسه، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ -.

- حرف العين -

١٠٠. علل الشرائع: الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ -)، المطبعة الحيدريه، النجف الأشرف، طبعه عام ١٣٨٦ هـ -.

ص: ٤٠٨

١٠١. علوم القرآن: السيد محمد باقر الحكيم (ت ١٤٢٤ هـ -)، منشورات مجمع الفكر الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ.

١٠٢. عمده الطالب: جمال الدين، أحمد بن علي المعروف بابن عنبه (ت ٨٢٨ هـ -) تحقيق: محمد حسن آل الطالقاني، الطبعة الثانية ١٣٨٠ هـ -- ١٩٦١ م، منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف.

١٠٣. عمده القارى: العينى، (ت ٨٥٥ هـ -) مطبعة ونشر دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان.

١٠٤. العهود المحمّديه: عبد الوهاب الشعرانى (ت ٩٧٣ هـ -)، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ. ١٩٧٣ م، شركة مكتبه ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، شريف محمود الحلبي وشركاه خلفاء.

١٠٥. عيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ -) تحقيق: الشيخ حسين الأعلّمى، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ -، منشورات مؤسسه الأعلّمى بيروت - لبنان.

١٠٦. عيون الحكم والمواعظ: على بن محمد الليثى الواسطى (ت القرن السادس)، تحقيق: حسين الحسنى البيرجندى، نشر دار الحديث، الطبعة الأولى ١٣٧٦ ش.

- حرف الغين -

١٠٧. غايه المرام: السيد هاشم البحرانى (ت ١١٠٧ هـ -) تحقيق: السيد عاشور.

١٠٨. الغدير: الشيخ عبد الحسين الأمينى (ت ١٣٩٢ هـ -) الطبعة الرابعه ١٣٩٧ هـ -- ١٩٧٧ م، منشورات دار الكتاب العربى، بيروت - لبنان.

- حرف الفاء -

١٠٩. فتح الأبواب: أبو القاسم، على بن موسى ابن طاووس الحسنى، (ت ٦٦٤ هـ -) تحقيق: حامد الخفّاف، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩، منشورات مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان.

١١٠. فتح البارى: ابن حجر، شهاب الدين العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ -) الطبعة الثانية، طباعه ونشر دار المعرفه، بيروت - لبنان.

١١١. فتح القدير: الشوكانى، (ت ١٢٥٥ هـ -) منشورات عالم الكتب.

١١٢. الفرج بعد الشده: للقاضى أبى على المحسن، ابن أبى القاسم التنوخى (ت ٣٨٤ هـ -)، منشورات الشريف الرضى، الطبعة الثانية.

١١٣. فقه الرضا: الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام، على بن بابويه القمى، (ت ٣٢٩ هـ -)، تحقيق مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم المشرفه، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ -، منشورات المؤتمر العالمى للإمام الرضا عليه السلام، مشهد

١١٤. فقه القرآن: قطب الدين، سعيد بن هبه الله الراوندى (ت ٥٧٣ هـ -) تحقيق: السيد أحمد الحسينى،

ص: ٤٠٩

الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ -، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدّسه.

١١٥. في رحاب التوبه: السيد محمد مجاهد، تحقيق: ناصر الباقرى البيدهندى، انتشارات زائر، الطبعة الأولى ١٣٧٧ ش.

١١٦. فيض القدير: محمد عبد الرؤوف المناوى (ت ١٣٣١ هـ -)، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ -.

- حرف القاف -

١١٧. القاموس المحيط: الفيروزآبادى (ت ٨١٧ هـ -) مجهوله.

١١٨. القرآن وإعجازه العلمى: اسماعيل إبراهيم، معاصر، منشورات دار الفكر العربى.

١١٩. قرب الإسناد: السيد الحميرى أبو العباس عبد الله البغدادي (ت ٣٠٠ هـ -)، تحقيق ونشر: مؤسسه آل البيت عليهم السلام، قم المقدّسه، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ -.

١٢٠. قصص الأنبياء: قطب الدين، سعيد بن هبه الله الراوندى (ت ٥٧٣ هـ -) تحقيق: غلام رضا عرفانيان، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ -  
- ١٣٧٦ ش، منشورات الهادى.

١٢١. قصص الأنبياء: السيد نعمه الله الجزائرى (ت ١١١٢ هـ -)، بدون تاريخ.

- حرف الكاف -

١٢٢. الكافى: الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ هـ -)، تحقيق: على أكبر الغفارى، دار الكتب الإسلاميه، الطبعة الثالثه  
١٣٨٨ هـ -.

١٢٣. كامل الزيارات: جعفر بن محمد بن قولويه، (ت ٣٦٧ هـ -)، تحقيق: الشيخ جواد القيومى الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ -، جماعه  
المدرسين، منشورات مؤسسه الفقاهاه.

١٢٤. الكامل فى التاريخ: أبو الحسن على بن أبى الكرم المعروف بابن الأثير الجزرى (ت ٦٣٠ هـ -)، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ -،  
دار الكتب العلميه، بيروت.

١٢٥. كتاب الصلاه: التنقيح فى شرح العروه الوثقى: تقريراً لبحث السيد أبى القاسم الموسوى الخوئى (١٤١٣ هـ -) بقلم الميرزا  
على الغروى التبريزى، الطبعة الثالثه ١٤١٠ هـ -، منشورات دار الهادى للمطبوعات قم.

١٢٦. كتاب العين: الفراهيدى، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ -) تحقيق: الدكتور مهدى المخزومى، الدكتور إبراهيم السامرائى،  
الطبعة الثانيه ١٤٠٩ هـ -، مؤسسه دار الهجره.

١٢٧. كتاب المكاسب: الشيخ مرتضى الأنصارى (ت ١٢٨١ هـ -)، إعداد لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ

– منشورات المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ الأنصاري.

ص: ٤١٠

١٢٨. الكشّاف: الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ -) سنة الطبع ١٣٨٥ هـ -- ١٩٦٦ م، منشورات شركه مكتبه ومطبعه مصطفى الباب الحلبي وأولاده بمصر.

١٢٩. كشف الغمه: الشيخ على بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت ٦٩٣ هـ -)، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ -، دار الأضواء، بيروت.

١٣٠. كمال الدين وتمام النعمه: الشّيخ الصّيدوق (ت ٣٨١ هـ -) تحقيق: على أكبر الغفاري منشورات مؤسسه النشر الإسلامي، جماعه المدرسين، قم المقدّسه.

١٣١. كنز العمال: علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندي، (ت ٩٧٥ هـ -)، تحقيق: الشيخ بكرى حياني والشيخ صفوه السفاء، مؤسسه الرساله ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م بيروت - شارع سوريا.

١٣٢. كنز الفوائد: المحدّث الخير العلامه أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي (ت ٤٤٩ هـ -)، الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ -، منشورات مكتبه المصطفوي، قم المقدّسه.

- حرف اللام -

١٣٣. لب الأثر في الجبر والقدر: محاضرات روح الله الموسوي الخميني (ت ١٤٠٩ هـ -)، تقرير: الشيخ جعفر السبحاني، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٣٧٧ هـ ش، منشورات مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام.

١٣٤. لسان العرب: ابن منظور (ت ٧١١ هـ -)، نشر أدب الحوزه قم - إيران، ١٤٠٥ هـ -.

١٣٥. اللهوف: السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ -) الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ -، منشورات أنوار الهدى، قم المقدّسه.

١٣٦. اللهوف على قتلى الطفوف: السيد ابن طاووس، المترجم: عبد الرحيم عفيفي بخشايشي، الطبعة الخامسة ١٣٧٨ ش، انتشارت دفتر نشر مؤيد إسلام، قم المقدّسه.

- حرف الميم -

١٣٧. مثير الأحزان: ابن نما الحلبي (ت ٦٤٥ هـ -)، المطبعة الحيدريه - النجف الأشرف، طبعه عام ١٣٥٩ هـ -.

١٣٨. مجمع البحرين: الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ -) تحقيق: السيد أحمد الحسيني، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ -، مكتبه نشر الثقافه الإسلاميه.

١٣٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ -)، دار الكتب العلميه، بيروت، طبعه عام ١٤٠٨ هـ -.

١٤٠. مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: الشيخ محمد الهنداوي، منشورات الشريف الرضي، بدون تاريخ.

١٤١. المحاسن: أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٤٧ هـ -) تحقيق وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني (المحدّث) الناشر:

دار الكتب الإسلاميه، طهران ١٣٧٠ هـ -

١٤٢. المحرر الوجيز: ابن عطيه الأندلسي (ت ٥٤٦ هـ -)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعه

ص: ٤١١



الأولى ١٤١٣ هـ -- ١٩٩٣ م، منشورات دار الكتب العلمية.

١٤٣. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (ت ٧٢١ هـ -)، تحقيق: أحمد شمس الدين، طبع ونشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ -.

١٤٤. مدينه المعاجز: السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧ هـ -) تحقيق: الشيخ عزه الله الهمداني، مؤسسه المعارف الإسلاميه، قم المقدسه، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ -.

١٤٥. المراقبات: الشيخ جواد الملكي التبريزي، (ت ١٣٤٣ ش)، مجهوله.

١٤٦. المزار، محمد المشهدى (ت ٦١٠ هـ -)، تحقيق: جواد القيومي، مطبعة مؤسسه النشر الإسلامى، انتشارات القيوم، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ -.

١٤٧. المستجاد من الإرشاد: جمال الحقّ والدين، حسن بن المطهر الحلّي، المشتهر بالعلامة الحلّي، (ت ٧٢٦ هـ -)، منشورات مكتب آيه الله العظمى المرعشى النجفى - قم.

١٤٨. مستدرک سفینه البحار: الشيخ على النمازى الشاهرودى، (ت ١٤٠٥ هـ -) تحقيق وتصحيح: نجل المؤلف الحاج الشيخ حسن بن على النمازى، مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرسين بقم المشرفه ١٤١٨ هـ -.

١٤٩. المستدرک على الصحيحين: الحاكم النيسابورى، (ت ٤٠٥ هـ -) تحقيق وإشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلى.

١٥٠. مستدرک وسائل الشيعه: الشيخ النورى الطبرسى (١٣٢٠ هـ -)، تحقيق ونشر مؤسسه آل البيت عليهم السلام، الطبعة الثانيه ١٤٠٨ هـ -.

١٥١. مُسكن الفؤاد: الشهيد الثانى زين الدين الجبعى العاملى (ت ٩٦٦ هـ -)، نشر مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم المقدسه، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ -.

١٥٢. مسند أحمد: أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ -) دار صادر، بيروت - لبنان.

١٥٣. مشكاه الأنوار: أبو الفضل على الطبرسى (ت القرن السابع)، المطبعة الحيدريه - النجف الأشرف، الطبعة الثانيه ١٣٨٥ هـ -.

١٥٤. مصباح المتهدد: الشيخ الطوسى (ت ٤٦٠ هـ -) الطبعة الأولى ١٤١١ هـ -- ١٩٩١ م، منشورات مؤسسه فقه الشيعه، بيروت - لبنان.

١٥٥. المصباح: الشيخ تقى الدين إبراهيم بن على الحسن بن محمد بن صالح العاملى الكفعمى، (ت ٩٠٥ هـ -)، الطبعة الثالثه ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، منشورات مؤسسه الأعلمى للمطبوعات بيروت - لبنان.

١٥٦. معانى القرآن: أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ -)، تحقيق: الشيخ محمد على الصابوني، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ -- ١٩٨٨ م.

ص: ٤١٢

١٥٧. المعتر: نجم الدين، أبو القاسم جعفر بن الحسن، المحقق الحلي (ت ٦٧٦ هـ -)، حَقَّقَهُ وصَحَّحَهُ عدّه من الأفاضل، مؤسسه سيد الشهداء ١٣٦٤ ش.

١٥٨. المعجم الأوسط: الحافظ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ -) تحقيق ونشر قسم التحقيق بدار الحرمين ١٤١٥ هـ -- ١٩٩٥ م.

١٥٩. معجم الشعراء: كامل سلمان الجبوري، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ -.

١٦٠. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ -) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤ هـ -.

١٦١. مغنى اللبيب: ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ -) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٤٠٤ هـ -، قم المقدّسه.

١٦٢. مفردات غريب القرآن: الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ -)، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ -، منشورات دفتر نشر الكتاب.

١٦٣. مقاتل الطالبين: أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ -)، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ -- ١٩٦٥ م، منشورات المكتبة الحيدريه ومطبعتها، النجف الأشرف.

١٦٤. مقتل الحسين (أبو مخنف): لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي الغامدي (ت ١٥٧ هـ -)، تحقيق: الميرزا حسن الغفاري، المطبعة العلمية، انتشارات المرعشي النجفي، طبعه عام ١٣٩٨ هـ -، قم المقدّسه.

١٦٥. المقنعه: الشيخ المفيد، محمد بن النعمان البغدادي العكبري (ت ٤١٣ هـ -)، الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ -، مؤسسه النشر الإسلامي، جماعه المدرسين، قم المقدّسه.

١٦٦. مكارم الأخلاق: الطبرسي الحسن بن الفضل بن حسن، من أعلام القرن السادس الهجري (ت ٥٤٨ هـ -)، منشورات الشريف الرضي - قم المقدّسه، الطبعة السادسة ١٣٩٢ هـ -.

١٦٧. مكيال المكارم: ميرزا محمد تقي الموسوي الأصفهاني، أبو عبد الله (ت ١٣٤٨)، تحقيق: السيد علي عاشور، منشورات مؤسسه الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، بيروت - لبنان

١٦٨. من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام: عبد العظيم المهتدي البحراني، معاصر، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ -- ٢٠٠٠ م، انتشارات الشريف الرضي، قم - إيران.

١٦٩. مَنْ لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ -) تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، منشورات مؤسسه جماعه

١٧٠. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ -)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف،

ص: ٤١٣

المطبعة الحيدريه - النجف الأشرف، طبعه عام ١٣٧٦ هـ - .

١٧١. منه المرید: الشيخ زين الدين بن علي العاملي، المعروف بالشهيد الثاني (٩١١ هـ -- ٩٦٥ هـ) تحقيق: رضا المختاري، الطبعة الأولى ١٤٠٩-١٣٦٨ ش، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي.

١٧٢. ميزان الحكمة: الشيخ محمد الرى شهرى، نشر دار الحديث، الطبعة الأولى.

١٧٣. الميزان فى تفسير القرآن: العلامة محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ -)، مؤسسه النشر التابعه لجماعه المدرسين بقم المقدسه.

- حرف النون -

١٧٤. النهايه: شيخ الطائفه أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسى (ت ٤٦٠ هـ -)، انتشارات قدس محمدي، قم المقدسه.

١٧٥. نهج الإيمان: ابن جبر، زين الدين، علي بن يوسف بن جبر من أعلام القرن السابع الهجرى، تحقيق: السيد أحمد الحسينى، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ -، منشورات مجمع الإمام الهادى عليه السلام مشهد المقدسه.

١٧٦. نهج البلاغه: خطب الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام (ت ٤٠ هـ -)، تحقيق: الشيخ محمد عبده، دار المعرفه.

- حرف الواو -

١٧٧. وسائل الشيعة: الحر العاملي، (ت ١١٠٤ هـ -) تحقيق ونشر مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانيه ١٤١٤ هـ -، المطبعة مهر - قم.

١٧٨. وفيات الأعيان: ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ -)، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافه، لبنان.

ص: ٤١٤

سرشناسه: بهادلى، احمد كاظم

عنوان و نام پديد آور: معين الخطباء: محاضرات فى العقيدة والاخلاق / تاليف كاظم البهادلى

مشخصات نشر: كربلاى معلى - عراق

ناشر: العتبه الحسينيه المقدسه، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ١٤٣٥

مشخصات ظاهري: ٣: ج

يادداشت: عربى.

يادداشت: كتابنامه.

عنوان ديگر: محاضرات فى العقيدة والاخلاق.

موضوع: خاندان نبوت -- فضائل

موضوع: Muhammad, Prophet, d. ٦٣٢ -- Family -- Virtues

موضوع: چهارده معصوم -- فضائل -- مقاله ها و خطابه ها

موضوع: Fourteen Innocents of Shiite -- Virtues -- \*Addresses, essays, lectures

شناسه افزوده: مركز الدراسات التخصصية فى النهضة الحسينية. قسم الشؤون الفكرية فى العتبه الحسينيه المقدسه

ص: ١



بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٣



معين الخطباء: محاضرات في العقيدة والاخلاق

ص: ٤

تالیف کاظم البہادلی

ص: ۵

## هويه الكتاب

٢٠١٤ م - ١٤٣٥ هـ

الطبعة الأولى

تأليف: الشيخ كاظم البهادلى

الإخراج والمتابعه الفنيه

على حسين مطر

الجزء الثالث

ص: ٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أكرمنا بسيد أنبيائه وأشرف أصفائه، محمد والنجباء من عترته وأوصيائه، حجج الله فى أرضه وسمائه، صلوات الله عليه وعليهم ما استنارت بحبهم قلوب أحبائه، وانشرحت بولائهم صدور أوليائه.

وبعد، هذا هو الجز الثالث من كتابى (معين الخطباء).

ص:٧







قال الله عز وجل: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) ١ .

إن الغاية من خلق السماوات والأرض، والعرش والكرسى، وجميع المخلوقات هي المعرفة والعبادة، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) ٢ ، والآيات في هذا المجال بالإضافة إلى الروايات عديده، وهي خير دليل على عدم العبثية في الخلق، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ) ٣ ، وقال عز وجل: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) ٤ .

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدارٍ، فاستبدلوا؛ فإن الله سبحانه لم يخلقكم عبثًا، ولم يترككم سُدىً» (١).

«العَبَثُ بالتحريك: اللعب، يُقَالُ: عَبَثَ يَعْبَثُ - من باب (علم) عبثًا بالتحريك -: لعب وعمل ما لا فائده فيه، كَمَنْ يَنْزِفُ الْمَاءَ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ عَابَثَ» (٢).

فهل من الممكن أن نُصدِّق، بأن هدف الله تبارك وتعالى من خلقه هذا الخلق، بما فيه الإنسان الذي هو أكمل المخلوقات على الإطلاق، هل نُصدِّق بأنه خُلِقَ لأجل أن يقضى عددًا من السنين وحسب، ويمرَّ بكلِّ مراحل الحياه ومضايقاتها وأتاعبها ومشاقها وابتلائتها المرّه، وليأكل مقداراً من الطعام ويشرب مقداراً من الشراب، ويلبس وينام ثم يموت، وينتهي كلُّ شيء؟!!

أليس هذا هو العبث بعينه، والذي هو خلاف حكمه الحكيم الصانع عز وجل؟!!

ص: ١١

١- (٥) نهج البلاغه: ج ١، ص ١١٠، عنه بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٣١٤، ح ١٥.

٢- (٦) مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٠٥.



أفهل نُصدّق بأنّ هذه المجرّات والكواكب المدهشه للبشر كلّها مخلوقه لأجل غايات الإنسان الدنيئه هذه؟!

الجواب: كلا وألف كلا، إنّ خلقه هذا الخلق بجميع شراشره إنّما هو مقدّمه لعالم أوسع من عالمنا هذا، وهذا العالم هو الذى يمتاز بالدوام الخالد، وهو الذى يُعطى لحياتنا هذه معناها اللائق بها؛ كى لا تكون هي الغايه القصوى من الخلق، ويخلص هذه الدنيا من إشكال التفاهه وعدم الهدفيه(١).

والملفت للنظر أنّ فطره البشر وعقولهم تستنكر العبيئه، لذا تبهت الآيه الشريفه إلى ذلك بهذا الإستفهام الإستنكارى والبيان البديع، ومن هنا قال بعض العلماء: «... فإنّه يدلّ على أنّ العبث قبيح، وقبحه مستقرّ فى العقول، ولذا أنكر عليهم إنكار منبه ليرجعوا إلى عقولهم، ومثله قوله تعالى: (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) ، ونحوه قوله تعالى: (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) ، وهذا أيضاً يدل على أن قبح ذلك مرتكز فى العقول»(٢).

فالخلاصه: أنّ الله سبحانه وتعالى لم يخلق هذا الخلق عبثاً؛ وإلا لما تميّز المطيع عن العاصى، والصدّيق من الزنديق، والصالح من الطالح.

قال بعض أعلام الطائفه: «فلو كان الإنسان مخلوقاً للحياه الحيوانيه فقط لكان إعطاؤه العقل الذى لا يقنّع إلا بإدراك أسرار الوجود لغواً، وخلق على الفطره التى لا تطمئن دون آيه مرتبه من الكمال حتى يصل إلى مبدأ الكمال الذى ليس له حد عبثاً. فالحكمه الإلهيه توجب أن لا تُختّم حياه الإنسان بالحياه الماديه والحيوانيه، بل تتواصل؛

ص: ١٢

١- (١) انظر: تفسير الأمثال: ج ١٠، ص ٥٣٢.

٢- (٢) بدايه المعارف الإلهيه: ج ١، ص ١٢٣.

لتحقيق الهدف الذى خلقت قوى عقله وروحه من أجله»(١).

ولو رجعنا للآية محل البحث، وجدنا أن أسلوبها أسلوب الإستفهام الاستنكارى، وليس سؤالاً فحسب، بل هو توبيخ عظيم للإنسان الذى يؤتى به يوم القيامة، وهو يحمل أوزاراً على ظهره، فيقول له البارى عز وجل: أحسبت أن الأمر انتهى فى الحياه الدنيا، ولا- رجوع إلى عالم آخر تحاسب فيه عن كل صغيره وكبيره، وكل عمل عملته لم يكن من ورائه إلا ضرر البشرى، بل الخلق جميعه، وإن تدعى الجهل فستحاسب حتى عن جهلك.

قال بعض الأكابر: «رذاله الجاهل، وعدم اعتباره، وسفاله حاله، مما دل عليه كثير من الآيات الكريمه، والروايات الصحيحه، وسر ذلك: أن المقصود من خلق الإنسان ليس ذاته من حيث هو، بل العلم بالأسرار الإلهيه، والأحكام الربانيه، وتنوير القلب بالإشراقات اللاهوتيه، والمكاشفات الملكوتيه، ثم سلوك طريق العمل بنور الهدايه، والاجتناب عن سبيل الضلاله والغوايه، والجاهل بمعزل عن هذا المرام، وبعيد عن هذا المقام، وفى كلام الحكماء المتقدمين والمتأخرين أيضاً دلالة على أن الشرف والتقدم للعالم.

قال افلاطون: المستحقون للتقديم هم العارفون بالنواميس الإلهيه، وأصحاب القوى العظيمه الفائقه.

وقال أرسطاطاليس: المستحقون للتقديم هم الذين عنايه الله بهم أكثر.

وقال المحقق الطوسى: كل اثنين بينهما اشتراك فى علم واحد، وأحدهما أكمل فيه من الآخر فهو رئيس له، ومقدم عليه، وينبغى للآخر الإطاعه والانقياد له؛ ليتوجه إلى كمال لائق به، وهكذا يتدرجون إلى أن ينتهوا إلى شخص هو المطاع المطلق، ومقتدى الأمم كلهم بالإستحقاق والملك على الإطلاق، ولا- نعى بالملك فى هذا المقام من له خيل وحشم، وتصرف فى البلاد، واستيلاء على العباد، بل نعى أنه المستحق للملك فى الحقيقه،

ص: ١٣

١- (١) منهاج الصالحين (مقدمه فى أصول الدين): ص ١٣٠.

وإن لم يلتفت إليه أحد بحسب الظاهر، وإذا تقدّم عليه غيره كان غاصباً جائراً، ويوجب ذلك فشو الجور في العالم وفساد نظامه»(١).

ثمّ قالت الآية: (وَ أَنْتُمْ إِلَيْنَا لآ تَرْجَعُونَ) ، والمقصود من الرجوع إليه عزّ وجلّ: هو الوقوف بين يديه حيث لا مالِك ولا حاكم سواه عزّ اسمه.

والمعنى الإجمالي للآية : «أنه لو لم يكن رجوع بعد هذه الدنيا إلى الله، فإنّ الحياه في هذه الدنيا ليست سوى عبث في عبث. نعم، فإنّ الحياه في هذه الدنيا تجد معناها، ويكون لها مفهومٌ ينسجم مع حكمه الله سبحانه وتعالى عندما تعتبر: (الدنيا مزرعه للآخرة)، و (الدنيا قنطره) ومكان تعلّم، وجامعه للاستعداد للعالم الآخر، ومتجر لذلك العالم، تماماً كما يقول أمير المؤمنين على عليه السلام في كلماته العميقه المعنى: إنّ الدنيا دار صدق لمن صدّقها، ودار عاقبه لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزوّد منها، ودار موعظه لمن اتّعظ بها، مسجد أحبباء الله، ومصلى ملائكه الله، ومهبط وحى الله، ومتجر أولياء الله.

خلاصه القول: إنّ الفحص والمطالعه في وضع هذا العالم يؤدّي إلى الاعتقاد بعالم آخر وراء هذا العالم، ولقد علمتم النشأ الأولى فلو لا تذكرون»(٢).

المعنى الأول لفهم الدنيا

ليس المراد من عدم اعتبار الدنيا هي الهدف من الخلق، أن تترك أبدأً، بل المقصود هو الإشاره إلى كيفيته استثمار هذه الحياه؛ لتكون ممراً إلى ذلك المقرّر، فإنّ الحياه الدنيا والنشأ فيها لم تكن مذمومه، ولا ينبغي معاداتها، وإنّما المذموم هو الاعتماد الكلى على الدنيا، مع طول الأمل ونسيان الموت، فيؤخر الأعمال الصالحه لذلك، وبه يكون قد سوّف التوبه،

ص: ١٤

١- (١) شرح أصول الكافي: ج ٢، ص ٢٠٦.

٢- (٢) تفسير الأمثل: ج ١٤، ص ٢٦٦.

وعمل كل قبيح، أو جمع الأموال الطائله، وبنى القصور الرفيعه، ووفّر سائر الأمور الكماليه، معتمداً على هذا العمر الفانى بتسويات الشيطان، فتحصل الغفله عما ينفع فى الآخره، ويفنى عمره فى تحصيل الاعتبار الفانيه، ويكره الموت حينئذٍ لتعلقه بالأموال والأولاد، وسائر ما يملكه، ويريد البقاء فى الدنيا للتمتع بهذه الأسباب، كما روى هذا المعنى عن أبى عبد الله عليه السلام قال: «جاء رجل إلى أبى ذر فقال: يا أبا ذر ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عمّرتم الدنيا وأخرتكم الآخره فتكروهون أن تُنقلوا من عُمران إلى خراب، فقال له: فكيف ترى قدومنا على الله؟ فقال: أمّا المُحسن منكم، فكالغائب يقدم على أهله، وأمّا المسىء منكم، فكالآبق يرد على مولاه، قال: فكيف ترى حالنا عند الله؟ قال: اعرضوا أعمالكم على الكتاب، إن الله يقول: (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ \* وَإِنَّ الْفُجُورَ لَفِي جَحِيمٍ) ، قال: فقال الرجل: فأين رحمه الله؟ قال: رحمه الله قريبٌ من المُحسنين، قال: أبو عبد الله عليه السلام: وكتب رجل إلى أبى ذر - رضى الله عنه - يا أبا ذر أظرفنى بشيءٍ من العلم، فكتب إليه: العلم كثير، ولكن إن قدرت أن لا- تسيء إلى من تحبه، فافعل. قال: فقال له الرجل: وهل رأيت أحداً يُسيء إلى من يحبه؟ فقال له: نعم، نفسك أحب الأنفس إليك، فإذا أنت عصيت الله فقد أسأت إليها» (١)، أو أنه يأبى التضحية فى سبيل الله حُباً فى الحياه، ومن ذلك فقد يترك المرء الطاعات والعبادات؛ خوفاً من ضعف قواه وأعضائه وجوارحه، فالحياه لإجل هذه الأمور هى الدنيا المذمومه الموجه للشقاء، وليس أصل هذه النشأه، بل إن هذه النشأه إذا استُفيد منها بالطريقه المطلوبه والتي رسمتها لنا السماء أمكن بها تحصيل السعاده الأبدية، مُضافاً إلى أن جميع المعارف والعبادات، والعلوم والكمالات والخيرات تحصل فى هذه الحياه، وإداره الحياه بتحصيل هذه الأمور وطلبها من الله حسن؛ فلذا يقول الإمام سيّد الساجدين عليه السلام: «... وعمّرني ما كان عمري بذله فى طاعتك، فإذا كان عمري مرتعاً

ص: ١٥

للشيطان، فاقبضنى إليك قبل أن يسبق مقتك إليّ، أو يستحکم غضبك عليّ» (١)، بل ورد النهى عن ذم الدنيا، فقد روى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سمع رجلاً يذم الدنيا، فقال له: «أيها الذام للدنيا، المغترّ بغرورها، المخدوع بأباطيلها، أتغترّ بالدنيا ثمّ تدمّها؟!» (٢).

يعنى أنّ الإنسان هو نفسه يمكن أن يستثمر الدنيا لأجل الآخرة، ويمكن أن لا يفعل ذلك: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) ٣، فلا يسيء الاستفادة منها، ثمّ بعد ذلك يلقي اللوم عليها، ويقول: الدنيا مذمومه.

فإنّ الدنيا دار صدق لمن صدّقها، ودار عافيه لمن فهم معناها، ودار غنى لمن تزوّد منها، ودار موعظه لمن اتّعظ بها، كما تقدّم هذا المضمون وورد كذلك فى بعض الروايات الشريفه الأخرى (٣).

### المعنى الثانى لفهم الدنيا

البعض من الناس فهم الدنيا بمعنى ثانٍ، وحصّرها بالدينار والدرهم، والأثاث والأموال، وليس كلّها من الدنيا، بل إنّ الدنيا منها ما سبّب الغفله عن الله تعالى، وارتكاب المحارم لتحصيلها، والحبّ الشديد لها بحيث لا ينفقها فى سبيل الله، ولا يخرج حقوق الله تعالى منها.

والدنيا لمن أراد بها تحصيل الآخرة من أحسن الأشياء، كما مدح الله تعالى جمعاً كثيراً فى القرآن بإنفاق أموالهم فى سبيل الله، وشراء الجنة بها، فهى سبب لتحصيل السعاده الأخرويه، ولم تكن مذمومه، بل إنّ المذموم حُبها وترك الآخرة لأجلها، قال تعالى:

ص: ١٦

١- (١) الصحيفه السجّاديه: ص ١٠١، دعاء مكارم الأخلاق.

٢- (٢) نهج البلاغه: ج ٤، ص ٣١، خطبه ١٣١.

٣- (٤) انظر: نهج البلاغه: ج ٤، ص ٣٢. تحف العقول: ص ١٨٦. خصائص الأئمّه: ص ١٠٢.

(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) ١ .

وروى عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «نِعَمَ الْعَوْنُ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ الْغَنَى» (١)، وورد أيضاً عن حفيده الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «نِعَمَ الْعَوْنُ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ» (٢).

ولقد أجاد مَنْ قال:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل (٣)

المعنى الثالث لفهم الدنيا

هناك مجموعة من الناس تفهم الدنيا على أنها تمتع باللذات، ومعاشره الناس، وتوفير الأمور الثمينه، والملابس الفاخره وحسب. وهذا بالواقع يرجعنا إلى الآيه المباركه؛ إذ الدنيا حينئذ تكون عبثيه؛ لأنها دار يمكث فيها الإنسان مدّه معيّنه ولا يكون متروكاً دون ضوابط وقوانين تحكمه، وهى الدين، فيكون الدين هو الذى يجب أتباعه من فعل الواجبات، مثل: الصلاه والصوم والحجّ والجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وترك المحرّمات، مثل: القتل والزنا والسرقه والكذب، فيكون الإنسان فى هذه الدنيا عاملاً بلا حساب، أى، مكلفاً بالفعل الواجب وتاركاً للعمل المحرّم.

فالإنسان المؤمن من آمن بالله والرسول وما أنزل عليه، فلكى يكون عمله كاملاً فى الدنيا يجب الإطاعه، والإيمان بكلّ ما أنزل على الرسول، وإذا تخلف عن ذلك عصى

ص: ١٧

١- (٢) الكافى: ج ٥، ص ٧١، ح ١.

٢- (٣) المصدر نفسه: ج ٥، ص ٧٢، ح ٨.

٣- (٤) لم أعثر على قائله. انظر: خاتمه المستدرک: ج ٢، ص ٧٢. أعيان الشيعه: ج ٤، ص ١٣٧. أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ١٩٩.

وأفسد في الأرض، وحينئذ يكون مستحقاً للعقاب، هذا من ناحيه، ومن ناحيه أخرى يجب على الإنسان أن يعمل في الدنيا؛ فإنَّ الدنيا ساعه، عليه أن يجعلها طاعه، وأن يتفكر بها، وبما هو صائر إليه، فعن الحسن الصيقل، قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عمَّا يروى الناس: أن تفكر ساعه خير من قيام ليله. قلت: كيف يتفكر؟ قال عليه السلام: «يمرُّ بالخربه أو بالدار، فيقول: أين ساكنوك أين بانوك، ما بالك لا تتكلمين» (١).

ويتفكر أيضاً بما هو صائر إليه من حفرة صغيره، إما أن تكون روضه من رياض الجنه، أو حفرة من حفر النيران، وسوف يسأل عن كل ما قدمه. ورؤي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - وهو يمرّ على مقبره - أنه قال: «السَّلامُ عليكم يا أهل القبور أنتم لنا سلف، ونحن لكم خلف، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أما المساكن فسئكت، وأما الأزواج فنكحت، وأما الأموال فقسيمت، هذا خبر ما عندنا، فليت شعري ما خبر ما عندكم. ثم قال: أما إنهم إن نطقوا لقالوا: وجدنا التقوى خير زاد» (٢).

وأما الآخرة فهي دار مقرّ، ولا يوجد فيها تكاليف، وإنما هي دار جزاء تكون للذين آمنوا وعملوا الصالحات، للذين أنشؤا بالله، للذين لم يستكبروا في الأرض، ولم يفسدوا. فإذا عرفنا أن خلقنا نحن بنى البشر لم يكن عبثاً، بل لأجل الاختبار والابتلاء، كما قال تعالى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) ٣، فتعال معي لنعرف ما هو الواجب علينا، وما هو المحرّم، حتّى نأتى بالواجب وندع المحرّم، فنكون قد حصلنا على رضا الله تبارك وتعالى، الذي منتهاه الخلود في الجنه، التي أعدها الله عزّ وجلّ للمتقين.

وإذا جاء بما أمر الله تبارك وتعالى به، وانتهى عمّا نهاه عنه فسوف يحبّ

ص: ١٨

---

١- (١) الكافي: ج ٢، ص ٥٤، ح ٢. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ١٩٦، ح ٢.  
٢- (٢) بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٧١، ح ٣٥.

لقاء الله؛ لأنَّ لقاء الله معناه الانتهاء من هذه الدنيا وشهواتها واختبارتها، والانتقال إلى دار ليس فيها إلا ما تشتهيهِ الأنفس وتلذُّ الأعين، وتطيب برؤيته القلوب، وتخضع له الجوانح والجوارح؛ لذا روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لَمَّا أَرَادَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبْضَ رُوحِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَهْبَطَ إِلَيْهِ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمَ. قَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا مَلَكُ الْمَوْتِ، أَدَاعَ أَمْ نَاعَ؟ قَالَ: بَلِ دَاعٍ يَا إِبْرَاهِيمَ، فَأَجَبَ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَهَلْ رَأَيْتَ خَلِيلًا يُمَيِّتُ خَلِيلَهُ؟ قَالَ: فَرَجَعَ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، فَقَالَ: إِلَهِي قَدْ سَمِعْتَ مَا قَالَ خَلِيلُكَ إِبْرَاهِيمَ. فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: يَا مَلَكُ الْمَوْتِ، أَذْهَبَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ حَبِيبًا يَكْرَهُ لِقَاءَ حَبِيبِهِ؟ إِنَّ الْحَبِيبَ يُحِبُّ لِقَاءَ حَبِيبِهِ» (١)

وهكذا هو الحال في سيد الشهداء عليه السلام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فقد عبّر عن هذا المعنى تعبيراً عملياً، فهو الذي ترك كل شيء من أجل خالق الأشياء.

تَرَكَتُ الْخَلْقَ طُرّاً فِي هَوَاكَ وَأَيْتَمْتُ الْعِيَالَ لَكَ يَا أَرَاكَ

وَلَوْ قَطَعْتَنِي بِالْحُبِّ إِرْباً لَمَا مَالَ الْفَوَؤَادُ إِلَى سِوَاكَ (٢)

\*\*\*

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

ص: ١٩

١- (١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٢٦٤، ح ٢.

٢- (٢) ليله عاشوراء في الحديث والأدب: ص ١١٦.









من وصيّه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذرّائه قال: «يا أبا ذر، الدنيا سجنُ المؤمن، وجنّة الكافر، وما أصبح فيها مؤمناً إلّا حزيناً» (١).

«قد بين الله تعالى لعباده طرقَ الفوز، ودلّهم على ما يرضيه من الأعمال التي تعود عليهم أنفسهم بالصلاح، بما أنزله من الشرائع الإلهية على لسان أنبيائه الكرام (عليهم الصلاة والسلام) الذين أقام بهم الحجّة على العباد، فصدعوا بأمره، وزجروا عن معصيته، فأنزل الله على كلِّ رسول ذى شريعته كتاباً بلسان قومه؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وليسمعوا كلامَ ربّهم، ويعرفوا أحكامه.

والرسول هو الزعيم بتفصيل ما أُجمل في الكتاب، وتبيان ما أبهم منه، فكان من ذلك الكتاب، وكان من ذلك السنّة النبوية، اللذان هما أول الأدلّة عند علماء أصول الفقه، ثمّ علّم الأنبياء أوصياءهم وأمناءهم وخواصّ أصحابهم ما إليه يرجعون، وبه يهتدون، من معاني كتاب ربّهم، وسنّه نبّهم؛ ليكونوا بعده مناراً به يُهتدى، ونبراساً بنوره يُستضاء، إذا ادلّهمْ ليلُ الجهالة، وأدجن ظلامُ الأهواء؛ لئلا تذهب بالأئمة مذاهبُ الأهواء، فتصرف موارد الشريعة عن مجراها، ويتأولون أحكام الله على ما يريدون لا على ما يريد الله، ميلاً مع الشهوات، وجرياً مع الأهواء المضلّة ويتكلّمون بالرأى في القرآن بلا سند إليه يستندون، ولا استمساك بكلام الراسخين في العلم إليه» (٢).

ومن هؤلاء العظام الذين حملوا هذا النبراس، الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري رحمه الله، الذي نقل لنا هذه الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ٢٣

١- (١) أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ١٩٢. بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٧٨.

٢- (٢) تفسير مجمع البيان: ج ١، ص ١٩٠.

لم يخلق الله تبارك وتعالى الدنيا لراحة المؤمنين، بل تصل إليهم الأحزان والبلايا بحسب مراتبهم وإيمانهم، ويكفي لتحقيق هذا الأمر النظر في أحوال الأنبياء والأوصياء ورسول الله وأهل بيته عليهم السلام، وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ما أُوذِيَ نبيٌّ مثلما أُوذيتُ»<sup>(١)</sup>.

وقد ثبت بحسب التجربة، إنَّ ما من شيءٍ أكثر إصلاحاً للنفس من البلايا والمصائب الموجبتين للزهد في الدنيا، والتوجُّه نحو الله تعالى، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ عظيمَ البلاء يكافأ به عظيمَ الجزاء، فإذا أحبَّ الله عبداً ابتلاه بعظيم البلاء، فمن رضى فله عند الله الرضا، ومن سخط البلاء فله عند الله السخط»<sup>(٢)</sup>.

وسأل عبد الله بن بكير أبا عبد الله الصادق عليه السلام: «أَيُّبَتلى المؤمنُ بالجذام والبرص وأشباه هذا؟ قال: فقال: وهل كُتِبَ البلاءُ إلا على المؤمن»<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو عبد الله عليه السلام في حديثٍ آخر: «إنَّ في كتاب على عليه السلام إنَّ أشدَّ الناس بلاءً النبيون، ثمَّ الوصيون، ثمَّ الأمثل فالأمثل، وإنَّما يُبَتلى المؤمن على قدر أعماله الحسنه، فمن صحَّ دينه وحسن عمله اشتدَّ بلاؤه»<sup>(٤)</sup>.

وعن محمد بن قيس قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «ملكان هبطا من السماء فالتقيا في الهواء، فقال أحدهما لصاحبه: فيما هبطت؟ قال: بعثنى الله عزَّ وجلَّ إلى بحر آيل أحشر سمكه إلى جبار من الجبابره اشتهى عليه سمكه في ذلك البحر، فأمرني ان أحشر إلى الصياد

١- (١) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٤٢. كشف الغمّه: ج ٣، ص ٣٤٦. بحار الأنوار: ج ٣٩، ص ٥٦.

٢- (٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٥٣، ح ٨. كتاب التمهيص: ص ٣٣، ح ٢٠. الخصال: ص ١٨، ح ٦٤.

٣- (٣) قرب الإسناد: ص ١٧٤، ح ٦٣٨. الكافي: ج ٢، ص ٢٥٨، ح ٢٧، عنه بحار الأنوار: ج ٦٤، ص ٢٢١، ح ٢٧.

٤- (٤) الكافي: ج ٢، ص ٢٥٩، ح ٢٩. علل الشرائع: ج ١، ص ٤٤، ح ١، عنه تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ١٤٣، ح ٤٤٧.

سمكه البحر حتى يأخذها له؛ ليلبغ الله عز وجل الكافر غايه مناه في كفره. قال الآخر لصاحبه: ففيمَا بُعثت أنت؟ قال: بعثنى الله عز وجل في أعجب من الذى بعثك فيه، بعثنى إلى عبده المؤمن الصائم القائم المعروف دعائه وصومه في السماء؛ لأكفى قدره التى طبخها لافطاره؛ ليلبغ الله في المؤمن من الغايه في اختبار إيمانه» (١).

وروى عن محمد بن عجلان أنه قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فشكا إليه رجل الحاجه، فقال له: اصبر فإن الله سيجعل لك فرجاً.

قال: ثم سكت ساعه، ثم أقبل على الرجل فقال: أخبرنى عن سجن الكوفه كيف هو؟ فقال: أصلحك الله ضيق، مُنتن وأهله بأسوأ حالٍ. قال: فإنما أنت في السجن، فتريد أن تكون فيه في سعه، أما علمت أن الدنيا سجن المؤمن» (٢).

ومع قطع النظر عن هذه البلايا والمحن، لو كان المؤمن في الرفاه والنعمة، فإن الدنيا سجنه؛ لأنه بالنسبه إلى نعم الآخرة، والمنازل التى أعدّها الله له في الآخرة، لو أعطى جميع الدنيا لكانت سجنًا بالنسبه له، وإن الكافر لو ابتلى في الدنيا بأنواع البلايا، لكانت الدنيا جنّه بالنسبه إلى عذاب الآخرة.

روى أن الإمام الحسن بن على عليهما السلام يسير، وهو على بغله فارهه: «فعرض له في طريقه من محاويج اليهود، همّ في هدم قد أنهكته العله، وارتكبتة الذله، وأهلكته القله، وجلده يستر عظامه، وضعفه يُقيد أقدامه، وضربه قد ملك زمامه، وسوء حاله قد حبت إليه حمامه، وشمس الظهيره تشوى شواه، وأخمصه تصافح ثرى ممشاه، وعذاب عرعر به (٣) قد عراه، وطول طواه قد أضعف بطنه وطواه، وهو حامل جر مملو على مطاه، وحاله تضعف

ص: ٢٥

- 
- ١- (١) علل الشرائع: ج ٢، ص ٤٦٥، ح ١٦، عنه بحار الأنوار: ج ٦٤، ص ٢٢٩، ح ٤٠.
  - ٢- (٢) كتاب المؤمن: ص ٢٦، ح ٤٣. الكافي: ج ٢، ص ٢٥٠، ح ٦. مشكاة الأنوار: ص ٤٧١. بحار الأنوار: ج ٦٥، ص ٢١٩ - ص ٢٢٠، ح ٩، عن الكافي.
  - ٣- (٣) عرعر به: نزل به، انظر: لسان العرب: ج ٤، ص ٥٦١.

عليه القلوب القاسية عند مرآه، فاستوقف الحسن عليه السلام وقال: يا بن رسول الله أنصفني. فقال عليه السلام: في أى شىء؟ قال: جدُّك يقول: الدنيا سجن المؤمن وجنَّه الكافر، وأنت مؤمن وأنا كافر، فما أرى الدنيا إلا جنه لك، تتنعم فيها وتستلذ بها، وما أراها إلا سجناً لى قد أهلكنى ضرّها، وأتلفنى فقرها. فلما سمع الحسن عليه السلام كلامه أشرق عليه نور التأييد، فاستخرج الجواب الحق بفهمه من خزانه علمه، وأوضح لليهودى خطأ ظنه، وخطل زعمه، وقال: يا شيخ، لو نظرت إلى ما أعدَّ الله تعالى للمؤمنين، الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع، من نعيم الجنان والخيرات الحسان فى الدنيا والآخرة، ممّا لا عين رأت، ولا أذن سمعت؛ لعلمت أنّى قبل انتقالى إليه من هذه الدنيا فى سجنِ ضنك، ولو نظرت إلى ما أعدَّ الله لك ولكلّ كافر فى الدنيا والآخرة من سعيّر نار الجحيم، ونكال العذاب المقيم لرأيت أنّك قبل مصيرك إليه، الآن فى جنّه واسع ونعمه جامع»(١).

إذن ما عليه الأوصياء والأولياء مهما بلغ لا- يساوى شيئاً إذا ما قيس إلى الآخرة؛ ولذا تجد أحوال الأنبياء والرسل وأوصيائهم مملوءة بالعناء والابتلاء فى هذه الحياه الدنيا، لكن ما أعدّه الله لهم من النعيم لا- يمكن تصوّره أبداً، بخلاف الكفار الذين يتنعمون فى هذه الحياه الدنيا، والتي لو كانت تعدل شيئاً عند الله تعالى لما سقى منها الكافر شربه ماء، كما جاء فى الآثار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام(٢).

فترى المؤمن فيها حزيناً باكياً، والكافر فيها مسروراً جديلاً، والظالم متقدّم على المظلوم، والأنبياء يُقتلون ويذبحون فى سبيل شهواتِ الظالمين ولذاتهم.

ص: ٢٤

---

١- (١) مطاب السؤل فى مناقب آل الرسول: ص ٣٤٠. كشف الغمه: ج ٢، ص ١٦٧. بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٣٤٦ - ص ٣٤٧.  
٢- (٢) انظر: من لا- يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٦٣. الاختصاص: ص ٢٤٣، مكارم الأخلاق: ص ٤٣٩. معارج اليقين فى أصول الدين: ص ٥٠٤، ح ٣. بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ١٢٤، ح ١١٤، عن الاختصاص، وج ٧٤، ص ٥٤. وسائل الشيعه: ج ١٦، ص ١٧ - ص ١٨، ح ٤.

روى «أن عيسى بن مريم عليه السلام بعث يحيى بن زكريا فى اثنى عشر من الحواريين يُعلِّمونَ الناسَ وينهاهم(١)» عن نكاح ابنه الأخت، قال: وكان لملكهم بنت أخت تعجبه، وكان يريد أن يتزوجها، فلما بلغ أمها أن يحيى نهى عن مثل هذا النكاح أدخلت بنتها على الملك بزينة، فلما رآها سألتها عن حاجتها، قالت حاجتى أن تذبح يحيى بن زكريا، فقال: سلى غير هذا. فقالت: لا أسألك غير هذا. فلما أبت عليه دعا بطشت، ودعا يحيى عليه السلام فذبحه، فبدرت قطره من دمه فوقع على الأرض، فلم تزل تعلق حتى بعث الله بخت نصر عليهم، فجاءته عجوز من بنى إسرائيل فدلته على ذلك الدم، فألقى فى نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن، فقتل عليها سبعين ألفاً فى سنه واحد، ثم سكن(٢).

وفى الأثر: «أن زكريا عليه السلام سأل ربه أن يُعلِّمه أسماءَ الخمسة، فأهبط عليه جبرئيل فعلمه إياها، فكان زكريا إذا ذكر محمداً وعلياً وفاطمة والحسن سرى عنه همُّه، وانجلى كربُه، وإذا ذكر الحسين خنفته العبره، ووقعت عليه البهره(٣)، فقال ذات يوم: يا إلهى، ما بالى إذا ذكرت أربعا منهم تسليتُ بأسمائهم من همومى، وإذا ذكرتُ الحسينَ تدمع عيني وتثور زفرتى؟ فأنبأه الله تعالى عن قصيته، وقال: (كهيعص) (فالكاف) اسم كربلاء، و (الهاء) هلاك العتره، و (الياء) يزيد، وهو ظالم الحسين عليه السلام. و (العين) عطشه، و (الصاد) صبره. فلما سمع ذلك زكريا لم يفارق مسجده ثلاثه أيام، ومنع فيها الناس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب، وكانت ندبته: إلهى أنفجع خير خلقك بولده، إلهى،

ص: ٢٧

١- (١) (٣) كذا فى المصدر.

٢- (٢) قصص الأنبياء (الراوندى): ص ٢٢١، ح ٢٨٩، قصص الأنبياء (الجزائرى): ص ٤٥١. بحار الأنوار: ج ١٤، ص ١٨٢، ح ٢٤. وأنظر: المستدرک على الصحيحين: ج ٢، ص ٥٩٢. تاريخ مدينه دمشق: ج ٦٤، ص ٧٠٧.

٣- (٣) البهر: تتابع النفس وانقطاعه، كما يحصل بعد الإعياء والعدو الشديد. انظر: الصحاح: ج ٣، ص ١٢٦٧.



أتزل بلوى هذه الرزیه بفنائہ، إلهی أتلبس علیاً وفاطمه ثياب هذه المصیبه، إلهی أتحلّ کر به هذه الفجیعه بساحتها؟! ثمّ کان یقول : اللهم ارزقنی ولداً تقرّ به عینی علی الکبر، وأجعلہ وارثاً وصیاً، وأجعل محله منی محلّ الحسین، فإذا رزقتنی فافتنی بحبه، ثمّ افجعنی به كما تفجع محمداً حبیبک بولده! فرزقه الله یحیی وفجعه به، وکان حمل یحیی سته أشهر وحمل الحسین علیه السلام كذلك» (۱).

لکن لا یوم کیومک یا أبا عبد الله...

أیأتی مثل رزء الطف رزؤ عظیم قد بکتہ الأنبیاء

\*\*\*

إنّا لله وإنّا إلیه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العلیّ العظیم،

وسیعلم الذین ظلموا آل مُحَمَّدٍ أیّ مُنقلبٍ ینقلبون

والعاقبه للمتّین.

ص: ۲۸

---

۱- (۱) کمال الدین وتمام النعمه: ص ۴۶۱، ح ۲۱. دلائل الامامه: ص ۵۱۳. مناقب آل أبی طالب: ج ۳، ص ۲۳۷. مدینه المعاجز: ج ۸، ص ۵۷. تفسیر نور الثقلین: ج ۳، ص ۳۱۹، ح ۳. الاحتجاج: ج ۲، ص ۲۷۲، عنه بحار الأنوار: ج ۱۴، ص ۱۷۸، ح ۱۴.





قال الله تبارك وتعالى: (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) ١ .

ذكرنا في المحاضرتين السابقتين: أنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق هذه الدنيا عبثاً، تنزه عن ذلك، وعلا علواً كبيراً، بل إنّما خلقها لتكون محل إبتلاء وإختبار لعباده، وأنّ المؤمن لم يُخلق فيها ليخلد، بل هي دار حزن وهمّ دائمان له، وأنّه مسافر إلى دار الآخرة، مسافر إلى الله تبارك وتعالى، وكادح للوصول إليه جلّ وعلا، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ) ٢

والملاقاه بنفسها ليست فضيله للإنسان؛ إذ يمكن أن يلاقى الإنسان ربّه وهو غضبان عليه، حتّى يصل الحال بأنّ البارى عزّ وجلّ لا ينظر إليه ولا يكلمه، كما جاء فى بعض الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، فعن أبى ذر رحمه الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثه لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم، ولهم عذابٌ أليم. فقرأها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال أبو ذر: خابوا وخسروا، قال: المسبيل إزاره، والمنفق سلعتّه بالحلف الكاذبه، والمَنَّان عطاءه» (١).

ويمكن أن يلاقى الإنسان ربّه عزّ وجلّ، ويأمر به إلى الجنّه. وبما أنّ غايه كلّ إنسان عاقل هو الثانى، فلا بدّ أن يعمل له بكلّ ما أُوتى من قوّه ورباطه جاشٍ، وهذا لا- يتحقق إلّا- من خلال اتّباع القرآن الكريم والعترة الطاهره عليهم السلام، الذين هما جبل الصعود والوصول إليه سبحانه وتعالى.

ص: ٣١

فقد روى الفريقان بأسانيد متعدّده، أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّى تاركٌ فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله جبل ممدود بين السماء والأرض، وعترتى أهل بيتى، ولن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض» (١).

وبما أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى، كما قال تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (٢)؛ إذن لا بدّ من اتّباعه والافتداء به صلى الله عليه وآله وسلم حتّى نصل إلى مرضاه الله عزّ وجلّ، وبالتالي إلى النعيم الخالد، إلى جنّته عرضها كعرض السموات والأرض، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على ذهن بشر.

كما روى ذلك فيمن بكى من خشية الله: «... ألا ومن ذرفت عيناه من خشية الله، كان له بكلّ قطره قطرت من دموعه قصر في الجنّته، مكّلل بالدرّ والجوهر، فيه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» (٣).

وحينئذٍ فلا بدّ لنا من الرجوع إلى القرآن الكريم والعتره الطاهره، حتّى نكون قد حقّقنا رضاه تبارك وتعالى، ونحن نرى هذه الآيه، التى افتتحنا بها الكلام، تأمر بالتزوّد، والشىء الذى تأمرنا بالتزوّد منه محذوف، دلّ عليه وسط الآيه، حيث قالت: (فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ).

قال الفخر الرازى فى تفسير هذه الآيه: «إنّ المراد: وتزوّدوا من التقوى، والدليل عليه قوله

ص: ٣٢

١- (١) مسند أبى يعلى الموصلى: ج ٢، ص ٣٠٣، ح ١٠٢٧، وأنظر: المصادر التاليه: أمالى الشيخ الصدوق: ص ٥٠٠، ح ١٥. عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٦٨، ح ٢٥٩. كمال الدين وتمام النعمه: ص ٢٣٥، ح ٤٨. والحديث متواتر فى مصادر الفريقين. وللمزيد من التعرّف على الحديث وطرقه وأسانيده يُنظر كتاب: حديث الثقلين - لمؤلفه نجم الدين العسكرى، المتوفى سنه ١٣٩٠ هـ - طباعه ونشر: مطبعه الآداب، النجف الأشرف - فففيه الكفايه.

٢- (٢) النجم: آيه ٣ - آيه ٤.

٣- (٣) أمالى الشيخ الصدوق: ص ٥١٧.

بعد ذلك: (وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى). وتحقيق الكلام فيه أَنَّ الإنسان له سفران:

سفر في الدنيا، وسفر من الدنيا، فالسفر في الدنيا، لا بد له من زاد، وهو الطعام والشراب، والمركب والمال. والسفر من الدنيا، لا بد فيه أيضاً من زاد، وهو معرفه الله ومحبتة، والإعراض عمّا سواه، وهذا الزاد خير من الزاد الأول؛ لوجوه:

الأول: إِنَّ زَادَ الدُّنْيَا يَخْلُصُكَ مِنْ عَذَابٍ مُوهومٍ، وزاد الآخرة يخلصك من عذاب متيقن.

وثانيها: إِنَّ زَادَ الدُّنْيَا يَخْلُصُكَ مِنْ عَذَابٍ منقطع، وزاد الآخرة يخلصك من عذاب دائم.

وثالثها: إِنَّ زَادَ الدُّنْيَا يوصلك إلى لذته ممزوجة بالآلام والأسقام والبليات، وزاد الآخرة يوصلك إلى لذات باقية خالصة عن شوائب المضرة، آمنه من الانقطاع والزوال.

ورابعها: إِنَّ زَادَ الدُّنْيَا وهى كل ساعة فى الإدبار والانقضاء، وزاد الآخرة يوصلك إلى الآخرة، وهى كل ساعة فى الإقبال والقرب والوصول.

وخامسها: إِنَّ زَادَ الدُّنْيَا يوصلك إلى منصفه الشهوه والنفس، وزاد الآخرة يوصلك إلى عتبه الجلال والقدس؛ فثبت بمجموع ما ذكرنا أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى.

إذا عرفت هذا، فلنرجع إلى تفسير الآيه، فكأنه تعالى قال: لما ثبت أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى فاشتغلوا بتقواى يا أولى الألباب، يعنى إن كنتم من أرباب الألباب الذين يعلمون حقائق الأمور، وجب عليكم بحكم عقلكم ولبكم، أن تشتغلوا بتحصيل هذا الزاد؛ لما فيه كثره المنافع، وقال الأعشى فى تقرير هذا المعنى:

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التقي ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثلِه وأنتك لم ترصد كما كان أرصداً(١)

ص: ٣٣

١- (١) التفسير الكبير (تفسير الرازى): ج ٥، ص ١٨٤ - ص ١٨٥.

فلا بدّ للإنسان حينئذٍ من التزوّد من المتاع الأخرى، الذى يوصله للسعادة الأبدية، وإلى الحياه الحقيقيه.. (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ١ .

وهذا لا يعنى أنّ الإنسان يترك زاد الدنيا بالمزّه؛ فإنّ هذا أيضاً غير مقبول، كما مرّ عليك فى المحاضره السابقه، بل يمكن له أن يوظّف زاد الدنيا لزاد الآخره.

ولذا روى عن العالم عليه السلام أنه قال: «اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً» (١).

وكلمّا كان العمل ممزوجاً بتقوى الله، كان أكثر بركه وقبولاً من عمل بغير تقوى الله عزّ وجلّ.

فعن المفضّل بن عمر، قال: «كنت عند أبى عبد الله عليه السلام فذكرنا الأعمال فقلت أنا: ما أضعف عملى. فقال: مه، استغفر الله. ثمّ قال لى: إنّ قليل العمل مع التقوى خير من كثير العمل بلا- تقوى. قلت: كيف يكون كثير بلا- تقوى؟ قال: نعم، مثل الرجل يطعم طعامه، ويرفق جيرانه، ويوطئ رحله، فإذا ارتفع له الباب من الحرام دخل فيه، فهذا العمل بلا تقوى، ويكون الآخر ليس عنده فإذا ارتفع له الباب من الحرام لم يدخل فيه» (٢).

#### آثار التقوى

يعتقد بعض الناس أنّ أثر التقوى إنّما يظهر فى الحياه الآخره فحسب، ولا يشمل الحياه الدنيا، فمن أطاع الله سبحانه وتعالى، وانتهى عن معاصيه فسوف يُثاب فى الآخره جنات تجرى من تحتها الأنهار، ومن لم يتق الله، وتجاوز حدوده فى هذه النشأه؛ فإنّه

ص: ٣٤

١- (٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١٥٦، ح ٣٥٦٩. وسائل الشيعه: ج ١٧، ص ٧٦، ح ٢.

٢- (٣) الكافى: ج ٢، ص ٧٦، ح ٧. وسائل الشيعه: ج ١٥، ص ٢٤١، ح ٢، بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ١٠٤، ح ٧، عن الكافى.

سيعاقب في النشأه الآخره بنار أحاط بهم سرادقها، ولكن الصحيح أن الأمر ليس كذلك، بل للتقوى آثار دنيويه بالإضافة إلى الآثار الأخرويّه، ومن هذه الآثار:

أولاً: الحياه الطيبه، قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) ١ ، فالحياه الطيبه للمؤمن ليست في الدار الآخره فحسب، بل هي كذلك في الحياه الدنيا؛ لأن الآيه الشريفه لم تحدّد الحياه الطيبه، ومقتضى الإطلاق وعدم التحديد الشمول للحياتين معاً.

ثانياً: الفرقان بين الحقّ والباطل، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) ٢ ، فيصبح المؤمن المتقى قادراً على التفريق بين الحقّ والباطل، والإيمان والكفر، والهدى والضلال، والطاعه والمعصيه، وكلّ ما يرضى الله أو يُسخطه.

ثالثاً: المخرج من العسر والشده. قال تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) ٣ .

وبخلاف ذلك نجد أنّ الإنسان غير المتقى تتوجه نحوه تبعات سلبيه؛ لفجوره في الدنيا، ومنتظر عذاباً أعدّه جبارُ السماوات والأرض لمن عصاه. ومن تلك الآثار السلبيه:

أولاً: المعيشه الضنكى، قال تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) ٤ ، والضنك: هو الضيق من كلّ شيء (١).

ثانياً: الحشر أعمى، إذ قال تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) ٦ ، والأعمى هنا، أعمى القلب، فلا يفهم ما يُقال له من

ص: ٣٥



حقائق، ولا يفقه، ولا يبصر ما أمامه، فهو مصروف عن الذكر، محروم عن الطمأنينه والسكون، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَ لَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) ١ ، وكم أتعب أمثال هؤلاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟! وكم عانى منهم المسلمون جميعاً؛ ولذا تراهم لا يسمعون ولا يعون كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل لا يريدون أن يفقهوا حتى أوضح الأحاديث له صلى الله عليه وآله وسلم حتى مثل قوله: «الحسنُ والحسينُ سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّة» (١) ، فيقرأون الحديث ويحفظونه، ثم يترضون على قاتلي الحسن والحسين عليهما السلام، فأى جهلٍ أكبر من هذا!؟

أقول : ليتك حاضرٌ يا رسولَ الله، لتنظر ماذا جرى على ولديك!؟

جرى عليهما ما أخبرت به أمتك يا رسولَ الله، حيث قلت: «... إلى الله أشكو عدوهم من أمتي، المنكرين لفضلهم، القاطعين فيهم صلتى، والله ليقتلن ابني، لا أنا لهم الله شفاعتي» (٢).

بعض بطيِّبَه مدفونٌ وبعضُهُم بكَربلاءَ وبعضٌ بالغرَّيِّينِ

وأرض طوسٍ وسامرا وقد صَمِنْتُ بَعدادُ بدرينِ حلا وسطَ قبرينِ (٣)

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العلي العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبه للمتقين.

ص: ٣٦

- 
- ١- (٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص ١٧٨، ح ٧. مسند أحمد: ج ٣، ص ٣. سنن ابن ماجه: ج ١، ص ٤٤، ح ١١٨. سنن الترمذى: ج ٥، ص ٣٢١، ح ٣٨٥٦.
  - ٢- (٣) كامل الزيارات: ص ١٤٦، ح ٣، عنه بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٠٢، ح ١٢.
  - ٣- (٤) الغدير: ج ٤، ص ١٦٣، والبيتان من قصيده راعه لابن حماد العبدى رحمه الله من أعلام القرن الرابع الهجرى.





قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يزال الشيطان هائباً ذعيراً من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس، فإذا ضيعهن تجرأ عليه فألقاه في العظام» (١).

«الصلوة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وبها تطفأ النيران، وقربان كل تقى، ومعراج كل مؤمن نقى، وتغسل الذنوب كما يغسل النهر الجارى درن الجسد، وتكرارها كل يوم خمساً كتكراره، وأوصى الله بها المسيح ما دام حياً، وغيره من الرسل، بل هي أصل الإسلام، وخير العمل، وخير موضوع، والميزان والمعيان لسائر أعمال الأنام، فمن وفى بها استوفى أجر الجميع، وقُبلت منه كلها، فهي حينئذٍ للأعمال، بل للدين كالعمود للفسطاط؛ ولذا كانت أول ما يُحاسب به العبد ويُنظر فيه من عمله، فإذا قُبلت منه نُظر في سائر عمله وقُبل منه، وإذا رُدَّت لم ينظر في باقى عمله ورُدَّ عليه، فلا غرو لو سُمِّيَ تاركها من الكافرين، بل هو كذلك لو كان الداعى له الإستخفاف بالدين، وهي التي لم يعرف الصادق عليه السلام شيئاً ممَّا يتقرب به ويحبّه الله تعالى بعد معرفته أفضل منها، بل قال عليه السلام: «هذه الصلوات الخمس المفروضات من أقامهن وحافظ على مواعيتهن، لقي الله يوم القيامة وله عنده عهد يدخل به الجنّة، ومن لم يصلهن لمواقيتهن ولم يحافظ عليهن فذلك لله، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه»، وصلاحه فريضه خير من عشرين حجّه، كل حجّه خير من بيت مملو ذهباً يتصدّق منه حتى يفتنى، بل صلاحه فريضه أفضل من ألف حجّه كل حجّه أفضل من الدنيا وما فيها، وأن طاعه الله خدمته في الأرض، وليس شيء من خدمته يعدل الصلاة، فمن ثَمَّ نادى الملائكة زكريا وهو قائم يصلى في المحراب، وإذا قام المصلى إلى الصلاة نزلت عليه الرحمة من أعنان السماء إلى أعنان الأرض، وحفّت به الملائكة، وناداه ملك: لو يعلم هذا المصلى ما فى الصلاة ما انفتل إلى غير ذلك ممَّا ورد فيها ممَّا لا يحصى عدده» (٢).

ص: ٣٩

١- (١) مستدرک الوسائل: ج ٣، ص ٢٧.

٢- (٢) جواهر الكلام: ج ٧، ص ٣ - ص ٤.

وقد جعل الباري عز وجل الصلاة لتكميل نفوس بنى البشر، وهو العلام الخبير، وهكذا سائر الواجبات والمحرمات، وهي الهداية الى الصراط المستقيم كما نطق به القرآن الكريم، حيث يقول: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) ١.

وجاء في الحديث المروى عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أيها الناس، والله ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به، وما من شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا وقد نهيتكم عنه» (١)، فكل ما جاء به القرآن الكريم، والرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم، هو لإصلاح النفوس وتكميلها، وكل ما نهى عنه القرآن الكريم، والرسول العظيم إنما هو لتهديب النفوس وتطهيرها، كقوله تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ) ٣.

آثار إقامه الصلاة

الصلاة هي أجمع العبادات؛ إذ قد جمعت ما لا يجمعه غيرها من العبادات، من عباده اللسان، والجنان بالقرآن، والذكر والاستكانه، والشكر والدعاء، وظهور أثر العبودية للمعبود بالركوع والسجود، وجعل أعلى موضع وأشرفه على أدنى موضع وأخفضه، وهي كفاره (٢)، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الصلوات الخمس كفاره لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وهي التي قال الله: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) (٣).

ص: ٤٠

١- (٢) الكافي: ج ٢، ص ٧٤، ح ٢.

٢- (٤) انظر: جواهر الكلام: ج ٧، ص ٤.

٣- (٥) دعائم الإسلام: ج ١، ص ١٣٥، عنه مستدرک الوسائل: ج ٣، ص ١٥، ح ٧، وفيه بدل (اجتنبت) كلمه (اجتنب).

وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إنما مثل هذه الصلوات الخمس مثل نهر جارٍ بين يدي باب أحدكم يغتسل منه في اليوم خمس اغتسالات، فكما ينقى بدنه من الدرن بتواتر الغسل، فكذا ينقى من الذنوب مع مداومته الصلاة، فلا يبقى من ذنوبه شيء» (١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «للمصلي ثلاث خصال: إذا قام في صلاته: يتناثر عليه البرّ من أعنان السماء إلى مفرق رأسه، وتحفّ به الملائكة من قدميه إلى أعنان السماء، وملك ينادى: أيها المصلي! لو تعلم من تناجى ما انفتلت» (٢)، ويكفى ما نطق به القرآن الكريم، حيث قال: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صِلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) ٣، ولو لم تكن للمصلين إلا هذه الصفه - صفه الفلاح - لكان فيه الفوز في الدنيا والآخرة.

والحديث الذي افتتحنا به الكلام، أكبر دليل على أهميه الصلاة؛ إذ يقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يزال الشيطان هائباً ذعراً من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس»، يعنى الشيطان لا يقرب المصلين الحقيقيين الذين يحافظون على صلاتهم بكلّ شروطها وأجزائها، وبهذا يكون الإنسان المصلي قريباً من العصمه في باقى ما أوجب عليه البارى عزّ وجلّ، وحينئذٍ لا يتردد في صيام شهر رمضان؛ لأنّ الشيطان لا يدنو منه حتّى يمنع عن الصيام، وهكذا سائر الأعمال الواجبه والمحرمه، قال الله تبارك وتعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) ٤.

وأما إذا ضيّع الإنسان المسلم صلاته؛ فمعنى هذا أنه قد ضيّع هويّته، وبقي عارياً، ويقبل بأى لباس يُخاط له، حتّى ولو كان هذا اللباس على خلاف ذوقه ورغبته.

ص: ٤١

- 
- ١- (١) أمالى الشيخ المفيد: ص ١٨٩، ح ١٦، عنه بحار الأنوار: ج ٧٩، ص ٢٢٣، ح ٤٥.
  - ٢- (٢) ثواب الأعمال: ص ٣٥، عنه بحار الأنوار: ج ٧٩، ص ٢١٥، ح ٣٠.

ومن هنا ركّز القرآن الكريم والرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم وعترته الطاهرين عليهم السلام على الاهتمام بالصلاة، والتحذير من تركها.

عقاب تاركى الصلاة

ذكرنا الثواب الذى يهبه الله تبارك وتعالى للمصلين، وأهميه الصلاة بالنسبه إلى باقى العبادات، وكيف أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يصف الشيطان بالخوف والدّعر، ما دام المؤمن محافظاً على صلاته.

والآن ننتقل إلى المقطع الآخر من الحديث الشريف للنبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذى افتتحنا به الكلام، وهو: «فإذا ضيّعتهنّ تجرأ عليه فألقاه فى العظام» والظاهر أنّ المقصود من تضييع الصلاة، هو المعنى الواسع، الشامل لعدم أداء الصلاة، وعدم الاهتمام بها وبشرائطها وأجزائها، فيكون الحديث على غرار حديث الاستخفاف المروى عن صادق العتره الطاهره عليهم السلام الذى جاء فيه «إنّ شفاعتنا لا تنالُ مُستخفّاً بالصلاه»<sup>(١)</sup>، الشامل للشخص التارك للصلاه، و الساهى واللاهى أثناء الصلاه، والمؤخر لها عن وقتها، ومن لا يعلم مواضع الخلل فيها أو شروطها وأجزائها، وغير ذلك ممّا هو مطلوب فيها، فإذا ضيّع الإنسان الصلوات الخمس، طمع فيه الشيطان وتجرأ عليه، فألقاه فى العظام، فترك ما افترض الله عليه، وأتى بما نهاه البارى عنه، وحينئذ يكون قد خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

عقوبه المتهاون بصلاته

وللتهاون بالصلاه عدّه عقوبات، تجمعها هذه الروايه الشريفه المرويه عن سيّده النساء، فاطمه الزهراء عليها السلام، أنّها سألت أباه رسول الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قالت: «يا أبتاه، ما لمن

ص: ٤٢

---

١- (١) أمالى الشيخ الصدوق: ص ٥٧٢، ح ١٠. من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٠٦، ح ٦١٨. بحار الأنوار: ج ٨٠، ص ١٩، ح ٣١، عن الأمالى.

تَهَاونُ بِصَلَاتِهِ مِنَ الرِّجَالِ، وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: يَا فَاطِمَةُ، مَنْ تَهَاونُ بِصَلَاتِهِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِخَمْسَةِ عَشَرَ خِصْلَةً، سِتٌّ مِنْهَا فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَثَلَاثٌ عِنْدَ مَوْتِهِ، وَثَلَاثٌ فِي قَبْرِهِ، وَثَلَاثٌ فِي الْقِيَامَةِ إِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ. فَأَمَّا اللُّوَاتِي تَصِيْبُهُ فِي دَارِ الدُّنْيَا:

فَالأُولَى: يَرْفَعُ اللَّهُ الْبِرْكَهَ مِنْ عَمْرِهِ، وَيَرْفَعُ اللَّهُ الْبِرْكَهَ مِنْ رِزْقِهِ، وَيَمْحُو اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ سِيْمَاءَ الصَّالِحِينَ مِنْ وَجْهِهِ، وَكُلَّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ لَا يُؤْجِرُ عَلَيْهِ، وَلَا يَرْتَفِعُ دَعَاؤُهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَالسَّادِسَةُ لَيْسَ لَهُ حِظٌّ فِي دَعَاءِ الصَّالِحِينَ. وَأَمَّا اللُّوَاتِي تَصِيْبُهُ عِنْدَ مَوْتِهِ:

فَالْأُولَاهُنَّ: أَنَّهُ يَمُوتُ ذَلِيلًا، وَالثَّانِيَةُ: يَمُوتُ جَائِعًا، وَالثَّالِثَةُ: يَمُوتُ عَطْشَانًا، فَلَوْ سَقِيَ مِنْ أَنْهَارِ الدُّنْيَا لَمْ يَرَوْعِطْشُهُ. وَأَمَّا اللُّوَاتِي تَصِيْبُهُ فِي قَبْرِهِ:

فَالْأُولَاهُنَّ: يُوكِّلُ اللَّهُ بِهِ مَلَكًا يَزْعُجُهُ فِي قَبْرِهِ، وَالثَّانِيَةُ: يَضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ، وَالثَّالِثَةُ: تَكُونُ الظُّلْمَةُ فِي قَبْرِهِ. وَأَمَّا اللُّوَاتِي تَصِيْبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ:

فَالْأُولَاهُنَّ: أَنْ يُوكِّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكًا يَسْحَبُهُ عَلَى وَجْهِهِ وَالْخَلَاتِقُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَالثَّانِيَةُ: يَحَاسِبُهُ حَسَابًا شَدِيدًا، وَالثَّالِثَةُ: لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَلَا يَزْكِيهِ، وَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ»(١).

فهذه هي عقوبه التهاون بالصلاه التي دافع عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودافع عنها أهل بيته عليهم السلام، ومن أبرز تلك المواطن التي دافع فيها أهل البيت عليهم السلام عن الصلاه ما كان يوم عاشوراء، لَمَّا أَقْبَلَ أَحَدُ أَصْحَابِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ: «يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ، إِنِّي أَرَى هَؤُلَاءِ قَدْ اقْتَرَبُوا مِنْكَ، وَلَا وَاللَّهِ لَا تَقْتُلُ حَتَّى أُقْتَلَ دُونَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَأَحَبُّ أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَقَدْ صَلَّيْتَ هَذِهِ الصَّلَاةَ الَّتِي قَدْ دَنَا وَقْتُهَا. قَالَ: فَرَفَعَ الْحُسَيْنُ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: ذَكَرْتُ الصَّلَاةَ جَعَلَكَ اللَّهُ مِنَ الْمَصْلُوحِينَ الذَّاكِرِينَ، نَعَمْ، هَذَا أَوَّلُ وَقْتِهَا. ثُمَّ قَالَ: سَلَوْهُمْ أَنْ يَكْفُوا عَنَّا حَتَّى نُصَلِّيَ، فَقَالَ لَهُمُ الْحَصِينُ بْنُ تَمِيمٍ: إِنَّهَا لَا تُقْبَلُ، فَقَالَ لَهُ حَبِيبُ بْنُ مَظَاهِرٍ: لَا تُقْبَلُ، زَعَمَتِ الصَّلَاةُ مِنْ آلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا تُقْبَلُ وَتُقْبَلُ مِنْكَ يَا حِمَارًا»(٢).

ص: ٤٣

١- (١) مستدرک الوسائل: ج ٣، ص ٢٣ - ص ٢٤، ح ١.

٢- (٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام (أبو مخنف): ص ١٤٢ - ص ١٤٣.



سَيِّدِي يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَنْتَ صَلَّيْتَ الظَّهْرَ، لَكِنَّ الْقَوْمَ بَعْدَهَا صَلَّوْا عَلَيْكَ بِسَيُوفِهِمْ وَرِمَاحِهِمْ، وَبِكُلِّ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ خَبْثٍ وَحَقْدٍ دَفِينٍ، وَتَرَاتٍ لِأَيِّكَ أَظْهَرُوهُ ذَاكَ الْيَوْمَ...

وَرَحِمَ اللَّهُ السَّيِّدَ رِضَا الْهِنْدِيَّ، حَيْثُ يَقُولُ:

صَلَّتْ عَلَى جِسْمِ الْحُسَيْنِ سَيُوفُهُمْ فَعَدَا لِسَاجِدِهِ الطُّبْيَ مُحْرَابَا

وَمَضَى لَهَيْفًا لَمْ يَجِدْ غَيْرَ الْقَنَا ظَلًّا وَلَا يَرِ النَّجِيعَ شَرَابَا

ظَلْمَانَ ذَابَ فُؤَادُهُ مِنْ غُلِّهِ لَوْ مَسَّتِ الصَّخْرَ الْأَصَمَّ لَذَابَا

لَهْفَى لَجِسْمِكَ فِي الصَّعِيدِ مَجْرَدًا عَرِيَانَ تَكْسُوهُ الدَّمَاءُ ثِيَابَا

تَرَبَّ الْجَبِينُ وَعَيْنٌ كُلُّ مَوْحِدٍ وَدَّتْ لَجِسْمِكَ لَوْ تَكُونُ تَرَابَا

لَهْفَى لِرَأْسِكَ فَوْقَ مَسْلُوبِ الْقَنَا يَكْسُوهُ مِنْ أَنْوَارِهِ جَلْبَابَا

يَتَلُو الْكِتَابَ عَلَى السَّنَانِ وَإِنَّمَا رَفَعُوا بِهِ فَوْقَ السَّنَانِ كِتَابَا

وَلِيَبِيكَ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ أُمَّةٍ عَزَلُوا الرُّؤُوسَ وَأَمَرُوا الْأَذْنَابَا

هَذَا ابْنُ هِنْدٍ وَهُوَ شَرُّ أُمَّيَّةٍ مِنْ آلِ أَحْمَدٍ يَسْتَذِلُّ رِقَابَا

وَيَصُونَ نَسْوَتَهُ وَيَبْدَى زَيْنَبًا مِنْ خَدْرِهَا وَسَكِينَةَ وَرَبَابَا

لَهْفَى عَلَيْهَا حِينَ تَأْسُرُهَا الْعَدَى ذَلًّا وَتَرْكِبُهَا النِّيَاقَ صَعَابَا

سَلَبْتَ مَقَانِعَهَا وَمَا أَبْقَتْ لَهَا حَاشَا الْمَهَابَةَ وَالْجَلَالَ حَجَابَا(١)

\*\*\*

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.







قال عز وجل: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا \* وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) ١ .

إنَّ للسان محاسن كثيرة، وإن كانت مساوؤه ليست بالقليله.

ومن محاسن اللسان: الصدق، وقراءه القرآن الكريم، والأذكار، والأدعية، والصلوات، وغير ذلك ممَّا هو كثير.

ونحن نتناول هنا موضوع الذِّكر الذى أمرتنا به الآيه المباركه.

والذِّكر معنى يقابل النسيان، وقد يكون باللسان، وقد يكون بالقلب ، وقد يكون بسائر الجوارح، إذا أطاع الله تبارك وتعالى بها.

### الذِّكر باللسان

أمَّا الذِّكر باللسان، فهو أن يحمدا الإنسان ربّه، ويُسبِّحه ويمجِّده، ويقرأ كتابه، فقد ورد فى القرآن العزيز أنّ القلوب تطمئن بذكر الله تبارك وتعالى، حيث قال عزّ من قائل: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) ٢ ، وذكره جلّ وعلا لا يقتصر على كيفيه خاصّه، فقد يكون بالتكبير أو التهليل، أو الحمد أو الحوقله (١)، أو الصلاه على محمّد وآل محمّد، أو قراءه القرآن الكريم، وفى كلّ هذه الأذكار، لا بدّ من التوجّه والإخلاص، لكن المهم أن يكون المؤمن لسانه رطبّ من ذكر الله تبارك وتعالى الذى هو أفضل الأعمال، فقد سئل النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: أىّ الأعمال أفضل عند الله؟ قال: «قراءه القرآن، وأن تموت ولسانك رطبّ من ذكر الله تعالى» (٢).

ص: ٤٧

---

١- (٣) الحوقله: قولك (لا حول ولا قوه إلا بالله).

٢- (٤) تفسير مجمع البيان: ج ٨، ص ٣٠. تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ١٦٢، ح ٦٢. بحار الأنوار: ج ٨٩، ص ٢٠.

ومن خصائص الذكر لله تبارك وتعالى، أنه ليس له حدٌّ ولا- زمان، بخلاف بقيه الفرائض، وهذا المعنى قد صرَّح به إمامنا الصادق عليه السلام، حيث قال: «ما من شيءٍ إلا- وله حدٌّ ينتهى إليه إلا- الذكر، فليس له حدٌّ ينتهى إليه، فرض الله عزَّ وجلَّ الفرائض، فمن أذاهنَّ فهو حدَّهنَّ، وشهر رمضان فمن صامه فهو حدّه، والحجَّ فمن حجَّ فهو حدّه، إلا الذكر؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يرضَ منه بالقليل، ولم يجعل له حدًّا ينتهى إليه، ثم تلا هذه الآية (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا \* وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) فقال: لم يجعل الله عزَّ وجلَّ له حدًّا ينتهى إليه، قال: وكان أبى عليه السلام كثير الذكر، لقد كنتُ أمشى معه، وإنه ليذكر الله، وآكل معه الطعام، وإنه ليذكر الله، ولقد كان يحدث القوم [و] ما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكته، يقول: لا- إله إلا- الله. وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منّا، ومن كان لا يقرأ منّا أمره بالذكر.

والبيت الذى يُقرأ فيه القرآن ويُذكر الله عزَّ وجلَّ فيه تكثر بركته، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويضىء لأهل السماء، كما يضىء الكوكب الدرى لأهل الأرض، والبيت الذى لا- يُقرأ فيه القرآن، ولا يُذكر الله فيه تقلُّ بركته، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا أخبركم بخير أعمالكم لكم أرفعها فى درجاتكم، وأزكاها عند مليككم، وخير لكم من الدينار والدرهم، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتقتلوهم ويقتلوكم؟ فقالوا: بلى، فقال: ذكر الله عزَّ وجلَّ كثيراً، ثم قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: من خير أهل المسجد؟ فقال: أكثرهم لله ذكراً. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أعطى لساناً ذاكراً فقد أعطى خير الدنيا والآخرة. وقال: فى قوله تعالى: (وَلَا تَمُنُّنَّ تَسْتَكْبِرُنَّ) قال: لا تستكثر ما عملت من خير الله» (١).

والملفت للنظر فى أهميه الذكر، أن القرآن يؤكده حتى عند الإنتهاء من سائر ما

ص: ٤٨

١- (١) الكافى: ج ٢، ص ٤٩٩، ح ١. تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٢٨٥، ح ١٤٧، عن الكافى.

افترضه على العباد وحدّه لهم؛ لأجل أن يشتغلوا في طاعته، ويتعدوا عن معصيته التي تلازم - في الأعم الأغلب - الفراغ، وهذا صريح قوله تعالى: (فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ) ١ .

وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «مَنْ عَلَّمَ وَلَدًا لَهُ الْقُرْآنَ قَلَدَهُ اللَّهُ الْأُولُونَ وَالآخِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

وقد حدّر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من ترك القرآن في البيت بلا-قراءة، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الغرباء في الدنيا أربعة: قرآن في جوف ظالم، ومسجد في نادى قوم لا يُصلى فيه، ومصحف في بيت لا يُقرأ فيه، ورجل صالح مع قوم سوء» (٢).

ومن المناسب أن أذكر هنا، هذه المعجزه التي وقعت في عصرنا الحاضر، كان أحد المشايخ يعاني من ضعفٍ شديدٍ في النظر، وكانت النظّاره التي يضعها على عينيه ذات عدسات سميكة، راجع الشيخ طيب العيون فشخص له درجة نظره، وحدّره من أن عينه تتجه نحو المزيد من الضعف، فلا بدّ من الإلتباه لهذا الأمر قبل فوات الأوان.

وبعد سنه قضاهها هذا الشيخ في تدوين وترتيب كتاب تفسير القرآن الكريم، راجع الطيب مرّةً أخرى، فلما فحص الطيب عينه وجدها متحسنه عما كانت عليه العام الماضي، فاندعش الطيب، وسأله: ماذا صنعت خلال العام الماضي؟ هل راجعت طبيياً آخر، أو استعملت أدويةً مُعَيَّنَةً؟

قال الشيخ: نعم، راجعت القرآن الكريم، فقد صرت أقرأ في آيات وكلمات هذا

ص: ٤٩

١- (٢) كنز العمال: ج ١، ص ٥٣٣، ح ٢٣٨٦.

٢- (٣) الجامع الصغير: ج ٢، ص ٢٠٣، ح ٥٧٩١.

الكتاب العظيم، وعندنا في الأحاديث الشريفه أنّ النظر إلى كتاب الله الحكيم يوجب جلاء البصر، وقوه النظر وشفاء العين.

فأخذ الطبيب بيد الشيخ وجاء به إلى غرفه الانتظار، وشرح للحاضرين هذه القصّه، وقال: إنها معجزه القرآن الكريم(١).

ومن أقسام الذكر أيضاً المهتمه (الصلاه على محمّد وآل محمّد).

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) ٢.

وفي الروايات الشريفه أنّها تذهب النفاق، فعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الصلاه علىّ وعلى أهل بيتي تذهب بالنفاق. وأنها أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة»(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً لَمْ يَبْقَ لَهُ مِنْ ذُنُوبِهِ ذَرَّةٌ»(٣).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «وَأَجْفَى النَّاسِ رَجُلٌ ذُكِرْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»(٤).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «حَيْثَمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ تَبْلُغُنِي»(٥).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا دَامَ اسْمِي فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ»(٦).

ص: ٥٠

---

١- (١) انظر: الأخلاق والآداب الاسلاميه: ص ٧٧ - ص ٧٨.

٢- (٣) وسائل الشيعة: ج ٧، ص ١٥١، ح ٢.

٣- (٤) معارج اليقين في أصول الدين: ص ١٥٣، ح ٤. مستدرک الوسائل: ج ٥، ص ٣٣٤، ح ١٣.

٤- (٥) أدب الإملاء والاستملاء: ص ٧٨، مع اختلاف يسير. منيه المرید: ص ٣٤٧، عنه بحار الأنوار: ج ٩١، ص ٧١، ح ٦٥. إعانه الطالبين: ج ١، ص ١٣.

٥- (٦) كنز العمال: ج ١، ص ٤٨٩، ح ٢١٤٧.

٦- (٧) بحار الأنوار: ج ١٩، ص ٧١.



والإخلاصه: إن الصلاة على النبي وأهل بيته الطاهرين المعصومين من أعلى مراتب الذكر، ولأنقل لك هذا الشاهد والمؤيد - بالإضافة إلى ما سمعته من الروايات الشريفة - يقول أحد المؤمنين الموثوقين: كنت متعوداً على ذكر (اللهم صل على محمد وآل محمد)، وهذا الذكر دائماً على لساني، وفي يوم من الأيام كنت في إحدى الحسينيات استمع إلى الخطيب يقول: بأنه ينادى يوم القيامة منادٍ، يقول: أين قراء سورة الإخلاص، فيؤمر بهم إلى الجنة من خلال باب خاص بهم، فقررت أن أقرأ سورة الإخلاص بدلاً من ذكر الصلاة على محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)، وبدأت بسورة الإخلاص، وفي الليل كنت نائماً، وفي عالم الرؤيا شاهدت نفسي في يوم القيامة، وشاهدت طابوراً طويلاً جداً من الناس واقفين بانتظار دورهم للدخول إلى الجنة، فسألت: ما هذا الطابور؟ فقبل لي: بأن هذا طابور قراء سورة الإخلاص، فوقفت معهم باعتبار إنني صرت من قراء سور الإخلاص.

فجاءني ملك، وقال: لست أنت من قراء سورة الإخلاص، وإنما أنت من قراء الصلوات على محمد وآل محمد، وأن مكانك ليس هنا، بل اذهب إلى ذلك الطابور. فنظرت فوجدت طابوراً قصيراً، فيه قليل من الناس، وهم يدخلون إلى الجنة بسرعه، فذهبت إليهم ووقفت في طابور الصلوات على محمد وآل محمد، فقامت من النوم، وعرفت فضل ومنزله الصلوات على محمد وآل محمد (١).

ومن أقسام الذكر أيضاً التسييح، وبالخصوص تسييح الصديقه فاطمه الزهراء عليها السلام.

أهميه تسييح الزهراء عليها السلام

هناك روايات عديده أشارت الى أهميه هذا التسييح، وأنه لولا أهميته وعظمه منزلته

ص: ٥١

لما وهبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمه، ففي الروايه الشريفه عن أبى جعفر عليه السلام قال: «ما عبدَ اللهُ بشيءٍ من التَّحْمِيدِ أَفْضَلَ مِنْ تَسْبِيحِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامَ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْهُ لَنَحَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامَ» (١).

وفى روايه أُخرى: «تسبيح فاطمه الزهراء عليها السلام من الذكر الكثير الذى قال الله عزَّ وجلَّ: (اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا)» ٢ .

وفى روايه ثلثه عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «تسبيح فاطمه الزهراء عليها السلام فى كلِّ يوم فى دبر كلِّ صلاه، أحبُّ إليَّ من صلاه ألف ركعه فى كلِّ يوم» (٢).

وكيفيته: أن يكبر الله أربعاً وثلاثين مرّةً، ويحمده ثلاثاً وثلاثين مرّةً، ويسبِّحه كذلك.

وفى الروايه أن ابن فرقد يروى عن أخيه: «أنَّ شهاب بن عبد ربّه سألنا أن نسأل أبا عبد الله عليه السلام، وقال: قل له: إنَّ امرأه تفرعنى فى المنام بالليل فقال عليه السلام: قل له: «اجعل مسبحاً (أى تسبيحاً) وكبر الله أربعاً وثلاثين وسبِّح الله ثلاثاً وثلاثين واحمده ثلاثاً وثلاثين» (٣).

وما ذكرته هذه الروايه، هو كيفيته أُخرى لهذا التسبيح الشريف؛ إذ قدّمت التسبيح على التَّحْمِيدِ، وإن كان الأولى الأول، كما أفتى به جملة من الأعلام (٤)، ولعله المشهور بينهم.

ص: ٥٢

---

١- (١) الكافي: ج ٣، ص ٣٤٣، ح ١٤. تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ١٠٥، ح ١٦٦. بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٦٤، ح ٥٦، عن الكافي.

٢- (٣) ثواب الأعمال: ص ١٣٦. تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ١٠٥، ح ١٦٧.

٣- (٤) الكافي: ج ٢، ص ٥٣٧، ح ٧. وسائل الشيعه: ج ٦، ص ٤٥٠، ح ٩.

٤- (٥) انظر: العروه الوثقى: ج ١، ص ٥٤٨.

وفى بعض الروايات أن تسيح الزهراء عليها السلام مئه فى اللسان، وألف فى الميزان(١).

ومن جملة الأذكار الاستغفار، وهو لا يقل مرتبه وشأناً عن الأذكار السابقه، بل هو مفتاح كل خير، ويكفى فى فضله قوله تعالى: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) ٢ .

فقد رُتبت الآيه عدّه نتائج على الاستغفار:

أولها: المغفره.

وثانيها: تنزيل الأمطار الكثيره.

وثالثها: الرزق الواسع من الأموال والبنين.

ورابعها: - وهو منى كل متمنى - الجنات والأنهار، وهو النعيم الدائم.

وروى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: «تعطروا بالاستغفار؛ لا تفضحكم روائح الذنوب»(٢).

وقال عليه السلام: «الاستغفار يزيد فى الرزق»(٣)، وهو يؤيد الآيه المتقدمه.

وروى بسند معتبر، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يقوم من مجلس، وإن خف، حتى يستغفر الله عز وجلّ خمساً وعشرين مرّة»(٤).

وروى بسند معتبر أيضاً عنه عليه السلام أنه قال: «من عمل سيئته أجلّ فيها سبع ساعات من

ص: ٥٣

١- (١) انظر: ثواب الأعمال: ص ١٦٣، عنه بحار الأنوار: ج ٨٢، ص ٣٣٢، ح ١٠.

٢- (٣) أمالى الشيخ الطوسى: ص ٣٧٢، ح ٥٢. شرح نهج البلاغه: ج ٢٠، ص ٢٨١، ح ٢٢٥، مع اختلاف يسير. بحار الأنوار: ج ٦، ص ٢٢، ح ١٨، عن الأمالى، وج ٩٠، ص ٢٧٨، ح ٧، عنه أيضاً.

٣- (٤) بحار الأنوار: ج ٩٠، ص ٢٧٧، ح ٤.

٤- (٥) الكافى: ج ٢، ص ٥٠٤، ح ٤. مكارم الأخلاق: ص ٣١٣. عدّه الداعى: ص ٢٥٠. بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢٥٨، ح ٤٠، عن الكافى، وج ٩٠، ص ٢٨١، ح ٢٢، عن مكارم الأخلاق.

النهار، فإن قال: (استغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم) ثلاث مرات لم تكتب عليه» (١).

وعنه عليه السلام أنه قال: «من قال: (استغفر الله) مائة مرّة في كل يوم، غفر الله عزّ وجلّ له سبعمائه ذنب، ولا خير في عبدٍ يذنب في يوم سبعمائه ذنب» (٢).

وروى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «ما من مؤمنٍ يقارف في يومه وليلته أربعين كبيرةً، فيقول وهو نادم: استغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم، بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والإكرام، وأسأله أن يُصلّى على محمّد وآل محمّد، وأن يتوب عليّ. إلا غفرها الله عزّ وجلّ له، ولا خير فيمن يقارف في يومٍ أكثر من أربعين كبيرة» (٣).

وعنه عليه السلام أنه قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتوب إلى الله كلّ يوم سبعين مرّة من غير ذنب» (٤).

وهناك أذكار عديده، يمكن للإنسان أن يواظب عليها، أمثال التهليل والتسبيح الكبرى، وهى: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)، وفضلها كبير، وثوابها جليل، فعن أبي جعفر عليه السلام، قال: «من قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. خلق الله منها أربعة أطيار تسبحه وتقّده وتهلله إلى يوم القيامة». وفي روايه

ص: ٥٤

١- (١) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٤٣٧، ح ٥. كتاب الزهد: ص ٧١، ح ١٩٠، عنه بحار الأنوار: ج ٦، ص ٣٨، ح ٦٥، وج ٩٠، ص ٢٨٢، ح ٢٤، عنه أيضاً.

٢- (٢) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٤٣٩، ح ١٠. المقنع: ص ٢٩٥. وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٨٥، ح ٣.

٣- (٣) المصدر السابق: ج ٢، ص ٤٣٨ - ٤٣٩، ح ٧. ثواب الأعمال: ص ٥٤٠، ح ١٢. الخصال: ص ١٦٩. بحار الأنوار: ج ٨٤، ص ١، ح ٢، عن الخصال، مع اختلاف يسير.

٤- (٤) قرب الإسناد: ص ١٦٩، ح ٦١٨. الكافي: ج ٢، ص ٤٥٠، ح ١. كتاب الزهد: ص ٧٣، ح ١٩٥، عنه حليه الأبرار: ج ١، ص ٢٦٩، ح ١. بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢٨٣، ح ١٣٢. تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٥٨١، ح ٩٩.

محمد بن مروان، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا قال العبد: سبحان الله. فقد أنف الله، وحق على الله أن ينصره» (١).

وغيرها من الأذكار الكثيره التي يمكن للإنسان المؤمن أن يواظب عليها، هذا كله بالنسبه إلى ذكر الله تبارك وتعالى باللسان. وأمّا ذكره بالقلب: فهو أن يكون الله سبحانه وتعالى حاضراً عنده، في كلّ أفعاله وأقواله وسكناته، وأن يتفكر في مخلوقاته العجيبه، وصنائه العظيمه، وأسرارها الدقيقه، والتفكر في الدلائل الداله على ذاته وصفاته، والتفكر في أحكامه - عز اسمه - وتكاليفه، وأوامره ونواهيه، والوعد والوعيد، والجنّه والنار، والموت والحياه، وكلّ ما يدلّ عليه تبارك وتعالى.

وأما الذكر بالجوارح: فهو الإتيان بجميع ما أمر به عز وجلّ، والانتهاه عن جميع ما حرّمه (تقدّست أسماؤه).

### ثمرات الذكر

هناك عدّه ثمرات مترتبه على الذكر بأنواعه الثلاث - ذكر اللسان والقلب والجوارح - ويمكن تلخيصها بما يلي:

١ - حياه القلوب، ومفتاح الصلاح، ففي الروايه الشريفه المرويّه عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «بذكر الله تحيي القلوب» (٢)، وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «مداومه الذكر قوت الأرواح، ومفتاح الصلاح» (٣)، وغيرها من الروايات الشريفه التي ندبت إلى

ص: ٥٥

١- (١) المحاسن: ج ١، ص ٣٧، ح ٣٦.

٢- (٢) تنبيه الخواطر: ج ٢، ص ١٢٠.

٣- (٣) عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٨٧.

ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى سِرًّا وَعَلَانِيَةً (١).

٢ - مطرده الشيطان: فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ذِكْرُ اللَّهِ مَطْرَدُهُ الشَّيْطَانُ» (٢).

٣ - حَبُّ اللَّهِ لِلذَّاكِرِ وَالْبِرَاءَةِ لَهُ مِنَ النَّارِ وَالنَّفَاقِ: فعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا كَتَبَ لَهُ بِرَائَتَانِ: بِرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبِرَاءَةٌ مِنَ النَّفَاقِ» (٣).

٤ - انشراح الصدر: فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الذِّكْرُ يَشْرَحُ الصَّدْرَ» (٤).

أماكن ينبغي إكثار الذكر فيها

هناك عدّة أماكن وحالات أمرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والأئمّة الأطهار عليهم السلام بإكثار الذكر فيها، إمّا لكثرة غفله الناس فيها، أو لكثرة الشياطين، أو غير ذلك، ومنها:

١ - عند الغضب: فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ: ابْنِ آدَمَ، اذْكُرْنِي عِنْدَ غَضَبِكَ، أَذْكُرْكَ عِنْدَ غَضَبِي» (٥).

٢ - عند دخول الأسواق: فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا دَخَلْتُمُ الْأَسْوَاقَ، [و] (٦) عِنْدَ اشْتِغَالِ النَّاسِ؛ فَإِنَّهُ كَفَّارَةٌ لِلذَّنُوبِ، وَزِيَادَةٌ فِي

ص: ٥٦

١- (١) انظر: وسائل الشيعة: ج ٧، ص ١٦٣، باب استحباب ذكر الله في النفس وفي السرّ، واختياره على الذكر علانيه.

٢- (٢) عيون الحكم والمواعظ: ص ٢٥٥.

٣- (٣) تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٢٨٦، ح ١٤٩.

٤- (٤) عيون الحكم والمواعظ: ص ٣٢.

٥- (٥) كنز الفوائد: ص ٥٦. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ١٨٤، و ص ٣١٤. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٣٢١، ح ٥٠، عن الكنز.

٦- (٦) بعض المصادر الآتية خاليه من الواو.

الحسنات، ولا تكتبوا في الغافلين» (١).

٣ - الخلوات وعند اللذات: فعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «في التوراه مكتوب... يا موسى... اذكرني في خلواتك، وعند سرور لذاتك، أذكرك عند غفلاتك» (٢).

٤ - في الحرب: فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إذا لقيتم عدوكم في الحرب فاقبلوا الكلام، وأكثروا ذكر الله عز وجل» (٣).

٥ - عند المصيبة وعند ما حرم الله: فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الذكر ذكران: ذكر عند المصيبة حسن جميل، وأفضل من ذلك ذكر الله عند ما حرم الله؛ فيكون ذلك حازماً» (٤).

وذكر الله تبارك وتعالى عند المصيبة، لعلك لا تجد أحداً جسده بأجلى مظهره، كما جسده أهل البيت عليهم السلام على نحو العموم، والإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام على نحو الخصوص، وذلك عندما نزل به منزل، فدعا بدعائه العظيم، وهو آخر دعاء دعا به عليه السلام، يوم تكاثر عليه الأعداء وحاصروه، حيث يقول: «اللهم، متعالى المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غنى عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق

ص: ٥٧

١- (١) الخصال: ص ٦١٤، ضمن حديث الأربعمائه ومثله في تحف العقول: ص ١٠٤. عيون الحكم والمواعظ: ص ٩٢. بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٩٢، ضمن الحديث الأربعمائه.

٢- (٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٣٢٧، ح ٧. أمالي الشيخ المفيد: ص ٢١٠، ح ٤٦. قصص الأنبياء (الراوندى): ص ١٦٧. بحار الأنوار: ج ١٣، ص ٣٢٨، ح ٦، عن أمالي الشيخ الصدوق.

٣- (٣) الكافي: ج ٥، ص ٤٢، ح ٥، الخصال: ص ٦١٧، ضمن حديث الأربعمائه، ومثله في تحف العقول: ص ١٠٧. مكارم الأخلاق: ص ١٤٨. عيون الحكم والمواعظ: ص ١٣٨. تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص ١٣٨، ح ٣٥. بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٩٥، ضمن حديث الأربعمائه عن الخصال.

٤- (٤) تحف العقول: ص ٢١٦. الإختصاص: ص ٢١٨، عنه بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٩٣، ح ٤٨، وج ٧٥، ص ٥٥، ح ١١٠.

الوعد، سَابِغِ النِّعْمَةَ، حَسِّنِ الْبَلَاءَ...» (١).

وهكذا كان أبو عبد الله، يلهج بذكر الله تعالى إلى آخر أنفاسه الشريفه. الله أكبر! ومع هذا كلّه يقتله القوم وهم يكبرون الله!!

جاؤوا برأسك يا بن بنت محمدٍ مترملاً بدمائه ترميلاً

قتلوك عطشاناً ولم يترقّبوا في قتلك التنزيل والتأويلاً

ويكبرون بأن قُتلت وإنما قتلوا بك التكبير والتهليلاً (٢)

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أيّ مُقلبٍ ينقلبون

والعاقبه للمتقين.

ص: ٥٨

---

١- (١) مصباح المتهجد: ص ٨٢٧. إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٣٠٤. المصباح: ص ٥٤٤. بحار الأنوار: ج ٨٢، ص ٢٧٢.

٢- (٢) الأبيات لخالد بن معدان الطائي، كما في أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٢٣، وج ٦، ص ٢٩٦، وجاء في المصدر: «خالد بن معدان الطائي، من فضلاء التابعين، لما شاهد رأس الحسين عليه السلام بالشام أخفى نفسه شهراً من جميع أصحابه، فلما وجدوه بعد إذ فقدوه، سألوه عن سبب ذلك، فقال: ألا ترون ما نزل بنا. ثم أنشأ [هذه الأبيات]...».







روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما يقدم المؤمن على الله عزَّ وجلَّ بعملٍ بعدَ الفرائضِ، أحبُّ إلى الله تعالى من أن يسعَّ الناسَ بخلقه» (١).

### حُسن الخُلُق

حاله نفسيه، تبعث على حسن معاشره الناس، ومجااملتهم بالبشاشه، وطيب القول، ولطف المداراه، كما عزَّفه الإمام الصادق عليه السلام، حينما سئل عن حدِّه، فقال: «تلين جناحك، وتطيب كلامك، وتلقى أخاك ببشر حسن» (٢).

والمقصود بتلين الجناح: ال «كنايه عن عدم تأذى من يجاوره ويجالسُه ويحاوره من خشونته، بأن يكون سلس الانقياد لهم، ويكفُّ أذاه عنهم، أو كنايه عن شفقتِه عليهم، كما أنَّ الطائر يبسط جناحه على أولاده؛ ليحفظهم ويكنفهم كقوله تعالى: (وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ)» ٣.

وحسن الخلق من الأمانى والآمال، التى يطمح إليها كلُّ عاقل، ويسعى لكسبها وتحقيقها كلُّ مؤمن مجاهد.

ومن الملفت للنظر، أنَّ جميع المواهب والإمكانيات، والقيم والفضائل، لا تكون مدعاهً للإعجاب والإكبار، وسمو المتزله ورفع الشان إلا إذا اقترنت بحسن الخلق، وازدانت بجماله الزاهر، ونوره الوضاء.

ومن هنا اهتَمَّت الشريعة الحنيفيه بحُسن الخلق؛ لأنَّه نظام عقد الفضائل وملاكها؛ ولذا مجده أهل البيت عليهم السلام، وأكَّدوا على التمسك به بمختلف الأساليب التوجيهيه

ص: ٦١

١- (١) الكافي: ج ٢، ص ١٠٠، ح ٤، عنه بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٣٧٥، ح ٤.

٢- (٢) المصدر نفسه: ص ١٠٣، ح ٤، عنه بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٧١، ح ٣٩.

المشوّقه (١) ، كما تصوّره النصوص التاليه:

النصوص الداله على أهميه حُسن الخلق

هناك جملة من النصوص دلّت على أهميه حُسن الخلق، منها ما ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها ما ورد عن أهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

فعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أكثر ما يُدخل الناس الجنّة: تقوى الله وحُسن الخلق» (٢) ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «أكمل المؤمنين إيماناً، أحسنهم خلقاً» (٣).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حُسن الخلق» (٤).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ الخلق الحسن يميث الخطيئة، كما تميث الشمس الجليد» (٥).

وقال عليه السلام: «البزّ وحُسن الخلق يُعمّران الديار، ويزيدان في الأعمار» (٦).

وكفى بحُسن الخلق شرفاً وفضلاً، إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يبعث رسلاً وأنبياءه إلى الناس إلاّ بعد أن حلّاهم بهذه السجّية الكريمة، وزانهم بها، ففيه رمز فضائلهم، وعنوان

ص: ٦٢

١- (١) انظر: أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ١١ - ص ١٢.

٢- (٢) سبل السلام: ج ٤، ص ٢١١. الخصال: ص ٧٨، ح ١٢٦. عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٤١، ح ١٠٧. بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٢٨٨، ح ٢٠، عن الخصال.

٣- (٣) المجموع: ج ١٦، ص ٤١٥. مغنى المحتاج: ج ٣، ص ٢٦٠. إعانه الطالبين: ج ٣، ص ٤٢٩. تحف العقول: ص ٤٧. أمالي الشيخ الطوسي: ص ١٤٠، ح ٤٠، عنه بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٣٨٩، ح ٤٤.

٤- (٤) الكافي: ج ٢، ص ٩٩، ح ٢، عنه وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٥١، ح ١٣. وبحار الأنوار: ج ٧، ص ٢٤٩، ح ٧، وج ٦٨، ص ٣٧٤، ح ٢.

٥- (٥) المصدر نفسه: ج ٢، ص ١٠٠، ح ٧. الجواهر السنية: ص ٣٣٤، عنه وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٤٩، ح ٦. بحار الأنوار: ج ٤، ص ٤٦٤، ح ٣٥، وج ٦٨، ص ٣٧٥، ح ٧.

٦- (٦) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٠٠، ح ٨، عنه وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٤٩، ح ٥.

ولقد كان سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم المثل الأعلى في حُسن الخلق وغيره من كرائم الفضائل والخلال، واستطاع بأخلاقه الرفيعة أن يملك القلوب والعقول، واستحقَّ بذلك ثناء الله تعالى عليه، بقوله عزَّ من قائل: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) ١ .

وهو العامل بما قال، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَسَعَوْهُمْ بِأَخْلَاقِكُمْ» (١).

وعبر عن ذلك القرآن الكريم، حيث قال عزَّ وجلَّ: (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) ٣، ولكنَّ النبيَّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن غليظ القلب؛ ولذا لم ينفضوا من حوله، بل اجتمعت إليه العرب من كلِّ حذب وصبوب، وفيهم من جتهد الجيوش ضده، وحزَّب الأحزاب، وأخشن الكلام وأفحشه فيه، ومنهم من هجاه، وهو مع كلِّ ذلك، لئن العريكة، سخى اليد، منشرح الصدر، وفقى الذمه، كريم العشرة.

وإليك وصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام له صلى الله عليه وآله وسلم، فقد قال عليه السلام: «كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ كَفًّا، وَأَجْرَأَ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً، وَأَوْفَاهُمْ ذِمَّةً، وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً، وَأَكْرَمَهُمْ عَشْرَةً، مَنْ رَأَاهُ بِدِيهَةٍ هَابَةٍ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ، لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» (٢).

والشواهد على حُسن خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام كثيرة، نترك

ص: ٦٣

- 
- ١- (٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٦٢، ح ٩. عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٥٨، ح ٢٠٤. من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٩٤، ح ٥٨٣٩. روضه الواعظين: ص ٣٧٦. الاختصاص: ص ٢٢٥. مشكاة الأنوار: ص ٣٦٩. العهود المحمّدية: ص ٤٦٥. الدرر الباهرة: ص ٢، ح ٢. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ٢٩٤، بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٣٨٣، ح ١٩، عن الأمالي.
- ٢- (٤) مكارم الأخلاق: ص ١٨. بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢٣١. نظم درر السمطين: ص ٥٦.

بذكر بعضها.

من أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام

قد طفحت الكتب والتواريخ والسير، من المؤلف والمخالف، ومن المسلمين وغيرهم بالأخلاق العظيمة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام.

ويكفيك أن تضع يدك على بعضها؛ لتلمس الحقيقة بيدك.

منها: مارواه أنس قال: «كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليه برد غليظ الحاشية، فجبذه أعرابي بردائه جبذة شديدة، حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه، ثم قال: يا محمد، احمل لي على بعيرى هذين من مال الله الذى عندك، فإنك لا تحمل لي من مالك، ولا من مال أبيك، فسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: المال مال الله، وأنا عبده. ثم قال: ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي؟! قال: لا. قال: لم؟ قال: لأنك لا تكافى بالسيئة السيئة. فضحك النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير، وعلى الآخر تمر» (١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إن يهودياً كان له على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دنانير، فتقاضاه، فقال له: يا يهودى، ما عندى ما أعطيك. فقال: فإنى لا أفارقك يا محمد، حتى تقضىنى. فقال: إذن أجلس معك. فجلس معه حتى صلى فى ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب رسول الله يتهددونه ويتواعدونه، فنظر رسول الله إليهم فقال: ما الذى تصنعون به؟! فقالوا: يا رسول الله، يهودى يحبسك! فقال: لم يبعثنى ربي عز وجل بأن أظلم معاهداً ولا غيره. فلما علا النهار، قال اليهودى: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وشرط مالى فى سبيل الله، أما والله، ما فعلت

ص: ٦٤

١- (١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ج ١، ص ١٠٨.

بك الذى فعلت، إلا لأنظر إلى نعتك فى التوراه، فإننى قرأت نعتك فى التوراه: محمد بن عبد الله، مولده بمكه، ومهاجره بطيبه، وليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب، ولا متزين بالفحش، ولا قول الخنا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وهذا مالى فاحكم فيه بما أنزل الله. وكان اليهودى كثير المال» (١).

وهكذا كان الأئمة المعصومون من أهل البيت عليهم السلام فى مكارم أخلاقهم، وسمو آدابهم، وقد حمل الرواه إلينا صوراً رائعته، ودروساً خالده من سيرتهم العطره، وأخلاقهم الفده.

ومن ذلك ما رواه الرواه عن الإمام الحسن العسكرى عليه السلام، من أنه قال: «أعرف الناس بحقوق إخوانه، وأشدّهم قضاءً لها أعظمهم عند الله شأنًا، ومن تواضع فى الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين، ومن شيعه على بن أبى طالب عليه السلام حقًا، ولقد ورد على أمير المؤمنين عليه السلام أخوان له مؤمنان، أب وابن، فقام إليهما، وأكرمهما، وأجلسهما فى صدر مجلسه، وجلس بين أيديهما، ثم أمر بطعام فأحضر، فأكلا منه، ثم جاء قنبر بطست، وإبريق خشب، ومنديل لبيس (٢)، وجاء ليصب على يد الرجل ماءً، فوثب أمير المؤمنين عليه السلام فأخذ الإبريق ليصب على يد الرجل، فتمرغ الرجل فى التراب وقال: يا أمير المؤمنين، الله يرانى وأنت تصب على يدي؟! قال: اقعده واغسل يدك، فإن الله عز وجل يراك وأخوك الذى لا يتميز منك، ولا يتفضل عليك يخدمك، يريد بذلك فى خدمه فى الجنه مثل عشره أضعاف عدد أهل الدنيا، وعلى حسب ذلك فى ممالكه فيها. فقعد الرجل، فقال له على عليه السلام: أقسمت

ص: ٦٥

١- (١) أمالى الشيخ الصدوق: ص ٥٥٢، ح ٧. حليه الأبرار: ج ١، ص ٢٠٣، ح ٥. بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢١٦ - ص ٢١٧، ح ٥، عن الأمالى. وأنظر: المستدرک على الصحيحين: ج ٢، ص ٦٢٢. كنز العمال: ج ١٢، ص ٤٠٧ - ص ٤٠٨، ح ٣٥٤٤٣. تاريخ مدينه دمشق: ج ١، ص ١٨٤.

٢- (٢) لبيس) فى نسخه، وليبس: خَلِقَ بِالٍ من كثره الاستعمال، وفى نسخه: (ليلبس).

عليك بعظيم حَقِّي الذي عرفته وبيَّلته، وتواضعك لله بأن ندبني لما شرفك به من خدمتي لك، لما غسلت مطمئناً، كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبراً، ففعل الرجل. فلما فرغ ناول الإبريق محمد بن الحنفية، وقال: يا بني، لو كان هذا الابن حضرني دون أبيه لصيبت على يده، ولكن الله يأبى أن يسوى بين ابن وأبيه إذا جمعهما مكان، لكن قد صبَّ الأب على الأب، فليصبَّ الابن على الابن، فصبَّ محمد بن الحنفية على الابن. ثم قال الحسن العسكري عليه السلام: فمن اتَّبع علياً عليه السلام على ذلك فهو الشيعي حقاً» (١).

وروى أيضاً في أخلاقهم عليهم السلام: «وقف على علي بن الحسين عليهما السلام رجل من أهل بيته، فأسمعه وشتمه، فلم يكلمه، فلما انصرف قال لجلسائه: قد سمعتم ما قال هذا الرجل، وأنا أحب أن تبلغوا معي إليه حتى تسمعوا ردِّي عليه. قال: فقالوا له: نفعنا، ولقد كنَّا نحبُّ أن تقول له ونقول، قال: فأخذ نعليه ومشى وهو يقول: (وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) ٢، فعلمنا أنه لا يقول له شيئاً، قال: فخرج حتى أتى منزل الرجل فصرخ به فقال: قولوا له: هذا علي بن الحسين. قال: فخرج إلينا متوثباً للشر، وهو لا يشك أنه إنما جاءه مكافئاً له على بعض ما كان منه، فقال له علي بن الحسين عليهما السلام: يا أخي، إنك كنت قد وقفت علياً آنفاً فقلت وقلت، فإن كنت قلت ما في، فأستغفر الله منه، وإن كنت قلت ما ليس في، فغفر الله لك. قال: فقَبِلَ الرجل ما بين عينيه، وقال: بل قلت فيك ما ليس فيك، وأنا أحقُّ به. قال الراوي للحديث: والرجل هو الحسن بن الحسن» (٢).

ص: ٦٦

- ١- (١) الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٦٨، عنه بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٥٥ - ص ٥٦، ح ٥.
- ٢- (٣) الإرشاد: ج ٢، ص ١٤٥، وجاء في الهامش: «ذكره مختصراً ابن شهر آشوب في المناقب ٤: ١٥٧، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٤: ٣٩٧، وفي هامشه عن ابن عساكر ١٢: ٢٤، وابن منظور في مختصر تاريخ دمشق ١٧: ٢٤٠، ونقله العلامة المجلسي في البحار ٤٦: ٥٤، ح ١».



وإذا أراد الإنسان أن يعرف مدى أهميه حُسن الخلق عند الله تبارك وتعالى، فلينظر للحديث التالي المروى عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال: «ثلاثة نفر آلوا (أقسموا) بالللات والعزى؛ ليقتلوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، فذهب أمير المؤمنين وحده إليهم، وقتل واحداً منهم، وجاء بآخرين، فقال النبيُّ: قدّم إليّ أحدَ الرجلين، فقدّمه فقال: قل: لا إله إلاّ الله، واشهد أنّي رسول الله. فقال: لنقل جبل أبي قبيس أحبّ إليّ من أن أقول هذه الكلمة. قال: يا علي، أخره واضرب عنقه. ثمّ قال: قدّم الآخر، فقال: قل: لا إله إلاّ الله، واشهد أنّي رسول الله. قال: ألحقني بصاحبي. قال: يا علي، أخره واضرب عنقه. فأخره وقام أمير المؤمنين ليضرب عنقه. فنزل جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد، إنّ ربك يقرئك السلام، ويقول: لا تقتله؛ فإنّه حسن الخلق، سخّيّ في قومه. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي، أمسك، فإنّ هذا رسول ربي يخبرني أنّه حسن الخلق، سخّيّ في قومه. فقال المشرك تحت السيف: هذا رسول ربك يخبرك؟ قال: نعم. قال: والله، ما ملكت درهماً مع أخ لي قط، ولا قطبْتُ وجهي في الحرب، فأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنك رسول الله. فقال رسول الله: هذا ممّن جرّه حسن خلقه وسخائه إلى جنات النعيم» (١).

وهكذا كانت أخلاق سيد الشهداء عليه السلام حتى مع الدّ أعدائه في يوم عاشوراء، فقد كانت سيرته الشّريفة الطّيبة تشهد برحمته التي طبقت الآفاق، وشملت الناس جميعاً، «ينظر إلى القوم الذين احتوشوه استعداداً لقتله ويبيكي! سألته أخته زينب لماذا البكاء؟ قال: أبكي لهؤلاء القوم الذين يدخلون النار بسببي، هل رأيتم إنساناً يبكي على عدوه الذي يظلمه؟!.. لم يكن هذا إلاّ من الأنبياء» (٢).

ص: ٦٧

- 
- ١- (١) انظر أمالي الشيخ الصدوق: ص ١٦٧، ح ١٦٤. الخصال: ص ٩٤. حليه الأبرار: ج ٢، ص ٩٠، ح ٢. بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٧٥، ح ٤، عن الخصال، وج ٦٨، ص ٣٩٠، ح ٤٩، عن الخصال والأمالى.
- ٢- (٢) بنور فاطمه اهتديت: ص ٢٠١.

فأنظر إلى رحمته عليه السلام، ولكن في نفس الوقت انظر إلى قساوه أعدائه عليه السلام... الله أكبر!!

\*\*\*

إنَّا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبة للمتقين.

ص: ٦٨





روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إياكم والظلم؛ فإنَّ الظلمَ عندَ الله هو الظلماتُ يومَ القيامةِ» (١).

«الظلم لغه: وضع الشيء في غير موضعه، فالشرك ظلم عظيم؛ لجعله موضع التوحيد عند المشركين. وعرفاً هو: بخس الحق والاعتداء على الغير، قولاً أو عملاً، كالسباب والاعتياب، ومصادره المال وغيرها.

والظلم من السجايا الراسخة في أغلب النفوس، وقد عانت منه البشرية في تاريخها المديد ألوان المآسى والأهوال» (٢).

الآيات والروايات التي تدم الظلم وتحذّر منه

لا توجد شريعته سماويه لم تدم الظلم وتحذّر منه، بل كلّ الشرائع السماويه السابقه ناضلت ضدّ الظلم وحذّرت منه، وذمّته أشدّ الذمّ، ثمّ جاءت الشريعه الخاتمه، فحذّرت من الظلم، ونهت عنه، وآيات القرآن الكريم طافحه بذلك.

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٣.

وقال تعالى: (وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) ٤.

وقال تعالى: (إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ٥، وغيرها من الآيات المباركه.

ص: ٧١

- 
- ١- (١) (الخصال: ص ١٧٦، ح ٢٣٥، عنه بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٣٠٣، ح ١٦، وج ٧٢، ص ٣٠٩، ح ٧. وسائل الشيعه: ج ٩، ص ٤٢، ح ٢١. وأنظره في مصادر العامه: المستدرک على الصحيحين: ج ١، ص ١٢. مسند الحميدى: ج ٢، ص ٤٩٠. الأحاد والمثانى: ج ٥، ص ٢١٠، ح ٢٧٣٩. كنز العمال: ج ١٦، ص ٥٣، ح ٤٣٩٠١. الدر المنثور: ج ١، ص ٣٥٢.
- ٢- (٢) أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ١١٦.

والروايات كذلك قد نهت عن الظلم، وحذرت منه، ومنها هذا الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد وصفه فيه بأنه الظلمات عند الله عز وجل يوم القيامة.

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها، على أن أعصى الله في نمله، أسلبها جُلب شعيره ما فعلتُ، وإنّ دنياكم عندي لأهون من ورقه في فم جراده تقضمها، ما لعلّي ونعيم يفنى، ولذّه لا تبقى» (١)، والأحاديث في المقام كثيره.

ثمّ إنّ مَنْ يظلم يسلّط الله عليه مَنْ يظلمه، كما ورد ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال: «مَنْ ظلم سلّط الله عليه مَنْ يظلمه، أو على عقب عقبه» (٢).

## أنواع الظلم

إنّ الظلم يتنوع بحسب الجبهه التي يقع عليها، أو قل: الجبهه المظلومه، ومن هذه الأنواع ما نشير إليه على نحو الاختصار:

١ - ظلم الإنسان نفسه: وذلك بإهمال توجيهها إلى طاعة الله عز وجل، وتقويمها بالخلق الكريم، والسلوك الرضى، ممّا يزيجها في متاهات الغوايه والضلال، فتبوء آنذاك بالخيبه والهوان.

٢ - ظلم الإنسان عائلته: وذلك بإهمال تربيتهم تربيّه إسلاميه صادقه، وإغفال توجيههم وجهه الخير والصلاح، وسياستهم بالقسوه والعنف، والتقتير عليهم بضرورات الحياه، ولوازم العيش الكريم، ممّا يوجب تسيبهم وبلبله حياتهم، مادياً ومعنوياً وأدياً.

ص: ٧٢

---

١- (١) نهج البلاغه: ج ٢، ص ٢١٨، رقم ٢٢٤، الصراط المستقيم: ج ١، ص ١٦٣. بحار الأنوار: ج ٤١، ص ١٦٢، ح ٥٧، وج ٧٢، ص ٣٦٠، ح ٧٦، عن النهج.

٢- (٢) الكافي: ج ٢، ص ٣٣٢، ح ١٣. وأنظر: تفسير العياشى: ج ١، ص ٢٢٣، ح ٣٧. التفسير الأصفى: ج ١، ص ١٩٦. التفسير الصافى: ج ١، ص ٤٢٥. ثواب الأعمال: ص ٢٣٤. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٣١٥، ح ٣٥ عن تفسير العياشى، وص ٣٢٥، ح ٥٦ عن الكافي، وص ٣٣٢، ح ٦٨ عنه أيضاً.

٣ - ظلم الإنسان ذوى قريباه: وذلك بجفائهم وخذلانهم فى الشدائد والأزمات، وحرمانهم من مشاعر العطف والبرّ، ممّا يبعث على تناكرهم وتقاطعهم.

٤ - ظلم الإنسان للمجتمع: وذلك بالاستعلاء على أفرادهم، وبخس حقوقهم، والاستخفاف بكراماتهم، وعدم الاهتمام بشؤونهم ومصالحهم. ونحو ذلك من دواعى تحلّل أواصر المجتمع وضعف طاقاته.

وأبشع المظالم الاجتماعيه، ظلم الضعفاء، الذين لا يستطيعون صدّ العدوان عنهم، ولا يملكون إلّا الشكاه والضراعه إلى العدل الرحيم فى ظلاماتهم.

فعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «لَمَّا حضر عليّ بن الحسين عليه السلام الوفاء، ضمّنى إلى صدره، ثمّ قال: يا بنى، أوصيك بما أوصانى به أبى حين حضرته الوفاء، وبما ذكر أنّ أباه أوصاه به. قال: يا بنى، إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلّا الله تعالى» (١).

٥ - ظلم الحكّام والمتسلّطين: وذلك باستبدادهم، وخنقهم حريه الشعوب، وامتھان كرامتها، وابتزاز أموالها، وتسخيرها لمصالحهم الخاصّه، من أجل ذلك كان ظلم الحكّام أسوأ أنواع الظلم، وأشدّها نكرًا وأبلغها ضررًا فى كيان الأئمّه ومقدراتها.

ولذا شدّد الأئمّه عليهم السلام على حرمة إعانه الظالمين؛ لأنّ الظالم إنّما يتقوى بأعوانه، ولولاهم لما دبّ له دابّ، ولا رجل له راجل، فقد روى عن إمامنا الصادق عليه السلام أنّه قال: «العامل بالظلم، والمعين له، والراضى به، شركاء ثلاثتهم» (٢). ولا كفّاره لعمل السلطان إلّا قضاء حوائج الإخوان، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «كفّاره عمل السلطان

ص: ٧٣

---

١- (١) الكافى: ج ٢، ص ٣٣١، ح ٥. أمالى الشيخ الصدوق: ص ٢٤٩، ح ١٠. الخصال: ص ١٦، ح ٥٩. روضه الواعظين: ص ٤٦٥. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٥٣، ح ١٦، عن الأمالى.

٢- (٢) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٣٣٣، ح ١٦، عنه بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٣٣٣، ح ٦٧. وأنظر: الخصال: ص ١٠٧، ح ٧٢، عنه بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٣١٢، ح ١٦.

## وخامه الظلم

إن استنكار بنى البشر للظلم واستبشاعه فطرى، تأباه النفوس الحرّة الكريمة، ولكن هذا فيما لو استمرت الفطره بسلامتها، ولم تلوثها الأجواء، وإلا سوف يصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً، ومال الله دُولَهُ بين الأغنياء، ويُقدّم الرجل الدنيء على المؤمن الصادق (٢). ويزداد ظلم الظالمين ظلماً فوق ظلم، حتى يكون الظلم يوم القيامة، كما عبر عنه الحديث الذى افتتحنا به الكلام، ويصير فرعون الأمس عشرات من الفراعنه، ولم يهابوا حينئذٍ ما أعدّه الله تبارك وتعالى؛ إذ قال عزّ وجلّ: (وَ لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ) (٣)، ومن هنا جاء فى الأثر أنه «لَمَّا سجد السحرة ومَن آمن به من الناس، قال هامان لفرعون: إنَّ الناس قد آمنوا بموسى، فأنظر مَن دخل فى دينه، فاحبسه. فحبس كلَّ مَن آمن به من بنى إسرائيل، فجاء إليه موسى، فقال له: خلّ عن بنى إسرائيل. فلم يفعل، فأنزل الله عليهم فى تلك السنه الطوفان، فخرّب دورهم ومساكنهم، حتى خرجوا إلى البرّيه، وضربوا الخيام، فقال فرعون لموسى: ادع ربّك حتى يكفّ عنّا الطوفان، حتى أخلى عن بنى إسرائيل وأصحابك، فدعا موسى ربّه، فكفّ عنهم الطوفان، وهم فرعون أن يخلى عن بنى إسرائيل، فقال له هامان: إنَّ خلّيت عن بنى إسرائيل غلبك موسى، وأزال ملكك. فقبل منه، ولم يخلّ عن بنى إسرائيل، فأنزل الله عليهم فى السنه الثانيه الجراد، فجردت كلّ شىء

ص: ٧٤

- 
- ١- (١) من لا- يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١٧٦، ح ٣٦٦٦. وسائل الشيعه: ج ١٧، ص ١٩٢، ح ٣. وروى بلفظ آخر، انظر: تحف العقول: ص ٤١٠. مشكاه الأنوار: ص ٥٤٦.
- ٢- (٢) انظر: أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ١١٨ - ص ١٢٣.
- ٣- (٣) إبراهيم: آيه ٤٢.



كان لهم من النبات والشجر، حتى كانت تجرد شعرهم ولحيتهم، فجزع من ذلك جزعاً شديداً، وقال يا موسى: ادع ربك أن يكف عنا الجراد، حتى أخلى عن بني إسرائيل وأصحابك، فدعا موسى ربه، فكف عنهم الجراد، فلم يدعه هامان أن يخلى عن بني إسرائيل، فأنزل الله عليهم في السنه الثالثه القمل، فذهبت زروعهم وأصابتهم المجاعه، فقال فرعون لموسى: إن دفعت عنا القمل كفت عن بني إسرائيل، فدعا موسى ربه حتى ذهب القمل، وقال: أول ما خلق الله القمل في ذلك الزمان، فلم يخل عن بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم بعد ذلك الضفادع، فكانت تكون في طعامهم وشرابهم، ويقال: إنها كانت تخرج من أديبارهم وآذانهم وآنوفهم. فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً، فجاؤوا إلى موسى، فقالوا: ادع الله أن يذهب عنا الضفادع، فإننا نؤمن بك، ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا موسى ربه، فرفع الله عنهم ذلك، فلما أبوا أن يخلوا عن بني إسرائيل، حوّل الله ماء النيل دماً، فكان القبطى يراه دماً والإسرائيلي يراه ماءً، فإذا شربه الإسرائيلي كان ماءً، وإذا شربه القبطى كان دماً، فكان القبطى يقول للإسرائيلي: خذ الماء في فمك وصبه في فمي! فإذا صبّه في فم القبطى تحوّل دماً، فجزعوا جزعاً شديداً، فقالوا لموسى: لأن رفع الله عنا الدم لنرسل معك بني إسرائيل. فلما رفع الله عنهم الدم، غدروا، ولم يخلوا عن بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم الرجز، وهو الثلج، ولم يروه قبل ذلك، فماتوا فيه، وجزعوا جزعاً شديداً، وأصابهم ما لم يعهدوا قبله، فقالوا:

(يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل)، فدعا ربه فكشف عنهم الثلج، فخلّى عن بني إسرائيل، فلما خلّى عنهم اجتمعوا إلى موسى عليه السلام، وخرج موسى من مصر، واجتمع إليه من كان هرب من فرعون، وبلغ فرعون ذلك، فقال له هامان: قد نهيتك أن تُخلّى عن بني إسرائيل؛ فقد

اجتمعوا إليه، فجزع فرعون، وبعث في المداين حاشرين، وخرج في طلب موسى»(١).

نتجيه الظلم ونهايه الظالمين

لو تتبعنا أحوال وسير الظالمين على مرّ العصور، لوجدناهم مساكين بمعنى الكلمه، ولو التفت الظالم لنفسه، لعلم أنه أعدى مخلوق لها؛ إذ نتائج الظلم معلومه، ونهايه الظالمين واضحه جليه، ولكن نؤكد ذلك ببيان بعض الآثار والنتائج المترتبه على الظلم:

الأولى: ذهاب الحسنات وزيادة السيئات

فقد ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: «إنه ليأتى العبد يوم القيامة وقد سرتة حسناته، فيجئ الرجل فيقول: يا رب، ظلمني هذا، فيؤخذ من حسناته فيجعل في حسنات الذي سأله، فما يزال كذلك حتى ما يبقى له حسنه، فإذا جاء من يسأله نظر إلى سيئاته، فجعلت مع سيئات الرجل، فلا يزال يستوفي منه حتى يدخل النار»(٢).

الثانيه: زوال نعمه الظالم

فقد روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: «وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمه الله، وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوه المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد»(٣).

الثالثه: تعجيل العقوبه

فقد سئل أمير المؤمنين عليه السلام: «أيّ ذنبٍ أعجل عقوبه لصاحبه؟ فقال: من ظلم من لا

ص: ٧٤

١- (١) تفسير القمي: ج ١، ص ٢٣٨، عنه بحار الأنوار: ج ١٣، ص ١١٠ - ص ١١١، ح ١٥.

٢- (٢) ميزان الحكمه: ج ٢، ص ١٧٧١. والنهايه: ج ٢، ص ٥٥، ولم أعثر عليه في غيره، ولا على الكتاب الذي نقل منه.

٣- (٣) نهج البلاغه: ج ٣، ص ٨٥.

ناصر له إلا الله، وجاور النعمه بالتقصير، واستطال بالبغى على الفقير» (١)، ولذا نرى كيف عَجَّلَ اللهُ العقوبه بَمَنْ ظلم مَنْ كان ينادى: «هل من ذابَّ يذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله بإِغاثتنا؟ هل من معين يرجو ما عند الله في إِعانتنا؟! فارتفعت أصوات النساء بالعويل» (٢)، وكيف عَجَّلَ اللهُ العقوبه بَمَنْ قال له: «والله، لا تذوقه [الماء] حتى ترد الحاميه، فتشرب من حميمها! فقال: بل أرد على جدى رسول الله، وأسكن معه فى مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، وأشرب من ماء غير آسن، وأشكو إليه ما ارتكبت منى، وفعلتم بى. فغضبوا بأجمعهم حتى كأنَّ الرحمه سلبت من قلوبهم» (٣).

\*\*\*

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وسيعلم الذين ظلموا آلَ مُحَمَّدٍ أَيُّ مَنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ

والعاقبه للمتقين.

ص: ٧٧

---

١- (١) الاختصاص: ص ٢٣٤، عنه بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٣٢٠، ح ٤٣.

٢- (٢) اللهوف: ص ٦٩.

٣- (٣) مثير الأحزان: ص ٥٧. اللهوف: ص ٧٥. بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٥٧.







قال تعالى: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ \* فِيهَا أَلْهَاءٌ رُبُّكُمْ تَكْذِبَانَ) ١ .

تستعرض هاتان الآيتان جزاء الخائف من مقام الله تبارك وتعالى، والاستنكار على من كذب هذا الجزاء وأنكر هذه النعمة، وقبل الولوج في صلب الموضوع، لا بد من بعض الإيضاحات:

ما هو الخوف؟

الخوف هو تألم النفس خشيةً من حدوث شيء ووقوعه.

وأما الخوف من الله تبارك وتعالى فهو تألم النفس خشيةً من عقابه، وحياءً من عتابه.

والخوف من الله تبارك وتعالى من خصائص الأولياء، وسمات المتقين، والباعث المحفز على الاستقامة والصلاح، والموازع القوي من الشرور والآثام.

لذلك أولته الشريعة عنايةً فائقةً، وأثنت على ذويه ثناءً عاطراً مشرفاً (١)؛ إذ قال عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) ٣ .

وعن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا إسحاق، خف الله كأنك تراه، وإن كنت لا تراه فإنه يراك، فإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك، ثم برزت له بالمعصية، فقد جعلته من أهون الناظرين عليك» (٢).

وقال عليه السلام أيضاً: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً

ص: ٨١

١- (٢) انظر: أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ١٧٥ - ص ١٧٦.

٢- (٤) الكافي: ج ٢، ص ٦٨، ح ٢، عنه بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٥٥، ح ٢.

راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو» (١).

ويروى أنه: «دخل حكيمٌ على المهتدي العباسي، فقال الأخير له: عطني، فقال الحكيم: أليس هذا المجلس قد جلس فيه أبوك وعديك قبلك؟ قال: نعم. قال: فكانت لهم أعمالٌ ترجو لهم النجاه بها؟ قال: نعم. قال: فكانت لهم أعمالٌ تخاف عليهم الهلكة منها؟ قال: نعم. قال: فأنظر ما رجوت لهم فيه فآته، وما خفت عليهم منه فاجتنبه» (٢).

محاسن الخوف

إنَّ للخوف محاسناً عديده، وكيف لا يكون كذلك، وهو من الصفات الحميدة والخلال الحسنه المجيده، وقد مدحه الكتاب والسنة والعقلاء والحكماء.

إذ لا يحصل الإنسان على السعادة الدنيوية والأخروية إلا بالخوف من الله تبارك وتعالى؛ ولذا أعدَّ الباري عزَّ وجلَّ في هذه الآيه وغيرها الثواب الجزيل للخائفين منه جلَّ وعلا.

ولذا نرى أنَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يبشِّر الخائفين من الله تبارك وتعالى، والكابحين لشهواتهم، والغالبه عقولهم عليها، بأنَّهم خير من الملائكة؛ إذ قال عليه السلام: «إنَّ الله ركَّب في الملائكة عقلاً بلا شهوه، وركَّب في البهائم شهوةً بلا عقل، وركَّب في بنى آدم كليتهما، فمَن غلب عقله شهوته فهو خيرٌ من الملائكة، ومَن غلب شهوته عقله فهو شرٌّ من البهائم» (٣).

فصار الإنسان المسيطر على شهوته والمتحكَّم بها سعيداً، ويعيش حياةً طيبةً، وما ذاك

ص: ٨٢

١- (١) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٧١، ح ١١. تحف العقول: ص ٣٩٥. أمالي الشيخ المفيد: ص ١٩٥، ح ٢٧. عدّه الداعي: ص

١٣٧. بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٦٥، ح ٩، عن الكافي.

٢- (٢) أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ١٧٧.

٣- (٣) علل الشرائع: ج ١، ص ٤، ح ١. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٢٠٩، ح ٢. التفسير الأصفى: ج ١، ص ٤١٤. التفسير الصافي:

ج ٢، ص ٢٥٤. تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص ١٠٣، ح ٣٧١، عن العلل. بحار الأنوار: ج ٥٧، ص ٢٩٩، ح ٥، عن العلل أيضاً.



إِلَّا لَخَوْفِهِ مِنَ اللَّهِ، وَخُضُوعِهِ لَهُ عِزٌّ وَجَلٌّ، قَالَ تَعَالَى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (١).

وما نراه اليوم من مآسى وآلام تحيط بالشعوب والأفراد، ما هو إلا تبعات ترك الحكام والسلاطين، بل الناس أنفسهم، لخشية الله والخوف منه، قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ لَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (٢).

ما هو المقصود من المقام؟

ولو تأملنا فى الآيه، نجد أنها قالت: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ) ، فما هو المقام الذى رتب الآيه عليه ذلك الجزاء الكبير وهو (الجنة).

لقد فسّر الإمام الصادق عليه السلام المقام عند تفسيره لهذه الآيه، حيث قال عليه السلام: «وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ، وَيَسْمَعُ مَا يَقُولُ، وَيَعْلَمُ مَا يَعْلَمُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَيَحْجِزُهُ ذَلِكَ عَنِ الْقَبِيحِ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَذَلِكَ الَّذِي خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ» (٣).

فالخوف من مقام الله، هو الخوف الذى يحجب الإنسان عن معاصى الله، ويحدّره من مواقف يوم القيامة، والحضور أمام الله سبحانه وتعالى للحساب.

ولذا قالت الآيه المباركه من سورة فاطر: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) ٤ ،

ص: ٨٣

١- (١) النحل: آيه ٩٧.

٢- (٢) الأعراف: آيه ٩٦.

٣- (٣) الكافى: ج ٢، ص ٧١، ح ١٠. التفسير الأصفى: ج ٢، ص ١٢٤٦. التفسير الصافى: ج ٥، ص ١١٣. تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ١٩٦، ح ٤٨. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٢١٩، ح ٣، عن الكافى.

فالذى يخشى الله تبارك وتعالى ويخافه هو من يعلم بمقامه ومنزلته، ووعده ووعيده وعدله، فالخوف والخشية يتناسبان تناسباً طردياً مع العلم؛ فكلماً ازداد علم الإنسان، فالمفترض أن يزداد خوفه وخشيته من البارى عز وجل.

ومن هنا روى عن الإمام الباقر عليه السلام، أنه قال: «خرجت امرأة بغى على شباب من بنى إسرائيل، فأفتتهم، فقال بعضهم: لو كان العابد فلاناً لو رآها أفتته، وسمعت مقالته، فقالت: والله، لا أنصرف إلى منزلى حتى أفتنه، فمضت نحوه فى الليل، فدقت عليه، فقالت: آوى عندك، فأبى عليها، فقالت: إن بعض شباب بنى إسرائيل راودونى عن نفسى، فإن أدخلتنى وإلا لحقونى وفضحونى، فلمّا سمع مقالتهما فتح لها، فلمّا دخلت عليه، رمت بثيابها، فلمّا رأى جمالها وهياتها، وقعت فى نفسه، فضرب يده عليها، ثم رجعت إليه نفسه، وقد كان يوقد تحت قدر له، فاقبل حتى وضع يده على النار، فقالت: أى شىء تصنع؟ فقال: أحرقتها؛ لأنها عملت العمل فخرجت حتى أتت جماعه بنى إسرائيل، فقالت: الحقوا فلاناً، فقد وضع يده على النار. فأقبلوا فلحقوه وقد احترقت يده» (١).

فانظر إلى هذا العابد، لولا أنه يعلم مقام الله سبحانه وتعالى لما نجى من هذه الموبقه العظيمه، والجريمه الفظيحه، والكبيره الموبقه وهى الزنا، أعاذنا الله من كل قبيح وحرام.

ما هما الجنتان؟

وهنا سؤال يطرح نفسه، وهو: ما الجنتان اللتان وعد الرحمان بهما لمن خاف مقامه عز وجل؟

اختلفت آراء علماء المسلمين من المفسرين فى هاتين الجنتين، فقول: «أحدهما للإِنس، والأخرى للجآن، أو جنّه عدن وجنّه النعيم، أو بستانان من بساتين الجنّه، أو إحداهما

ص: ٨٤

١- (١) قصص الأنبياء (الراوندى): ص ١٨٧، ح ٢٢٣. قصص الأنبياء (الجزائرى): ص ٥٢٠، ولكن رواه عن الإمام الصادق عليه السلام، عنه بحار الأنوار: ج ١٤، ص ٤٩٢، ح ١١، وج ٦٧، ص ٣٨٧، ح ٥٢.

منزله، والأخرى منزل أزواجه وخدمه، كعاده رؤساء الدنيا»(١).

وقيل: «جَنَّهُ لفعل الطاعة، وأخرى لترك المعصية. وقيل: جَنَّهُ للعقيدة التي يعتقدها، وأخرى للعمل الذي يعمل به. وقيل: جَنَّهُ بالعمل، وجَنَّهُ بالتفضيل. وقيل: جَنَّهُ روحانيه، وجَنَّهُ جسمانيه. وقيل: جَنَّهُ لخوفه من ربِّه، وجَنَّهُ لتركه شهوته. وقال الفراء: إنّما هي جَنَّهُ واحده، والتثنيه لأجل موافقه رؤوس الآي. قال النحاس: وهذا القول من أعظم الغلط على كتاب الله؛ فإنّ الله يقول (جَنَّان) ويصفهما بقوله فيهما»(٢).

قال العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان: «وهذه الأقوال - كما ترى - لا دليل على شيء منها. ثمّ قال: وقيل: جَنَّهُ يُثاب بها وجَنَّهُ يُتفضّل بها عليه، ويمكن أن يُستشعر ذلك من قوله تعالى: (لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ فِيهَا وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ)»(٣).

كيف نستشعر الخوف من الله تبارك وتعالى

الخوف - كما قلنا - هو تألم النفس خشية من عذاب الله وعقابه، وهذا التألم في كثير من الأحيان يضعف عن المستوى المطلوب، وحينئذ لا بدّ من استشعاره مرةً أخرى حتّى يصل إلى الحدّ الذي يكون فيه خوفاً من مقام الله تبارك وتعالى، ولأجل ذلك لا بدّ من اتّباع النصائح التالية:

١ - تركيز العقيدة، وتقوية الإيمان بالله تعالى، ومفاهيم المعاد والثواب والعقاب، والجَنِّه والنار؛ إذ الخوف من ثمرات الإيمان وانعكاساته على النفس، قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) ٤.

ص: ٨٥

١- (١) تفسير العزّ بن عبد السلام: ج ٣، ص ٢٦٨.

٢- (٢) فتح القدير: ج ٥، ص ١٤٠.

٣- (٣) تفسير الميزان: ج ١٩، ص ١٠٩.

٢ - دراسه حالات الخائفين، وضراعتهم وتبتلهم إلى الله عزّ وجلّ، خوفاً من سطوته، وخشيته من عقابه.

ولذا ترى الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام، وهو زين العابدين، وسيد الساجدين، كيف يناجى ربّه يقول في بعض أدعيته: «وما لى لا أبكى؟! ولا أدرى إلى ما يكون مصيرى، وأرى نفسى تخادعنى، وأيامى تخاتلنى، وقد خفقت عند رأسى أجنحه الموت، فما لى لا أبكى؟! أبكى لخروج نفسى، أبكى لحلول رمسى، أبكى لظلمه قبرى، أبكى لضيق لحدى، أبكى لسؤال منكر ونكير إياى، أبكى لخروجى من قبرى عُرياناً ذليلاً، حاملاً ثقلى على ظهري، أنظر مرّة عن يمينى، ومرّة عن شمالى إذ الخلائق فى شأن غير شأنى: (لكلّ امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغنيه \* وُجوهٌ يومئذٍ مُسْفَرَةٌ \* ضاحِكَةٌ مُسْتَبْسِرَةٌ \* وَوُجوهٌ يومئذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ \* تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ) ١ .

٢ - استماع المواعظ البليغه والحكم الناجعه، الموجهه للخوف والرهبه (١). وأعظم مواعظ يجب استماعها هى مواعظ أهل البيت عليه السلام؛ لأنّها مواعظ خرجت من قلوب صادقاه، وأفواه طيبه، وهى مواعظ بليغه، بالغه الأهميه، تذيب الصخر الأضم.

ومن تلك المواعظ مواعظ سيّد الشهداء عليه السلام يوم عاشوراء التى كانت من السمو والرفعه أن نصح أعدائه من قتله ووعظهم، ففى يوم عاشوراء وبعد أن صفّ ابنُ سعد أصحابه للحرب دعا الإمام الحسين عليه السلام براحلته فركبها، ونادى بصوت يسمعه جُلّهم: «أيّها الناس، اسمعوا قولى ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحقّ لكم عليّ، وحتى أعذر إليكم، فإن أعطيتمونى النصف كنتم بذلك أسعد، وإن لم تعطونى النصف من أنفسكم فأجمعوا

ص: ٨٦

١- (٢) انظر: أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ١٨٠ - ص ١٨٢.

رأيكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمّه، ثم اقصوا إليّ ولا تنظرون، إنّ وليّ الله الذي نزل الكتاب، وهو يتولّى الصّالحين. ثمّ حمد الله وأثنى عليه، وذكر الله بما هو أهله، وصلى على النّبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وعلى ملائكة الله وأنبيائه، فلم يسمع متكلّم قطّ قبله ولا- بعده أبلغ فى منطق منه، ثمّ قال: «أمّا بعد: فانسبونى فانظروا من أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلى وانتهاك حرمتى؟ ألسنت ابن بنت نبيكم، وابن وصيه وابن عمّه وأوّل المؤمنين المصدّق لرسول الله بما جاء به من عند ربّه، أو ليس حمزه سيد الشهداء عمّى؟ أو ليس جعفر الطيار فى الجنّة بجناحين عمّى؟ أو لم يبلغكم ما قال رسول الله لى ولأخى: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة؟ فإن صدّقتمونى بما أقول وهو الحقّ، والله ما تعدّدت كذباً منذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، وإن كذبتمونى فإنّ فيكم من لو سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصارى وأبا سعيد الخدرى وسهل بن سعد الساعدى وزيد بن أرقم وأنس بن مالك، يخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لى ولأخى، أما فى هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟! فقال له شمر بن ذى الجوشن: هو يعبد الله على حرف إن كان يدرى (ما تقول)، فقال له حبيب بن مظاهر: والله، إنى لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنّك صادق ما تدرى ما يقول، قد طبع الله على قلبك. ثمّ قال لهم الحسين عليه السلام: «فإن كنتم فى شكّ من هذا، أفتشكّون أنّى ابن بنت نبيكم؟! فوالله، ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيّ غيرى فيكم ولا- فى غيركم، ويحكّم، أطلبونى بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص جراحه؟! فأخذوا لا يكلمونه، فنادى: «يا شبت بن ربيعى، يا حجار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث، يا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار وأخضرّ الجناح، وإنّما تقدم على جند لك مجنده؟! فقال له قيس بن الأشعث: ما ندرى ما تقول، ولكن انزل على حكم بنى عمّيك، فإنّهم لن يروك إلّا ما تحبّ. فقال له الحسين: «لا والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفترّ فرار العبيد. ثمّ

نادى: «يا عباد الله، إني عدت بربي وربكم أن ترجمون، أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب»(١).

لم أنسه إذ قام فيهم خاطباً فإذا هم لا يملكون خطاباً

يدعو ألت أنا ابن بنت نبيكم وملاذكم إن صرف دهر نابا

هل جئت في دين النبي ببدعه أم كنت في أحكامه مرتابا

أم لم يوص بنا النبي وأودع الثقلين فيكم عتره وكتابا

إن لم تدينوا بالمعاد فراجعوا أحسابكم إن كنتم أعرابا

فغدوا حيارى لا يرون لوعظه إلا الأسته والسهام جوابا(٢)

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أي منقلب ينقلبون

والعاقبة للمتقين.

ص: ٨٨

---

١- (١) الإرشاد: ج ٢، ص ٩٧ - ص ٩٨. إعلام الوري: ج ١، ص ٤٥٨. الدر النظيم: ص ٥٥٢. بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٦، عن الإرشاد.

٢- (٢) ديوان السيد رضا الهندي: ص ٤٢.







عن سليمان بن مهران، قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمدٍ عليها السلام، وعنده نفر من الشيعة، فسمعتة وهو يقول: «معاشِر الشيعة، كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً، قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم وكفّوها عن الفضول وقبيح القول» (١).

وقبل البدء في تسليط الضوء على فقرات هذه الرواية الشريفه، ينبغي أن يُعلم أنّ كلام الإمام عليه السلام ليس مقتصرًا على الشيعة، بل هو لجميع الأمم وإن كان المخاطب به الخاص؛ لأنّ الإمام يقوم مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هداية الأمة وإرشادها، كما هو واضح.

يخاطب الإمام الصادق عليه السلام في هذا الحديث الشيعة، بل جميع الأمم، ويأمرهم بأن يكونوا له، ولجميع الأمم عليهم السلام زيناً، وأن لا يكونوا شيناً كذلك.

ثمّ قال الإمام عليه السلام: «قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم، وكفّوها عن الفضول، وقبيح القول».

من أخطر وأوضح مصاديق الفضول، وقبيح القول هو الكلام الفاحش، والسباب، والقذف الذي ابتليت به هذه الأمة، ونحن - إن شاء الله تعالى - سنذكر هذه القبائح الثلاثة على نحو الاختصار.

١ - الفحش: هو التعبير عمّا يقبح التصريح به (٢)، كألفاظ الوقاع، وآلاته ممّا يتلفّظ به السفهاء، ويتحاشاه النبلاء، ويعتبرون عنها بالكنايه والرمز، كاللمس والمسّ، كناية عن الجماع.

ص: ٩١

---

١- (١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٤٨٤، ح ١٧. أمالي الشيخ الطوسي: ص ٤٤٠، ح ٤٤. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٤٨ - ص ١٤٩، ح ١٨. بحار الأنوار: ج ٦٥، ص ١٥١، ح ٦، عن أمالي الشيخ الطوسي، وج ٦، ص ٣١٠، ح ٣، عن أمالي الشيخ الصدوق.  
٢- (٢) انظر: النهاية في غريب الحديث: ج ٣، ص ٤١٥.

وهكذا يُكنّى الأدباء عن ألفاظ ومفاهيم يتفادون التصريح بها؛ لياقه وأدباً، كالكنايه عن الزوجه بالعائله، وأمّ الأولاد، وعن التبول والتغوط بقضاء الحاجه، والرمز إلى البرص والقرع بالعارض مثلاً؛ إذ التصريح بتلك الألفاظ والمفاهيم مُستَهَجَن عند العقلاء والعارفين.

٢ - وأما السبّ: فهو الشتم (١)، نحو (يا كلب، يا خنزير، يا حمار، يا خائن)، وأمثاله من مصاديق الإهانه والتحقير.

٣ - وأمّا القذف: نحو يا ابن الزانيه، أو يا زوج الزانيه، أو يا أخ الزانيه. وغيرها من الألفاظ المماثله ممّا اعتاد عليه البعض من غير المتديّنين، بل البعض منهم يمازح رفيقه بها، ولا يقولها إلاّ مدحاً له.

وهذه الخصال الثلاث من أشنع مساوئ اللسان، وغوائله الخطيره التي استنكرها الشرع والعقل، وحذرت منها الآثار والنصوص.

الفحش والسبّ والقذف في نظر الشارع المقدّس

لقد حذرت الشريعه المقدّسه عن الكلام الفاحش والسباب والقذف أشدّ التحذير، والآيات والروايات الوارده في المقام عديده.

أمّا الفحش: فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذمّه: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى كُلِّ فَحَّاشٍ بَنِيءٍ، قَلِيلِ الْحَيَاءِ، لَا يَبَالِي مَا قَالَ، وَلَا مَا قِيلَ لَهُ، فَإِنَّكَ إِنْ فَتَشْتَهُ لَمْ تَجِدْهُ إِلَّا لَغِيهِ أَوْ شَرَّكَ شَيْطَانًا. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِي النَّاسِ شَرَّكَ شَيْطَانًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَمَا تَقْرَأُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ)» ٢ .

ص: ٩٢

فالمراد بمشاركه الشيطان للناس في الأموال، دفعهم على كسبها بالوسائل المحرّمة، وإنفاقها في مجالات الغوايه والآثام.

وأما مشاركته في الأولاد: فبمشاركته الآباء في حال الوقاع، إذا لم يسمّوا الله تعالى عنده، فعن عبد الرحمن بن كثير، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً فذكر شريك الشيطان، فعظّمه حتى أفرغني، قلت: جعلتُ فداك فما المخرج من ذلك؟ قال: «إذا أردت الجماع فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، الذي لا إله إلا هو، بديع السماوات والأرض، اللهم إن قضيت منّي في هذه الليلة خليفه فلا تجعل للشيطان فيه شركاً، ولا نصيباً، ولا حظاً، واجعله مؤمناً مخلصاً مصفياً من الشيطان ورجزه، جلّ ثناؤك» (١).

ومما يؤكّد نهى الشارع عن الفحش أيضاً، ما روى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنّه قال: «مَنْ خافَ النَّاسَ لسانَه فهو في النار» (٢).

وأما السبّ: فقد قال الإمام الباقر عليه السلام عنه: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سَبَّابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ، وَقِتَالَهُ كُفْرٌ، وَأَكْلُ لَحْمِهِ مَعْصِيَةٌ، وَحُرْمَةُ مَالِهِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ» (٣).

وأما القذف: فقد قال الإمام الباقر عليه السلام عنه: «ما من إنسانٍ يطعن في عين مؤمن، إلا مات بشرّ ميتة» (٤).

ص: ٩٣

١- (١) المصدر نفسه: ج ٥، ص ٥٠٣، ح ٤.

٢- (٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٣٢٧، ح ٣. وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٣١، ح ٩. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٨٣، ح ١١ عن الكافي، وروى أيضاً بعينه في وصايا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأمر المؤمنين عليه السلام، انظر: مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٥٢، ح ٥٧٦٢.

٣- (٣) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٣٦٠، ح ٢. الإختصاص: ص ٣٤٣. مشكاة الأنوار: ص ١٧٩. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٨٢، ح ٢. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ١٦٠، ح ٣٣، عن الكافي.

٤- (٤) المحاسن: ج ١، ص ١٠٠، ح ٧٠. الكافي: ج ٢، ص ٣٦١، ح ٩. ثواب الأعمال: ص ٢٣٩. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٩٩، ح ٣. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ١٤٥، ح ١٤ عن ثواب الأعمال، وص ١٦٧، ح ٣٩ عن الكافي.

وعن عمرو بن نعمان الجعفي قال: «كان لأبي عبد الله عليه السلام صديق لا يكاد يفارقه إذا ذهب مكاناً، فبينما هو يمشى معه في الحدائق، ومعه غلام له سندی يمشى خلفهما، إذا التفت الرجل يريد غلامه ثلاث مرّات فلم يره، فلما نظر في الرابعه، قال: يا ابن الفاعله، أين كنت؟ قال: فرجع أبو عبد الله عليه السلام يده فصكّ بها جبهه نفسه، ثم قال: سبحان الله! تقذف أمه، قد كنت أرى أنّ لك ورعاً، فإذا ليس لك ورع. فقال: جعلت فداك، إنّ أمه سنديه مشركه، فقال: أما علمت أنّ لكل أمه نكاحاً، تنح عنّي. قال: فما رأيته يمشى معه حتى فُزق الموت بينهما. وفي روايه أخرى: إنّ لكل أمه نكاحاً تحتجزون به من الزنا» (١).

وقد عزى بعض العلماء (٢) السبب في الفحش والسبّ والقذف إلى أسباب: منها، العداً والحسد، أو الغضب وسوء الخلق، وكثيراً ما تنشأ من فساد التربيّه، وسوء الأدب والصحبه، فنحن نرى في العالم الخارجى أنّ الشخص الذى يعيش فى وسط لا يبالى بقول الفحش ولا السبّ والبذاء والقذف، نراه يتلفظ تلك الألفاظ بسهولة، وتصبح عنده أحلى من العسل، سواء سمعها قيلت فيه، أو قالها هو لآخر.

مساوى آثار هذه الخصال

إنّ لقول الفحش والسبّ والقذف مساوئاً وآثاراً سيئه كثيره، وأضراراً خطيره، وآثاماً فادحه.

فمن مساوئها: أنّها تجرد الإنسان من خصائص الإنسانيه المهذبّه، وأخلاقها الكريمه، وتسمّه بالسفاله والوحشيه.

ومنها: أنّها داعيه للعداء والبغضاء، وإفساد العلاقات الاجتماعيه، وإيجابها المقت والمجافاه بين أفراد المجتمع.

ص: ٩٤

١- (١) الكافي: ج ٢، ص ٣٢٤، ح ٥. وسائل الشيعه: ج ١١، ص ٣٣١، ح ١، وح ٢.

٢- (٢) انظر: كلام السيد مهدي الصدر رحمه الله فى كتابه القيم أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ٢٣٨.

ومنها: أنّها تعرّض ذويها لسخط الله تعالى وعقابه الأليم، كما ذكرته النصوص الآنفه الذكر.

لذلك جاء التحريض على رعايه اللسان، وصونه عن قوارص البذاء(1).

\*\*\*

إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وسيعلم الذين ظلموا آلَ مُحَمَّدٍ أَيُّ مَنقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبه للمتقين.

ص: ٩٥

---

١- (١) انظر: أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ٢٣٦ - ص ٢٣٨.









قال تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً \* يُصِیْح لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِیماً) ١ .

من أهم الأسباب التي تولد المشاكل بين الأفراد، بل المجتمعات بصورة عامّة، هي مشكله سوء الإستفاده من عضله اللسان، هذه العضله التي وهبها الله عزّ وجلّ لتكون نعمه للبشر، لا أن تكون نقمه عليهم، ومن هنا قال الشاعر:

احفظ لسانك أيُّها الإنسان لا يلدغَنَّك إنَّه تُعبانٌ (١)

وهذا هو الواقع؛ فإنَّ اللسان أشدّ من الثعبان، فإنَّه سَبَّح ضارى، كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «اللسان سَبَّح، إن خلى عنه عقر» (٢).

فمن أجل ذلك كان صون اللسان مهمّة كلّ إنسان عاقل، يدين بدين الله تبارك وتعالى، وتعويدته على الكلم الطيب دون الخبيث منه؛ فإنَّ الكلمه الطيبه هي الباقية، والخبيثه مجتته من فوق الأرض مالها من قرار.

قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ \* تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ \* وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ

ص: ٩٩

---

١- (٢) شرح مائه كلمه لأمير المؤمنين عليه السلام: ص ١٤٨. الأذكار النوويه: ص ٣٣٥، والمصدران لم ينسباه لأحد. العهود المحمّديه: ص ٤٨٦، وص ٧٦١ وقال: «وقد أنشدني شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري نفعنا الله ببركاته». وفي نخبه اللآلى: ص ٣٢، نسبه للشافعي.

٢- (٣) نهج البلاغه: ج ٤، ص ١٥، رقم ٦٠، عنه بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٢٩٠، ح ٦٢.

قَرَارٌ \* يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) ١ .

فطيب الكلام، وحسن الحديث والمقال من صفات النبلاء والكرام، بخلاف الكلام الخبيث.

تأكيد القرآن والسنة على صون اللسان

لقد أكدت الآيات والروايات على صون اللسان عن كل ما لا يرضى الله تبارك وتعالى، وهكذا السنة الشريفة.

أما الآيات الدالة على ذلك فهي كثيرة، نذكر منها ما يلي:

قال تعالى: (وَ قُلْ لِعِبَادِيَ يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا) ٢ ، وقال تعالى: (وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) ٣ .

ومن الآيات الآيه التي افتتحنا بها المحاضرة، وسيأتي الحديث عنها إن شاء الله تعالى، وأيضاً الآيه المتقدِّمه، وهي قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا...).

وأما الروايات الدالة على ذلك كثيرة جداً نذكر منها ما يلي:

١ - جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا رسول الله، أوصني». قال: احفظ لسانك. قال: يا رسول الله، أوصني. قال: احفظ لسانك. قال: يا رسول الله، أوصني. قال: احفظ لسانك، ويحك! وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم» (١).

ص: ١٠٠

١- (٤) الكافي: ج ٢، ص ١١٥، ح ١٤. تحف العقول: ص ٥٦. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٩١، ح ٨. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٣٠٣، ح ٧٨، عن الكافي.

٢ - وقال الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام: «القول الحسن يثري المال، وينمي الرزق، وينسى في الأجل، ويحبب إلى الأهل، ويدخل الجنة» (١).

فأنظر إلى أهميه صون اللسان عن غير الكلام الحسن، وأهميه الكلام الحسن، الذي فيه آثار عديده، منها: أنه يثري المال، وينمي الرزق، ويؤخر الأجل، ويحبب إلى الأهل، وأهمها: الدخول إلى الجنة، الذي هو أمنيته كل مؤمن.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رحم الله عبداً قال خيراً فغَنِمَ، أو سكت عن سوء فَسَلِمَ» (٢).

ومرَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام برجلٍ يتكلم بفضول الكلام، فوقف عليه، وقال: «يا هذا، إنك تملى على حافظيك كتاباً إلى ربك، فتكلم بما يعينك، ودع ما لا يعينك» (٣).

التأمل في الآيتين

بعد هذه المقدمات في الموضوع، فلنرجع إلى الآيتين المباركتين، حيث قال الباري عز وجل: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَ يُغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ).

فقد أمرنا الله تبارك وتعالى بتقواه، وأن يكون قولنا قولاً سديداً، ورتب على ذلك

ص: ١٠١

١- (١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٤٩، ح ١. الخصال: ص ٣١٧، ح ١٠٠. روضه الواعظين: ص ٣٧٠. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٨٦، ح ١٦. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٣١٠، ح ١، عن الخصال والأمالى.

٢- (٢) (١) الإمامه والتبصره: ص ٣٧. تحف العقول: ص ٤٣. مشكاة الأنوار: ص ٣٠٦. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٢٩٣، ح ٦٤، عن الإمامه والتبصره، والحديث مشهور، وروى بألفاظ متعدده، وتغيير يسير في بعض المصادر، انظر - مثلاً -: المحاسن: ج ١، ص ١٥، ح ٤٣. علل الشرائع: ج ٢، ص ٦٠٦. وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ١٢٣، ح ١٧.

٣- (٣) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٨٥، ح ٤، من لا يحضره الفقيه: ص ٤، ص ٣٩٦، ح ٥٨٤١. روضه الواعظين: ص ٣٧٠. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٩٧، ح ٥. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٢٧٦، ح ٤.

أثرين، وهما: (إصلاح الأعمال، وغفران الذنوب)، وهما مقدّمتان للفوز بالنعيم الخالد، وهو الجنّة.

ما هو القول السديد؟

إنّ الآيه الكريمة أمرت المؤمنين بالتقوى والقول السديد، أمّا التقوى فقد تقدّم الكلام عنها سابقاً بشيءٍ من التفصيل، وإجماله أن لا يراكَ الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، كما عبّرت عنه الروايه الشريفه (١).

وأما القول السديد، فقد جاء في روايات أهل البيت عليه السلام أنّه القول العدل، فقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال لعباد بن كثير البصرى الصوفى: «ويحك يا عبّاد، غرّك أن عَفَّ بطنك وفرجك؟ إنّ الله عزّ وجلّ يقول فى كتابه: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) ، اعلم إنّ لا يتقبّل الله منك شيئاً حتى تقول قولاً عدلاً» (٢).

فالقول السديد مأخوذ من ماده (سدّ) أى: المحكم المنيع، الذى لا يعتريه الخلل، والموافق للحقّ والواقع، يعنى: القول الذى يقف كالسدّ المنيع أمام أمواج الفساد والباطل (٣).

ثمّ بيّنت الآيه التاليه نتيجته التقوى والقول السديد، حيث قالت: (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) ، فإنّ التقوى - فى الواقع - هى الدعامة العظيمة لإصلاح الإنسان أعماله وأقواله، ومنها إصلاح اللسان؛ فإنّ الإنسان المتقى لا يقول إلاّ القول

ص: ١٠٢

١- (١) قال ابن فهد الحلبي رحمه الله فى عدّه الداعى: ص ٢٨٥: «واعلم أنّ الصادق عليه السلام سئل عن تفسير التقوى، فقال عليه السلام: «أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراكَ حيث نهاك».

٢- (٢) الكافى: ج ٨، ص ١٠٧، ح ٨١. التفسير الصافى: ج ٤، ص ٢٠٦، وج ٦، ص ٧٢. تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٣٠٩، ح ٢٥٦، عن الكافى، بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ٣٥٩، ح ٦٨، عن الكافى أيضاً.

٣- (٣) انظر: كتاب العين: ج ٧، ص ١٨٤، معجم مقاييس اللغه: ج ٣، ص ٦٦.

السديد، ولا يتلفظ إلا به.

ولذا ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» (١).

فهذا معناه أن أكثر المشاكل منشأوها اللسان، الذي يحصد الأخضر واليابس، ويقطع المسافات التي لا تقطعها غيره من الجوارح.

فالإذن مثلاً: لا تسمع إلا ضمن حدٍّ محدود، وهكذا العين لا تبصر إلا بقدرٍ مخصوص، ومثلها سائر الجوارح، ما عدا اللسان فإنه يتجاوز البيان، فإنه لا تحدّه الحدود، فهو قادر على إيقاع الفتنة في أقصى البلاد، وقادر على النيمه والغيبه في نهايه العالم، خصوصاً في زماننا هذا، الذي يسمى بزمان القريه الواحده، بل البيت الواحد، وإلى هذا أشارت كلمه الإمام السجاد عليه السلام التي يقوله فيها: «إن لسان ابن آدم يشرف كل يوم على جوارحه فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركتنا، ويقولون: الله الله فينا، ويناشدونه، ويقولون: إنما نئاب بك، ونعاقب بك» (٢).

فانظر إلى خوف كل الأعضاء والجوارح من اللسان! وكيف يتوسلون إليه، ويطلبون منه أن يتركهم وشأنهم.

وهناك روايات كثيره في هذا الباب، تحكى جميعاً عن الأهميه الفائقه للسان، ودوره في إصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس.

ص: ١٠٣

١- (١) نهج البلاغه: ج ٢، ص ٩٤، واستشهد بها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ناسباً إياها للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. مسند أحمد: ج ٣، ص ١٩٨. مجمع الزوائد: ج ١، ص ٥٣. كتاب الصمت وآداب اللسان: ص ٣٨، ح ٩. المعجم الكبير: ج ١٠، ص ٢٢٧، ح ١٠٥٥٣. معارج اليقين في أصول الدين: ص ٢٤٩، ح ١٩. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٢٨٧، وص ٢٩٢، وج ٧٢، ص ٢٦٢، ح ٦٧، عن النهج.

٢- (٢) الخصال: ص ٦، ح ١٥. ثواب الأعمال: ص ٢٣٧. الإختصاص: ص ٢٣٠. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٢٧٨، ح ١٤، عن ثواب الأعمال.

ذكرنا إنَّ اللسان من الجوارح المهمَّه والخطيره فى الإنسان، ولا بدَّ من معرفه مواطن خطورتها، ومواطن أهميتها.

وهذا اللسان لو سَخَّر ورَوَّض فى مرضاه الله تبارك وتعالى، لأثمر أى ثمرات، ثمرات لا مثيل لها، من إصلاح المجتمع، وتهذيب النفوس، وبالتالي الإرتقاء بهم إلى الجنَّه، وذلك هو الفوز العظيم، ومن هنا نرى أنَّ الأئمَّه عليه السلام كيف هدوا أُمَّه من الناس عن طريق القول السديد، والكلام الطيب الرشيد، فقد روى أنَّ الإمام الكاظم عليه السلام: «اجتاز على داره - أى: بشر - ببغداد، فسمع الملاهى وأصوات الغناء والقصب تخرج من تلك الدار، فخرجت جاريه ويدها قمامه البقل، فرمت بها فى الدرب: فقال لها: يا جاريه، صاحب هذه الدار حُرٌّ أم عبْدٌ؟ فقالت: بل حُرٌّ. فقال: صدقتِ، لو كان عبداً خاف من مولاه! فلما دخلت، قال مولاهما وهو على مائده السكر: ما أبطأك علينا؟ فقالت: حدَّثنى رجلٌ بكذا وكذا، فخرج حافياً حتى لقي مولانا الكاظم عليه السلام، فتاب على يده» (١).

وقد وُقِّ هذا الرجل للتوبه، وأصبح من العبَّاد والزَّهاد إلى آخر عمره، وتوفى فى بغداد، قال الشيخ القمى: «... وللصوفيه اعتقادٌ تامٌّ به، وقيل له: الحافى؛ لانه كان حافياً دائماً، والظاهر إنَّ سبب ذلك أنه هرول خلف الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حافياً، ونال السعاده العظمى» (٢).

فأنظر إلى تأثير هذا القول السديد، والكلام الطيب، ومن هنا روى أنَّ «الكلمه الطيبه صدقه» (٣)، وأى صدقهِ التى يدخل الإنسان بها الجنَّه!

ص: ١٠٤

١- (١) منهاج الكرامه: ص ٥٩، عنه منتهى الآمال: ج ٢، ص ٢٩٩.

٢- (٢) منتهى الآمال: ج ٢، ص ٢٩٩.

٣- (٣) مكارم الأخلاق: ص ٤٦٧. صحيح البخارى: ج ٧، ص ٧٩. مسند أحمد: ج ٢، ص ٣١٦. بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٨٥، وج ٨٠، ص ٣٦٩.

ثُمَّ إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَ الْإِنْسَانُ بِأَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَى قَائِلِ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ وَالْهِدَايَةِ النَّافِعَةَ مَمَّنْ خَرَجَتْ، فَفِي الْمَرْوِيِّ عَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ وَعَظَ شِيعَتَهُ وَمَوَالِيَهُ، قَائِلًا لَهُمْ: «... أَلَا تَأْخُذُونَ الذَّهَبَ مِنَ الْحَجَرِ، أَلَا تَقْتَبِسُونَ الضِّيَاءَ مِنَ النُّورِ الْأَزْهَرِ، أَلَا تَأْخُذُونَ اللَّوْثُ مِنَ الْبَحْرِ. خُذُوا الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ مَمَّنْ قَالَهَا، وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ)» (١).

ثُمَّ قَالَتِ الْآيَةُ الثَّانِيَةُ: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا).

ما هو الفوز العظيم؟

إِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ طَاعَةَ الرَّسُولِ، وَطَاعَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طَاعَةُ أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ، قَالَ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) ٢، وَالتِّي فَسَّرَهَا جَمَلُهُ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَأَتَمُّهُمُ أُولَى الْأَمْرِ (٢).

وَالْمَهْمُ فِي الْمَقَامِ بَيَانُ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ الْمَتَرْتَّبِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ أَنَّ السَّبَبَ فِي كَوْنِ الْفَوْزِ عَظِيمًا مِنْ وَجْهَيْنِ:

الأول: أَنَّهُ مِنْ عَذَابٍ عَظِيمٍ، وَالنَّجَاهُ مِنَ الْعَذَابِ تَعْظُمُ بَعْضُ الْعَذَابِ.

الثاني: أَنَّهُ وَصَلَ إِلَى ثَوَابٍ كَثِيرٍ، وَهُوَ الثَّوَابُ الدَّائِمُ الْأَبَدِيُّ (٣)؛ وَلِذَا كَانَ عَظِيمًا، وَلَكِنْ لَيْسَ بِدُونَ عَمَلٍ، بَلْ لِأَنَّ صَاحِبَ الْعَمَلِ أَطَاعَ اللَّهَ وَأَطَاعَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ وَلِذَا عِنْدَمَا نَذَرَ سَيِّدَ الشَّهَادَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَقُولُ: «يَا لَيْتَنَا كُنَّا مَعَكُمْ فَفَوْزَ فَوْزًا عَظِيمًا»، وَيَا لَيْتَ الْقَوْمَ أَطَاعُوا

ص: ١٠٥

١- (١) تحف العقول: ص ٢٩١، عنه بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٧٠، ح ٤.

٢- (٣) انظر: تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٤٧. تفسير القمي: ج ١، ص ١٤١. تفسير فوات الكوفي: ص ١٠٨. تفسير مجمع البيان: ج ٣، ص ١١٤.

٣- (٤) انظر: تفسير الرازي: ج ٢٥، ص ٢٣٤.

الله وأطاعوا الرسول في ذريته التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا سلم لمن سالمهم، وحرب لمن حاربهم» (١)؛ حتى يفوزوا بالفوز العظيم، لكن القوم ما انصفوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل لو كان صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم أن يقتلوا أهل بيته عليهم السلام لما زادوا، كما قال إمامنا زين العابدين عليه السلام: «أيها الناس، أي قلب لا ينصدع لقتله، أم أي فؤاد لا يحن إليه، أم أي سمع يسمع هذه التلمه التي ثلمت في الإسلام؟! أيها الناس، أصبحنا مطرودين، مشردين، مذودين، شاسعين، كأننا أولاد ترك أو كابل، من غير جرم اجترمانه، ولا مكروه ارتكبناه، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إن هذا إلا- اختلاق، والله، لو أن النبي تقدم إليهم في قتالنا، كما تقدم إليهم في الوصاه بنا لما زادوا على ما فعلوه، فإننا لله وإننا إليه راجعون» (٢).

\*\*\*

إننا لله وإننا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أي منقلب ينقلبون

والعاقبه للمتقين.

ص: ١٠٦

---

١- (١) بناء المقالة الفاطمية: ص ١٨٠. شرح إحقاق الحق: ج ٣٣، ص ٨٨.

٢- (٢) مشير الأحزان: ص ٩١.







عن داود بن كثير الرقي، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام، يقول: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَخْفَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، فَلْيَكُنْ لِقَرَابَتِهِ وَصُولًا، وَبِوَالِدِيهِ بَارًّا، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ هَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَلَمْ يَصِبْ فِي حَيَاتِهِ فَقْرٌ أَبَدًا» (١).

نتناول في هذه المحاضرة موضوعين مهمين، ألا- وهما: صلة الرحم وبرّ الوالدين، وقد ذكر هذا الحديث المبارك هذين الموضوعين، وذكر أيضاً ما يترتب عليهما من أثر، والأثر المترتب عليهما هو: تخفيف الله عزّ وجلّ سكرات الموت وتهوينها، وعدم الإصابه بالفقر أبداً.

ولنرجع إلى أصل الموضوعين، ونتناول كلّ واحدٍ منهما على حده، وبشيء من التفصيل.

## ١ - صلة الأرحام والقرباه

الأقرباء هم الأسره التي ينتمى إليها الإنسان، والدوحه التي تفرّع منها، وهم ألصق الناس نسباً به، وأشدّهم عطفاً عليه، وأسرعهم إلى نجاته ومواساته.

وأفضل الأقرباء والأرحام وأجدرهم بالإعجاب والثناء هم: المتحابون، المتعاطفون، المتآزرون على تحقيق أهدافهم ومصالحهم. وكلّما استشعر الأرحام وتبادلوا أحاسيس التضامن والتعاطف، كانوا أعزّ قدرأ، وأمنع جانباً، وأشدّ قوةً على مجابهة الأعداء، والشدائد والأزمات.

ص: ١٠٩

---

١- (١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٤٧٣، ح ١٤. أمالي الشيخ الطوسي: ص ٤٣٢، ح ٢٤. روضه الواعظين: ص ٣٦٧. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٦٦، ح ٣٣، عن أمالي الشيخ الصدوق.

والمقصود من الأرحام هم المتحدون فى النسب، وإن تباعدت أو اصر القربى بينهم، والمراد من صلتهم التودد إليهم، والعطف عليهم، وإسداء العون المادى لهم، ودفع المكاره والشور عنهم، ومواساتهم فى الأفراح والأحزان (١).

الروايات الحائثه على صلته الأرحام

هناك عدّه روايات حثّت على صلته الأرحام والقرابه، وإليك طرفاً منها:

عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اوصى الشاهد من أمتى والغائب منهم، ومَن فى أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة: أن يصل الرحم، وإن كان منه على مسيره سنه؛ فإن ذلك من الدين» (٢).

وعلق بعض الأكابر على قوله عليه السلام: «وإن كان منه على مسيره سنه» بقوله: «فينبغى الإرتحال لزيارتهم، أو إرسال الكتاب والهدايا إليهم» (٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «ما نعلم شيئاً يزيد فى العمر إلا صلته الرحم، حتى أن الرجل يكون أجله ثلاث سنين، فىكون وصولاً للرحم، فيزيد الله فى عمره ثلاثين سنه، فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سنه، فىكون قاطعاً للرحم فينقصه الله تعالى ثلاثين سنه، ويجعل أجله إلى ثلاث سنين» (٤).

وهذا الحديث واضح الدلاله على أن صلته الرحم وحدها سبب لزياده العمر، ولعل المراد أنّها أكمل أفراد ما يوجب زياده العمر، مثل الصدقه وحسن الجوار وغيرهما،

ص: ١١٠

١- (١) انظر: أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ٤٣٠ - ص ٤٣٢.

٢- (٢) الكافى: ج ٢، ص ١٥١، ح ٥. مشكاة الأنوار: ص ٢٨٧. عده الداعى: ص ٨٠، عنه بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٠٥، ح ٤٨، و ص ١١٤، ح ٧٣ عن الكافى.

٣- (٣) شرح أصول الكافى: ج ٩، ص ٩.

٤- (٤) الكافى: ج ٢، ص ١٥٢، ح ١٧، عنه تفسير الصافى: ج ٤، ص ٢٣٤، وج ٦، ص ١٢٢. وتفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٣٥٤، ح ٤٥. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٢١، ح ٨٥ عن الكافى أيضاً.

ويمكن إدراج غيرها فيها بوجه.

وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «صل رحمك ولو بشربه من ماء، وأفضل ما يوصل به الرحم كف الأذى عنها...» (١). وعنه عليه السلام أنه قال: «إن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، أهل بيتي أبوا إلا توثباً عليّ، وقطيعة لي وشتيمة فأرفضهم؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: إذا يرفضكم الله جميعاً. قال: فكيف أصنع؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، فإنك إذا فعلت ذلك كان لك من الله عليهم ظهير» (٢).

وكلّما كان الأرحام والأقرباء متماسكون أكثر، كانوا أقدر على مجابهة المشاكل والصعاب، ولا يستطيع الأعداء والحساد زعزعتهم.

ومن هنا حُكي أنّ رجلاً يُدعى (أكثم بن صيفي)، دعى أبناءه عند موته، فاستدعى إضمامة (٣) من السهام، فتقدّم إلى كلّ واحد منهم أن اكسرها فلم يقدر أحد على كسرها.

ثمّ بدّدها فتقدّم إليهم أن يكسروها فاستسهلوا كسرها، فقال: كونوا مجتمعين؛ ليعجز من ناواكم عن كسركم، كعجزكم عن كسرها مجتمعاً، فإنكم إن تفرقتم سهل كسركم (٤).

آثار قطيعه الرحم

قطيعه الرحم، هي فعل ما يسخط الرحم ويؤذيه، قولاً وفعلاً كسبه واغتيابه وهجره، وقطع الصلات الماديه عنه، وحرمانه من مشاعر العطف والحنان.

وتعتبر الشريعة الإسلامية قطيعه الرحم جرماً كبيراً، وإثماً ماحقاً، توعد عليها

ص: ١١١

- ١- (١) قرب الإسناد: ص ٣٥٥، ح ١٢٧٢. الكافي: ج ٢، ص ١٥١، ح ٩. تحف العقول: ص ٤٤٥. مشكاة الأنوار: ص ٢٨٨. منتقى الجمان: ج ٢، ص ٤٥٧. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٨٨، ح ١ عن قرب الإسناد وص ١١٧، ح ٧٨ عن الكافي.
- ٢- (٢) الكافي: ج ٢، ص ١٥٠، ح ٢. وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٥٣٨، ح ١. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١١٣، ح ٧٢.
- ٣- (٣) الإضمامة: المضموم بعضها إلى بعض، كما في كتاب العين: ج ٧، ص ١٧.
- ٤- (٤) انظر: أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ٤٣٥.

الكتاب والسنة، قال تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ) ١ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أربعة أسرع شيء عقوبه: رجل أحسنت إليه فكافأك بالإحسان إساءة، ورجل لا تبغى عليه، وهو يبغى عليك، ورجل عاهدته على أمر فوفيت له وغدر بك، ورجل وصل قرابته فقطعوه» (١).

ومن هنا روى عن بعض أصحاب الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: قلت له: «إِنَّ إِخْوَتِي وَبَنِي عَمِّي قَدْ ضَيَّقُوا عَلَيَّ الدَّارَ، وَالْجَاوِنِي مِنْهَا إِلَى بَيْتٍ، وَلَوْ تَكَلَّمْتُ أَخَذْتَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، قَالَ: فَقَالَ لِي: اصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ لَكَ فِرْجًا. قَالَ: فَانصرفت، ووقع الوباء في سنة إحدى وثلاثين [ومائه]، فماتوا والله كلهم، فما بقي منهم أحد، قال: فخرجت فلما دخلت عليه، قال: ما حال أهل بيتك؟ قال: قلت له: قد ماتوا والله كلهم، فما بقي منهم أحد، فقال: هو بما صنعوا بك، وبعقوقهم إياك، وقطع رحمهم بتروا، أتحب أنهم بقوا، وأنهم ضيقوا عليك؟ قال: قلت: إى والله» (٢).

وفي خبر شعيب العرقوفى فى دخول يعقوب المغزلى على موسى بن جعفر عليه السلام، وقوله عليه السلام له: «يا يعقوب، قدمت أمس، ووقع بينك وبين أخيك شرٌّ فى موضع كذا وكذا، حتى شتم بعضكم بعضاً، وليس هذا من دينى ولا دين آبائى، ولا نأمر بهذا أحداً، فاتق الله وحده، فإنكما ستعاقبان بموت، أما أخوك فيموت فى سفره قبل أن يصل إلى أهله، وستندم أنت على ما كان؛ ذلك أنكما تقاطعتما فبتر الله أعماركما. قال الرجل: جعلت فداك،

ص: ١١٢

- ١- (٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٥٥، ضمن حديث ٥٧٦٢. مكارم الأخلاق: ص ٤٣٤. الخصال: ص ٢٣٠، ح ٧٢. وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٤٠، ح ٧. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٧٤، ح ٣، وج ٧٤، ص ٤٤ ضمن ح ١ وكلاهما عن الخصال.
- ٢- (٣) الكافي: ج ٢، ص ٣٤٧، ح ٣، عنه بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٣٣، ح ١٠٣.

فأنا متى أجلى؟ قال: كان حضر أجلك، فوصلت عمّتك بما وصلتها في منزلك كذا وكذا، فأنسأ الله به أجلك عشرين سنة. قال: فلقيت الرجل قابل بمكه، فأخبرني أن أخاه توفي في ذلك الوجه، ودفنه قبل أن يصل إلى أهله» (١).

ودلاله الحديث واضح أيضاً على أنّ المراد بالنساء في الأجل زياده العمر، لا ما ذهب إليه بعض العامه من بقاء الذكر الجميل بعد موته، ولا- ما ذهب إليه بعضهم أيضاً من البركه في العمر بمعنى توفيقه للطاعه والعباده، وما ذهبوا إليه وإن كان صحيحاً يوجه الصلّه، لكنه غير مراد من النساء في الأجل (٢).

إذن، فقطعيه الرحم من الذنوب التي تعجّل العقوبه، وتعجّل بالفناء، وتمحق الديار، والخسران في الدنيا والآخره، هذا كله في الموضوع الأول، وقد تكلمنا فيه على نحو الاختصار، وهناك شواهد كثيره في الموضوع، ولكن تركناها لطولها.

## ٢ - حقوق الوالدين

من الحقوق الإلهيه المهمه على الإنسان حق الوالدين؛ فقد قرنهما البارى عزّ وجلّ بعد التوحيد في أكثر من آيه، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على عظم هذا الحق وجلالته.

قال تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) ٣.

وقال عزّ وجلّ: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) ٤.

ص: ١١٣

---

١- (١) دلائل الإمامه: ص ٣٣٤، ح ٣٤. مدينه المعاجز: ج ٦، ص ٢٤٢ - ص ٢٤٣، ح ٥٢. اختيار معرفه الرجال: ج ٢، ص ٧٤١، ح ٨٣١.

٢- (٢) انظر: شرح أصول الكافي: ج ٩، ص ١٢.

فقد بينت هاتان الآيتان منزله برّ الوالدين، وعدم عقوقهما بعد التوحيد، وعدم الشرك بالله، وأما الروايات في المقام فهي كثيرة جداً، فعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «ثلاث لم يجعل الله عزّ وجلّ لأحد فيهن رخصه: أداء الأمانة إلى البرّ والفاجر، والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر، وبرّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين» (١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، أوصني فقال: لا تشرك بالله شيئاً، وإن حُرقت بالنار وعُذبت إلاّ وقلبك مطمئن بالإيمان، ووالديك فأطعهما وبرّهما، حين كانا أو ميتين، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك فافعل؛ فإنّ ذلك من الإيمان» (٢).

وعن عمّار بن حنّيان قال: خبرت أبا عبد الله عليه السلام ببرّ إسماعيل ابني بي، فقال: «لقد كنت أحبّه، وقد ازددت له حبّاً، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتته أُختٌ له من الرضاعة، فلما نظر إليها سرّ بها، وبسط ملحفته لها، فأجلسها عليها، ثمّ أقبل يُحدّثها ويضحك في وجهها، ثمّ قامت وذهبت، وجاء أخوها، فلم يصنع به ما صنع بها، فقليل له: يا رسول الله، صنعت بأخته ما لم تصنع به، وهو رجل؟! فقال: لأنها كانت أبرّ بوالديها منه» (٣).

ص: ١١٤

- 
- ١- (١) الكافي: ج ٢، ص ١٦٢، ح ١٥، عنه بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٥٦، ح ١٥. تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ١٥١، ح ١٤١، لكن رواه عن الإمام الصادق عليه السلام. وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٤٩٠، ح ٣.
- ٢- (٢) المصدر نفسه: ج ٢، ص ١٥٨، ح ٢، تحف العقول: ص ٤١. مشكاة الأنوار: ص ٢٧٨. التفسير الصافي: ج ٤، ص ١٤٤. التفسير الأصفى: ج ٢، ص ٩٦٩. تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٢٠١، ح ٢٨. وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٤٨٩، ح ٤. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣٤، ح ٢ عن الكافي، وج ٧٤، ص ١٤٥، ح ٤٤.
- ٣- (٣) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٦١، ح ١٢. كتاب الزهد: ص ٣٤، ح ٨٨. مشكاة الأنوار: ص ٢٨٠، ح ٢٨٠، ح ١، ص ٢٠٣ - ص ٢٠٤، ح ٦ عن الكافي. وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٤٨٩، ح ٣. بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢٨١، ح ١٢٦ عن كتاب الزهد، وج ٢٢، ص ٢٦٦ - ص ٢٦٧، ح ١١ عن الكافي، وج ٧١، ص ٥٥، ح ١٢ عن الكافي أيضاً.



عرفنا أهميه البرّ بالوالدين من خلال الآيات والروايات الشريفه، ومع هذا فقد أولى الشارع المقدّس الأم بأهميه زائده على الأب، وأعطاهما الحظّ الأوفر من البرّ والرعايه؛ لكونها قد قدّمت الحظّ الأوفر من الجهد والعنايه، فقد تحمّلت الأمّ متاعب الحمل ومشاقّه التي يعبر عنها القرآن الكريم بالوهن تارةً وبالكره أخرى.

قال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) ١ .

وقال عزّ وجلّ: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِإِحْسَانٍ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا) ٢ .

وأما الروايات فهي عديده:

منها: ما روى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، من أبرّ؟ قال: أمّك. قال: ثمّ من؟ قال: أمّك. قال: ثمّ من؟ قال: أمّك. قال: ثمّ من؟ قال: أباك» (١).

وعن إبراهيم بن مهزم قال: «خرجت من عند أبي عبد الله عليه السلام ليله ممسياً فأتيت منزلي بالمدينه، وكانت أمّي معي، فوقع بيني وبينها كلام، فأغلظت لها، فلما إن كان من الغد صليت الغداه، وأتيت أبا عبد الله عليه السلام، فلما دخلت عليه، فقال لي مبتدئاً: يا أبا مهزم، ما لك وللوالده، أغلظت في كلامها البارحه! أما علمت أنّ بطنها منزل قد سكنته، وأنّ حجرها مهداً قد غمزته، وثديها وعاء قد شربته؟! قال: قلت بلى. قال: فلا تغلظ لها» (٢).

ص: ١١٥

١- (٣) الكافي: ج ٢، ص ١٦٠، ح ٩، عنه التفسير الصافي: ج ٤، ص ١٤٤. تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ١٥٢، ح ١٤٨، وج ٤، ص ٢٠٠، ح ٢٦. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٤٩، ح ٩ عن الكافي.

٢- (٤) بصائر الدرجات: ص ٢٦٣، ح ٣. الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٧٢٩، ح ٣٤. مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٣٤٨. مدينه المعاجز: ج ٥، ص ٣١٤، ح ٧٣. الدر النظيم: ص ٦٣٣. بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ٧٢، ح ٣٢ عن البصائر.

بِرِّ الوالدين وإن كان له شأنه الخاص، ووقعه الجميل في نفس الوالدين، إلا أنه تزداد أهميته وحسنه وجماله عند عجزهما وكبرهما؛ حيث تزداد الحاجة فيهما إلى الرعايه، مثل حالات المرض والشيخوخه.

قال تعالى: (إِمْرًا يُبَلِّغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا \* وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) ١ .

روى أن رجلاً جاء إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «إِنَّ أَبَوَيَّ بَلَغَا مِنَ الْكِبَرِ أَنِّي أَوْلِيَهُمَا مَا وَلِيَا مَنِي فِي الصَّغَرِ، فَهَلْ قَضَيْتَهُمَا؟ قَالَ: لَا، فَإِنَّهُمَا كَانَا يَفْعَلَانِ لَكَ وَهُمَا يَحْبَانِ بَقَاءَكَ، وَأَنْتَ تَفْعَلُ وَأَنْتَ تَرِيدُ مَوْتَهُمَا» (١).

وعن إبراهيم بن شعيب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إِنَّ أَبِي قَدْ كَبُرَ جَدًّا وَضَعْفًا، فَنَحْنُ نَحْمَلُهُ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ. فَقَالَ: «إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلِيَ ذَلِكَ مِنْهُ، فَافْعَلْ، وَلَقَمَهُ بِيَدِكَ، فَإِنَّهُ جَنَّهُ لَكَ غَدًا» (٢).

بِرِّ الوالدين بعد موتهما

قد لا يُوفَّق الإنسان لبِرِّ والديه في حال حياتهما، وعندما يتوفيان يبقى متأذياً طوال حياته، ولائماً لنفسه، وملقياً ذلك على سوء حظّه، أو غير ذلك، وقد لا يكون ذلك ناشئاً

ص: ١١٦

---

١- (٢) تفسير الثعلبي: ج ٦، ص ٩٣. تفسير البيضاوي: ج ٣، ص ٤٤١. تفسير أبي السعود: ج ٥، ص ١٦٧. تفسير الكشاف: ج ٢، ص ٤٤٥. تخريج الاحاديث والآثار: ج ٢، ص ٢٦٥، ح ١٠. رياض السالكين: ج ٤، ص ٦٥. تنزيل الآيات: ص ٤١٠.

٢- (٣) الكافي: ج ٢، ص ١٦٢، ح ١٣. كتاب الزهد: ص ٣٥، ح ٩١. وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٥٠٥ - ص ٥٠٦، ح ٣. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٥٦، ح ١٣ عن الكافي.

عن تقصيره، بل يمكن أن تكون هناك ظروف ساخطة عليه أبعده عنهما، أو ماتا حال صغره مثلاً، أو غير ذلك.

وكيف كانت الظروف والمناسبات، فقد فتح الله تبارك وتعالى باباً واسعاً، تسهياً لعباده لأن يبزوا آبائهم وأمّهاتهم حتى ولو كانوا أمواتاً.

وأكدت الروايات على برهما بعد وفاتهما؛ لشده إحتياجهما لذلك، لانقطاع عملهما بالموت، كما ورد في الخبر: «وإنَّ اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل» (١).

فقد روى عن إمامنا الصادق عليه السلام أنه قال: «ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال: صدقه أجزاها في حياته، فهي تجرى بعد موته، وسنه هدى سنّها، فهي يعمل بها بعد موته، أو ولد صالح يدعو له» (٢).

ومن مصاديق الدعوه لهما، أن يعمل بعض الأعمال الخيره، ويهديها لهما، وأن يقضى - بحسب الاستطاعه - عنهما دينهما، أو ما فاتهما من صلاه أو صيام أو غير ذلك، قال الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ العبد ليكون باراً بالديه في حياتهما، ثم يموتان فلا يقضى عنهما الدين، ولا يستغفر لهما، فيكتبه الله عاقاً، وأنه ليكون في حياتهما غير بار لهما، فإذا ماتا قضى عنهما الدين،

ص: ١١٧

١- (١) نهج البلاغه: ج ١، ص ٩٣. وأنظر: الكافي: ج ٨، ص ٥٨، ح ٢١. خصائص الأئمه: ص ٩٦. الإرشاد: ج ١، ص ٢٣٦. أمالي الشيخ المفيد: ص ٩٣، ح ١، وص ٢٠٨، ح ٤١، وص ٣٤٥، ح ١. أمالي الشيخ الطوسي: ص ١١٧، ح ٣٧، وص ٢٣١، ح ١. عيون الحكم والمواعظ: ص ١٤٢. بحار الأنوار: ج ٣٤، ص ١٧٢، ح ٩٧٨ عن الكافي، وج ٦٧، ص ٧٧، ح ٧ عن أمالي الشيخ الطوسي، وج ٧٠، ص ٩٦، ح ٨٠ عن أمالي الشيخ المفيد والشيخ الطوسي، وذكرها أيضاً في مواطن أخرى عن مصادر أخرى.

٢- (٢) الكافي: ج ٧، ص ٥٦، ح ١. وأنظر: أمالي الشيخ الصدوق: ص ٨٧، ح ٧. الخصال: ص ١٥١، ح ١٨٤. روضه الواعظين: ص ٤٨٧. تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ١٧٠، ح ٩٥ عن الخصال. وسائل الشيعه: ج ١٦، ص ١٧٤، ح ٦. بحار الأنوار: ج ٦، ص ٢٩٣، ح ١ عن الخصال، وص ٢٩٤، ح ٤ عن أمالي الشيخ الصدوق، ومثله في ج ٦٨، ص ٢٥٧، ح ١، ومواضع أخرى.

واستغفر لهما، فيكتبه الله تبارك وتعالى باراً» (١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «سَيِّدُ الْأَبْرَارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ بَرَّ وَالِدَيْهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا» (٢).

الآثار السيئة لعقوق الوالدين

إن لعقوق الوالدين آثاراً وخيمه، ومساوئ خطيرة تنتظر العاق بوالديه، ونحن نذكر بعضها على نحو الاختصار.

١ - إن العاق يعقّه ابنه جزاءً على عقوقه لأبيه وأمه، ومن هنا روى عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «بروا آبائكم يبرّكم أبناءكم» (٣).

وقد ذكر التاريخ قصصاً متنوّعه لمن عتق أبويه ومكافأه أبناءه له، ومن ذلك ما حكاه الأصبغى قال: «حدّثني رجلٌ من الأعراب، قال: خرجت من الحي أطلب أعقّ الناس وأبرّ الناس. فكنت أطوف بالأحياء، حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه جبل، يستقى بدلولا تطيقه الإبل في الهاجر والحر الشديد، وخلفه شاب في يده رشاء من قد ملوى (٤)، يضربه به، قد شقّ ظهره بذلك الجبل. فقلت له: أما تتقى الله في هذا الشيخ الضعيف، أما يكفيه ما هو فيه من هذا الجبل حتى تضربه؟ قال: إنه مع هذا أبي. قلت: فلا جزاك الله خيراً. قال: اسكّ، فهكذا كان يصنع هو بأبيه، وكذا كان يصنع أبوه بجده. فقلت: هذا أعقّ الناس. ثم جلّ أيضاً حتى انتهيت إلى شاب في عنقه زبيل، فيه شيخ كأنه فرخ، فيضعه بين يديه في كل ساعه، فيزقه كما يزق الفرخ. فقلت له: ما هذا؟ فقال: أبي، وقد خرف، فأنا أكفله.

ص: ١١٨

١- (١) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٦٣، ح ٢١. كتاب الزهد: ص ٣٣، ح ٨٧. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٥٩، ح ٢١ عن الكافي.

٢- (٢) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٨٦ ضمن حديث ١٠٠. مستدرک الوسائل: ج ١٣، ص ٤١٤، ح ١.

٣- (٣) عوالي اللئالي: ج ١، ص ٢٥٢، ح ٧.

٤- (٤) القّد: سير يقّد من جلد غير مدبوغ. وملوى: مفتول. انظر: معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ٦.

قلت: فهذا أبرّ العرب. فرجعت وقد رأيتُ أعقَّهم وأبرَّهم»(١).

٢ - إنَّ العاقَّ يشاهد أهوالاً مريعه عند الوفاة، ويعانى شدائد النزاع وسكرات الموت، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حضر شاباً عند وفاته، فقال له: قل: لا إله إلا الله. قال: فاعتقل لسانه مراراً، فقال لامرأه عند رأسه: هل لهذا أمٌّ؟ قالت: نعم، أنا أمه. قال: أفساخطه أنتِ عليه؟ قالت: نعم، ما كلمته منذ ستِّ حجج. قال لها: أرضى عنه. قالت: رضى الله عنه يا رسول الله برضاك عنه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قل: لا إله إلا الله. قال: فقالها. فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: ما ترى؟ فقال: أرى رجلاً - أسودَّ، قبيح المنظر، وسخ الثياب، منتن الريح، قد ولينى الساعه فأخذ بكظمى. فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: يا مَنْ يقبل اليسير، ويعفو عن الكثير، اقبل منى اليسير، واعف عنى الكثير، إنَّك أنت الغفور الرحيم. فقالها الشاب، فقال له النبيُّ: انظر ما ترى؟ قال: أرى رجلاً أبيض اللون، حسن الوجه، طيب الريح، حسن الثياب، قد ولينى، وأرى الأسودَ وقد ولى عنى. قال: أعد، فأعاد. قال: ما ترى؟ قال: لست أرى الأسودَ، وأرى الأبيضَ قد ولينى، ثمَّ طفا (٢) على تلك الحال»(٣).

٣ - ومن آثار العقوق، أنَّها من الذنوب الكبائر، بل من أكبر الكبائر التى توعدُّ الله عليها بالنار، كما صرَّحت بذلك الأخبار(٤). وفى خبر طويل عن الإمام الصادق عليه السلام يبيِّن فيه أبرز مصاديق الذنوب الكبائر يقول فيه: «أكبر الكبائر سبعة - فىنا نزلت، وبنا استُحلَّت - : أولها الشرك بالله عزَّ وجلَّ... فأما الشرك بالله تعالى فقد قال الله عزَّ وجلَّ فىنا ما قال، وأنزل فىنا ما أنزل، ويبيِّن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكذبوا الله ورسوله، وردّوا عليهما. وأما قتل

ص: ١١٩

١- (١) أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ٣٥٨.

٢- (٢) أى: مات.

٣- (٣) أمالى الشيخ الطوسى: ص ٦٥، ح ٤، مشكاه الأنوار: ص ٢٨٤. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٧٥، ح ٦٧، وج ٩٢، ص ٣٤٢، ح ١، كلا الموضوعين عن الأمالى.

٤- (٤) انظر: المقنعه: ص ٢٩٠ - ص ٢٩١.

النفس التي حرّم الله فقد قتل الحسين عليه السلام ظلماً في أهل بيته، وأما عقوق الوالدين، فقد عقوا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وأمير المؤمنين عليه السلام في ذريتهما...»(١).

أُعزّيكَ يا خيرَ الورى في الذي جرى على ابنِكَ يومَ الطّفِّ والرُّزءِ أعظّم

بماذا تُعزّي والمصائبُ جمّةٌ لأدنى رزاياها الشّداد تُهدّم

فأطفالٌ طُهرٍ في حُجورٍ طواهرٍ وليس لها ذنبٌ هُنالك يُعلم

سوى أنّها من قبل حلّ تمانم لها السيفُ والخطى سوارٌ ومعصم

أم الذبيح للذبح العظيم على الظما لتغسله من نحره قد جرى الدّم

أم الهتك للخدر الذي لاحترامه ملائكة الجبار بالذلّ تخدم

أصابت سهامُ الطّف حبه قلبها فأحشاؤها منهنّ ثوبٌ مقسم (٢)

\*\*\*

إنّا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العلي العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّد أيّ مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبه للمتقين.

ص: ١٢٠

١- (١) المقنعه: ص ٣٩١.

٢- (٢) رياض المدح والرثاء: ص ٧٢٨ - ص ٧٣٠. ولم تنسب لأحد، ولم أعر على شاعرها، فلله درّه، وعلى الله أجره.







عن أبي جعفر الباقر، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «... عليك ياخوانِ الصدقِ، فأكثر من اكتسابهم؛ فإنّهم عدّة عند الرخاء، وجنّة عند البلاء»<sup>(١)</sup>.

من المفاهيم الإسلاميّة العظيمة مفهوم الصداقه، والمقصود من الصداقه علاقه المحبّه والمودّه بين بنى البشر؛ لأنّ طبع الإنسان وفطرته ميّاله إلى الاجتماع، لا العزله والافتراق عن بنى جنسه، كما يتصوّر البعض من الناس، وإن كان الإنسان يحبّ ذاته أولاً وبالذات.

قال العلّامة الطباطبائي رحمه الله: «... لكلّ ظاهره من ظواهر العالم، بما فيها الحيوان، وللإنسان خاصّه، حبّ الذات، فيحبّ ذاته، ويرى أبناء نوعه عينه ونظيره، وعن هذا الطريق يحسّ بالأُنس بهم داخلياً، فيطلب التقارب معهم والاتّجاه نحوهم، ويمنح الاجتماع حرّكته وفعالته... نستنتج من البيان المتقدّم مايلي:... الإنسان مدنيّ بالطبع»<sup>(٢)</sup>.

ومن أجل ذلك كان الإنسان شديد المحبّه لاّتخاذ أصدقاء وخلان يؤازرونه.

حَثّ الشريعة الإسلاميّة على اتّخاذ الصديق

لقد حثّت الشريعة الإسلاميّة العظيمة على اتّخاذ الأصدقاء، وقد أشارت جملة من النصوص لهذا المعنى، نذكر بعضاً منها، فعن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «ما استفاد امرؤ مسلّم فائدة بعد فائده الإسلام مثل أخ يستفيده في الله»<sup>(٣)</sup>.

ص: ١٢٣

١- (١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٣٨٠، ح ٨، عنه بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٨٦ - ص ١٨٧، ح ٧.

٢- (٢) أصول الفلسفه والمنهج الواقعي: ج ١، ص ٥٨٢ - ص ٥٨٣.

٣- (٣) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٤٦ - ص ٤٧، ح ٢٦، عنه بشاره المصطفى: ص ١٢٢، ح ٦٧، وبحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢٧٤ - ص ٢٧٥، ح ٣، وج ٧٥، ص ١٩٥ - ص ١٩٦، ح ١٦. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٣٣، ح ٢.

وعن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: «مَنْ استفاد أخاً في الله عزَّ وجلَّ، استفاد بيتاً في الجنة» (١).

وعن النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «مَنْ استفاد أخاً في الله، زوجه الله حوراً» (٢).

كيف تختار الصديق؟

إنَّ للصديق الأثر البالغ على صديقه، ومن هنا قيل سابقاً ولاحقاً، شعراً ونثراً:

عاشراً أخاً ثقةً تحظى بصحبته فالطبع مكتسبٌ من كلِّ مصحوبٍ

فالريح أخذُهُ مما تمرُّ به ننتأ من التنن أو طيباً من الطيب (٣)

فالإنسان سريع التأثر بالصديق والأستاذ والرفيق، وكلٌّ مَنْ يتجاوب معه ويرافقه، ولعلَّ أشدهم تأثيراً فيه الصديق؛ لأنَّ الصداقات غالباً ما تكون عن سابقه وقناعه بالفرد ليأخذ صديقاً، بخلاف الأستاذ، فقد يكون الفرد غير مختار - أحياناً - في اتّخاذه، وهكذا الحال في الرفيق، فقد يكون من قبيل الأستاذ، والصديق قد يكون صالحاً، وقد يكون فاسداً.

فالصديق الصالح مَنْ يوصلنا إلى بوابه الخير، ومَنْ يعيننا على ما فيه مرضيه تبارك وتعالى، ويهدينا إلى كلِّ ما فيه رشاد وصلاح.

وأما الصديق الفاسد، فهو على العكس تماماً، فهو أشبه شياًءٍ بالوباء، فهو لا يقربنا إلا إلى الشرور والآفات والضلال، فمن هنا اتّضح لزوم وضروره اتّخاذ الصديق الصالح.

ص: ١٢٤

١- (١) ثواب الأعمال: ص ١٥١. أمالي الشيخ المفيد: ص ٣١٦، ح ٨. أمالي الشيخ الطوسي: ص ٨٤، ح ٣٣. وسائل الشيعة: ج

١٢، ص ١٦، ح ١. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢٧٦، ح ٤ عن أمالي الشيخين (رحمهما الله)، وح ٥ عن ثواب الأعمال.

٢- (٢) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢٧٧ - ص ٢٧٨، ح ١١.

٣- (٣) الخصائص الفاطمية: ج ١، ص ١٠٠، ولم ينسبه لأحد، ولم أعثر على قائله.

وكم من الأشخاص كانوا مثاليين في تعاملهم مع آبائهم وأمهاتهم، لكنهم ضلّوا وأضلّوا بسبب صديق السوء الذي اتّخذوه، والقرين الطالح الذين وادّوه؟!

قال أردشير بن بابك: «وقد يجد ذو المعرفة في نفسه عند معاشره السفله الوضعاء شهراً فساداً عقله دهرًا»<sup>(١)</sup>.

فإذا أردنا أن نختار صديقاً من الأصدقاء لا بدّ وأن نتحقّق من وجود عدّه صفات فيه، سنذكرها عبر الروايتين التاليتين:

#### الصفات المطلوبة في الصديق

عرفنا أنّ الصديق الذي ينبغي اتّخاذه هو الصديق الصالح، ويجب علينا نبذ الصديق الفاسد، وياليت الشباب يلتفتون إلى ذلك فيأتون آبائهم أو من يكبرهم سنّاً، أو من اتّخذوه قدوة لهم، فيسألونه عن هذا أو ذاك، وعن صحّته اتّخاذه صديقاً وعدمها، أو عن الصفات الحميدة التي ينبغي أن تكون في الصديق، كما سأل ذلك الرجل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قام رجل بالبصرة إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن الإخوان، فقال: الإخوان صنفان: إخوان الثقة وإخوان المكاشرة، فأما إخوان الثقة: فهم الكفّ والجناح والأهل والمال، فإذا كنت من أخيك على حدّ الثقة فابذل له مالك وبدنك، وصافٍ من صافاه، وعادٍ من عاداه، واكتم سرّه وعيبه، وأظهر منه الحسن، واعلم أيّها السائل: أنّهم أقلّ من الكبريت الأحمر، وأمّا إخوان المكاشرة فإنّك تصيب لذتك منهم، فلا تقطعنّ ذلك منهم، ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقه الوجه وحلاوه اللسان»<sup>(٢)</sup>.

ص: ١٢٥

١- (١) الخصائص الفاطمية: ج ١، ص ١٠٠.

٢- (٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٤٩، ح ٣. الخصال: ص ٤٩، ح ٥٦. مصادقه الإخوان: ص ٣٠، ح ١. تحف العقول: ص ٢٠٥. الإختصاص: ص ٢٥١. نزهة الناظر وتنبية الخاطر: ص ٦٤ - ص ٦٥، ح ٥٣. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ١١٢. بحار الأنوار: ج ٦٤، ص ١٩٣، ح ٣ عن الكافي، وج ٧١، ص ٢٨١، ح ٢ عن الخصال. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٣، ح ١.

والمقصود من هذا الحديث - كما عن العلامة المجلسي رحمه الله - «(الإخوان صنفان) المراد بالإخوان: إمّا مطلق المؤمنين، فإنّ المؤمنين إخوه، أو المؤمنين الذين يصاحبهم ويعاشرهم، ويظهرون له المودّة والإخوة، أو الأعم من المؤمنين وغيرهم إذا كانوا كذلك. والمراد ب (إخوان الثقة): أهل الصلاح والصدق والأمانة الذين يثق بهم، ويعتمد عليهم في الدين، وعدم النفاق، وموافقه ظاهرهم لباطنهم، و (إخوان المكاشرة) الذين ليسوا بتلك المثابه، ولكن يعاشرهم لرفع الوحشه، أو للمصلحه والتقيه، فيجالسهم ويصاحكهم، ولا يعتمد عليهم، ولكن ينتفع بمحض تلك المصاحبه منهم؛ لإزاله الوحشه ودفع الضرر»(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «لا تكون الصداقه إلاّ بحدودها، فمن كانت فيه هذه الحدود، أو شيء منها، فانسبه إلى الصداقه، ومن لم يكن فيه شيء منها فلا تنسبه إلى شيء من الصداقه، فأولها: أن تكون سريرته وعلانيته لك واحده، والثاني: أن يرى زينك زينه وشينك شينه، والثالث: أن لا تغيّره عليك ولايه ولا مال، والرابع: أن لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته، والخامسه: وهي تجمع هذه الخصال، أن لا يسلمك عند النكبات»(٢).

مثال واقعي لإخوان الثقة والصفاء

«مما يحكى أنّ الشاه عباس ركب يوماً إلى بعض متنزهاته، وكان البهائي والداماد في موكبه؛ إذ كان لا يفارقهما غالباً، وكان الداماد عظيم الجته، والبهائي نحيفها، فأراد الشاه أن يختبر صفاء الخواطر بينهما، فقال للداماد - وهو راكب فرسه في مؤخره الجمع، وقد

ص: ١٢٤

١- (١) بحار الأنوار: ج ٦٤، ص ١٩٤.

٢- (٢) الكافي: ج ٢، ص ٦٣٩، ح ٦. أمالي الشيخ الصدوق: ص ٧٦٧، ح ٧. الخصال: ص ٢٧٧، ح ١٩. تحف العقول: ص ٣٦٦. روضه الواعظين: ص ٣٨٧. مشكاه الأنوار: ص ١٥٥. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٧٣، ح ١ عن الأمالي، وج ٧٥، ص ٢٤٩، ح ٩٠. وسائل الشيعه: ج ١٢، ص ٢٦، ح ١.

ظهرت عليه آثار الإعياء والتعب، والبهاى فى مقدمه الجمع -: يا سيدنا ألا تنظر إلى هذا الشيخ كيف تقدّم بفرسه ولم يمشِ على وقار كما تمشى أنت؟!

فقال الداماد: أيها الملك، إنّ جواد الشيخ قد استخفه الطرب بمن ركب، فهو لا يستطيع التانى، ألا تعلم من الذى ركب. ثم قال للبهائى: يا شيخنا ألا تنظر إلى هذا السيد، كيف أتعب مركبه بجثمانه الثقيل؟! والعالم ينبغى أن يكون مرتاضاً مثلك، خفيف المؤمنه.

فقال البهائى: أيها الملك، إنّ جواد الشيخ أعيأ بما حمل من علمه الذى لا يستطيع حمله الجبال، فعند ذلك نزل الشاه عن جواده، وسجد لله شكراً على أن يكون علماء دولته بهذا الصفاء.

فأكرم به من ملك كامل وسلطان عادل، وأكرم بهما من عالمين مخلصين. وحكايات ما وقع بينهما من المصافاه والمصادقه كثيره، وهكذا يسعد الزمان وأهله بأمثال هؤلاء العلماء، وهؤلاء الملوك»(١).

#### حقوق الأصدقاء

بعد ما عرفنا فضل الصديق والصدقه فى الشريعه الإسلاميه، والحثّ عليها، وكيف نختار صديقنا على ضوء ما نطقت به الروايات الشريفة، تعال معى الآن لنعرف ما هى حقوق الأصدقاء؟

هناك عدّه حقوق متبادلّه بين الأصدقاء، لا بدّ من رعايتها؛ حتّى تكون الصدقه صدقه يحبّها الله ورسولُهُ، وإليك بعض هذه الحقوق:

١ - الرعايه الماديه: من الحقوق بين الأصدقاء هو الرعايه الماديه، ويمكن دخوله فى الحدّ الرابع من الحدود التى بينها إمامنا الصادق عليه السلام حيث قال: «أن لا يمنعك شيئاً تناله

ص: ١٢٧

---

١- (١) أعيان الشيعة: ج ٩، ص ٢٤٢.

مقدرته»، أو دخوله في الحدّ الخامس حيث قال عليه السلام: «أن لا يسلمك عند النكبات»، ومن النكبات الشديده هي النكبه الماديه.

فقد يقع الإنسان في خانقه ماديه شديده لا- يتمكن من علاجها، إلا عن طريق مؤازره الأصدقاء، وللأسف تجد البعض منهم صديقاً وفتياً، إلا عند الرعايه الماديه، فلا تجود يده بشيء أبداً، فهو صديق لك ما دامت يدك مملوءة، فإذا فرغت فهو لا يعرفك منذ الساعه.

ومن هنا قال الإمام الكاظم عليه السلام - في خبر طويل - لرجلٍ من خاصّيته: «يا عاصم، كيف أنتم في التواصل والتبار؟ فقال: على أفضل ما كان عليه أحد. فقال: أيأتى أحدكم منزل أخيه عند الضيقه فلا يجده، فيأمر بإخراج كيسه، فيخرج فيفض ختمه، فيأخذ من ذلك حاجته، فلا ينكر عليه؟ قال: لا. قال: لستم على أفضل ما كان أحد عليه من التواصل» (١).

وفي التاريخ نماذج عاليه من المواساه، منها ما حكاه بعضهم عن الواقدي، قال: «كان لي صديقان، أحدهما هاشمي، وكنا كنفسٍ واحده، فالتنى ضائقه شديده وحضر العيد، فقالت امرأتى: أمّا نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشده، وأمّا صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمه لهم؛ لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزینوا في عيدهم، وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثه، فلو احتلت في شيء تصرفه في كسوتهم؟ قال: فكتبتُ إلى صديق لي، وهو الهاشمي أسأله التوسع عليّ بما حضر، فوجه إليّ كيساً مختوماً، ذكر أنّ فيه ألف درهم! فما استقرّ قرارى حتى كتب إلى الصديق الآخر، يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي الهاشمي، فوجهت إليه الكيس بحاله، وخرجت إلى المسجد، فأقمت فيه ليلتي مستحياً من امرأتى، فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني، ولم تعنّني عليه،

ص: ١٢٨

١- (١) مكارم الأخلاق: ص ١٤٥، عنه بحار الأنوار: ج ٤٨، ص ١١٨، ح ٣٥، وج ٦٣، ص ٤٢١، ح ٣٦. وسائل الشيعه: ج ٢٥، ص ٣٥، ح ٥٧.

فبينما أنا كذلك إذ وافى صديقى الهاشمى ومعه الكيس كهيئته، فقال لى: اصدقنى عما فعلته فيما وجهت به إليك، فعرفته الخبر على وجهه، فقال لى: إنك وجهت إلى، وما أملك على الأرض إلا ما بعثت به إليك، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساه فوجه كيسى بخاتمى! قال الواقدى: فتواسينا ألف درهم فيما بيننا، ثم إنا أخرجنا للمرأة مائه درهم قبل ذلك، ونمى الخبر إلى المأمون، فدعانى وسألنى، فشرحت له الخبر، فأمر لنا بسبعه آلاف دينار، لكل واحد منّا ألفاً، وللمرأه ألف دينار<sup>(١)</sup>.

٢ - المداراه: ومن الحقوق التى ينبغى مراعاتها فى الصداقه المداراه، ونعنى بها الصفح عن الزلل، وغضّ النظر عن بعض العثرات؛ حرصاً على دوام الصداقه وبقائها، واستبقاءً للمدّه، ويحاول كلُّ منهما التماس العذر لصاحبه، ويحمله على أحسن المحامل وأرفعها.

فلو أنّ صديقاً لم يأت لصديقه فى فرح أو ترح، فعلى الآخر أن يلتمس له العذر، لا أن يصرّ فى النقد والتفريع من غير سؤاله واستفهامه عن علّه غيابه.

وورد عن صادق العتره الطاهره عليهم السلام، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أمرنى ربى بمداراه الناس، كما أمرنى بأداء الفرائض»<sup>(٢)</sup>.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أعقل الناس أشدهم مداراه للناس»<sup>(٣)</sup>.

ص: ١٢٩

- 
- ١- (١) وفيات الأعيان: ج ٤، ص ٣٥٠، عنه الكنى والألقاب: ج ٣، ص ٢٨٠. أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ٤٥٠.
- ٢- (٢) الكافى: ج ٢، ص ١١٧، ح ٤. الإعتقادات فى دين الإماميه: ص ٨٥. معانى الأخبار: ص ٣٨٦ ضمن حديث ٢٠. مشكاه الأنوار: ص ٣٦٩. بحار الأنوار: ج ١٣، ص ١٣٥، ح ٤٣، عن معانى الأخبار، وج ١٨، ص ٢١٣، ح ٤٣ عن الكافى، وج ٧٢، ص ٣٩٦، ح ١٨ عن معانى الأخبار أيضاً. وسائل الشيعه: ج ١٢، ص ٢٠٠، ح ١.
- ٣- (٣) أمالى الشيخ الصدوق: ص ٧٣، ح ٤. من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٩٤، ح ٥٨٤٠. الأربعون حديثاً (الشهيد الأول): ص ٥٦، ح ٢٤. روضه الواعظين: ص ٣٧٩، عنه مستدرك الوسائل: ج ٩، ص ١٣، ح ٩، وص ٣٩، ح ١١. مشكاه الأنوار: ص ٣٨٢. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٥٢، ح ٥ عن الأمالى.

٣ - المواساه: وحقّ المواساه حقّ لا- يقل أهميه عن غيره من حقوق الصداقه، إذا لم يكن أهمها، وهو أوسع حقّ من حقوق الصداقه؛ إذ المواساه قد تكون فى المال، وقد تكون فى الكلام، وغيرها.

وهذه الحقوق الثلاثه هى بعض الحقوق، وهناك حقّ مهم أشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فى الحديث الذى افتتحنا به المجلس، وهو أن يصدق الصديق مع أخيه الآخر حتّى يكون مصداقاً لقوله عليه السلام: «عليك ياخوان الصدق»؛ لأنّ إخوان الصدق «عدّه عند الرخاء، وجنّه عند البلاء».

وهكذا كان أصحاب الإمام الحسين عليه السلام فى مداراتهم ومواساتهم وتضحياتهم مع سيد الشهداء عليه السلام.

قال بعض أصحاب المقاتل: «وجمع الحسين عليه السلام أصحابه، وحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: وأمّا بعد، فيأني لا أعلم لى أصحاباً أوفى ولا- خيراً من أصحابي، ولا أهل بيتٍ أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنى خيراً، ألا وإني قد أذنتُ لكم فانطلقوا، أنتم فى حلّ ليس عليكم منى ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً.

فقال له إخوته وأبناءؤه وأبناء عبد الله بن جعفر: ولم نفعل ذلك؟! لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك. وبدأهم العباس أخوه ثمّ تابعوه، وقال لبنى مسلم بن عقيل: حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم، اذهبوا فقد أذنت لكم، فقالوا: لا والله، لا نفارقك أبداً حتى نفيك بأسيافنا، ونقتل بين يديك. فأشرقت عليهم بأقوالهم هذه أنوار النبوه والهدايه، وبعثتهم النفوس الأبيّه على مصادمه خيول أهل الغوايه، وحرّكتهم حميه النسب، وسنّه أشراف العرب على اقتناص روح المسلوب، ورفض السلب، فكانوا كما وصفهم بعض أهل البصائر بأنهم أمراء العساكر، وخطباء المنابر، نفوس أبت إلا تراث أبيهم، فهم بين موتورٍ لذاك وواتر.



لقد ألفت أرواحهم حومه الوغى كما أنست أقدامهم بالمنابر

ثم قال مسلم بن عوسجه: نحن نخليك! وقد أحاط بك العدو؟! لا- أرانا الله ذلك أبداً حتى أكسر في صدورهم رمحي، وأضاربهم بسيفي، ولو لم يكن لى سلاح لقتلتهم بالحجاره ولم أفارقك! وقام سعيد بن عبد الله الحنفى، وزهير بن القين، فأجملا فى الجواب، وأحسنا فى المآب»(١).

قومٌ إذا نُودوا لدفعِ مِلمهٍ والخيلِ بين مدعسٍ ومُكردسٍ

لِسوا القلوبِ على الدروعِ وأقبلوا يتهافتونَ على ذهابِ الأنفسِ(٢)

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العلي العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أئى منقلب ينقلبون

والعاقبه للمتقين.

ص: ١٣١

---

١- (١) مشير الأحران: ص ٣٩. وأنظر: تاريخ الطبرى: ج ٤، ص ٣١٨. الكامل فى التاريخ: ج ٤، ص ٥٨. مقتل الحسين عليه السلام

(أبو مخنف): ص ١٠٩. كتاب الفتوح: ج ٥، ص ٩٥.

٢- (٢) عمده الطالب: ص ٣٥٧. اللهوف: ص ٦٧، وكلاهما لم ينسباه لأحد.







من وصيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لأهل بيته قال فيها: «... الله الله في جيرانكم؛ فإنهم وصيّه نبيكم ما زال يُوصى بهم حتى ظننا أنه سيورّثهم» (١).

من الحقوق الإسلاميه المهمه حقّ الجار، وهو حقّ قريب من حقّ الأرحام والوالدين والأصدقاء والأقرباء.

وقد اعتنى الإسلام بحقّ الجار، وجعله عظيماً، يكاد يكون من أعظم الحقوق الإنسانيه، وقد أكدّ البارى عزّ وجلّ حقوق الجيران، وجعلها فى رتبته بعد رتبته الوالدين والأقربين؛ إذ قال عزّ وجلّ: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالمَساكِينِ وَالجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالجَارِ الْجُنْبِ) (٢).

والمراد بالجار ذى القربى الجار القريب داراً أو نسباً، والجار الجنب هو البعيد داراً أو نسباً (٣).

الروايات الحائته على حُسن الجوار

هناك عدّه روايات نصّت على الثواب المترتب على حسن الجوار، وحثّت عليه، وعلى الاهتمام بالجار، ورعايه حقوقه، وإليك طرفاً منها:

ص: ١٣٥

١- (١) نهج البلاغه: ج ٣، ص ٧٧ رقم ٤٧، عنه بحار الأنوار: ج ٤٢، ص ٢٥٦، ح ٧٨، وج ٧١، ص ١٥٣، ح ١٦. تحف العقول: ص ١٩٨، عنه بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٠٠، ح ٢، نظم درر السمطين: ص ١٤٦. البدايه والنهايه: ج ٧، ص ٣٦٣. المناقب (الخوارزمي): ص ٣٨٥. كشف الغمّه: ج ٢، ص ٥٩. جواهر المطالب: ج ٢، ص ١٠٢. ينابيع المودّه: ج ٣، ص ٤٤٥.

٢- (٢) النساء: آيه ٣٦.

٣- (٣) انظر: تفسير الأمثل: ج ٣، ص ٢٣٠ - ص ٢٣١.

فَعَن نَبِيِّ الرَّحْمَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «حَسَنَ الْجَوَارِ يُعَمَّرُ الدِّيَارَ، وَيُنْسَى فِي الْأَعْمَارِ» (١).

وَعَنهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا زَالَ جَبْرَائِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَثُهُ» (٢)، وَدَلَالَتُهُ وَاضِحَةٌ جَدًّا عَلَى أَهَمِّيَةِ الْجَارِ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ هُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْوَصِيَّةِ الَّتِي افْتَتَحْنَا بِهَا الْكَلَامَ، وَقَدْ فَسَّرْتُ كَلِمَةَ (سَيُورَثُهُ)، أَيْ: يَجْعَلُ لَهُ حَصِيَّةً مِنَ الْمِيرَاثِ، وَالظَّاهِرُ مِنَ الْمِيرَاثِ أَنْ يَرِثَ جَارَهُ الْآخَرَ، بِحَيْثُ لَوْ مَاتَ أَحَدُهُمَا وَرَثَهُ الْآخَرُ، حَالَهُ حَالُ الْوَرِثَةِ الْأَقْرَابِ (٣).

وَقَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا ذَهَبَ مِنْهُ بَنِيَامِينَ، نَادَى يَا رَبِّ أَمَا تَرْحَمْنِي؟ أَذْهَبَتْ عَيْنِي وَأَذْهَبَتْ ابْنِي؟ فَأَوْحَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: لَوْ أُمَّتَهُمَا لِأَحْيَيْتَهُمَا لَكَ حَتَّى أَجْمَعَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمَا، وَلَكِنْ تَذَكَّرَ الشَّاهَ الَّتِي ذَبَحْتَهَا وَشَوَيْتَهَا وَأَكَلْتَ، وَفَلَانَ وَفَلَانَ إِلَى جَانِبِكَ صَائِمٌ لَمْ تَنْلَهُ مِنْهَا شَيْئًا؟» (٤).

ص: ١٣٦

١- (١) الكافي: ج ٢، ص ٦٦٨، ح ١٠. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٣٨، ح ١. وأنظر المصادر التالية: الكافي: ج ٢، ص ٦٦٧، ح ٨. التفسير الصافي: ج ١، ص ٤٤٩. تفسير كنز الدقائق: ج ٢، ص ٤٥٠، فقد روته عن الإمام الصادق عليه السلام، وفيه بدل كلمة (ينسى) كلمة (يزيد).

٢- (٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥١٤. دعائم الإسلام: ج ٢، ص ٨٨، ح ٢٦٥. مَن لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ١٣. روضه الواعظين: ص ٣٨٧. أمالي الشيخ الطوسي: ص ٥٢٠، ح ٢٥. مكارم الأخلاق: ص ٤٨٠. مشكاة الأنوار: ص ٣٧٤. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٩٤، ح ٢٢ عن أمالي الشيخ الطوسي، وص ١٥٠، ح ٢ عن أمالي الشيخ الصدوق. صحيح البخاري: ج ٧، ص ٧٨. صحيح مسلم: ج ٨، ص ٣٧. مسند أحمد: ج ٢، ص ٨٥، ونُقل في مصادر أخرى عديدة.

٣- (٣) نسبة الشيخ المازندراني رحمه الله في (شرح أصول الكافي: ج ١١، ص ١٥١) للقرطبي.

٤- (٤) الكافي: ج ٢، ص ٦٦٧، ح ٤، وح ٥. مشكاة الأنوار: ص ٣٧٦. الجواهر السنية: ص ٢٨. تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص ٤٤٥، ح ١٦٤، وح ١٦٥. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١٣٠، ح ٢، وح ٣، وح ٢٤، ص ٤١٧، ح ٤، وح ٥. صحيح البخاري: ج ٧، ص ٧٨. وأنظر: مسند أحمد: ج ٢، ص ٢٨٨، وح ٤، ص ٣١. المستدرک علی الصحیحین: ج ١، ص ١٠، وح ٤، ص ١٦٥. مجمع الزوائد: ج ٨، ص ١٦٩. المعجم الكبير: ج ٢٢، ص ١٨٧. كنز العمال: ج ٩، ص ٥٠، ح ٢٤٨٨٥.

وفى روايه أخرى، قال:«فكان بعد ذلك يعقوب عليه السلام ينادى مناديه كلَّ غداه من منزله على فرسخ: ألا من أراد الغداء، فليأتِ إلى يعقوب، وإذا أمسى نادى: ألا من أراد العشاء، فليأتِ إلى يعقوب»(١).

وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:«والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قیل: ومن يارسول الله؟ قال: الذي لا يأمن من جاره بوائقه!»(٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:«من آذى جاره فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن حارب جاره فقد حاربنى، ومن حاربنى فقد حارب الله»(٣).

#### حدود الجار

معرفة الجار موكوله إلى العرف، فأى دار يُطلق عليها الجار عرفاً يلزم مراعاة حقوق أهلها، وقد يختلف من زمانٍ إلى زمانٍ آخر.

وأما الروايات الواردة فى المقام فقد دلَّ بعضها على أن كلَّ أربعين داراً من كلِّ الجوانب الأربعة تُعدُّ جاراً.

ص: ١٣٧

١- (١) المصدر السابق: ج ٢، ص ٦٦٧، ح ٤، وح ٥. مشكاة الأنوار: ص ٣٧٦. الجواهر السنيه: ص ٢٨. تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص ٤٤٥، ح ١٦٤، وح ١٦٥. وسائل الشيعه: ج ١٢، ص ١٣٠، ح ٢، وح ٣، وح ٢٤، ص ٤١٧، ح ٤، وح ٥. صحيح البخارى: ج ٧، ص ٧٨. وأنظر: مسند أحمد: ج ٢، ص ٢٨٨، وح ٤، ص ٣١. المستدرک على الصحيحين: ج ١، ص ١٠، وح ٤، ص ١٦٥. مجمع الزوائد: ج ٨، ص ١٦٩. المعجم الكبير: ج ٢٢، ص ١٨٧. كنز العمال: ج ٩، ص ٥٠، ح ٢٤٨٨٥.

٢- (٢) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٦٦٧، ح ٤، وح ٥. مشكاة الأنوار: ص ٣٧٦. الجواهر السنيه: ص ٢٨. تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص ٤٤٥، ح ١٦٤، وح ١٦٥. وسائل الشيعه: ج ١٢، ص ١٣٠، ح ٢، وح ٣، وح ٢٤، ص ٤١٧، ح ٤، وح ٥. صحيح البخارى: ج ٧، ص ٧٨. وأنظر: مسند أحمد: ج ٢، ص ٢٨٨، وح ٤، ص ٣١. المستدرک على الصحيحين: ج ١، ص ١٠، وح ٤، ص ١٦٥. مجمع الزوائد: ج ٨، ص ١٦٩. المعجم الكبير: ج ٢٢، ص ١٨٧. كنز العمال: ج ٩، ص ٥٠، ح ٢٤٨٨٥.

٣- (٣) كنز العمال: ج ٩، ص ٥٧، ح ٢٤٩٢٧. تفسير الثعلبي: ج ٣، ص ٣٠٥. العهود المحمديه: ص ٨٢٢.

فَعَن النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّ أَرْبَعِينَ دَارًا جِيرَانًا، مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ» (١).

ولعلّه محمول على عرف ذلك الزمان.

## حقوق الجار

هناك عدّة حقوق للجار، يمكن تلخيصها بذكر كلمة الإمام زين العابدين عليه السلام، في رساله الحقوق، والتي جاء فيها فيما يختص الجار: «وأما حق جارك، فحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرتَه إذا كان مظلوماً، ولا تتبع له عوره، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه، وإن علمت أنه يقبل نصيحتك نصحتَه فيما بينك وبينه، ولا تسلمه عند شديده، وتقبل عثرته، وتغفر ذنبه، وتعاشره معاشرَةً كريمةً، ولا قوّة إلا بالله» (٢).

وهذه الحقوق عديده، مذكوره في روايات كثيره، في رساله الحقوق وغيرها، ويمكن تلخيصها بما يلي:

١ - حفظه غائباً: وهذا الحفظ لا يختص بحفظ المال أو غيره، بل هو حفظ للمال والعيال، وكلّ شيء يمكن حفظه.

٢ - إكرامه شاهداً: يعني إذا كان غير مسافر وغائب أن تكرمه، والإكرام هنا عامّ يصدق على كلّ نوع من الإكرام، كالتحيه والسلام، وحضور أفراحه وأتراحه، وإجابه

ص: ١٣٨

١- (١) الكافي: ج ٢، ص ٦٦٩، ح ١. كتاب الزهد: ص ٤٢، ح ١١٣. مشكاة الأنوار: ص ٣٧٦. رياض السالكين: ج ٤، ص ١٥١. التفسير الصافي: ج ١، ص ٤٤٩. تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٤٨٠، ح ٢٤٤. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٥٢، ح ١٢ عن كتاب الزهد.

٢- (٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٤٥٥ ضمن الحديث ١. الخصال: ص ٥٦٩ ضمن الحديث ١. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٦١٨، ح ٣٢١٤. مكارم الأخلاق: ص ٤٢٢. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٧، ح ١ عن الخصال. تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٤٧٩، ح ٢٤٢ عن من لا يحضره الفقيه. وسائل الشيعه: ج ١٥، ص ١٧٧ ضمن حديث ١.



دعوته، وغير ذلك من مصاديق الإكرام.

٣ - نصرته إذا كان مظلوماً: بأن تدافع عنه، وتذكر صفاته الطيبة، وتشهد له بالحق إن كان الحق معه، وتنصحه، وغير ذلك.

٤ - عدم تتبع عوراتها: سواء عورته عرضه من أهله، وأهل بيته، ونسائه بالنظر إليهم، وما أكثره في زماننا، حيث أطلت الدور بعضها على البعض الآخر، وبإمكان الجار الاطلاع على عورات جاره بأسهل ما يكون إلا من عصمه الله تبارك وتعالى، وحارب الوسوس الشيطانية، أو التفت إلى الأخلاق الإنسانية الموروثة جيلاً بعد جيل، نتيجة التعاليم السماوية السابقة على الدين الإسلامي والنخوة العربية القائلة:

ما ضرَّ جاراً لى أجاوره ألا يكون لبابه سترٌ

أعمى إذا ما جارتى خرجت حتى يُوارى جارتى الخدرُ

نارى ونازُ الجارِ واحدةٌ وإليه قبلى ينزلُ القدرُ(١)

أو إتباع عوراتها الأخرى، كمرآبه أخطائه وعثراته، وإحصائها عليه؛ كى تكون ورقه تهديد أو استضعاف له.

وهذا من الأمور المنهى عنها شرعاً، خصوصاً إذا كان الجار مؤمناً.

٥ - الستر عليه فيما لو صدر منه سوءٌ: وهكذا ستر عيوبه وعيوب من يهّمه من أهل بيته، وعدم إفشاء أسرارهم، خصوصاً ما يحصل بينه وبين عياله، كما لو ارتفعت أصواتهم أو تهاوتوا فيما بينهم، أو غير ذلك بما يشينه.

٦ - وإن علمت أنه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه: فإذا كان قد جار على أحد

ص: ١٣٩

---

١- (١) شرح نهج البلاغة: ج ١٧، ص ١٠ ونسبه ل - (مسكين الدارمي). تنزيل الآيات على الشواهد من الآيات: ص ٣٩٣، ونسبه ل - (حاتم)، والظاهر أنّ المقصود به: (حاتم الطائي).

واعتدى عليه، بفعل أو كلام كان من واجب جاره النصيحة له، بشرط أن يعلم الناصح بقبول جاره للنصيحة، وأن تكون النصيحة بينهما؛ لأن الله يحبّ الساترين، ولأنّ النصيحة أمام الملائمة أشبه ما تكون بالتجريح.

٧ - ولا تسلمه عند شدائده: سواء كانت أزمه ماله، كما لو فقد نقوده أو خسرت تجارته، أو نفسه، كما لو فقد عزيزاً وغيرهما ممّا يصدق عليه شدّه.

٨ - وتقبل عثرته وتغفر ذنبه: فلو أخطأ معك في يوم من الأيام، وعثر معك عشرة أو ارتكب خطأ، فلا بد من إقاله عثرته وغفران ذنبه.

٩ - وتعاشره معاشره كريمه: كالتبسّم في وجهه، والسلام عليه، وتفقد أحواله، ومساعدته في قضاء حوائجه، وكلّ شيء يحبّ العشرة ويزيد الألفه.

١٠ - ولا تدخر حلمك عنه إذا جهل عليك: يعني إذا هو لم يعرف حقك، أو استخفّ به، أو أهانك أو غير ذلك، فما عليك إلا أن تبدى له التسامح والحلم.

١١ - وأن تكون مسلماً له، ترد عنه لسان الشتمه، وتبطل فيه كيد حامل النصيحة: يعني تحفظ ماء وجهه، وترد غيبته إذا اغتابه أحد، وتدافع عنه بكلّ ما أوتيت من قوه.

فهذه هي إحدى عشره نصيحه جمعتها كلمه سيدنا ومولانا الإمام زين العابدين عليه السلام وغيرها من الروايات، جمعت فيها حقوق الجار، ويا لها من كلمات نيره، لو عمل بها الجار المسلم وغير المسلم لعاش الناس بأمن وأمان، وسعاده واطمئنان، ولاشترى الناس جارهم قبل دارهم، كما حدث ذلك في التاريخ، وسجل في الكتب ليضرب مثلاً لحسن الجوار.

فقد حكي «إن رجلاً كان جاراً لأبي دلف ببغداد، فأدرسته حاجه، وركبه دين فادّخ حتى احتاج إلى بيع داره، فساوموه فيها، فسّمى لهم ألف دينار، فقالوا له: إن دارك تساوى خمسمائه دينار. فقال: ابيع دارى بخمسمائه، وجوار أبى دلف بخمسمائه، فبلغ أبا دلف

الخبر، فأمر بقضاء دينه ووصله، وقال: لا تنتقل من جوارنا»(١).

وهكذا من يُجاور الأئمة عليهم السلام حياً وميتاً، لا- بدّ وأن يلتزم بالحقوق المذكورة، وكذلك مع أبنائهم وذرياتهم عليهم السلام، فإنهم يلتزمون بحقوق الجار ويحمون جارهم، كما نُقل ذلك عن المرحوم النهاوندى عن المرحوم ميرزا مهدي أنه قال: حكى لى شخصٌ باسم محمود، وهو خادم فى حضره الإمام الحسين عليه السلام وكان عمله حفظ أحذيه الزائرين، فقال: حلت فى إحدى الليالى نوبتى فى المحافظه على الحرم مع رفاقى الخفر، وعندما غادر الناس، وأغلقنا الأبواب جيداً نام الخدام، ومضى نصف من الليل، كنت مستيقظاً حينما دخل شخصان إلى الصحن المطهر، من جهة الباب المعروف بالزينية، ووقفوا على قبر جديد، قد دفن صاحبه حديثاً، فشققا القبر، وأخرجا المدفون فيه، رأيت الشخص الذى أخرجاه يستغيث بهما، ويتوسل إليهما، وهما لا- يصغيان إليه، ولا- يرحمانه، فأرادا أن يخرجاه به من الباب المرقوم وقد يئس صاحب القبر منهما، فأدار وجهه صوب الحرم المطهر، وقال: «أهكذا يفعل بجارك يا أبا عبد الله؟» قال محمود: فسمعت صوتاً من الحرم المطهر اهتزت له الجدران والقناديل: «ردّوه ردّوه»، فرأيت الشخصين قد رجعا به فوضعا فى قبره وذهابا، ولما أصبح الصباح ذهبت الى القبر فوجدته قد تغيّر وعليه أثر شقٍ واضح (٢).

هكذا هو جارك يا أبا عبد الله! يا غريب كربلاء! أميا أعداؤك أو لم يعلموا بجوارك لهم؟! أو لم يحفظوا جوارك منهم، ومنزلتك عند الله وعند رسوله؟! أو لم يسمعوا قول جدك النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، حيث قال: «ما آمن بى من بات شبعاً وجاره جائع»(٣).

ص: ١٤١

١- (١) أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ٤٦٠ - ص ٤٦١.

٢- (٢) انظر: الأخلاق والآداب الاسلاميه: ص ١٣٣ - ص ١٣٤.

٣- (٣) الكافى: ج ٢، ص ٦٦٨، ح ١٤. مجمع الزوائد: ج ٨، ص ١٦٧. المعجم الكبير: ج ١، ص ٢٥٩، ح ٧٥١. وسائل الشيعه: ج ١٢، ص ١٣٠، ح ١.

أَوْ لَمْ يَحْفَظُوا عَهْدَ النَّبِيِّ بِكُمْ؟! أَوْ لَمْ تَكُنْ جَائِعًا وَعَطْشَانًا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ!؟

تَبَّ لَهُمْ مَنْ أَمَّهُ لَمْ يَحْفَظُوا عَهْدَ النَّبِيِّ بِآلِهِ الْأَمْجَادِ

قَدْ شَتَّتُوهُمْ بَيْنَ مَقْهُورٍ وَمَأْسُورٍ وَمَنْحُورٍ بِسَيْفِ عِنَادٍ (١)

\*\*\*

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

ص: ١٤٢

---

١- (١) البيتان من قصيده رائعه لشاعر أهل البيت عليهم السلام السيد مهدي الأعرجي رحمه الله، كما في رياض المدح والثناء: ص ٧٥٦، مطلعها: رحلوا وما رحلوا أهيل وداديالاً بحسن تصبّرى وفؤادي.





من وصيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر رحمه الله أنه قال: «يا أبا ذر، لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبه الشريك لشريكه، فيعلم من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه؟ أمن حل ذلك أم من حرام؟» (١).

يتألف الإنسان من عنصرين، لا يمكن له العيش دونهما مجتمعين، وهما: عنصر الجسد وعنصر النفس، وهما عنصران بهما تكمل حياة الإنسان، ويطيب عيشه، ولكل واحدٍ منهما حاجاته ومتطلباته التي يسعى لتحقيقها.

فحاجات الجسم هي: المآرب المادية الموجهة لنموه وصحته وحيويته، كالغذاء والشراب والكساء، ونحوها من ضرورات الحياة.

وحاجات النفس هي: الأشواق النفسية والروحية التي تعشقها الروح وتهفو إليها، كالمعرفة، والحرية، والعدل، وراحة الضمير والبال، وما إلى ذلك من المثل العليا، والأمانى الروحية.

وأما حقوقهما فهي كثيرة، تتلخص بما يأتي:

أما حقوق الجسد: فتتخلص برعايه القوانين الصحيه، وإتباع الآداب الإسلاميه الكفيله بصحه الجسم وحيويته ونشاطه، كالإعتدال في الطعام والشراب، وتجنب الكحول والعادات الضاره، كالخمر والحشيش والأفيون، وجميع ما يصدق عليه بأنه من المخدرات، والسعى وراء الشهوات الجنسيه الآثمه.

وأما حقوق النفس: فهي لا تقل أهمية عن حقوق الجسد، إن لم تكن أهم؛ لأن

ص: ١٤٥

---

١- (١) (١) مكارم الأخلاق: ص ٤٦٨. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ١٩٩. بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٨٦ ضمن ح ٣ عن مكارم الأخلاق. كنز العمال: ج ٣، ص ٦٩٩، ح ٨٥٠١.

الأمراض الجسميه تظهر أعراضها فى الغالب على الجسم، بخلاف أمراض الروح، فإنها فى الغالب تبقى مجهولة لكثير من الناس إذا لم نقل لأكثرهم. ومن هنا كانت أصعب علاجاً من أمراض الجسم، واحتاجت أمراضها إلى أطباء حاذقين، فكانت عنايه الحكماء والأولياء، ومن قبلهم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، بتهذيب النفس وعلاج أمراضها ومحاسبتها.

ونحن فى هذا المقام نشير إلى بعض التوجيهات فى تهذيب النفس.

### تهذيب النفس

للوصول إلى رضا الله تبارك وتعالى، والفوز بالنعيم الخالد الذى وعد به البارئ عز وجل لا بد للإنسان من الإلتباه إلى نفسه ورغباتها وشهواتها، كما هو متبته على طول الزمان إلى جسمه واحتياجاته، ولا أقل حاجة الطعام والشراب، وبانتباهه إلى نفسه يكون قد جاهدها جهاداً عظيماً، إذا أراد لها ذلك، وإلا فمجرد الإلتباه إلى أخطائها من دون ردع ونهى لا يحل لنا المشكله، غايه ما فى الأمر قد شخّص المرض من دون علاج، وعندئذ لا تشفى النفس من أمراضها، بل لا بد من علاج واقعى (١).

والوقايه قبل العلاج، كما رسمه المتخصصون، تتم عن طريق مراحل ثلاث، هى: (المشارطه والمراقبه والمحاسبه).

المقصود بالمشارطه؟

المشارطه هى أول مرحله من المراحل الثلاث المذكوره، والقائم بها يسمى ب (المشارط) والمقصود منه: «الذى يشارط نفسه فى أول يومه على أن لا يرتكب اليوم أى عمل يخالف أوامر الله، ويتخذ قراراً بذلك، ويعزم عليه. وواضح أن ترك ما يخالف أوامر

ص: ١٤٤



الله ليوم واحدٍ أمر يسير للغايه، ويمكن للإنسان بيسر أن يلتزم به»(١)، وعندئذٍ يطلب - بصدق - من الله تبارك وتعالى، ورسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، ويتوسل إلى الله تعالى بهم عليهم السلام؛ لإعانتته على هذه المرحلة ليقدر على كبح نفسه وشهواتها حتى يُهذَّبها، وأن لا يتدى المشارك من أول يوم بتحميل نفسه أكثر من طاقتها، بل على المشارك الإبتداء بالسير اليسير؛ حتى يصل إلى المطلوب، لا أنه يريد التهذيب في يومٍ وليله، كما حصل ذلك لبعض الأصدقاء، فأراد في ليله وضحاها أن يصل إلى مرتبه أحد العرفاء الذي كان إذا جنَّه الليل جنَّ في عبادته مع الله تبارك وتعالى، ولكن لم يوفق لذلك؛ لأنَّ الوصول إلى هذه المرتبه لا يكون إلا بعد ربح من الزمن يقضيه في الجهاد والمعاناه والتهذيب.

روى الشيخ الكليني رحمه الله بسنده، قال: «عن يعقوب بن الضحاک، عن رجل من أصحابنا سراج، وكان خادماً لأبي عبد الله عليه السلام، قال: بعثني أبو عبد الله عليه السلام في حاجه، وهو بالحيره، أنا وجماعه من مواليه، قال: فانطلقنا فيها، ثم رجعنا مغتمين. قال: وكان فراشى في الحائر الذي كُنَّا فيه نزولاً، فجئت وأنا بحال فرميت بنفسي، فبينما أنا كذلك إذا أنا بأبي عبد الله عليه السلام قد أقبل. قال: فقال: قد أتيناك. أو قال: جئناك. فاستويت جالساً وجلس على صدر فراشى، فسألني عمّا بعثني له فأخبرته. فحمد الله، ثم جرى ذكر قوم، فقلت: جعلت فداك إنا نبرأ منهم، إنهم لا يقولون ما نقول. قال: فقال: يتولونا ولا يقولون ما تقولون تبرؤون منهم؟ قال: قلت: نعم قال: فهو ذا عندنا ما ليس عندكم، فينبغي لنا أن نبرأ منكم؟ قال: قلت: لا - جعلت فداك - قال: وهو ذا عند الله ما ليس عندنا أفتراه أطرحنا؟ قال: قلت: لا والله، جعلت فداك ما نفعل؟ قال: فتولوهم ولا تبرؤوا منهم، إنَّ من المسلمين من له سهم، ومنهم من له سهمان، ومنهم من له ثلاثه أسهم، ومنهم من له أربعه

ص: ١٤٧

أسهم، و منهم من له خمسة أسهم، ومنهم من له ستة أسهم، ومنهم من له سبعة أسهم، فليس ينبغي أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين، ولا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة، ولا صاحب الثلاثة على ما عليه صاحب الأربعة، ولا صاحب الأربعة على ما عليه صاحب الخمسة، ولا صاحب الخمسة على ما عليه صاحب الستة، ولا صاحب الستة على ما عليه صاحب السبعة، وسأضرب لك مثلاً: إن رجلاً كان له جار، وكان نصرانياً، فدعاه إلى الإسلام وزينه له، فأجابه فأتاه سحيراً، ففرع عليه الباب، فقال له: من هذا؟ قال: أنا فلان. قال: وما حاجتك؟ فقال: توضاً والبس ثوبيك، ومر بنا إلى الصلاة. قال: فتوضاً، ولبس ثوبيه، وخرج معه، قال: فصلياً ما شاء الله، ثم صلياً الفجر، ثم مكثاً حتى أصبح، فقام الذي كان نصرانياً يريد منزله، فقال له الرجل: أين تذهب؟ النهار قصير، والذي بينك وبين الظهر قليل؟ قال: فجلس معه إلى أن صلى الظهر، ثم قال: وما بين الظهر والعصر قليل، فاحتبسه حتى صلى العصر، قال: ثم قام وأراد أن ينصرف إلى منزله، فقال له: إن هذا آخر النهار، وأقل من أوله، فاحتبسه حتى صلى المغرب، ثم أراد أن ينصرف إلى منزله فقال له: إنما بقيت صلاة واحده! قال: فمكث حتى صلى العشاء الآخرة، ثم تفرقاً فلما كان سحيراً غداً عليه، فضرب عليه الباب، فقال: من هذا؟ قال: أنا فلان. قال: وما حاجتك؟ قال: توضاً والبس ثوبيك واخرج بنا فصل، قال: اطلب لهذا الدين من هو أفرغ مني، وأنا إنسان مسكين، وعلّي عيال، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أدخله في شيء أخرجه منه - أو قال: أدخله من مثل ذه وأخرجه من مثل هذا - (١).

ومن هنا قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم، يصعد منه مرقاه بعد أخرى، فلا يقولن صاحب الاثنين لصاحب الواحد: لست على شيء حتى

ص: ١٤٨

---

١- (١) الكافي: ج ٢، ص ٤٢ - ص ٤٤، ح ٢، عنه بحار الأنوار: ج ٦٦، ص ١٦١ - ص ١٦٢، ح ٢. وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ١٦٠ - ص ١٦١، ح ٣.

ينتهي إلى العاشر، فلا تُسقط مَنْ هو دونك، فيسقطك مَنْ هو فوقك، وإذا رأيت مَنْ هو أسفل منك بدرجةٍ فارفعه إليك برفقٍ، ولا تحملنَّ عليه ما لا يطيق فتكسره؛ فَإِنَّ مَنْ كسر مؤمناً فعليه جبره»(١).

وهذا هو الفارق الجوهرى بين أسلوب العلماء فى الهدايه وغيرهم، فالعلماء يتخذون أسلوب القرآن، وهو: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) (٢).

وبهذا الأسلوب صار الفقيه فقيهاً كاملاً، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الفقيه كلُّ الفقيه مَنْ لم يَقْطُ النَّاسَ من رحمه الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يؤمّنهم من مكر الله»(٣).

فإذا تمّت مرحله المشارطه يأتى الدور إلى مرحله المراقبه.

ما هى المراقبه؟

قال أهل الفنّ وأطباء النفوس: وبعد هذه المشارطه عليك أن تنتقل إلى المراقبه، وكيفيةها: أن تنتبه طوال مدّه المشارطه إلى عملك، وفقاً لما اشترطته، فتعتبر نفسك ملزماً بالعمل وفق ما شرطت(٤).

وقد كان علماؤنا الكبار يشارطون ويتعاهدون الله على فعلٍ ما، أو تركٍ ما، وينذرون الصيام لمدّه سنتين - مثلاً - لو خالفوا شرطهم، وبذلك يكون مثل هذا النذر مانعاً لهم من مخالفه الشرط، وما تركنا للأعمال التى يترتب عليها حدّ شرعى، وارتكابنا للمحرّمات الأخرى كالغيبه - مثلاً - مع كونها أعظم من سابقتها إلا فى الحدود الشرعيه المترتبه على

ص: ١٤٩

١- (١) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٤٥، ح ٢. الخصال: ص ٤٤٧، ح ٤٨، عنه بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ٣٥١، ح ٧٥، وج ٦٦، ص

١٦٥، ح ٤ عن الكافى. وسائل الشيعه: ج ١٦، ص ١٦٢، ح ٥.

٢- (٢) النحل: آيه ١٢٥.

٣- (٣) نهج البلاغه: ج ٤، ص ٢٠، ح ٩٠. بحار الأنوار: ج ٢، ص ٥٦، ح ٣٤.

٤- (٤) انظر: الأربعون حديثاً للإمام الخمينى رحمه الله: ص ٢٦.

تلك، وعدم ترتب حدٍ أو جزاءٍ عاجلٍ على الغيبه.

قال الإمام الخميني رحمه الله: «إذا حصل - لا سمح الله - حديثٌ لنفسك بأن ترتكب مخالفاً لأمر الله، فاعلم أنّ ذلك من عمل الشيطان وجنده، فهم يريدونك أن تتراجع عمّا اشترطته على نفسك، فالعنهم واستعد بالله من شرّهم، وأخرج تلك الوسوس الباطله من قلبك، وقل للشيطان: إنّي اشترطت على نفسي أن لا أقوم في هذا اليوم - وهو يوم واحد - بأى عمل يخالف أمر الله تعالى، وهو وليّ نعمتي طول عمري، فقد أنعم عليّ وتلطف بي بالصحة والسلامه والأمن، والطفأً أُخري، ولو أنّي بقيت في خدمته إلى الأبد لما أدت حقّ واحدٍ منها، وعليه فليس من اللائق أن لا أفي بشرطٍ بسيطٍ كهذا. وآمل - إن شاء الله - أن ينصرف الشيطان ويبتعد عنك وينتصر جنود الرحمن.

والمراقبه لا- تتعارض مع أيّ عملٍ من أعمالك، كالكسب والسفر والدراسه، فكن على هذه الحال إلى الليل، ريثما يحين وقت المحاسبه»(١).

ما هي المحاسبه؟

والمحاسبه هي المرحله الثالثه، والتي أشارت إليها الوصيه التي افتتحنا بها الحديث، وهي أن تحاسب نفسك محاسبه الشريك شريكه، كما قال النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم لأبي ذر رحمه الله(٢).

وفي (الأربعون): «وأما المحاسبه، فهي أن تحاسب نفسك؛ لترى هل أدت ما اشترطت على نفسك مع الله، ولم تخن وليّ نعمتك في هذه المعامله الجزئيه؟ إذا كنت قد وفيت حقّاً فاشكر الله على هذا التوفيق، وإن شاء الله ييسر لك سبحانه التقدّم في أمور دنياك وآخرتك، وسيكون عمل الغد أيسر عليك من سابقه، فواظب على هذا العمل فترةً، والمأمول أن يتحوّل إلى ملكه فيك، بحيث يصبح هذا العمل بالنسبه إليك سهلاً

ص: ١٥٠

١- (١) الأربعون حديثاً (الإمام الخميني رحمه الله): ص ٢٦.

٢- (٢) انظر: أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ١٩٩. بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٨٦.

ويسيراً للغايه، وستحسّ عندها باللذّه والأنس في طاعه الله تعالى، وترك معاصيه... وإذا حدث - لا سمح الله - في أثناء المحاسبه تهاون وفتور تجاه ما اشترطت على نفسك، فاستغفر الله وأطلب العفو منه، وأعزم على الوفاء بكلّ شجاعه بالمشارطه غداً، وكن على هذا الحال، كي يفتح الله تعالى أمامك أبواب التوفيق والسعاده، ويوصلك إلى الطريق المستقيم للإنسانيه» (١).

فيحاسب الإنسان نفسه من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه، أمن حلّ ذلك أم من حرام؟ حتّى يشكر الله تبارك وتعالى على الحلال، ويتوب إلى الله عزّ وجلّ توبهً نصوحاً من الحرام، وذلك بإرجاع كلّ حقّ إلى أهله، وهذا هو الذى يميّز أهل البيت عليهم السلام عمّن عاداهم، وهو الذى أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام، عندما طلبوا منه البيعه ليزيد، حيث قال: «أيها الأمير، إنّ أهل بيت النبوه، ومعدن الرساله، ومختلف الملائكه، ومحلّ الرحمه، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس المحرّمه، مُعلنٌ بالفسق، مثلى لا- يبايع لمثله، ولكن نصبح وتصبحون، ونتنظر وتنتظرون، أيننا أحقّ بالخلافه والبيعه. قال: وسمع من بالباب الحسين، فهّموا بفتح الباب وإشهار السيوف، فخرج إليهم الحسين سريعاً، فأمرهم بالإنصراف إلى منازلهم، وأقبل الحسين إلى منزله» (٢).

أقول: ليت شعري! أين كان هؤلاء عندما بقيت الحوراء زينب عليها السلام تنادى إخوتها وبنى عمومتهما؟

ص: ١٥١

١- (١) الأربعون حديثاً (الإمام الخميني رحمه الله): ص ٢٦ - ص ٢٧.

٢- (٢) كتاب الفتوح: ج ٥، ص ١٤. اللهوف: ص ١٧. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٥.

أين أنت يا أبا الفضل، وهي التي خرجت بكفالتك؟

عبّاس تسمعُ زينباً تدعوك من لى يا حمای إذا العدى نهرونى

أو لستَ تسمعُ ما تقولُ سُكِينُهُ عَمَّاهُ يومَ الأسرِ من يَحْمِينِي (١)

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ أَىُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبه للمتقين.

ص: ١٥٢

---

١- (١) البيتان من قصيده رائعه لشاعر أهل البيت عليهم السلام الشيخ حسن قفطان رحمه الله، كما فى مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ١، ص ٣٤٥ - ص ٣٤٦.







روى عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْيَى حَيَاتِي وَيَمُوتَ مَوْتِي، وَيَسْكُنَ جَنَّةَ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَنِي رَبِّي؛ فَإِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ غَرَسَ قَصَبَاتَهَا بِيَدِهِ، فَلْيَتَوَلَّ عَلَيَّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْرُجَكُمْ مِنْ هُدَى، وَلَنْ يَدْخُلَكُمْ فِي ضَلَالِهِ» (١).

لم نعثر في كتاب من كتب السير والتاريخ أن تحدّث عن سيره أحدٍ إلى مستوى سير الأئمّة عليهم السلام، ولم تذكر كتب الحديث روايةً واحدةً - ولو كانت موضوعه ومفتراه - في فضل أحد الأشخاص، إلا وقد ذكر من قبلها روايات كثيرة وصحيحه أكثرها في معاجز وفضائل وكرامات أهل البيت عليهم السلام.

ومنه يتبيّن أنّ ما وصل إليه أهل البيت عليهم السلام، لم يصل إليه أحد من غيرهم عليهم السلام؛ فقد جاهدوا في نصره الدين، وحمايه المسلمين وحقوقهم، جهاداً لم يحدّثنا التاريخ بمثله، حتّى استشهدوا في سبيل العقيدة والمبدأ، ومن هنا كانت لهم حقوق وواجبات على المسلمين، لا بدّ من تأديتها لهم عليهم السلام، ونحن نشير إليها إشارةً مختصرةً.

الحقّ الأوّل: معرفتهم

فقد جاء في الحديث - الذي أجمع المسلمون عليه (٢) - عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال:

ص: ١٥٥

١- (١) المعجم الكبير: ج ٥، ص ١٩٤. كنز العمال: ج ١١، ص ٦١١، ح ٣٢٩٥٩. نهج الإيمان: ص ٥٠٣. وأنظر الحديث في مصادرها التالية: بصائر الدرجات: ص ٧١، ح ١١، وص ٧٢، ح ١٨. مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٢٥٠، وج ٣، ص ٥. بشاره المصطفى: ص ٢٩٠، ح ١٤. الطرائف في معرفه مذاهب الطوائف: ص ١١٨، ح ١٨١. غايه المرام: ج ١، ص ١٣٢، ح ٢٥، وج ٢، ص ٢٨٨، ح ٣.

٢- (٢) انظر: الصراط المستقيم: ج ١، ص ١٩٦، حيث قال: «وقد أجمع المسلمون على قوله عليه السلام: مَنْ مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليه، ولا شكّ أنّه الإمام، فلا تنفع الجاهليه حسنائهم». وفي الصوارم المهرقه: ص ٨٩: «الإمامه عندنا من أصول دين الإسلام، كما يدلّ عليه وجوه من الأدلّه، منها: الحديث المشهور المتفق عليه من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: مَنْ مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليه».

«مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية» (١).

فمن هنا وجب على كلِّ مسلم يدين بهذا الدين الحنيف معرفتهم، حتَّى يكون على بصيره من عقيدته وشريعته؛ لأنَّ كلَّ مسلم يؤمن بالله تبارك وتعالى ونبيه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لا بدَّ له من الأخذ بأقوالهم والإهداء بهديهم، وهذا لا يكون إلا بعد معرفتهم عليهم السلام.

وروى علماء العائمة - كما نُقل في صحيح مسلم - أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يزال الدين قائماً حتَّى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم من قریش» (٢).

وهذا الحديث شاهد على وجود الإمامة في شخص الإمام عليه السلام حتَّى قيام الساعة، وأنَّ هذه الإمامة حصر على أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، دون غيرهم من الملوك والسلاطين من بنى أمية أو العباسيين؛ إمَّا لزيادتهم على هذا العدد (اثني عشر)، أو لفسقهم وفجورهم، وصفات أخرى لا تليق بمنصب الخلافة الإلهية.

ونفس هذا المعنى صرَّح به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث يقول: «اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجَّه. إمَّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً؛ لئلا تبطل حججُ الله وبيئاته. وكم ذا؟ وأين أولئك؟ أولئك والله الأقلون عدداً والأعظمون قدراً. يحفظ الله بهم

ص: ١٥٦

١- (١) كمال الدين وتمام النعمة: ص ٤٠٩. كفاية الأثر: ص ٢٩٦. الثاقب في المناقب: ص ٤٩٥، ح ١. مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٢١٢. اليقين: ص ١٢٤. العقد النضيد والدرّ الفريد: ص ٥٣. إعلام الوری: ج ٢، ص ٢٥٣. كشف الغمّة: ج ٣، ص ٣٣٥. حقائق الإيمان: ص ١٥١. وأمَّا في مصادر العائمة، فأنظر - مثلاً - : مسند أحمد: ج ٤، ص ٩٦. مجمع الزوائد: ج ٥، ص ٢١٨، ص ٢٢٤، ص ٢٢٥. مسند أبي داود الطيالسي: ص ٢٥٩. كتاب السنه: ص ٤٨٩، ح ١٠٥٧. مسند أبي يعلى: ج ١٣، ص ٣٦٦، ح ٧٣٧٥. صحيح ابن حبان: ج ١٠، ص ٤٣٤. المعجم الأوسط: ج ٣، ص ٣٦١.

٢- (٢) صحيح مسلم: ج ٦، ص ٤. تحفه الأحوذی: ج ٦، ص ٣٩١. الآحاد والمثاني: ج ٣، ص ١٢٨. مسند أبي يعلى: ج ١٣، ص ٤٥٥ - ص ٤٥٦، ح ٧٤٦٣. المعجم الكبير: ج ٢، ص ١٩٩. كنز العمال: ج ١٢، ص ٣٣، ح ٣٣٨٥٥.

قال ابن أبي الحديد المعتزلى فى شرح هذا المقطع: «وهذا يكاد يكون تصريحاً بمذهب الإماميه، إلا أنّ أصحابنا يحملونه على أن المراد به، الأبدال الذين وردت الأخبار النبويه عنهم، أنّهم فى الأرض سائحون، فمنهم من يُعرف، ومنهم من لا يُعرف، وأنهم لا يموتون حتى يودعوا السرّ، وهو العرفان عند قوم آخرين، يقومون مقامهم، ثم استنزر عددهم فقال: وكم ذا! "أى كم ذا القبيل! وكم ذا الفريق!"» (٢).

فلاحظ بعين الإنصاف كيف شرح هذا الكلام، وكيف اعترف بتأويل القوم له تأويلاً بارداً، وصرفاً بائساً!

#### الحقّ الثانى: موالاتهم

من حقوقهم عليهم السلام الموالاه لهم، وتأتى فى الرتبة بعد معرفتهم، فكثير من الناس من يدعى معرفتهم، وقد يعرفهم واحداً بعد واحد، ويعرف فضلهم ومنزلتهم عند الله عزّ وجلّ، وعند رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن لا يواليهم، وهذا - أعنى معرفتهم - غير كافٍ ما لم يشفع بالمولاه.

وقد ورد عن طريق العامه أنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أنا سلّم لمن سالمته وحرّب لمن حاربتهم» (٣). ومن المعلوم أنّ من سالمه النبىّ فقد سالمه الله، ومن حاربه النبىّ فقد حاربه الله؛ لأنّ

ص: ١٥٧

١- (١) نهج البلاغه: ج ٤، ص ٣٧، ح ١٤٧. أمالى الشيخ الطوسى: ص ٢١، ح ٢٣. تحف العقول: ص ١٧٠. عيون الحكم والمواعظ: ص ٥٤١. أعلام الدين فى صفات المؤمنين: ص ٨٦. حقائق الإيمان: ص ١٥٤. ينابيع الموده: ج ١، ص ٨٩. بحار الأنوار: ج ١، ص ١٩٣ عن النهج، وج ٢٣، ص ٤٦، وكذا ج ٣٠، ص ٨١.

٢- (٢) شرح نهج البلاغه: ج ١٨، ص ٣٥١.

٣- (٣) سنن ابن ماجه: ج ١، ص ٥٢، ح ١٤٥. المعجم الكبير: ج ٣، ص ٤٠، ح ٢٦١٩، وج ٥، ص ١٨٤. تاريخ مدينه دمشق: ج ١٤، ص ١٥٨. تهذيب الكمال: ج ١٣، ص ١١٣. سير أعلام النبلاء: ج ٢، ص ١٢٥. ينابيع الموده: ج ٢، ص ٣٤، ح ٦، والحديث مشهور عند الفريقين إذا لم يكن متواتراً.

النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، كما صرح به القرآن الكريم (١).

وهناك أحاديث عديده، بل وآيات فيها إشاره إلى مسأله الموالاه لهم عليهم السلام.

ومنها هذا الحديث الذى افتتحنا به الكلام، المروى عن سيد الأنام صلى الله عليه وآله وسلم، الذى يأمر به المسلمين بالموالاه لعلّى وذريته عليهم السلام، إن كانوا يريدون السير واقعاً على نهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى حياته ومماته.

الحقّ الثالث: طاعتهم

والحقّ الثالث لهم عليهم السلام هو الطاعه لهم، والإنقياد لأوامرهم؛ فإنّ المعرفه والموالاه لا يكفیان من دون الطاعه لهم عليهم السلام؛ فإنّ هكذا معرفه وموالاه خاليه عن المضمون، فقد يوالى إنساناً إنساناً آخر ولكن لا يطيعه، فهذه الموالاه لم تكن إلاّ موالاه صوريه، والمطلوب هو الموالاه الواقعيه الحقيقيه، ومن هنا ورد فى بعض الأحاديث القدسيه هذا المعنى، كما عن المفضل بن عمر، قال: سمعت مولاى الصادق عليه السلاميقول: «كان فيما ناجى الله عزّ وجلّ به موسى بن عمران عليه السلام، أن قال له: يا بن عمران، كذبَ مَنْ زعم أنه يُحِبُّنى، فإذا جنّه الليلُ نامَ عَنّى، أليسَ كلُّ مُحِبٍّ يُحِبُّ خلوةَ حبيبه؟...» (٢).

وما ورد عنهم عليهم السلام أنّهم قالوا: «إنّ المحبّ لمن أحبّ مطيع» (٣).

ص: ١٥٨

١- (١) النجم: آيه ٣ - آيه ٤.

٢- (٢) أمالى الشيخ الصدوق: ص ٤٣٨، ح ١. روضه الواعظين: ص ٣٢٩. عدّه الداعى: ص ١٩٣. محاسبه النفس: ص ٨٢. قصص الأنبياء (الجزائرى): ص ٣٤٢ عن الأمالى. أعلام الدين فى صفات المؤمنين: ص ٢٦٣. بحار الأنوار: ج ١٣، ص ٣٢٩، ح ٧ عن الأمالى، وكذا ج ٦٧، ص ١٤، ح ٢، وج ٨٤، ص ١٧٢، ح ٥ عن أعلام الدين. الجواهر السنيه: ص ٥٧.

٣- (٣) فى تحف العقول: ص ٢٩٤ عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال: «ما عرف الله من عصاه وأنشد: تعصى الإله وأنت تُظهر حُبّهذا لعمر ك فى الفعال بديع لو كان حُبك صادقاً لأطعتها إنّ المحبّ لمن أحبّ مطيع»

فلا بدّ من الطاعة بعد الموالاه، وقد وردت آيات عديدة تشير إلى ذلك.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) ١ .

فقد أوجب الله تبارك وتعالى على المسلمين فى الآيه المباركه طاعه الأئمه من أهل البيت عليهم السلام، كما فسّرت هذه الآيه برواياتهم عليهم السلام العديده: فعن أبى بصير، عن أبى جعفر الباقر عليه السلام، أنه سأله عن قول الله تعالى: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) قال: «نزلت فى على بن أبى طالب». قلت: إنَّ الناس يقولون: فما منعه أن يسمى علياً وأهل بيته فى كتابه؟ فقال أبو جعفر: «قولوا لهم: إنَّ الله أنزل على رسوله الصلاه ولم يسم ثلاثاً ولا أربعاً، حتى كان رسول الله هو الذى فسّر ذلك، وأنزل الحجّ فلم ينزل: طوفوا سبغاً، حتى فسّر ذلك لهم رسول الله، وأنزل: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) ، فنزلت فى على والحسن والحسين، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيته، إنى سألت الله أن لا يفرّق بينهما حتى يوردهما على الحوض فأعطاني ذلك» (١).

وروى عن إمامنا الصادق عليه السلام أنه قال: «وصلّ الله طاعه ولى أمره بطاعه رسوله، وطاعه رسوله بطاعته، فمن ترك طاعه ولاه الأمر، لم يطع الله ولا رسوله» (٢).

ومن الآيه والروايه نعرف أنّ طاعه أهل البيت عليهم السلام كطاعه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا دليل واضح على عصمتهم وطهارتهم عليهم السلام، وعدم التفریق بين طاعتهم وطاعه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وطاعه الله تبارك وتعالى.

ص: ١٥٩

١- (٢) انظر - مثلاً - : شواهد التنزيل: ج ١، ص ١٩٠ - ص ١٩١. ينابيع المودّه: ج ١، ص ٧٤، وص ١٤٤.

٢- (٣) الكافي: ج ١، ص ١٨٢، ح ٦، وج ٢، ص ٤٧، ح ٣. التفسير الصافي: ج ٣، ص ٣١٥. تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص ١٩ - ص ٢٠، ح ٦٩، وج ٣، ص ٦٠٨، ح ١٨٦. رياض السالكين: ج ٧، ص ٢٦. بحار الأنوار: ج ٦٦، ص ١٠، ح ١٢.

قال تعالى: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ مَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) ١ .

وروى زراره عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «بُنِيَ الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، قال زراره: فقلت: وأى شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل؛ لأنها مفتاحهن، والوالى هو الدليل عليهن، قلت: ثم الذى يلي ذلك فى الفضل؟ فقال: الصلاة، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: الصلاة عمود دينكم، قال: قلت: ثم الذى يليها فى الفضل؟ قال: الزكاة؛ لأنه قرن بها وبدأ بالصلاة قبلها، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الزكاة تذهب الذنوب. قلت: والذى يليها فى الفضل؟ قال: الحج... أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره، وتصدق بجميع ماله، وحج جميع دهره، ولم يعرف ولايه ولى الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله عز وجل حق فى ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان، ثم قال: أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته» (١).

وأدلى شيء على طاعتهم هو قوله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ٣ .

الحق الرابع: أداء حقهم عليهم السلام من الخمس

ومن حقوقهم عليهم السلام العمليه التى أكثر ما يلج الناس بها النار، حق الخمس الذى أكدت عليه الشريعة، وأنه زكاة لأموال الناس.

قال تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ) ٤ ، وغيرها من الآيات الأخرى.

ص: ١٦٠

١- (٢) الكافي: ج ٢، ص ١٨ - ص ١٩، ح ٥. المحاسن: ج ١، ص ٢٨٦، ح ٤٣٠. تفسير العياشى: ج ١، ص ١٩١، ح ١٠١. تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٣٧٢، ح ٢٧٩. غايه المرام: ج ٦، ص ١٨٤، ح ٥. بحار الأنوار: ج ٦٥، ص ٣٣٢، ح ١٠ عن الكافي، وج ٧٩، ص ٢٣٤، ح ٥٩ عن المحاسن.

وهذا الحق فرض محتم على المسلمين، شرعه الله عز وجل لأهل البيت عليهم السلام، ومن يمت إليهم بشرف القربى والنسب.

«وهو حقٌ طبيعيٌّ يفرضه العقل والوجدان، كما يفرضه الشرع؛ فقد درجت الدول على تكريم موظفيها والعاملين في حقولها، فتمنحهم راتباً تقاعدياً يتقاضوه عند كبر سنهم، ويورثونه لأبنائهم، وذلك تقديراً لجهودهم في صالح أممهم وشعوبهم.

وقد فرض الله الخمس لآل محمد عليهم السلام وذرائعهم تكريماً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقديراً لجهاده الجبار، وتضحياته الغالية، في سبيل أمته، وتنزيهاً لآله عن الصدقة والزكاة.

وقد أوضح أمير المؤمنين عليه السلام مفهوم ذى القربى، فقال: نحن والله الذين عنى الله بذي القربى، الذين قرنهم الله بنفسه ونبيه، فقال: (ما أفاء الله على رسوله من أهيل القرى فليله وللرسول ولإتدى القربى واليتامى والمساكين) ١ منّا خاصه؛ لأنه لم يجعل لنا سهماً في الصدقة، وأكرم الله نبيه، وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ ما في أيدي الناس» (١).

وعن أبي بصير، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: «أصلحك الله، ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟ قال: من أكل مال اليتيم درهماً، ونحن اليتيم» (٢).

وروى محمد بن مسلم عن أحدهما عليها السلام أنه قال: «إن أشد ما فيه الناس يوم القيامة إذا قام صاحب الخمس، فقال: يا رب خمسى...» (٣).

ص: ١٦١

١- (٢) أخلاق أهل البيت عليهم السلام: ص ٣٢٦ - ص ٣٢٧.

٢- (٣) من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٤١، ح ١٦٥٠. كمال الدين وتمام النعمة: ص ٥٢١ - ص ٥٢٢، ح ٥٠. تفسير العياشى: ج ١، ص ٢٢٥، ح ٤٨. تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٤٤٩، ح ٨٣. وسائل الشيعة: ج ٩، ص ٤٨٣، ح ١. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ١٠، ح ٣٤ عن تفسير العياشى، وج ٩٣، ص ١٨٦، ح ١١ عن كمال الدين، وص ١٨٧، ح ١٥ عن تفسير العياشى أيضاً.

٣- (٤) الكافي: ج ١، ص ٥٤٦ - ص ٥٤٧، ح ٢٠. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٤٣، ح ١٦٥٤. الاستبصار: ج ٢، ص ٥٧، ح ١. تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١٣٦، ح ٤. وسائل الشيعة: ج ٩، ص ٥٤٥، ح ٥. الفصول المهمه في أصول الأئمة: ج ٢، ص ١٤٩، ح ٣.

إلى غير ذلك من النصوص والروايات.

الحقّ الخامس: الإحسان إلى ذريّتهم

ومن علامات الوُدّ والحبّ لأهل البيت عليهم السلام الإحسان إلى ذريّتهم بقدر المستطاع.

فعن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أربعه أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريّتي، والقاضى لهم حوائجهم، والساعى فى أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحّبّ لهم بقلبه ولسانه» (١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا قمتُ المقامَ المحمودَ تشفّعتُ فى أصحاب الكبائر من أمتى، فيشفعنى الله فيهم، والله لا تشفّعتُ فيمن أذى ذريّتي» (٢).

الحقّ السادس: مدحهم ونشر فضائلهم

ومن حقوق أهل البيت عليهم السلام أن نمدحهم وننشر فضائلهم عليهم السلام بكلّ ما أوتينا، وما أُتيحت لنا من فرص ووسائل بقدر الإمكان؛ لأنّ مدحهم ونشر فضائلهم هو تقويه

ص: ١٦٢

١- (١) عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٨، ح ٤، وج ٢، ص ٢٣٠، ح ٢. أمالى الشيخ الطوسى: ص ٣٦٦، ح ٣٠. كشف الغمّة: ج ١، ص ٥٢، وج ٢، ص ٢٥. كشف اليقين: ص ٣٢٨. ذخائر العقبى: ص ١٨. وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٣٣٤، ح ٦. بحار الأنوار: ج ٢٧، ص ٨٥، ح ٢٨ عن أمالى الشيخ الطوسى. الفصول المهمّة فى معرفه الأئمّه: ج ١، ص ١٤٤. كنز العمّال: ج ١٢، ص ١٠٠، ح ٣٤١٨٠. سبل الهدى والرشاد: ج ١١، ص ١١. ينابيع المودّه: ج ٢، ص ١١٥، ح ٣٢٥، وج ٢، ص ٣٨٠، ح ٧٩، وص ٤٦٤، ح ٢٩٧، وبعض المصادر التى ذكرناها فيها تغيير يسير فى الإسناد والتمتن، فليلاحظ ذلك.

٢- (٢) أمالى الشيخ الصدوق: ص ٣٧٠، ح ٣. روضه الواعظين: ص ٢٧٣. التفسير الصافى: ج ٣، ص ٢١١. التفسير الأصفى: ج ١، ص ٦٩٣. تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٢٠٨، ح ٣٩٨. الفصول المهمّة فى أصول الأئمّه: ج ١، ص ٣٦٠، ح ٦. بحار الأنوار: ج ٨، ص ٣٧، ح ١٢ عن أمالى الشيخ الصدوق، ومثله ج ٣١، ص ٦٥٣، ح ١٩٦، وج ٩٣، ص ٢١٨، ح ٤.



للدین الإسلامی الحنیف، ونصر لهذا المذهب الشریف، فإنَّ الأئمة هم أرفع الناس نسباً، وأعلاهم شرفاً، وآثرهم حساباً، وأجمعهم للفضائل والکمالات، هذا بنظر الله تبارک وتعالی ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وبنظر شیعتهم ومواليهم ومحبيهم.

وأما بنظر أعدائهم فهم یحقدون علیهم تعتاً وتعصباً، لا إنكاراً لفضائلهم؛ لأنَّ إنكارها یعنی إنكار الدین، وتكذیب الشرع المبین، المتمثل بخاتم الأنبياء والمرسلین، ولكن دیدن المنافقین علی بغض الإمام أمير المؤمنین علیه السلام وذریته الطاهرين علیهم السلام.

ومن هنا قال أمير المؤمنین علیه السلام: «لو ضربتُ خيشومَ المؤمن بسيفي هذا علی أن یبغضنی ما أبغضنی. ولو صببتُ الدنیا بجماستها علی المنافق علی أن یحبنی ما أحبنی؛ وذلك أنه قضی فانقضی علی لسان النبی الأمی صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: یا علی، لا یبغضک مؤمن ولا یحبک منافق» (١).

«من أجل ذلك كان العارفون بفضائلهم، والمتمسِّكون بولائهم، يتبارون في مدحهم، ونشر مناقبهم، مُعَرِّينَ عن حُبِّهم الصادق وولائهم الأصيل، دونما طلب جزاء ونوال. وكان الأئمة علیهم السلام، يستقبلون مادحيهم بكلِّ حفاوه وترحاب، شاكرين لهم عواطفهم الفياضه، وأناشيدهم العذبه، ويكافؤنهم علیها بما وسعت يداهم من البرِّ والنوال، والدعاء لهم بالغفران، وجزيل الأجر والثواب. فقد جاء في (خزانه الأدب): حكى صاعد مولى الكُميت، قال: دخلت مع الكُميت علی علي بن الحسين علیه السلام فقال: إنني قد مدحتك بما أرجو أن يكون لي وسيله عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أنشده قصيدته التي أولها:

مَنْ لَقِبَ مَتِيماً مُسْتَهَامَ غَيْرِ مَا صَبَّوهُ وَلَا أَحْلَامَ

ص: ١٦٣

١- (١) نهج البلاغه: ج ٤، ص ١٣، ح ٤٥. عيون الحكم والمواعظ: ص ٤١٥. روضه الواعظين: ص ٢٩٥. الغارات: ج ١، ص ٤٣. مشكاه الأنوار: ص ١٥١. تفسير مجمع البيان: ج ٦، ص ٤٥٥. تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٣٦٤، ح ١٦٦. إعلام الوری: ج ١، ص ٣٧١. غايه المرام: ج ٦، ص ٦٤، ح ٦٧. بحار الأنوار: ج ٣٤، ص ٥١، وج ٣٤، ص ٣٤٤، ح ١١٦٨ عن النهج.

فلما أتى على آخرها، قال له: ثوابك نعجز عنه، ولكن ما عجزنا عنه، فإن الله لا يعجز عن مكافأتك، اللهم اغفر للكميت. ثم قسط له على نفسه وعلى أهله أربعمائه ألف درهم، وقال له: خذ يا أبا المستهل. فقال له: لو وصلتني بدائق لكان شرفاً لي، ولكن إن أحببت أن تحسن إلي، فادفع إلي بعض ثيابك أتبرك بها، فقام فنزع ثيابه ودفعا إليه كلها، ثم قال: اللهم إن الكميت جاد في آل رسولك وذريه نبيك بنفسه حين ضنَّ الناس، وأظهر ما كتبه غيره من الحق، فأحبه سعيداً، وأمته شهيداً، وأره الجزاء عاجلاً، وأجزل له المثوبه آجلاً، فإننا قد عجزنا عن مكافأته. قال الكميت: ما زلت أعرف بركة دعائه .

وقال دعبل: «دخلت على بن موسى الرضا عليه السلام - بخراسان - فقال لي: أنشدني شيئاً ممّا أحدثت. فأنشدته:

مدارسُ آياتٍ خلّت من تلاوهٍ ومنزلٍ وحيٍ مقفّر العرصاتِ

حتى انتهيت إلى قولي:

إذا وتروا مدّوا إلى واطريهم أكفّاً عن الأوتارِ منقبضاتِ

فبكى حتى أغمى عليه، وأوماً إلى خادمٍ كان على رأسه: أن اسكت، فسكّ ثمك ساعة، ثم قال لي: أعد. فأعدت حتى انتهيت إلى هذا البيت أيضاً، فأصابه مثل الذي أصابه في المرّة الأولى، وأوماً الخادم إلى أن أسكت، فسكّ. ثمك ساعة أخرى، ثم قال لي: أعد. فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها، فقال لي: أحسنت. ثلاث مرات. ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم، ممّا ضرب باسمه، ولم تكن دفعت إلى أحد بعد. وأمر لي من في منزله، بحلى كثير أخرجته إلى الخادم، فقدمت العراق، فبعت كلّ درهم منها بعشرة دراهم، اشتراها منّي الشيعة، فحصل لي مائة ألف درهم، فكان أول مال اعتقدته»(١).

ص: ١٦٤

الحق السابع: زياره مشاهدتهم عليهم السلام

ومن حقوقهم عليهم السلام على مواليهم وشيعتهم، زياره مشاهدتهم المشرفه والسلام عليهم؛ فإنها من مظاهر الحب والولاء، ومصاديق الوفاء والإخلاص، فهم سَيان أحياء وأمواتاً.

وقد تواترت النصوص فى فضل زياره مشاهدتهم المشرفه، ومراقدهم الطاهره عليهم السلام، وما تشتمل عليه من الخصائص الجليله والثواب الجَم (١).

فعن الوشاء قال: سمعتُ الرضا عليه السلام يقول: «إِنَّ لِكُلِّ إِمَامٍ عَهْدًا فى عِنقِ أوليائه وشيعته، وَإِنْ من تمام الوفاء بالعهد، وحُسن الأداء، زياره قبورهم، فَمَنْ زارهم رغبَةً فى زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أتمتهم شفعاؤهم يوم القيامة» (٢).

وعن زيد الشحام قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: «ما لمن زار واحداً منكم؟»

قال: كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» (٣).

وعن أبى الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة كان على عرش الرحمن أربعة من الأولين، وأربعة من الآخرين، فأما الأربعة الذين هم من الأولين: فنوح

ص: ١٦٥

---

١- (١) انظر - على سبيل المثال - : كتاب كامل الزيارات لابن قولويه القمى رحمه الله وغيره من كتب المزارات لأعلام الطائفة مثل: كتاب المزار للشيخ المفيد رحمه الله وكتاب المزار أيضاً للشهيد السعيد (الشهيد الأول رحمه الله) والمزار لابن المشهدى رحمه الله.

٢- (٢) كامل الزيارات: ص ٣٢٦ - ص ٢٣٧، ح ٢، المزار (الشيخ المفيد): ص ٢٠١، ح ١، الكافي: ج ٤، ص ٥٦٧، ح ٢. عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٩١ - ص ٢٩٢، ح ٢٤. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٧٧، ح ٣١٦٠. تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٧٨ - ص ٧٩، ح ٣، وص ٩٣، ح ٢. روضه الواعظين: ص ٢٠٢. وسائل الشيعه: ج ١٤، ص ٣٢٢، ح ٥. بحار الأنوار: ج ٩٧، ص ١١٦، ح ١ عن العيون.

٣- (٣) علل الشرائع: ج ٢، ص ٤٦٠، ح ٦. عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٩٣، ح ٣١. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٧٨، ح ٣١٦٣، وص ٥٨١، ح ٣١٧٥. الكافي: ج ٤، ص ٥٧٩، ح ١. وسائل الشيعه: ج ١٤، ص ٥٧١، ح ١. بحار الأنوار: ج ٩٧، ص ١١٧، ح ٥ عن العيون والعلل.

وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وأما الأربعة من الآخرين: فمحمّد، وعليّ، والحسن، والحسين، صلوات الله عليهم، ثم يمدّ المضمار، فيقعّد معنا من زار قبور الأئمّه عليهم السلام إلا أن أعلاهم درجه، وأقربهم حبه، زوّار ولدى عليّ» (١).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أهدت لنا أمّ أيمن لبناً وزبداً وتمراً، فقدّمنا منه، فأكل ثمّ قام إلى زاويه البيت، فصلى ركعات، فلمّا كان في آخر سجوده بكى بكاءً شديداً، فلم يسأله أحدٌ منّا اجلالاً واعظاماً له، فقام الحسين عليه السلام وقعد في حجره فقال: يا أبة، لقد دخلت بيتنا فما سررنا بشيء كسرورنا بدخولك، ثمّ بكيت بكاءً غمّنا، فما أبكاك؟! فقال: يا بني، أتانى جبرئيل عليه السلام آنفاً فأخبرني أنّكم قتلى، وأنّ مصارعكم شتى. فقال: يا أبة، فما لمن يزور قبورنا على تشتها، فقال: يا بني، أولئك طوائف من أمّتى يزورونكم فيلتمسون بذلك البركه، وحقيق عليّ أن آتيهم يوم القيامة حتى أخلصهم من أهوال الساعه، ومن ذنوبهم، ويسكنهم الله الجنه» (٢).

ما ذنب أهل البيت حتى منهمم أخلوا ربوعه

تركوهم شتى مصارعهم وأجمعها فضيعه

فمغيب كالبدر ترتقب الورى شوقاً طلوعه

ومكابد للسم قد سقيت حشاشته نقيعه

ومضرج بالسيف آثر عزّه وأبى خضوعه

ص: ١٦٦

- 
- ١- (١) الكافي: ج ٤، ص ٥٨٥، ح ٤. كامل الزيارات: ص ٥١١ - ص ٥١٢، ح ١٣. عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٩٠ - ص ٢٩١، ح ٢٠. تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٨٤ - ص ٨٥، ح ٣. المزار (ابن المشهدى): ص ٥٤٦ - ص ٥٤٧. وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٥٦٤، ح ١. بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ٤١ - ص ٤٢، ح ٤٦ عن كامل الزيارات.
- ٢- (٢) كامل الزيارات: ص ١٢٦ - ص ١٢٧، ح ٩. أمالي الشيخ الطوسي: ص ٦٦٩، ح ١١، عنه بحار الأنوار: ج ٢٨، ص ٨٠ - ص ٨١، ح ٤٠، وج ٤٤، ص ٢٣٤، ح ٢٠ عن كامل الزيارات، وعنه أيضاً في ج ٩٧، ص ١١٨، ح ١١.

إلى أن يقول رحمه الله:

وكرائم التنزيل بين أميّه برزت مروعه

تدعو ومن تدعو وتلك كفاه دعوتها صريعه

واها عرانيه العلى عادت أنوفكم جديعه

ما هز أضلعكم حداً القوم باليس الضليعه (١)

\*\*\*

إنّا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أيّ منقلب ينقلبون

والعاقبه للمتقين.

ص: ١٦٧

---

١- (١) ديوان السيد حيدر الحلى رحمه الله: ج ١، ص ٣٧.









عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، عن أبيه، عن الحسين عليها السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حُبِّي وَحُبُّ أَهْلِ بَيْتِي نَافِعٌ فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ أَهْوَالَهُنَّ عَظِيمَةٌ: عِنْدَ الْوَفَاءِ، وَفِي الْقَبْرِ، وَعِنْدَ النُّشُورِ، وَعِنْدَ الْكِتَابِ، وَعِنْدَ الْحِسَابِ، وَعِنْدَ الْمِيزَانِ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ» (١).

من إعتقاداتنا وعقائدنا التي انطوت عليها قلوبنا وعقولنا هو الأعتقاد بوجوب حُبِّ أهل البيت عليهم السلام، ووجوب التبري من أعدائهم، فعلى كلِّ إنسانٍ شيعي أن يلتزم بهذه العقيدة؛ حيث إنَّ من فروع ديننا القويم، ومذهبنا السليم، موالاه أولياء الله، والتبري من أعدائهم.

وأما أنَّ إنساناً يحبُّ أهل البيت عليهم السلام، ولا يتبرأ من أعدائهم فهو أعور، كما عبّر عن ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، فيما رواه عنه الشيخ ابن إدريس في كتاب السرائر في المستطرفات.

قال رحمه الله: «إِنَّ رَجُلًا قَدِمَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا أَحْبُّكَ وَأَحَبُّ فَلَانًا - وَسَمِي بَعْضُ أَعْدَائِهِ - فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمَا الْآنَ فَأَنْتَ أَعُورٌ، فَأَمَا أَنْ تَعْمَى، وَأَمَا أَنْ تُبْصِرَ» (٢).

وعنه رحمه الله قيل للصادق عليه السلام: «إِنَّ فَلَانًا يُوَالِيكُمْ، إِلَّا أَنَّهُ يَضْعَفُ عَنِ الْبِرَاءَةِ مِنْ عَدُوِّكُمْ. قَالَ: هِيَاهُ، كَذِبٌ مَنْ أَدْعَى مَحَبَّتَنَا، وَلَمْ يَتَبَرَأْ مِنْ عَدُوِّنَا» (٣).

ص: ١٧١

١- (١) الخصال: ص ٣٦٠، ح ٤٩. فضائل الشيعة: ص ٥، ح ٢. كفاية الأثر: ص ١٠٨ - ص ١٠٩. روضه الواعظين: ص ٢٧١. بشاره المصطفى: ص ٤١، ح ٢٩. معارج اليقين في أصول الدين: ص ٥١٣، ح ٥٢. تأويل الآيات: ج ٢، ص ٨٦٥ - ص ٨٦٦، ح ٢. غايه المرام: ج ٢، ص ٢٧٥، ح ٢٢، وج ٦، ص ٨٧، ح ٤٣، وص ٩٠، ح ٥١. بحار الأنوار: ج ٧، ص ٢٤٨، ح ٢ عن فضائل الشيعة، وج ٢٧، ص ١٥٨، ح ٣ عن الخصال، وج ٣٦، ص ٣٢٢، ح ١٧٧ عن كفاية الأثر.

٢- (٢) مستطرفات السرائر: ص ٦٣٩. التعجب: ص ١١٢. جواهر المطالب: ج ٢، ص ١٥٨، ح ١٢١. بحار الأنوار: ج ٢٧، ص ٥٨، ح ١٧ عن المستطرفات.

٣- (٣) مستطرفات السرائر: ص ٦٤٠، عنه بحار الأنوار: ج ٢٧، ص ٥٨، ح ١٨.

وعليه فلا- بد من التمسك بحبهم، والتبرى من أعدائهم، وأتيا الخلط بين هذا وذاك، فهذا غير مجزٍ ولا مقبول، وإنما المقبول والمجزى والنافع هو حبهم مع التبرى من أعدائهم.

وقد أشار القرآن الكريم من قبل ذلك إلى مودتهم - علاوة على الدليل الروائي عن طريق الخاصه - حيث قال تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ١. إذن هذا الفرض وهذه العقيدة مسلمة.

ثمرات حب أهل البيت عليهم السلام

ثم إن ثمرات حب أهل البيت عليهم السلام ملموسة في الدنيا لكل إنسان تمسك بولايتهم، وأحبهم، وأطاعهم، شريطه أن يجمع بين حب النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وحب أهل بيته عليهم السلام، فلا يسوغ لأى إنسان أن يحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا يحب أهل بيته عليهم السلام، حتى ولو قال: إن الحديث ناظرٌ إلى الاكتفاء بكل واحد من الحبيين؛ لأنه لو قيل: بأن الحديث ناظرٌ إلى أن حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه نافع في هذه المواطن السبعة، فلا يحتاج إلى ضم حب أهل بيته عليهم السلام معه، وإنما ذكر حب أهل البيت كطريق آخر، وعلة أخرى للنجاح من المواطن السبعة.

فإننا نقول: نسلم - جدلاً - ذلك، ولكن الذى يُحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا بد أن يطيعه، وإلا كيف يُحب إنساناً أنساناً آخر ولا يطيعه فى أوامره ونواهيه؛ ولذا ورد فى الحديث القدسى مارواه المفضل بن عمر، قال: سمعت مولاى الصادق عليه السلام يقول: «كان فيما ناجى الله عز وجل به موسى بن عمران عليه السلام أن قال له: يا بن عمران، كذب من زعم أنه يحبني، فإذا جئته الليل نام عنى، أليس كل محب يحب خلوه حبيبه؟...» (١)، و ما ورد عنهم عليهم السلام أنهم قالوا:

ص: ١٧٢

١- (٢) أمالى الشيخ الصدوق: ص ٤٣٨، ح ١. روضه الواعظين: ص ٣٢٩، عدّه الداعى: ص ١٩٣. محاسبه النفس: ص ٨٢. قصص الأنبياء (الجزائرى): ص ٣٤٢ عن الأمالى. أعلام الدين فى صفات المؤمنين: ص ٢٦٣. بحار الأنوار: ج ١٣، ص ٣٢٩، ح ٧ عن الأمالى، وكذا ج ٦٧، ص ١٤، ح ٢، وج ٨٤، ص ١٧٢، ح ٥ عن أعلام الدين. الجواهر السنيه: ص ٥٧.

فحتى لو قلنا بأن حُبَّ النَّبِيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بوحده كافياً للنجاه من أهوال المواطن السبعة، وهو عله كافيه، ولا يحتاج إلى ضمِّ حُبِّ أهل البيت عليهم السلام، فلا بد أيضاً من حُبِّهم، والتولَّى لهم، والتبرَّى من أعدائهم؛ لأنَّ النَّبِيَّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أشار في أكثر من حديث إلى حُبِّهم، بالإضافة إلى آية المودَّة المتقدِّمه، التي وردت على لسان النَّبِيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في أنه لا يريد أجراً للرسالة، إلاَّ أجراً واحداً، وهو مودَّة قريبه وأهل بيته عليهم السلام.

ولوقلنا: بأنَّ الحديث ناظرٌ إلى عطف حُبِّ أهل البيت عليهم السلام على حُبِّ النَّبِيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، بمعنى أنَّ حُبِّ أهل البيت عليهم السلام مع حُبِّ النَّبِيِّ إذا اجتمعاً نفعاً في المواطن السبعة، وأما إذا إفترقا فلا، فقد خسر المبطلون حينئذٍ؛ فنحن نحبُّ أهل البيت عليهم السلام ونطيعهم مع حُبِّنا للنَّبِيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو صلى الله عليه وآله وسلم الذى أمرنا بحبِّ أهل بيته عليهم السلام وطاعتهم، والتبرَّى من أعدائهم.

وعليه فلا يمكن المصير إلى الفهم الأوَّل؛ إذ لو أراد النَّبِيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الأكتفاء بكلِّ حُبِّ على حده، لما ذكر الحديث بهذه الطريقة التى تقتضى العطف ب (الواو) التى تفيد الجمع والتشريك، وإلاَّ لو أراد المعنى الأوَّل لقال: «حُبِّي أو حُبِّ أهل بيتي...»

فحُبِّه صلى الله عليه وآله وسلم وحُبِّ أهل بيته عليهم السلام ينفع فى مواطن لا تحصى فى الدنيا، وآثار محبَّتِهِم عليهم السلام لا تنتضى، فلو كانت البحار مداداً والشجر أقلاماً، لما أحصوا بركات هذا الحُبِّ والولاء، بل حُبِّهم عليهم السلام لم يُحد بحدود المؤمن الموالى والمخلص، بل يتعدى حتى إلى المشرك.

لكن بلا شكِّ لحبِّ أولياء الله لهم عليهم السلام المنزله الخاصه؛ ولذا كان أولياء الله يغمى

١- (١) فى تحف العقول: ص ٢٩٤ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما عرف الله من عصاه وأنشد: تعصى الإله وأنت تُظهر حُبَّهَذَا لعمر ك فى الفعال بديع لو كان حُبِّك صادقاً لأطعتها إنَّ المَحَبَّ لَمَنْ أَحَبَّ مُطِيعٌ»

عليهم إذا ذكرت لهم مصيبي من مصائب أهل البيت عليهم السلام، كما نقل هذا المعنى عن آية الله العظمى السيد البروجردى رحمه الله، أنه كان في منزله يوماً مجلس عزاء، وكان الشيخ الأنصارى القمى هو الخطيب، فصادف أن أنشد قصيده في فاطمه الزهراء عليها السلام، منها هذا البيت:

ولست أنسى خبرَ المسمارِ سل صدرها خزانة الأسرار(١).

فأخذ السيد البروجردى يبكى كثيراً حتى أغمى عليه، فجاء الحاج أحمد، وطلب من الخطيب أن ينهى قراءه التعزیه، وأخبره بأن السيد البروجردى قد أغمى عليه(٢).

ومن آثار وبركات حُبهم والولاء لهم عليهم السلام في الحياه الدُّنيا، ما نُقل عن المرحوم الحاج آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائرى رحمه الله قال: «كنت يوماً عند الميرزا الشيرازى رحمه الله بسامراء أقرأ عليه(٣)، وفي أثناء الدرس دخل أستاذنا الكبير آية الله السيد محمد الفشاركى رحمه الله، وعليه آثار الإنكماش؛ نتيجة ظهور مرض الوباء الذى شاع فى العراق فى ذلك الزمان.

فقال لنا: هل تعرفوننى مُجتهداً أم لا؟ قلنا: نعم. قال: أتعلمونى عادلاً؟ قلنا: نعم. وكان مقصوده أخذ الأقرار والأعتراف مِنّا، هل له شرائط الحكم والفتوى أم لا؟

قال بعد ذلك: أصدر حُكمى إلى كافه شيعه سامراء من الرجال والنساء، أن يقرأ كل واحدٍ منهم كل يوم زياره عاشوراء نيابه عن والده الإمام الحجه عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهذه المُكْرَمه تشفع لدى ابنها حضره ولى الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ ليشفع بدوره عند الله المتعال حتى ينجو الشيعة من هذا البلاء.

ص: ١٧٤

١- (١) الأنوار القدسيه: ص ٤٣.

٢- (٢) انظر: الأخلاق والآداب الإسلاميه: ص ٥٨١.

٣- (٣) إشارة لطيفه إلى الطريقه القديمه فى المدرسه السامرائيه الميرزائيه وغيرها فى التدريس، وهى: أن طالب العلم يطالع ماده الدرس جيداً، ثم يحضر أمام أستاذه ليشرح الدرس، والأستاذ يصحح للطالب ما إذا اشتبه عليه المطلب، فلذا ترد هذه العبارة (أقرأ عليه) كثيراً فى كتب العلماء السابقين (قدس الله أسرارهم).

قال المرحوم الحائري: عندما أصدر هذا الحكم، أطاعه جميع الشيعة من سكنه سامراء، وكانت النتيجة أنه لم يتلف أحدٌ من الشيعة في سامراء، في حين كان يتلف عشرة، أو خمسة عشر يوماً من غير الشيعة من أثر الوباء»(١).

وهذا غيظ من فيض، وقطره من بحارهم عليهم السلام، وإلا فكرامتهم عليهم السلام وآياتهم لا تحصى.

وهذه آثار حبهم وموالاتهم والإعتقاد بهم في الدنيا ما دام الإنسان حيّاً، وأما إذا مات الإنسان فقد قامت قيامته، كما ورد في الحديث الشريف(٢).

فيبدأ حبهم وولايتهم للدفاع عن الإنسان في أصعب المواطن وأهولها وأشدّها عظمه على الإنسان.

وأول هذه المواطن هو الموت نفسه، وكفى به هولاً، وكفى به شدّة.

ومن ثمّ الموطن الآخر، وهو القبر، فتأتى ولايتهم عليهم السلام بأبهي صورته وأجمل مثال، كما روى عن أبي بصير، عن أحدهما عليها السلام، قال: «إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستّة صور، فيهن صورته هي أحسنهن وجهاً، وأبهاهن هيئته، وأطيبهن ريحاً، وأنظفهن صورة، قال: فيقف صورته عن يمينه، وأخرى عن يساره، وأخرى بين يديه، وأخرى خلفه، وأخرى عند رجله، ويقف (٣) التي هي أحسنهن فوق رأسه، فإن أتى عن يمينه، منعت التي عن يمينه، ثمّ كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست، قال: فتقول أحسنهن صورته: مَنْ أنتم، جزاكم الله عنى خيراً؟ فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة، وتقول التي عن

ص: ١٧٥

١- (١) الأخلاق والآداب الإسلامية: ص ٥٨٠.

٢- (٢) انظر: التفسير الصافي: ج ١، ص ١٢٠. شرح الأسماء الحسنی: ج ٢، ص ١١٠. بحار الأنوار: ج ٥٨، ص ٧، وج ٧٠، ص

٦٧. تخريج الأحاديث والآثار: ج ١، ص ٤٣٦. كنز العمال: ج ١٥، ص ٥٤٨، وص ٦٨٦، ح ٤٢٧٤٨.

٣- (٣) كذا في المحاسن، وفي البحار: (وتقف)، وهو الأصح.

يساره: أنا الزكاه، وتقول التي بين يديه: أنا الصيام، وتقول التي خلفه: أنا الحج والعمرة، وتقول التي عند رجليه: أنا برّ من وصلت من إخوانك، ثم يقلن: من أنت؟ فأنت أحسننا وجهاً، وأطيبنا ريحاً، وأبهانا هيئته، فتقول: أنا الولاية لآل محمد (صلوات الله عليه وعليهم)» (١).

ثم المواطن الأخرى، وهي: عند الشور، والقيام من القبور، والوقوف أمام ربّ العزّه والجلال، وعند الكتاب، وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصراط.

ومثل هذا المعنى أو قريب منه ورد عند زياره الإمام عليه السلام، ولعله من مختصّاته عليه السلام؛ لإختصاصه بجمله من الصفات والكرامات، فقد اختصّ كلّ إمام بجمله من الصفات، دون غيره من آبائه المعصومين عليهم السلام، فهم وإن كانوا كلّهم سيّفن نجاه، وبنابيع رحمه وحكمه، لكن سفينه الحسين عليه السلام أسرع، كما قال الشيخ التستري رحمه الله: «... فالنبي والأئمّه عليهم السلام كلّهم أبواب الجنان، لكنّ باب الحسين مسلكه أوسع، وكلّهم سفن النجاه، لكنّ سفينه الحسين مجراها على اللجج الغامره أسرع، ومرساها على السواحل المنجيه أيسر، وكلّهم مصابيح الهدى، لكنّ محالّ الإستضاءه بنور الحسين أوسع دائره، وكلّهم الكهف الحصين، لكنّ منهاج كهف الحسين أسهل» (٢).

وهكذا، فتقف عند قبر الإمام الرضا عليه السلام وتزوره بتلك الروحيه، وبتلك النظره العاليه لمضامين هذه الزياره الشريفه، التي جاء فيها عنه عليه السلام: «من زارني على بعد دارى وشطون (٣) مزارى، أتيتّه يومَ القيامه فى ثلاث مواطن؛ حتى أخلصه من أهوالها: إذا تطايرت

ص: ١٧٤

١- (١) المحاسن: ج ١، ص ٢٨٨، ح ٤٣٢. شرح الأخبار: ج ١، ص ٢٢٤، ح ٢٠٨، وج ٣، ص ٤٥٨، ح ١٣٤١. بحار الأنوار: ج ٦، ص ٢٣٤، ح ٥٠ عن المحاسن.

٢- (٢) الخصائص الحسينيه: ص ١٠.

٣- (٣) شطن عنه: بعد، وبئر شطون: بعيد القعر.

الكتب يميناً وشمالاً، وعند الصراط، وعند الميزان» (١).

ومن ضمن هؤلاء الشيعة الخُلص الذين أكثروا من زيارتهم للإمام الرضا عليه السلام دعبل بن علي الخزاعي رحمه الله، دخل على الإمام الرضا عليه السلام بمرو، فقال: يا بن رسول الله، إنني قُلْتُ فيكم قصيدةً، وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك، فقال: هاتها يا دعبل، فأنشده:

مدارس آياتٍ خلت من تلاوه ومنزلٌ وحىٍ مقفر العرصاتِ

إلى أن قال:

أفاطمُ لو خلت الحسين مجدلاً وقد مات عطشاناً بشطِ فِراتِ

إذن للطمِ الخدِ فاطمُ عنده وأجريتِ دمع العين في الوجناتِ

أفاطم قومي يا ابنه الخير وانُدبى نجومَ

مواتٍ بأرضِ فلاتِ قبورٍ بكوفانٍ وأخرى بطيبه

وأخرى بفتحِ نالها صلواتي

فلما انتهيت إلى قولي:

خروجُ إمامٍ لا محالةً خارجٌ يقوم على اسمِ الله والبركاتِ

يميز فينا كلَّ حقٍّ وباطلٍ ويجزى على النعماء والنعماتِ

بكى الرضا عليه السلام بكاءً شديداً، ثم رفع رأسه إلى فقال لى: «يا خزاعي، نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام؟ ومتى يقوم؟».

ص: ١٧٧

---

١- (١) كامل الزيارات: ص ٥٠٦، ح ٤. وأنظر: أمالي الشيخ الصدوق: ص ١٨٣، ح ٩. الخصال: ص ١٦٨. ح ٢٢٠، عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٨٥، ح ٢. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٨٤، ح ٣١٨٩. تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٨٥، ح ٥. المزار (الشيخ المفيد): ص ١٩٥، ح ٢. المزار (ابن المشهدى): ص ٤٠، ح ٢١. روضه الواعظين: ص ٢٣٥. العقد النضيد والدر الفريد: ص ٣٤، ح ٢٤. معارج اليقين في أصول الدين: ص ٩٢، ح ٩. وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٥٥١، ح ٢. بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ٣٤، ح ١٣ عن الخصال والأمالى.

فقلت: لا يا سيدى، إلا إني سمعت بخروج إمام منكم، يطهر الأرض من الفساد ويملؤها عدلاً، فقال: «يا دعبل، الإمام بعدى محمد ابني، وبعد محمد ابنه على، وبعد على ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجّج القائم المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، وأما متى؟ فأخبار عن الوقت، ولقد حدّثني أبي عن أبيه عن آبائه عن على عليه السلام: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قيل له: يا رسول الله، متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال: مثله مثل الساعة لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض، لا يأتيكم إلا بغته» (١).

فلما بلغ دعبل رحمه الله إلى قوله:

«أرى فيهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيهم صفرات

بكي أبو الحسن الرضا عليه السلام، وقال له: صدقت يا خزاعي.

فلما بلغ إلى قوله:

إذا وتروا مدّوا إلى واطريهم أكفأ عن الأوتار منقبضات

جعل أبو الحسن عليه السلام يقلّب كفيه، ويقول: أجل، والله منقبضات.

فلما بلغ إلى قوله:

لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

قال الرضا عليه السلام: آمنك الله يوم الفزع الأكبر.

فلما انتهى إلى قوله:

وقبر ببغداد لنفس زكيه تضمنها الرحمن في الغرفات

ص: ١٧٨

---

١- (١) عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٩٧، ح ٥. كمال الدين وتمام النعمة: ص ٣٧٢، ح ٦. كفاية الأثر: ص ٢٧٦. دلائل الإمامة: ص ٣٥٧ - ص ٣٥٨، ح ٤. بحار الأنوار: ج ٤٩، ص ٢٣٤ - ص ٢٣٥، ح ٢ عن العيون.



قال له الرضا عليه السلام: أفلا ألحق لك بهذا الموضوع بيتين بهما تمام قصيدتك؟ فقال: بلى، يا ابن رسول الله، فقال عليه السلام:

وقبر بطوس يا لها من مصيبه توقد في الأحشاء بالحرقات

إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً يفرج عنا الهمم والكربات

فقال دعبل: يا ابن رسول الله، هذا القبر الذى بطوس قبر من هو؟ فقال الرضا عليه السلام: قبرى، ولا تنقضى الأيام والليالى حتى  
تصير طوس مختلف شيعتى وزوارى، ألا فمن زارنى فى غربتى بطوس، كان معى فى درجتى يوم القيامة مغفوراً له...»(١).

حقاً، فما مضت الأيام والليالى إلا والإمام فى نعشه محمولاً إلى قبره، والناس ينادون: وا إماماه وا سيداه، ونحن نادى أيضاً: وا  
إماماه وا سيداه.

مات الرضا وارتجت الفلكده أرض طوس

اوطلعت الشيعة امفرّعه اوتلطم على الروس

ورجالها إتنادى على تفداك النفوس

اونسوانها بالدور نصبت له عزّيه

الله يعين امحمّد ابهاذى المصيبه

مرّه يجى الطوس او يرد مرّه الطيبه

إيسلى العيله اللى بگت لجله مريبه

مُتخوفه الغايب جرع كاس المتيه

فوكه انحنى إبودعه او يحب خدّه اونحره

لمن غضه نحبه نهض مكسور ظهره

ص: ١٧٩

١- (١) عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٩٥، ح ٣٤. وأنظر: كمال الدين وتمام النعمه: ص ٣٧٣. بحار الأنوار: ج ٤٩، ص ٢٣٩، ح

٩ عن العيون.

اتوله جهازه اوشيعه ابنفسه الكبره

اورد المدينه ايشف ادموعه الجريه

\*\*\*

حضرت كل بنى العباس شيعت نعش أبو محمد

اوچتاله عليه حزنان لاجن بالكلب عيد

اوزينب من نخت چتال أخوها ايدفنه اتعد

وآمر عشر خياله يدوسونه من الفرسان

چتاله الغريب ابطوس يوارى ايده الامام

اوچتاله غريب الطف يخلونه ثلث تيام

اوزينب تتنخى بيهم چنها مادرت ظلام

يرضونه ابجياذ الخيل او لا هاشم يثاره انگوم

لاتشقوا آل فهر قبوراً فابن طه ملقى بلا إقبار (1)

\*\*\*

إنّا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أيّ منقلب ينقلبون

والعاقبه للمتقين.

ص: ۱۸۰





دخل شابُّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، علّمني عملاً إذا أنا عملته أحببني الله والناس، ويكثر مالي، ويصحو بدني، ويطول عمري، ويحشرني الله معك يوم القيامة، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أيها الشاب، إذا أردت أن يحببك الله فخافه واتقته، وإذا أردت أن يحببك الناس فاقطع الطمع عمّا في أيديهم، وإذا أردت أن يثري مالك فعليك بالصدقة، وإذا أردت أن يصحّ بدنك فعليك بالصوم، وإذا أردت أن يطول عمرك فصل أرحامك، وإذا أردت أن يحشرك الله معي فعليك بطول السجود لله عزّ وجلّ» (١).

يحتاج الإنسان أن يتعلّم كيف يسأل ومَن يسأل، ولا يشغل نفسه ويقضى وقته بما لا فائده فيه أصلاً، أو فائدته قليلة جداً، لا تنفع من علّمها، ولا تظن من جهلها، كما روى الزمخشري «عن قتاده أنّه دخل الكوفة فالتفّ عليه الناس، فقال: سلوا عمّا شئتم، وكان أبو حنيفة حاضراً، وهو غلام حدث، فقال: سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكراً أم أنثى؟ فسألوه فأفحم، فقال أبو حنيفة: كانت أنثى، فقيل له: من أين عرفت؟ قال: من كتاب الله، وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكراً لقال: قال نملة...» (٢)، فمن المعلوم أنّ معرفه نملة سليمان عليه السلام، وأنها أنثى أم ذكر، لا يقدر شيئاً ولا يؤخّره.

بخلاف سؤال هذا الشاب، الذي سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّه تعلّم، وفهم كيف يسأل، ومَن يسأل؟

فإنّه سأل رسول الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم، الذي هو مدينه العلم، والذي لا ينطق عن الهوى، بل

ص: ١٨٣

---

١- (١) أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ٢٦٨، عنه بحار الأنوار: ج ٨٢، ص ١٦٤، ح ١٢. مستدرک الوسائل: ج ٤، ص

٤٧٢، ح ٧.

٢- (٢) الكشّاف: ج ٣، ص ١٤٢.

عن الوحي الذي يوحى إليه. فسأله عن أمور يحبها الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وعن حب الله له، وعن الكون مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة.

فهذا الشاب سأل عن موجبات هذه الأشياء الستة: (حب الله له، وحب الناس، وكثرة المال، وصحة البدن، وطول العمر، والحشر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة).

فما أجلها وأعظمها من أشياء، يتمناها كل إنسان واعى مُتدبّن، فَمَن مَّنَّا لا يرجو ويتمنى حبَّ الله والناس له، وكثرة المال، وصحة البدن، وطول العمر، والحشر مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم؟!.

فأنظر إلى موجبات هذه الأشياء الستة، وهي ستّة أيضاً.

الأولى: حبَّ الله توجهه مخافه الله والتقوى

كان السؤال الأول من هذه الأسئلة الستة كيف يحبني الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إذا أردت أن يُحبك الله فخافه واتقه. يعني ما يوجب حبَّ الله هو الخوف منه تعالى وتقواه، عزَّ شأنه وتقدَّست أسماؤه.

أمَّا التقوى: فهي - على ما جاء في الروايات (1) وتقدّم بيان ذلك -: أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، فإذا كان قد نهى عن الغيبة وشرب الخمر والنميمة والكذب... فالمفروض أن لا نجدنا قريبين منها.

وإذا كان قد أمرنا بالصوم والصلاة والذكر والزكاة وغيرها، فلا يفقدنا عند أوقاتها وأماكنها، كالمساجد ومجالس الذكر مثلاً.

وأمَّا الخوف فكلّما كان الإنسان خائفاً من الله كان الله محباً له.

ومن هنا روى بسند معتبر عن الإمام السجاد على بن الحسين عليه السلام أنّه قال: «كان في

ص: ١٨٤

---

١- (١) فقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك». نور البراهين: ج ١، ص ٢٠٤.

بنى إسرائيل رجل ينبش القبور، فاعتلَّ جازُّ له فخاف الموت، فبعث إلى التَّباش، فقال له: كيف كان جوارى لك؟ قال: أحسن جوار. قال: فإنَّ لى إليك حاجه، قال: قضيت حاجتك، قال: فأخرج إليه كفنين، فقال: أحب أن تأخذ أحبهما إليك، وإذا دفنت فلا تنبشنى. فامتنع التَّباش من ذلك، وأبى أن يأخذه، فقال له الرجل: أحب أن تأخذه. فلم يزل به حتى أخذ أحبهما إليه، ومات الرجل، فلمَّا دُفن قال التَّباش: هذا قد دفن، فما علمه بأننى تركت كفنه أو أخذته، لآخذنه، فأتى قبره فنبشه، فسمع صائحاً يقول ويصيح به: لا تفعل، ففزع التَّباش من ذلك، فتركه وترك ما كان عليه، وقال لولده: أى أب كنت لكم؟ قالوا: نعم الأب كنت لنا، قال: فإنَّ لى إليكم حاجه. قالوا: قل ما شئت، فإننا سنصير إليه إن شاء الله.

قال: فأحبَّ إذا أنا مت أن تأخذونى فتحرقونى بالنار، فإذا صرت رماداً فدقونى، ثمَّ تعمّدوا بى ريحاً عاصفاً، فذروا نصفى فى البرِّ، ونصفى فى البحر. قالوا: نفعل. فلما مات فعل به ولده ما أوصاهم به، فلما ذروه قال الله جلَّ جلاله للبرِّ: أجمع ما فىك. وقال للبحر: أجمع ما فىك. فإذا الرجل قائم بين يدى الله جلَّ جلاله. فقال الله عزَّ وجلَّ: ما حملك على ما أوصيت به ولدك أن يفعلوه بك؟ قال: حملنى على ذلك - وعزتك - خوفك. فقال الله جلَّ جلاله: فإننى سأرضى خصومك، وقد آمنت خوفك، وغفرت لك» (١).

فأنظر إلى أهميه الخوف وكيف أوجب حبَّ الله للعبد، وغفران ذنوبه، وأمانه من ذلك الخوف الذى أعدّه الله تبارك وتعالى للعاصين، الذين لم يخشوه فى هذه الدنيا، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «... لا يجمع الله عزَّ وجلَّ على عبده خوفين ولا أمينين» (٢).

ص: ١٨٥

- 
- ١- (١) أمالى الشيخ الصدوق: ص ٤٠٦ - ص ٤٠٧، ح ٣، عنه بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٣٧٧، ح ٢٢.
- ٢- (٢) الخصال: ص ٧٩ ضمن ح ١٢٦. التفسير الكبير (الفخر الرازى): ج ٣، ص ٣٩. تفسير الثعالبي: ج ٥، ص ٨٣. تفسير السمعانى: ج ٦، ص ٤٩. فيض القدير: ج ٣، ص ٣٢. كنز العمال: ج ٣، ص ٧٠٩، ح ٨٥٢٩.

الثانية: حبّ الناس يوجبه قطع الطمع عمّا في أيديهم

ثمّ يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم للشاب: وأما إذا أردت أن يحبّك الناس فاقطع الطمع عمّا في أيديهم، يعنى لا يكن عندك طمع في أحد، وإنما كلّ طمعك بما في يدى الله تعالى، وعندئذ سوف يحبّك الناس؛ لأنّهم لا يخافون منك إذا أحبّوك أن تأخذ ما في أيديهم، أو تطلب ما عندهم، فيحبّون علاقتك وصدقتك، ويعلمون أنّها ليست للمال، ولا لأى شىءٍ آخر، بل هي لله تعالى، فالمداراه التي يتصنّعها البعض للبعض الآخر لأجل ماله، لو كانت خالصه ومع الله تبارك وتعالى لأعطت ثمارها.

فعلى الإنسان أن يدارى وجهاً يغنيه عن الوجوه، وإذا داريت وجهه عزّ وجلّ سوف يجعل الله تبارك وتعالى لك ودّاً في قلوب المؤمنين، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) ١ .

ويوضّح لنا مداره وجه الله تبارك وتعالى ما روى عن أبى جعفر عليه السلام أنّه قال: «كان في بنى إسرائيل رجل وكان له بنتان، فزوجهما من رجلين، واحد زرع، وآخر يعمل الفخار، ثمّ إنّ زارهما، فبدأ بإمرأه الزرع، فقال لها: كيف حالك؟ قالت: قد زرع زوجى زرعاً كثيراً، فإن جاء الله بالسما فنحن أحسن بنى إسرائيل حالاً، ثمّ ذهب إلى أخرى (١)، فسألها عن حالها، فقال: قد عمل زوجى فخاراً كثيراً، فإن أمسك الله السماء عنا، فنحن أحسن بنى إسرائيل حالاً، فانصرف وهو يقول: اللهم أنت لهما» (٢).

فلاحظ كيف توجه هذا الرجل لله تبارك وتعالى، فهو الذي يقسّم الأرزاق بين العباد.

ص: ١٨٤

١- (٢) كذا في المصدر، وفي بحار الأنوار: ج ١٤، ص ٤٨٨، ح ٣، (الأخرى).

٢- (٣) قصص الأنبياء (الراوندى): ص ١٨١، ح ٢١١، عنه بحار الأنوار: ج ١٤، ص ٤٨٨، ح ٣.



وهذه تجاره مع الله تبارك وتعالى لكلّ من أراد أن يكثر ماله، ومن لا يريد ذلك؟! كلنا - إلا من ندر - يريد كثره ماله من حلال؛ حتى يصل أرحامه، ويقضى حوائج الآخرين به، بقدر الإمكان.

فيقول الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم لهذا الشاب السائل: وإذا أردت أن يثري مالك فعليك بالصدقه، ومن هنا قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا أملتكم فتاجروا الله بالصدقه» (١).

فمن أراد زياده أمواله وكثرتها بطريق مشروع، فالطريق المشروع هو الصدقه وليس الربا، قال تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ) ٢، وقال تعالى: (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ) ٣، فهكذا يتاجر الإنسان مع ربه، وهو الربح دائماً وأبداً، ما دام عمله لله تبارك وتعالى.

وهناك آثار عديده للصدقه اقتصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أحدها، وهو كثره المال؛ لأنّ السائل كان يريد ما يوجب كثره المال، فقال له النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: الصدقه توجهه، وإلا فآثار الصدقه عديده، منها: دفع البلاء، ودفع ميتة السوء، واستجابة الدعاء بأوراد مخصوصه، وقضاء الحوائج، وغير ذلك (٢).

ص: ١٨٧

١- (١) نهج البلاغه: ج ٤، ص ٥٧، ح ٢٥٨، عيون الحكم والمواعظ: ص ١٣٥. شرح منه كلمه لأمير المؤمنين عليه السلام: ص ١٩٣. عدّه الداعى: ص ٦٠. المناقب (الخوارزمي): ص ٣٧٦. جواهر المطالب: ج ٢، ص ١٥٤، ح ٩٣. ينابيع المودّه: ج ٢، ص ٢٤٦. بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ١٣٣، ح ٦٦ عن النهج.

٢- (٤) ففي الكافي الشريف: ج ٤، ص ٥، ح ٢ بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ الله لا إله إلا هو، ليدفع بالصدقه الداء، و الدبيله، والحرق، والغرق، والهدم، والجنون، وعدّ صلى الله عليه وآله وسلم سبعين باباً من السوء».

روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مرَّ يهودى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: السام عليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عليك، فقال أصحابه: إنما سلم عليك بالموت، قال: الموت عليك، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: وكذلك رددت. ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّ هذا اليهودى يعضُّه أسود فى قفاه فيقتله، قال: فذهب اليهودى فاحتطب حطباً كثيراً فاحتلمه، ثم لم يلبث أن انصرف، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ضعه فوضع الحطب، فإذا أسود فى جوف الحطب عاض على عود، فقال: يا يهودى ما عملت اليوم؟ قال: ما عملت عملاً إلا حطبتى هذا احتملته فجت به، وكان معى كعكتان، فأكلت واحده، وتصدقت بواحدة على مسكين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بها دفع الله عنه. وقال: إنَّ الصدقه تدفع ميتة السوء عن الإنسان» (١).

الرابعه: صحَّه البدن يوجبها الصوم

وسأل الشاب عن العمل الذى يوجب صحَّه البدن، فقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: وإذا أردت أن يصحَّ بدنك فعليك بالصوم، فالصوم إذن هو العمل الموجب لصحَّه البدن.

ومن هنا روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «صوموا تصحوا» (٢)؛ لأنَّ البدن له حقُّ على الإنسان، وهو أن يعطيه صاحبه قسطاً من الراحة، وراحته بالنوم وقلة الطعام، بل الإمساك عنه عدَّة ساعات؛ حتى تهدأ هذه الأعضاء عن العمل الذى تقوم به، وبعد ذلك تكون قد تجددت الحيويه فيها.

ويكفى الصوم فضلاً وثواباً، أنه قد نسبه البارى عزَّ وجلَّ له، حيث ورد فى الحديث

ص: ١٨٨

- 
- ١- (١) الكافي: ج ٤، ص ٥، ح ٣، عنه بحار الأنوار: ج ٤، ص ١٢١، ح ٦٧، وج ١٨، ص ٢١، ح ٤٨.
  - ٢- (٢) الدعوات: ص ٧٦، ح ١٧٩، عنه مستدرک الوسائل: ج ٧، ص ٥٠٢ ضمن ح ١١. عوالى اللثالى: ج ١، ص ٢٦٨، ح ٧٠. الفصول المهمه فى أصول الأئمه: ج ٣، ص ٢٣٣، ح ٣. بحار الأنوار: ج ٥٩، ص ٢٦٧، ح ٤٥، وج ٩٣، ص ٢٥٥. الجامع الصغير: ج ٢، ص ١٠٣، ح ٥٠٦٠. العهود المحمديه: ص ١٧٣. كنز العمال: ج ٨، ص ٤٥٠، ح ٢٣٦٠٥.

القدسى: «الصوم لى وأنا أجزى به» (١). وروى عن الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «الصومُ جُنَّه من النار» (٢).

وورد فى بعض الأدعية والمناجاة «إلهى ربح الصائمون» (٣)، وبالفعل إذا كان الصوم - كما ذكرنا - فيه صحَّه البدن، وأنَّ الله تبارك وتعالى هو الذى يجزى به أو عليه، وأنَّه وقايه من النار، فكيف لا يكون الصائم رابحاً؟!

والصوم ركن أساسى من أركان هذا الدين الحنيف، وهو نصف الصبر على ما جاء فى بعض الروايات (٤)، بل إنَّ البعض من الآيات ذكرت الصبر والمراد به الصوم (٥).

ص: ١٨٩

١- (١) الكافى: ج ٤، ص ٦٣، ح ٦. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٧٥، ح ١٧٧٣. تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١٥٢، ح ٣. مكارم الأخلاق: ص ١٣٨. عدّه الداعى: ص ٢٢٦. الجواهر السنية: ص ١٦١. بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ٢٥٤، وص ٢٥٥، ح ٣١ عن مكارم الأخلاق. وسائل الشيعة: ج ١٠، ص ٣٩٧، ح ٧، ويوجد اختلاف يسير بين المصادر. وأنظر الحديث فى مصادر العامه: صحيح البخارى: ج ٨، ص ١٩٧. صحيح مسلم: ج ٣، ص ١٥٨. سنن النسائى: ج ٤، ص ١٥٩. صحيح ابن خزيمة: ج ٣، ص ١٩٨، والحديث مشهور.

٢- (٢) المصدر نفسه: ج ٢، ص ١٩ ضمن ح ٥، وص ٢٤ ضمن ح ١٥، وج ٤، ص ٦٢ ضمن ح ١. المحاسن: ج ١، ص ٢٨٧، وص ٢٨٩. فضائل الأشهر الثلاثة: ص ١١٩، ح ١١٧. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٧٤، ح ١٧٧١، وص ٧٥ ضمن ح ١٧٧٥. تحف العقول: ص ٢٥٨. تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١٥١، ح ١، وص ٥٢، ح ٢. تفسير العياشى: ج ١، ص ١٩١. التفسير الصافى: ج ٤، ص ١٥٦. تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٢٢٩، ح ٣٣. بحار الأنوار: ج ٦٥، ص ٣٣١ ضمن ح ٦ عن الكافى. سنن النسائى: ج ٤، ص ١٦٧. السنن الكبرى (النسائى): ج ٢، ص ٩٤، ح ٢٥٤٠. المعجم الأوسط: ج ١، ص ٢١. كتر العمال: ج ٨، ص ٤٥٤، ح ٢٣٦٢٦.

٣- (٣) لم أعثر عليه فى غير مفاتيح الجنان، للمحدِّث الخبير الشيخ عباس القمى رحمه الله فى صفحته: ٢٣٦ فى الهامش، ضمن أدعية شهر رمضان المبارك.

٤- (٤) البيان (الشهيد الأول): ص ٢٢٢. عوالى اللئالى: ج ١، ص ١١٥، ح ٣٢ وح ٣٣. مسكن الفؤاد: ص ٤٦. والحديث مشهور فى كتب العامه، انظر - مثلاً -: مسند أحمد: ج ٤، ص ٢٦٠. سنن الدارمى: ج ١، ص ١٦٧. سنن ابن ماجه: ج ١، ص ٥٥٥، ح ١٧٤٥. سنن الترمذى: ج ٥، ص ١٩٧، ح ٣٥٨٥.

٥- (٥) فى كتاب فضائل الأشهر الثلاثة للشيخ الصدوق رحمه الله: ص ١٢٢، ح ١٢٥ عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام فى قول الله عزَّ وجلَّ: ( ) يعنى: الصيام والصلاه.

والمسألة الخامسة التي سألها الشاب هي طول العمر، فسأل هذا الشاب عن الموجب لها ما هو؟

فأجابه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، بأنّ موجبها صله الأرحام، فقال له: «وإذا أردت أن يطول عمرك فصل أرحامك»، وهذه النقطة قد تكلمنا عنها سابقاً بما فيه الكفاية، ولكن نشير إلى ذلك بعض الشيء.

فنقول: صله الأرحام هي إشراك الإنسان أقربائه بما ناله من خير، سواء كان مالياً أم جاهاً أم علماً أم غير ذلك، من خلال السؤال عن أحوالهم وعيادتهم ومساعدتهم إذا احتاجوا إلى ذلك، ومشاركتهم في مسراتهم وأحزانهم، ووصلهم ولو بالكلمة الطيبة، فقد روى عن رسول الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إنّ أعجل الخير ثواباً صله الرحم»<sup>(١)</sup>.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «الصدقة بعشره، والقرض بثمانيه عشر، وصله الإخوان بعشرين، وصله الرحم بأربعة وعشرين»<sup>(٢)</sup>.

وقد وردت آثار عديده في صله الأرحام، وأحد هذه الآثار هو طول العمر، وهناك آثار أخرى ذكرت في الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام منها: أنّها تنفي الفقر، وتعمّر الديار، وتهوّن الحساب، وتقوى ميتة السوء، وتكثر الأموال، وتعصم من الذنوب.

فعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «صله الأرحام تزيد في العمر وتنفي الفقر»<sup>(٣)</sup>، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «صله

ص: ١٩٠

١- (١) الكافي: ج ٢، ص ١٥٢، ح ١٥، عنه بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٢١، ح ٨٣. وسائل الشيعة: ج ٢١، ص ٥٣٥ - ص ٥٣٦، ح ١١. السنن الكبرى (البيهقي): ج ١٠، ص ٣٦. كنز العمال: ج ٣، ص ٣٦٣، ح ٦٩٥٦.

٢- (٢) الكافي: ج ٤، ص ١٠، ح ٣. دعائم الإسلام: ج ٢، ص ٣٣١، ح ١٢٥١. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٦٧، ح ١٧٣٨. تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١٠٦، ح ٣٦. مكارم الأخلاق: ص ١٣٥، عنه بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣١١، ح ٦٥. وسائل الشيعة: ج ٩، ص ٤١١، ح ٢، وج ١٦، ص ٣١٩، ح ٥.

٣- (٣) القواعد والفوائد: ج ٢، ص ٥٤، عنه بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١١٨.

الرحم تعمّر الديار» (١) ، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «صله الرحم تهوّن الحساب وتقى ميتة السوء» (٢) ، وأيضاً صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ القوم ليكونون فجره، ولا يكونون برره، فيصلون أرحامهم فتتمى أموالهم، وتطول أعمارهم، فكيف إذا كانوا أبراراً برره؟!» (٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنّ صله الرحم والبرّ ليهوّنان الحساب، ويعصمان من الذنوب، فصلوا أرحامكم، وبروا بإخوانكم، ولو بحسن السلام وردّ الجواب» (٤).

وأهمّ أثر من هذه الآثار - بحسب نظر الإنسان - هو طول العمر، والشباب سأل عن ذلك، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: صل أرحامك.

ومن هنا روى عن إمامنا أمير المؤمنين على عليه السلام، أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين، فيصيرها الله عزّ وجلّ ثلاثين سنة، ويقطعها وقد بقي من عمره ثلاثون سنة، فيصيرها ثلاث سنين...» (٥).

وخير شاهد على ذلك ما روى عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال لأحد أصحابه واسمه ميسر: «يا ميسر، قد حضر أجلك غير مرّه ولا مرّتين، كلّ ذلك يؤخر الله أجلك لصلتك قرابتك» (٦).

ص: ١٩١

- 
- ١- (١) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٤٨١ ضمن ح ١٨، عنه بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ١٦٣ ضمن ح ٣.
  - ٢- (٢) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٤٨١ ضمن ح ١٨، عنه بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ١٦٣ ضمن ح ٣، وج ٧١، ص ٩٤ ضمن ح ٢١.
  - ٣- (٣) الكافي: ج ٢، ص ١٥٥، ح ٢١، عنه بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٢٥، ح ٨٨.
  - ٤- (٤) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٥٧، ح ٣١. تحف العقول: ص ٣٧٦. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ١٣١، ح ٩٨ عن الكافي.
  - ٥- (٥) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٤٨٠، ح ١٨.
  - ٦- (٦) الدعوات: ص ١٢٥، ح ٣٠٩. وأنظر: فرج المهموم: ص ١١٩. أعلام الدين: ص ١٢٦. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٨٤، ح ٩٦ عن الدعوات. وسائل الشيعة: ج ٩، ص ٣٨٩، ح ٩ وج ٢١، ص ٥٣٧، ح ١٤.

السادسه: الحشر مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يوجب طول السجود لله عز وجل.

وسأل الشاب أيضاً عما يجعله محشوراً مع حضره النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو غايه المنى، وأمنيه كل متمن، فأجابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: وإذا أردت أن يحشرك الله معي فعليك بطول السجود لله عز وجل. فأنظر إلى أثر طول السجود لله تبارك وتعالى في الدنيا، كيف يوجب تلك الأمنيه العظيمه، وما أسهله على الإنسان، ولكن يمنعه عن ذلك الشيطان لحسده له؛ لأن الشيطان خرج من الجنه بسبب تكبره وامتناعه من السجود لآدم عليه السلام (1)، فالسجود أشق عباده عليه - لعنه الله - فإنه إذا رأى إنساناً يسجد لربه، يقول: يا ويحي، أمرنى ربى بالسجود فعصيت، وأمر هذا بالسجود فأطاع، ويقول لأبالسته: عليكم أن تشغلوه عن صلاته (2).

ومن هنا قيل: إن سبب تسميه المحراب بهذا الاسم؛ لأنه تقوم حرب بين المصلى والشياطين (3).

وروى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام: أتدرى يا موسى، لم انتجتك من خلقي، واصطفيتك لكلامي؟ فقال: لا يا رب، فأوحى الله إليه: أتى أطلعت إلى الأرض، فلم أجد عليها أشد تواضعاً لى منك، فخر موسى ساجداً وعفر خديه في التراب تذلاً منه لربه (عز وجل)، فأوحى الله إليه: ارفع رأسك يا موسى،

ص: ١٩٢

١- (١) قال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ \* قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ \* قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) الاعراف: آيه ١١ - آيه ١٣.

٢- (٢) ففي الخصال: ص ٦١٦ ضمن حديث الأربعمائه المروى عن الإمام الصادق عليه السلام عن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام قال: «... وأطيلوا السجود، فما من عمل أشد على إبليس من أن يرى ابن آدم ساجداً؛ لأنه أمر بالسجود فعصى، وهذا أمر بالسجود فأطاع فنجاء...».

٣- (٣) ففي شرح الأزهاري: ج ١، ص ١٩٤ قال: «وإنما سُمي المحراب محراباً لمحاربه الشياطين»، وقريب منه في حاشيه رد المختار: ج ١، ص ٧٠٢.

وامر يدك موضع سجودك، وامسح بها وجهك وما نالته من بدنك، فإنه أمان من كل سقم وداء وآفه وعاهه» (١).

وهكذا يكون السجود لله عز وجلّ عظيماً دائماً وأبداً.

ولقد جسّد ذلك سيّد الشهداء عليه السلام في يوم عاشوراء، فإنه سجد لله عز وجلّ ولكنّه لم يكتفِ بذلك، بل صار موضعاً لسجود الرماح والسيوف ومحراباً لها، ورحم الله السيد رضا الهندي حيث يقول:

صَلَّتْ عَلَى جِسْمِ الْحُسَيْنِ سَيُوفُهُمْ فَعَدَا لِسَاجِدِهِ الضُّبَابَ مُحْرَابًا

وَمَضَى لَهَيْفًا لَا يَجِدُ غَيْرَ الْقَنَا ظِلًّا وَلَا غَيْرَ النَّجِيعِ سَرَابًا

ضَمَانَ ذَابَ فَوَادُهُ مِنْ غُلِّهِ لَوْ مَسَّتِ الصَّخْرَ الْأَصَمَّ لَذَابًا (٢)

\*\*\*

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبة للمتقين.

ص: ١٩٣

---

١- (١) أمالي الشيخ الطوسي: ص ١٦٥، ح ٢٧. علل الشرائع: ج ١، ص ٥٦ - ص ٥٧، ح ٢. الجواهر السنيه: ص ٦٧. قصص الأنبياء (الجزائري): ص ٢٤٨ عن الأمالي. تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص ٦٧، ح ٢٥٥ عن علل الشرائع. بحار الأنوار: ج ١٣، ص ٧، ح ٦ عن أمالي الشيخ الطوسي، وص ٨، ح ٩ عن العلل، وج ٨٣، ص ١٩٩، ح ٧ عن مجالس ابن الشيخ. وسائل الشيعة: ج ٧، ص ١٤ - ص ١٥، ح ٣ عن الأمالي.

٢- (٢) ديوان السيد رضا الهندي رحمه الله: ص ٤٢.









روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «مَنْ اغْتَابَ مُسْلِمًا أَوْ مُسْلِمَةً لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ تَعَالَى صَلَاتَهُ وَلَا صِيَامَهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، إِلَّا أَنْ يَغْفَرَ لَهُ صَاحِبُهُ» (١).

الغيبه: هي ذكر الإنسان حال غيبته بما يكره نسبتبه إليه، مما يعدّ نقصاناً في العرف، بقصد الانتقاص والذمّ، أو التنبيه على ما يكره نسبتبه إليه (٢).

ومن هنا يكون التعريف الثانى أعمّ من الأول؛ لأنّ الأول اقتصر على الذكر، وأمّا الثانى فهو يشمل القول والفعل، من كتابه أو إشاره أو غير ذلك، وفيه تنبيه على إظهار نقص الآخرين، ويدخل فى ذلك حتى النحنه والقهقهه، والإشاره بالعين والحاجب وغيرها.

ثمّ إنّه قد وقع الخلاف بين الأعلام فى أخذ قصد الانتقاص فى تعريف الغيبه وعدمه، والمسأله مذكوره فى الرسائل العمليه، والمرجو من المؤمنين الرجوع إليها، كلٌّ بحسب تقليده.

ذمّ الشارع المقدّس للغيبه

لقد حرّم الشارع المقدّس الغيبه، وشبّه المغتاب بأكل لحم الميت، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: (وَلَا يَغْتَابَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَجِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ) ٣.

وقد وردت روايات عديده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام فى بيان بشاعه هذه الصفه وهذا الداء، فعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «مررت ليلة أُسرى بى على قومٍ يخمشون وجوههم

ص: ١٩٧

١- (١) معارج اليقين فى أصول الدين: ص ٤١٢، ح ٧، عنه بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٥٨، ح ٥٣. ومستدرک الوسائل: ج ٧، ص

٣٢٢، ح ٢، وج ٩، ص ١٢٢، ح ٣٤، مع ذكرهما الكتاب بالاسم الآخر له وهو: جامع الأخبار، فلاحظ.

٢- (٢) كشف الريبه فى أحكام الغيبه، المطبوع ضمن رسائل الشهيد الثانى: ص ٢٨٤.

بأظفيرهم، فقلت: يا جبرئيلُ مَنْ هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس، ويقعون في أعراضهم» (١).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً قال: «مَنْ اغتاب امرئاً مسلماً بطل صومُه، ونقض وضوءه، وجاء يومَ القيامةِ يفوحُ من فيه رائحةُ أنتنٍ من الجيفة، يتأذى به أهلُ الموقف، وإن ماتَ قبل أن يتوبَ مات مُستحلاً لما حرّمَ اللهُ عزَّ وجلَّ» (٢).

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «يا نوفُ... اجتنب الغيبة؛ فإنها إدام كلاب النار، ثم قال: يا نوفُ كذبَ مَنْ زعمَ أنه ولد من حلالٍ، وهو يأكل لحومَ الناس بالغيبه...» (٣).

وفى الحقيقة هناك روايات ذكرت الغيبة ومساوئها تقشعُرُ منها الأبدان، وتصتكَ منها الأسماع، كما روى أنها أشدُّ من الزنا، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «الغيبة أشدُّ من الزنا، فقيل: يا رسولَ الله، ولمَ ذلك؟ قال: صاحب الزنا يتوب فيتوب الله عليه، وصاحب الغيبة يتوب فلا يتوب الله عليه حتى يكون صاحبه الذي يحله» (٤)، ولكن نرى الكثير من

ص: ١٩٨

١- (١) تنبيه الخواطر ونزهه النواظر (مجموعه ورام): ج ١، ص ١١٥. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٢٢. مستدرک الوسائل: ج ٩، ص ١١٩، ح ٢٢. وأنظر المصادر التالية: عوالي اللئالی: ج ١، ص ٢٧٦. مسند أحمد: ج ٣، ص ٢٢٤. سنن أبي داود: ج ٢، ص ٤٥١، ح ٤٨٧٨. كتاب الصمت وآداب اللسان: ص ١٠٤، ح ١٦٥. المعجم الأوسط: ج ١، ص ٧، والحديث مشهور في كتب الجمهور، وفى بعضها اختلاف يسير.

٢- (٢) وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٨٢، ح ١٣. بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٣٣٤.

٣- (٣) أمالی الشيخ الصدوق: ص ٢٧٨، ح ٩. مشكاه الأنوار: ص ٣٠٣ مع تقديم وتأخير. تنبيه الخواطر ونزهه النواظر (مجموعه ورام): ج ٢، ص ١٦٤. أعلام الدين فى صفات المؤمنين: ص ١٨٧. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٤٨، ح ١٣ عن الأمالی، وج ٧٤، ص ٣٨٣، ح ٩ عن الأمالی أيضاً. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٨٣، ح ١٦.

٤- (٤) الخصال: ص ٦٣، ح ٩٠. علل الشرائع: ج ٢، ص ٥٥٧، ح ١. الاختصاص: ص ٢٢٦، منه المريد: ص ٣٢٧. تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٩٣، ح ٦٨. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٤٢ عن الخصال والعلل. وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ٢٨٤، ح ١٨ عن العلل.

الناس من يتساهل فيها، ويشنع على الزانى، بل على الناظر للأجنبيه - وإن كانا محرّمين - أكثر ممّا يفعلُه المغتاب نفسه، وكلّ ظنّه بأنّه لم يقل شيئاً إلاّ حقيقه.

فكثيراً ما نسمع من الناس أنّهم يذكرون أشخاصاً ويغتابونهم، وعندما يقال لهم: بأنّ هذا الكلام غيبه تراهم يجيئونك على الفور: بأنّها حقائق! ظانّين بأنّ الغيبه لا تتناول الحقائق، وهذا عجيب جدّاً؛ إذ الغيبه ليس موردها إلاّ الحقائق، فعندما يقول شخص عن آخر: بأنّه بخيل، أو أنّه كذاب، أو غير ذلك، وكانت هذه الصفات موجوده فيه بالفعل فهذه هي الغيبه، وأمّا إذا لم تكن موجوده فهذا هو البهتان.

ومن هنا روى يحيى الأزرق، قال: قال لى أبو الحسن عليه السلام: «مَنْ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ خَلْفِهِ بِمَا هُوَ فِيهِ مِمَّا عَرَفَهُ النَّاسُ لَمْ يَغْتَبِهِ، وَمَنْ ذَكَرَهُ مِنْ خَلْفِهِ بِمَا هُوَ فِيهِ مِمَّا لَا يَعْرِفُهُ النَّاسُ اغْتَابَهُ، وَمَنْ ذَكَرَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَهُ» (١).

والغيبه محرّمه بالإجماع بين المسلمين، بل تُعدّ حرمتها من ضروريات الفقه الإسلامى، وإنّها من المعاصى الكبيره والموبقات المهلكه، ولشدّه حرمتها لا تتحقّق التوبه منها حتّى يغفرها صاحبها الذى اغتیب، وهذا ما ورد فى الروايه الشريفة المتقدّمه التى بيّنت أنّها أشدّ من الزنا.

قال العلامه المجلسى رحمه الله: «وتحريم الغيبه فى الجمله إجماعى، بل هو كبيره موبقه؛ للتصريح بالتوعيد عليها بالخصوص فى الكتاب والسّنّه، وقد نصّ الله على ذمّها فى كتابه، وشبّه صاحبها بأكل لحم الميتة...» (٢).

ص: ١٩٩

- 
- ١- (١) الكافى: ج ٢، ص ٣٥٨، ح ٦. التفسير الصافى: ج ٥، ص ٥٣، وج ٦، ص ٥٢٣. تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٩٤، ح ٧١. وسائل الشيعه: ج ١٢، ص ٢٨٩، ح ٣. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٤٥، ح ٦ عن الكافى.
- ٢- (٢) بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٢٢.

إنّ لأعمالنا - واجبه أو محرّمه - صوراً وراء الصور التى نراها نحن، وقد أشار القرآن الكريم فى عدّه مواضع إلى هذه الحقيقه.

فمثلاً- عبّر عن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً بأنهم يأكلون ناراً، حيث يقول تبارك وتعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْفَىٰ لَمُونَ سَعِيرًا) ١ . وعن الذين يتعاملون بالربا أنّهم لا يقومون إلاّ كما يقوم الذى يتخبّطه الشيطان من المس، حيث يقول جلّت قدرته: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا) ٢ ، إلى غير ذلك. وما هو شاهد كلامنا الغيبه، فقد عبّر عنها البارى عزّ وجلّ بأنّها أكل الإنسان للحم أخيه الميت.

فهذه صور غيبية وراء صورتها الظاهرية، وقد ذكرت الرويات الشريفه صوراً بشعه متعدده، تصف فيها الغيبه تختلف باختلاف الحيات.

ومن هذه الصور:

١ - تشبيه مرتكب الغيبه بأكل لحوم إخوانه الموتى، وقد دلّت على هذه الصوره الآيه المباركه، حيث قالت: (وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ) ٣ .

٢ - إنّ مرتكب هذه الجريه الموبقه تفوح منه رائحه أنتن من رائحه الجيفه، وقد دلّ على ذلك الحديث المتقدّم المروى عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم القائل: «مَنْ اغْتَابَ امْرَأً مُسْلِمًا بَطَلَ

صومه، ونقض وضوءه، وجاء يوم القيامة يفوح من فيه رائحة أنتن من الجيفه، يتأذى به أهل الموقف، وإن مات قبل أن يتوب مات مُستحلًّا لما حرّم الله عزّ وجلّ».

٣- إنّ الغيبه هي بنفسها إدام كلاب النار، يعنى أنّ لها صورته أُخرى في عالم الغيب تتمثل بها، وهي طعام الكلاب الموجوده في النار، كما جاء ذلك في الحديث المتقدم عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال: «اجتنب الغيبه؛ فإنّها إدام كلاب النار...». ويمكن تصور وجوهاً أُخرى بمتابعه النصوص والآثار، تركنا ذلك للاختصار.

#### المفاسد المترتبه على الغيبه

قال ثاني الشهيدين رحمه الله: «واعلم أنّ السبب الموجب للتشديد في أمر الغيبه، وجعلها أعظم من كثير من المعاصي الكبيره، هو اشتغالها على المفاسد الكليه المنافيه لغرض الحكيم سبحانه، بخلاف باقى المعاصي؛ فإنّها مستلزمه لمفاسد جزئيه.

بيان ذلك: أنّ المقاصد المهمه للشارع اجتماع النفوس على همٍّ واحدٍ وطريقهٍ واحده، وهي سلوك سبيل الله بسائر وجوده الأوامر والنواهي، ولا يتم ذلك إلا بالتعاون والتعاوض بين أبناء النوع الإنساني، وذلك يتوقف على اجتماع همهم، وتصافى بواطنهم، واجتماعهم على الألفه بالمحبّه، حتى يكونوا بمنزله عبدٍ واحدٍ في طاعه مولاه، ولن يتم ذلك إلا بنفى الضغائن والأحقاد والحسد ونحوه، وكانت الغيبه من كلّ منهم لأخيه مثيره لضغنه، ومستدعيه منه بمثلها في حقّه، لا جرم كانت ضد المقصود الكلى للشارع، وكانت مفسده كليه؛ فلذلك أكثر الله ورسوله من النهي عنها، والوعيد عليها»<sup>(١)</sup>.

#### علاج الغيبه

إنّ هذه الرذيله - وكما ذكرنا - من أشع الرذائل والمعاصي، ولا بدّ للإنسان من

ص: ٢٠١

١- (١) كشف الريبه: ص ٢٨٩، المطبوع ضمن رسائل الشهيد الثاني رحمه الله.

علاجها قبل ارتحاله من هذا العالم إلى عالم الآخرة الذى لا عمل فيه، وإنما حساب فحسب، ويقف المرتكب لها فى محضر الأنبياء والمرسلين، والأوصياء المنتجبين، والملائكة المُقرّبين، نادماً على ما ارتكبه فى دار الدنيا، ولانت حين مناص، وخسر هنالك المبطلون.

وقد ذكر أهل الأخلاق أنّ هذه الرذيله وأمثالها يمكن علاجها عن طريق العلم النافع والعمل.

«أمّا العلم النافع: فهو أن يفكر الإنسان فى الآثار النافعه التى تترتب على معالجه هذه الموبقه، ويقارنها مع المضاعفات السيئه، والآثار الشنيعه التى تترتب على الغيبه، ثم يعرض كلا الأمرين على العقل، ويستهديه لما فيه الحسن والخير والصالح.

وأما من الناحيه العمليه: فلا بدّ من كفّ النفس عن هذه المعصيه بعض الوقت مهما كان صعباً، ولجم اللسان، والمراقبه الكامله للنفس، ومعااهده النفس بعدم اقتراف هذه الخطيئه، ومراقبتها والحفاظ عليها ومحاسبتها، حيث يمكن أن يتم إصلاح النفس بعد مضى فتره قصيره بمشيئه الله تعالى، وتستأصل ماده الفساد، ويسهل عليك الأمر قليلاً قليلاً، وبعد فتره تحسّ بأنك تنفر منها بحسب طبيعتك، وتنزجر عنها، ثمّ تكون راحه النفس ومتعتها فى ترك هذه المعصيه» (١).

ولو تدبّر الإنسان فى بشاعه الغيبه من خلال الآيات والروايات المتقدمه وصورتها الغيبه، لكان ذلك رادعاً حقيقياً له، بل لكلّ إنسان عاقل.

ويكفيه أن يتدبّر فى هذا الخبر، وهو ما روى عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ما النارُ فى اليسرِ بأسرعِ من الغيبه فى حسناتِ العبد» (٢)، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: «يؤتى بأحدٍ يوم القيامة، يُوقف بين يديّ الربِّ عزّ وجلّ ويدفع إليه كتابه، فلا يرى حسناته فيه، فيقول: إلهى، ليس هذا كتابى، فإننى لا أرى فيه حسناتى! فيقال له: إنّ ربك لا يضلُّ ولا ينسى، ذهب عملك

ص: ٢٠٢

١- (١) انظر: الأربعون حديثاً (الإمام الخمينى رحمه الله): ص ٢٩٠ - ص ٢٩٢.

٢- (٢) كشف الرية: ص ٢٩٧، المطبوع ضمن رسائل الشهيد الثانى رحمه الله. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٢٩. كشف الخفاء: ج ٢، ص ١٩٤، ح ٢٢٥١.



باغتيالِ الناس، ثمَّ يُؤْتَى بِآخِرٍ وَيُدْفَعُ إِلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَرَى فِيهِ طَاعَاتٍ كَثِيرَةً، فيقول: إلهي، ما هذا كتابي، فيأتي ما عملت هذه الطاعات، فيقول له: إِنَّ فُلَانًا اغْتَابَكَ فَدَفَعْتَ حَسَنَاتِهِ إِلَيْكَ» (١).

وحكى عن بعض العلماء: أَنَّ أَحَدًا اغْتَابَهُ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ، فَجَاءَهُ وَمَعَهُ طَبَقٌ مِنَ الْحَلْوَى، وَطَرَقَ بَابَهُ، وَقَدَّمَهَا لَهُ: فَتَعَجَّبَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، وَقَالَ: مَا الْمُنَاسِبَةُ؟ فَقَالَ هَذَا الْعَالِمُ: لَقَدْ وَهَبْتُ إِلَيَّْ أَعَزَّ مَا عِنْدَكَ؟، وَهِيَ حَسَنَاتُكَ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُرَدَّ جَمِيلَكَ هَذَا بِهَذَا الطَبَقِ مِنَ الْحَلْوَى، فَلَقَدْ ذَهَبَتْ حَسَنَاتُكَ مِنْ سَجَلِّ أَعْمَالِكَ إِلَى سَجَلِّ أَعْمَالِي بِاِغْتِيَابِكَ إِيَّايَ (٢).

وقد جاء في الروايات الشريفه: «إِنَّ الْغِيْبَةَ تَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ» (٣).

فلو تدبرنا في هذه الأخبار وغيرها التي تكشف القناع عن وجه هذه الموبقه العظيمه، وأنها تذهب بأهم شيء عنده وهي حسناته، لكفانا رادعاً عنها.

وكل ما ذكرناه من حرمة الغيبه، وأنها من الموبقات، وبشاعه صورتها الغيبه، جارٍ في الاستماع للغيبه.

فالمستمع كالفاعل لها بلا فرق من الناحيه الشرعيه، بل ورد في بعض الروايات أَنَّ الْمَسْتَمِعَ مِثْلَ الْمَغْتَابِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ، حَتَّى فِي وَجُوبِ التَّسَامُحِ مِنَ الَّذِي اغْتَابَ، وَأَنَّ الْإِسْتِمَاعَ مِنَ الْكِبَائِرِ.

فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «السامع للغيبه أحد المغتابين» (٤)، وقد علق

ص: ٢٠٣

١- (١) معارج اليقين في أصول الدين: ص ٤١٢، ح ١٠، عنه بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٥٩ ضمن حديث ٥٣. مستدرک الوسائل: ج ٩، ص ١٢١، ح ٣٠.

٢- (٢) من المسموعات في مجالس الوعظ عن الأكابر من أعلام الطائفة الحقه (قدس الله أسرارهم).

٣- (٣) الرسائل العشر (الشيخ الطوسي رحمه الله): ص ٣٢٥. مستدرک الوسائل: ج ٩، ص ١٢٤، ح ٤٢.

٤- (٤) انظر: أدب المجالسه: ص ٩٥، ح ١٩٧. شرح نهج البلاغه: ج ٩، ص ٦٥. شرح مئه كلمه لأمير المؤمنين عليه السلام: ص

١٥٦. المناقب (الخوارزمي): ص ٣٧٥. الفصول المهمه في معرفه الأئمه: ج ١، ص ٥٤٢، وج ٢، ص ١١٨٥. جواهر المطالب: ج

٢، ص ١٥٢، ح ٧١. عيون الحكم والمواعظ: ص ٢٨٣. شرح كلمات أمير المؤمنين عليه السلام: ص ٣٧. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص

٢٢٦.

العَلَامَةُ المَجْلِسِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عَلَى هَذَا الكَلَامِ بِقَوْلِهِ: «وَمَرَادُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: السَّامِعُ عَلَى قَصْدِ الرِّضَا وَالْإِثَارَ لَا عَلَى وَجْهِ الِاتِّفَاقِ، أَوْ مَعَ القُدْرَةِ عَلَى الإِنْكَارِ وَلَمْ يَفْعَلْ، وَوَجْهٌ كَوْنِ المَسْتَمِعِ وَالسَّامِعِ عَلَى ذَلِكَ الوَجْهِ مَغْتَابِينَ مَشَارَكَتَهُمَا لِلْمَغْتَابِ فِي الرِّضَا، وَتَكْيِيفِ ذَهْنَهُمَا بِالتَّصَوُّرَاتِ المَذْمُومَةِ الَّتِي لَا يَنْبَغِي، وَإِنْ اخْتَلَفَا فِي أَنَّ أَحَدَهُمَا قَائِلٌ، وَالأَخرَ قَابِلٌ، لَكِنَّ كِلَيْهِمَا صَاحِبَ آلِهِ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَذُو لِسَانٍ يَعْبرُ عَنِ نَفْسٍ قَدْ تَنَجَّسَتْ بِتَّصَوُّرِ الكَذِبِ وَالحَرَامِ وَالعِزْمِ عَلَيْهِ، وَأَمَّا الأَخرَ فَذُو سَمْعٍ تَقْبِلُ عَنْهُ النَفْسُ تِلْكَ الأَثَارَ عَنِ إِثَارِ وَسُوءِ اخْتِيَارٍ، فَتَأَلَّفَهَا وَتَعْتَادُهَا، فَتَمَكَّنَ مِنْ جَوْهَرِهَا سَمُومَ عِقَارِبِ البَاطِلِ، وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ: السَّامِعُ شَرِيكَ القَائِلِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الخَبَرِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ. فَالمَسْتَمِعُ لَا يَخْرُجُ مِنْ إِثْمِ الغَيْبِ إِلاَّ بِأَنْ يَنْكُرَ بِلِسَانِهِ، فَإِنْ خَافَ، فَبِقَلْبِهِ، وَإِنْ قَدَّرَ عَلَى القِيَامِ أَوْ قَطَعَ الكَلَامَ بِكَلَامٍ غَيْرِهِ فَلَمْ يَفْعَلْهُ لَزِمَهُ، وَلَوْ قَالَ بِلِسَانِهِ: اسْكُتْ وَهُوَ يَشْتَهِي ذَلِكَ بِقَلْبِهِ، فَذَلِكَ نِفَاقٌ وَفَاحِشَةٌ أُخْرَى زَائِدَةٌ، لَا يَخْرُجُ عَنِ الإِثْمِ مَا لَمْ يَكْرَهُهُ بِقَلْبِهِ، وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ أَدُلَّ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْصُرَهُ فَلَمْ يَنْصُرْهُ أَذَلَّهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ. وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مَنْ رَدَّ عَنِ عَرَضِ أَخِيهِ بِالغَيْبِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَرُدَّ عَنْ عَرَضِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ. وَقَالَ أَيْضًا: مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ بِالغَيْبِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ» (١).

وَرَوَى أَنَّهُ نَظَرَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامَ إِلَى رَجُلٍ يَغْتَابُ رَجُلًا عِنْدَ الحَسَنِ ابْنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَالَ: «يَا بُنَيَّ نَزَّهَ سَمْعُكَ عَنِ مِثْلِ هَذَا؛ فَإِنَّهُ نَظَرَ إِلَى أَخْبَثِ مَا فِي وَعَائِهِ، فَأَفْرَغَهُ فِي وَعَائِكَ» (٢)، بَلْ فِي

ص: ٢٠٤

١- (١) بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٢٦.

٢- (٢) الإختصاص: ص ٢٢٥. شرح نهج البلاغه: ج ٢٠، ص ٢٨١، ح ٢٣٠، ضمن الحكم المنسوبه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٥٩، ح ٥٤ عن الإختصاص.

بعض الروايات ورد الحث على وجوب ردّ الغيبه.

فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَنْ رَدَّ عَنْ أَخِيهِ غَيْبَةً سَمِعَهَا فِي مَجْلِسٍ رَدَّ اللَّهُ عَنْهُ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الشَّرِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَنْهُ (وَأَعْجَبَهُ) كَانَ عَلَيْهِ كَوْزُرٌ مِّنْ اغْتَابٍ» (١).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «مَنْ اغْتَابَ عَنْهُ أَخُوهُ الْمُؤْمِنَ فَنَصَرَهُ وَأَعَانَهُ، نَصَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ لَمْ يَنْصُرْهُ وَلَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى نَصْرَتِهِ وَعَوْنِهِ، خَفَضَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (٢).

### كفارة الغيبه

وإذا تورّطنا - لا سمح الله - بهذه الموبقه العظيمه، والجريه الكبيره، لزم علينا المبادره إلى إصلاح ما أفسدناه، والندم والتوبه فوراً، والتأسف على ما جيناه.

وقد ذكر العلماء الأعلام أنّ الاستغفار بوحده غير كافٍ، بل لا بدّ من ضميمه معه، وهذه الضميمه قد أشارت إليها بعض الروايات، وقد ذكرنا بعضها، ومنها: الروايه التي جعلت الغيبه أشدّ من الزنا، المرويّه عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الغيبه أشدّ من الزنا، فقليل: يا رسول الله، ولمّ ذلك؟ قال: صاحب الزنا يتوب فيتوب الله عليه، وصاحب الغيبه يتوب فلا يتوب الله عليه حتى يكون صاحبه الذي يحله»، وهذه الأشدّيه ناتجه عن هذه الضميمه، أعنى: (حتى يكون صاحبه الذي يحله).

قال الشهيد الثاني رحمه الله: «وقد ورد في كفارتها حديثان: أحدهما: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: كفاره من

ص: ٢٠٥

---

١- (١) ثواب الأعمال: ص ٢٨٤. من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ١٥. مكارم الأخلاق: ص ٤٣٠. مستطرفات السرائر: ص ٦٢٤. تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٩٤، ح ٧٦ عن من لا يحضره الفقيه. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٢٦. وسائل الشيعه: ج ١٢، ص ٢٨٢، ح ١٣.

٢- (٢) المحاسن: ج ١، ص ١٠٣، ح ٨١. ثواب الأعمال: ص ١٤٨. مشكاة الأنوار: ص ٣٣١. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٢٦.

استغفبه أن تستغفر له. والثاني: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: مَنْ كَانَتْ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ فِي عَرْضٍ أَوْ مَالٍ فَلْيَسْتَحْلِلْهَا مِنْهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَيْسَ هُنَاكَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ يُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَيَزِيدُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ. وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ طَرِيقَ الْجَمْعِ حَمْلُ الِاسْتِغْفَارِ لَهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَبْلُغْ عِيَهُ الْمَغْتَابِ، فَيَنْبَغِي الْاِقْتِصَارُ عَلَى الدَّعَاءِ لَهُ وَالِاسْتِغْفَارِ؛ لِأَنَّ فِي مُحَالَاتِهِ إِثَارَهُ لِلْفِتْنَةِ وَجَلْبَاباً لِلضَّغَائِنِ، وَفِي حُكْمِ مَنْ لَمْ يَبْلُغْهُ مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْوَصُولِ إِلَيْهِ، بِمَوْتِ أَوْ غِيْبِهِ، وَحَمْلِ الْمُحَالَاتِهِ عَلَى مَنْ يُمْكِنُ التَّوَصُّلُ إِلَيْهِ مَعَ بُلُوغِهِ الْغِيْبِهِ. وَيَسْتَحِبُّ لِلْمُعْتَذِرِ إِلَيْهِ قَبُولَ الْعُذْرِ وَالْمُحَالَاتِهِ اسْتِحْبَاباً مُؤَكَّدًا...» (١).

وقد ضرب أهل البيت عليهم السلام أروع الأمثلة في قبول العذر والصفح حتى عن أعدى أعدائهم، لكن تعال سلني هل عرف أعداؤهم هذا المعنى الجميل، واللفظ الجليل؟! لا والله، بل قابلوا الإحسان بالإساءة، الله أكبر!

وعليكَ خزي يا أميَّة دائماً يبقى كما في النار دام بقاك

هلا صفحت عن الحسين ورهطه صفح الوصي أبيه عن آباك؟

وعففت يوم الطف عقه جدّه المبعوث يوم الفتح عن طلقاك؟

أفهل يدُ سلبت إماءك مثلما سلبت كريمات الحسين يداك؟

أم هل برزَنَ بفتح مكه حُسرًا كنسائه يوم الطفوف نساك؟ (٢)

\*\*\*

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبه للمتقين.

ص: ٢٠٦

١- (١) كشف الرية: ص ٣٢١، المطبوع ضمن رسائل الشهيد الثاني رحمه الله، عنه بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٤٣.

٢- (٢) الغدير: ج ٦، ص ٣٨١. والأبيات من قصيده رائعه للشيخ علي الشفهي رحمه الله.





قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ١ .

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بعث رسوله المصطفى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بهذا الكتاب الكريم إلى الناس كافة؛ لأجل هدايتهم وتذكيرهم بالمخزون الفطري الذي أودعه الله تبارك وتعالى فيهم، وهذا القرآن الكريم الذي يهدي للتي هي أقوم (١)، جاءنا بأوامر ونواهي فيها كمالنا ورفقنا، وهناك من الآيات الشريفة ما اشتمل على أكثر من أمر ونهي، ولو سألنا سائل عن أوامر الله ونواهيها ما هي؟ وأراد منا جواباً مختصراً ومفيداً، لكان الجواب هذه الآيه المباركة؛ لأنَّ هذه الآيه جمعت بين صنفوف المواعظ، وروائع الحكم وغررها، فجاءتنا بسِّت مواعظ (٢)، أمرتنا بثلاث منها، ونهتتنا عن ثلاث أُخرى.

أشمل آيات الخير والشر هذه الآيه المباركة

إِنَّ محتوى هذه الآيه المباركة له من قوَّة التأثير ما جعل كثيراً من الناس يصبحون مسلمين على بينه من أمرهم، وها هو عثمان بن مظعون رحمه الله أحد أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «كُنْتُ أَسْلَمْتُ اسْتِحْيَاءً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لِكَثْرَةِ مَا كَانَ يُعْرَضُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ، وَلَمَّا يَقَرَّ الْإِسْلَامُ فِي قَلْبِي، فَكُنْتُ ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَهُ، حَالَ تَأَمُّلِهِ، فَشَخَّصَ بَصْرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ، كَأَنَّهُ

ص: ٢٠٩

١- (٢) إشاره إلى قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) الإسراء: آيه ٢٨٣.

٢- (٣) بناءً على شمول لفظ المواعظ للثلاثة التي نهتتنا عنها الآيه الشريفة، كما هو صريحها، حيث قالت: (يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

يستفهم شيئاً، فلَمَّا سرى عنه، سألتُه عن حاله، فقال: نعم بينا أنا أحدثك، إذ رأيتُ جبرائيلَ في الهواء، فأتاني بهذه الآية: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ). وقرأها عليَّ إلى آخرها. فقرَّ الإسلامُ في قلبي. وأتيتُ عمَّه أبا طالب فأخبرته، فقال: يا آلَ قُريش، اتَّبِعُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاسْلَمُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْمُرُكُمْ إِلَّا بِمَا كَرَّمَ الْأَخْلَاقَ. وأتيت الوليد بن المغيرة، وقرأت عليه هذه الآية، فقال: إن كان مُحَمَّدٌ قاله فنعم ما قال، وإن قاله رَبُّهُ فنعم ما قال «(١)».

وروى عن النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّهُ قَالَ: «جَمَاعُ التَّقْوَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)» ٢.

فهذه الآية هي أكمل برنامج للفرد والمجتمع بصورة عامَّة

فتقول في المواعظ الأولى من مواعظها الست: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ).

فما هو العدل؟

العدل: هو القانون الذي تدور حول محوره جميع أنظمه الوجود، حتى السماوات والأرض، فهي قائمه على أساس العدل، وهو ضد الجور، والاعتدال هو التوسط (٢).

أقسام العدل

للعدل عدَّة أقسام، ولكن كتقسيمٍ أولى فهو ينقسم إلى قسمين:

العدل العام: وهو عدل الحكَّام والملوك والأمراء.

ص: ٢١٠

١- (١) تفسير مجمع البيان: ج ٦، ص ١٩٢. تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٧٨، ح ١٩٥. وأنظر: تفسير النسفي: ج ٢، ص ٢٦٨.

٢- (٣) انظر: تفسير الأمثل: ج ٨، ص ٢٩٩.



والعدل الخاصّ: وهو العدل بين أفراد العائلة، وبين الزوجات وبين الأبناء.

وينقسم من جهه أخرى ولحاظ آخر إلى العدل فى الفعل، والعدل فى القول.

فأما العدل فى القول، فقد قال تعالى: (وَ إِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا) ١ ، فحينما يريد الإنسان التدخل فى مسأله نزاعيه لا بدّ عليه من القول بالعدل.

وهكذا إذا أراد أن يفعل فعلاً من الأفعال كالإنفاق كان عليه ذلك، قال تعالى: (وَ الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) ٢ .

ولحسن حظ العدل أنّ الكلّ يدّعيه؛ فأنت لا ترى حاكماً من الحكّام، أو سلطاناً من السلاطين يُريد أن يصل إلى هدفه ومبتغاه إلاّ وقدم لذلك شعار العدل؛ ليكون مطيّته للوصول إلى أغراضه الخسيسه أو الشّريفه.

وهذا المفهوم من المفاهيم الواسعه والشامله لجميع مرافق الحياه.

فالعدل فى الشجاعه الحدّ الوسط بين الجبن والتهور، والعدل فى الإنفاق الحدّ الوسط بين الإسراف والتقتير، وهكذا يمكن القول بأنّه محور الحياه وواقعها.

ثمّ قالت: (والإحسان) يعنى يأمر بالإحسان، فالكلمه معطوفه على العدل، كما هو واضح.

ما هو الإحسان؟

الإحسان هو مرتبه عاليه، وخلق رفيع يأمرنا به البارى عزّ وجلّ، فهو تفضّل؛ ولذا قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «العدل الإنصاف، والإحسان التفضّل» (١). وهو اسمّ جامع

ص: ٢١١

---

١- (٣) نهج البلاغه: ج ٤، ص ٥١، ح ٢٣١. تفسير القرطبي: ج ١٠، ص ١٦٥. التفسير الصافى: ج ٣، ص ١٥١، بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٩، ح ٢١ عن النهج.

وسيره الأئمه عليهم السلام حافله بذلك من العفو عمّن ظلمهم، والرحمه لمن عاداهم، وقضاء حوائج المحتاجين، إلى غير ذلك.

ومن قصص الإحسان مارواه القندوزى، عن أبى الفرج ابن الجوزى فى كتابه الملتقط حيث قال: «كان ببلخ (١) رجل من العلويين وله زوجه وبنات، فتوفى الرجل، فخرجت المرأه بالبنات إلى سمرقند (٢) خوفاً من الأعداء، فأدخلت البنات مسجداً فى شدّه البرد، فمضت فى سكك البلد، فرأت الناس مجتمعين على شيخ هو شيخ البلد، فقالت له حالها. فقال لها الشيخ: أقيمى عندنا بينه أنك علويه، فيئت منه، وعادت إلى المسجد فرأت شيخاً على دكان وحوله جماعه، وهو مجوسى، فشرحت حالها له فقال لخدمه: قل لسيدتك: إذهبي مع هذه المرأه إلى المسجد الفلانى واحملى بناتها إلى الدار. فجاءت بالبنات فاسكنهن فى دار مفرد، وكساهن ثياباً نفيسه، وأطعمهن أطعمه لطيفه. فلتما كان نصف الليل رأى شيخ البلد المسلم فى منامه قصرأ من الزمرد الأخضر، فقال: لمن هذا القصر؟ فقيل: لرجل مسلم. فقال: يا رسول الله أنا رجل مسلم. فقال له: أقم بينه عندى أنك مسلم، ونسيت ما قلت للعلويه؟! وهذا القصر للشيخ الذى هى فى داره. فانتبه الرجل (وهو) يبكى فأخبر أنّها فى دار المجوسى، فجاء إليه قال: إننى أريد أن أضيفها. قال

ص: ٢١٢

١- (١) فى معجم البلدان: ج ١، ص ٤٧٩ «بلخ مدينه مشهوره بخراسان... من أجلّ مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيراً وأوسعها غله، تحمل غلتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم. وقيل: إنّ أول من بناها لهراسف الملك لما خرّب صاحبه بخت نصر بيت المقدس. وقيل: بل الإسكندر بناها، وكانت تسمى الإسكندريه قديماً، بينها وبين ترمذ اثنا عشر فرسخاً».

٢- (٢) وفيه أيضاً (ج ٣، ص ٢٤٨) قال: «سمرقند: بفتح أوله وثانيه، ويقال لها بالعربيه سمران: بلد معروف مشهور، قيل: إنّه من أبنيه ذى القرنين بما وراء النهر، وهو قصبه الصغد مبنيه على جنوبى وادى الصغد مرتفعه عليه».

المجوسى: ما إلى هذا سبيل. قال: هذه ألف دينار خذها وتسلمهن إلى. فقال: لا والله، ولا بمائه ألف. فلما ألحَّ عليه قال له: المنام الذى رأيت، أنا أيضاً رأيت، وذلك القصر خلق لى، والله ما أحدٌ فى دارى إلا وقد أسلموا معى ببركات العلوية، ورأيت النبىِّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال لى: القصر لك ولأهلك لما فعلت بالعلوية من الاحترام»(١).

هذا كله بالنسبة إلى الموعظه الثانيه التى أمرتنا بها الآيه المباركه.

ثم قالت الآيه: (وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ).

ما هو الإيتاء لذي القربى؟

إنَّ مسأله إيتاء ذى القربى من المسائل التى تدرج تحت مفهوم الإحسان؛ لأنَّ من ضمن مصاديق الإحسان هو مساعده وإيتاء ذى القربى، سواء كان إيتاء على صعيد المال أم غيره.

ولكن الفرق الواضح بين الإحسان والإيتاء هو أنَّ الأوّل عام، ويشمل جميع طبقات المجتمع، بخلاف الثانى فهو مخصوص بفئته معينه، وهم ذو القربى، وبلحاظ أنَّ المجتمع يتألف من مجموعات صغيره، فكلمة حصل انسجام واندماج على مستوى هذه المجموعات سوف يحصل اندماج على مستوى المجتمع الأم؛ لأنَّ ذلك يستلزم من كلِّ مجموعه صغيره أن تمدد يد العون إلى المجموعه الأخرى من أقربائها، ممَّا يؤدّى أخيراً إلى شمول العون لجميع الضعفاء والمعوزين.

وقد وردت بعض الروايات تُبين أنَّ المقصود بذى القربى هم أهل بيت النبىِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وذريته من الأئمه عليهم السلام، والمقصود ب (إيتاء ذى القربى) هو أداء الخمس إليهم عليهم السلام(٢). ولكن مع هذا يمكن التمسك بالإطلاق الموجود فى الآيه لكلِّ قرابه، ويحمل ما فى الروايه على

ص: ٢١٣

١- (١) ينابيع المودّه: ج ٣، ص ١٧٧.

٢- (٢) انظر: تفسير الأمثال: ج ٨، ص ٢٩٩.

أظهر المصاديق، وهم أهل البيت عليهم السلام وذريتهم الأطهار.

وبعدما ذكرت الآيه المواعظ التي أمرتنا بها، وهي: (العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى)، انتقلت إلى المواعظ التي نهتنا عنها، أو قل: الأصول السلبية الثلاث، وهي: (الفحشاء والمنكر والبغى)، فقالت: (وَ يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ).

وقد ذكر المُفسِّرون كلاماً كثيراً حول هذه المصطلحات الثلاث، ويمكن تلخيص ذلك بما يلي:

إنَّ الفحشاء إشارة إلى الذنوب الخفيه، والمنكر إشارة إلى الذنوب العلنيه، والبغى إشارة إلى كلِّ ما يتجاوز على حقوق الإنسان، وظلم الآخرين، والاستعلاء عليهم (١).

ومن هنا قال البعض: «وأما الثلاثه التي نهى الله عنها، وهي الفحشاء والمنكر والبغى فنقول: إنَّه تعالى أودع فى النفس البشريه قوى أربعه، وهي الشهوانيه البهيميه، والعصبيه السُّبعيه، والوهميه الشيطانيه، والعقليه الملكيه، وهذه القوّه الرابعه أعنى: العقليه الملكيه لا يحتاج الإنسان إلى تأديبها وتهذيبها؛ لأنَّها من جواهر الملائكته، ومن نتائج الأرواح القدسسيه العلويه، إنَّما المحتاج إلى التأديب والتهديب تلك القوى الثلاثه الأولى.

أما القوّه الشهوانيه، فهي إنَّما ترغب فى تحصيل اللذات الشهوانيه، وهذا النوع مخصوص باسم الفحش، ألا ترى أنه تعالى سمى الزنا فاحشه، فقال: (إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَ سَاءَ سَبِيلًا)، فقوله تعالى: (وَ يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ) المراد منه المنع من تحصيل اللذات الشهوانيه الخارجه عن إذن الشريعة، وأما القوّه الغضبيه السُّبعيه فهي أبداً تسعى فى إيصال الشرِّ والبلاء والإيذاء إلى سائر الناس، ولا شكَّ أنَّ الناس ينكرون تلك الحاله، فالمنكر عبارته عن الإفراط الحاصل فى آثار القوّه الغضبيه.

وأما القوه الوهميه الشيطانيه فهي أبداً تسعى فى الاستعلاء على الناس والترفع

ص: ٢١٤

وإظهار الرياسة والتقدم، وذلك هو المراد من البغى، فإنه لا معنى للبغى إلا التناول على الناس والترفع عليهم، فظهر بما ذكرنا أن هذه الألفاظ الثلاثة منطبقه على أحوال هذه القوى الثلاثة، ومن العجائب فى هذا الباب أن العقلاء قالوا: أحسن هذه القوى الثلاثة هى الشهوانية، وأوسطها الغضبية، وأعلاها الوهمية. والله تعالى راعى هذا الترتيب، فبدأ بالفحشاء التى هى نتيجة القوه الشهوانية، ثم بالمنكر الذى هو نتيجة القوه الغضبية، ثم بالبغى الذى هو نتيجة القوه الوهمية»(١).

وفى آخر الآيه المباركه يأتى التأكيد مجدداً على أهميه هذه الأصول الستة: بقوله تعالى (يَعْظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

وبالفعل فإن إحياء هذه الأصول الثلاثة: (العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى)، ومكافحه الانحرافات الثلاث: (الفحشاء والمنكر والبغى) على صعيد العالم كفىل بأن يجعل الدنيا عامره بالخير، وهادئه من كل اضطراب، وخاليه من أى سوء وفساد، وعلى العكس تماماً ما لو ترك العمل بهذه المواعظ الست؛ فإن الدنيا سوف تكون خربه، ومملوءه بالشر، ومضطربه أشد الاضطراب، ومنغمسه بالسوء والفساد، وذلك واضح وبيّن بين الفتره التى تسلّم فيها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام زمام الحكم، وبين الفتره التى ملك بها آل مروان، وبنو أميه، وآل أبى سفيان، وبنو العباس، حتى أنهم جزروا آل نبيهم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام وشتوهم.

بعض بطييه مدفون وبعضهم بكرلاء وبعض الغريين

وأرض طوس وسامراء وقد ضمنت بغداداً بدرين حلاً وسط قبرين (٢)

ص: ٢١٥

١- (١) التفسير الكبير (تفسير الرازى): ج ٢٠، ص ١٠٤.

٢- (٢) البيتان من قصيده رائعه لابن حماد العبدى رحمه الله من أعلام القرن الرابع الهجرى. انظر: الغدير: ج ٤، ص ١٥٣ - ص ١٦٣.

إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

ص: ٢١٤







قال تعالى فى محكم كتابه الكرىم: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكُمْ أَوْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ \* وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) ١ .

تناولت هاتان الآيتان مفهوماً لطالما تناول به أعداؤنا علينا؛ ليشنّوا ويهرجوا هنا وهناك لا لشيء، إلا لأنّ هذا الموضوع لا ينسجم مع مبتنياتهم الفكرية، وأخلاقهم المنحطّة، وأوصافهم الرذيلة التى ترفع عنها حتّى بعض الحيوانات، فضلاً عن بنى البشر، وهذا المفهوم والموضوع هو الحجاب.

ما هو الحجاب؟

«كلُّ شىء منع شيئاً من شىء فقد حجبه حجباً» (١) و «الحجاب: الستر» (٢).

وأما اصطلاحاً: فهو أن تستر المرأة جميع بدنّها، وأما الوجه والكفان فيجب سترهما إذا كانت فى الوجه أو اليدين زينه، أو كان هناك ناظر ينظر إليها بلذّه أو ريبه، أو كان هناك خوف من الوقوع فى الفتنة.

الحجاب فى قديم الزمان

قالوا: إنّ عاده احتجاب النساء قديمه جدّاً، فكانت هذه العاده موجوده عند نساء اليونانيين القدماء، فكأنّ يحجبن وجوههنّ بطرف مآزرهنّ، أو بحجاب خاص كان يصنع فى بعض البلاد.

ص: ٢١٩

١- (٢) كتاب العين: ج ٣، ص ٨٦.

٢- (٣) الصحاح: ج ١، ص ١٠٧.

وقال لاروس في كتابه دائره المعارف: «كان نساء الرومان مغاليات في الحجاب، لدرجه أن القابله (الدايه) كانت لا تخرج من دارها إلا مخفوره ملثمه باعتناء زائد، وعليها رداء طويل يلامس الكعبين، وفوق ذلك عباءه لا تسمح برؤيه شكل قوامها»(١).

وأما العرب فهم من الأمم التي كانت عاده الحجاب متأصّله فيها من القدم، وهو الذي يتبادر إلى الذهن من أمّه كان من رجالها من يتلثمون. ولكن يظهر أنّ هناك من النساء الساقطات كنّ يسفرن للرجال ويتبرجنّ لهم، فنزلت بعض الآيات القرآنيه تحثّ على الحجاب، ومنها الآيتان اللتان افتتحنا بهما الحديث.

سبب نزول هذه الآيه

جاء في سبب نزول هذه الآيه المباركه روايه عن الإمام الباقر عليه السلام قال فيها: «استقبل شابّ من الأنصار امرأه بالمدينه، وكان النساء يتقننّ خلف آذانهنّ، فنظر إليها وهي مقبله، فلمّا جازت نظر إليها ودخل في زقاق قد سمّاه بنى فلان، فجعل ينظر خلفها، واعترض وجهه عظم في الحائط أو زجاجه فشقّ وجهه، فلمّا مضت المرأه فإذا الدماء تسيل على صدره وثوبه، فقال: والله لآتين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولأخبرنه قال: فأتاه فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له: ما هذا؟ فأخبره فهبط جبرئيل عليه السلام بهذه الآيه: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)» ٢.

لماذا الحجاب؟

أوجب الله تبارك وتعالى الحجاب على المرأه، كما أوجب غضّ النظر عليها وعلى الرجل على حدّ سواء، ولكن قد يسأل سائل: أنه لماذا الحجاب،

ص: ٢٢٠

١- (١) قرأته في مصدر ونقلته منه، ولم يحضرني الآن أي كتاب هو، وليست دائره المعارف بين يدي الآن.

أَوْ لَيْسَ هَذَا مَعْنَاهُ تَقْيِيدٌ لِلْمَرْأَةِ وَإِذْلَالٌ لَهَا؟

والجواب عن مثل هذه الأسئلة التي تطرح هنا وهناك هو: أن الله تبارك وتعالى لا يوجب شيئاً أو يحرمه إلا وفيه مصلحة شديده للإنسان فعلاً- أو تركاً، ومصلحة الحجاب للمرأة ملموسه وواضحه؛ فإنَّ المرأة في نظر الإسلام جوهره ثمينه، ونصف المجتمع الآخر، فالشارع يهتمُّ بها كثيراً، فأراد أن يحفظها من الأعين الخائنه، والقلوب المريضة، والأيدى الآثمه، كما يحافظ صاحب الكنز على كنزه، وذلك عن طريق الحجاب الإسلامي، الذي يحفظ هيبته ماء وجهها.

أمَّا المرأة التي لا- يهتمُّ بها الشارع ولا يعتمد عليها، فتلك المرأة السافره التي ينظر إليها الجميع، حالها حال الثوب المعروف في واجهه المحلات، فهي أشبه شيءٍ بالحجاره الي يدوسها الجميع، لا- أنها جوهره ثمينه، وكنز ثمين، كما هو الحال في المرأة المحجبه.

والملفت للنظر أنَّ الإنسان بطبيعته وفطرته السليمه لا- يميل إلى المرأة الباذله لنفسها والعارضه لها في الأسواق، وهذا الكلام ملموس ومحسوس حتى عند فسقه الناس، فتراهم اذا أرادوا الإقتران بامرأه، تقصوا البيوت الطاهره العفيفه، مع أنَّهم ليس لهم من العفّه شيء.

فإذن الهدف من الحجاب هو حمايه المرأة، وسدّ المنافذ أمام عمليه استغلالها، واستدارجها نحو السقوط في مستنقع الرذيله، وتحويلها إلى أداه لتميع المجتمع من حولها، وبالتالي تدميره، فبذهاب عفاف المرأة تدمر الأسره الإسلاميه، وتدمر الأسره يُدمر المجتمع وينهار، كما هو واضح في المجتمعات الأخرى.

فحوى الآيتين ومحتواهما

تقول الآيه الأولى: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) ، ومعناه التنقيص وتقليل النظر، فالآيه لم تأمر المؤمنين بأن يغمضوا عيونهم، وإنما أمرت بغضها.

ص: ٢٢١

وهذا التعبير الرائع جاء لينفى غلق العيون بشكل تام، بحيث لا يعرف الإنسان طريقه بمجرد مشاهدته امرأه ليست من محارمه، فالواجب عليه أن لا يدقق النظر فيها، بل أن يرمى ببصره إلى الأرض أو إلى جهه أخرى، وحينئذ يصدق عليه أنه غصّ من بصره.

ثمّ قالت الآية: (وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) ، وهذا هو الحكم الآخر الذى أشارت إليه الآية المباركه، والمقصود من الفرج العوره، وحفظه معناه تغطيته عن الأنظار، وقد جاء فى الروايه الشريفه عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «كَلَّ آيَهُ فِي الْقُرْآنِ فِي ذِكْرِ الْفُرُوجِ فَهِيَ مِنَ الزَّانَا، إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ، فَإِنَّهَا مِنَ النَّظْرِ» (١).

ثمّ تُحذّر الآية أولئك الذين ينظرون بشهوه إلى النساء، ويبررون عملهم هذا بأنه غير متعمد، تحذرهم بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) .

وتناولت الآية الثانيه شرح واجبات النساء فى هذا المجال، فأشارت أولاً إلى الواجبات التى تشترك فيها مع الرجال، فقالت: (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) .

وبهذا حرّم الله النظر بريبه على النساء أيضاً، مثلما حرّمه على الرجال وفرض تغطيه فروجهن عن أنظار الرجال والنساء، مثلما جعل ذلك واجباً على الرجال، ثمّ أشارت الآية إلى مسأله الحجاب فى قوله تعالى: (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) ، وقال بعض المفسّرين: أنّ المقصود بالمنع فى هذا المقطع هو المنع عن أدوات الزينه عندما تكون على الجسم، وبالطبع يكون الكشف عن هذه الزينه مرادفاً للكشف عن ذلك الجزء من الجسم (٢).

ص: ٢٢٢

---

١- (١) تفسير القمى: ج ٢، ص ١٠١. التفسير الأصفى: ج ٢، ص ٨٤٣. التفسير الصافى: ج ٣، ص ٤٢٩. بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ٣٣، ح ٥ عن تفسير القمى.

٢- (٢) انظر: تفسير الأمثل: ج ١١، ص ٧٧.

ولعل السبب يعود إلى أنه بالزينة تحصل الإثارة والإفتتان المحرّم، فالشارع قطع الفتنة من رأسها؛ وذلك عن طريق المنع من إظهار الزينه، وعلى هذا الأساس فلا يحق للنساء الكشف عن زينتهن المخفيه، وإن كانت لا تُظهر أجسامهن، أى لا يجوز لهنّ الكشف عن لباس يتزيّن به تحت اللباس العادى أو العباءه، بنصّ القرآن الذين نهاهن عن ذلك.

وذكرت الروايات التى رويت عن أهل البيت عليهم السلام هذا المعنى، فقد فسّروا الزينه المخفيه بالقلاده والدّمليج والخلخال والحلى التى تُشدّ أعلى الساعد.

وقد فسّرت أحاديث عديده أخرى الزينه الظاهره بالخاتم، والكحل وأمثاله، لهذا نفهم بأنّ المراد من الزينه المخفيه الزينه التى تحت الحجاب(١).

وثانى حكم ذكرته الآيه هو: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ) وكلمه (خُمر) جمع خمار، وهو الغطاء، إلاّ أنّه يستعمل فى الشىء الذى تستخدمه النساء لتغطيه الرأس، (والجيوب) جمع جيب، بمعنى ياقه القميص، وأحياناً يطلق على الجزء الذى يحيط بأعلى الياقه المجاوره لها(٢).

ويستنتج من هذه الآيه أن النساء كنّ قبل نزول الآيه يرمين أطراف الخمار على أكتافهن، أو خلف الرأس، بشكل يكشفنّ فيه عن الرقبه وجانباً من الصدر، فأمرهنّ القرآن برمى أطراف الخمار حول أعناقهن، أى: فوق ياقه القميص؛ ليسترنّ بذلك الرقبه والجزء المكشوف من الصدر.

ونحن نرى أنّ سيره أهل البيت عليهم السلام - رجالاً ونساءً - كانوا أوّل الناس عملاً بهذه الآيه المباركه.

فهذه الصديقه الشهيده فاطمه الزهراء عليها السلام كانت تفكّر حتى بنعشها، فعن أسماء بنت عميس أنّ فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت لها: «إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء

ص: ٢٢٣

١- (١) انظر: مستدرک الوسائل: ج ١٤، ص ٢٧٦، ح ٣.

٢- (٢) انظر: تفسير الأمتل: ج ١١، ص ٧٨.

أنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها لمن رأى»، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله، أنا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشه، قال: فدعت بجريده رطبه فحنتها، ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمه عليها السلام: «ما أحسن هذا وأجمله، لا تعرف به المرأة من الرجل» (١).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها عليهما السلام: «أى شىء خيرٌ للمرأة؟ قالت: أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجلٌ، فضمها إليه وقال: ذريه بعضها من بعض» (٢).

وهكذا كانت ابنتها الحوراء زينب عليها السلام، فيقول يحيى المازنى: «جاورت أمير المؤمنين عليه السلام فى المدينه المنوره مدّةً مديدةً، وبالقرب من البيت الذى تسكنه سيده زينب ابنته، فلا والله، ما رأيت لها شخصاً، ولا سمعت لها صوتاً، وكانت إذا أرادت الخروج لزياره جدها صلى الله عليه وآله وسلم تخرج ليلاً، الحسنُ عن يمينها والحسينُ عن شمالها، وأمير المؤمنين عليه السلام أمامها، فإذا قربت من القبر الشريف، سبقها أمير المؤمنين عليه السلام، فأحمد ضوء القناديل، فسأله الإمام الحسنُ عليه السلام مرّةً عن ذلك، فقال عليه السلام: أخشى أن ينظر أحدٌ إلى شخصٍ أختك زينب» (٣).

وروى «أن فاطمه الصغرى قالت: كنت واقفةً بباب الخيمه، وأنا أنظر إلى أبى وأصحابه مجزّين كالأضاحى على الرمال، والخيول على أجسادهم تجول، وأنا أفكر فيما يقع علينا بعد أبى من بنى أميّه، أيقتلوننا أو يأسروننا؟ فإذا برجل على ظهر جواده يسوق

ص: ٢٢٤

١- (١) ( ) كشف الغمّة: ج ٢، ص ١٢٦. ذخائر العقبى: ص ٥٣. أسد الغابه: ج ٥، ص ٥٢٤. سير أعلام النبلاء: ج ٢، ص ١٢٨ - ص ١٢٩. تاريخ الإسلام: ج ٣، ص ٤٨. السنن الكبرى: ج ٤، ص ٣٤. الدرّيه الطاهره: ص ١٥٣ - ص ١٥٤، ح ٢٠٥. الإستيعاب: ج ٤، ص ١٨٩٧. نصب الرايه: ج ٢، ص ٢٩٨. كنز العمال: ج ١٣، ص ٦٨٦، ح ٣٧٧٥٦. سبل الهدى والرشاد: ج ١١، ص ٤٩ - ص ٥٠. بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ١٨٩.

٢- (٢) مناقب آل أبى طالب: ج ٣، ص ١١٩. دعائم الإسلام: ج ٢، ص ٢١٥، ح ٧٩٣. مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ج ٢، ص ٢١٠ - ص ٢١١، ح ٦٨٠. التحفه السنيه (مخطوط): ص ٢١٨. بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٨٤. مجمع الزوائد: ج ٤، ص ٢٥٥. كنز العمال: ج ١٦، ص ٦٠١، ح ٤٦٠١١، ومواضع أخرى، سبل الهدى والرشاد: ج ١١، ص ٤٥.

٣- (٣) العقيله والفواطم: ص ١٧ - ص ١٨. وفيات الأئمّه: ص ٤٣٥ - ص ٤٣٦.

النساء بكعب رمحه، وهن يلذن بعضهن ببعض، وقد أخذ ما عليهن من أخمره وأسوره، وهن يصحن: وا جداه، وا أبتاه وا عليّاه، وا قلة ناصراه، وا حسناه، أما من مجيرٍ يُجيرنا؟ أما من ذائدٍ يذودُ عنّا؟

قالت: فطار فؤادى وارتعدت فرائصى، فجعلت أجيل بطرفى يميناً وشمالاً على عمّتى أم كلثوم خشيةً منه أن يأتينى. فبينا أنا على هذه الحالة وإذا به قد قصدنى ففررت منهزمه، وأنا أظنُّ أنّى أسلم منه، وإذا به قد تبعنى، فذهلت خشيةً منه، وإذا بكعب الرمح بين كتفى، فسقطت على وجهى، فخرم أذنى وأخذ قرطى ومقنعتى، وترك الدماء تسيل على خدى ورأسى تصهره الشمس، وولى راجعاً إلى الخيم، وأنا مغشىّ علىّ، وإذا أنا بعمتى عندى تبكى وهى تقول: قومى نمضى ما أعلم ما جرى على البنات وأخيك العليل، فقمى وقلت: يا عمّتاه هل من خرقة أستر بها رأسى عن أعين النظّار؟ فقالت: يا بنتاه وعمتك مثلك فرأيتُ رأسها مكشوفهً، ومنتها قد اسودّ من الضرب، فما رجعنا إلى الخيمه إلا وهى قد نُهبَت وما فيها، وأخى علىّ بن الحسين مكبوبٌ على وجهه، لا يطيق الجلوس من كثرة الجوع والعطش والأسقام، فجعلنا نبكى عليه ويبكى علينا»(١).

ولم يكتفوا بذلك حتى اركبوهنّ على تلك النياق الهزل، يتصفّح وجوههنّ القريبّ والبعيد.

وزادت البنتُ على أمّها من دارها تُهدى إلى شرّ دارٍ

\*\*\*

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مَحْمَدِ أَيِّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبه للمتّقين.

ص: ٢٢٥









قال تعالى: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ \* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ \* تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَ الرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ \* سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) ١ .

محتوى السوره ونزولها

محتوى السوره كما هو واضح من اسمها بيان نزول القرآن فى ليله القدر، وبيان أهميه هذه الليله وبركاتها.

واختلف المفسرون فى كونها مكيه أو مدنيه، فذهب المشهور إلى أنّها مكيه، واحتمل البعض أنّها مدنيه؛ مستشهداً بما روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه رأى فى منامه (بنى أميه) ينزون على منبره صلى الله عليه وآله وسلم، فشقّ عليه ذلك وآلمه، فنزلت سوره القدر تسلياً له صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هنا قيل: «أنّ المقصود بالألف شهر فى هذه السوره المباركه هو الإشاره إلى مدّه حكم بنى أميه التى تجاوزت ثمانين سنه، ومن المعلوم أنّ الألف شهر هى ثلاث وثمانون سنه وبعض الأشهر والأيام» (١).

ويكفى فى فضل هذه السوره المباركه، ما روى عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من أنّه قال: «مَنْ قرأها أُعطيَ من الأجرِ كَمَنْ صامَ رمضانَ وأحيا ليلةَ القدرِ» (٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «مَنْ قرأ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، يجهر بها صوته كان كالشاهر سيفه فى سبيل الله، ومَنْ قرأها سرّاً كان كالمتشطح بدمه فى سبيل الله» (٣).

ص: ٢٢٩

- 
- ١- (٢) تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٦٢٢، ح ٤٤. بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٧٠، ح ٥٩.
  - ٢- (٣) (٢) تفسير جوامع الجامع: ج ٣، ص ٨١٧. تفسير البيضاوى: ج ٥، ص ٥١٤. تفسير أبى السعود: ج ٩، ص ١٨٣. الكشاف: ج ٤، ص ٢٧٣. تخريج الأحاديث والآثار: ج ٤، ص ٢٥٣.
  - ٣- (٤) الكافى: ج ٢، ص ٦٢١، ح ٦. وسائل الشيعه: ج ٦، ص ٢٠٩، ح ١. أعلام الدين فى صفات المؤمنين: ص ٣٨٣.

ومن المعلوم أنّ كلّ الفضل ليس هو نصيب القارئ لها من دون أن يدرك حقيقتها، بل المقصود هو قراءتها وإدراك معانيها، والعمل بها كما هو معلوم من هكذا روايات شريفه.

ليه القدر ليله نزول القرآن

يُستفاد من آيات الذكر الحكيم أنّ القرآن نزل في شهر رمضان (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) ١ ، وظاهر الآية أنّ كلّ القرآن نزل في هذا الشهر.

والآية الأولى من سورة القدر تقول: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) ، وأنت تلاحظ أنّ (القرآن) لم يُذكر هنا صريحاً، ولكن الضمير في (أنزلناه) يعود إلى (القرآن) قطعاً، وذكروا في محله أنّ الإبهام هنا لبيان عظمه القرآن (١) ، ويؤيد هذا المعنى أنّ البارى عزّ وجلّ نسب نزول القرآن إليه، فقال عزّ وجلّ: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ) .

وبالتدبّر في سورة القدر، والآية المتقدّمة من سورة البقره، وهى قوله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) نستنتج هذه الحقيقه، وهى: (أنّ ليله القدر هى إحدى ليالى شهر رمضان جزماً)؛ لأنّ هذه الحقيقه هى مقتضى الجمع بين الآيه المذكوره والسوره المباركه، إلاّ أنّه يبقى هناك سؤال، وهو أى ليال شهر رمضان هى؟ وهذا ما سنذكره فى آخر البحث إن شاء الله تعالى.

ثمّ إنّ من المعلوم أنّ القرآن نزل على النبىّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم تدريجياً، وتمّ خلال ثلاث وعشرين سنه، فكيف نوفّق بين هذه الحقيقه، والحقيقه التى انتهينا إليها من أنّ نزول القرآن كان فى إحدى ليال شهر رمضان؟!

والجواب الذى يذكره أهل التحقيق فى المقام هو: أنّ هناك نزولين للقرآن:

ص: ٢٣٠

الأول: يُسمّى بالنزول الدفعي، وهو نزول القرآن بأجمعه على قلب النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، أو على البيت المعمور، أو من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا.

والثاني: النزول التدريجي، وهو ما تمّ خلال (٢٣) سنة من عصر النبوه.

ومن هنا يُحمل النزول المراد بالسوره على النزول الأول لا الثاني (١).

ثم إنّ الآية الرابعه من هذه السوره المباركه ذكرت أنّ الملائكه والروح تنزل في ليله القدر، والسؤال الذى يتبادر الى الذهن هو:

ما هو الروح؟ وما الذى تنزل به الملائكه والروح؟

أمّا الروح فقد ورد في بعض الروايات أنّ المقصود منه خلق أعظم من الملائكه، فقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه سئل عن الروح، وهل هو جبرائيل؟

فقال عليه السلام «جبرئيل من الملائكه والروح أعظم من الملائكه، أليس أنّ الله عزّ وجلّ يقول: (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ)» ٢ .

وأمّا الذى تنزل به الملائكه، فهو ما ذكرته هذه الآية في آخرها، حيث قالت: (مِنْ كُلِّ أُمَّرٍ) ، أى: لكلّ تقدير وتعيين للمصائر، ولكلّ خير وبركه، فالهدف من نزول الملائكه في هذه الليله إذن هو لهذه الأمور.

أو بمعنى كلّ خير وتقدير، فالملائكه تنزل في ليله القدر ومعها كلّ هذه الأمور، وهى الليله التى تعين فيها مقدّرات العباد لسنه كامله، والشاهد على ذلك قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلِهِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ \* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) ٣ .

ص: ٢٣١

ومن الأمور المهمّة التي نزل بها جبرائيل عليه السلام الولايه، فعن أبي عبد الله عليه السلام، أنّه قال: «نزل جبرائيل في ثلاثين ألفاً من الملائكة ليلة القدر بولايه عليّ عليه السلام، وولايه الأوصياء من ولده صلوات الله عليهم أجمعين» (١).

بقي علينا أن نتعرّض إلى ما وعدنا به، وهو أي ليلة من ليالي شهر رمضان هي ليلة القدر؟

لماذا خفيت ليلة القدر؟

الاعتقاد السائد أنّ إخفاء ليلة القدر بين ليالي السنه، أو بين ليالي شهر رمضان المبارك، يعود إلى توجيه الناس إلى الاهتمام بجميع هذه الليالي، مثلما أخفى رضاه بين أنواع الطاعات؛ كي يتّجه الناس إلى جميع الطاعات، وأخفى غضبه بين المعاصي؛ كي يتجنّبها العباد جميعها، وأخفى أحباءه بين الناس؛ كي يحترم كلّ الناس، وأخفى الإجابة بين الأدعيه؛ لتقرأ كلّ الأدعيه، وأخفى الاسم الأعظم بين أسمائه؛ كي تعظّم كلّ أسمائه، وأخفى وقت الموت؛ كي يكون الناس دائماً على استعداد (٢).

ثم إنّ الملفت للنظر أنّ الآيه تقول: (تنزل)، وفعل تنزل مضارع دالّ على الاستمراريه، فهذا التنزل من قبل الله بالملائكة والروح، لا بدّ أن يكون على ذاتٍ فيها القابليه لتحمل هذا التقدير الذي تنزل به الملائكة والروح، وهذا عامٌّ وفي كلّ زمان، ففي زمان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كانت هذه الملائكة مع الروح تنزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم، وهكذا هو الحال في زمن الأئمّه عليهم السلام، إلى الزمان الذي نعيشه - وهو زمان الغيبه - فالملائكة والروح تنزل على إمامنا المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف. كما أكّدت ذلك الروايات الشريفه (٣).

ص: ٢٣٢

١- (١) شرح الأخبار: ج ١، ص ٢٤٢، ح ٢٦٣.

٢- (٢) تفسير الأمثل: ج ٢٠، ص ٣٥٠.

٣- (٣) انظر: تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤٣١. التفسير الصافي: ج ٢، ص ١٤٦٣.

وأما المعروف المشهور من تعيين ليله القدر في العشر الأخيره من شهر رمضان، فقد دلت عليه جملة من الروايات، وأكدت بعضها على أنها في الليالي الفرد من هذه العشر.

فقد سئل المعصوم عليه السلام عن ليله القدر، هل هي الليله الواحده والعشرون أم الثالثه والعشرون، فلم يعين، بل قال: «ما أيسر ليلتين فيما تطلب»<sup>(١)</sup>، أو قال: «ما عليك أن تفعل خيراً في ليلتين»<sup>(٢)</sup>.

والذى عليه علماؤنا في الماضى والحاضر، أن ليله القدر هي في العشر الأخيره من شهر رمضان المبارك، وأنها في الليالي الفرد منه، والأكثر منهم خصّ بها في الليله التاسعه عشره؛ باعتبارها أول ليله فرد من العشره الأخيره، والواحد والعشرين والثالثه والعشرين، ورجحوا الليله الثالثه والعشرين على جميع الليالي، حتى أن بعضاً من العلماء يكتفى بإحيائها على الباقيتين - التاسعه عشره والواحد والعشرون - والبعض منهم يحتاط في جميع الليالي الفرد الأخيره، والبعض الآخر يحتاط في ست ليالي؛ لاختلاف رؤيه الهلال أحياناً، فتكون ليله فرد عند بعض العلماء هي زوج عند آخر، والكل حسن.

والمروى عن سيره النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يطوى الفراش في العشر الأواخر من شهر رمضان، ويعتزل النساء، ويعتكف صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد<sup>(٣)</sup>.

ص: ٢٣٣

- ١- (١) الكافي: ج ٤، ص ١٥٦، ح ٢. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٥٩، ح ٢٠٢٩. تهذيب الأحكام: ج ٣، ص ٥٨، ح ٤. أمالى الشيخ الطوسى: ص ٦٩٠، ح ١٠. تفسير جوامع الجامع: ج ٣، ص ٨١٩. تفسير مجمع البيان: ج ١٠، ص ٤٠٧. تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٦٢٥، ح ٥٨. وسائل الشيعه: ج ١٠، ص ٣٥٤ - ٣٥٥، ح ٣. بحار الأنوار: ج ٩٤، ص ٢، ح ٤ عن الأمالى.
- ٢- (٢) تهذيب الأحكام: ج ٣، ص ٥٨، ح ٣. أمالى الشيخ الطوسى: ص ٦٨٩، ح ٩. رياض السالكين: ج ٦، ص ٣٧. وسائل الشيعه: ج ١٠، ص ٣٥٩، ح ١٤. بحار الأنوار: ج ٩٤، ص ٤، ضمن ح ٤ عن الأمالى.
- ٣- (٣) (١) انظر: دعائم الإسلام: ج ١، ص ٢٨٢. بحار الأنوار: ج ٧، ص ٤٧٠، ح ١٥.

ليله الجهنى هى الليله الثالثه والعشرون من شهر رمضان، وسميت بهذا الاسم لأجل القصه التى حدثت مع الرجل الذى اسمه عبد الله من قبيله (جهينه).

وخلصه القصه: أنّ هذا الرجل كان صحابياً للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وداره بعيده عن المدينة، فأراد من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأمره بليله يأتى فيها، فأسر له النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتى ليله الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك.

فتتبع الأصحاب هذا الصحابى فى كل سنه، فوجدوه لا يأتى فى الليالى العشره الأخيره إلا فى الليله الثالثه والعشرين من شهر رمضان المبارك، فسميت هذه الليله بليله الجهنى (١)، ومن هنا اعتبرها البعض من العلماء أفضل من الليله التاسعه عشره والحاديه والعشرين (٢).

وأما هذه الليله ففيها فقد أمير المؤمنين، وإمام المتقين عليه السلام، وا حزناه عليك سيدى، آه آه:

يومين إله المحراب خالى بويه اشكر وحشه الليالى

تفت الصخر وت الوالى عسه لا كرب يومك يغالى (٣)

\*\*\*

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ أئى مُنقلبٍ ينقلبون

والعاقبه للمتقين.

ص: ٢٣٤

١- (١) انظر: مفاتيح الجنان: ص ٢٨٧.

٢- (٢) انظر: مفاتيح الجنان: ص ٢٨٧.

٣- (٣) (١) مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج ٤، ص ١٤٢.







روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «عليكم بالقرآن فإنه شافعٌ مُشَفِّعٌ، وماحلٌ مُصَدِّقٌ، ومَن جعله أمامه قاده إلى الجنَّة، ومَن جعله خلفه ساقه إلى النار..» (١).

لم يكن ثمَّة كتابٌ عندنا - نحن المسلمين - أصدق من كتاب الله تبارك وتعالى، ولم نعرف على وجه البسيطة ولا تحت أفق السماء أصدق مضموناً ولفظاً منه؛ لأنه من الله عزَّ وجلَّ وحسب.

وهذا الكتاب السَّمَاوِي العَظِيم - والَّذِي مرَّ بفتراتٍ ظلمٍ متعمِّده وغير متعمِّده - قد رسم لنا خطوط دستوره العَظِيم ولوائح أسسه العَالِيه، بشتَّى الأساليب والطرق، فهو تارةً ينذر، وأخرى يبشِّر، وثالثه يرشد، ورابعه يدعو، وهكذا... وقد ذكر لنا ذلك عندما بيَّن لنا مهمَّة الرسول الأعظم | حيث يقول عزَّ وجلَّ: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) ٢.

وهو اليوم كما كان بالأمس لازال غَضًّا طريًّا، ولا زالت ألحانه تفوح من شفتي رسول الله |، ولا زال السقاؤون يقفون؛ ليسمعوا تراتيل الإمام زين العابدين عليه السلام، وهو يتلو آياته (٢).

وهو ذات القرآن، الَّذِي كان كِتَابَ الأَوْلِيَاء والأَوْصِيَاء، بل وحتى الأَصْفِيَاء يجلسون فيذكرون غوامض أسرارهِ، ومكنون علمهِ المخزون، ومعجزه، وأشياء أُخرى، ممَّا حيرت العقول، وأذهلت الألباب.

لا شكَّ ولا شُبُهَةَ في أنَّ القرآن الكريم هو الدستور الشامل الكامل لبني البشر، الذي

ص: ٢٣٧

١- (١) الكافي: ج ٢، ص ٥٩٩ ضمن الحديث الثاني.

٢- (٣) انظر: الكافي: ج ٢، ص ٦١٦، ح ١١.

فيه سعادتهم وفوزهم في الدنيا والآخرة، ولكن - ومع الأسف الشديد - نرى هذا القرآن العظيم وكلمات الله تبارك وتعالى ما هي إلا إعلانات في أبواب المهوسين، يستعملونه في أغراضهم فيأخذون منه ما ينفعهم، ويتركون ما ينههم عن الفحشاء والمنكر والبغى، مع أن المطلوب من جميع الناس هو التمسك به لا تلاوته فحسب، بل العمل بما جاء به القرآن، وتطبيق أوامره ونواهيه، فهذه هي الغاية القصوى والمهمّة العظمى، الموتخاه من هكذا كتاب كريم، جاء به نبيّ عظيم من ربّ العزه والجلاله، وبذل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من أجله الغالى والنفيس، فليس من المعقول جداً أن يكون كلُّ هذا لأجل تلاوته فقط، أو لنيل البركه من خلال وضعه فوق الرفوف والمحافظه عليه، وإن كان ذلك فعلاً حسناً، ولكن الغايه تلاوته والتدبر في معانيه، واللذان هما مقدّمه للعمل بأحكامه وآدابه، من أوامر ونواهي.

ومن بعد هذه المقدّمه، نأتى إلى كلمه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيها: «عليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، وماحل مصدق»، يشير الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الجملة إلى السبب الداعى إلى الاهتمام بالقرآن الكريم، والاهتداء بهديه، والاستناره بنوره، ولم يأمرنا بالتمسك به، ويعلل ذلك بأنّ القرآن شافع ومشفع.

أما الأول - أعنى الشافع - فهو من يقف يوم القيامة، في موقف من مواقفها، ويتوسط لمن تمسك به في الحياه الدنيا، بأن يصفح عنه ويعفو عن زلاته وسقطاته، وهذا تاره يكون قرآناً وأخرى إنساناً، فالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يقول: القرآن هو واحد من الشفعاء الذين يشفعون لكم، فعليكم بالتمسك به، وهو ليس شافعاً، يحتمل فيه الردّ والقبول، بل شافع مقبول الشفاعة.

فنحن نرى في حياتنا اليوميه الكثير من الناس من يجعلوا لهم شفعاء في إسقاط دين، أو جمع بين زوجين أو غيرهما من الأمور، ولكن لا تقبل شفاعته ولا يعتنى به أصلاً.

أما القرآن الكريم فلا يخيب من يعتنى به ويعتمد عليه، فشفاعته لأصحابه مقبولة بالجزم واليقين، وكيف يخيب من يجعل كتاب الله تبارك وتعالى هديه ومقتداه؟! وقد قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً».

وهل يحتمل العاقل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لا يضل من تمسك بالقرآن والعتره عليهم السلام، ومع هذا يضل، فإنه مستحيل قطعاً.

ثم يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «وما حلُّ مُصدِّق» وهذه العبارة على عكس الأولى تماماً، فالأولى: أن الذي يتمسك بالقرآن وهديه سوف يكون القرآن له شافعاً مقبول الشفاعة، أما في هذه الجملة فيريد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول: والذي لا يعمل بما جاء به القرآن، ولم يتبع هديه فإن القرآن سوف يسعى إلى الله تبارك وتعالى ويبتشكواه إليه تباركت أسماؤه، فكذاك تُقبل منه هذه الشكوى، كما هو الحال في قبول شفاعته.

وحينئذ سوف يكون القرآن لمن أتبعه، وعمل وفق أوامره ونواهيه شافعاً، ولمن هجره وخالفه ساعياً إلى شكايته لله تبارك وتعالى، والله يقبل من القرآن الشفاعة والمحل، وفي حديث: «من محل به القرآن يوم القيامة صدق» (١)، فعلى الإنسان التمسك بالقرآن ما دام الحال هكذا، وأن فضل القرآن لا يعد ولا يحصى، وهو يسمع ما يقوله الباري عز وجل مخاطباً إياه: «وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني، لأكرم من اليوم من أكرمك ولأهين من أهانك» (٢)، فأى فضل بعد هذا الفضل، وأى منزله بعد هذه المنزله؟!

ويكمل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حديثه الشريف في الدواعي التي دعت إلى أمره الناس بالتمسك بالقرآن، فيقول: «ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى

ص: ٢٣٩

١- (١) لم أعثر عليه في غير مجمع البحرين: ج ٤، ص ١٧٦.

٢- (٢) الكافي: ج ٢، ص ٦٠٢، ح ١٤. وسائل الشيعة: ج ٦، ص ١٦٩، ح ١.

وهذه هي الحقيقة؛ لأنّ الذي يجعل القرآن قائده وأسوته ويتبعه فسوف لا يثقل عليه ما أمر به الباري عزّ وجلّ أو نهى عنه، فيأتي بما أمر به القرآن وينتهي عما نهى عنه، وبالتدبر فيه نرى ما أمر به فنعمل به، وما نهى عنه فننتهي عنه، وهذا فرع تلاوته والتبصير في معانيه.

فمثلاً قال تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (١)، لا بدّ أن تكون هذه حقيقة راسخه في عقولنا وقلوبنا، ومختلطه بلحومنا ودمائنا، فإنّ الله تبارك وتعالى يريد منا أن تكون عبادتنا له وحده والاستعانة به عزّ وجلّ كذلك، ونحن نقرأ هذه الآية كلّ يوم في صلواتنا من الغداة وحتى العشي، ولكن الكثير منا لم يطبّق هذا المعنى، وهكذا يقول عزّ وجلّ: (وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ) ٢، ويقول أيضاً (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) ٣، إلى غير ذلك من الآيات الأمره، فيأتي بما أمرت، ويتدبر في الآيات الناهية فينتهي عنها.

فمثلاً يقرأ قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعِيدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا) ٤، فينتهي عما نهت عنه هذه الآيات الشريفة، فينتهي عن السخرية بالآخرين، وعن التنابز بالألقاب، وعن الظنّ غير الحسن، وعن التجسس، وعن الغيبة، وكثير من هذه الصفات الذميمة التي نهى عنها القرآن

ص: ٢٤٠

الكريم، فإذا جعل الإنسان القرآن أمامه واهتدى بهديه، فلا شك ولا ريب سوف يكون قائداً له إلى الجنة، وذلك هو الفوز العظيم.

وأما إذا جعله خلفه فسوف يسوقه إلى النار.

وهناك عدّة مظاهر لجعل القرآن وراء الظهر، منها: عدم التصديق بما وعد به، ومخالفه أو امره، وارتكاب نواهي، والأخذ بالمتشابه منه وترك المحكم، والحكم بخلاف ما جاء به، وتفسيره بالرأى، وعدم الإنصات له، وعدم السؤال لأهل الذكر عند عدم العلم، فالله تبارك وتعالى نهى عن جميع ذلك بنص القرآن الكريم.

قال تعالى: (وَ إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) ١ ، وقال عزّ من قائل: (وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) ٢ ، وفي آية أخرى: (وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ٣ ، وفي ثالثة: (وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) ٤ ، وقال تعالى: (فَسِئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ٥ ، وأهل الذكر هم أهل القرآن الذى نزل فى بيوتهم، وهم أدرى به من غيرهم، وهؤلاء هم محمّد وآل محمّد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين؛ لأنّ الله تبارك وتعالى سمى القرآن ذكراً، حيث قال عزّ وجلّ: (وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) وقال تبارك وتعالى أيضاً: (وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ) ٦ ، فالذكر هو القرآن، وأهله هم أهل البيت عليهم السلام، فعن زواره عن أبى جعفر عليه السلام

فى قوله: (فَسَيَلُّوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) مَنْ المعنون بذلك؟ فقال: «نحن والله»، فقلت: فأنتم المسؤولون؟ قال: «نعم» قلت: ونحن السائلون؟ قال: «نعم» قلت: فعلينا أن نسألكم؟ قال: «نعم» قلت: وعليكم أن تجيبونا؟ قال: «لا، ذلك إلينا إن شئنا فعلنا، وإن شئنا تركنا، ثم قال: (هذا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (١).

ولكنَّ القوم جهلوا القرآن وأحكامه، ومع ذلك لم يسألوا أهل الذكر، بل وجعلوا القرآن خلفهم حتى ساقهم إلى النار، نار الدنيا ونار الآخرة، أما نار الدنيا فيما ابتلاهم الله تبارك وتعالى من صنوف البلايا، وأما نار الآخرة فهي التى أعدّها لهم جبار السموات والأرضين..

وياليتهم اكنفوا بجهلهم، وعدم سؤالهم لأهل الذكر فحسب، بل الأمر تعدّى ذلك، ووصل الأمر بهم إلى مخالفه كلامهم والردّ عليهم، ووصفهم تارةً بالهجر، وأخرى بالقول من عند أنفسهم، بل الأمر تعدّى ذلك أيضاً، فقد وصل الحال بالقوم إلى تقتيلهم وتشريدهم، بل وإحراق بيوت أهل الذكر، ووصفها بيوت الظالمين، وهى بيوت المظلومين المقهورين، وسبى نساء هذه البيوت وسوقها من دار إلى شرّ دار.

ما ذنب أهل البيت حتى منهممُ أخلوا ربوعه

تركوهم شتى مصارعهم وأجمعها فضيعه

فمغيب كالبدر ترتقب الورى شوقاً طلوعه

ومكابد للسم قد سقيت حشاشته نقيعه

ومضرب بالسيف آثر عزّه وأبى خضوعه

ألفى بمشرعه الردى فخراً على ظماً شروعه

فقضى كما اشتهدت الحميه تشكر الهيجا صنيعه

ص: ٢٤٢

١- (١) تفسير القمى: ج ٢، ص ٦٨، عنه بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ١٧٤، ح ٣.



ومصنّفٌ لله سلّم أمر ما قاسى جميعه  
فلقصره لم تلقَ لولا الله كفاً مستطيعه  
وسبيّه باتت بأفعى الهَمِّ مهجتها لسيعه  
سُلبت وما سُلبت محا مد عزّها الغرّ البديعه  
فلتغد أخيه الخدور تطيح أعمدها الرفيعه  
ولتبد حاسره عن الوجه الشريفه كالوضيعه  
فأرى كريمه من يوارى الخدر آمنه منيعه  
وكرائم التنزيل بين أميّه برزت مروعه  
تدعو ومن تدعو وتلك كفاه دعوتها صريعه  
واها عرائين العلى عادت أنوفكم جديعه  
ما هزّ أضلعكم حذاء القوم بالعيس الضليعه  
حملت ودائعكم إلى من ليس يعرف ما الوديعه(١)

\*\*\*

إنّا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ أَيُّ مُنْقَلَبٍ ينقلبون

والعاقبه للمتقين.

ص: ٢٤٣

---

١- (١) الأبيات من قصيده رائعه للشاعر الكبير المرحوم السيد حيدر الحلّي رحمه الله، ديوان السيد حيدر الحلّي: ج ١، ص ٣٧.







قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر رحمه الله: «يا أبا ذر، مَنْ لم يأتِ يومَ القيامةِ بثلاثٍ فقد خسر، قلتُ: وما الثلاثُ فداك أبي وأمي؟ قال: ورعٌ يحجزه عما حرم الله عزَّ وجلَّ عليه، وحلمٌ يردُّ به جهلَ السفيه، وخُلُقٌ يدارى به الناسُ» (١).

هذا مقطع من الوصية المعروفة التي أوصى بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الصحابي الجليل أبا ذر رحمه الله.

يذكر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في هذا المقطع ثلاث أشياء، إذا لم يأتِ الإنسان بها يوم القيامة فهو من الخاسرين، والأشياء الثلاث هي: الورع والحلم والخُلُق الذي يدارى به الناس، وستعرض لهذه الأشياء الثلاثة تباعاً، إن شاء الله تعالى.

ما هو الورع؟

الورع في الأصل - كما ذكره أهل اللغة - هو الكف عن المحارم والتحرّج منها (٢)، وفي الحديث: «قال الله عزَّ وجلَّ: ابن آدم اجتنب ما حرمت عليك، تكن من أروع الناس» (٣)، وفي آخر «صونوا دينكم بالورع» (٤)، وفي حديث ثالث: «ملاك الدين الورع» (٥).

ص: ٢٤٧

١- (١) (١) مكارم الأخلاق: ص ٤٦٨، أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ١٩٩، بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٨٧ ضمن حديث ٤ عن مكارم الأخلاق.

٢- (٢) (٢) انظر: كتاب العين: ج ٢، ص ٢٤٢. الصحاح: ج ٣، ص ١٢٩٧.

٣- (٣) (٣) الكافي: ج ٢، ص ٧٧، ح ٧. تحف العقول: ص ٢٩٦. مشكاة الأنوار: ص ٩٤. الجواهر السننية: ص ٣٢٦. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٢٤٥، ح ٩.

٤- (٤) ثواب الأعمال: ص ٢٤٦، عنه بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٣٧١، ح ١٥.

٥- (٥) عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٨٦. تحف العقول: ص ٥١٣. مكارم الأخلاق: ص ٤٦٨. النهاية في غريب الحديث: ج ٤، ص ٣٥٨، عنه بحار الأنوار: ج ٦٥، ص ٣٧٩. مغنى المحتاج: ج ١، ص ٢٤٣. مسند الشهاب: ج ١، ص ٥٩. كنز العمال: ج ٣، ص ٤٣٠، ح ٧٣٠٠.

وقد فُزق بعضُ الأعلام بين التقوى والورع بأنَّ التقوى هي ترك المحرّمات، والورع ترك الشبهات، بل بعضُ المُباحات(١).

أقسام الورع:

وقسم البعضُ الورع إلى أقسام:

الأول: ما يخرج المكلف عن الفسق، وهو الموجب لقبول الشهاده، ويُسمّى ورع التائبين.

الثاني: ما يُخرج به عن الشبهات، فإنَّ من حامٍ حول الحمى يوشك أن يدخل فيه، ويسمّى ورع الصالحين.

الثالث: ترك الحلال الذي يتخوّف إنجراره إلى المحرّم، ويُسمّى ورع المتّقين، مثل ترك الكلام عن الغير مخافه الوقوع في الغيبه.

الرابع: الإعراض عن غير الله؛ خوفاً من ضياع ساعه من العمر فيما لا فائده فيه، ويسمّى ورع الصّديقين(٢).

فهذه أقسام أربعه كُلُّها يُطلق عليها لفظ الورع، ولكنها تختلف باختلاف درجات المتورّعين، فمثلاً: تجد البعض من الناس ليس له إلاّ القسم الأول، وهو أقلّ مراتبه وبه يخرج صاحبه من الفسق إلى العداله، وهو في غايه الأهميه، بل لعلّ ما ذكر في الوصيه ينطبق عليه كما هو الظاهر جدّاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ورعٌ يحجزه عمّا حرّم الله عزّ وجلّ عليه».

وهناك من الناس من بلغ رتبه عاليه في الورع، فتمسّك بالقسم الأعلى منه؛ حتّى لا ينجر إلى ما فيه الحرام، فيترك كلّ ما فيه غير الله تبارك وتعالى، أو كلّ شبهه، وقد ضرب جمعٌ من علماءنا أروع الأمثله في ذلك.

ص: ٢٤٨

١- (١) انظر: بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٢٩٦ - ص ٢٩٧.

٢- (٢) انظر: مجمع البحرين: ج ٤، ص ٤٩٠.

ومن ذلك ما حُكي من أن والد المقدّس الأردبيلي كان ذات يوم في شبابه يمشى قرب نهرٍ، فرأى تُفاحهً فيه، فأخذها وأكلها، ثمّ بعد ذلك ندم على فعلته هذه ندماً شديداً، وقال في نفسه: كيف أكلتها فلعلّها سقطت من البستان الذي على ضفتي هذا النهر، فاتبعت النهر، فإذا الأمر كما ظنّ، فإذا به يرى بُستاناً يطلّ على النهر المذكور، فهرع إلى صاحب البستان وقصّ عليه القصّة كاملةً وطلب منه براءة ذمته والصفح عنه.

فقال له صاحب البستان: لا أصفح عنك أبداً، ولا أبرأ ذمتك.

قال والد المقدّس: أعطيك أضعافها، قال صاحب البستان: لا أريد مهما أعطيتني، إلّا أن تتزوَّج ابنتي، وهي مفلوجه وعمياء وخرساء وصمّاء!.

فتعجّب والد المقدّس من كلام هذا الرجل، ولكنّه رأى أنّه لا فائده في الكلام معه، إلّا الإذعان لما أراه.

فقبل والد المقدّس بذلك، وعندما دخل عليها، وجدها خاليةً ممّا ذكره أبوها!! وعندها تعجّب والد المقدّس كثيراً، وممّا زاد تعجبه أنّه وجدها وكأنّها فلقه قمر.

قال والد المقدّس: إنك ذكرت أنّها مفلوجه وعمياء وخرساء وصمّاء، إلّا أنّ الأمر ليس كذلك، فهي خالية ممّا ذكرت، فما هو السرّ في الأمر؟

قال أبوها: نعم، إنّما هي مفلوجه؛ لأنّها ما خرجت من البيت، وقلت: إنّها عمياء؛ لأنّها لم تنظر إلى رجلٍ أجنبيّ قطّ، وخرساء؛ لأنّها لم تتكلم مع أي رجلٍ أجنبيّ، وصمّاء؛ لأنّها لم تسمع الغيبه.

فتزوَّجها والد المقدّس، المولى محمّد الأردبيلي، فانجبت له ولده العظيم المولى أحمد الأردبيلي، المشتهر بالمقدّس الأردبيلي، وكيف لا يكون مقدّساً من كان هذا أبوه وهذه أمّه (١). وهناك حكايات كثيرة في ورع ثلّه من أولياء الله، تركناها للاختصار.

ص: ٢٤٩

---

١- (١) سمعتها من أحد أساتذتي في الدرس، وهي مشهوره عن المقدّس الاردبيلي رحمه الله.

ما هو الحلم؟

الحلم هو ضبط النفس عند هيجان الغضب (١)، فالحلم يكسر شوكة الغضب، وفيه دلالة على كمال العقل وقوة الإرادة في السيطرة على النفس الأمّارة بالسوء، وهو من صفات الأنبياء والأئمة الأطهار عليهم السلام، والحلم يُزيّن صاحبه حتى يصبح محبوباً بين الجميع، ولا يُعرف الحلم إلا عند الغضب، كما روى ذلك عن إمامنا الصادق عليه السلام (٢).

وقال الشاعر:

مَنْ يَدْعَى الْحَلْمَ أَغْضِبَهُ لَتَعْرِفَهُ لَا يُعْرِفُ الْحَلْمُ إِلَّا سَاعَةَ الْغَضَبِ (٣)

فيغفو الإنسان مع قدرته على العقوبة، ويكون الحلم ذا قيمة عالية عندما يكون الإنسان عزيزاً قيّماً، أو صادقاً فيّتهم، أو يُسهّراً به حين يدعو إلى الحقّ، أو يؤذّي بلا جرم، أو يطالب بالحقّ فيخالفه الناس.

حثّ الروايات الشريفه على التحلى بالحلم

وقد حثّت الروايات الشريفه على التحلى بالحلم حثّاً بليغاً، فعن الإمام الرضا عليه السلام، قال: «لا يكون الرجلَ عابداً حتى يكون حليماً» (٤).

بل إنّ بعض الروايات أمرت بالتحلم - أى التشبه بأهل الحلم - وما ذاك إلا لأهميته، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إنّ لم تكن حليماً فتحلم؛ فإنّه قلّ من تشبه بقوم إلاّ

ص: ٢٥٠

١- (١) انظر: مفردات غريب القرآن: ص ١٢٩.

٢- (٢) انظر: تحف العقول: ص ٣١٦. بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٢٢٩، ح ٩.

٣- (٣) ذكر عجزه ابن عبد البر في الاستذكار: ج ٨، ص ٢٨٧. وجامع بيان العلم وفضله: ج ٢، ص ١٥٥.

٤- (٤) الكافي: ج ٢، ص ١١١، ح ١. مشكاة الأنوار: ص ٣٧٩. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٢٦٥، ح ١. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٤٠٣، ح ١٢ عن الكافي.



أوشك أن يكون منهم» (١).

وقد ضرب الأئمة في ذلك أمثلة رائعة أذهلت عقول بني البشر، وهي منهم وعندهم سجيته وعاده، لا يتكلفونها أبداً، فأخلاقهم أخلاق جدّهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم الذي يقول عنه البارئ عزّ وجلّ: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) ٢.

ولأذكر لك في المقام صورةً من حلم أبي مُحمَّد الحسن الزكي عليه السلام أو الإمام الحسين عليه السلام كما رواها البعض أيضاً، يقول عصام بن المصطلق: دخلت المدينة فرأيت الحسن بن علي عليهما السلام، فأعجبتني سمته وحسن روائه، فأثار مني الحسد ما كان يجنه صدرى لأبيه من البغض، فقلت: أنت ابن أبي طالب؟! قال: «نعم»، فبالغت في شتمه وشتم أبيه، فنظر إليّ نظرة عاطفٍ رؤوفٍ، ثم قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ \* وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ \* إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ)» (٢).

ثم قال لي: «خفص عليك، استغفر الله لي ولك، إنك لو استعنتنا أعناك، ولو استرفدتنا أرفدناك، ولو استرشدتنا أرشدناك. فتوسم فيّ الندم على ما فرط مني، فقال: (قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) ٤.

أمن أهل الشام أنت؟ قلت نعم. فقال: شنشنة أعرفها من أخزم، حياك الله وبياك،

ص: ٢٥١

- 
- ١- (١) نهج البلاغه: ج ٤، ص ٤٧، ح ٢٠٧. خصائص الأئمة: ص ١١٥. عيون الحكم والمواعظ: ص ١٦٢. نزهة الناظر وتنبية الخاطر: ص ٥٣، ح ٣١. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٢٦٨، ح ١٤. بحار الأنوار: ج ٦٨، ص ٤٠٥.
- ٢- (٣) الأعراف: آية ١٩٩ - آية ٢٠١.

وعافاك، وآداك، انبسط إلينا في حوائجك وما يعرض لك، تجدنا عند أفضل ظنك، إن شاء الله». قال عصام: فضاقت على الأرض بما رحبت، ووددت أنها ساخت بي، ثم تسلت منه لوأذاً، وما على وجه الأرض أحب إلى منه ومن أبيه» (١).

فأنظر إلى حلم إمامنا الحسن عليه السلام، كيف ردّ به جهل هذا السفیه الغشوم بكلّ رحابه صدر، وهو إمام معصوم، وابن إمام، وأخو إمام، وجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمّه الصديقه الكبرى عليها السلام، ومع هذه المنزله كلّها تراه منبسطاً، وفي أعلى مراتب الحلم فى ردّه على الشامى.

ما هي المداراه؟

والصفه الثالثه المهمه أيضاً أن يأتي الإنسان يوم القيامة وهو متّصف بها، وهى: أن يكون ذا خلقٍ يدارى به الناس، ويعامل كلّ واحدٍ منهم على قدر سعه إنائه، كما كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أصحابه، فكلّ منهم يعطيه على قدر سعه وتحمله.

وهو القائل صلى الله عليه وآله وسلم: «أمرنى ربى بمداراه الناس، كما أمرنى بأداء الفرائض» (٢) و «رأس العقل بعد الإيمان بالله مُداراه الناس» (٣).

والمقصود من المداراه هو ملائمه الناس، وحسن صحبتهم واحتمالهم؛ لئلا ينفروا.

ص: ٢٥٢

١- (١) تفسير القرطبي: ج ٧، ص ٣٥٠ - ص ٣٥١. تاريخ مدينه دمشق: ج ٤٣، ص ٢٢٤. موسوعه كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٧٣٧.

٢- (٢) معانى الأخبار: ص ٣٨٦، ح ٢٠. الكافي: ج ٢، ص ١١٧، ح ٤. الاعتقادات فى دين الإماميه: ص ٨٥. أمالى الشيخ الطوسى: ص ٤٨١، ح ١٩. مشكاه الأنوار: ص ٣٦٩. وسائل الشيعه: ج ١٢، ص ٢٠٠، ح ١. بحار الأنوار: ج ١٣، ص ١٣٥، ح ٤٣. عن معانى الأخبار، وج ١٨، ص ٢١٣، ح ٤٣ عن الكافى، وج ٧٢، ص ٣٩٦، ح ١٨ عن المعانى أيضاً، وص ٤٤٠، ح ١٠٧ عن الكافى أيضاً.

٣- (٣) تحف العقول: ص ٤٢. فتح البارى: ج ١٠، ص ٤٣٧. علل الدار قطنى: ج ٧، ص ٣٠٥. الكامل: ج ٣، ص ٢٤٩. بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ١٤٥، ح ٤٩.

وهكذا كان خُلق أهل البيت عليهم السلام في ورعهم وحلمهم ومداراتهم للناس، ولكنَّ الناس ما توزَّعوا في قتلهم ولا تشريدهم، ولا حتى في سبي نسائهم وأطفالهم.

ولا داروا العيال ولا العليل، وصنعوا بهم ما يُصنع بالترك أو الديلم، بل ما يصنع بأعداء الدين والإنسانية.

\*\*\*

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وسيعلم الذين ظلموا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبة للمتقين.

ص: ٢٥٣







فى رساله الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام قال فى حق الصدقه: «وحق الصدقه أن تعلم أنّها ذُكرت عند ربك عزّ وجلّ، ووديعتك التى لا تحتاج إلى الإشهاد عليها، فإذا علمت ذلك كنت بما استودعته سرّاً أو ثق بما استودعته علانِيَةً، وتعلم أنّها تدفع البلبايا والأسقام عنك فى الدنيا، وتدفع عنك النار فى الآخرة، ثمّ لم تمنن بها على أحد...» (١).

رساله الحقوق للإمام سيد الساجدين وزين العابدين عليه السلام رساله جمعت صنوف الحقوق والمواعظ، وأنواع المعارف والعلوم، فترى الإمام عليه السلام يتناول من الحقوق فيها أدقّها وأعظمها، فهو يذكر حقّ اللسان والبصر، وحقّ المولى القادر، فهى دستور كامل لو عمل به الإنسان لفاز فى الدارين، وحصل على السعادتین.

ونحن اقتطعنا من هذه الرساله الشريفه هذا المقطع من كلامه الشريف، الذى تناول جانباً اجتماعياً مهمّاً، وهو جانب الصدقه؛ ليعرّفنا الإمام عليه السلام فيه حقّ الصدقه وآثارها وحقيقتها.

ما هى الصدقه؟

الصدقه: هى مساعده الفقراء بالمال، أو الطعام، أو الشراب، أو الملبس، أو المسكن، أو أىّ شىءٍ آخر يحتاج إليه إنسان آخر لا يستطيع أن يحصل عليه بنفسه؛ لقلّه الموارد التى يمتلكها هذا الإنسان.

وتعتبر الصدقه، وإعانه الآخرين، وقضاء حوائجهم، رحمه من ربّ العالمين، سببها وساقها إلى المؤمنين؛ حتّى يشبههم بها.

ص: ٢٥٧

---

١- (١) أمالى الشيخ الصدوق: ص ٤٥٢. من لايحضره الفقيه: ج ٢، ص ٦٢٠. تحف العقول: ص ٢٥٩، ح ١٢. وسائل الشيعه: ج ١٥، ص ١٧٣. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٤.

ومن هنا روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لا- تدع الله أن يغنيك عن الناس؛ فإنَّ حاجات الناس بعضهم إلى بعض متّصلة كاتّصال الأعضاء، فمتى يستغنى المرء عن يده أو رجله؟! ولكن ادعُ الله أن يغنيك عن شرارهم» (١).

حثّ الشريعة على الصدقة

لقد حثّ الشريعة الإسلامية على الصدقة حثّاً بليغاً؛ لما لها من آثار عظيمة على وحده وتماسك المجتمع وتلاحمه، فهي مظهر من مظاهر الحضارة والرقى الاجتماعى، ومن هذا المنطلق أكّدت الروايات الشريفة الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام على الالتزام بهذه الخصلة الكريمة، وذكرت آثارها وثوابها، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنَّ الصدقة لتطفئ عن أهلها حرّ القبور، وإنما يستظلُّ المؤمنُ يومَ القيامةِ فى ظلِّ صدقته» (٢).

وعن حفيده الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنَّ الله تبارك وتعالى يقول: ما من شيءٍ إلاَّ وقد وُكِّلَ مَنْ يقبضه غيرى، إلاَّ الصدقة فإننى أتلقفها بيدي تلقفاً...» (٣)، وعنه عليه السلام أيضاً: «قال الله تعالى: إنَّ من عبادى مَنْ يتصدَّق بشقِّ تمره، فأربيهما كما يُربى أحدُكم فلوه حتى أجعلها له مثل جبل أحد» (٤).

ص: ٢٥٨

١- (١) شرح نهج البلاغة: ج ٢٠، ص ٣٢٢، ح ٦٩٥.

٢- (٢) المعجم الكبير: ج ١٧، ص ٢٨٦. الجامع الصغير: ج ١، ص ٣١٣، ح ٢٠٤٩. كنز العمال: ج ٦، ص ٣٤٨، ح ١٥٩٩٦.

٣- (٣) الكافي: ج ٤، ص ٤٧، ح ٦. تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١٠٩ - ص ١١٠، ح ٥١. مشكاة الأنوار: ص ١٣٥. عدّه الداعى: ص ٦٠. تفسير العياشى: ج ١، ص ١٥٢، ح ٥٠٧. التفسير الأصفى: ج ١، ص ٤٨٨. التفسير الصافى: ج ٢، ص ٣٧٢. تفسير نور

الثقلين: ج ١، ص ٢٩٤، ح ١١٧٣. وسائل الشيعة: ج ٩، ص ٣٨٢، ح ٧. الجواهر السنية: ص ٣٤١. بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ١٣٤.

٤- (٤) أمالى الشيخ المفيد: ص ٣٥٤، ح ٧. أمالى الشيخ الطوسى: ص ١٢٥، ح ٨. الجواهر السنية: ص ٣٤٩. بشاره المصطفى: ص ٤٠٦، ح ٣٣. الدرّ النظيم: ص ٦٣١. بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ٢٧، ح ٢٧ عن أمالى الشيخ المفيد، وص ٣٣٧، ح ١٢ عن أمالى الشيخ الطوسى، وج ٩٣، ص ١٢٢ - ص ١٢٣، ح ٣٠ عن أمالى الشيخ الطوسى أيضاً.



هناك عدّه آثار للصدقة تعرضت لها الروايات الشريفة، نذكر طرفاً منها.

١ - دفع حرّ القبور، ومن أهم آثار الصدقة أنّها تدفع حرّ القبور، كما تقدّم الحديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «إنّ الصدقة لتطفئ عن أهلها حرّ القبور، وإنّما يستظلّ المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته» (١).

٢ - زيادة الرزق واستنزاله، وهناك جملة من الروايات وردت تُبيّن أنّ من آثار الصدقة زيادة الرزق واستنزاله، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال «أكثرُوا من الصدقة تُرزقوا» (٢)، وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «استنزلوا الرزق بالصدقة» (٣).

٣ - قضاء الدين، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الصدقة تقضى الدين» (٤).

٤ - سبب لشفاء المرضى، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «تصدّقوا وداووا مرضاكم بالصدقة...».

٥ - دفع البلاء والقضاء، فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «الصدقة تدفع البلاء، وهي أنجح دواءٍ، وتدفع القضاء وقد أبرم إبراهيم، ولا يذهب بالأدواء إلاّ الدعاء والصدقة» (٥)، وروى إبراهيم بن هاشم، عن موسى بن أبي الحسن، عن الإمام الرضا عليه السلام، أنّه قال: «ظهر في بنى إسرائيل قحط شديد، سنين متواتره، وكان عند امرأه لقمه من خبز

ص: ٢٥٩

- 
- ١- (١) المعجم الكبير: ج ١٧، ص ٢٨٦. الجامع الصغير: ج ١، ص ٣١٣، ح ٢٠٤٩. كنز العمال: ج ٦، ص ٣٤٨، ح ١٥٩٩٦.
- ٢- (٢) أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ٣٣٣. بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ١٧٦.
- ٣- (٣) نهج البلاغة: ج ٤، ص ٣٤، ح ١٣٧. من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٨١، ح ٥٨٢٤. عيون الحكم والمواعظ: ص ٨٩. بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٩٩.
- ٤- (٤) الكافي: ج ٤، ص ٩، ح ١. وسائل الشيعة: ج ٩، ص ٣٦٧، ح ١. بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ١٣٤.
- ٥- (٥) بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ١٣٧.

فوضعتها في فيها لتأكل، فنادى السائل: يا أمه الله الجوع، فقالت المرأة: أتصدق في مثل هذا الزمان؟! فأخرجتها من فيها، فدفعتها إلى السائل، وكان لها ولد صغير يحطب في الصحراء، فجاء الذئب فاحتمله، فوقعت الصيحه، فعدت الأُم في أثر الذئب، فبعث الله إليه تبارك وتعالى جبرئيل عليه السلام فأخرج الغلام من فم الذئب، فدفعه إلى أُمه، فقال لها جبرئيل عليه السلام: يا أمه الله أرضيت لقمه بلقمه» (١).

ثم إنّه لو تأملنا في كلام الإمام زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام، لرأينا أنّ الإمام عليه السلام يؤكّد على إخفاء الصدقه؛ لأنّها وديعه عند الله تبارك وتعالى، فهي لا تحتاج إلى الإشهاد ولا إلى العلانية؛ فإنّ المستودع هو الأمين المطلق، وهو العالم بالخفيا.

فيقول الإمام عليه السلام حقّ الصدقه أن تعلم أنّها لله تبارك وتعالى، فلا تحتاج إلى الإشهاد ولا إلى العلانية، وأنّ تعلم بأنّها ذخر لك ليوم المعاد، وأنّها تدفع البلايا والأسقام في دار الدنيا.

وأما في الآخرة، فهي تطفئ غضب الرب، وتدفع عنك النار التي أعدّها جبار السموات والأرضين.

وأهمّ ما في الصدقه، بل من شروط قبولها، هو عدم الإمتنان بها، وعلام يمتنّ الإنسان بها، وهي له، وآثارها راجعه إليه!؟

وما أكّد عليه الإمام عليه السلام ذكره من قبل القرآن الكريم؛ حيث يقول تبارك وتعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) ٢، فيبين الباري عزّ وجلّ أنّ المنّ والأذى سبب في بطلان الصدقه، وحينئذٍ خسر المتصدّق ماله وثوابه، وذلك هو الخسران المبين.

ص: ٢٦٠

---

١- (١) ثواب الأعمال: ص ١٤٠. الرسالة السعديه: ص ١٣٥. وسائل الشيعة: ج ٩، ص ٣٨٠ - ص ٣٨١، ح ٤. بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ١٢٣، ح ٣٣ عن ثواب الأعمال.

وبخلاف ذلك نجد أنّ بعض الناس وجود بكلّ ما عنده، ومع هذا كأنه لم يقدّم شيئاً بعد، بل يشعر دائماً بالتقصير، يقدّم أهل بيته وأصحابه، ويوجد بنفسه، والوجود بالنفس أقصى غاية الجود، فأنفق نفسه، وأى نفسٍ تلك التي أنفقها سيّد الشهداء عليه السلام، هي نفس الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنّ حسيناً منه وهو صلى الله عليه وآله وسلم من حسين (١).

أروحك أم روح النبوه تصعد من الأرض للفر دوس والحور سجّد

ورأسك أم رأس الرسول على القنا بآيه أهل الكهف راح يردد (٢)

\*\*\*

إنّا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أيّ منقلبٍ ينقلبون

والعاقبه للمتقين.

ص: ٢٤١

---

١- (١) فقد روى عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «حسينٌ منى وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسينٌ سبطٌ من الأسباط». كامل الزيارات: ص ١١٦، ح ١١. مسند أحمد: ج ٤، ص ١٧٢. سنن ابن ماجه: ج ١، ص ٥١، وغيره من المسانيد والسنن.

٢- (٢) البيتان من قصيده رائعه للسيد صالح بن السيد مهدي بحر العلوم المولود سنة ١٣٢٨ هـ - والمتوفى في العقد الأخير من القرن العشرين.







روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سيّد الأعمال ثلاثة، إنصافُ الناس من نفسك، ومواساةُ الأخ في الله، وذكرُ الله على كلِّ حالٍ» (١).

هناك مجموعه من الروايات الشريفه المرويّه عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام تمثّل قانوناً مهمّاً؛ لذا ينبغي الإهتمام بها والعمل بمضمونها، ومنها هذه الروايه الشريفه التي سمعها باب مدينه علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

يتناول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الكلمه ثلاثه أعمال هي سيده الأعمال التي يُحبُّها الله تبارك وتعالى ويريدها، وهي: (إنصاف الناس ومواساه الأخ في الله، وذكر الله على كلِّ حال).

فعلينا أولاً معرفتها، ثمَّ العمل بها، والأخذ بمضامينها العاليه.

١ - ما هو المقصود من الإنصاف؟

المقصود من الإنصاف في اللغه: المعامله بالعدل والقسط (٢)، ومنه الحديث المروي عن إمامنا الكاظم عليه السلام حيث قال: «وإخافوا الله في السرِّ؛ حتّى تُعطوا من أنفسكم النصف» (٣)، أي: الإنصاف، ومثله حديث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ولا جعلوا بيني

ص: ٢٤٥

١- (١) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٥٧٧، ح ٦. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ٢٠٩ - ص ٢١٠. تنبيه الخواطر ونزهه النواظر (مجموعه وزّام): ج ٢، ص ٧١. بحار الأنوار: ج ٦٦، ص ٤٠٤، ح ١٠٧ عن الأمالي.

٢- (٢) مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٢٣.

٣- (٣) الكافي: ج ٢، ص ٢٨٧، ح ٢. أمالي الشيخ المفيد: ص ١٥٧، ح ٨. مشكاه الأنوار: ص ١٣٩. وسائل الشيعه: ج ١٥، ص ٣١٠، ح ٢. بحار الأنوار: ج ٦٦، ص ٣٩٦، ح ٨٣ عن الأمالي، وج ٧٠، ص ٣٤٦، ح ٣٠ عن الكافي.

وبينهم نصفاً» (١)، يعنى: أن القوم ما أنصفوه فى المعامله، بل جاروا عليه حتى اتهموه بالكفر إلى غير ذلك من مظلوميته عليه السلام.

فترى الكثير من الناس من يحب أن يفعل له أشياء، وهو لا يفعلها للناس بتاتاً، فيمرّ فى الأسواق ويرى أحبائه وأصدقائه، ولكن لا يبادرهم السلام، بل يحب أن يبادروه ذلك، وهكذا فى باقى الحالات، أمثال عياده المرضى وقضاء الحوائج، فتراه لا يقضى حاجه لأحد، ولا يعود أى مريض، ولكن يحب أن يفعل ذلك له، فهذا هو الاجحاف بعينه، والذي هو خلاف الإنصاف.

فالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنصاف الناس من نفسك هو أحد الأعمال الثلاثة التى هى سيده الأعمال، فكل ما يحب الإنسان أن يفعل له من تقدير واحترام عليه تقديمه للناس؛ حتى يكون قد حقّق معنى الإنصاف من نفسه، والذي هو سيد الأعمال، والذي يدخل به العبد الجنّه.

ومن هنا روى أن أعرابياً جاء إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يريد بعض غزواته، فأخذ بغرز راحلته - أى ركاب الرحل من الجلد - فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علمنى عملاً أدخل به الجنّه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فأتهم إليهم، وما كرهت أن يأتيه الناس إليك فلا تأتهم إليهم، خلّ سبيل الراحله» (٢).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال أيضاً: «من واصل الفقيه من ماله، وأنصف الناس من نفسه، فذلك

ص: ٢٤٤

- 
- ١- (١) نهج البلاغه: ج ١، ص ٥٩، وج ٢، ص ١٩. الإرشاد: ج ١، ص ٢٥١. بحار الأنوار: ج ٣٢، ص ٥٣.
  - ٢- (٢) الكافي: ج ٢، ص ١٤٦، ح ١٠. كتاب الزهد: ص ٢١، ح ٤٥. مستطرفات السرائر: ص ٦٤٢. مشكاة الأنوار: ص ٣١٩. مستدرک الوسائل: ج ١١، ص ٣١٢، ح ٤. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٣٦، ح ٣١ عن الكافي، وج ٧٤، ص ١٣٤، ح ٤٥ عن كتاب الزهد. وأنظر الحديث فى المصادر التالية: مسند أحمد: ج ٦، ص ٣٨٣. مجمع الزوائد: ج ١، ص ٤٣. كنز العمال: ج ١، ص ٢٨٠ - ص ٢٨١.



المؤمن حقاً» (١) إلى غير ذلك من الروايات.

هذا كله في الإنصاف وهو أحد الأعمال الثلاثة.

٢ - مواساه الأخ في الله

المواساه معناها التخفيف عن الآخرين همومهم وآلامهم ومصاعب الحياه التي تصيبهم، فقد يواسى الأخ أخاه في الله عن طريق التسليه بالكلام، كما لو فقد عزيزاً، كأن يقول له: هذه سنه الله في الحياه، وهكذا كان حال الأنبياء والأوصياء والأولياء بعضهم مع البعض الآخر، حين يفقدون الأجزاء، بل أعز الأجزاء.

ومنه ما روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأنه واسى أهل بيت وعزاهم بفقد عزيز من أعزائهم، قائلاً لهم: «إن هذا الأمر ليس بكم بدأ، ولا إليكم انتهى، وقد كان صاحبكم هذا يسافر، فعدوه في بعض أسفاره، فإن قدم عليكم وإلا قدمتم عليه» (٢).

وكم لهذا الكلام من الوقع في النفوس والتخفيف من آلامها.

وقد تكون المواساه للأخ المؤمن عن طريق المال، فيما لو احتاج إلى ذلك، فهذا نوع من المواساه العمليه، كما هو ديدن الأئمه عليهم السلام مع إخوه الإيمان، بل مع غيرهم أيضاً، فكانوا عليهم السلام ينفسون كرب المؤمنين بقضاء حوائجهم وديونهم، وإشباع جوعتهم وكسوتهم مع ما هم فيه عليهم السلام من فقرٍ وحاجه، ويكفيك من ذلك ما نزل من القرآن فيهم عليهم السلام، كسوره: هل أتى، وغيرها من الآيات البيّنات، بل إن الإمام الحسن عليه السلام قطع طوافه في بعض الروايات لأجل مواساه أحد الشيعة.

ص: ٢٦٧

١- (١) المصدر نفسه: ج ٢، ص ١٤٧، ح ١٧. الخصال: ص ٤٧، ح ٤٨، لكن من دون جمله (من ماله). وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٢٨٤، ح ٥. بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٢٥، ح ٥ عن الخصال.

٢- (٢) نهج البلاغه: ج ٤، ص ٨٣، ح ٣٥٧. عيون الحكم والمواعظ: ص ١٥١. بحار الأنوار: ج ٧٩، ص ١٣٥. مستدرک الوسائل: ج ٢، ص ٣٥٧، ح ١٣ عن النهج.

فقد رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: «كنت مع الحسن بن علي عليه السلام في المسجد الحرام وهو معتكف، وهو يطوف حول الكعبة، فعرض له رجل من شيعته، فقال: يا ابن رسول الله، إنَّ عليَّ ديناً لفلان، فإن رأيت أن تقضيه عنى؟ فقال عليه السلام: وربّ هذا البيت، ما أصبح وعندى شيء. فقال: ان رأيت أن تستمهله عنى فقد تهدّدتني بالحبس؟ فقال ابن عباس: فقطع الإمام الطواف وسعى معه، فقلت: يا ابن رسول الله أنسيت أنك معتكف؟ فقال: لا، ولكن سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: مَنْ قَضَى (أخاه) لأخيه المؤمن حاجه كان كَمَن عبد الله تسعه آلاف سنه، صائماً نهاره وقائماً ليلته» (١).

فهذه أعلى درجات المواساه، فلاحظ كيف أنّ الإمام عليه السلام قطع طوافه واعتكافه من أجل قضاء حاجه أخيه المؤمن وتنفيس كربته.

### ٣ - ذكر الله على كل حال

والخصلة الثالثة من الخصال التي تعدّ سيده الأعمال هي ذكر الله على كل حال.

والمقصود من الذكر لله تبارك وتعالى هو اللهج به عزّ وجلّ، سواء كان بالقرآن أو الدعاء، أو التحميد والتمجيد، أو الهلهله أو الحوقله، أو غير ذلك ممّا يعده الشارع ذكراً لله عزّ وجلّ، وقد حثّ الآيات والروايات على الإكثار من ذكر الله تبارك وتعالى، قال تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا \* وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) ٢.

وعن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من الدينار والدرهم، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم

ص: ٢٤٨

---

١- (١) عدّه الداعي: ص ١٧٩. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ٤٤٢، عنه بحار الأنوار: ج ٩٤، ص ١٢٩، ح ٥.

وتقتلونهم ويقتلونكم؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: ذكرُ الله كثيراً» (١).

وكلمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تشير إلى ذكر الله تبارك وتعالى في موطن دون آخر، بل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤكد على ذكر الله تبارك وتعالى على كل حال، سواء في الشدة أو الرخاء، في المرض أو الشفاء، في البر أو البحر، لا كما يصنعه بعض ضعيفي الإيمان من الذين لا يذكرون الله عز وجل إلا في موطن يظنون أن هلاكهم فيها، وكأنهم لا يعلمون أن حياتهم ومماتهم بيده جل وعلا في كل حال من الأحوال، وهذا ما حكاه القرآن الكريم حيث يقول: (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) ٢، فهؤلاء لا يدعون الله ولا يذكرونه، بل ولا يؤمنون به - كما هو صريح الآيه المباركه - إلا في موطن مظنه الهلاك، وأما في غيرها فلا.

فهم عندما يركبون السفن وتهيج الأمواج بهم حينئذ يلجئون إلى الله تبارك وتعالى، ويدعونه مخلصين له الدين، ولكن وبما أن اليأسه - بحسب اعتقادهم - أنها مظنه النجاه، ولا هلاك فيها يرجعون إلى ما هم عليه من الشرك والإلحاد، ومع هذا يستجيب الله لهم برحمته وكرمه عز وجل، وينجيهم من هلاك البحر، ولكنه تباركت أسماؤه غير غافل عن أفعالهم، ومطلع على قلوبهم.

أمي الذين هم أولياء الله حقاً، فقد كانوا يذكرون الله عز وجل في أشد الساعات وأحدها، بل حتى في لهوات الحرب، فيها هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقوم فيصلّي في معركة صفين، بل ما ترك حتى صلاة الليل - التي هي نافله - في ليله الهرير، وعندما يُسأل أمير المؤمنين عليه السلام عن صلاته في هذا الوقت، يجيب قائلاً: قاتلناهم من أجلها فكيف نتركها من

ص: ٢٦٩

---

١- (١) المحاسن: ج ١، ص ٣٨ - ص ٣٩، ح ٤٢. الكافي: ج ٢، ص ٤٩٩، ح ١ مع اختلافٍ يسير. وسائل الشيعة: ج ٧، ص ١٥٤ - ص ١٥٥، ح ٧. بحار الأنوار: ج ٩٠، ص ١٥٧، ح ٢٩ عن المحاسن.

يعنى يريد أن يقول الإمام عليه السلام: إنَّ قتالنا مع هؤلاء القوم إنما هو لأجل الدين والالتزام بالشرع القويم، والذي أهمّ ما فيه الصلاة، والتي هي عموده وفسطاطه، فكيف تركها إذا نحن قاتلناهم واشتغلنا بقتالهم، حتى ولو كانت هذه الصلاة نافله؟!!

بل ويترقّى الحال بأولياء الله فيذكرونه تعالى في ساعه نزول الموت بهم، وهذا ما صنعه سيّد الأولياء والأوصياء أمير المؤمنين عليه السلام عندما ضربه أشقى الأشقياء على هامته، فوقع الإمام عليه السلام على وجهه قائلاً:

بسم الله وبالله وعلى ملّه رسول الله... ثم قال: «فُزْتُ وربّ الكعبة» (٢).

\*\*\*

إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّه إلا بالله العليّ العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ ينقلبون

والعاقبه للمتقين.

ص: ٢٧٠

- 
- ١- (١) انظر: كشف اليقين: ص ١٢٢. منهاج الكرامه: ص ١٦١. نهج الحقّ وكشف الصدق: ص ٢٤٨. إحقاق الحقّ: ص ٢٠٦.  
حليه الأبرار: ج ٢، ص ١٨٠. وسائل الشيعة: ج ٤، ص ٢٤٦، ح ٢. بحار الأنوار: ج ٨٠، ص ٢٣، ح ٤٣.
- ٢- (٢) خصائص الأئمة: ص ٦٣. شرح الأخبار: ج ٢، ص ٤٤٢. مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٣٨٥. بحار الأنوار: ج ٢٠، ص ١٤٨، والكلمه متواتره.





قال تعالى في محكم كتابه الكريم: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ \* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ \* كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ \* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ \* كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ \* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ \* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ \* ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) ١ .

تتناول هذه السوره المباركه تفاخر الناس فيما بينهم، واعتمادهم على مسائل يعدونها معياراً للتفاخر، مع أنّ الأمر واقعاً وحقيقه ليس كذلك؛ لأن المعايير عند الناس ليست هي المعايير الموجوده في الشريعة، فقد يتفاخر الناس فيما بينهم في كثره الأولاد أو الأموال، أو كثره الحروب والغزوات، بل وحتى السرقات، أو غير ذلك، مع أنّ هذه الأمور ليست مورداً للتفاخر والتفاضل في ميزان الشرع المقدس، ولذا يصرح القرآن ويقول: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) ٢، فالتقوى هي المعيار عند الله تبارك وتعالى في تقديم إنسان على آخر، وغيرها من الأمور التي بها يتمايز الناس فهي في الأعم الأغلب ليست ميزاناً ولا معياراً عند الله تبارك وتعالى.

والسبب في نزول هذه السوره هو: إنّ مجموعه من القبائل كانت تتفاخر على بعضها بكثره الأموال والأنفس، حتى أنّها كان تذهب إلى المقابر وتعدّ موتاها، وتتفاخر في أن أفراد عشيرتها - أحياء وأموات - بمجموعهم أكثر من غيرهم، فنزلت هذه السوره المباركه، وقيل غير ذلك (١).

والمهم في المقام أنّ السوره تدمّ التفاخر والتكاثر بجميع صنوفه التي لا يرتضيها

ص: ٢٧٣

الشرع المبين، مهما كان سبب نزول السوره؛ لأنّ المورد لا يخصّص الوارد، بمعنى أنّ سبب النزول لهذه السوره المباركه حتّى لو كان شخصاً معيّناً أو فرقه معينه، فهي تبقى ساريه المفعول في الأجيال والأعوام اللاحقه؛ لأنّ القرآن بآياته يجرى مجرى الليل والنهار والشمس والقمر(١)، لا يحدّه زمان ولا- سبب، ويمكن أن تطبق آياته على مصاديق عدّه، إلّا إذا علمنا التخصيص من خلال القرائن، أو من نفس الشارع المقدّس.

تبدأ السوره بهذا العتاب (أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ) يعنى بالأموال والأنفس وغيرهما، حتّى أنكم ذهبتم إلى المقابر؛ لتستكثروا بأفراد قبيلتكم، وهو قوله تعالى: (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ).

واحتمل بعض المفسّرين أنّ جملة (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) المقصود منها هو: أنكم انشغلتم بالتكاثر والتفاخر حتّى لحظه موتكم وورودكم إلى المقابر(٢).

ولكن بالتدقيق في سبب نزول السوره نرى أنّ المعنى الأول أكثر انسجاماً مع عبارة: (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)، ويؤيد هذا المعنى، بل يدلّ عليه أيضاً كلام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث إنّه عليه السلام عندما تلا هذه الآية: (أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ \* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) قال: «يا له أمرٌ ما أبعد! وزوراً ما أغفله! وخطراً ما أفضعه! لقد استخلوا منهم أي مُدِّكر، وتناوشوهم من مكان بعيد أفبمصارع آبائهم يفخرون؟ أم بعيد الهلكى يتكاثرون؟ يرتجعون منهم أجساداً خوت وحركات سكنت، ولأن يكونوا عبراً أحقّ من أن يكونوا مفتخراً»(٣)،

ص: ٢٧٤

- ١- (١) انظر: تفسير العياشى: ج ٢، ص ٢٠٣.
- ٢- (٢) تفسير جوامع الجامع: ج ٣، ص ٨٣٦. تفسير مجمع البيان: ج ١٠، ص ٤٣٢. تفسير غريب القرآن: ص ٢٤٥. التفسير الصافى: ج ٧، ص ٥٤٥. تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٦٦٢، ح ٨، جامع البيان: ج ٣٠، ص ٣٦٢. تفسير ابن أبى حاتم: ج ١٠، ص ٣٤٥٩. تفسير ابن زنين: ج ٥، ص ١٥٨. تفسير الثعلبى: ج ١٠، ص ٢٧٦. تفسير الواحدى: ج ٢، ص ١٢٢٩، وغيره من التفاسير.
- ٣- (٣) نهج البلاغه: ج ٢، ص ٢٠٤ - ص ٢٠٥، ح ٢٢١، عنه تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٦٦١، ح ٦. وبحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٤٣٢، ح ٤٧، وج ٧٩، ص ١٥٦، ح ١.



فالإمام عليه السلام يشير بهذه الخطبه إلى المعنى الأول من المعنيين المذكورين في تفسير (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) .

ثُمَّ تنتقل السوره إلى تهديد هؤلاء المتكاثرين قائله لهم: (كَلَّا- سَوْفَ تَعْلَمُونَ) ، فليس الأمر كما تتوهمون، وبه تتفخرون، بل سوف تعلمون نتيجة هذا التكاثر الموهوم، ثُمَّ يؤكد القرآن هذا المعنى مره أُخرى: (ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) .

وذهب البعض من المفسرين الى أنّ هذا ليس تكراراً وتأكيدياً، بل الجملة الأولى: (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) إشارة إلى عذاب القبر والبرزخ، والجملة الثانية: (ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) إشارة إلى عذاب يوم القيامة(١).

ويدلّ على هذا المعنى ما روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من أنّه قال: «.. كَلَّا سوف تعلمون يريد في القبر، ثم كَلَّا سوف تعلمون، بعد البعث»(٢).

ما هي دواعي التفاخر والتكاثر؟

هناك عدّة عوامل ودواعي للتفاخر والتكاثر، منها: ما ذكرته السوره المباركه، وهو جهل الإنسان بجزاء الآخرة، ومنها: جهل الإنسان بقدره وقيّمته، وضعفه ومسكنته، وبدايته ونهايته.

ومن أهمّ الدواعي للتفاخر والتكاثر هو عقده الحقداه وضعف الشخصيه، فيريد الإنسان الضعيف عن طريق تفاخره بقومه وعشيرته، أحيائهم وأمواتهم، أن يرفع هذه العقده، ولذلك روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ما من رجل تكبر أو تجبر إلا لذله

ص: ٢٧٥

١- (١) نسبه في مجمع البيان: ج ١٠، ص ٤٣٢ إلى القيل، عنه تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٦٦١، ح ٧.

٢- (٢) تفسير مجمع البيان: ج ١٠، ص ٤٣٢، عنه تفسير الأمثل: ج ٥، ص ٦٦١.

وجدها في نفسه» (١)، وتفاخر هذه القبائل بأمواتها لا يخرج عن التكبر والتجبر، فالأفراد الفاشلون يريدون أن يُعطوا فشلهم بهذه الطريقة، فيلجأون إلى التفاخر والمباهات بأمواتهم، إذا كان من يتفاخرون به ويتباهون فيه يستحق ذلك طبعاً، وإلا فيكون التفاخر والتكاثر بهم كالمستجير من الرمضاء بالنار.

ومن بعد هذا الكلام نعود إلى السورة المباركة، حيث تقول: (كَلَّا- لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ \* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ \* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ).

من أعلى مراتب الإيمان اليقين، وهو المقام الذي قلَّ مَنْ وصل إليه؛ ولذا يقول إمامنا الباقر عليه السلام «ولم يقسم بين الناس شيء أقلَّ من اليقين» (٢)؛ وذلك لأنَّ مقام اليقين مقام رفيع، ودرجه عالية، لا يمكن لكلِّ أحد أن يصل إليها، وبه يعمر قلب الإنسان وروحه، وتطمئن نفسه.

ولليقين مراتب ثلاثة، أشارت السورة المباركة إلى اثنين منها، والثالث أشارت إليه سورة الواقعة في قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) ٣. والمراتب هي:

١ - علم اليقين: وهو الذي يحصل للإنسان عند مشاهدته الدلائل المختلفة، كمن يشاهد دخاناً فيعلم علم اليقين أنَّ هناك ناراً.

٢ - عين اليقين: وهو يحصل حين يصل الإنسان إلى درجه المشاهده، كمن يرى بعينه مثلاً النار.

٣ - حقُّ اليقين: وهو كمن يدخل النار بنفسه، ويحسُّ بحرارتها، وهو أعلى المراتب الثلاثة.

ص: ٢٧٦

١- (١) الكافي: ج ٢، ص ٣١٢، ح ١٧، عنه بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٢٢٥، ح ١٧.

٢- (٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٥٢، ح ٥. كتاب التمهيد: ص ٦٣، ح ١٤٥. بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ١٣٨، ح ٤ عن الكافي.

وهذه المراتب الثلاث تختلف باختلاف مراتب الناس، ودرجات إيمانهم، ومدى رسوخ عقيدتهم، فترى إنساناً عظيماً مثل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث يقول: «لو كُشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً» (١)، ومعناه إنني وصلت إلى أعلى مراتب اليقين، وترى آخر غير ذلك تماماً، وهكذا.

ومن هنا روى أنه ذكر عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن عيسى بن مريم عليه السلام كان يمشى على الماء، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لو زاد يقينه لمشى على الهواء» (٢).

ومن بعد هذا قد يسأل سائل ويقول: كيف يرى الإنسان الجحيم، ومتى؟

وفى صدد الجواب عن هذا السؤال فُسِّر قوله تعالى: (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) بتفسيرين:

الأول: مشاهدته الجحيم في يوم القيامة لنص بعض الآيات المباركة، أنه ما من أحد إلا وهو وارد جهنم، كقوله تعالى: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا) ٣.

الثاني: إن هذه المشاهدته ليست مشاهدته بالأبصار، وإنما بالبصائر، وهذه المشاهدته تحصل في الدنيا.

ورجح جمع من المفسرين الرأي الأول لمناسبته للمقام (٣).

ومعنى ذلك: أن من يتفاخر ويتكاثر للحياه الدينا سوف يرى الجحيم يوم القيامة، ويُسأل عن كل صغيره وكبيره، ويرى أين موضع تفاخره وتكاثره؟!

ص: ٢٧٧

١- (١) مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٣١٧. منتهى المطلب: ج ٣، ص ٤٤.

٢- (٢) مستدرک الوسائل: ج ١١، ص ١٩٨، ح ١٦. شرح نهج البلاغه: ج ١١، ص ٢٠٢. الحكمة المتعاليه في الأسفار العقليه: ج ٣، ص ٤٦.

٣- (٤) انظر: تفسير الأمثل: ج ٢٠، ص ٤٢٦.

ثُمَّ قَالَتْ السُّورَةُ (ثُمَّ لَتَرُوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِيْنِ).

ما هو النعيم الذي تُسأل عنه يوم القيامة؟

لقد وقع الخلاف بين المفسرين - عامه وخاصه - في تفسير النعيم الذي يُسأل عنه الإنسان يوم القيامة.

فذهب البعض إلى أن المقصود منه هو السلامه وراحه البال والأمن (1)، وهذه الأشياء بلا شك أنها نعم ونعم كبيره جداً، ولا يتمكن الإنسان أن يؤدي حق شكرها، ولكن الكلام هل هي التي يُسأل عنها الإنسان أم غيرها؟ لأنه قال تعالى: (وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) ٢، فَنِعْمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ - الشاكر والناكر منهم - لا يمكن حصرها ولا عدّها أبداً.

وعندما نعرض هذا السؤال على الأئمة عليهم السلام نجد الجواب في رواياتهم، فهذا أبو حنيفة يسأل الإمام الصادق عليه السلام عن النعيم في قوله تعالى: (ثُمَّ لَتَشِيْتُلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيْمِ)، فقال الإمام عليه السلام: «ما النعيم عندك يا نعمان؟» قال أبو حنيفة: القوت من الطعام والماء البارد.

فقال عليه السلام «لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتى يسألك عن كلِّ أكله أكلتها، وشربه شربتها، ليطولنَّ وقوفك بين يديه».

قال أبو حنيفة: فما النعيم؟ جعلت فداك!

ص: ٢٧٨

---

١- (١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ج ١٠، ص ٣٤٦٠. تفسير السمرقندي: ج ٣، ص ٥٨٩. تفسير الثعلبي: ج ١٠، ص ٢٧٨. تفسير الواحدى: ج ٢، ص ١٢٣٠. تفسير السمعاني: ج ٦، ص ٢٧٦. تفسير النسفى: ج ٤، ص ٣٥٥. أحكام القرآن (ابن العربى): ج ٤، ص ٤٤٣. زاد المسير: ج ٨، ص ٣٠٢. التسهيل لعلوم التنزيل: ج ٤، ص ٢١٦. الإتيان فى علوم القرآن: ج ٢، ص ٥٣٧. تحفه الأحوذى: ج ٩، ص ٢٠٣. فيض القدير: ج ٢، ص ٥٦٢، وغيره.

قال الإمام عليه السلام: «نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ النَّعِيمِ الَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِنَا عَلَى الْعِبَادِ، بِنَا ائْتَلَفُوا بَعْدَ أَنْ كَانُوا مُخْتَلِفِينَ، وَبِنَا أَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَبِنَا أَنْقَذَهُمُ اللَّهُ مِنَ الشَّرْكِ وَالْمَعَاصِي، وَبِنَا جَعَلَهُمُ اللَّهُ إِخْوَانًا، وَبِنَا هَدَاهُمُ اللَّهُ، فَهِيَ النِّعْمَةُ الَّتِي لَا تَنْقَطِعُ، وَاللَّهُ سَائِلُهُمْ عَنِ حَقِّ النِّعْمَةِ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ النَّبِيُّ وَعَتْرَتُهُ» (١).

ولكن تعال معي وأنظر إلى ما جرى على هذا النعيم، الذي أنعم الله به على أمته محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأخرج الناس بهم من الظلمات إلى النور، ماذا صنعت الأمة بهم وماذا جرّت عليهم من الويلات؟!

فهم الذين جعلوا الناس مثلثين بعد أن كانوا مختلفين، والأمة جازتهم على ذلك بأن فرقتهم في البلاد، وأسكنتهم ظلم المطامير، وحرّ السجون، وقتلتهم شرّ قتل، وسبّتهم أعظم سبى.

\*\*\*

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وسيعلم الذين ظلموا آلَ مُحَمَّدٍ أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبة للمتقين.

ص: ٢٧٩

---

١- (١) الدعوات: ص ١٥٨ - ص ١٥٩، ح ٤٣٤. تفسير مجمع البيان: ج ١٠، ص ٤٣٣. التفسير الصافي: ج ٥، ص ٣٧٠، وج ٧، ص ٥٤٧. تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٦٦٣ عن مجمع البيان. تفسير الآلوسى: ج ٣٠، ص ٢٢٦. غايه المرام: ج ٣، ص ٨٥، ح ١٢. بحار الأنوار: ج ٧، ص ٢٥٨، وج ٢٤، ص ٤٩، وج ٦٣، ص ٣١٥ - ص ٣١٦، وج ٧٠، ص ٧٠ - ص ٧١. مستدرک الوسائل: ج ١٦، ص ٢٤٧، ح ٤.









قال تعالى في محكم كتابه الكريم: (وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَا كَبُونَ) (١).

تتناول هاتان الآيتان الشريفتان مفهوم الصراط، وأنه هناك صراط مستقيم صرحت به الآيه الشريفه، والآخر غير مستقيم، والصراط المستقيم هو الذى يدعو إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن جرى مجراه، وهم الأئمه المعصومون من ذريته صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه قد تواترت الأحاديث الشريفه بالأمر بالتمسك بهم (٢)، وأنهم مع القرآن (٣)، ولا يخرجون الناس من الهدى إلى الضلال (٤).

بل بهم يُسلك إلى الرضوان، وبهم يهتدى إلى رضى الرحمن، وعلى من جردهم غضب الرحمن (٥).

ص: ٢٨٣

- 
- ١- (١) المؤمنون: آيه ٧٣ - آيه ٧٤.
  - ٢- (٢) لاحظ في ذلك الحديث المتواتر (حديث الثقلين).
  - ٣- (٣) انظر: كتاب سليم بن قيس: ص ١٦٩. غايه المرام: ج ٢، ص ٣٦٤، ح ٧٦. بصائر الدرجات: ص ١٠٣، ح ٦. الكافي: ج ١، ص ١٩١، ح ٥. الإعتقادات فى دين الإماميه: ص ١٢٢. كمال الدين وتمام النعمه: ص ٢٤٠، ح ٦٣. بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ٣٤٢ - ص ٣٤٣، ح ٢٦ عن البصائر، وج ٢٦، ص ٢٥٠، ح ٢٠ عن كمال الدين، وج ٢٨، ص ١٥.
  - ٤- (٤) انظر: المعجم الكبير: ج ٥، ص ١٩٤. كنز العمال: ج ١١، ص ٦١١، ح ٣٢٩٥٩. نهج الإيمان: ص ٥٠٣. وأنظر الحديث فى مصادرنا التاليه: بصائر الدرجات: ص ٧١، ح ١١، وص ٧، ح ١٨. مناقب آل أبى طالب: ج ١، ص ٢٥٠، وج ٣، ص ٥. بشاره المصطفى: ص ٢٩٠، ح ١٤. الطرائف فى معرفه مذاهب الطوائف: ص ١١٨، ح ١٨١. غايه المرام: ج ١، ص ١٣٢، ح ٢٥، وج ٢، ص ٢٨٨، ح ٣.
  - ٥- (٥) انظر: الزياره الجامعه الكبيره فى المصادر التاليه: عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٣٠٨. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٦١٦. تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٠٠. المزار (ابن المشهدى): ص ٥٣٢. المحتضر: ج ٢١٩. بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ١٣٢.

فإذن هناك طريقان: أحدهما إلى الجنّة يهدهى الله تبارك وتعالى إليه المؤمنين، كما قال عزّ وجلّ: (سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ \* وَ يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَّهُمْ) ١ .

والآخر إلى النار يهدهى الله تبارك وتعالى إليه أهل النار، كما قال عزّ وجلّ: (فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) ٢ .

وهذا هو الصراط غير المستقيم الذى يدعو إليه مَنْ لا يؤمن بالله ولا بالآخرة، كما عبرت الآية الثانية التى افتتحنا بها الكلام.

وقبل الدخول فى تفصيل الكلام ينبغى لنا تعريف الصراط أولاً؟

ما هو الصراط؟

ذكر فى تعريف الصراط أنه: الطريق الذى يؤدّى إلى معرفة الله عزّ وجلّ (١) ، ولكن هذا التعريف - كما يبدو - تعريف بالخاصّ؛ لأنّ الصراط على قسمين - كما ذكرنا - أحدها: الصراط المستقيم، وهو يؤدّى إلى ما يريده الله تبارك وتعالى.

والآخر غير المستقيم، وهو الذى يؤدّى إلى ما لا يريده الله عزّ وجلّ، فينبغى تعريف الصراط - كما صنع البعض - بأنّه الطريق الذى يسلكه الإنسان، فقد يكون مستقيماً، وقد يكون غير مستقيم (٢).

والصراط المستقيم هو الدين الحقّ الذى نطلبه فى طوال أيام حياتنا عندما نكرّر قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) ٥ ، ونكرّر هذا المعنى فى كلّ يومٍ غدوةً وعشيّاً.

ص: ٢٨٤

---

١- (٣) انظر: كتاب الإمام عليّ بن أبى طالب عليه السلام: ص ٤٦٧ حيث جاء فيه: «قال العلامة الفيض رحمه الله: الصراط هو الطريق إلى معرفة الله عزّ وجلّ».

٢- (٤) انظر: تفسير الميزان: ج ١، ص ٣٣.

وسُمى الدين صراطاً؛ لأنه يؤدي بمن يسلكه إلى الجنّة، كما أن الطريق يؤدي بمن سلكه إلى مقصده.

وقد ذكرنا في أوّل كلامنا أن هناك صراطين، أحدهما: صراط الجنّة، والآخر صراط النار، ولكن السؤال هو: هل أنّ هذين الصراطين مرّدُهُما إلى واحدٍ، ولكن يتمثّل للكافر بشكلٍ، وللمؤمن بشكلٍ آخر، أو هما - حقيقةً وواقعاً - وجودان منفصلان، أحدهما خاصّ بالمؤمنين، والآخر بالكافرين؟

قال الشيخ المفيد رحمه الله في تفسير كون الصراط أدقّ من الشعرة، وأحدّ من السيف: «والمراد بذلك: أنّه لا تثبت لكافرٍ قدّم على الصراط يوم القيامة من شدّه ما يلحقهم من أهوال يوم القيامة ومخاوفها، فهم يمشون عليه كالذي يمشى على الشىء الذى هو أدقّ من الشعرة وأحدّ من السيف. وهذا ممثّل مضروب لما يلحق الكافر من الشدّه فى عبوره على الصراط، وهو طريق إلى الجنّة وطريق إلى النار، يشرف العبد منه إلى الجنّة ويرى منه أهوال النار»(١).

وظاهر كلامه رحمه الله أنّ الصراط واحد.

ونقل العلامة الحلى رحمه الله كلاماً صريحاً فى وحده الصراطين، حيث قال: «وقيل: إنّ هُنَاكَ طريقاً واحداً على جهنم، يُكَلَّفُ الجميعُ المرور عليه، ويكون أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف، فأهل الجنة يمرّون عليه لا يلحقهم خوف ولا غمّ، والكُفّار يمرّون عليه عقوبه لهم وزيادة فى خوفهم، فإذا بلغ كلّ واحدٍ إلى مُستقره من النار سقط من ذلك الصراط»(٢).

ولو تأملنا فى الآيتين المباركتين، نجد أنّ ظاهرهما الصراط الواحد؛ لأنّ الآيتين

ص: ٢٨٥

١- (١) تصحيح إعتقادات الإماميه: ص ١٠٩ - ص ١١٠.

٢- (٢) كشف المراد فى شرح تجريد الإعتقاد: ص ٥٧٦.

موجهتان الخطاب للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يدعو إلى الصراط المستقيم، والذين لا يؤمنون بالله تبارك وتعالى عن هذا الصراط - الذي يدعو إليه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم - ناكبون، ومعناه مائلون وعادلون عنه (١)؛ لأن الكافر لا هم له بالصراط المستقيم أبداً.

#### صراط الدنيا وصراط الآخرة

إن مهمة الأنبياء والرسل وجميع الأوصياء مهمة واحده، تتلخص في الأخذ بأيدي الناس إلى ما فيه الخير والصلاح، عن طريق الموعظة الحسنه والكلمه الطيبه، بالإنذار تارة، والتبشير تارة أخرى، وهم بلا شك ولا ريب رحمه أرسلها الله تبارك وتعالى بمنه ولطفه إلى عباده؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) (٢)، وقال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (٣).

فمن تبعه فاز في دار الدنيا والآخرة، ومن جحده وعانده خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

والعلاقة وثيقه بين صراط الدنيا وصراط الآخرة، فمن جاز صراط الدنيا - وهو الأخذ بما أمر به القرآن الكريم، والانتهاه عما نهى عنه، والتمسك بحبل الله المتين، والعروه الوثقى وهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطيبين الأطهار عليهم السلام - جاز صراط الآخرة إن شاء الله تعالى.

ص: ٢٨٤

١- (١) في مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٦٧: «أى عادلون عن القصد، يقال: نكب عن الطريق من باب قعد: عدل ومال».

٢- (٢) الأحزاب: آيه ٤٥ - آيه ٤٦.

هناك عدّه قناطر توضع على الصراط، لكلّ قنطره من هذه القناطر أمرٌ وطلبٌ للمولى عزّ وجلّ، لا يجوزها أحدٌ إلا إذا كان متّصفاً بهذا الأمر وهذه الصفه.

فقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله بإسناده عن مولانا الباقر عليه السلام: قال: لما نزلت هذه الآية (وَ جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ) ١، سُئِلَ عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «أخبرني الروح الأمين أنّ الله لا إله غيره، إذا جمع الأولين والآخرين أتى بجهنم تقاد بألف زمام، آخذ بكلّ زمام مائه ألف ملك من الغلاظ الشداد، لها هدّه وتغيظ وزفير، وإنّها لتزفر الزفره، فلولا أن الله عزّ وجلّ أخرهم إلى الحساب لأهلكت الجمع، ثم يخرج منها عنق يحيط بالخلائق، البرّ منهم والفاجر، فما خلق الله عزّ وجلّ عبداً من عباده ملكاً ولا نبياً إلا نادى: ربّ نفسي نفسي، وأنت يا نبيّ الله تنادى: أمّتى أمّتى. ثم يوضع عليها صراط أدقّ من حدّ السيف، عليه ثلاث قناطر: أمّا واحده فعليها الأمانه والرحم، وأمّا الأخرى فعليها الصلاه، وأمّا الأخرى فعليها عدل ربّ العالمين لا إله غيره، فيكلفون الممر عليه فتحبسهم الرحم والأمانه، فإن نجوا منها حبستهم الصلاه، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى ربّ العالمين عزّ وجلّ، وهو قوله تبارك وتعالى (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ) ٢. والناس على الصراط، فمتعلّق، وقدم تزل، وقدم تستمسك، والملائكه حولهم ينادون: يا حلیم، اغفر واصفح، وعد بفضلك وسلّم، والناس يتهافتون فيها كالفراش، فإذا نجا نجا برحمه الله عزّ وجلّ، نظر إليها فقال: الحمد لله الذي نجاني منك بعد إياس بمنه وفضله، إن ربنا لغفور شكور» (١)

ص: ٢٨٧

١- (٣) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٢٤١ - ص ٢٤٢، ح ٤. الكافي: ج ٨، ص ٣١٢ - ص ٣١٣، ح ٤٨٦. تفسير القمّي: ج ٢، ص ٤٢١. التفسير الأصفي: ج ٢، ص ١٤٤١. التفسير الصافي: ج ٥، ص ٣٢٦ - ص ٣٢٧، وج ٧، ص ٤٧٦ - ص ٤٧٧. تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٣٧٣، ح ٢٣ عن الكافي. بحار الأنوار: ج ٧، ص ١٢٥، ح ١ عن الأمالي، وج ٨، ص ٦٥، ح ٢ عن تفسير القمّي.

وروى الشيخ الصدوق رحمه الله أيضاً بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا علي، إذا كان يوم القيامة أعددنا وأنت وجبرئيل على الصراط، فلا يجوز على الصراط إلا من كانت معه براءة بولايتك» (١).

ونقل عن الخوارزمي أنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «الصراط صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة. فأما صراط الدنيا، فهو على بن أبي طالب، وأما صراط الآخرة، فهو جسر جهنم، من عرف صراط الدنيا جاز على صراط الآخرة» (٢).

ويؤيد هذا المعنى ما حكاه الشيخ النوري في كتابه المستدرک نقلاً عن كتاب الأنوار المضيئة، تأليف السيد بهاء الدين علي بن السيد غياث الدين الحسيني النيلي، الذي هو من علماء الإمامية وفقهاء الشيعة، يقول السيد المذكور: «أن رجلاً كان يقال له: محمد بن أبي أذينة، كان تولى مسبحه قريه لنا تُسمى قريه نيله، انقطع يوماً في بيته فاستحضره فلم يتمكن من الحضور، فسألوه عن السبب فكشف لهم عن بدنه، فإذا هو إلى وسطه ما عدا جانبي وركيه إلى طرفي ركبته محرق بالنار، وقد أصابه من ذلك ألم شديد لا يمكنه معه القرار، فقالوا له: متى حصل لك ذلك؟

قال: اعلموا أنني رأيت في نومي كأن الساعة قد قامت، والناس في حرج عظيم، وأكثرهم يساق إلى النار، والأقل إلى الجنة، فكنت مع من سيق إلى الجنة، فانتهي بنا المسير إلى قنطره عظيمه في العرض والطول، فقيل: (هذا الصراط) فسرنا عليها، فإذا هي كل ما سلكتنا فيها قلّ عرضها، وبعد طولها، فلم نبرح كذلك ونحن نسرى (نسير) عليها، حتى

ص: ٢٨٨

١- (١) الإعتقادات في دين الإمامية: ص ٧٠. معاني الأخبار: ص ٣٥ - ص ٣٦، ح ٦. تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٢٢، ح ٩٨ عن معاني الأخبار. بحار الأنوار: ج ٨، ص ٦٦، ح ٤ عن معاني الأخبار، وص ٧٠، ح ١٩ عن الإعتقادات، وج ٢٣، ص ١٠٠، ح ٤ عن معاني الأخبار أيضاً.

٢- (٢) نقله عنه الشيخ محمد طاهر القمي الشيرازي في كتابه الأربعين: ص ٧٨، والعلامة الأميني في الغدير: ج ٢، ص ٣١١.

عادت كحَدِّ السيف، وإذا تحتها وادٍ عظيم أوسع ما يكون من الأودية، تجرى فيه نار سوداء يتقلقل فيها جمر كقلل الجبال، والناس ما بين ناجٍ وساقط، فلم أزل أميل من جهة إلى أخرى، حتى انتهيت إلى قريب من آخر القنطرة، فلم أتمالك حتى سقطت من عليها، فخضت في تلك النار حتى انتهيت إلى الجرف، فجعلت كلما نتشبت به لم يتماسك منه شيء في يدي، والنار تحدرني بقوة جريانها، وأنا أستغيث، وقد انذهلت وطار عقلي، وذهب لبي، فألهمت فقلت: يا علي بن أبي طالب، فنظرت فإذا رجل واقف على شفير الوادي، فوقع في روعي أنه الإمام علي عليه السلام، فقلت: يا سيدي، يا أمير المؤمنين. فقال: هات يدك. فمددت يدي، فقبض عليها وجذبني، وألقاني على الجرف، ثم أمارط النار عن وركي بيده الشريفه، فانتبهت مرعوباً، وأنا كما ترون. فإذا هو لم يسلم من النار إلا ما مسه الإمام عليه السلام، ثم مكث في منزله ثلاث أشهر يداوى ما أحرق منه بالمراهم حتى برىء، وكان بعد ذلك قل أن يذكر هذه الحكاية لأحد إلا أصابته الحمى» (١).

ما يخفف المرور على الصراط

هناك عدّه أعمال لها الأثر البالغ في تخفيف أمر الصراط، ومن جملة هذه الأمور موالاه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، والبراء من أعدائه، كما تقدّمت الإشارة إليه، بل أنّ مولاته عليه السلام والبراء من أعدائه هي الصراط الأقوم الذي نسأله في صلواتنا، ونطلبه غدوةً وعشيّاً، فقد روى عنهم عليهم السلام: «أنّ الصراط صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأما الذي في الدنيا فهو أمير المؤمنين، فمن اهتدى إلى ولايته في الدنيا جاز على الصراط في الآخرة، ومن لم يهتدِ إلى ولايته في الدنيا لم يجز على الصراط في الآخرة» (٢).

وهناك أعمال من صلوات وزيارات لها الأثر في تخفيف الممرّ على الصراط، ومن

ص: ٢٨٩

١- (١) خاتمه مستدرک الوسائل: ج ٢، ص ٢٩٩ - ص ٣٠٠.

٢- (٢) تأويل الآيات: ج ١، ص ٢٩.

ضمن هذه الأعمال صلاة ليله التاسع والعشرين من شهر شعبان، رواها جمال العارفين السيد ابن طاووس رحمه الله، حيث قال: «وَمَنْ صَلَّى فِي اللَّيْلَةِ التَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ عَشْرَ رَكَعَاتٍ، يقرأ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ مَرَّةً وَ (أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ) عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَالْمَعُودَتَيْنِ عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) عَشْرَ مَرَّاتٍ، أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ثَوَابَ الْمُجْتَهِدِينَ، وَثَقَلَ مِيزَانُهُ، وَيُخَفِّفُ عَنْهُ الْحِسَابَ، وَيَمُرُّ عَلَى الصِّرَاطِ كَالْبُرْقِ الْخَاطِفِ» (١).

ومن جملة الأعمال أيضاً زياره الإمام الثامن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، فقد ورد عنه عليه السلام أنّه قال: «مَنْ زَارَنِي عَلَى بَعْدِ دَارِي وَشَطُونٍ (٢) مَزَارِي أْتَيْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ثَلَاثِ مَوَاطِنٍ حَتَّى أُخْلِصَهُ مِنْ أَهْوَالِهَا: إِذَا تَطَايَرَتِ الْكُتُبُ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ، وَعِنْدَ الْمِيزَانِ» (٣).

\*\*\*

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ،

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

والعاقبة للمتقين.

ص: ٢٩٠

١- (١) إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٣٦٤ - ص ٣٦٥.

٢- (٢) الشطن: البعيد النازح. ومنه قيل: نوى شطون، وبئر شطون. ومن ذلك سمي الحبل شطناً. غريب الحديث، ابن قتيبه: ج ٢، ص ٣٦٧.

٣- (٣) كامل الزيارات: ص ٥٠٦، ح ٤. أمالي الشيخ الصدوق: ص ١٨٣، ح ٩. الخصال: ص ١٦٧ - ص ١٦٨، ح ٢٢٠. عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٨٥، ح ٢. من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٨٤، ح ٣١٨٩. تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٨٥، ح ٥. المزار (الشيخ المفيد): ص ١٩٥، ح ٢. المزار (ابن المشهدى): ص ٤٠، ح ٢١. روضه الواعظين: ص ٢٣٥. العقد النضيد والدرّ الفريد: ص ٣٤، ح ٢٤. معارج اليقين في أصول الدين: ص ٩٢، ح ٩. وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٥٥١، ح ٢. بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ٣٤، ح ١٣ عن الخصال والأمالى.



## المحاضره الثامنه والعشرون: إدخال السرور على المؤمنين

ص: ٢٩١



عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «تَبَسُّمُ الرَّجُلِ فِي وَجهِ أَخِيهِ حَسَنُهُ، وَصَرَفُ الْقَدَى عَنْهُ حَسَنُهُ، وَمَا عَبَدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِدْخَالِ السَّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ» (١).

من الأفعال الحسنه التي حثَّ عليها الدين القويم، والشرائع السماويه جمعاء، هو إدخال السرور على المؤمنين، وبشئى الطرق، ومختلف الوسائل، ومن الروايات التي حثَّت على هذا الفعل المهم، والعمل المقدَّس هذه الروايه الشريفه المرويّه عن إمامنا باقر علوم الأولين والآخرين، الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام، وقد ذكرها العلامة المجلسى رحمه الله فى البحار مع بيان لها هذا نصّه، قال: «بيان: (حسنه) أى خصله حسنه توجب الثواب (وصرفه القذى عنه) القذى يحتمل الحقيقه، وأن يكون كناية عن دفع كلِّ ما يقع عليه من الأذى، قال فى النهايه: فيه جماعه على أقذاء: الأقذاء جمع قذى، والقذى جمع قذاه، وهو ما يقع فى العين والماء والشراب من تراب أو تبن أو وسخ أو غير ذلك، أراد أنّ اجتماعهم يكون فساداً فى قلوبهم، فشبهه بقذى العين والماء والشراب» (٢).

وذكرت هذه الروايه الشريفه من بين كمّ هائلٍ من الروايات التي تعرّضت لثواب إدخال السرور على المؤمن (٣).

فعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إِنَّ فِيما نَاجى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ عَبْدَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ لى عِبَاداً أُبِيحُهُم جَنَّتى وَأُحَكِّمُهُم فِيها، قَالَ: يا رَبِّ، وَمَنْ هؤُلاءِ الَّذِينَ تُبِيحُهُم جَنَّتَكَ وَتُحَكِّمُهُم فِيها؟ قَالَ: مَنْ أَدْخَلَ عَلَى مُؤْمِنٍ سُروراً، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ مُؤمناً كان فى مملكه جَبَّار

ص: ٢٩٣

- 
- ١- (١) الكافى: ج ٢، ص ١٨٨، ح ٢. وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٣٤٩، ح ٢. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢٨٨، ح ١٥ عن الكافى. جامع السعادات: ج ٢، ص ١٧٤.
  - ٢- (٢) بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢٨٨.
  - ٣- (٣) انظر - على سبيل المثال -: الكافى: ج ٢، ص ١٨٨ - ص ١٩٢ باب إدخال السرور على المؤمنين، فيه ١٦ روايه.

فولع به فهرب منه إلى دار الشرك، فنزل برجلٍ من أهل الشرك فأظله وأرفقه وأضافه، فلما حضره الموت أوحى الله عز وجل إليه: وعزّتي وجلالي لو كان [لك] في جنتي مسكن لأسكنتك فيها، ولكنها محرّمة على من مات بى مشركاً، ولكن يا نار هيديه ولا تؤذيه، ويؤتى برزقه طرفى النهار، قلت: من الجنّه؟ قال: من حيث شاء الله» (١).

والرواية الشريفه التي افتتحنا بها الكلام ذكرت أمرين من حقوق الإخوه وحقائق الإيمان، الأول: التّبسّم، والثاني: صرف الأذى ودفعه عنه. ثمّ ذكرت أنّ الأهمّ من هذا كلّهُ هو إدخال السرور على المؤمن.

فكأنّما يريد أن يقول الإمام عليه السلام: إنّ أهمّ ما يصنعه المؤمن لإخيه المؤمن هو إدخال السرور، فقد يكون إدخال السرور عن طريق التّبسّم، أو عن طريق إماطه الأذى عنه؛ لأنّ مصاديق إدخال السرور عديده، كما سيأتى إن شاء الله تعالى بيانه.

### سُبُل إدخال السرور على المؤمن

هناك عدّه سُبُل يمكن بها إدخال السرور على المؤمنين، ومن هذه السبل قضاء حوائجهم والسعى فيها، وتنفيس كربتهم، ونصرتهم وردّ العاديه عنهم، وقضاء دينهم، وإشباع جوعتهم، إلى غير ذلك من الطرق العديده التي بفعلها يدخل السرور على المؤمنين، والذي مردّه إلى رضا الله تبارك وتعالى، فقد روى عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَن أدخل السرور على مؤمنٍ فقد أدخله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومَن أدخله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد وصل ذلك إلى الله، وكذلك مَن أدخل عليه كرباً» (٢).

ص: ٢٩٤

١- (١) الكافي: ج ٢، ص ١٨٨ - ص ١٨٩، ح ٣، كتاب المؤمن: ص ٥٠، ح ١٢٣، ثواب الأعمال: ص ٢٧٢. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ٤٤٣ - ص ٤٤٤. بحار الأنوار: ج ٨، ص ٣١٤، ح ٩٢ عن الكافي، وج ٧١، ص ٢٨٨، ح ١٦ عنه أيضاً. مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ٣٩٤، ح ٣ عن كتاب المؤمن.

٢- (٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٩٢، ح ١٤. كتاب المؤمن: ص ٦٨، ح ١٨٣. وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٣٥٠، ح ٤. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢٩٧، ح ٢٧. مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ٣٩٥، ح ٥.

ولو أردنا استقصاء هذه السبل بكاملها لطال بنا المقام، ولكن نقتصر على الميسور منها، وإن كانت الروايات قد استقصت ذكر هذه السبل ومقدار ثوابها، وأعظم ثواباً لهذه السبل هو قضاء حاجه المؤمن؛ لأنه بها تُنفسُ كُربته في الغالب، خصوصاً إذا كانت قضاء دينه وإشباع جوعته.

والخلاصه: يمكن القول: إن قضاء حاجه المؤمن هي أعظم هذه السبل، فقد تكون حاجه المؤمن دفع الظلم عنه، فإذا دفعناه عنه تحقّق معنى قضاء الحاجه.

وقد تكون حاجه المؤمن المسارعه في نصرته، فإذا نصرناه تحقّق معنى قضاء الحاجه، وهكذا يمكن الكلام في الجميع.

ومن هنا سوف يتحقّق إدخال السرور على المؤمن بقضاء حاجته، غايه ما هناك أنّ قضاء الحاجه له كفيات مختلفه، وصور متنوعه كلّها يُعبّر عنها بقضاء الحوائج، وهو المعنى الذي أكّده الروايات الشريفه وحثّت عليه.

فقد روى بسندٍ معتبر عن المشمعل الأسدي أنه قال: «خرجت ذات سنه حاجاً، فانصرفت إلى أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، فقال: من أين بك يا مشمعل؟ فقلت: جعلت فداك، كنت حاجاً. فقال: أو تدري ما للحاج من الثواب؟ فقلت: ما أدري حتى تعلمني. فقال: إن العبد إذا طاف بهذا البيت أسبوعاً، وصلى ركعتيه، وسعى بين الصفا والمروه، كتب الله له ستّه آلاف حسنه، وحط عنه ستّه آلاف سيئه، ورفع له ستّه آلاف درجه، وقضى له ستّه آلاف حاجه للدنيا كذا، وأدخر له للآخرة كذا. فقلت له: جعلت فداك، إن هذا لكثير! قال: أفلا أخبرك بما هو أكثر من ذلك؟ قال قلت: بلى. فقال عليه السلام: لقضاء حاجه امرئ مؤمن أفضل من حجّه وحجّه وحجّه، حتى عدّ عشر حجج» (١).

ص: ٢٩٥

---

١- (١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥٨١ - ص ٥٨٢، ح ١٤. روضه الواعظين: ص ٣٥٩ - ص ٣٦٠. بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢٨٤ - ص ٢٨٥، ح ٤، عن الأمالي، وج ٩٦، ص ٣، ح ١ عن الأمالي أيضاً.

وروى عن حنان بن سدير عن أبيه قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فذكر عنده المؤمن، وما يجب من حقه، فالتفت إليّ أبو عبد الله عليه السلام فقال لي: يا أبا الفضل، ألا أحدثك بحال المؤمن عند الله؟ فقلت: بلى، فحدثني جعلت فداك. فقال: إذا قبض الله روح المؤمن صعد ملكاه إلى السماء، فقالا: يا ربّي، عبدك ونعم العبد، كان سريعاً إلى طاعتك، بطيئاً عن معصيتك، وقد قبضته إليك، فما تأمرنا من بعده؟ فيقول الجليل الجبار: اهبطا إلى الدنيا، وكونا عند قبر عبدى، وسبحانى ومجدانى وهللانى وكبرانى، واكتبا ذلك لعبدى حتى أبعثه من قبره. ثم قال لي: ألا أزيدك؟ قلت: بلى. فقال: إذا بعث الله المؤمن من قبره، خرج معه مثال يقدمه أمامه، فكلمما رأى المؤمن هولاً من أهوال يوم القيامة، قال له المثال: لا تجزع ولا تحزن، وأبشر بالسرور والكرامه من الله عزّ وجلّ. قال: فما يزال يبشره بالسرور والكرامه من الله (سبحانه) حتى يقف بين يدي الله (عزّ وجلّ) ويحاسبه حساباً يسيراً، ويأمر به إلى الجنّة والمثال أمامه، فيقول له المؤمن: يرحمك الله، نعم الخارج معى من قبرى، ما زلت تبشّرني بالسرور والكرامه من الله (عزّ وجلّ) حتى كان ذلك، فمن أنت؟ فيقول له المثال: أنا السرور الذى أدخلته على أخيك فى الدنيا، خلقتنى الله منه لأبشرك» (١).

إذن فدفع الأذى عن المؤمنين، وقضاء حوائجهم، وإدخال السرور عليهم من الأفعال التى يحبها الله ورسوله وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام، وأقلّ حقّ يؤدّيه المؤمن لأخيه المؤمن الآخر هو التبسّم فى وجهه، وصرف القذى عنه، وإلاّ فحقوقهم أكثر وأكبر من ذلك.

ولأنقل لك هذه الحكايه عن أحد علمائنا الأبرار، وهو المولى المقدّس الأردبيلي رحمه الله، وحاصلها: أنّ بعض الزوّار رآه فى النجف فحسبه - لرثه ثيابه - من بعض الفقراء المتكسّين، فسأله: هل تغسل هذه الثياب بالأجره؟ قال: نعم، وواعده فى الصحن ليأتى بها

ص: ٢٩٦

١- (١) أمالى الشيخ الطوسى: ص ١٩٥ - ص ١٩٦، ح ٣٥، عنه بحار الأنوار: ج ٦، ص ١٥٢، ح ٤، وج ٧١، ص ٢٨٣، ح ٣ عن الأمالى أيضاً.

إليه في الغد، فأخذها وغسلها بنفسه، وأتى إلى الصحن في الوقت المضروب، فوجد صاحبها هناك فدفعها إليه، وأراد صاحب الثياب أن يعطيه الأجره فامتنع، فأخبره بعض المارة: إن هذا هو المقدس الأردبيلي، العالم الشهير، فوقع على أقدامه معتذراً بأنه لم يعرفه، فقال: لا بأس عليك: إن حقوق إخواننا أعظم من هذا(١).

وهكذا كان ديدن الأئمة عليهم السلام مع شيعتهم المؤمنين المخلصين، بل وهكذا كان المؤمنون يحاولون إدخال السرور على إخوانهم بشتى الطرق والوسائل؛ لأنهم تعلموا من أئمتهم عليهم السلام أنه ما عبد الله بشيء أحب إليه من إدخال السرور على المؤمنين.

فهذا هو سيد الشهداء عليه السلام يتوسط لقضاء حوائج المؤمنين لدى الفاسقين؛ لأجل إدخال السرور على المؤمنين، «فقد دخل الحسين عليه السلام على معاوية، وعنده أعرابي يسأله حاجه، فأمسك وتشاغل بالحسين، فقال الأعرابي لبعض من حضر: من هذا الذى دخل؟ قالوا: الحسين بن على، فقال الأعرابي للحسين: يا ابن بنت رسول الله، لما كلمته حاجتى، فكلمه الحسين فى ذلك، فقضى حاجته، فقال الأعرابي:

أتيت العشمى فلم يجد لى إلى أن هزه ابن الرسول

هو ابن المصطفى كرمًا وجوداً ومن بطن المظهره البتول

وإن لهاشم فضلاً عليكم كما فضل الربيع على المحول

فقال معاوية: يا أعرابي أعطيك، وتمدحه؟ فقال الأعرابي: يا معاوية، أعطيتنى من حقه وقضيت حاجتى بقوله «(٢)

وقد روى عنه عليه السلام أنه قال: «صح عندى قول النبى أفضل الأعمال بعد الصلاه إدخال السرور فى قلب المؤمن بما لا إثم فيه، فإننى رأيت غلاماً يواكل كلباً، فقلت له فى ذلك،

ص: ٢٩٧

١- (١) من المسموعات التى نقلها لنا الأساتذه فى الأخلاق.

٢- (٢) مناقب آل أبى طالب: ج ٣، ص ٢٣٥، عنه بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢١٠، ح ٦، والعوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٨٤ - ص ٨٥ ح ٢.

فقال: يا ابن رسول الله، إنني مغمومٌ اطلبُ سروراً بسروره؛ لأنَّ صاحبي يهودى أريد أفارقه. فأتى الحسين عليه السلام إلى صاحبه بمائتى دينار ثمناً له، فقال اليهودى: الغلام فدى لخطاك، وهذا البستان له، ورددتُ عليك المالَ. فقال عليه السلام: وأنا قد وهبتُ لك المالَ. فقال: قبلتُ المالَ ووهبته للغلام. فقال الحسين: أعتقتُ الغلامَ ووهبته له جميعاً. فقالت امرأته: قد أسلمتُ ووهبتُ زوجى مهرى. فقال اليهودى وأنا أيضاً أسلمتُ وأعطيتها هذه الدار»(١).

فأنظر وتأمل فى هذه الأخلاق الحسينية العظيمة، فما أن رأى الإمام الحسين عليه السلام هذا الغلام يواكل الكلب، ويطلب سروراً بسروره للكلب، حتى بادر الإمام إلى إكرامه والشفقة عليه، بأن ذهب إلى بيت اليهودى يشتريه منه ويحرره.

وهكذا كانت الرحمة الحسينية التى ورثها عن أبيه عليه السلام، وجدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وأمه الزهراء عليها السلام، وأخيه المجتبي عليه السلام، ولكن أسفى عليك يا أبا عبد الله، فقد أدمعت عيون المؤمنين لما صنع بك، وبآل بيتك فى يوم عاشوراء وما بعده فقد:

رضوا بجردهم قراك وأضرموا ناراً بأخيه المكارم والندى

وسبوا إليك حرائراً سبى الإما للشام فى ركبٍ به شمرٌ حدى

ولمجلس الطاغى جليلين حواسراً يندبن يا جداه ما بين العدى(٢)

\*\*\*

إننا لله وإننا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أئى منقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين.

ص: ٢٩٨

١- (١) مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٢٩ - ص ٢٣٠. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ١٩٤. العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ص

٦٤ - ص ٦٥. مستدرک الوسائل: ج ١٢، ص ٣٩٨، ح ١٦.

٢- (٢) الأبيات من قصيده رائعه لشيخنا الأستاذ، الخطيب الشهير، الشيخ محمد سعيد المنصورى رحمه الله، انظر: ديوان ميراث المنبر: ص ١٥١.







روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من أحبَّ السَّبيلَ إلى الله جرعَتان: جُرْعَةٌ غَيِظٌ تَرُدُّهَا بِحِلْمٍ، وَجُرْعَةٌ حُزْنٌ تَرُدُّهَا بِصَبْرٍ» (١).

هناك بعض الآيات والروايات تكرر ذكرها؛ لأهميتها أولاً، وأهميه الموضوع الذى وردت فيه، ومن هذا القبيل الحديث الذى افتتحنا به كلامنا، فلقد روى هذا الحديث بطرق أخرى بتغيير يسير، فورد فى الكافى الشريف: (وجرعه مصيبه) بدل (حزن)، وبدل (السبيل) كلمه (السبيل) (٢)، والأمر سهل ما دام المضمون واحداً، أو قريباً جداً.

ولأهميته أيضاً روى تارة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وتارة أخرى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وثالثة عن الإمام زين العابدين عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والأمر فى غايه السهوله بعد أن كان كلامهم:

ووالِ اناساً قولهم وحديثهم روى جدُّنا عن جبرئيل عن البارى (٣)

ولأنَّ السَّبيلَ كثيره ومتعدده؛ بين أمير المؤمنين عليه السلام أحبَّها إلى الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ من السَّبيل ما يؤدَّى إلى الله تبارك وتعالى، مثل: (سبيل الله) (٤)، وسبيل المؤمنين (٥)، ومنها: ما

ص: ٣٠١

---

١- (١) تحف العقول: ص ٢١٩. مشكاه الأنوار: ص ٣٨١، ونسبه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٥٨، ح ١٢٨.

٢- (٢) انظر: الكافى: ج ٢، ص ١١٠، ح ٩.

٣- (٣) انظر: الصراط المستقيم: ج ٣، ص ٢٠٧، ولم ينسبه لأحد، ولم أعر على قائله، رغم التسبع الكثير.

٤- (٤) مثل قوله تعالى: (وَ أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) البقره: آيه ١٩٥.

٥- (٥) مثل قوله تعالى: (وَ مَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَ نُصِلهِ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا) النساء: آيه ١١٥.

يُؤدِّي إلى غيره عزَّ وجلَّ، مثل: (سبيل الطاغوت (١)، وسبيل المجرمين) (٢).

وهنا قد بين أمير المؤمنين عليه السلام أحبَّ السُّبُل إلى الله تعالى، وهما السبيلان المذكوران.

والخلاصه: بعض السُّبُل تؤدِّي إلى الله عزَّ وجلَّ، وبعضها تؤدِّي إلى الشيطان؛ ولذا رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه حَطَّ حَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ، ثُمَّ حَطَّ حُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سَبِيلٌ مَتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ: (وَ أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)» (٣).

والسبيلان هما: جُرْعَةُ غَيْظٍ تُرَدُّ بِحَلْمٍ، وَجُرْعَةُ حُزْنٍ تُرَدُّ بِصَبْرٍ.

أَمَّا الْجُرْعَةُ فِي اللَّغَةِ: فَهِيَ كُلُّ شَيْءٍ يَبْلَعُهُ الْحَلْقُ فَهُوَ اجْتِرَاعٌ، وَالْإِسْمُ الْجُرْعَةُ، وَإِذَا جُرَّعَ بَمَرْءٍ، قِيلَ: اجْتَرَعَهُ، وَالْاجْتِرَاعُ بِالْمَاءِ كَالِابْتِلَاعِ بِالطَّعَامِ (٣).

والتعبير بالجرعة غايه في الروعه والجمال، فكأنه كناية عن التحمل والبلع بمراره غير مألوفه، وهو كذلك؛ لذا صارت من أحبَّ السُّبُل إلى الله تعالى.

أَمَّا الْجُرْعَةُ الْأُولَى: فَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ غَيْظٍ يَتَعَرَّضُ لَهُ الْمُؤْمِنُ، ثُمَّ يَقَاوِمُ وَيَصْبِرُ فَيُرَدُّهُ بَصَدِّهِ، وَهُوَ الْحَلْمُ، فَلِذَا صَارَ لِرِزَامًا عَلَيْنَا مَعْرِفَهُ الْغَيْظِ وَمَعْرِفَهُ ضَدَّهُ.

أَمَّا الْغَيْظُ فَهُوَ: هَيْجَانُ الطَّبَعِ، وَانزِعَاجُ النَّفْسِ (٤)، وَعَدَمُ كَظْمِهِ هُوَ عَيْنُ الْغَضَبِ (٥).

ص: ٣٠٢

١- (١) مثل قوله تعالى: (... وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) النساء: آيه ٧٦.

٢- (٢) مثل قوله تعالى: (وَ كَذَلِكَ نَفْضَلُ الْآيَاتِ وَ لِنَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ) الأنعام: آيه ٥٥.

٣- (٤) انظر: كتاب العين: ج ١، ص ٢٢٥. تفسير التبيان: ج ٣، ص ٣٦.

٤- (٥) انظر: تفسير التبيان: ج ٣، ص ٣٦.

٥- (٦) انظر: عمده القارئ: ج ٢، ص ١٦٣.

فلو كظمه المؤمن ولم يفشه وحلم فقد صار ممسكاً لغيضه؛ لأنَّ كظم الغيظ هو الإمساك على ما فى النفس من شدّه الغضب بالتصبر؛ حتّى لا يظهر له أثر سىء يضرّه ويضرّ غيره(١).

ويكفيك معرفه بمقام كظم الغيظ قوله تعالى: (وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) ٢ ، فهم من المحسنين الذين يحبهم الله، وكفى به مقاماً ومنزلةً.

وما روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «مَنْ كَظَمَ غِيضاً وَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ إِفْزَاقِهِ، وَحَلَمَ عَنْهُ، أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ شَهِيدٍ»(٢) ، وهو غايه فى الترغيب؛ حتّى علق عليه بعض أعاضم الشّراح بقوله: «وفوائده (فوائد كظم الغيظ والحلم) غير محصوره، منها: أنّه يوجب زياده الأنصار والأعوان، ومنها: أنّه يوجب الذكر الجميل بين الإخوان، والصيت الحسن فى غابر الزمان، كما قيل:

فَعَفُوكَ فِي الْأَيَّامِ كَالْمَسْكَ فَايْحٌ وَصَفْحَكَ فِي الْإِسْلَامِ كَالنَّجْمِ زَاهِرٌ»(٣)

إذن هذا هو الغيظ والذى يُردّ بحلم.

أما الحلم - بالكسر - فهو الأناة، تقول منه: حلّم الرجل، بالضم. وتحلّم: تكلف الحلم(٤).

وقد ورد الأمر بالتحلّم عن أئمتنا الطاهرين عليهم السلام، فى الكافى الشريف عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «كفى بالحلم ناصراً، وقال: إذا لم تكن حليماً فتحلّم»(٥).

ص: ٣٠٣

١- (١) انظر: الشفاء الروحى: ص ٢٣١.

٢- (٢) أمالى الشيخ الصدوق: ص ٥١٦. من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ١٥.

٣- (٣) شرح أصول الكافى (المازندراني): ج ١، ص ٢٤٠.

٤- (٤) الصحاح: ج ٥، ص ١٩٠٣.

٥- (٥) الكافى: ج ٢، ص ١١٢، ح ٦.

وعَلَّقَ عليه المازندراني بقوله: «المراد: أن الحلم ناصر كافٍ للحليم؛ لأنَّ الناس يحبُّونه ويميلون إليه ويعينونه في المكاره، وقال: إذا لم تكن حليماً فتحلم. فاكْتَسَبَ الحلم؛ لأنَّ الحلم كساير الأخلاق، قد يكون خُلُقياً وقد يكون كسبياً، أو المراد: فتكلَّفَ الحلم وأظهره؛ فإنَّ ذلك قد يجزُّ إلى إكتساب الحلم والإتصاف به، ويدلُّ عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام: إن لم تكن حليماً فتحلم، فإنه قلَّ مَن تشبَّه بقوم إلاَّ- أوشك أن يكون منهم. أراد عليه السلام: أن الحلم أحسن، وإن يكن فالتشبه بالحليم حسن»(١).

وقد يغضب الإنسان فيكون غضبه لله تبارك وتعالى، إذا كان في الحلم مفسده أكبر من الغضب، كما لو ظلم إنساناً في حضره إنسان آخر، أو اعتدى عليه، فيكون الدفاع عنه أولى من الحلم عن المعتدى والظالم، كما روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قصة ثابت بن قيس بن شماس، كان في أذنه وقر، وكان إذا دخل المسجد تفسحوا له حتى يقعد عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيسجد ما يقول، فدخل المسجد يوماً والناس قد فرغوا من الصلاة وأخذوا مكانهم، فجعل يتخطى رقاب الناس، وهو يقول: تفسحوا تفسحوا، حتى انتهى إلى رجل، فقال له: أصبت مجلساً فاجلس، فجلس خلفه مغضباً، فلما انجلت الظلمة قال: من هذا؟ قال الرجل: أنا فلان، قال ثابت: ابن فلان؟ ذكر أمأ له كان يُعْتَر بها في الجاهلية، فنكس الرجل رأسه حياءً، فنزل قوله تعالى: (لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ) ٢... فقال صلى الله عليه وآله وسلم: من الذاكر فلانه؟

فقام ثابت فقال: أنا يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: انظر في وجوه القوم، فنظر إليهم فقال: ما رأيت يا ثابت؟ فقال رأيت أسود وأبيض وأحمر، قال: فإنك لا تفضلهم إلا بالتقوى والدين، فنزل قوله تعالى (يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) ٣، وقوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

ص: ٣٠٤

وبالتأمل في هذه الواقعة نجد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وهو الذى مدحه القرآن الكريم ب (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) ٣ - يقوم ويصنع مع المعتدى والساخر ما لم يألفه الكثير من المسلمين، لكن في الواقع فعله صلى الله عليه وآله وسلم من صميم الدين والخُلُق العظيم الذى مدحه الله تبارك وتعالى به؛ إذ كيف يحلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن إنسان ارتكب ما هو بعيدٌ عن روح الإسلام وتعاليمه، وتعاليم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخلاقه العظيمة، بل ارتكب ذنباً عظيماً وهو السخريه من الآخرين، وعليه إذن في هكذا مورد وأمثاله يكون عدم الحلم هو المتعين؛ اقتداءً بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، هذه هي الجرعه الأولى والسبيل الأول.

وأما الجرعه الثانيه: جرعه حزنٍ تردّها بصبر.

الحزن كلمه حزينه بذاتها، تذيب القلب عند سماعها، ركبت بتركيب عجيب، يتهادى لها كلّ صلب، فضلاً عن اللين والحنون، لفظه مرّه المذاق، وجرعه عجيبه الطعم، وصعبه تناول.

هى كلمه تجمع كلّ ما هو خلاف السرور (١) ونقيض الفرح (٢).

قال المازندراني: «والحُزن بالضم خلاف السرور، وحزنه الأمر حزناً وأحزنه جعله حزيناً، وحزّنه تحزيناً جعل فيه حزناً، فهو محزون ومحزن وحزين. وحزناً بكسر الزاى وضمها» (٣).

ومن المعلوم أنّ الحزن يكون في الرزايا، فينبغى أن يكون السرور في الفوائد وما يجرى

ص: ٣٠٥

١- (٤) انظر: الصحاح: ج ٥، ص ٢٠٩٨.

٢- (٥) انظر: لسان العرب: ج ١٣، ص ١١.

٣- (٦) شرح أصول الكافي: ج ١٠، ص ٤١٩.

مجرأها من المأاذ؁ كما نصّ على ذلك أبو هلال العسكرى فى الفروق اللغوية(١).

فإن كان هذا الحزن لله تعالى خوفاً منه تباركت أسماؤه؁ وشوقاً لفراقه جلّ وعلا؁ كان جميلاً؁ كما روى ذلك عن تلك المرأة الصالحة التى جاء زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: إن لى زوجه إذا دخلت تلقّتنى؁ وإذا خرجت شيعتنى؁ وإذا رأتنى مهموماً قالت لى: ما يهّمك؟ إن تهتمّ لرزقك فقد تكفّل لك به غيرك؁ وإن كنت تهتمّ بأمر آخرتك فزادك الله همّاً؁ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ لله عمّالاً؁ وهذه من عمّاله؁ لها نصف أجر الشهيد»(٢).

وأما الحزن لأجل أمور الدنيا فقد نهانا البارى عزّ وجلّ عنه؁ حيث يقول - جلّت أسماؤه -: (لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى ما مَتَّعنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) ٣.

والطريق السليم؁ والحل الذى رسمته لنا السماء للحزن هو الصبر؁ حيث قال تبارك وتعالى: (وَاصْبِرْ وَ ما صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لا تَكُ فى ضَيْقٍ ممّا يَمْكُرُونَ) ٤.

إذن علاج الحزن هو الصبر؁ والذى ورد فيه الحثّ الأكيد؁ فعن إمامنا الصادق عليه السلام أنّه قال: «الصبر من الإيمان بمنزله الرأس من الجسد؁ فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد؁ كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان»(٣).

\*\*\*

إنّا لله وإنا إليه راجعون؁ ولا حول ولا قوّه إلا بالله العلىّ العظيم؁

وسيعلم الذين ظلموا آل محمّد أىّ منقلبٍ ينقلبون

والعاقبه للمتقين.

ص: ٣٠٤

١- (١) انظر: الفروق اللغوية: ص ٢٧٧

٢- (٢) من لا يحضره الفقيه: ج ٣؁ ص ٣٨٩؁ ح ٤٣٦٩.

٣- (٥) الكافي: ج ٢؁ ص ٨٧؁ ح ٢؁ وح ٥.







قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في بعض الأعياد: «إنما هو عيدٌ لمن قَبِلَ الله من صيامه، وشَكَرَ قيامه، وكلَّ يوم لا يُعصى الله فيه فهو عيدٌ» (١).

بعد مضي شهر من الصيام والقيام، أتعب فيه المسلمون المؤمنون أنفسهم بإحيائه بالعبادة بشتى أنواعها، من قراءة لكتاب الله العزيز الحكيم، وتلاوه الأدعية، والتقرب إليه عزَّ وجلَّ بالفرائض والنوافل و... و... فبعد كلِّ هذا رَوَّحَ الله تبارك وتعالى على المسلمين بفرحة تعمُّ قلوب جميع المؤمنين، يجتمعون فيه معاً مهتئين ومكبرين الله عزَّ وجلَّ، وحامديه على كمال التوفيق، وتمام النعمة عليهم بالانتهاج من هذه الفريضة المقدَّسه، وهي فريضة الصوم.

ويُسمَّى هذا اليوم السعيد في الأرض بالعيد، وفي السماء بيوم الجائزة (٢) ينادى الحقُّ تبارك وتعالى الملائكة: «يا ملائكتي، ما جزاء الأجير إذا عمِلَ عَمَلَهُ؟ فتقول الملائكة: إلها وسيدنا جزاؤه أن توفيه أجره، قال: فيقول عزَّ وجلَّ: فإنِّي أشهدكم ملائكتي، أنِّي قد جعلت ثوابهم عن صيامهم شهر رمضان وقيامهم رضائي ومغفرتي، ويقول جلَّ جلاله: يا عبادي، سلوني فوعزتي وجلالي لا تسألوني اليوم شيئاً في جمعكم لآخرتكم إلا أعطيتكم، ولدنياكم إلا نظرت لكم، وعزتي لأسترن عليكم عثراتكم ما رأيتموني، وعزتي لا- أخزبنكم ولا- أفضحنكم بين يدي أصحاب الخلود. انصرفوا مغفوراً لكم، قد أَرْضَيْتُمُونِي فَرْضَيْتِ عَنْكُمْ، فتعرج الملائكة وتستبشر بما يعطى الله عز وجل هذه الأمة إذا أفطروا من

ص: ٣٠٩

- 
- ١- (١) نهج البلاغه: ج ٤، ص ٧٢١. روضه الواعظين: ص ٣٥٤. وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٣٠٨، ح ١٢. بحار الأنوار: ج ٨٨، ص ١٣٦، ح ٥ عن النهج. مستدرک الوسائل: ج ٦، ص ١٤٩ - ص ١٥٠، ح ١.
- ٢- (٢) انظر: الكافي: ج ٤، ص ٦٧ - ص ٦٨، ح ٦. أمالي الشيخ الصدوق: ص ١٠٢ - ص ١٠٣، ح ١، ثواب الأعمال: ص ٦٤. فضائل الأشهر الثلاثة: ص ٨٠، ح ٦٢.

وهذا الكلام الذى افتتحنا به حديثنا هو كلام سيد البلغاء والمتكلمين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد روى فى غير النهج بكيفيه أخرى مشتركة، تشابه ما فى النهج فى بعض الجمل.

فقد روى عنه عليه السلام أنه قال: «اليوم لنا عيدٌ، وغداً لنا عيدٌ، وكلُّ يومٍ لا نعصى الله فيه، فهو لنا عيد» (٢).

والظاهر أن الحادثة تكررت مرتين، تعرّض فيها الإمام عليه السلام لذكر العيد.

والمهم فى المقام هو تناول كلمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الواردة فى نهج البلاغه، إذ يقول الإمام عليه السلام: «إنما هو عيدٌ لمن قبلَ الله من صيامه، وشكرَ قيامه، وكلُّ يومٍ لا يُعصى الله فيه فهو عيد». وستعرّض لهذه الجملة الشريفه بإيجاز.

#### شرائط قبول الصوم

يتعرّض الفقهاء فى كتاب الصوم لشرائط الصوم غالباً، ويعرضون فى الغالب عن التعرّض لشرائط القبول، مع أن الكثير منهم يذكر أن للصوم شروط صحّه وقبول، وعدم ذكرهم لها، إمّا لكونها خارجة عن غرضهم فعلاً، أو لكون شروط القبول لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى.

أما شروط الصحّه: فهى عديده، منها: الإسلام، والإيمان، والعقل، والخلو من الحيض والنفاس، وعدم الإصباح جُنُباً، وعدم السفر، وعدم المرض، وما هو مذكور فى محلّه.

ص: ٣١٠

---

١- (١) فضائل الأشهر الثلاثة: ص ١٢٧ - ص ١٢٨. روضه الواعظين: ص ٣٤٧. أمالى الشيخ المفيد: ص ٢٣٢، ح ٣. إقبال الأعمال: ج ١، ص ٢٥. فضائل الأوقات: ص ٢٥٢. الدرّ المنتور: ج ١، ص ١٨٧. تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٢، ص ٢٩٢. بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ٣٣٩ ضمن ح ١ عن أمالى الشيخ المفيد.

٢- (٢) مستدرک الوسائل: ج ٦، ص ١٥٤، ح ٨.

وأما شروط القبول: فأول شرطٍ وأهمّها على الإطلاق هو التقوى، والتقوى شرط عامٌ لقبول الأعمال؛ لقوله تعالى: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) ١، سواء كان العمل صوماً أم غيره من سائر العبادات.

ومن الشروط المهمّة أيضاً، والتي تعرّضت الروايات لذكره، هو زكاة الفطره، فعن أبي بصير وزراره جميعاً، قالوا: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّ من تمام الصوم إعطاء الزكاة - يعنى: الفطره - كما أنّ الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من تمام الصلاة؛ لأنّه من صام ولم يؤدّ الزكاة فلا صوم له إذا تركها متعمّداً، ولا صلاة له إذا ترك الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، إنّ الله عزّ وجلّ قد بدأ بها قبل الصوم، فقال: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى \* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى)» ٢.

مضافاً إلى ذلك كونها زكاة وصدقه مطهّره للصائم من الهفوات والزلّات، التي تعرّض لها العبد في أيام صيامه.

ومن هنا روى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «فرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زكاة الفطر، طهرةً للصائم من اللغو والرفث، وطعمه للمساكين. فمن أداها قبل الصلاة، فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة، فهي صدقه من الصدقات» (١).

وفي بعض الأحاديث: «إنّ صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلّا

ص: ٣١١

---

١- (٣) سنن ابن ماجه: ج ١، ص ٥٨٥، ح ١٨٢٧. سنن أبي داود: ج ١، ص ٣٦٢ - ص ٣٦٣، ح ١٦٠٩. المستدرک علی الصحیحین: ج ١، ص ٤٠٩. السنن الكبرى (البيهقي): ج ٤، ص ١٦٣. سنن الدارقطني: ج ٢، ص ١٢١، ح ٢٠٤٨. فضائل الأوقات: ص ٣٠٨ - ص ٣٠٩، ح ١٤٧. عوالي اللئالي: ج ١، ص ١٧٧، ح ٢٢١، عنه مستدرک الوسائل: ج ٧، ص ١٣٨، ح ٥، وجامع أحاديث الشيعة: ج ٨، ص ٢٧١، ح ٩.

بزكاه الفطر»(١)، وهذا ظاهر في كونها من شروط القبول، «وهو كناية عن توقف تمام ثوابه، حتى تؤدى الزكاه، فلا ينأى حصول أصل الثواب بدونها»(٢).

وزكاه الفطره هذه تجب بدخول ليله العيد على المشهور، ويجوز تأخيرها إلى زوال الشمس يوم العيد لمن لم يصلّ صلاه العيد، والأحوط عدم تأخيرها عن صلاه العيد لمن يصلّيها(٣).

ويشترط في وجوبها: البلوغ، والعقل، وعدم الإغماء، والغنى. ويجب على من اجتمع فيه الشرائط أن يخرجها عن نفسه، وعن كل من يعوله، واجب النفقه أم غيره، وسواء أكان قريباً أم بعيداً، مسلماً أم كافراً، صغيراً أم كبيراً.

ويستحب للفقير أن يخرجها، كأن يتصدق على بعض عياله بصاع، ثم هو على آخر، يديرونها بينهم، ويستحب بعد الانتهاء التصدق على الأجنبي. والمقدار الواجب إخراجه فيها صاع، وهو أربعة أمداد، وتحديد الصاع بحسب الكيلو ثلاث كيلوات أو أكثر بقليل.

والضابط في الجنس الذي يُعطى: القوت الشائع لأهل البلد، سواء كان من الأجناس الأربعة (الحنظل والشعير والتمر والزبيب) أم من غيرها، كالأرز والذره، أو تُدفع قيمه ذلك، وتفصيل الكلام فيها في محلّه من الرسائل العمليه لمراجعتنا العظام(٤).

والخلاصه فالعيد بنظر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو لمن قبل الله من صيامه، بالاضافه إلى الشرط الثاني، وهو (شكر القيام).

ص: ٣١٢

١- (١) إعانه الطالبين: ج ٢، ص ١٩٠. الدر المنثور: ج ١، ص ٣٤٤.

٢- (٢) ذكره البكرى الدمياطي في إعانه الطالبين: ج ٢، ص ١٩٠.

٣- (٣) انظر: منهاج الصالحين (السيد السيستاني): ج ١، ص ٣٨١.

٤- (٤) انظر - على سبيل المثال -: العروه الوثقى مع تعليقات عدّه من الفقهاء العظام: ج ٤، ص ٢٠١ - ص ٢٢٥.

ومن ضمن الصفات التي ذكرها الإمام عليه السلام في حديثه المبارك صفه القيام، الذي شكره الله تبارك لصاحبه، فهو مع مَنْ قَبِلَ الله صيامه، هؤلاء هم أصحاب العيد حقاً، وخصَّ الإمام عليه السلام القيام والصيام في حديثه الشريف لكون شهر رمضان شهر قيام وصيام، والأول من صفات المتقين كما ذكر الإمام عليه السلام نفسه ذلك لهما في خطبه المتقين، حيث قال عليه السلام فيها: «أما الليل فصافون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن، يُرتلون ترتيلاً، يُحزنون به أنفسهم...» (١)، وأما الصيام وفضله فهو أشهر من أن يُذكر.

وصفه الصيام والقيام متلازمان في شهر رمضان المبارك لكثير من المؤمنين، ومن هنا ورد في بعض أدعيه هذا الشهر الكريم هذا الدعاء المبارك: «إلهي رب الصائمون وفاز القائمون» (٢) الذي يشير إلى صفتي الصيام والقيام، ويمكن للإنسان أن يقوم الليل بقراءة القرآن الكريم، والأدعية المباركة، والمناجاة العاليه المضامين. وأوضح من الجميع أن يقوم لله تبارك وتعالى بالصلاة؛ فإنها خير موضوع، فمن شاء استقلَّ، ومن شاء استكثر، كما ورد ذلك في الأثر الشريف (٣).

ص: ٣١٣

- 
- ١- (١) كتاب سليم بن قيس: ص ٣٧٢. نهج البلاغه: ج ٢، ص ١٦١، خطبه المتقين رقم ١٩٣. كتاب التمهيد: ص ٧١. أمالي الشيخ الصدوق: ص ٦٦٧. صفات الشيعة: ص ٢٠. تحف العقول: ص ١٥٩. روضه الواعظين: ص ٤٣٨. كنز الفوائد: ص ٣٢. مكارم الأخلاق: ص ٤٧٦. كشف الغمّه: ج ١، ص ٩٩. أعلام الدين في صفات المؤمنين: ص ١٣٩. بحار الأنوار: ج ٦٤، ص ٣١٥، ح ٥٠ عن النهج، و ص ٣٤١ - ٣٤٢، ح ٥١ عن الأمالي، و ج ٦٥، ص ١٩٤.
- ٢- (٢) مفاتيح الجنان: ص ٢٣٦، أدعيه ليالى شهر رمضان المبارك.
- ٣- (٣) انظر: الألفية والنقلية: ص ٨٣. مكارم الأخلاق: ص ٤٧٢. بحار الأنوار: ج ٧٩، ص ٣٠٨ - ٣٠٩، ح ٩. جامع أحاديث الشيعة: ج ٤، ص ٥، ح ١٣. المعجم الكبير: ج ٨، ص ٢١٨. الإستذكار: ج ٢، ص ٩٨. كنز العمال: ج ٨، ص ١٣، ح ٢١٦٥٢.

وهي أفضل ما يتقرب به العبد لربه جلّ وعلا(١)، وهناك صلوات عديدة مستحبه في ليالي شهر رمضان المبارك أكدّت الروايات الشريفه(٢) على أداء بعضها تأكيداً منقطع النظير، ومن تلك الصلوات صلوات ليالي القدر المباركه التي ورد التأكيد على أحيائها بالعباده، وقراءه الأدعيه، وتلاوه آيات الذكر الحكيم.

كلّ يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد

ثمّ يعمّم الإمام عليه السلام إطلاق العيد على كلّ يوم لا يعصى الإنسان فيه ربه عزّ وجلّ، وهذا توسيع لدائرته مفهوم العيد، فليس العيد معناه لبس الجديد، بل العيد لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه، وكلّ يوم لا يعصى الله تبارك وتعالى فيه فهو عيد بالنسبه لذلك الإنسان.

وأما الإنسان الذي قضى هذا الشهر المبارك - شهر رمضان - باللعب واللهو والمعاصي، فهو ليس من أهل هذا اليوم أصلاً؛ لأنّ هذا اليوم - يوم العيد - بنصّ كلام الإمام عليه السلام للصائمين، وليس لكلّ الصائمين، بل من قبل الله صيامه، وللقائمين الذين شكر الله قيامهم.

وأما من أفطر في هذا الشهر العظيم فلا قيمه لفرحه يوم العيد؛ لأنّه لا يوجد مقتضى لفرحه، ولا أهمّيه له؛ لأنّ الفرح الحقيقي هو ذلك الفرح الذي يفرحه الإنسان لأجل نيّله طاعه من طاعات الله تبارك وتعالى.

ولذا يقول سيد الشهداء عليه السلام: «ولا تفرح إلاّ بما نلت من طاعه الله..»(٣).

ص: ٣١٤

١- (١) انظر: بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٣٠٦. جامع أحاديث الشيعة: ج ١٤، ص ٧٧.

٢- (٢) انظر: كتب الأدعيه والأذكار، مثل: مصباح المتهجد، المصباح، مفاتيح الجنان.

٣- (٣) موسوعه كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٩١٧، عن أسرار الحكماء: ص ٩٠. شرح إحقاق الحق: ج ٢٧، ص ١٩٠، وص ١٩٨.



ومعلوم أنّ هذا الإنسان الذي قضى أيام هذا الشهر المبارك باللهو واللعب، لم ينل من طاعه الله عزّ وجلّ شيئاً، بل هو من أشدّ العاصين والمفترّطين بفرائض الله عزّ وجلّ، فيوم العيد بالنسبه له يوم حزن وألم على ما صدر منه من تفريط وعصيان؛ ولذا أكدت أدعيه هذا الشهر المبارك على التوسّيل بالله تبارك وتعالى كى يقبل صيام العباد وقيامهم، وأن يجعلهم من المرحومين، ولا يجعلهم من المحرومين، ولعلّ أصرح دعاء ما ورد في آخر ليله من هذا الشهر المبارك، حيث جاء فيه وفي غيره: «اللهم لا تجعله آخر العهد من صيامنا إيّاه، فإن جعلته فاجعلنى مرحوماً، ولا تجعلنى محروماً»<sup>(١)</sup>.

وأما فى اليوم الأول منه فيدعو الصائم بهذا الدعاء: «اللهم اجعل صيامى فيه صيام الصائمين، وقيامى فيه قيام القائمين، وتبهنى فيه عن نوم الغافلين، وهب لى جرمى فيه يا إله العالمين، واعف عني يا عافياً عنه المجرمين»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا الإنسان المؤمن يدأب على هذه الأدعيه، ويسعى جاهداً لأن يوفّق، بأن يكون مقبول الصيام، ومشكور القيام؛ لكى يكون له العيد فى السماء يوم الجائزه، التى يهبها الله تبارك وتعالى لعباده الصائمين القائمين.

لكن أسفى عليك يا مولاي يا أمير المؤمنين أن يمضى عيد تلك السنه ولم تكن حاضراً بجسمك الطاهر بين أهل بيتك، وإن كانت روحك لم تفارقهم حتّى لحظه واحده، فهم لا يزالون يسمعون تكبيراتك من فوق منابر مسجد الكوفه، التى تهترّ لها بيوتات أهل الكوفه بأجمعها، فتوقظ المؤمنين، وتصك أسمع المنافقين والملحدين.

ص: ٣١٥

- 
- ١- (١) فضائل الأشهر الثلاثه: ص ١٣٩، ح ١٤٩. إقبال الأعمال: ج ١، ص ٤٢٢. المصباح: ص ٦٤٠. بحار الأنوار: ج ٩٥، ص ١٧٢. وسائل الشيعه: ج ١٠، ص ٣٦٥، ح ٢. مستدرک الوسائل: ج ٧، ص ٤٨٠، ح ٤ عن فضائل الأشهر الثلاثه.
- ٢- (٢) المصباح: ص ٦١٢.

ولسان حال المؤمنين بامامهم ومولاهم أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

ألا يا عينُ جودى واسعدينا ألا فابكى أمير المؤمنين

وتبكى أم كلثوم عليه بعبرتها وقد رأته اليقينا

ألا قل للخوارج حيث كانوا فلا قرّت عيون الحاسدينا

وأبكى خير من ركب المطايا وحثّ بها وأقرى الطاعينا

وأبكى خير من ركب المطايا وفارسها ومن ركب السفينا

ومن لبس النعال ومن خفاها ومن قرأ المثنى والمثينا

ومن صام الهجير وقام ليلاً وناجى الله خير الخالقينا(١)

\*\*\*

إنّا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،

وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أيّ منقلبٍ ينقلبون

والعاقبة للمتقين.

ص: ٣١٦

---

١- (١) بحار الأنوار: ج ٤٢، ص ٢٩٩. وقال العلامة المجلسي رحمه الله: «قال أبو مخنف: فلما فرغوا... أقبل الحسن والحسين عليهما السلام إلى المنزل، فالتفت بهن أم كلثوم وأنشدت تقول هذه الأبيات لما سمعت بقتله، وقيل: إنها لأم الهيثم بنت العربان الخنعمية، وقيل: للأسود الدؤلى».

هذا تمام الكلام فى هذا الجزء الثالث، وبه تتم الأجزاء الثلاثة:

(معين الخطباء)

والتى تناولت موضوعات متعددة نافعه إن شاء الله تعالى، كتبتها

لتسغنى فى حضرى وسفرى، وأن تكون معيناً لأخوتى،

راجياً من الله تبارك وتعالى أن

يتفضل علىّ بقبولها، وأن يعينى على

العمل بما جاء فى موضوعاتها،

وأن تقع موضع الرضا

فى نظر مولاي

صاحب العصر

والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف

فإنه كريم من أولاد

الكرام.

\*\*

\*

كاظم البهادلى

قم المقدسه / ١٤٣٤ هـ

ص: ٣١٧



القرآن الكريم

- حرف الألف -

١. الاحتجاج: أبو منصور، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، (ت ٥٤٨هـ)، تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخراسان، منشورات مطابع النعمان النجف الأشرف ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.

٢. الإختصاص: الشيخ المفيد، محمد بن النعمان البغدادي (ت ٤١٣ هـ) تحقيق: علي أكبر الغفاري، انتشارات جماعه المدرّسين في الحوزه العلميه في قم المقدّسه.

٣. الأخلاق والآداب الإسلاميه: هيئه محمّد الأمين صلى الله عليه وآله وسلم، الطبعة الثانيه، قم المقدّسه، ١٤٢١ هـ.

٤. الأربعون حديثاً: السيد روح الله الموسوي الخميني رحمه الله (ت ١٤٠٩ هـ)، ترجمه: السيد محمد الغروي، مؤسسه دار الكتاب الإسلامى - قم المقدّسه.

٥. الإرشاد: الشيخ المفيد، محمد بن النعمان البغدادي (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسه آل البيت عليهم السلام، قم المقدّسه، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.

٦. إعانه الطالبين: السيد البكرى الدميّاطى (ت ١٣١٠ هـ)، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

٧. إعلام الورى: الشيخ الفاضل الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٤٥٨ هـ)، طبع ونشر وتحقيق: مؤسسه آل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.

٨. إقبال الأعمال: السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ) تحقيق: محمّد جواد القيومي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي.

٩. الأمالي: الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسه البعثه - قم، نشر: دار الثقافة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٠. الأمالي، الشيخ الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: مؤسسه البعثه - قم المقدّسه، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

- حرف الباء -

١١. بحار الأنوار: العلامه محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مطبعه مؤسسه الوفاء - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

- حرف التاء -

١٢. تأويل الآيات: السيد شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي النجفي (ت ٩٦٥هـ)، تحقيق ونشر: مدرسه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بالحوزه العلميه - قم المقدّسه، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٣٦٦هـ ش.

١٣. تاريخ الطبري: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: نخبة من العلماء، انتشارات مؤسسه الأعلمي - بيروت - لبنان، بدون تاريخ.

١٤. التبيان: الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) تحقيق: أحمد حبيب قصير العامل، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، مكتب الإعلام الإسلامي.

١٥. تحف العقول: ابن شعبه الحراني (ت القرن الرابع الهجري)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر جماعه المدرّسين بقم المقدّسه، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

١٦. التحفه السنيه (مخطوط): السيد عبد الله الجزائري (ت ١١٨٠هـ).

١٧. تفسير ابن أبي حاتم: ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) تحقيق: أسعد محمد الطيب، منشورات المكتبه العصريه.

١٨. تفسير ابن زنين: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن أبي زنين (ت ٣٩٩هـ) تحقيق: حسين عكاشه - محمد الكنز، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، منشورات الفاروق الحديثه.

١٩. تفسير أبي السعود: أبو السعود، (ت ٩٥١هـ)، طباعه ونشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٢٠. التفسير الأصفى: المولى محمد محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، تحقيق: مركز الأبحاث



والدراسات الإسلامية، المحققان: محمد حسين درايتي ومحمد رضا نعمتي، الطبعة الأولى ١٤١٨ ق، ١٣٧٦ ش، منشورات مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي.

٢١. تفسير الآلوسى: الآلوسى (ت ١٢٧٠ هـ)، مجهوله.

٢٢. تفسير الأمل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة أمير المؤمنين عليه السلام - قم المقدّسه، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.

٢٣. تفسير البغوى: البغوى (ت ٥١٠ هـ)، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، مطبعة ونشر دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٢٤. تفسير الثعلبي: الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعه وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٢٥. تفسير السمرقندي: أبو الليث السمرقندي (ت ٣٨٣ هـ) تحقيق: الدكتور محمود مطرجي، منشورات دار الفكر.

٢٦. تفسير السمعاني: السمعاني (ت ٤٨٩ هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الطبعة الأولى ١٤١٨-١٩٩٧، منشورات دار الوطن، الرياض - السعودية.

٢٧. التفسير الصافي: محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ) تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي الطبعة الثالثة ١٤١٦ هـ، مطبعة مؤسسه الهدى، قم المقدّسه، منشورات مكتبة الصدر، طهران - إيران.

٢٨. تفسير العياشي: أبو النصر، محمّد بن مسعود بن عياش السلمي، السمرقندي (ت ٣٢٠ هـ) تحقيق: الحاج هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية طهران.

٢٩. تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ) تحقيق: أحمد بن العليم البردوني، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٣٠. تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي (ت ٣٢٩ هـ) تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف الأشرف ١٣٨٧ هـ، منشورات مكتبة الهدى.

٣١. تفسير النسفي: النسفي (ت ٥٣٧ هـ)، مجهوله.

٣٢. تفسير جامع البيان: ابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق وتقديم: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٣٣. تفسير مجمع البيان: أمين الإسلام الطبرسي (ت ٥٦٠ هـ) تحقيق لجنة من العلماء، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، مؤسسه الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.



٣٤. تفسير مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، الطبعة الثالثة بدون تاريخ.

ص: ٣٢١

٣٥. تفسير نور الثقلين: الشيخ عبد علي العروسي الحويزي (ت ١١١٢ هـ) تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الطبعة الرابعة ١٤١٢ هـ مؤسسه إسماعيليان، قم المقدّسه.

٣٦. تنبيه الخواطر ونزهه النواظر (مجموعه ورام): الأمير الزاهد أبو الحسن ورام بن أبي الفراس الأشترى (ت ٦٠٥ هـ)، مكتبه الفقيه، قم - إيران.

- حرف الثاء -

٣٧. الثاقب في المناقب: عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي الطوسي، المعروف بابن حمزه (ت ٥٦٠ هـ) تحقيق: نبيل رضا علوان، الطبعة الثانيه ١٤١٢ هـ، منشورات مؤسسه أنصاريان، قم المقدّسه.

- حرف الجيم -

٣٨. جامع السعادات: محمد مهدي النراقي (ت ١٢٠٩ هـ) تحقيق وتعليق: السيّد محمد كلانتر، تقديم: الشيخ محمّد رضا المظفر، الطبعة الرابعه، مطبعه النعمان، النجف الأشرف.

٣٩. الجامع الصغير: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.

٤٠. جوامع الجامع: الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسه النشر الاسلامي التابعه لجماعه المدرّسين بقم المشرفه، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

٤١. جواهر الكلام: الشيخ محمد حسن النجفي (ت ١٢٦٦ هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عباس القوجاني، الطبعة الثانيه ١٣٦٥ ش، منشورات دار الكتب الإسلاميه - طهران.

٤٢. جواهر المطالب:، محمد بن أحمد الدمشقي الشافعي (ت ٨٧١ هـ) تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، منشورات مجمع إحياء الثقافه الإسلاميه، قم المقدّسه.

- حرف الحاء -

٤٣. حاشيه ردّ المختار: ابن عابدين (ت ١٢٥٢)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، سنه الطبع: ١٤١٥-١٩٩٥ م منشورات دار الفكر للطباعه والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

- حرف الخاء -

٤٤. الخرائج والجرائح: قُطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) تحقيق ونشر: مؤسسه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم المقدّسه.



٤٥. خصائص الأئمة: الشريف الرضى (ت ٤٠٦هـ)، تحقيق: د. محمد هادي الأميني، نشر: مجمع البحوث الإسلامية في إستانه الرضويه المقدسه - مشهد المقدسه، طبعه عام ١٤٠٦هـ.

٤٦. الخصال: الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر: جماعه المدرسين - قم المقدسه، بدون تاريخ.

- حرف الدال -

٤٧. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار المعرفه، الطبعه الأولى ١٣٦٥هـ.

٤٨. الدعوات: أبو الحسين، سعيد بن هبه الله، المشهور ب قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، الطبعه الأولى ١٤٠٧هـ، منشورات مدرسه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف - قم المقدسه.

٤٩. ديوان ميراث المنبر: الشيخ محمد سعيد المنصوري (ت ١٤٢٨هـ)، طبع ونشر: دار المنصوري، الطبعه الأولى ١٤٢٣هـ.

- حرف الراء -

٥٠. روضه الواعظين: محمد بن الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨هـ)، تحقيق: السيد محمد مهدي الخرخسان، منشورات الشريف الرضى - قم المقدسه.

٥١. رياض المدح والثناء: الشيخ حسين علي سلمان البلادي البحراني، انتشارات المكتبه الحيدريه، النجف الأشرف، الطبعه الرابعه ١٤٢٦هـ.

- حرف الزاي -

٥٢. زاد المسير: ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، الطبعه الأولى ١٤٠٧هـ، منشورات دار الفكر للطباعه والنشر والتوزيع.

- حرف الشين -

٥٣. شرح أصول الكافي: المولى محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١هـ).

٥٤. شرح نهج البلاغه: ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعه منشورات المرعشي النجفي، نشر: دار إحياء الكتب العربيه، بدون تاريخ.

٥٥. الشفاء الروحي: عبد اللطيف البغدادي، معاصر.

٥٦. شواهد التنزيل: عبيد الله بن أحمد، المعروف بالحاكم الحسكاني (ت القرن الخامس الهجري)، تحقيق وتعليق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، مؤسسه الطبع والنشر التابعه لوزاره الثقافه والإرشاد الإسلامى، مجمع إحياء الثقافه الإسلاميه، طهران - إيران.

- حرف الصاد -

٥٧. الصحاح: إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م، منشورات دار العلم للملايين، القاهرة.

٥٨. الصحيفه السجّاديه: الإمام زين العابدين عليه السلام (ت ٩٤ هـ) المطبعه والنشر جماعه المدرّسين - قم المقدّسه.

٥٩. الصراط المستقيم: الشيخ زين الدين، أبو محمد على بن يونس العاملى النباطى البياضى (ت ٨٧٧ هـ)، صحّحه وحققه وعلّق عليه: محمد الباقر البهردى، عُنت بنشره المكتبه المرتضويه لإحياء الآثار الجعفرية، الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ.

- حرف العين -

٦٠. علل الشرائع: الشيخ الصدوق، محمّد بن على بن الحسين بن بابويه القمى (ت ٣٨١ هـ)، المطبعه الحيدريه، النجف الأشرف، طبعه عام ١٣٨٦ هـ.

٦١. عمده الطالب: جمال الدين، أحمد بن على المعروف بابن عنبه (ت ٨٢٨ هـ) تحقيق: محمد حسن آل الطالقاني، الطبعة الثانية ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م، منشورات المطبعه الحيدريه - النجف الأشرف.

٦٢. عمده القارئ: العيني، (ت ٨٥٥ هـ) مطبعه ونشر دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان.

٦٣. العهود المحمّديه: عبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣ هـ)، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، شركه مكتبه ومطبعه مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، شريف محمود الحلبي وشركاه خلفاء.

٦٤. عيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق، محمّد بن على بن الحسين بن بابويه القمى (ت ٣٨١ هـ) تحقيق: الشيخ حسين الأعلمى، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ، منشورات مؤسسه الأعلمى بيروت - لبنان.

٦٥. عيون الحكم والمواعظ: على بن محمد الليثى الواسطى (ت القرن السادس)، تحقيق: حسين الحسنى البيرجندى، نشر دار الحديث، الطبعة الأولى ١٣٧٦ ش.

- حرف الغين -

٦٦. غايه المرام: السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧ هـ) تحقيق: السيد عاشور.

٦٧. الغدير: الشيخ عبد الحسين الأميني (ت ١٣٩٢ هـ) الطبعة الرابعة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

- حرف الفاء -

٦٨. فتح الباري: ابن حجر، شهاب الدين العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) الطبعة الثانية، طباعه ونشر دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٦٩. فتح القدير: الشوكاني (ت ١٢٥٥ هـ) منشورات عالم الكتب.

٧٠. فيض القدير: محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٣٣١ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.

- حرف القاف -

٧١. قرب الإسناد: السيد الحميري أبو العباس عبد الله البغدادي (ت ٣٠٠ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسه آل البيت عليهم السلام، قم المقدسه، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.

٧٢. قصص الأنبياء: قطب الدين، سعيد بن هبه الله الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) تحقيق: غلام رضا عرفانيان، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٣٧٦ ش، منشورات الهادي.

٧٣. قصص الأنبياء: السيد نعمه الله الجزائري (ت ١١١٢ هـ)، بدون تاريخ.

- حرف الكاف -

٧٤. الكافي: الشيخ الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ.

٧٥. كامل الزيارات: جعفر بن محمد بن قولويه، (ت ٣٦٧ هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ، جماعه المدرسين، منشورات مؤسسه الفقاهه.

٧٦. الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٧. كتاب العين: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ، مؤسسه دار الهجره.



٧٨. الكشّاف: الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) سنة الطبع ١٣٨٥ هـ ١٩٦٦ م، منشورات شركة مكتبه ومطبعه مصطفى الباب الحلبي وأولاده بمصر.

٧٩. كشف الغمّة: الشيخ علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت ٦٩٣هـ)، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ، دار الأضواء، بيروت.

٨٠. كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ الصّيدوق، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي (ت ٣٨١هـ) تحقيق: علي أكبر الغفاري منشورات مؤسسه النشر الإسلامي، جماعه المدرّسين، قم المقدّسه.

٨١. كنز العمال: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، (ت ٩٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ بكرى حياني والشيخ صفوه السفاء، مؤسسه الرساله ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م بيروت - شارع سوريا.

٨٢. كنز الفوائد: المحدّث الخبير العلامه أبو الفتح محمد بن علي الكراچكي (ت ٤٤٩هـ)، الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ، منشورات مكتبه المصطفوي، قم المقدّسه.

- حرف اللام -

٨٣. لسان العرب: ابن منظور (ت ٧١١هـ)، نشر أدب الحوزه قم - إيران، ١٤٠٥ هـ.

٨٤. اللهوف: السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ) الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ، منشورات أنوار الهدى، قم المقدّسه.

٨٥. اللهوف على قتلى الطفوف: السيد ابن طاووس، المترجم: عبد الرحيم عفيفي بخشايشي، الطبعة الخامسة ١٣٧٨ ش، انتشارت دفتر نشر مؤيد إسلام، قم المقدّسه.

- حرف الميم -

٨٦. مثير الأحزان: ابن نما الحلبي (ت ٦٤٥هـ)، المطبعة الحيدريه - النجف الأشرف، طبعه عام ١٣٥٩ هـ.

٨٧. مجمع البحرين: الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ) تحقيق: السيد أحمد الحسيني، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ، مكتبه نشر الثقافه الإسلاميه.

٨٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، دار الكتب العلميه، بيروت، طبعه عام ١٤٠٨ هـ.

٨٩. مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام: الشيخ محمد الهنداوي، منشورات الشريف الرضي، بدون تاريخ.

٩٠. المحاسن: أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٤٧هـ) تحقيق وتعليق: السيد جلال الدين



الحسيني (المحدّث) الناشر: دار الكتب الإسلاميه، طهران ١٣٧٠ هـ

٩١. مدينه المعاجز: السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧ هـ) تحقيق: الشيخ عزه الله الهمداني، مؤسسه المعارف الإسلاميه، قم المقدسه، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.

٩٢. المزار، محمد المشهدي (ت ٦١٠ هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مطبعة مؤسسه النشر الإسلامى، انتشارات القيوم، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.

٩٣. المستدرک على الصحيحين: الحاكم النيسابورى (ت ٤٠٥ هـ) تحقيق وإشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلى.

٩٤. مستدرک وسائل الشيعه: الشيخ النورى الطبرسى (١٣٢٠ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسه آل البيت عليهم السلام، الطبعة الثانيه ١٤٠٨ هـ.

٩٥. مُسکن الفؤاد: الشهيد الثاني زين الدين الجبعى العاملى (ت ٩٦٦ هـ)، نشر مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم المقدسه، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.

٩٦. مسند أحمد: أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) دار صادر، بيروت - لبنان.

٩٧. مشكاه الأنوار: أبو الفضل على الطبرسى (ت القرن السابع)، المطبعة الحيدريه - النجف الأشرف، الطبعة الثانيه ١٣٨٥ هـ.

٩٨. مصباح المتهجّد: الشيخ الطوسى، محمّد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ) الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، منشورات مؤسسه فقه الشيعه، بيروت - لبنان.

٩٩. المصباح: الشيخ تقى الدين إبراهيم بن على الحسن بن محمد بن صالح العاملى الكفعمى، (ت ٩٠٥ هـ)، الطبعة الثالثه ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، منشورات مؤسسه الأعلمى للمطبوعات بيروت - لبنان.

١٠٠. المعجم الأوسط: الحافظ الطبرانى، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ) تحقيق ونشر: قسم التحقيق بدار الحرمين ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

١٠١. معجم مقاييس اللغه: أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبه الإعلام الإسلامى، ١٤٠٤ هـ.

١٠٢. مفردات غريب القرآن: الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، الطبعة الثانيه ١٤٠٤ هـ، منشورات دفتر نشر الكتاب.

١٠٣. مقتل الحسين (أبو مخنف): لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي الغامدى (ت ١٥٧ هـ)، تحقيق: الميرزا حسن الغفارى، المطبعة العلميه، انتشارات المرعشى النجفى، طبعه عام ١٣٩٨ هـ، قم.

١٠٤. المقنعه: الشيخ المفيد، محمد بن النعمان البغدادي العكبري (ت ٤١٣هـ)، الطبعة الثانية ١٤١٠

ص: ٣٢٧

هـ، مؤسسه النشر الإسلامي، جماعه المدرّسين، قم المقدّسه.

١٠٥. مكارم الأخلاق: الطبرسي الحسن بن الفضل بن حسن، من أعلام القرن السادس الهجري (ت ٥٤٨هـ)، منشورات الشريف الرضي - قم المقدّسه، الطبعة السادسة ١٣٩٢هـ.

١٠٦. من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ (ت ٣٨١هـ) تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، منشورات مؤسسه جماعه المدرّسين، قم المقدّسه

١٠٧. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذه النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، طبعه عام ١٣٧٦هـ.

١٠٨. منية المرید: الشيخ زين الدين بن علي العاملي، المعروف بالشهيد الثاني (ت ٩١١-٩٦٥هـ) تحقيق: رضا المختاري، الطبعة الأولى ١٤٠٩-١٣٦٨ ش، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي.

١٠٩. ميزان الحكمة: الشيخ محمد الری شهري، نشر دار الحديث، الطبعة الأولى.

١١٠. الميزان في تفسير القرآن: العلامة محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، مؤسسه النشر التابعة لجماعه المدرّسين بقم المقدّسه.

- حرف النون -

١١١. نهج الإيمان: ابن جبر، زين الدين، علي بن يوسف بن جبر من أعلام القرن السابع الهجري، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، منشورات مجمع الإمام الهادي عليه السلام مشهد المقدّسه.

١١٢. نهج البلاغه: خطب الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام (ت ٤٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمد عبده، دار المعرفه.

- حرف الواو -

١١٣. وسائل الشيعه: الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ) تحقيق ونشر: مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، المطبعة مهر - قم.

١١٤. وفيات الأعيان: ابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

١١٥. بدايه المعارف الإلهيه: السيد محسن الخرزاي، معاصر، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ، منشورات مؤسسه النشر الإسلامي التابعة لجماعه المدرّسين بقم المقدّسه.

١١٦. مقدمه في أصول الدين: الخراساني، الشيخ حسين الوحيد، معاصر، مجهوله.

١١٧. أعيان الشيعة: الأمين، السيد محسن، (ت ١٣٧١ هـ)، تحقيق: حسن الأمين، منشورات دار

ص: ٣٢٨

التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.

١١٨. أخلاق أهل البيت عليهم السلام: السيد مهدي الصدر، (حتى لسنة ١٣٩٠ هـ)، منشورات دار الكتاب الإسلامي
١١٩. ليله عاشوراء في الحديث والأدب: الشيخ عبد الله الحسن، معاصر، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ، الناشر المؤلف.
١٢٠. أعلام الدين في صفات المؤمنين: الحسن بن أبي الحسن الديلمي (ت القرن الثامن الهجري)، تحقيق ونشر: مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
١٢١. التمحيص: محمد بن همام الإسكافي (ت ٣٣٦ هـ)، تحقيق ونشر: مدرسه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم المقدسه.
١٢٢. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢ هـ)، تحقيق: ماجد أحمد العطيه.
١٢٣. تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ)، تحقيق: علي شيرى، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ١٤١٥ هـ.
١٢٤. السنن الكبرى: النسائي، (ت ٣٠٣ هـ)، الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
١٢٥. مسند أبي يعلى الموصلى: أبو يعلى الموصلى، (ت ٣٠٧ هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، منشورات دار المأمون للتراث.
١٢٦. دعائم الإسلام: القاضي النعمان المصري (ت ٣٦٣ هـ) تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضى، منشورات دار المعارف القاهره ١٩٦٣ م.
١٢٧. الأمالي: الشيخ المفيد، محمد بن النعمان العكبرى البغدادي (ت ٤١٣ هـ) تحقيق: حسين الإستادومى، علي أكبر الغفارى، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، منشورات دار المفيد، بيروت - لبنان.
١٢٨. ثواب الأعمال: الشيخ الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمى (ت ٣٨١ هـ)، المطبعة أمير، قم، الطبعة الثانية ١٣٦٨ ش، منشورات الشريف الرضى.
١٢٩. ديوان السيد رضا الهندي: السيد رضا الموسوى الهندي (ت ١٣٦٢ هـ)، تحقيق: السيد موسى الموسوى، مراجعه وتعليق: السيد عبد الصاحب الموسوى، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، منشورات دار الأضواء، بيروت - لبنان.

١٣٠. معارج اليقين فى أصول الدين: الشيخ محمد بن محمد السبزواري، المتوفى فى القرن السابع، تحقيق: علاء آل جعفر، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٣ م، منشورات مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم المقدسه.

١٣١. أدب الإملاء والإستملاء: أبو سعيد، عبد الكريم بن محمد منصور التميمى السمعاني (ت ٥٦٢ هـ)، شرح ومراجعته: سعيد محمد اللحام، بإشراف مكتب الدراسات والبحوث العربيه والإسلاميه، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، منشورات دار ومكتبه الهلال بيروت - لبنان.

١٣٢. تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسى، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ) المطبعة خورشيد، دار الكتب الإسلاميه، الطبعة الرابعه ١٣٦٥ ش.

١٣٣. العروه الوثقى: السيد محمد كاظم اليزدى (ت ١٣٣٧ هـ) تحقيق ونشر: مؤسسه النشر الإسلامى، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ، قم المقدسه.

١٣٤. عدّه الداعى: ابن فهد الحلّى (ت ٨٤١ هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد الموحّد القمى، منشورات مكتبه وجدانى، قم المقدسه.

١٣٥. كتاب الزهد: الحسين بن سعيد الكوفى، المتوفى فى القرن الثالث الهجرى، تحقيق: ميرزا غلام رضا عرفانيان، المطبعة العلميه قم المقدسه ١٣٩٩ هـ.

١٣٦. المقنع: الشيخ الصدوق، محمّد بن على بن الحسين بن بابويه القمى، (ت ٣٨١ هـ)، منشورات مؤسسه الإمام الهادى عليه السلام ١٤١٥ هـ.

١٣٧. حليه الأبرار: السيد هاشم البحرانى (ت ١١٠٧ هـ) تحقيق: الشيخ غلام رضا البروجردى، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ، منشورات مؤسسه المعارف الإسلاميه، قم - إيران.

١٣٨. سبل السلام: محمد بن إسماعيل الكحلانى الصنعاني (ت ١١٨٢ هـ) منشورات دار الفكر، تحقيق: الشيخ محمد عبد العزيز الخولى، الطبعة الرابعه ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م، منشورات شركه مكتبه ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر - محمود نصار الحلبي وشركائه.

١٣٩. مغنى المحتاج: الشيخ محمد الشربيني الخطيب (ت ٩٧٧ هـ)، منشورات دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م.

١٤٠. الدرر الباهره: الشهيد الأول، محمّد بن جمال الدين مكى العاملى الجزينى (ت ٧٨٦ هـ)، الطبعة الأولى ١٣٧٩ ش، منشورات زائر - قم المقدسه.

١٤١. نظم درر السمطين: جمال الدين الزرندي الحنفى (ت ٧٥٠ هـ) الطبعة الأولى ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م.

١٤٢. الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) دار

ص: ٣٣٠

الفكر، بيروت - لبنان ١٤٠٩-١٩٨٨ م.

١٤٣. سير أعلام النبلاء: الذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق: العرقسوسى، وثامون صاغر جى، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ منشورات الرساله، بيروت - لبنان.

١٤٤. الآحاد والمثاني: الضحّاك (ت ٢٨٧هـ) تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابره، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م منشورات درّ الدرايه للطباعه والنشر والتوزيع، السعوديه - الرياض.

١٤٥. تفسير العزّ بن عبد السلام: العزّ بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، منشورات دار ابن حزم، بيروت - لبنان.

١٤٦. الدرّ النظيم: ابن حاتم العاملى، (ت ٦٦٤هـ) مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرّسين، قم المقدّسه.

١٤٧. كتاب سليم بن قيس: أبو صادق، سليم بن قيس الهلالي (ت ٧٦هـ) تحقيق: محمد باقر الأنصاري، غير مؤرّخه.

١٤٨. شرح مئه كلمه لأمير المؤمنين عليه السلام: كمال الدين، ميثم بن على البحرانى (ت ٦٧٩هـ) تحقيق: مير جلال الدين الحسينى الأرموى المحدّث، منشورات جماعه المدرّسين فى الحوزه العلميه فى قم المقدّسه.

١٤٩. الأذكار النوويه: النووى (ت ٦٧٦هـ)، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، منشورات دار الفكر للطباعه والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

١٥٠. الإمامه والتبصره: ابن بابويه القمى والد الشيخ الصدوق (ت ٣٢٩هـ) تحقيق ونشر: مدرسه الإمام المهدي عليه السلام قم المقدّسه.

١٥١. كتاب الصمت وآداب النفس: ابن أبى الدنيا (ت ٢٨١هـ)، تحقيق: أبو إسحاق الحوينى، الطبعة الأولى سنه ١٤١٠ هـ، منشورات دار الكتاب العربى، بيروت - لبنان.

١٥٢. المعجم الكبير: الطبرانى (ت ٣٦٠هـ) تحقيق: حمدى عبد المجيد السلفى، الطبعة الثانيه، منشورات دار إحياء التراث العربى.

١٥٣. منهاج الكرامه: العلامه الحلّى، الحسن بن يوسف بن المُطهر (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: عبد الرحيم مبارك، الطبعة الأولى ١٣٧٩ ش، منشورات تاسوعاء - مشهد المقدّسه.

١٥٤. منتهى الآمال: الشيخ عبّاس القمى (ت ١٣٥٩هـ) ترجمه السيد هاشم الميلانى، منشورات مؤسسه النشر الإسلامى، جماعه المدرّسين قم المقدّسه.

١٥٥. تفسير فرات الكوفى: أبو القاسم، فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفى (ت ٣٥٢هـ) تحقيق: محمّد الكاظم، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ، وزاره الثقافه والإرشاد الإسلامى.



١٥٦. بناء المقالة الفاطمية: السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ) تحقيق: السيد علي العدناني الغريفي،

ص: ٣٣١

الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، منشورات مؤسسه آل البيت لإحياء التراث، قم المقدّسه.

١٥٧. شرح إحقاق الحقّ: السيد المرعشي (ت ١٤١١ هـ) تصحيح: السيد إبراهيم الميانجي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم - إيران.

١٥٨. دلائل الإمامه: الشيخ الطبري الإمامي، المتوفّي أوائل القرن الرابع الهجري، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ، مؤسسه البعثه، قم المقدّسه.

١٥٩. إختيار معرفه الرجال: الشيخ الطوسي، محمّد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ)، تصحيح وتعليق: ميرداماد الأسترابادي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، سنه الطبع ١٤٠٤ هـ، منشورات مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسه.

١٦٠. بصائر الدرجات: الشيخ محمّد بن الحسن الصفّار (ت ٢٩٠ هـ) تحقيق: ميرزا محسن كوچه باغي، الطبعة ١٣٦٢ هـ ش ١٤٠٤ هـ ق منشورات مؤسسه الأعلمي، طهران.

١٦١. الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) تحقيق ونشر: مؤسسه الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسه

١٦٢. تفسير الثعلبي: الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ) تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعه وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

١٦٣. تفسير البيضاوي: البيضاوي (ت ٦٨٢ هـ) منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.

١٦٤. تفسير أبي السعود: أبو السعود (ت ٩٥١ هـ)، طباعه ونشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

١٦٥. رياض السالكين: السيد علي خان المدني الشيرازي (ت ١١٢٠ هـ) تحقيق: السيد محسن الحسيني الأميني، الطبعة الرابعة ١٤١٥ هـ، منشورات مؤسسه النشر الإسلامی، قم المقدّسه.

١٦٦. تنزيل الآيات على الشواهد من الآيات: محبّ الدين الأفندي (ت ١٠١٦ هـ) منشورات مكتبه ومطبعه مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

١٦٧. نزهه الناظر وتنبیه الخاطر: الحلواني، الحسين بن محمد بن الحسن المتوفّي في القرن الخامس الهجري، تحقيق ونشر: مؤسسه الإمام المهدي عليه السلام قم المقدّسه الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.

١٦٨. الكنى والألقاب: الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩ هـ)، مكتبه الصدر طهران، بتقديم مُحمّد هادي الأميني.

١٦٩. الإعتقادات في دين الإماميه: الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣١٨ هـ)، نشر وتحقيق: غلام رضا المازندراني، المطبعه العلميه، قم ١٤١٢ هـ.

١٧٠. معانى الأخبار: الشيخ الصدوق، محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى (ت ٣٨١هـ)،

ص: ٣٣٢

تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاري، مؤسسه النشر الإسلامي التابعه لجماعه المدرّسين بقم المقدّسه ١٣٧٩ هـ.

١٧١. الكامل في التاريخ: ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) سنة الطبع ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م، منشورات دار صادر للطباعه والنشر، بيروت - لبنان.

١٧٢. مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: الخوارزمي، الموقّف أحمد بن محمد المكي الخوارزمي (ت ٥٦٨ هـ)، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، الطبعة الثانية ١٤١١ هـ، مؤسسه النشر الإسلامي، قم المقدّسه.

١٧٣. البدايه والنهايه: أبو الفداء، ابن كثير الدمشقي، (ت ٧٧٤ هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ينابيع المودّه: القندوزي (ت ١٢٩٤ هـ) تحقيق: السيد علي جمال أشرف، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ، منشورات دار الأسوه للطباعه والنشر.

١٧٤. تفسير كنز الدقائق: الميرزا محمد المشهدي (ت ١١٢٥ هـ) تحقيق: مجتبي العراقي، منشورات مؤسسه النشر الإسلامي، جماعه المدرّسين، قم المقدّسه ١٤٠٧ هـ.

١٧٥. صحيح البخاري: البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه (ت ٢٥٦ هـ)، دار الفكر للطباعه والنشر والتوزيع سنة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

١٧٦. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان.

١٧٧. كتاب الفتوح: ابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤ هـ) تحقيق: عليّ شيري، الطبعة الأولى سنة ١٤١١ هـ طباعه ونشر دار الأضواء، بيروت - لبنان.

١٧٨. بشاره المصطفى: محمد بن علي الطبري الإمامي (ت ٥٢٥ هـ) تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ، منشورات مؤسسه النشر الإسلامي، جماعه المدرّسين، قم المقدّسه

١٧٩. الطرائف في معرفه مذاهب الطوائف: السيّد ابن طاووس عليّ بن موسى بن طاووس، (ت ٦٦٤ هـ)، الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ، المطبعه خيام، قم المقدّسه.

١٨٠. كفايه الأثر: الخزّاز القميّ (ت ٤٠٠ هـ) تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، المطبعه خيام - قم، منشورات بيدار.

١٨١. الثاقب في المناقب: الشيخ ابن حمزه الطوسي (ت ٥٦٠ هـ)، تحقيق: الأستاذ نبيل رضا علوان، المطبعه الصدر، قم المقدّسه، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ، نشر مؤسسه أنصاريان، قم المقدّسه.

١٨٢. العقد النضيد والدرّ الفريد: مُحمّد بن الحسن القمي، المتوفّى في القرن السابع الهجري، تحقيق: عليّ أوسط الناطقي، الطبعه الأولى ١٤٢٣ هـ، منشورات دار الحديث للطباعة والنشر.

١٨٣. مسند أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود الطيالسي، (ت ٢٠٤ هـ)، منشورات دار المعرفه، بيروت - لبنان

١٨٤. صحيح ابن حبان: ابن حبان (ت ٣٥٤ هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعه الثانيه ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، منشورات مؤسسه الرساله.

١٨٥. تحفه الأحمدي: المبار كفوري، (ت ١٢٨٢ هـ) الطبعه الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، منشورات دار الكتب العلميه، بيروت - لبنان.

١٨٦. سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، (ت ٢٧٣ هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

١٨٧. تهذيب الكمال: جمال الدين المزي (ت ٧٤٢ هـ) تحقيق: الدكتور بشّار عوّاد معروف، الطبعه الرابعه ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م، مؤسسه الرساله بيروت - لبنان.

١٨٨. سير أعلام النبلاء: الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق: العرقسوسى، ثامون صاغرّجى، الطبعه التاسعه ١٤١٣ هـ منشورات الرساله، بيروت - لبنان.

١٨٩. الفصول المهمّيه فى أصول الأئمّه: الحر العاملى (ت ١١٠٤ هـ) تحقيق وإشراف: محمّد القائنى، الطبعه الأولى ١٤١٨ هـ منشورات مؤسسه معارف إسلامى إمام رضا عليه السلام.

١٩٠. محاسبه النفس: الشيخ إبراهيم الكفعمى (ت ٩٠٥ هـ) تحقيق: الشيخ فارس الحسون، الطبعه الأولى ١٤١٣ هـ، منشورات مؤسسه قائم آل محمّد عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم.

١٩١. اليقين: السيد ابن طاووس، (ت ٦٦٤ هـ)، تحقيق: الأنصارى، الطبعه الأولى ١٤١٣ هـ، منشورات مؤسسه دار الكتاب (الجزائرى).

١٩٢. الصوارم المهرقه: الشهيد نور الله التستري (ت ١٠١٩ هـ)، تحقيق: جلال الدين المحمّد، سنه الطبع ١٣٦٧، مطبعه نهضت

١٩٣. تخريج الأحاديث والآثار: الزيعلى، (ت ٧٦٢ هـ) تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الطبعه الأولى، سنه الطبع ١٤١٤ هـ، المطبعه الرياض دار ابن خزيمة، منشورات دار ابن خزيمة.

١٩٤. وفيات الأعيان: ابن خلكان، (ت ٦٨١ هـ) تحقيق: إحسان عباس المطبعه التبان منشورات دار الثقافه.

١٩٥. نخبه اللئالى: محمد بن سليمان الحلبي (ت ١٢٢٨ هـ)، منشورات مكتبه الحقيقه، إسطنبول، تركيا.



١٩٦. مسند الحميدى: عبد الله بن الزبير الحميدى، (ت ٢١٩ هـ) تحقيق وتعليق: حبيب الرحمن الأعظمى، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ، منشورات دار الكتب العلميّه، بيروت.

١٩٧. منتقى الجمان: جمال الدين أبو منصور، الحسن بن زين الدين الشهيد (ت ١٠١١ هـ)، صححه وعلّق عليه: على أكبر الغفارى، الطبعة الأولى ١٣٦٢ ش، منشورات جماعه المدرّسين فى الحوزه العلميه بقم المقدّسه.

١٩٨. أصول الفلسفه والمنهج الواقعى: العلامه محمد حسين الطباطبائى (ت ١٤٠٢ هـ)، تقديم وتعليق: الشهيد مرتضى المطهرى، ترجمه: السيد عمّار أبو رغيف، منشورات المؤسسه العراقيه للنشر والتوزيع

١٩٩. مصادقه الإخوان: الشيخ الصدوق، محمّد بن على بن الحسين بن بابويه القمى (ت ٣٨١ هـ)، إشراف: السيد على الخراسانى الكاظمى، منشورات مكتبه الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف العامه، الكاظميه - العراق، ليتوغراف الكرمانى قم - عشقلى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٢٠٠. الأربعون حديثاً: الشهيد الأول، محمّد بن جمال الدين مكى العاملى الجزىنى (ت ٧٨٦ هـ)، تحقيق ونشر: مدرسه الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف برعايه: السيد محمد باقر الموحد الأبطحى الأصفهانى، قم المقدّسه ١٤٠٧ هـ.

٢٠١. التفسير الكاشف: محمد جواد مغنيه (ت ١٤٠٠ هـ)، الطبعة الثالثه ١٩٨١ م، منشورات دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.

٢٠٢. بنور فاطمه أهتديت: عبد المنعم حسن، معاصر، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، منشورات دار المعروف، بيروت - لبنان





- المحاضرة الأولى: حكمه الخلق ٩
- المحاضرة الثانية: الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر ٢٧
- المحاضرة الثالثة: زاد السفر إلى الله تعالى ٣٧
- المحاضرة الرابعة: الصلاة حصن المؤمن ٤٥
- المحاضرة الخامسة: ذكر الله ٥٥
- المحاضرة السادسة: حُسن الخلق ٦٩
- المحاضرة السابعة: الظلم ٧٩
- المحاضرة الثامنة: الخوف من الله تعالى ٨٩
- المحاضرة التاسعة: الفحش والسبّ والقذف ١٠٠
- المحاضرة العاشرة: الكلم الطيب ١٠٨
- المحاضرة الحادية عشره: حقوق الوالدين والأرحام ١١٨
- المحاضرة الثانية عشره: الصداقه والأصدقاء ١٣٣
- المحاضرة الثالثة عشره: الجار والجوار ١٤٥
- المحاضرة الرابعه عشره: تزكيه النفس ومحاسبتها ١٥٥
- المحاضرة الخامسه عشره: حقوق الأئمه عليهم السلام ١٦٥
- المحاضرة السادسه عشره: حبّ النبي وأهل بيته عليهم السلام ١٨١

المحاضرہ السابعہ عشرہ: الفوز فی الدارين ۱۹۴

المحاضرہ الثامنہ عشرہ: الغيبہ وآثارها ۲۰۹

المحاضرہ التاسعہ عشرہ: صنوف المواعظ ۲۲۲

المحاضرہ العشرون: الحجاب وآثاره ۲۳۲

المحاضرہ الحاديہ والعشرون: ليله القدر ۲۴۳

المحاضرہ الثانيہ والعشرون: فضل القرآن ۲۴۶

المحاضرہ الثالثہ والعشرون: الورع والحلم والمداراه ۲۴۶

المحاضرہ الرابعہ والعشرون: حقّ الصدقه ۲۴۶

المحاضرہ الخامسہ والعشرون: سيد الأعمال ۲۴۶

المحاضرہ السادسہ والعشرون: التفاخر والتكاثر ۲۴۶

المحاضرہ السابعہ والعشرون: الصراط ۲۴۶

المحاضرہ الثامنہ والعشرون: إدخال السرور على المؤمنين ۲۴۶

المحاضرہ التاسعہ والعشرون: من أحب السبل إلى الله ۲۴۶

المحاضرہ الثلاثون: العيد ۲۴۶

فهرست أهمّ المصادر ۲۴۶

المحتويات ۲۴۶

ص: ۳۳۸

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
الغمامة  
اصبحان  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

